جـامعة عمار ثليجي بالأغـواط



دراســـــات

مجلّة دولية محكّمة

العدد: 49
ديسمبر 2016

ISSN 1112-4652

مجلّة "دراسات"

مجلّة دولية علمية محكّمة متعدّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

مجلة دراسات العدد :49 - ديسمبر 2016

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية للباحث (نموذج معتمد لدى المجلة).

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم الباحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك (نموذج معتمد لدى المجلة).

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة (أي في حدود 4000 كلمة)، وأن لا تزيد عن 30 صفحة.

7- أن يلتزم الباحث منهجية علمية معتمدة.

8- البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.

9- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

10- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

11- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلّة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها, ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلّة أو الجامعة.

فهرس المحتويات

.

مجلة دراسات العدد :49 - ديسمبر 2016

منهج القرآن الكريم في علاج مشكلة الفقر

أ.د. داود بورقيبة
جامعة الأغواط

الملخص:

تعدّ مشكلة الفقر من أخطر وأعقد المشكلات التي يعاني منها العالَم؛ والقرآن الكريم الذي يقرّر:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:124] لاشكّ أنّه وضع حلولاً لمشكلة الفقر، وهو ما سنحاول الوقوف على بعض جوانبه من خلال هذا البحث، وذلك وفق الخطّة الآتية:

- تعريف الفقر لغة واصطلاحًا
- مرادفات لفظة "الفقر" في القرآن الكريم
- مدى اهتمام القرآن الكريم بقضية الفقر ورعاية الفقراء
- وسائل القرآن الكريم في علاج مشكلة الفقر، ومنها:
  - السعي والأخذ بأسباب الرزق
  - التكافل الاجتماعي
  - الحقوق الواجبة في الأموال
  - الحقوق التطوّعية في الأموال
  - توزيع أموال الفيء والغنائم
- **الخاتمة**: وتتضمّن حتمية المنهج القرآني في علاج مشكلة الفقر واقتراحات البحث

Abstract

The problem of poverty is considered as one of the complex and dangerous problems that afflicted the world.

this dangerous lies in its negative effects in various fields of religious,economic ,social ,healthy ,and political life.

the Quran has set solutions to the poverty problem,this we will try to stand on some aspects trough this search.according to the following plan:

-definition of poverty language and idiomatically
-synonyms for the word "poverty" in the Quran
-Quran interest to the issue of poverty and care for the poor
-means of the Quran in treating poverty problem including:
- the pursuit and taking of the reasons of livelihood.
- social solidarity.
- due rights in the money.
- volunteer rights in the money.

conclusion : includes obligatory of Quranic approach in the treatment of poverty and the search suggestions

مقدّمة: إنّ مشكلة الفقر تعدّ من أخطر وأعقد المشكلات التي يعاني منها العالَم؛ وتكمن خطورته فيما له من آثار سلبية سيّئة في مختلف مجالات الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية والصحّية والسياسية.

- **تعريف الفقر**: الفقر هو العوز والحاجة[1]. والفقير: ضدّ الغنيّ[1].

---

[1]- **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، ط:2، 1408هـ، 1988م، ص: 289

وعرّفه الجرجاني بقوله: "عبارة عن فقد ما يُحتاج إليه؛ أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمّى فقرًا"[2]

وفي الاصطلاح: "قال الحنفية: هو من يملك دون نصاب من المال النامي، أو قدر نصاب غير نامٍ مستغرقٍ في حاجته. وعرّفه المالكية بأنّه: من يملك شيئًا لا يكفيه قوت عام.وعرّفه الشافعية بأنّه: من لا مالَ ولا كسبَ يقع موقعًا من حاجته. وعرّفه الحنابلة بأنّه: من لا يجد شيئا البتّة، أو يجد شيئًا يسيرًا من الكفاية دون نصفها ممّا لا يقع موقعًا من كفايته"[3].وعرّفه الإباضية بقولهم: "هو المحتاج الذي لا شيء له من مال و لا حرفة، أو له شيء ولا يكفي"[4].

من خلال أقوال الفقهاء، يمكن أن نقدّم تعريفًا للفقير فنقول: **إنّه من لا يملك ما يكفيه من المال، مع عدم القدرة على الكسب والعمل.**

-**آيات الفقر في القرآن الكريم:** وردت كلمة الفقر ومشتقّاتها في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعًا موّزعة على عشر سور بعضها مكّي، والآخر مدنيّ، وهذه الآيات بعضها ذمّت الذين وصفوا الله بالفقر، لأنّها صفةٌ لا تليق بجلال الله وعظَمته، وبعضها نفّرتْ من الفقر، مبيّنة أنّ نبيّ الله موسى عليه السلام شكى منه إلى الله، وبعضها حثّ على البرّ والإحسان للفقراء، وتبيّن أنّهم أوْلَى الناس بالصدقات، وبعضها الآخر حذّر من سلوك طريق الشيطان واتّباعه، حيث يعِدُ أتْباعه بالفقر ويأْمُرُهُم بالفحشاءِ، وبعْضُها حثّت أولياء الأمور على تزويج أبنائهم وبناتهم من الأتقياءِ على ألاّ يكونَ الفقْرُ مانِعًا من موانِعِ الزواج، وبعْضُ هذه الآيات حثّت العاجزين عن نفقات الزواج بالتأنّي والعفّة حتّى يُغْنيَهم الله من فضله، ومدحت بعضُ هذه الآيات فقراء المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله تعالى. ومن هذه الآيات هي:

1- قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]

2- وقال الله تعالى يرد على الذين وصفوا الله سبحانه وتعالى بالفقر: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾[آل عمران: ١٨١]

3- وقال تعالى على لسان سيّدنا موسى عليه السلام:﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ [القصص: ٢٤]

4- وقال تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

5- وقال تعالى: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

6- وقال تعالى:﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾[النساء: ٦].

7- وقال تعالى:﴿ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا ﴾ [النساء: ١٣٥].

8- وقال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٣٢].

---

[1]- سعدي أبو جيب، م.س، ص: 289

[2]- **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: 1، 1403هـ-1983م، ص:168

[3]- **الموسوعة الفقهية الكويتية**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة، مصر، ج: 37، ص:297.

[4]- **معجم مصطلحات الإباضية**، مجموعة من الباحثين، إشراف: عبدالله السالمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ط:2، 2012، ص:748

9- وقال تعالى:﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨].

- **مرادفات لفظة "الفقر" في القرآن الكريم**

وردت لفظة "**الفقر**" و"**الفقير**" في القرآن الكريم بألفاظ أخرى مرادفة لها، ومن هذه الألفاظ:

1- لفظ "**الإملاق**"، وقد ورد ذلك في آيتين:

أ- قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٣١]، قال الطبري: "خوف إقتار وفقر"[1].

ب- قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٥١]، قال الطبري: "الإملاق: الفقر، قتلوا أولادهم خشية الفقر"[2].

وقال الزمخشري: "من إملاق من أجل فقر ومن خشيته"[3]، فالله سبحانه وتعالى نهى الآباء عن قتل أولادهم بسبب خوفهم من الفقر، وبيّن الله تعالى أنّه هو الذي يرزق الآباء كما يرزق الأبناء.

2- لفظ: "**البائس**"، قال الله تعالى: ﴿ وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾ [الحج: ٢٨]، وقال ابن عباس: "البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه، والفقير الذي لا يكون كذلك فتكون ثيابه نقيّة ووجهه وجه غنيّ"[4].

قال القرطبي: "وَهُوَ الَّذِي نَالَهُ الْبُؤْسُ وَشِدَّةُ الْفَقْرِ، يُقَالُ: بَئِسَ يَبْأَسُ بَأْسًا إِذَا افْتَقَرَ، فَهُوَ بَائِسٌ"[5].

ويقول ابن عاشور: "والبائس: الذي أصابه البؤس، وهو ضيق المال، وهو الفقير" ويضيف: "إنّما ذكر البائس مع أنّ الفقير مغن عنه، لترقيق أفئدة الناس على الفقير بتذكيرهم أنّه في بؤس"[6].

3- لفظ: "**القانع**" و"**المعترّ**"، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [الحج: ٣٦]. جاء في لباب التأويل: "القانع الجالس في بيته المتعفّف يقنع بما يعطى ولا يسأل. والمعترّ هو الذي يسأل"[7].وقريب منه ما قاله السعدي: "أي: الفقير الذي لا يسأل، تقنّعًا، وتعفّفًا، والفقير الذي يسأل، فكلّ منهما له حقّ فيهما"[8].

4- لفظ: "**المسكين**"، قال الله تعالى:﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴾ [البلد: ١١ - ١٦].

---

[1]- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمّد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرسالة، ط:1، 1420هـ، 2000م، 436/17

[2]- الطبري، م.ن، 216/12

[3]- **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:3، 1407هـ، 78/2

[4]- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** ، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:3، 1420 هـ، 221/23

[5]- **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:2، 1384هـ - 1964م، 47/12

[6]- **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، المشتهر **بالتحرير والتنوير**، محمّد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 246/17.

[7]- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي الخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 258/3

[8]- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط:1، 1420هـ، 2000م، مؤسّسة الرسالة، ص:538

جاء في التفسير الكبير: "قال الواحدي: المتربة مصدر من قولهم ترب يترب تربا ومتربة مثل مسغبة إذا افتقر حتّى لصق بالتراب"[1].ويقول أيضًا: "أي مسكينا قد لصق بالتراب من فقره وضرّه، فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه"[2].

يقول ابن عاشور: "وذا متربة صفة لمسكين جعلت المتربة علامة على الاحتياج بحسب العرف. والمتربة مصدر بوزن مفعلة أيضًا، وفعله ترب يقال: ترب، إذا نام على التراب أي لم يكن له ما يفترشه على الأرض، وهو في الأصل كناية عن العرو من الثياب التي تحول بين الجسد والأرض عند الجلوس والاضطجاع"[3].

ويفرّق بعض العلماء بين المسكين وذي المتربة، فالثاني أشدّ فقرًا من الأوّل، ونقل الرازي في تفسير هذه الآية: "واحتجّ الشافعي بهذه الآية على أنّ المسكين قد يكون بحيث يملك شيئًا، لأنّه لو كان لفظ المسكين دليلا على أنّه لا يملك شيئًا البتّة، لكان تقييده بقوله: ذا متربة تكريرًا وهو غير جائز"[4].وجاء عند الطبري: ""الفقير"، المحتاج المتعفّف عن المسألة، و"المسكين"، المحتاج السائل"[5]. وبعد أن ينقل أقوال العلماء، يرجّح هذا القول.

ومن هنا نخلص إلى أنّ الله سبحانه وتعالى عبّر عن "الفقر" و"الفقير" بألفاظ أخرى مرادفة لها، وذلك في مواضع متعدّدة من كتابه تعالى.

- الوسائل القرآنية لعلاج مشكلة الفقر:

- السعي والأخذ بأسباب الرزق: إنّ الله سبحانه وتعالى قد تعبّدنا بالسعي وبذْل الجهد لتحصيل ما أراده وقدّره من رزق، لأنّ حقيقة الرزق بإرادة الله وقدره، فالرزّاق هو الله، وما السعي إلاّ سبب من أسبابه، ونحن مكلّفون أن نأخذ بالأسباب، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢ - ٢٣]، وقال تعالى أيضًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، أي إنّ الله تعالى هو الذي سخّر لكم الأرض وذلّلها، فسافروا إلى حيث شئتم، وتردّدوا في أرجائها للعمل ولطلب الرزق والمكاسب[6].

وفي الحضّ على العمل، والانتشار في الأرض لتحصيل لقمة العيش من الكدّ والعمل، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الجمعة: ١٠]، فالله سبحانه وتعالى يأمر المسلمين بالانتشار في الأرض بعد انتهاء صلاة الجمعة لابتغاء الرزق، ولطلب المكاسب والتجارات، بعد أن مُنِعوا ذلك قبل الصلاة، ونُقِلَ عن بعض الصحابة "أنّه كان إذا صلّى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال: اللهمّ أجبت دعوتك، وصلّيت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين"[7].

وفي هذه الآية أمر من الله تعالى بالعمل بعد أداء فريضة الصلاة، ليعلم الناس أنّ العمل واجبٌ عليهم وجوب العبادة.

إنّه بالعمل يستطيع كلّ فرد إشباع حاجاته الأساسية وتحقيق كفايته وكفاية أسرته، وبه يمكن معالجة مشكلة الفقر في المجتمعات الإسلامية.

- التكافل الاجتماعي:

---

[1]- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، م.س، 170/31

[2]- **مفاتيح الغيب**، الرازي، م.ن، 170/31

[3]- **التحرير والتنوير**، م.س، 359/30

[4]- **مفاتيح الغيب** ، م.س، 170/31

[5]- **جامع البيان في تأويل القرآن**، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420 هـ، 2000 م، 305/14-308

[6]- **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، م.س، 877/1

[7]- **مفاتيح الغيب** ، م.س، 542/30

لغة: الكافِلُ: العائلُ، وقد كَفَلَهُ وكفَّلَهُ[1].

اصطلاحًا: "التكافل الاجتماعي أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم، سواء أكانوا أفرادًا أو جماعات، حكّامًا أو محكومين على اتّخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم...أو سلبية كتحريم الاحتكار ...بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامن لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفراده"[2].

وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة تدعو إلى التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم، وتحثّ عليه بشتّى صوره، منها:

- قال الله تعالى:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ [المائدة: ٢] فقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالتعاون على البرّ والتقوى، والبرّ كلمة تجمع كلّ أنواع الخير كما يقول الشوكاني: "البرّ: هو اسم جامع للخير"[3].

وينقل الشوكاني في موضع آخر قولاً للماوردي فيقول: "وقال الماوردي: إنّ في البرّ رضا الناس، وفي التقوى رضا الله، فمن جمع بينهما فقد تمّت سعادته"[4].

ويقول السعدي: "ليُعِنْ بعضُكم بعضًا على البرّ. وهو: اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين"[5].

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

يبيّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية وحدة المسلمين وشدّة تلاحمهم كما في الحديث الصحيح: قال صلّى الله عليه وسلّم: "**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**" وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[6].

- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠]. فالأخوّة تتطلّب أن يحرص الإنسان على إطعام أخيه الجائع، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: "**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ، وجاره جَائِعٌ**"[7].

ومن الأخوّة أن يسقيَ الإنسان أخاه العطشان، ويكسوه إذا كان عريانا، وأن يشاركه فرحته في السرّاء، ويواسيه في الضرّاء، وهذه أعمق صور التكافل الاجتماعي في الإسلام.

- قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فقد امتدح الله سبحانه وتعالى الأنصار مبيّنًا شرفهم وكرمهم، وإيثارهم غيرَهم على أنفُسِهم مع شدّةِ حاجتهم، فكانوا يؤْثِرُونَ إخوانَهم المهاجرين على أنْفُسِهم، رغم فقرهم وسوء حالتهم.

ذكر الطبري في سبب نزولها عن أبي هريرة رضي الله عنه: "جاء رجل إلى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ليضيفه، فلم يكن عنده ما يضيفه، فقال: "ألا رجل يضيف هذا رحمه الله؟" فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة، فانطلق به إلى رحله،

---

[1]- **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسّسة الرسالة، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:8،1426 هـ، 2005 م، 1053/1

[2]- تحميل من: http://www.abdullahelwan.net/3elm/3.pdf يوم 2016/6/5 على الساعة 18.25

[3]- **فتح القدير**، محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيّب، دمشق، بيروت، ط:1، 1414هـ، 199/1

[4]- **فتح القدير**، الشوكاني، م.س، ج:2، ص:9

[5]- **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، م.س، ص:218

[6]- **صحيح البخاري** شرح وتعليق د. مصطفى البغا، دار طوق النجاة، ط:1، 1422هـ، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد، الحديث رقم: 481

[7]- **صحيح الأدب المفرد**، الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط:4، 1418 هـ - 1997، رقم:82/112.

فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم نوّمي الصبية، وأطفئي المصباح وأريه بأنّك تأكلين معه، واتركيه لضيف رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ففعلت فنزلت "[1].

وعدَّ القرآنُ الكريم الإنفاقَ في أوجه الخير وتفريج الكُرُبات، وإطعام المساكين من أوْلى أبواب الإنفاق وأفضل وجوهِ البرّ، قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]. فهذه الآية بيّنت صنوفًا من البرّ، وجعلت منه التكافل الاجتماعي، بل بدون ذلك التكافل يصبح البرّ لا قيمة له، يقول الزحيلي: "ولا بدّ مع الإيمان من العمل الصالح، كإقامة الصلاة تامّة الأركان والشروط مع الخشوع واستحضار القلب، وإيتاء الزكاة المفروضة لمستحقّيها على نحو دقيق شامل جميع أموال الزكاة من النقود والمواشي والزروع وأموال التجارة، وإيتاء المال للمستحقّ مع حبّه له، وهو إيتاؤه ذوي القرابة، واليتامى والمساكين وأبناء السبيل (المنقطعين في السفر) والسائلين وتحرير الرقاب وفكاك الأسرى، ففي المال حقّ آخر سوى الزكاة"[2].

وقد أكّد القرآن الكريم على أنّ الله تعالى سيعوّض المنفقين فقال: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].. وعدّ القرآنُ الكريم ما ينفَقُ في أوجه الخير قرضًا سيوفّيه الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١]، بل وسيضاعفه، قال الله تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٧]، وبيّن أنّه سيردّه أضعافًا فقال: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقال أيضًا: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١١].

إنّ التكافل الاجتماعي يساهم في علاج مشكلة الفقر في المجتمع المسلم، فيرقّ القويّ للضعيف، ويعطف الغنيّ على الفقير، ويحسن القادر على العاجز، ممّا ينشئ مجتمعًا متعاونًا متراحمًا متماسكًا كالجسد الواحد كما قال سيّد الخلق وحبيب الحقّ سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم: "**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**"[3].

إنّ التكافل الاجتماعي في نظر القرآن الكريم نظام متكامل يربط بين الحاجات المادّية والرغبات النفسية، وهو أساس لبناء المجتمع، إذ يقوم على تربية روح الفرد والاهتمام بشخصيته وعلاقاته الاجتماعية.

- الحقوق المفروضة في الأموال:

- **الزكاة:** لقد حضّ القرآنُ الكريمُ المسلمين في العهد المكّي وبداية العهد المدنيّ –حضّهم- بأساليب مختلفة على الإنفاق في سبيل الله، وسدّ حاجة الفقراء والمحتاجين، دون أن يحدّد لهم نوع المال الذي ينفقون، والمقادير الذي يجب أن تنفق من

[1]- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمّد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرسالة، ط:1، 1420هـ، 2000م، 285/23

[2]- **التفسير الوسيط**، د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط:1، 1422هـ، 82/1

[3]- **صحيح البخاري**، م.س، باب رحمة الناس والبهائم، 10/8، رقم الحديث: 6011

ذلك المال بجودهم وكرمهم وضمائرهم، ولقد كانت نفوسهم تتوق إلى معرفة تحديد تلك النفقة وبيان شروطها ونصابها كما بيّن القرآن الكريم ذلك: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

في السنة الثانية للهجرة، فرض الله الزكاة للوفاء بحاجات المحتاجين وتحقيق مصالح المجتمع؛ وهي ركن من أركان الإسلام، فرضها الله تعالى حقًّا في مال الغنيّ، وجعلها على كلّ مسلم بالغ عاقل، إذا بلغ ماله نصابًا معيّنًا وحال عليه الحول.

والزكاة هي أوّل نظام مالي إسلامي، وواجب اجتماعي يقوم به المسلمون تجاه فقرائهم، فهي أوّل التزام مادّي فرضه القرآن على أغنياء المسلمين في أكثر من سبعين موضعًا. قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[التوبة: ١٠٣].

وكثيرًا ما اقترن ذكرها بالصلاة، وفي ذلك إشارة بأنّه يجب أن يكون شأنهم فيها أو شأنها عندهم جميعًا كشأنهم مع الصلاة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[المزمل: ٢٠].

والزكاة مورد ماليّ ضخمٌ، وهو من أهمّ الموارد المالية للفقراء والمحتاجين، وهو من الوسائل الهامّة لعلاج مشكلة الفقر إذا أحسن توزيعها وأنفقت في مصارفها، يقول الزحيلي: "الزكاة أحد أركان الإسلام شُرِعت إغناءً للفقراء وأخذًا بيد الضعفاء، وتحقيقًا لما يسمّى بمبدأ التكافل الاجتماعي لأنّ الإسلام يحضّ على التعاون، ويكره التباعد والتنافر بين الناس، لذا حدّد القرآن الكريم مصارف الزكاة تحديدًا دقيقًا واضحًا، لغاية معيّنة، وهي علاج الفقر، ومواساة الضعفاء والعاجزين"[1]، وجاء هذا التحديد في الآية القرآنية الكريمة الآتية: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٦٠].

يقول السعدي: "واعلم أنّ هذه الأصناف الثمانية، ترجع إلى أمرين:

أحدهما: من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير، والمسكين، ونحوهما.

والثاني: من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به، فأوجب الله هذه الحصّة في أموال الأغنياء، لسدّ الحاجات الخاصّة والعامّة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسدّ الثغور، ويجاهد به الكفّار وتحصل به جميع المصالح الدينية"[2].

وفيما يأتي بيان مختصر لهؤلاء الأصناف:

1- الفقراء والمساكين: سبقت الإشارة إلى أنّ الفقير هو المحتاج الذي لا يسأل، والمسكين هو المحتاج المتذلّل الذي يسأل. وهذه الفئة أجدر بالصدقات، وقد جعل القرآن الكريم إهمالها تكذيبًا للدين، فقال: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾[الماعون: ١ - ٣].

---

[1]- **التفسير الوسيط**، الزحيلي، م.س، 876/1

[2]- **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، م.س، 341/1

2- العاملون عليها: وهم جُباتُها، وإن كانوا أغنياء، فهم يُعْطَون جزاء العمل، فهو راتب الوظيفة، وجعلهم ضمن المستحقّين يشير إلى وجوب أن يكون لهم نصيب قائمٌ بذاته، وإلاّ لم نجد من يتفرّغ لجمعها وتوزيعها على مستحقّيها.

3- المؤلّفة قلوبهم: وهم الذين دخلوا الإسلام حديثًا وذلك لتقوية قلوبهم، وهذا السهم قد أوقف بعد الرسول صلّى الله عليه وسلّم بعد أن أعزّ الله الإسلام وأغناه من أن يتآلف عليه رجل. ولكن يمكن أن يُلجأ إلى هذا السهم عند الضرورة، جاء في المغني: "وإنّما يمنع عطيتهم حال الغنى عنهم، فمتى دعت الحاجة إلى إعطائهم أعطوا، فكذلك جميع الأصناف، إذا عدم منهم صنف في بعض الزمان، سقط حكمه في ذلك الزمن خاصة، فإذا وجد عاد حكمه"[1].

4- في الرقاب: ويقصد به الأرقّاء الذين يستردّون حرّيتهم نظير قدرٍ من المال متّفق عليه مع مالكيهم، تيسيرًا لهم لينالوا حرّيتهم.

5- الغارمين: هم الذين لحقهم دين عجزوا عن تسديده، فإعطاؤهم قسطًا من الزكاة لسداد ديونهم مشروع بنصّ الآية، وفيه إعانة لهم على الحياة الكريمة.

6- في سبيل الله: تشمل كلّ عمل في سبيل الله، وهو باب واسع يشمل كل مصلحة للجماعة، تحقّق كلمة الله.

7- ابن السبيل: هو المسافر أو الغريب الذي انقطع عن بلده، وبَعُد عن ماله فاحتاج، يقول الزحيلي: "هو المسافر المنقطع في أثناء الطريق عن بلده، أو الذي يريد السفر في طاعة غير معصية، فيعجز عن بلوغ مقصده إلاّ بمعونة.

والطاعة: مثل الحجّ والجهاد وزيارة مندوبة. وأمّا السفر المباح كالرياضة والسياحة فلا يعطى في رأي بعض الشافعية لعدم حاجته، ويعطى في رأي آخرين بدليل جواز القصر والفطر له.

ويعطى ابن السبيل ما يبلغ به مقصده إذا كان محتاجًا في سفره، ولو كان غنيًّا في وطنه"[2].

وقد شدّد بالوعيد على من منع الزكاة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

قال الزحيلي: "يكنزون في بيوتهم الذهب والفضّة، أي يجمعون المال ويدّخرونه، ولا يؤدّون منه الحقوق الواجبة شرعًا كالزكاة، ولا ينفقون منه في سبيل الله، فيستحقّون العذاب الشديد المؤلم في نار جهنّم، وعبّر عن الوعيد بهذا العذاب بلفظ البشارة على سبيل التهكّم والتهديد.ومن المقرّر شرعا: أنّ الكنز: هو المال الذي لا تؤدّى زكاته، وإن كان ظاهرًا غير مخفي، وأمّا المال المدفون إذا أخرجت زكاته فليس بكنزٍ"[3].

ولبيان عظمة الزكاة، فقد اعتُبِرَ مانعُ الزكاة مرتدًّا، كافرًا بدين الله، لذلك قاتل أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه مانعيها، حتّى يحفظ المجتمع من التخلخل الذي يسبّبه حرمان الفقراء من حقّهم في أموال الأغنياء.

ومعلوم أنّ مبدأ الزكاة حين طُبِّق في العصور الإسلامية السالفة، نجح في محاربة الفقر، ونزع من القلوب حقد الفقراء علىا الأغنياء، وقلّل كثيرًا من الجرائم الخُلُقية والاجتماعية، وذلك بإزالة أسبابها من الفقر والحاجة، وعوّد المؤمنين على البذل والسخاء، وهيّأ سُبُل العمل لمن لايجد المال.

- الكفّارات: الكفّارات جمع كفّارة، وجاء في تعربفها: "الكفّارة صيغة مبالغة من الكفر، وهو الستر، والمقصود بها هنا الأعمال التي تكفّر بعض الذنوب وتسترها، حتّى لا يكون لها أثر يؤاخذ به في الدنيا ولا في الاخرة"[4].

---

[1]- **المغني**، أبو محمّد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمّد بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، د.ت، 497/2

[2]- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط: 2، 1418 هـ، 274/10

[3]- **التفسير المنير**، الزحيلي، م.س، 856/1

[4]- **فقه السنّة**، سيّد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:3، 1397هـ، 1977م، 24/3

لم يكْتف القرآن الكريم بفرض الزكاة في أموال الأغنياء تعطى للفقراء والمساكين، بل فرض على من خالف بعض أحكامه الشرعية من كافّة المسلمين أن يكفّروا عن تلك المعصية، وقد تكون الكفّارة بأن يدفعوا جزءًا من مالهم تكفيرًا عن تلك المعصية، فالكفّارة واجب حتميّ وليست صدقة طوعية ولا إحسانًا.

وتتجلّى أهمّية الكفّارات وآثارها الاجتماعية ودورها في علاج مشكلة الفقر، باستعراض أنواع الكفّارات ومقاديرها، وهي:

- **كفّارة اليمين**: ويُقصد باليمين هنا: اليمين المنعقدة التي وردت في قوله تعالى:﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[المائدة: ٨٩]. فالحانث بالخيار بين إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة –وهي أشياء تساهم في التكافل الاجتماعي-، فإن لم يستطع فعليه بصيام ثلاثة أيّام.

- **كفّارة التمتّع**: وقد نصّ القرآن الكريم على هذه الكفّارة في قوله تعالى:﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾[البقرة: ١٩٦].

جاء في تفسير ابن كثير: "فما استيسر من الهدي، أي فليذبح ما قدر عليه من الهدي، وأقلّه شاة، وله أن يذبح البقر، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذبح عن نسائه البقر، وقال الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذبح البقر عن نسائه وكنّ متمتّعات"[1].

فهذه الكفّارة هي مساهمة واضحة وفعّالة في معالجة مشكلة الفقر، خاصّة أنّ ذلك الهدي أصبح يذبح بصورة منظّمة وصحّية، وتُحفظ تلك الذبائح في ظروف جيّدة ليصل أغلبها إلى الفقراء في بعض البلاد الإسلامية عن طريق شحنها إليهم بعد موسم الحجّ من كلّ عام.

- **كفّارة قتل الصيد في الحجّ**: يقول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ [المائدة: ٩٥]. فقد قرّر الله تعالى عقوبة على من قتل صيدًا وهو محرم، يقول الزحيلي: "فإن قتل المحرمُ عمدًا أو خطأً شيئًا من الصيد البرّي، فعليه جزاء من الأنعام، يماثل ما قتله في الهيئة والصورة إن وجد، وإن لم يوجد المثيل، فتجب القيمة. فمن قتل نعامة مثلا فعليه بدنة (جمل أو ناقة)، ومن قتل حمارًا وحشيّا فعليه بقرة، ومن قتل ظبيًا فعليه شاة، ومن قتل طائرًا، فعليه قيمته إلاّ حمام مكّة ففيه شاة"[2].

فنلاحظ أنّ الله تعالى جعل للفقراء حظًّا وافرًا ونصيبًا كبيرًا في كفّارة قتل الصيد أثناء الإحرام، سواء سيق الهدي إلى الكعبة وتمّ ذبحه، أم تُصُدِّق بقيمة ذلك مالاً أو طعامًا، وهذا ممّا يساهم أيضًا في معالجة مشكلة الفقر.

- **كفّارة الظهار**: وتجب على من ظاهر من زوجته قائلا لها: أنت عليّ كظهر أمّي، فتصبح محرّمة عليه حتّى يكفّر كفّارة الظهار، تأديبًا له، قال الله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ

---

[1]- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1419، 399/1

[2]- **التفسير المنير**، الزحيلي، م.س، 498/1

تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٣ - ٤]

- **الفدية**: الْفِدْيَةُ لُغَةً: مَالٌ أَوْ نَحْوُهُ يُسْتَنْقَذُ بِهِ الأَسِيرُ أَوْ نَحْوُهُ فَيُخَلِّصُهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ. قَال تَعَالَى: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠٧]، أَيْ جَعَلْنَا الذِّبْحَ فِدَاءً لَهُ وَخَلَّصْنَاهُ بِهِ مِنَ الذَّبْحِ.

وَاصْطِلاَحًا: هِيَ الْبَدَل الَّذِي يَتَخَلَّصُ بِهِ الْمُكَلَّفُ مِنْ مَكْرُوهٍ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ[1].

- **فدية عدم الصيام**: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٤]. فقد بيّن الله تعالى أنّ من عجز عن الصيام عجزًا دائمًا كالمريض مرضًا مزمنًا لا يُرجى برؤه، أو الشيخ الفاني، أو المرأة العجوز التي لا تستطيع الصوم لمرضها أو هرمها، فهؤلاء الذين لا يطيقون الصوم كلّية أو يتحمّلونه بمشقّة بالغة، فهؤلاء يفطرون ويطعمون عن كل يوم يفطرونه.ومعلوم أنّ الإطعام يكون للمساكين والفقراء وليس للأغنياء، وهذا باب عظيم من أبواب مواجهة الفقر في المجتمع المسلم.

- **فدية الحلق في الإحرام**: قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

يقول ابن عاشور: "المراد مرض يقتضي الحلق سواء كان المرض بالجسد أم بالرأس، وقوله: أو به أذى من رأسه كناية عن الوسخ الشديد والقمل، لكراهية التصريح بالقمل. وكلمة (من) للابتداء أي أذى ناشئ عن رأسه"[2].

فمن اضطرّ لحلق رأسه فعليه على التخيير: صيام ثلاثة أيّام، أو صدقة على ستّة مساكين، أو نُسُك وهي شاة توزّع على الفقراء.

- **النذور**: النذور جمع نذر، وهو: "هو أن يلتزم المكلّف قربة غير واجبة عليه شرعًا"[3] بلفظ يشعر بذلك، مثل أن يقول المرء: لله عليّ أن أتصدق بمبلغ كذا، أو إن شفى الله مريضي فعليّ صيام ثلاثة أيام ونحو ذلك[4].

والنذر مشروع، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

والنذر واجب الوفاء، قال الله تعالى: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٩]. فإذا نذر الإنسان نذرًا ماليًا في وجه من وجوه الطاعة، كان للفقراء فيه نصيبٌ.

---

[1] - **موسوعة الفقهية الكويتية**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ج:32، ص:65

[2] - **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، م.س، 224/2

[3] - **معجم مصطلحات الإباضية**، م.س، ص: 904

[4] - **فقه السنّة**، سيّد سابق، م.س، 33/3

- **الأضاحي:** الأضاحي جمع أضحية، وهي: "اسم لما يذبح من الابل والبقر والغنم يوم النحر وأيّام التشريق تقرّبًا إلى الله تعالى"[1].والأضاحي مشروعة بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ** ﴾ [الكوثر: ١ - ٣].وقد بيّنت السنّة كيفية توزيع الأضحية، فقال صلّى الله عليه وسلّم: **"مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلاَ يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وَبَقِيَ فِي بَيْتِهِ مِنْهُ شَيْءٌ"** فَلَمَّا كَانَ العَامُ المُقْبِلُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَفْعَلُ كَمَا فَعَلْنَا عَامَ المَاضِي؟ قَالَ: **"كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا، فَإِنَّ ذَلِكَ العَامَ كَانَ بِالنَّاسِ جَهْدٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فِيهَا"**[2].

-الهدي: الهدي هو: "ما يهدى من النعم إلى الحرم تقرّبًا إلى الله عزّ وجلّ"[3]. وفي تعريف أدقّ: "ما يهدى إلى البيت الحرام من بهيمة الأنعام -الإبل والبقر والغنم- تقرّباً إلى الله تعالى"[4].

واستدلّ العلماء على استحبابها بقوله تعالى:﴿ **وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ** ﴾ [الحج: ٣٦]. فالقانع هو: المتعفّف عن السؤال، والمعترّ هو المتعرّض للسؤال[5].وأجمع العلماء على أنّ الهديَ لا يكون إلاّ من النعَم، وهي: الإبل والبقر والغنمُ. كما اتّفقوا على أنّ الأفضل الإبل، ثمّ البقر، ثمّ الغنم، لأنّ الإبل أنفع للفقراء من البقر، والبقر أنفع من الغنم، والظاهر أنّ المعتبر في الهدي هو ما كان أنفع للفقراء[6].

والهدي واجب على القارن والمتمتّع، وواجب أيضًا على من ترك واجبًا من واجبات الحجّ كرمي الجمار أو المبيت بمزدلفة...وقد أمر الله تعالى صاحب الهدي أن يأكل من هديه، وأن يُطعم البائس الفقير، وذلك في قوله تعالى:﴿ **فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ** ﴾ [الحج: ٢٨].

كما أمر الله تعالى أن يكون للقانع والمعترّ نصيبٌ في الهدي:﴿ **وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ** ﴾[الحج: ٣٦]. وبهذا يتبيّن لنا دور الهدي ومساهمته في علاج مشكلة الفقر.

- **الحقوق التطوّعية في الأموال:** حثّ القرآن الكريم على النفقات التطوّعية وأجزل عليها الثواب، ووعد المنفقين بالأجر العظيم وبالمضاعفة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ومن هذه النفقات:

- **الصدقات:** إنّ الصدقات التطوّعية بابٌ عظيمٌ من أبواب الخير، وطريق واسع من بين طرقه الكثيرة، يقبل عليها المرء طواعية، وهي درب من دروب الخيرات التي حثّ الله على الاستباق إليها، قال الله تعالى: ﴿ **فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ** ﴾[البقرة: ١٤٨].

وقال:﴿ **فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا** ﴾[المائدة: ٤٨]

---

[1]- **فقه السنّة**، سيّد سابق، م.س، 323/3

[2]- **صحيح البخاري**، م.س، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي، رقم: 5569، 103/7

[3]- **فقه السنّة**، سيّد سابق، م.س، 737/1

[4]- **الفقه الميّسر في ضوء الكتاب والسنّة**، مجموعة من المؤلّفين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1424هـ، ص:180

[5]- **التفسير المنير**، الزحيلي، م.س، 1648/2

[6]- **فقه السنّة**، سيّد سابق، م.س، 737/1

وتعظيمًا لأمر الصدقات، وترغيبًا فيها، فقد أسند الله تعالى أخذ الصدقات إلى نفسه، قال الله تعالى:﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[التوبة: ١٠٤]

قوله تعالى: ﴿ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾تعظيم لأمر الصدقات، وتشريف لها، قال الرازي: "ويأخذ الصدقات تشريف عظيم لهذه الطاعة، والأخبار فيه كثيرة عن النبيّ عليه السلام أنّه قال: "إنّ الله يقبل الصدقة ولا يقبل منها إلاّ طيّبا، وأنّه يقبلها بيمينه ويربها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله حتى أنّ اللقمة تكون عند الله أعظم من أحد"[1]. وقال عليه السلام: "والذي نفس محمّد بيده ما من عبد مسلم يتصدّق بصدقة فتصل إلى الذي يتصدّق بها عليه حتّى تقع في كفّ الله"[2]"[3].

ويقول القرطبي: "﴿ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾هذا نصّ صريح في أنّ الله تعالى هو الآخذ لها والمثيب عليها، وأنّ الحقّ له عزّ وجلّ، والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم واسطة، فإن توفيّ فعامله هو الواسطة بعده، والله عزّ وجلّ حيٌّ لا يموت"[4].

وقد وعد الله المتصدّقين والمتصدّقات بمضاعفة الثواب، كما وعدهم بالأجر الكريم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١٨]. وقد جاءت المصّدقين والمصدّقات بالتشديد، وأدغمت التاء في الصاد، إشارة إلى مبالغتهم وإكثارهم من الصدقات. وبيّن الله سبحانه أنّ صدقاتهم ونفقاتهم – إن أخلصوا النيّة، وتابعوا السنّة- هي قرض لله. يقول العثيمين: "ليبيّن أنّ أجرهم مضمون، كما أنّ القرض مضمون، وسيردّ عليه الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة"[5]، ولهم أجر كريم وهو ما أعدّه الله لهم في الجنّة ممّا لا تعلمه النفوس.فهذه الآيات ترغّب في الصدقات لتساهم في التخفيف من بؤس الفقراء وشقائهم، فأبوابها عظيمة، ومجالاتها متنوّعة، وهي مستمرّة لا تنضب، وهي تساهم مساهمة فعّالة في المنهج القرآني الذي وضعه لعلاج مشكلة الفقر.

- **الهبات:** الهبات جمع هبة، وهي: "التبرّع من جائز التصرّف في حياته لغيره، بمال معلوم أو غيره، بلا عوض"[6].

وقد دلّ القرآن الكريم على مشروعية الهبة، قال الله تعالى:﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء: ٤]قال الرازي: "اعلم أنّه تعالى لمّا أمرهم بإيتائهنّ صدُقاتهنّ، عقّبه بذكر جواز قبول إبرائها وهبتها له، لئلاّ يظنّ أنّ عليه إيتاءها مهرها وإن طابت نفسها بتركه"[7].

فالزوجة يمكن أن تهب صداقها كاملاً أو جزءًا منه لزوجها؛ يتصرّف فيه كما يشاء.

وقد جعل العلماء هذه الآية دليلاً على جواز الهبة، ويجب أن تخرج الهبة من يد الواهب طيّبة بها نفسه، ولا يتراجع عنها، لأنّ الموهوب له قد يتصّرف فيها، فيكون التراجع أذًى وحرجٌ للموهوب له.

---

[1]- ونصّ الحديث في سنن الترمذي: "**إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ**"، محمّد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، ومحمّد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط:2، 1395هـ - 1975م، باب ما جاء في فضل الصدقة، رقم: 662، 41/3، وقال حديث حسن صحيح.

[2]- ونصّ الحديث في مسند أحمد: "**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا طَيِّبٌ، إِلَّا كَأَنَّمَا يَضَعُهَا فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى إِنَّ التَّمْرَةَ لَتَعُودُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ**"، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسّسة الرسالة، ط:1، 1421 هـ - 2001 م، رقم:9565، مسند أبي هريرة، 347/15، وهو حديث صحيح.

[3]- **مفاتيح الغيب** ، م.س، 139/16

[4]- **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:2، 1384هـ، 1964م، 249/8

[5]- **تفسير الحجرات – الحديد**، محمّد بن صالح بن محمّد العثيمين، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط:1، 1425هـ، 2004م، ص:392

[6]- **الفقه الميّسر في ضوء الكتاب والسنّة**، مجموعة من المؤلّفين، 1424هـ، ص: 269

[7]- **مفاتيح الغيب** ، م.س، 493/9

إنّ الهبات لها أثرٌ عظيمٌ على نشر الألفة والمحبّة وسدّ حاجات الفقراء، وتعدّ عاملاً مساعدًا للتخفيف من شقائهم وبؤسهم، فيتحوّل بها الفقير من حالة العَوَز والحرمان إلى حالة الكفاية أو الغنى.

- **كفالة الأغنياء للأقارب الفقراء:** فقد جاء القرآن ليؤكّد على رابط القرابة لينهض بدوره في بناء المجتمع بصورة صحيحة متميّزة[1]، وأعظم ما جاء في هذا أنّ الله تعالى قرن حقّ القربى بحقّه سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]

ولقد حثّ القرآن الأغنياء على الإنفاق على أقرب الناس إليهم، الوالدين ومن يليهما من الأقارب، فهم أولى الناس بالبرّ، قال الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٥]. قال السعدي: "﴿مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ أي: مال قليل أو كثير، فأولى الناس به وأحقّهم بالتقديم، أعظمهم حقًّا عليك، وهم الوالدان الواجب برّهما، والمحرّم عقوقهما، ومن أعظم برّهما، النفقة عليهما، ومن أعظم العقوق، ترك الإنفاق عليهما، ولهذا كانت النفقة عليهما واجبة، على الولد الموسر، ومن بعد الوالدين الأقربون، على اختلاف طبقاتهم، الأقرب فالأقرب، على حسب القرب والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصِلَة"[2].

وسمّى الله تعالى ما يقدّم لهؤلاء حقًّا، فقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]. كما وصفه بالخيرية أيضًا، وحكم بالفلاح لمن أدّاه، قال تعالى:﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨]

-**كفالة اليتامى:** اليتامى جمع يتيم: وهو من فقد أباه، وهو شرعا وعرفا مختصٌّ بمن كان دون البلوغ[3]. وقد خصّ اليتيم بمن هو دون البلوغ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "**لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ**"[4].

والإنسان في مرحلة الطفولة يحتاج إلى من يقوم على أمره من كسوة وغذاء ورعاية، فإذا كان والده حيًّا قام بذلك، أمّا إذا فقده، فلابدّ أن يقوم غيره بذلك، وإلاّ كان مصدر إساءة للمجتمع، فقد يتسوّل في الشوارع، وقد يسرق لتلبية حاجاته، وقد ينحرف، وقد يُستغلّ من المنحرفين، وخاصّة إذا كانت أنثى..ولذلك اهتمّ القرآن الكريم اهتمامًا بالغًا برعاية اليتامى وكفالتهم، وتكرّر ذلك في أكثر من ثلاث وعشرين موضعًا، بصيغ مختلفة، فقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]

وقد بيّن الله تعالى خصال البرّ، وعدّ منها بذل المال لليتامى، مع محبّتهم لذلك المال، قال سبحانه وتعالى:﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى

---

[1]- **معالجة مشكلة الفقر في الفكر الإسلامي مع بعض التطبيقات العملية المعاصرة لها**، د.صالح الفريح، في: مجلة جامعة أمّ القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع:45، ذو القعدة 1429هـ، ص:320

[2]- **تيسير الكريم الرحمن**، السعدي، م.س، 96/1

[3]- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط:2، 1418هـ، 227/4

[4]- **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، رقم: 2873، 115/3، وقد صحّحه الألباني.

ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[البقرة: ١٧٧]، كما قال الله تعالى ممتدحًا إيّاهم في آيات أخرى:﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[الإنسان: ٥ - ٨]

ومن اهتمامه باليتيم، أمره سبحانه وتعالى بالمحافظة على أموال اليتامى، وعدم قربانها إلاّ بالتي هي أحسن، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

وقد حذّر تحذيرًا شديدًا، وتوعّد أشدّ الوعيد على أكل أموال اليتامى، واعتبر أنّ من يأكل أموال اليتامى ظلمًا إنّما يأكل في بطنه نارًا، فقال:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[النساء: ١٠]. وأمر القرآن الكريم الأوصياء أن يردّوا إلى اليتامى أموالهم إن رأوهم قادرين على تنميتها وحفظها، قال الله تعالى:﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[النساء: ٦].

- **موارد الفيء والغنائم:** الفيء هو: "ما ردَّه الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال، إمّا بالجلاء أو بالمصالحة، على جزية أو غيرها"[1]. والغنائم جمع غنيمة وهي: "اسم لما يؤخذ من أموال الكفرة بقوّة الغزاة، وقهر الكفرة على وجه يكون فيه إعلاء كلمة الله تعالى"[2]. ويجري تقسيم أموال الفيء بالصورة التي حدّدها القرآن الكريم: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[الحشر: ٧]. فالدولة تقسم الفيء إلى خمسة أسهم، وتوزّع كلّ واحد منها لفئة من المذكورين في الآية، وعلّل الله سبحانه وتعالى هذا التقسيم حتّى لا يبقى المال متداولاً بين الأغنياء فقط، وهذا تصحيح لما كان قبل الإسلام من استئثار القادة بالفيء.

وقد اتّفق العلماء على أنّ سهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد وفاته يرجع إلى بيت المال.

ويجري تقسيم الغنائم على الكيفية الآتية: أربعة أخماس توزّع على الجيش، والخمس الباقي يوزّع على الفئة المذكورة في هذه الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[الأنفال: ٤١]

وإنّ في تخصيص اليتامى والمساكين وابن السبيل بالعطاء في آيتي الفيء والغنائم لحكمة بالغة في دفع الفقر عنهم.

- **الخاتمة:** لقد وضع القرآن الكريم حلولاً لمواجهة الفقر بحيث إذا طُبِّقت قضت على تلك المشكلة. ومن تلك الحلول ما يقع على الفقير نفسه، فهو مطالب بالسعي والعمل والكسب واتّخاذ الأسباب.

والقرآن الكريم يحثّ على العمل المنتج الحلال، ويعتبره خير وسيلة للكسب.

كما وضع القرآن حلولاً يقع على المجتمع أمر تنفيذها، ومن ذلك أنواع التكاليف الواجبة أو الاختيارية.

---

[1]- **التعريفات**، الجرجاني، م.س، ص:170

[2]- **التعريفات**، الجرجاني، م.س، ص: 162

وقد ظهر أنّ في القرآن حقوقًا مفروضة في الأموال تسهم في علاج مشكلة الفقر، وهي الزكاة والكفّارات بأنواعها، والفدية والنذور وزكاة الفطر والأضاحي والهدي.كما ثبت أنّ في القرآن حقوقًا تطوّعية مشروعة في الأموال أسهمت في علاج مشكلة الفقر، وهي الصدقات والهبات وكفالة الأغنياء للأقارب الفقراء، وكفالة اليتامى.

- **اقتراحات البحث:** لتفعيل نصوص القرآن الكريم في معالجة مشكلة الفقر نقترح ما يأتي:

- نشر ثقافة السعي للكسب والعمل بين فئات المجتمعات، خاصّة فئات الشباب، وبيان قيمة العمل والكسب الحلال.

- نشر ثقافة الزكاة وتوعية أفراد المجتمع بها، وذلك بتعريفهم بغرض الزكاة وقصدها وهدفها مما يساعد على تعزيز الالتزام الديني بها، وأنّها من أركان الدين، والتذكير بوعيد مانعيها.

- تجلية مسائل الزكاة (مسؤولية الفقهاء) خاصةً في هذا العصر الذي قلَّ فيه دافعُو الزكاة، وأنّ كثيراً من الأفراد والمؤسّسات في بعض الدول الإسلامية لا يُخرجون زكاة أموالهم بحجّةِ الضرائب، علمًا أنّ الزكاة حقٌّ للفقير حدَّده الشارع في أموالهم.

- إنشاء مؤسّسات الزكاة في الدول التي لا توجد فيها، أو صناديق الزكاة للقيام بجمع زكوات المزكّين وتوزيعها في مصاريفها المشروعة.

- العمل على رفع كفاءة الموارد البشرية العاملة في مؤسسات الزكاة وتوظيف أشخاص معروفين بالاستقامة والنزاهة والتقوى والعلم والسمعة، فضلا عن تدريبهم من النواحي الفقهية والإدارية والاقتصادية.

- الاستفادة من التجارب الرائدة والناجحة في مجال تطبيق نظام الزكاة في المنظومة الاقتصادية للبلد، والذي من شأنها أن يعمل على تحقيق تنمية متوازنة بين الفقراء والأغنياء عن طريق إعادة توزيع الدخول.

- العمل على التنسيق بين المنظمات الخيرية الإسلامية التي تعمل على المستوى الدولي وبين الهيئة العالمية للزكاة في مواجهة حالة الكوارث والمجاعات في دول العالم الإسلامي.

- نشر ثقافة التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، لرعاية المحتاجين واليتامى والأرامل وذوي الحاجات، لما لذلك من آثار دينية واجتماعية وتربوية ونفسية في المجتمع.

-وضع تعريف دقيق لمواصفات كل صنف من الأصناف المستحقّة للزكاة بواسطة لجنة تضمّ علماء الشريعة والاقتصاد والاجتماع، وخاصّة سهم: في الرقاب والمؤلّفة قلوبهم وفى سبيل الله لتسترشد به جهات الصرف.

-حصر المستحقّين للزكاة من كلّ صنف بواسطة اللجان المحلّية من واقع استمارة بيان حالة، والزيارات الميدانية، وبكلّ وسائل الاستيثاق لاستحقاق الزكاة.

-الصرف مرّة واحدة للغارم ومن أصابته كارثة وفى الرقاب وابن السبيل الذي يحتاج إلى تذاكر سفر.

- إنشاء مساكن إيواء لابن السبيل. وإنشاء مساكن لمن لا مأوى لهم وتوفير الاحتياجات من الملابس والأغذية.

-إنشاء مشروعات خدمية للفقراء مثل المستشفيات.

-تقوم لجان الزكاة بتوفير رأس مال مناسب للعاطلين من الفقراء والمساكين وتتولّى شراء المستلزمات اللازمة لإنشاء مشروعات لهم، كما يمكن إنشاء مشروعات متوسّطة لعدد من الفقراء العاطلين المتخصّصين في مهنة أو حرفة معيّنة ليصبح هؤلاء بعد مدّة من المزكّين بدل أن يبقوْا دائمين من الآخذين.

- التشجيع على إنشاء جمعيات خيرية لرعاية اليتامى، وتوعية القائمين عليها، للتكفّل بهم أحسن تكفّل.

هذا ما منّ الله تعالى به في هذا الموضوع، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه.

- قائمة المصادر والمراجع

-**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، المشتهر **بتفسير التحرير والتنوير**، محمّد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

- **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،ط: 1، 1403هـ
- **تفسير الحجرات – الحديد**، محمّد بن صالح بن محمّد العثيمين، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط:1، 1425هـ، 2004م.
- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1419.
- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** د.وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط:2، 1418هـ.
- **التفسير الوسيط**، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط:1، 1422هـ
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط:1، 1420هـ، 2000م، مؤسّسة الرسالة
- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420هـ
- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:2، 1384هـ، 1964م.
- **صحيح الأدب المفرد**، الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط:4، 1418 هـ
- **فتح القدير**، محمّد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيّب، دمشق، بيروت، ط:1، 1414هـ.
- **فقه السنّة**، سيّد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:3، 1397هـ، 1977م.
- **الفقه الميّسر في ضوء الكتاب والسنّة**، مجموعة من المؤلّفين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1424هـ.
- **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، ط:2، 1408هـ، 1988م.
- **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:8،1426 هـ، 2005 م.
- **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:3، 1407هـ
- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي الخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
- **معالجة مشكلة الفقر في الفكر الإسلامي مع بعض التطبيقات العملية المعاصرة لها**، د.صالح بن عبدالله بن عبد المحسن الفريح، في: مجلة جامعة أمّ القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع:45، ذو القعدة 1429هـ.
- **معجم مصطلحات الإباضية**، مجموعة من الباحثين، إشراف: عبدالله السالمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ط:2، 2012
- **المغني**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، د.ت.
- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقّب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:3، 1420 هـ
- **الموسوعة الفقهية الكويتية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط:1، مطابع دار الصفوة، مصر.

العلاقة بين مبدأ التقوى ووجهة الإنسان في الحياة –على ضوء القرآن الكريم –

أ.صالح محمد حمدي
جامعة الجزائر

الملخص:
تبرز قيمة التقوى، ودورها الفعّال في رحلة الإنسان على هذا الكوكب، في أن يتخذ كل الأسباب وينفق كل طاقاته من أجل أن يتعرّف على ذاته الحقيقية.. على وِجهته ومهمته التي خُلق من أجلها ويُسّر لها.. حتّى يحيا النفس المطمئنة، والحياة الطيبة التي وُعد بها في الدنيا والآخرة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بتفعيل التقوى في هذا البحث عن الحقيقة، والعودة إلى الفطرة السليمة، يتقي الإنسان العواقب السيئة لعيشه بدون وجهة ولا رسالة حقيقية.. العواقب السيئة لعيشه فقط من أجل إرضاء شهواته ومطامعه المحدودة، أو حتّى من أجل إرضاء الناس والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: التقوى - الوجهة - الإنسان - الرسالة - القرآن الكريم

summary
the value of piety and its active role in the human journey on this planet is highlighted when man traces the chain of causes and spend all his energy to understand his real ego. Moreover, is highlighted when he recognizes his destination and the mission he is created for, which ismade easy for him. All this done, to be granted a satisfied soul and a good life in this world and in the Hereafter, this is from one hand. In the other hand, man by activating piety in his search for truth, and in returning to the natural disposition, he avoids the bad living consequences in the absence of the destination and the real mission. The bad consequences of living only to satisfy the limited desires and ambitions, or even to satisfy people and community.

Keywords: 1. Piety 2. Destination 3. Man 4. Mission 5. Qur'an

مدخل: "من أنا؟ لماذا خلقت في هذه الحياة؟".. سؤال كبير لطالما بحث فيه المفكرون والفلاسفة منذ أقدم العصور، بل كان ولا يزال السؤال الجوهري الذي طرحه على نفسه كل ذي عقل سويّ –ولو في اللاشعور- ولا يهم بعد ذلك مستواه الفكري أو الثقافي، بل الذي يهم أنه سؤال واقعي مُلحٌّ نابع من أعماق الفطرة السليمة، التي فُطِر الناس عليها. ففي أحيان كثيرة يمارس الواحد منا أعمالا ونشاطات دون وعي ولا حضور قلبي في مسألة الغاية والمقصد مما يقوم به من أعمال، ربما تكون هي ضغط الالتزامات التي يقوم بها المرء بصفة متكررة كالوظيفة أو الشغل، وربما المسؤولية الأسرية التي يتحملها الأبوان حول شؤون البيت والأولاد أو المسؤولية الاجتماعية لكل ذي منصب اجتماعي، وربما أمور أخرى غير هذه، ومحصّلة القول أنه في كثير من الأحيان نشعر بغربتنا عن أنفستنا ونوايانا ومقاصدنا من أعمالنا، بل ونشعر بضياع الوجهة التي نتوجه إليها والغاية من حياتنا كلها. رغم إقرارنا بمبادئ الدين وقواعده ككل، وحرصنا على أداء الفروض والشعائر الدينية التي كُلّفنا بها. ونظن في أحيان كثيرة أن ذلك هو كل ما في الأمر في ما يخص حقيقة التدين والتقوى التي حصرناها في نطاقات ضيقة ومحدودة، لا تتعدى ترك المحرمات والنواهي التي نهى الله عنها في كتابه الكريم –رغم أهمية هذا الجانب من الدين- فكان من نتائج هذا القصور في التعامل مع الدين والفصل بين قيَمه؛ ضعف تحقق أهم مقاصد الدين في الحياة وهو: أن يعيش المؤمن سعيدا مطمئنا بذكر ربه ولقائه، قويا بذاته ومبادئه، وأن يكون رسول رحمة وسلام للعالمين.

من هنا طرحنا في هذا البحث الإشكال الآتي: ما العلاقة بين التقوى ووجهة الإنسان في الحياة على ضوء القرآن الكريم؟ بافتراضنا أن الوجهة هي الجانب النظري، بينما تمثل التقوى الجانب العملي الذي يُفترض في الإنسان أن يسعى إلى الجمع والموازنة بينهما حتّى يحقق عبوديته لله عز وجل، ومن ثمّ يحصل على حياة طيبة ونفس مطمئنة كما وعده بذلك ربه في كتابه الكريم،

فنبدأ بتعريف مفهوم الوجهة ولوازمها ثم مفهوم التقوى، لنصل بعد ذلك إلى بحث العلاقة بين المفهومين على ضوء القرآن الكريم، ونختم بمثال توضيحي للموضوع من خلال سورة الليل.

أولا: مفهوم الوجهة: الوجهة في اللغة: هي الجهة والمقصد الذي يقصده المرء، جاء في لسان العرب: (الجِهَةُ والوِجْهَةُ جَمِيعًا: الموضعُ الَّذِي تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ وَتَقْصِدُهُ. وضَلَّ وِجْهَةَ أَمْرِه، أَي قَصْدَهُ)[1].

وفي القرآن ورد مصطلح الوجهة في قوله تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:148].

في تفسير كلمة الوجهة نجد أن أغلب التفاسير تدور حول معنى حادثة تحويل قبلة الصلاة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وما أثار الحدث من فَتْن أهل الكتاب للمسلمين حول هذا التحويل، ففي تفسير الإمام الطبري: "لليهود قبلة، وللنصارى قبلة، ولكم قبلة. يريد المسلمين"[2]، ويبين القرطبي معنى الوجهة بقوله: "وَالْمُرَادُ: الْقِبْلَةُ، أَيْ إِنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ قِبْلَتَكَ، وَأَنْتَ لَا تَتَّبِعُ قِبْلَتَهُمْ، وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ إِمَّا بِحَقٍّ وَإِمَّا بِهَوًى"[3].

أما سيد قطب فيعتبر موضوع الآية تثبيتا للمؤمنين على الحق، فأراد ربهم أن يصرفهم " عن الاستماع لأهل الكتاب والانشغال بتوجيهاتهم، ويوحي إليهم بالاستقامة على طريقهم الخاص ووجهتهم الخاصة. فلكل فريق وجهته، وليستبق المسلمون إلى الخير لا يشغلهم عنه شاغل"[4]. إذا أسقطنا الآية على واقعنا بغض النظر عن تلك الحادثة التاريخية، وعلى الإنسان باعتباره فردا لا مجموعًا، نجدها تخاطب كل فرد منا باسمه ولقبه، بذاته وشخصه، تحفزه وتوحي إليه بأن يبحث عن وجهته، وهي "غايته وقبلته التي يستقبلها ويتوجه إليها ويلتزم بها -لا في صلواته فحسب- بل في كل أوقاته وسائر أعماله وأنشطته، وخلال كل تفاصيل حياته. وألاّ يُشغله عنها شاغل، لأنّه لم يُخلق أصلا إلا لتلك الغاية". والسؤال الآن: حسب رؤية القرآن العظيم؛ ما هي وظيفة الإنسان تحديدا؟ أو ما هي وجهته التي ينبغي عليه البحث عنها وسلوك طريقها؟

يجيب القرآن عن الغاية من خلق الإنسان حصرًا: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالانسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:56]، فهل العبادة ذلك المفهوم التقليدي الموروث الذي يحصرها في الشعائر من صلاة وزكاة وصيام وحجٍّ، بمعزل عن قيَمها ومقاصدها التربوية والاجتماعية والحضارية؟ .. الإجابة واضحة لمن ابتغى الحقيقة، العبادة بمفهومها الشامل الذي يسَع حياة الإنسان كلها: فردًا وأسرةً ومجتمعًا، العبادة كنظام ومنهج حياة، وثقافة تسري في كيان الفرد ونفسه؛ لكن ضمن سياق الجماعة بدءًا من أسرته، وانتهاءً عند أمته الكبيرة.. مفهوم العبادة الذي يجعل لحياة الإنسان وسعْيه فيها؛ معنًى ومغزًى. ولما كان الإنسان محدودًا وضعيفًا بنفسه ومفرده، ولما كانت قوته وازدهاره في اجتماعه بغيره، وتكميله لنقصه بتعاونه معهم.. فإن حلقةً أساسية في سلسلة حياته لا بد له من ربطها بها، هي اكتشافه لذاته.. لطاقاته ومواهبه وقدراته التي وهبها إياه الرحمان، حتّى يستطيع أن يتعاون مع غيره وينفق مما رزقه الله من مواهب لا مما يفقد، ففاقد الشيء لا يُعطيه، فالسيارة أو الطائرة في عالم المادة لا تتحرّك ولا تشتغل وظيفتها –وهي نقل الإنسان وأغراضه من مكان إلى مكان- إلا بالتكامل بين أجهزتها في أداء كل جهاز وظيفته التي صُنع لأجلها. كذلك الأمر

---

[1] - لسان العرب (13/ 556). ينظر أيضا: معجم مقاييس اللغة (6/ 89).

[2]- تفسير الطبري جامع البيان ت شاكر (3/ 192)

[3]- تفسير القرطبي (2/ 164)

[4]- في ظلال القرآن (1/ 136)

في عالم الإنسان حيث لا يمكن لأي مجتمع أن ينمو ويزدهر دون هذا التكامل بين أفراده. كما لا يمكن لأي فرد أن يرتقي في إنسانيته وقربه من الله عز وجل دون هذا الوعي بدوره الدقيق في الحياة ضمن مجتمعه وأمته.

ثانيا: لوازم معنى الوجهة

1- الوعي بمحورية الإنسان: بعد بياننا لمفهوم الوجهة وأنها الغاية والوظيفة التي خُلق من أجلها الإنسان، بقي أن نذكّر بقضية بديهية؛ تُعتبر من لوازم معنى الوجهة، وهي ضرورة الوعي بكوْن الإنسان محور هذا الوجود والمستخلف الوحيد في الأرض ليمثّل فيها صفات الخالق عز وجل، والمُكرّم تكريمًا يليق بعظمة المهمة التي أوكلت إليه، فسخّر له المولى تعالى كل ما في الكون من خلائق تخدمه وتيسّر له أداء دوره المنوط به، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء:70].

تلك الخلائق التي تأتمر بأمر خالقها في خدمة بني آدم وتيسير الحياة لهم؛ فلا تخرج عن نظامها قيد أنملة، الشمس والقمر والنجوم والجبال، والشجر والدّواب، والبحار والأنهار... لا يحيد واحد منها عن مساره الذي وضعه له الرحمان، وهذا عين السجود والتسبيح الذي يترجم خضوعها وطاعتها لباريها كما أخبر القرآن في آيات كثيرة من بينها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨ – ٤٩] وقوله تعالى أيضا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء: ٤٤]

ومن تمام رحمة الله بعباده وتكريمه لهم تكريما يليق بمقام العبودية الذي كلّفهم به؛ أن أنزل إليهم وحيًا أعلى عبر رسُله ورسالاته.. رسم لهم فيه الخطوط العريضة والمعالم الأساسية لرحلة حياتهم، والتي تضمن لهم قضاء تلك الرحلة سالمين غانمين، إذا ما اتّبعوا إرشاداتها وتوجيهاتها.

2- حرية الإرادة والاختيار: ومن لوازم الوجهة التي تتضمن معنى الخلافة والعبادة أن خصّ الله الإنسان بخصيصة لم يعطها خلقًا آخر وهي حرية الإرادة والاختيار لسبيله، وهذا هو سرّ ابتلائه وتكليفه بحمل الأمانة التي أبت السماوات والأرض أن يحملنها وأشفقن منها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب:72]، أن يختار طريقه بنفسه وإرادته؛ بقراره وعزيمته الداخلية، لا بإكراه خارجي أو وِصايةٍ عليه، ذلك حتّى يستحقّ بجدارة الثمرة والنتيجة الطيبة التي وُعد بها في الدنيا والآخرة: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ٤٣]، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل: ٣٢].

3- **ازدواجية التركيب للنفس البشرية:** ومن حكمة الخالق عز وجل في تأهيل بني آدم للوجهة التي أرادها لهم وهي وجهة العبادة وحمل أمانة التكليف، أن جعل تركيبتهم -بعد أن أبدع فيها وأحسن خلقها وصنعها- ذات طبيعة مزدوجة، فيها القابلية للصلاح وفعل الخير، كما فيها القابلية للفساد وفعل الشرور والآثام، والحُكم بعد ذلك للإرادة الفردية إلى أيّ وجهة تتجه؟ وأيّ طريق تسلك: طريق الهدى وإرضاء الرحمان، أم طريق الهوى وإرضاء الشيطان؟

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾.[الإنسان: ٣].وقال الله تعالى أيضا: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[الشمس: ٧ – ٨]هذه الازدواجية التي خلق الله بها الإنسان آية عظيمة من آياته سبحانه، حيث بها؛ لا بغيرها تتجلى الحكمة من التكليف والوجهة التي ارتضاها الله لعباده ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:7]، فلو كان للإنسان قابلية واستعداد واحد، إلى فعل الخير وتحصيل الفضائل لانتفت الحكمة أصلا من تكليفه... لكان مدفوعا بالجبر إلى مقام الملائكة الذين ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[التحريم:6]، لكن المشيئة الإلهية جعلت سرّ الابتلاء البشري في القدرة على اختيار الطريق الأصوب عن فهم ووعي واقتناع، ثم تحرُّك الإرادة نحو تحويل ما آمنت به إلى فعل وسلوك ذاتي، رغم تحرك الدوافع المناقضة الأخرى في النفس؛ والتي تدفعها إلى اختيار سبل الهوى والشيطان.

ثالثا: مفهوم التقوى

1- **التقوى في اللغة والاصطلاح:** كلمة التقوى في اللغة مشتقة من فعل "وقى"، ويعني: (دفع شيء عن شيء بغيره.. والوقاية ما يقي الشيء، واتق الله: توقَّهُ، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية)[1].

أما الدلالة الاصطلاحية للكلمة فقد تنوعت تعاريف علماء الإسلام لها، واختلفت تمثيلاتهم وعباراتهم حولها، إلا أنها لا تبتعد كثيرا عن أصلها اللغوي وهو معنى (الوقاية)، فقد أورد -مثلا- الإمام السيوطي في معجمه "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" مجموعة من الآثار في مفهوم التقوى ودلالاتها؛ هذه جملة منها[2]:

(أخرج ابْن أبي الدُّنْيَا فِي كتاب التَّقْوَى عَن أبي هُرَيْرَة، أَن رجلا قَالَ لَهُ: مَا التَّقْوَى قَالَ: هَل أخذت طَرِيقا ذَا شوك قَالَ: نعم، قَالَ: فَكيف صنعت؟ قَالَ: إِذا رَأَيْتُ الشوكَ عدلت عَنهُ أَو جاوزته أَو قصرت عَنهُ، قَالَ: ذَاك التَّقْوَى.

وَأخرج أَحْمد فِي الزّهْد وَابْن أبي الدُّنْيَا عَن سعيد بن أبي سعيد الْمَقْبُرِي قَالَ: بلغنَا أَن رجلا جَاءَ إِلَى عِيسَى فَقَالَ: يَا مُعلم الْخَيْر كَيفَ أكون تقياً لله كَمَا يَنْبَغِي لَهُ ؟ قَالَ: بِيَسِير من الأَمر، تحب الله بقلبك كُله، وتعمل بكدحك وقوّتك مَا اسْتَطَعْت، وترحم ابْن جنسك كَمَا ترحم نَفسك، قَالَ: من ابْن جنسي يَا معلم الْخَيْر، قَالَ: ولد آدم كلهم، وَمَا لَا تحب أَن يُؤْتى إِلَيْك فَلَا تأته إِلَى أحد، فَأَنت تَقِيّ لله حَقًا[3]).

أما الإمام بن رجب الحنبلي فيقول عن حقيقة التقوى في كتابه "جامع العلوم والحِكَم":(وَأَصْلُ التَّقْوَى أَنْ يَجْعَلَ الْعَبْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَخَافُهُ وَيَحْذَرُهُ وِقَايَةً تَقِيهِ مِنْهُ، فَتَقْوَى الْعَبْدِ لِرَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَخْشَاهُ مِنْ رَبِّهِ مِنْ غَضَبِهِ وَسُخْطِهِ وَعِقَابِهِ؛ وِقَايَةً تَقِيهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ فِعْلُ طَاعَتِهِ وَاجْتِنَابُ مَعَاصِيهِ. وَتَارَةً تُضَافُ التَّقْوَى إِلَى اسْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ... وَتَارَةً تُضَافُ التَّقْوَى إِلَى عِقَابِ اللَّهِ، وَإِلَى مَكَانِهِ، كَالنَّارِ، أَوْ إِلَى زَمَانِهِ، كَيَوْمِ الْقِيَامَةِ.... قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُتَّقُونَ: الَّذِينَ يَحْذَرُونَ مِنَ اللَّهِ عُقُوبَتَهُ فِي تَرْكِ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْهُدَى، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ فِي التَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْمُتَّقُونَ اتَّقَوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَدَّوْا مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَيْسَ

---

1 - أحمد بن فارس بن زكرياء: **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، ط: 2002، اتحاد الكتاب العرب، ج 6/ ص 99.

2 - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ط دار الفكر - بيروت (1 /61-63).

3 - رواه أحمد بن محمد بن حنبل في **كتاب الزهد**، تح: محمد عبد السلام شاهين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1420 هـ - 1999م، ص 52

تَقْوَى اللَّهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ، وَلَا بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا، فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ)[1].

من خلال الآثار والأحاديث السالفة الذكر؛ والتي أوردها الشيخان: جلال الدين السيوطي، وبن رجب الحنبلي يتبين لنا أن مفهوم التقوى وأبعادها عند السَّلف تدور حول جوهر واحد وهو: الحالة القلبية التي يكون عليها المؤمن؛ حيث يستقبل تشريعات خالقه عز وجل وأقداره بقلب منشرح، فيأتمر بما أمره تعالى وينتهي عما نهاه خضوعًا واستسلامًا.. وهو معنى يتفق مع محكمات النصوص من الوحييْن، إلا أن هذا المعنى وقع له انحراف وتشويه في الفكر الإسلامي في عصور الضعف التي عاشها المسلمون بعد ذلك، ولا زلنا نعيش تبعاته إلى يومنا هذا، وذلك لما وقع الفصل بين الدين والدنيا.. بين الحياة الأولى والآخرة.. بين السلطة العلمية والسلطة السياسية، وبين المادة والروح.

هذا الفصل ضيّق مجال الدين -وبالتّبع مفهوم التقوى-في الشعائر والعبادات الخمسة، وفي بعض الطقوس أو المظاهر الشكلية التي يتمسّك به كثير من المسلمين، كشكل اللباس عند الجنسين ذكرًا كان أم أنثى، وفي الاحتفال ببعض المناسبات الدينية والرفع من شأنها إلى حدّ التقديس!! أما تفاصيل الحياة اليومية للإنسان المؤمن من نشاطه وعمله واهتماماته الفكرية والوجدانية، ونظام غذائه وراحته النفسية والبدنية، وعلاقاته بالآخرين بدءًا من أقرب الناس إليه وانتهاء بإخوانه في البشرية... فشأنها شأن آخر لا علاقة له بالدين وبمفهوم التقوى -تبعًا- مع أن الإسلام حين جاء عبر رسالته الخاتمة، ونصوصه المحكمة عبر الوحيين: القرآن العظيم والسنة الصحيحة، جاء بنظام ومنهج شامل مستغرق لكل مناحي حياة الإنسان فردًا ومجتمعا، مادةً وروحًا، دُنيًا وأخرى.. فقد وقع عبر تراكم عصور الضعف التي عاشتها الأمة الإسلامية تشويه أو لنقُل تقزيم لمفهوم التقوى، حيث حُصرت التقوى وضُيّقت في إحدى معنييْن وهما:

المعنى الأول: اتقاء المواجهة للتحدّيات وركوب الأهوال، وعدم اقتحام الصِّعاب، بدافع خفيٍّ أو عقدة نفسية متحكّمة، وهي الخوف من الوقوع في الخطإ والمحظور، أو في الانهزام والفشل..!

المعنى الثاني: حصر التقوى في الشعائر والعبادات، وحسن أداء الأركان الخمس للإسلام بمعزل عن قيَمها التربوية، وقلة اكتراث بأبعادها الحضارية على الفرد والمجتمع.

يقول أحمد خيري العمري في هذا الشأن: (عبر عصور الانحطاط غُرست في أذهاننا صورة للتقوى ترتبط بشخص يخاف المواجهة، يتّقي عواقبها، ويفضّل دومًا أن يسير قرب الحائط، يحني ظهره تواضُعًا، ويتنازل عن حقوقه)[2].

2- التقوى في الاستعمال القرآني: التقوى في الاستعمال القرآني تغطي موضوعاتٍ وشؤونًا أوسع بكثير مما يُتَصوّر، فآيات القرآن طافحة بالحديث عنها؛ كما لو أنها تدخل كل المجالات التي يعيشها الإنسان، ونجد أن سورة البقرة التي تحتل المرتبة الثانية -مُصْحفيًّا بعد الفاتحة- تستهل موضوعاتها ببيان أن هذا القرآن لن ينتفع به ولن يهتدي بهدايته إلا صنف من الناس وهم "المتقون"..! فمن هم المتقون؟ يقول الشيخ محمد رشيد رضا في معنى قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَارَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (البقرة:2)... جوابًا عن السؤال:

(إِنَّ الْعِقَابَ الْإِلَهِيَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَى النَّاسِ اتِّقَاؤُهُ قِسْمَانِ: دُنْيَوِيٌّ وَأُخْرَوِيٌّ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يُتَّقَى بِاتِّقَاءِ أَسْبَابِهِ، وَهِيَ نَوْعَانِ: مُخَالَفَةُ دِينِ اللهِ وَشَرْعِهِ، وَمُخَالَفَةُ سُنَّتِهِ فِي نِظَامِ خَلْقِهِ.

فَأَمَّا عِقَابُ الْآخِرَةِ فَيُتَّقَى بِالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ الْخَالِصِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاجْتِنَابِ مَا يُنَافِي ذَلِكَ .. وَأَمَّا عِقَابُ الدُّنْيَا فَيَجِبُ أَنْ يُسْتَعَانَ عَلَى اتِّقَائِهِ بِالْعِلْمِ بِسُنَنِ اللهِ تَعَالَى فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَلَا سِيَّمَا سُنَنُ اعْتِدَالِ الْمِزَاجِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ..

---

[1]- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن البغدادي، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، 1422هـ - 2001م، ج1 / ص 398-400.

2 - أحمد خيري العمري: **سيرة خليفة قادم (قراءة عقائدية في بيان الولادة)**، دار قيام – الجزائر، ط1: 2013م، ص 116.

وَسُنَنُ الاِجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ)[1].ثم يبين الشيخ محمد رشيد رضا بعد ذلك سمة أساسية وشرطا جوهريا يتسم به هؤلاء المتقون فيقول: (أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَانَ فِي قُلُوبِهِمُ اشْمِئْزَازٌ مِمَّا عَلَيْهِ أَقْوَامُهُمْ، وَفِي نُفُوسِهِمْ شَيْءٌ مِنَ التَّشَوُّفِ إِلَى هِدَايَةٍ يَهْتَدُونَ بِهَا، وَيَشْعُرُونَ بِاسْتِعْدَادِهِمْ لَهَا إِذَا جَاءَهُمْ شَيْءٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، فَالْمُتَّقُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِذَنْ هُمُ الَّذِينَ سَلِمَتْ فِطْرَتُهُمْ فَأَصَابَتْ عُقُولُهُمْ ضَرْبًا مِنَ الرَّشَادِ، وَوُجِدَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الاِسْتِعْدَادِ لِتَلَقِّي نُورِ الْحَقِّ يَحْمِلُهُمْ عَلَى تَوَقِّي سُخْطِ اللهِ تَعَالَى وَالسَّعْيِ فِي مَرْضَاتِهِ بِحَسَبِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ عِلْمُهُمْ)[2].نرى أن الشيخ محمد رضا أصاب الحق إلى حد كبير في بيانه لمفهوم التقوى، حين جعل العقاب الإلهي الذي يجب اتقاؤه نوعان: **دنيوي وأخروي**، وأن كل نوع يُتقى بأسبابه، وأن هذا الاتقاء يقتضي من المرء سلامةً في فطرته، واستعدادًا لقبول الحق وتلقّي الحقيقة؛ حتّى لو كانت مخالفة لحظوظ النفس ورغائبها.وقريبا من هذا المعنى نجد المفسّر الشهيد "سيد قطب" يتحدث في دلالات التقوى وظلالها في القرآن فيقول:(التقوى.. حساسية في الضمير، وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوقٍّ لأشواك الطريق.. طريق الحياة الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات... وأشواك المخاوف والهواجس، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً. وعشرات غيرها من الأشواك!)[3]. أما الإمام محمد الشعراوي فيذهب بحقيقة التقوى إلى أبعادها وآثارها المترتبة على الإنسان مباشرة، فيقول: (معنى التقوى هو أن تتقي معضلات الحياة ومشكلاتها، بأن تلتزم منهج الله. وساعة ترى منهج الله وتطبّقه، فأنت اتقيت المشكلات... ولا يظن أحد أن التقوى هي اتقاء النار.. إنها اتقاء المشكلات والمخاطر التي تنشأ من مخالفة منهج الله. وليعلم الإنسان أن كل مخالفة ارتكبها لابد أن يمرَّ عليه يوم تُرتكب فيه هذه المخالفة كما ارتكبها هو في غيره، فمن لا يحب أن تُجرى فيه المخالفات؛ فعليه ألا يرتكب المخالفات في غيره)[4].ويقول محمد رشيد رضا مرة أخرى عن شمول التقوى واستغراقها لكل شؤون حياة الإنسان:(إِنَّ كَلِمَةَ التَّقْوَى تَشْمَلُ كُلَّ مَا يُتَّقَى مِنَ الضَّرَرِ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ مَهْمَا يَكُنْ نَوْعُهُ وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي التَّنْزِيلِ فِي سِيَاقِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ عِبَادَاتٍ وَمُعَامَلَاتٍ، وَآدَابٍ وَقِتَالٍ، وَسُنَنِ اجْتِمَاعٍ، وَطَعَامٍ وَشَرَابٍ، وَعِشْرَةٍ وَزَوَاجٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهِيَ تُفَسَّرُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِحَسَبِهِ... وَهِيَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَنْوَاعِ لِأَنَّهَا جَاءَتْ فِي سِيَاقِ اتِّبَاعِ صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ الشَّامِلِ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْهِدَايَةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ)[5].وقد وصف المفكر أحمد العمري المفهوم القرآني للتقوى وصفًا دقيقًا فقال: (التقوى القرآنية.. تقوى مختلفة جدًّا. إنها تقوى القوي القادر، الذي تمنحه تقواه قوة إضافيةً يركّز فيها على وظيفته الأساسية.. تقوى القوي الذي يمكن له أن يعفو وأن يصفح، ﴿**وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾... إنها تقوى من لا يخاف المواجهة، ويمضي إلى أبعد الطُّرق وأوْعرها في سبيل الوصول إلى هدفه، ولكنه يأخذ كل احتياطاته، كل أساليب الوقاية، كل تقواه..)[6].

رابعا: العلاقة بين تقوى المؤمن ووجهته في الحياة

بعد البيان السابق لمفهوم التقوى في القرآن الكريم؛ والتي وجدناها تدور حول محور واحد، جوهره أن يتقيَ المؤمن نتيجة سعيه وعمله.. فإن كان عمله ونيته موافقا لسنن الله حصد خيرا في دنياه العاجلة، وسعد وفاز في حياته الآخرة. والعكس بالعكس.. كما جاء ذلك مقررا في عشرات النصوص من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

1 - محمد رشيد رضا ومحمد عبده: **تفسير المنار**، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب: 1990، (ج1 / ص105-106).

2 - المرجع السابق نفسه.

3 - سيد قطب: **في ظلال القرآن**، ط السابعة عشر: 1412هـ-1982م، دار الشروق - بيروت- القاهرة، (ج1/ ص39).

4 - محمد متولي الشعراوي: **خواطر إيمانية**؛ ط: مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997، (ج2 / ص814-815).

5- محمد رشيد رضا: **تفسير المنار** (8 / 174).

6- أحمد خيري العمري: مرجع سابق، ص 116.

بقي السؤال الآن ما العلاقة بين تقوى المؤمن، ووِجهته في الحياة؟ غدا الجواب الآن واضحا بعد أن فهمنا حقيقة التقوى بسِعة أفقها في القرآن العظيم، ذلك أن قضية "وجهة الإنسان" أو "رسالته في الحياة" من أهم وأخطر القضايا الإنسانية التي ينبغي أن تُعاد لها مكانتها في ترتيب الأولويات، بعد أن ضاعت أو كادت أن تضيع وجهة الحياة لدى الإنسان الغربي والإنسان المسلم كذلك –إلا من رحم الله- في عصر العولمة المادية المتوحّشة، التي حوّلت الإنسان إلى شيء من الأشياء أو آلة من آلات الاستهلاك، فَقَدَ على إثرها بوصلة الاتجاه والمعنى من الحياة.. واستتبع ذلك تعسُه وشقاؤه.وإذا كانت حال الضياع هذه غير مستغرَبة من إنسان ملحد، أو صاحب ملّة مُحرّفة، فما بال إنسان مسلم مؤمن بربه وكتابه وبيوم آخر؟! يعيش حائرًا فاقدًا للمعنى من حياته، رغم اعتقاده في قرارة نفسه أن غايته إرضاء الله تعالى!!يبدو –والله أعلم- أن هذه المفارقة والتناقض الذي يحياه كثير منا مردُّه إلى فقداننا تواصلنا مع الفطرة السليمة التي هي بداخل كل واحد منّا.. فطرة الله التي فطر الناس عليها؛ لا تبديل لخلق الله، وهي الملَكة الواعية المبصرة فينا، وبها نتعرّف على خالقنا ومنهجه، ونُحسّ بالوجود من حولنا وبالحياة في داخلنا... غربتنا هذه عن فطرتنا ساهمت فيه عوامل كثيرة ومتشعبة، منها أنماط التربية، وثقافة المجتمع والمدرسة، وسلطة الإعلام... إلا أن هذه العوامل بمجموعها لا تبرر الأعذار لنا؛ لنستكين ونستسلم لواقعنا، بل في ظل هذه الظروف تبرز أهمية بحث الإنسان عن الحقيقة.. عن فطرته وذاته الأصلية.. عن مهمته ورسالته في هذا الوجود الواسع الرّحب؛ الذي يسبّح بحمد خالقه آناء الليل وأطراف النهار، بأرضه وسماواته.. بعالمه العلويّ والسُّفلي، هذا الكون الذي ما خُلق وما سُخّر إلا خدمةً للإنسان المُكرّم، وتيسيرًا لمهمته ورسالته الكبرى في هذه الأرض.. أفيُعقل بعد ذلك أن يعيش المرء ويظلّ ضائعًا عن وجهته ؟!.. (فقد خلَقَنا اللهُ سبحانه وتعالى مختلفين ومُميَّزين عن بعضنا البعض، فكلٌّ منا له شكله وأفكاره وبصمته، ولكل منا أيضًا موهبته المميزة عن الآخرين، فالموهبة تعني ما يهبه الله للإنسان من مهارة أو مقدرة تميّزه عن معظم الأشخاص الآخرين. ولا يوجد إنسان إلا ولديه موهبة، بل عدّة مواهب، فالعالم لا يصبح جميلًا ومتكاملًا إلا بتنوّع ما يقدّمه كل فرد لهذا العالم، بل إن الفرد نفسه إذا اكتشف موهبته صار أكثر ثقة بنفسه، وهناك في كل عصر طائفة من الناس ممن عرفوا مواهبهم واعتنوا بها، حتّى اشتُهروا في زمانهم بإبداعهم وتفوّقهم)[1]، هذا التفوق والإبداع في الحقيقة هو أوْلى أولويات كل إنسان راشد في اكتشافه والبحث عن مواطنه في ذاته، والسعي نحو تنميته وتطويره، وليس حكرًا على فئة من الناس، ذلك أن عبادتهم الأساسية التي يكلفهم بها ربهم عز وجل هو ما يسّرهم له وما وهبهم من مواهب فطرية، يقدمون بها النفع الجليل لكل إخوانهم في البشرية، وليس تكليفهم في ما يشقّ عليهم ويضيق بهم من أعمال ووظائف، وهو سبحانه وتعالى خالقهم.. العالم بهم، وبوُسعهم، وما يصلح لهم.. و(لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا اِلاَّ وُسْعَهَا).

هذه المواهب التي خلقها الله وفرّقها بين بني آدم هي ما ينبغي أن يُجمع ويُوازن فيها بين الوجهة التي تعني "القبلة التي يستقبلها المؤمن ويلتزم بها -لا في صلواته فحسب- بل في كل أوقاته وسائر أنشطته، وألاّ يُشغله عنها شاغل"، هذا من جهة... وبين التقوى التي تعني "الحالة القلبية التي يكون عليها المؤمن؛ حيث يأتمر بما أمره تعالى وينتهي عما نهاه خضوعًا واستسلامًا" من جهة أخرى.. أو بعبارة ثانية: أن يوازن المرء بين إيمانه بوجهته في الحياة، وبين سعيه واتخاذه كل الأسباب التي في وسعه من أجل تجسيد إيمانه في أرض الواقع، من خلال تميّزه وتفرّده هو... من خلال إنفاقه مما رزقه الله من مواهب وملكات فطرية يتقي فيها ربه أن يتركها سُدًى أو يغمرها بالنسيان والتجاهل، بل تقواه في حركته المستمرة في صقلها واستثمارها بما يعود عليه وعلى أمته بالنفع، مع تزكية نفسه وتوجيه أعماله كلها في مرضاة ربه.

هنا تبرز قيمة التقوى وأولويتها، ودورها الفعّال في رحلة الإنسان على هذا الكوكب، أن يتخذ كل الأسباب وينفق كل طاقاته وإمكاناته من أجل أن يتعرّف على ذاته الحقيقية.. على مهمته التي خُلق من أجلها ويُسّر لها.. حتّى يحيا النفس

---

[1] - نماء الشمايلة، مقال في الأنترنت بعنوان: " **كيف أكتشف موهبتي الخاصة؟** "، موضوع.كوم - http://mawdoo3.com:

المطمئنة، والحياة الطيبة التي وُعد بها في الدنيا والآخرة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بتفعيل التقوى في هذا البحث عن الحقيقة، والعودة إلى الفطرة السليمة، يتقي الإنسان العواقب السيئة لعيشه بدون وجهة ولا رسالة حقيقية.. العواقب السيئة لعيشه فقط من أجل إرضاء شهواته ومطامعه القريبة المحدودة، أو حتّى من أجل إرضاء الناس والمجتمع.

خامسا: علاقة التقوى بوجهة الحياة في سورة الليل (نموذجًا):

في سورة الليل –وهي من أواخر السور القرآنية؛ حسب الترتيب المصحفي- نجد الحق تعالى يبيّن لنا معادلة التيسير ورضى النفس في الحياة، وهي مطلب كل إنسان ومبتغاه مهما كان اعتقاده وملّته، خصوصا في هذا العصر الذي سمته القلق والاكتئاب، وضياع الإنسان عن الوجهة، تلك المعادلة التي تقتضي أن سعي الناس في الحياة على اختلاف مناهجهم ومذاهبهم وأفكارهم، يُصنف ضمن حزمتين اثنين أو طريقين لا ثالث لهما:﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[الليل: ٤ – ١٠]. أول ما نلاحظه في هذه الآيات ذلك التقابل الدقيق بين أطراف معادلتها أو القانون الذي تتحدث عنه: أعطى / بخل، اتقى / استغنى، صَدَّقَ بِالْحُسْنَى / كَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فسنُيَسّره لليُسرى / فسنُيسّره للعُسرى.

السؤال المتبادر إلى الذهن لأول مرة: مِمَّ يعطي الإنسان؟ وعمّ يبخل؟ لأن الإعطاء والبخل جاءا بصيغة الإطلاق ولم يُقيّدا بموضوع محدّد ؟؟ الشائع في ثقافة المجتمعات المسلمين أن الإعطاء والإنفاق عادة ما ينصرف إلى الجانب المادي وهو المال. لكن الحقيقة أن الإعطاء –مثل الإنفاق- يشمل ويستغرق كل ما وهبه الله للإنسان من طاقات وقدرات وإمكانات مادّية ومعنوية، فتكليف الإنسان وابتلاؤه في الحياة ينحصر في قيامه بالعمل الأحسن.. كما جاء في قوله تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[الكهف: ٧]

وقوله تعالى أيضا: (الذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ, أَيُّكُمْ, أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك:2)، والقيام بالعمل الأحسن والأجود يستلزم من الإنسان أن ينفق ويعطي مما أعطاه الله ورزقه، فإذا حصرنا الإعطاء في المال فقط، فكم هي نسبة الذين يملكون الفضل من المال ويخاطبهم التكليف؟.. لا تمثل إلا القلة بالنسبة للأكثرية التي لا تملك هذا الفضل، وبالتالي فالإعطاء يتناول كل ما رزقه الله الإنسان من أرزاق ومواهب -غير المال- من صحة وتخصصات علمية، وقوة بدنية، ومواهب فنية، ومَلَكات فطرية دقيقة يقدم بها خدمات جليلة للإنسانية.

وإذا عدنا إلى الواقع المعيش نجد كثيرا من الناس يمارسون أعمالا ونشاطات خارج مجالات وُسعهم وإمكاناتهم ومواهبهم، ربما بوعي أو بغير وعي، فكانت نتيجة هذا السعي أن شقَوْا وأشقوْا معهم، ولعل العامل الرئيس في هذا الوضع أن الإنسان في ظل السيطرة المفروضة عليه من قبَل الأنظمة التعليمية والاجتماعية والسياسية، فقَدَ هُويّته وحريته كإنسان متوازن فوق الأرض، لا يعرف ذاته بقوتها وضعفها، ولا يدرك مهمته ورسالته، لأن كل شيء محيط به يملكه، ولا يملك هو نفسه. من هنا إذا تأملنا في سورة الليل الحكمة من ربط المولى تعالى بين الإعطاء والتقوى: (مَنْ أعطى واتّقى) نجدها –والله أعلم- تكمن في أن يكون عمل الإنسان وسعيه في الحياة: وهو الإعطاء مما رزقه خالقه بمعنى آخر.. محكوما بالتيسير والنظام والتوازن الذي يسير وفقه الكون، فتقواه في الإعطاء لها جانبان: أن يتخذ كل الأسباب التي تقوّيه وتنمّيه فيما يُسّر وخُلق له من وظيفة أو مهمة، وأن يتّقي كل ما من شأنه أن يضعفه ماديا وبدنيا أو يضعفه فكريا وروحيًّا. وقد روي في معنى هذه الآية واقعة حدثت في عهد النبوة يرويها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذ قال : "كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض ، فقال : " ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة " قالوا : يا رسول الله ، أفلا نتّكل على كتابنا ، وندَع العمل؟

قال: "اعملوا فكل مُيَسَّر لما خُلِق له، أما من كان من أهل السعادة فيُيَسَّر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فيُيسَّر لعمل أهل الشقاوة"، ثم قرأ : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) الآية"[1].

هذا الحديث الذي يبين أن كل إنسان خلقه الله في الأصل والمبدأ: مُيَسّرًا لعمل ومهمة في الحياة، بقي عليه أن يبحث –بما أعطاه الله من وعي وفطرة- عن تلك المهمة التي تناسبه وتشاكله، كما عليه أن يجاهد نفسه في أن يكون تيسيره وعمله منضبطًا بنية العبودية لله لا لنصرة الأنا أو إرضاء أهوائها وشهواتها.. وهذه هي حقيقة التقوى التي تبلغ بالإنسان -إذا تحرّاها وعزم عليها- درجة التيسير واليسرى في الحياة (فسُنَيسِّره لليُسرى)، ودرجة النفس المطمئنة: الراضية المرضيُّ عنها، وأعظم ثمرة يعيشها المؤمن في الحياة ثمرة الرضا عن ربه، وهو ما ختمت به السورة الكريمة التي نحن بصددها، إذ يقول تعالى، مُبشّرًا من يأتي بشروط التيسير لليسرى:﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴾[الليل: ١٩ – ٢١]

فمفهوم التقوى يحمل معنى القوة والعمل والاجتهاد والمثابرة، وليس فعلا سلبيا كما يتصور أو يظن الكثير من الناس، إذ يكفي في نظرهم أن يكف الواحد لسانه ويده عن دماء الآخرين وأموالهم وأعراضهم، حتّى يكون متقيا لله بكامل معنى التقوى، حتّى لو استقال بعد ذلك عن مهمته الأساسية باعتباره صاحب رسالة وخليفة لله.. نعم كفُّ الأذى عن الناس شرط ضروري في الإيمان، لكنه غير كافٍ.. إذ العمل والبناء والإنجاز هو الشطر الثاني المكمّل لمعادلة التقوى.

خاتمة: في سبيل البحث عن الوجهة والمغزى من الحياة ثم الالتزام بها، تكون التقوى الحقيقية، والجهاد الأكبر للإنسان، وستتغير شؤون الإنسان وظروفه الخارجية وعلاقاته الاجتماعية إلى الأحسن والأقوم، تبعا لتغييره الداخلي، كما وعد الله بذلك في آيات كثيرة من ذكره الحكيم:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[الرعد: ١١]، وقال الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[العنكبوت: ٦٩]

مما سبق نخلص إلى وجود علاقة أساسية متينة بين التقوى بأبعادها القرآنية، وبين وجهة الإنسان في الحياة، ذلك أن الدين ومفاهيمه جاءت أساسا لتخدم الإنسان وتسعده في هذه الحياة التي يعيشها قبل الحياة الآخرة، فإذا كان الفرد أو المجتمع المسلم في عمومه يعيش تائها عن وجهته، في حال من التخلف المادي ونقص في الوعي الحضاري، فليس ذلك إلا لوقوع غبش وانفصال لديه في مفهوم التدين عموما؛ وفي مفهوم التقوى خصوصا، حين فُصل هذان المفهومان عن واقع الحياة، واختُزلا في الطقوس والشعائر بمعزل عن مقاصدهما التربوية والاجتماعية.

فالتقوى قرآنيا أن يجعل الإنسان أولى أولوياته أن يعرف ذاته؛ معرفة حقيقية موصولة برب العالمين، ويتخذ كامل الأسباب -التي في استطاعته- ليعيش متناغما مع نفسه ومع واقع الحياة، منسجما في علاقاته مع بني جنسه وبني ملّته المحيطين به.. يجتهد باستمرار في أداء دوره الذي خُلق من أجله، متحرّيًا فيه إخلاص وجهته ونيته لربه؛ ويبتعد عن كل ما يمكن أن يثبّطه أو يُضعفه عن أداء هذا الدور.

1- صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة - باب فسنيسره للعسرى، حديث:4670.

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر مجلة دولية محكمة ISSN 1112-4652 العدد 49 ديسمبر 2016

تطور المحراب في العمارة الإسلامية

أ.توامة نعناعة

جامعة الجزائر 2

الملخص:

نتناول في هذا البحث باختصار مجموعة من العناصر المرتبطة بتطور عنصر المحراب في العمارة الإسلامية انطلاقا من تعريف كلمة المحراب والبحث في أصولها اللغوية ومعانيها المختلفة في الكتابات القديمة والقرآن الكريم والتي تربط دائما بجانب آخر من هذا الموضوع يشهد هو أيضا نقاشا حادا ألا وهو: إشكالية الظهور الأول للمحراب في العمارة الإسلامية وأصوله المعمارية، حيث نسجل وجود آراء متضاربة بين من يعتقد أن المحراب قد استعير عن عناصر معمارية أخرى في عمائر سابقة للإسلام مستشهدين بمجموعة من الأدلة الأدبية والتاريخية وكذلك الفقهية، وبين من يرفض هذا الطرح ويرى أن المحراب هو إبداع إسلامي خالص، ويمتد الجدال أيضا عند الحديث عن وظيفة المحراب بين من يرى أنها عملية محضة تتعلق بتحديد اتجاه القبلة وتوفير مساحات للصلاة في الصفوف الأولى ونشر أفضل لصوت الإمام، ومن يجعل للمحراب وظيفة تزيينية زخرفية أو من يرى برمزية خالصة للمحراب بشكله الهندسي وبما يحمله من زخارف.

ومواصلة لدراسة تطور هذا العنصر نتتبع ظهوره الأول من خلال عرض الآراء المختلفة هنا أيضا، ثم نرصد تطوره عبر مختلف الفترات السياسية والمجالات الجغرافية، وكيف أن المحراب اتخذ بأشكال ومواد مختلفة، وحمل مواضيع وعناصر ومواد زخرفية تتنوع بتنوع الطرز الفنية الإسلامية، بالإضافة الى تناول مختلف الظواهر التي رافقت هذا التطور على غرار ظاهرة تعدد المحاريب في المسجد الواحد والمحاريب المتنقلة، وهذا الرصد لتطور المحراب يكون دائما بالاعتماد على ما يعد نموذجا لكل نوع من أنواع المحاريب.

The mihrab, one of the most important Islamic religious architecture characteristics , which came as an extension of the first sign of that was developed to determine the direction of direction of the worshipers at the first mosque built by Muslims it is that the appearance of the mihrab element current Bdalalth any so hollow architectural race, which carries the idea of cavitation is one of the most important dilemmas posed by Architecture in general and the Islamic architecture of the mosque in particular

And about his name and historical origins and his appearance in this form conflicting theories among those who believe that since the era of Prophet Muhammad, peace be upon him and see that in the Umayyad era to the era of Uqba in the Mosque of Kairouan (50 AH / 670 m) or so at the bottom of the Dome of the Rock , but the most powerful of those theories and those closest to the fact that talk about Omar bin Abdul Aziz, 90 AH / 708 AD at the Prophet's mosque during his tenure on the city at the time of Walid bin Abdul Malik . And the form of architectural original element mihrab is also an area of conflict where the ratio of the number Kbermn Orientalists religious groves previous private -Islam niche Christian church , citing the statement in the opinion of some of the top scholars direction mihrab element , with some archaeologists believe that the mihrab is the creativity of an Islamist sincere came to achieve the purposes of process more likely , such as providing spaces occupied by a row of worshipers , or the increase of reverberation or reference to the direction of direction , as well as those who see it as a symbol of the presence of God be upon him at the mosque.

Sayer evolution of the mihrab Maarafth Islamic architecture , where it is planning numerous openings decades , as numerous waterfalls cavity between the curved and ribbed , and saw a great variety of materials used between the plaster and marble porcelain, especially in terms of topics and decorative items .

أولا . مفهوم و تعريف القبلة والمحراب:

1. القبلة: بالنظر للارتباط الكبير لمصطلح القبلة بعنصر المحراب فلابد أولا من طرح مفهوم هذا المصطلح في جانبه المتعلق بالمحراب:

أ. لغة: حسب ابن منظور القبلة هي الجهة، ومن أين قبلتك بمعنى من أين جهتك[1]، وهي أيضا الوجهة.

ب اصطلاحا: هو المعنى الذي أستحدث في الإسلام، وهو الكعبة، وبالنسبة إلى المسجد هي محرابه أو الجدار المتجه نحو مكة المكرمة، أي الجهة التي تقع فيها الكعبة الشريفة والتي يجب على المصلي الاتجاه نحوها[2]، و كانت القبلة في أول الأمر نحو بيت المقدس، وظلّت كذلك حوالي السنة والنصف من الزمن، قبل أن يستجيب الله تعالى لدعاء نبيه الكريم (صلى الله عليه وسلم) بتحويل اتجاه القبلة نحو الكعبة الشريفة[3]، ومن بين ما جاء حول هذا التحويل عن السمهودي:" روينا في البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يتوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ البقرة: ١٤٤، فتوجه نحو الكعبة... فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعدما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال: هو يشهد أنه صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرّف القوم حتّى توجهوا نحو الكعبة[4]".

وعن السمهودي أيضا:"...و قال ابن النجار: وصلى النبي صلى الله عليه و سلم فيه أي في مسجده . إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم أمر بالتحول إلى الكعبة، فأقام رهطا على زوايا المسجد ليعدّل القبلة فأتى جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة، ثم قال بيده هكذا، فأماط كلّ جبل بينه وبينها، فوضع القبلة وهو ينظر إلى الكعبة...وصارت قبلته إلى الميزاب[5]".وبهذا كان الإسلام الدين الوحيد الذي يفرض على أتباعه اتجاها معينا أثناء الصلاة واتخاذ هذه القبلة لم يكن من باب قدسية الحجر الأسود الموجود بالكعبة الشريفة، بل كونها رمزا لوحدة الجماعة، لأن الله موجود في كل مكان لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ١١٥، و تحويلها نحو الكعبة هو عودة إلى الوجهة الواحدة لدين الله الواحد في دين التوحيد[6].

وبحسب الموقع يختلف الاتجاه الجغرافي للقبلة من منطقة إلى أخرى، فنجده مثلا نحو الجنوب في الشام و الأردن، والجنوب الشرقي في مصر و في المغرب العربي نحو الشرق وقد أدى هذا إلى وقوع أخطاء كثيرة في تحديد الاتجاه كما حصل في مساجد واسط وأبي دلف وابن طولون القيروان وقرطبة[7]...إلخ.

---

[1]- إبن منظور جمال الدين، لسان العرب، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، 1968، ص 350.

[2]- و من تعذر عليه ذلك كالمحارب و المسافر لا حرج عليه إن تحرّاها، أنظر الوالي طه، المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1409هـ/ 1988م، ص 221.

[3]- نفسه، ص 222، و للمزيد حول تحويل القبلة أنظر السمهودي نور الدين، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، حققه و فصّله عبد الحميد محمد، داراحياء التراث العربي، بيروت ، د ت، ص 359. 366.

[4]- السمهودي نور الدين، نفسه، ص 359.

[5]- نفسه، ص 365، 366.

[6]- الوالي طه، المرجع السابق، ص 221، 222.

[7]- غيلان حمود غيلان، محاريب صنعاء حتّى أواخر القرن (12هـ/ 18م)، وزارة الثقافة و السياحة اليمنية، صنعاء، 2004، ص 45.

ولأجل حل المشاكل المرتبطة بتحديد اتجاه القبلة الصحيح ذهب المسلمون إلى دراسة علم الفلك والهندسة خاصة المثلثات، فأصبحت علما قائما بذاته أفضى إلى وضع قوانين رياضية دقيقة على غرار الظل والظل تماس وحساب المساحات[1]، وطوروا الإسطرلاب وحرصوا عبر مؤلفاتهم على توضيح كيفية عمله، ووضعوا أصولا وقواعد لهذا الفن بل أضافوا عليه الربع المجيب والمقنطر واستعملوا المزولة والبوصلة والكرة الفلكية وأشتهر عديد من العلماء المسلمين في هذا المجال عبر التاريخ[2].

2. **المحراب:** يطرح تعريف المحراب من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية عديد المفاهيم، والتي يرتبط تحديدها ارتباطا وثيقا بفهم جوانب عدّة من الموضوع، فهو يعطينا توجها مهما حول الأصول التاريخية لنشأة هذا العنصر المعماري وظهوره الأول في العمارة عموما والعمارة الإسلامية بالخصوص، ويعد تحديد المفهوم أيضا أمرا جوهريا لتحديد وظيفته، وكل هذه الأمور كانت محلا خصبا للنقاش وتضارب الآراء، كما سيأتي لاحقا، وعلى هذا سنحاول طرح العدد الممكن من التعريفات والآراء المتعلقة بالموضوع والتي نرى أنها أكثر موضوعية و ذات أهداف علمية بحتة، سواء من حيث الطرح المقدم أو من حيث الشخصية العلمية صاحبته، لما لها من ذيع و مصداقية في مجال الأبحاث الأثرية المعمارية أو الفنية.

أ. **لغة:** وفي محاولة لإعطاء معاني أكثر حصرا ودقّة للكلمة وكذلك تتبع الأصول التاريخية لها والعنصر المعماري المعني بها، فقد شكّلت مواضيع بحوث مطولة من قبل علماء اللغات السامية.

والرأي الراجح عند هؤلاء أن اللّفظ من أصول حميرية أي من اللّهجات العربية الجنوبية، وقد دخل إلى اليمن من الحبشة مع الديانة النصرانية، على صورة mikrab تحريفا عن الأصل الحبشي mekurab، والذي يعني الكنيسة أو المعبد أو الحنية حيث يوضع تمثال القدّيس، ومنه استعملت اللّفظة للدلالة على الحنية بالكنيسة عند النصارى[3].

وأفرزت جل البحوث على الكتابات النقشية أيضا عن تعدد معاني الكلمة بين فعل حارب أوالمحاربة في معركة، وعمل للتقرب من الآلهة أو مكان للاعتكاف، كما عنت مكان الجلوس في بهو القصر، القصر كله أو جزء منه، فيما رجّح علماء النقوش اليمنية أنها عنت عملية الزخرفة والتزيين في مختلف المباني[4].

بصورة عامة لا يشك معظم علماء اللغات في الأصل العربي لكلمة محراب، ولمعرفة المعنى الأول للكلمة في اللغة العربية لابد من الاطلاع على الأدب الجاهلي، أين أفرزت الدراسات تعدد المعاني (قصر، كوة داخل غرفة، شرفة، مقصورة، قاعة اجتماع، القصر كاملا أو جزء منه الخاص بالملك أو الأمير...) حيث أكثرها إجماعا تلك التي تعطي لمعنى الكلمة الأساسي بأنه المكان الخاص أو الأكثر علوا في قصر أو غرفة[5].

ومن المعاني التي نستشفها من الشعر الجاهلي، وإن ارتبط معناها بالسمو والرفعة والشرف للمكان والإنسان والحيوان، لكنها لم ترد بالمعنى المسجدي المعروف فنجد في هذا الإطار: قول وضّاح اليمن:

"ربّة محراب إذا جئتها لم ألقها أو أرتقي سلّما"

وهنا بمعنى الغرفة العالية، و قال أمرؤ القيس: **"كغزلان رمل في محاريب أقوال"**، وهنا أيضا بمعنى الغرفة العالية، وعن الأعشى:

"أودمية صوّر محرابها أو درّة شيعت إلى تاجر"

---

[1]- مطروح أم الخير، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الاسلامي، منذ بداية الفتح الاسلامي حتّى عصر الزيانيين، دراسة تاريخية و أثرية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، السنة الدراسية 1993/ 1994م، ص 17.

[2]- غيلان حمود غيلان، المرجع السابق، ص 45.

[3]- مؤنس حسين، المساجد، عن عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1978، ص 67، 68.

[4]- غيلان حمود غيلان، المرجع السابق، ص 71، 72.

[5]- Féhérvàri (G), Mihrab, encyclopédie de l'islam, t7, G-P Maisonneuve la rose S.A, Paris, 1993, p7.

بمعنى القصر وفي ديوان عدي بن زيد العبادي : "**كدمى من العاج في المحاريب أوكار**"، بمعنى التجاويف التي توضع فيها التماثيل والتحف في المعابد والقصور، وقال المخبل السعدي:

"كعقيلة الدر استضاء بها   محراب عرش عزيز العجم"

و المعنى هنا مكان جلوس بني إسرائيل في كنيسهم لبحث أمور الحرب[1].

ويصعب حصر التعريفات التي تطرحها القواميس العربية الأكثر اعتمادا، نذكر منها ما جاء عن ابن منظور: "محراب شديد الحرب و قيل محراب صاحب حرب[2]"، و إن كان هذا بعيد عن المعنى الاصطلاحي المعروف، فالأقرب له جاء عنه في أنّ المحراب هو المكان الذي ينفرد به الملك ويتباعد عن الناس، و قيل أن المحاريب هي صدور المجالس، و منه سمي محراب المسجد، والمحراب قبلة المسجد، لانفراد الإمام فيه و بعده عن الناس[3].

وجاء عنه عن الأصمعي عن أبي عمرو ابن العلاء أنه قال: "دخلت محرابا من محاريب حمير فنفخ في وجهي مسك"، حيث المقصود به هنا القصر، وعن الإمام أبي حنيفة عن أبي عبيدة: "أن المحراب أكرم مجالس الملوك و سيدها ومقدمها وأشرفها[4]".وقد قدّم لنا تاج العروس للزبيدي محب الدين مجموعة أخرى من التعريفات منها: "لفظة محراب أخذت من المصدر محاربة لأن المصلي عند صلاته يحارب الشيطان و يحارب نفسه بإحضاره قلبه، والمحاريب أيضا هي صدور المجالس، وصدر البيت هو أكرم موضع فيه[5]".

فالكلمة في أغلب الأحيان ارتبطت بالموضع المقدس والأرفع، ومنه اتخذت للتعبير عن الموضع الذي يقف به الإمام ليؤم المصلين وقد شمل تعدد معاني اللفظ القرآن الكريم حيث وردت بمعاني مختلفة، في صيغة الفرد أربع مرات، وجمعا مرّة واحدة، وهنا أيضا لم يكن المعنى مرتبطا بالمسجد كما شاع لاحقا[6]، وهذا في الآيات التالية: قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ص: ٢١، بمعنى أقدم وأشرف موضع في كل بيت ومجلس، وقال تعالى أيضا: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ سبأ: ١٣،بمعنى أن الجن يعملون لسليمان ما يشاء من قصور ومساكن وبنيان دونها، وقال جلّ جلاله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ آل عمران: ٣٧، حيث قد يعني المحراب هاهنا قاعة استقبال أو بيتا، ونجد أيضا في قوله جلّ جلاله: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ آل عمران: ٣٩،بمعنى المسجد أو الأماكن التي يجتمع فيها بني إسرائيل للصلاة وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ مريم: ١١،حيث جاءت بالمعنى السابق نفسه[7].

وفي كتب السنة المعتمدة أو الموثوقة أو حتّى المقبولة لم يرد في أي منها لفظ محراب، ما عدا ما نسب من أحاديث[8]، بأنّ النبي صلى الله عليه وسلّم بعث عروة بن مسعود رضي الله عنه إلى قومه بالطائف، فأتاهم و دخل محرابا له، فأشرف

---

[1]- الوالي طه، المرجع السابق، ص 214، 215.

[2]- إبن منظور جمال الدين، المصدر السابق، ص 296.

[3]- نفسه، ص 296.

[4]- نفسه، ص 296.

[5]- الزبيدي محب الدين، تاج العروس، ج 1،المطبعة الخيرية، القاهرة، 1406ه/ 1988، ص 205، 206،207.

[6]- الوالي طه، المرجع السابق، ص 215.

[7]- غيلان حمود غيلان، المرجع السابق، ص 72.

[8]- الوالي طه، المرجع السابق، ص 216.

عليهم عند الفجر، ثم أذّن للصلاة، وهنا يدل على أنه غرفة يرتقى إليها[1]، فيما تكررت الكلمة في كتب التفسير والحديث كلما كانت هناك إشارة إلى مكان صلاة النبي صلى الله عليه وسلّم بمسجده بالمدينة المنورة أو المكان المخصص للإمام بنفس المسجد[2].والأكثر احتمالا أن اللّفظ لم يستعمل لدى المسلمون بمعناه الحالي إلا بعد استقرار الفتوحات الإسلامية، وعلى الأرجح أن يكون ذلك أيام الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (88 . 91هـ/ 707.710م)، عندما أمر بتجديد المسجد النبوي الشريف[3] كما سيأتي لاحقا.

ب . اصطلاحا: بالنسبة إلى المسجد المحراب مقام الإمام و موضع انفراده[4]، هو عبارة عن عنصر معماري في المسجد على هيأة كوة أو تجويف مقعر في الحائط المقابل لمكة المكرمة، أي حائط القبلة، غالبا ما يكون غنيا من الناحية الزخرفية[5]، وهذه الجوفة في جدار المسجد المواجه مباشرة للقبلة، الأكثر أو الأقل زخرفة وإتقانا، تصلح لأن تميز الجهة التي يجب على المصلين على اختلاف مذاهبهم استقبالها[6]، وأستعمل هذا اللفظ للاصطلاح على أشرف موضع في المسجد، وما يقابل هذا الموضع الذي كان يصلي فيه الرسول صلى الله عليه وسلّم، والذي كان يبعد عن جدار القبلة بثلاثة أذرع وهي المساحة الكافية لركوع الإمام وما كان قد اتخذه النبي صلّى الله عليه وسلّم من وزرة رخامية في جدار القبلة مثبت بها وتد كان صلى الله عليه و سلم يتكئ عليها عند وعظه لرفاقه والمؤمنين، أو ما أتخذه في الصحراء من حربة أو عنزة سترا له ولتحديد اتجاه القبلة[7].

وعليه كخلاصة، فإن كلمة محراب قد تحولت بعد الإسلام إلى مصطلح يحدد مفهوم شكل معماري داخل المسجد لتحديد المكان المميز لاتجاه القبلة نحو مكّة المكرمة، و هو المكان حيث يقف الإمام لإمامة جموع المصلين، و هذه العلامة المميزة سواء أكانت حجارة أو وتدا أو رمحا أو رمزا في الفضاء في عهده . ص .، كان الهدف منها تدريب المسلمين و اطلاعهم على الاستخدام الصحيح لاتجاه القبلة[8]، ومن الناحية المعمارية الهندسية المحراب مكون من ثلاث عناصر أساسية وهي القوس، القوس، العمودان المتوجان، والفراغ المحصور بينهما والذي قد يكون مسطحا أو مجوف محفور[9].

ثانيا: المحراب في العمارة الإسلامية: للتعرف على المكانة التي أحتلها عنصر المحراب في العمارة الإسلامية، نحاول التدرج في ذلك كالتالي:

1. إدخال عنصر المحراب على العمارة الإسلامية: يكاد أن يحصل إجماع بين جميع العلماء الباحثين على أنّ عنصر المحراب بشكله المعروف لم يكن موجودا لافي عهده . صلى الله عليه و سلم . و لا في عهد خلفائه الراشدين، رغم ذلك ظلت إشكالية الظهور الأول لهذا العنصر المعماري في العمارة الإسلامية محل نقاشات ساخنة ومجالا لإصدار عديد النظريات و الآراء.

أ. ظهوره الأول:إذا ما غضضنا النضر عن الشكل فإنه يمكننا القول بأن وجود المحراب كرمز لتحديد اتجاه القبلة قد كان موجودا منذ عهده . صلى الله عليه و سلم . حتّى إنه لا يمكننا حصر الروايات التي تتحدث عن تلك الإشارة التي كان يتخذها صلى الله عليه و سلم و التي يمكن اعتبارها مقابلة للمحراب بمفهومه في الفترات اللاحقة.

---

[1]- مؤنس حسين، المرجع السابق، ص 67.

[2]- الوالي طه، المرجع السابق، ص 216.

[3]- نفسه، ص 217.

[4]- رزق عاصم، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 256.

[5]- Grabar (O), La formation de l'art islamique, traduit de l'anglais par Thoraval (Y), champs Flammarion, Paris, 2000, p 169.

[6]- ميسّاناغاسبري، المعمار الاسلامي في ليبيا، تعريب حسنين علي الصادق، الناشر مصطفى العجيلي، طرابلس، 1393هـ/ 1973م، ص 103.

[7]- السمهودي نور الدين، المصدر السابق، ص 216، 264، 272.

[8]- مطروح أم الخير، المرجع السابق، ص 7.

[9]- Féhérvàri (G), Op.cit, p 7.

حسب رأي فريد شافعي، وإذا ما أعتبر لفظ قبلة مرادفا لمحراب، وحسب عدد من الروايات والأحاديث منها عن أبي هريرة . رضي الله عنه . و ابن فضل العمري والسمهودي، فقد وجد نوع من العلامة، بل و يذهب إلى احتمال وجود المحراب المجوف أو المخلق على حد تعبيره، في هيئة بسيطة لتعيين جدار القبلة، والتي كانت نتيجة لبناء الجدار أولا باللبن وما يفرضه ذلك من سمك كبير للجدار عكس بناء المحراب والذي كان من الحجر وبالتالي أقل سمكا، ومنه كان التجويف نتيجة للفرق بين السمكيين، وذلك منذ السنة الهجرية الثانية أي منذ تحويل القبلة نحو الكعبة المشرفة[1]، وكان ذلك على يد الرسول صلى الله عليه وسلّم وأكمل صحابه الكرام ذلك في مسجد قباء خارج أسوار المدينة[2].ويواصل شافعي في إطار نقده لآراء مجموعة من المستشرقين حول رأيهم في الأصل المعماري للمحراب المجوف، والتي سنسردها لاحقا، أن هذا التجويف قد ازداد عمقا مع الزمن بالتماشي وأعمال الهدم والتوسعة التي كان يشهدها المسجد، خاصة في جهة جدار القبلة، إلى أن صار بشكل مجوف واضح في أثناء إصلاحات الخليفة عثمان . رضي الله عنه . سنة 24هـ، أي في أثناء جعل الظلات على الجوانب الأربعة للمسجد[3]، ويقابل رأي شافعي في كثير الأحيان بالرفض، على اعتبار أن المعاني التي أعطاها لبعض العبارات التي وردت في النصوص التاريخية غير صحيح في تفسير بعض منتقديه، على غرار عبارة **"و جعلوا عضادتيه من الحجارة"**، والتي فسرها على أنها محراب مجوف، بينما الأغلب أن المعنى يعني عضّادتي الباب لاغير[4].وقد أرجعه البعض إلى عهد الخليفة أبي بكر. رضي الله عنه . بين السنة 11 و13هـ كما نسب أحيانا إلى الخليفة عثمان بن عفان . رضي الله عنه . العام 24هـ[5]، كما ورد في في رواية ابن بطوطة التي تحمل كثيرا من التناقض"..**وجعل له أي المسجد النبوي الشريف . سواري حجارة مثبتة بأعمدة الحديد والرصاص و سقفه بالساج ووضع له محرابا**[6]".إن اتفاق معظم الروايات حول أن المحراب المجوف الأول الأول كان خلال القرن الهجري الأول ومتأخرا عن عهده صلى الله عليه وسلم، لم يمنع أن تتعارض مع بعضها حول زمن ظهوره، بين مسجد القيروان أيام عقبة ابن نافع (50هـ/ 670م)[7]، ويتزعم هذا الرأي الدكتور أحمد فكري مستشهدا بما يعتبره حجّة قوية، والمتمثلة في أن المؤرخين قد أجمعوا على أن عقبة بن نافع قد خطّ مسجده في القيروان العام 50هـ وأوضح مكان القبلة فيه حيث أقام محرابه، هذا الأخير ضلّ عبر الزمن يحظى بتقديس خاص من الناس، فلم يجرؤ أي منهم على مسّه بسوء، وقوبلت الرغبة الشديدة لزيادة الله في هدمه بمعارضة شديدة، ونصح بجعله بين حائطين، كما أنّ المحراب قد ضلّ كما وصفه البكري، حيث يمكن رؤيته عبر خروم المحراب الجديد، فيظهر جدارا منحنيا يشبه التجويف في جدار القبلة، ومنه فإن الحائط بالتجويف كان قائمين قبل أن يضاف عليها اللوحات الرخامية في عهد زيادة الله تفاديا للمساس بقدسية المكان، وكان الشكل المقوس بالتماشي وشكل عقود المسجد النصف دائرية[8]، لكن نتائج أبحاث فكري لا تتوافق وما وصلت إليه أبحاث كريزول والتي أيدتها أبحاث و حفريات أخرى و أفضت إلى أن هذا المحراب متأخر عن هذه الفترة[9].

---

[1]- شافعي فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، القاهرة، 1970، ص 598، 599.

[2]- شافعي فريد، العمارة العربية الاسلامية، ماضيها، حاضرها و مستقبلها، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، 1982، ص 151.

[3]- شافعي فريد، العمارة العربية في مصر، المرجع السابق، ص 599.

[4]- مصطفى صالح لمعي، المدينة المنورة، تطورها العمراني و تراثها المعماري، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1981، ص 75.

[5]- غيلان حمود غيلان، المرجع السابق، ص 52.

[6]- إبن بطوطة محمد إبراهيم، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفارالمعروف برحلة إبن بطوطة، ج 1، تحقيق و تقديم الكتابي علي، دمشق، 1956، ص 69.

[7]- غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، جروس . برس، بيروت، 1988، ص 353.

[8]- فكري أحمد، المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف و مكتبتها، القاهرة، د ت، ص 57، 58، 59.

[9]- مصطفى صالح لمعي، المرجع السابق، ص 75.

وإن كانت الآراء التي تتحدث عن ولاية مسلمة ابن مخلد على مصر (53هـ/ 673م) في جامع عمرو بن العاص، أو أيام مروان بن الحكم في المسجد النبوي تصنف على أنها ضعيفة، فهناك الرأي الذي يتحدث عن كون المحراب الأول هو ذلك المسطح الموجود أسفل قبة الصخرة أيام عبد اللك بن مروان (72هـ/ 691م)[1] حسب كريزويل، وذلك فقط لكونه محرابا مسطحا أي بدائيا[2]، لكن هذه النظرية دحضت خاصة وأن الأسلوب الزخرفي على هذا المحراب يعود إلى الطراز الذي شاع أوائل العهد العباسي[3]، إضافة إلى من يتحدث عن جامع عمرو بن العاص أيام ولاية عمر بن عبد العزيز (79هـ/ 698م) ومن ومن يورد المسجد الأموي بدمشق على عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (68هـ/ 708م)[4].

غير أنه يبدوا شبه مؤكدا حسب النصوص التاريخية الواضحة والصريحة وذات المصداقية العالية، أن عمر بن عبد العزيز أول من أدخل المحراب المجوف سنة 90هـ/ 708م، على عهد الوليد بن عبد الملك (91.88هـ/ 710.707م)، عندما كان والي الأخير على المدينة ومكة[5]، حيث أمره الخليفة بالزيادة في المسجد " زد في المسجد ومن باعك فأعطه ثمنه ومن أبى فاهدم عليه وأعطه المال، فإن أبى أن يأخذه فاصرفه على الفقراء" وأرسل إلى ملك الروم " إنا نريد أن نعمل مسجد نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم، فأعنا بعمال فسيفساء ...وأول من أحدث الشرافات والمحراب، عمر بن عبد العزيز[6]"، كما يضيف ابن بطوطة قائلا عن من وضع المحراب أولا " إن مروان أول من بنى المحراب، وقيل عمر بن عبد العزيز في خلافة الوليد،...وكان الوليد قد بعث إلى ملك الروم : أريد أن أبني مسجد نبينا صلى الله عليه وسلم، فأعني فيه، فبعث له الفعلة وثمانين ألف مثقال من الذهب[7]..."، فيما يمكن اعتبار رواية السمهودي من الروايات ذات المصداقية العالية وجاء فيها " أسند يحي عن عبد المهيد ابن عباس عن أبيه قال: مات عثمان و ليس في المسجد شرفات و لا محراب، فأول من أحدث المحراب و الشرفات عمر بن عبد العزيز[8]..."

ب الموقف الفقهي من استحداث المحراب: يعد موقف الفقهاء من استحداث عنصر المحراب في المساجد خاصة، ذو أهمية بالغة ليس فقط لأنه يحدد لنا الحكم الشرعي اتجاه هذا الوارد الجديد خاصة وأنه مرتبط بواحدة من أهم ركائز الدين الإسلامي وهي الصلاة ولكن أيضا لأن رأي هؤلاء قد أعتمد بصورة قوية ولدى عديد العلماء والباحثين في تحديد تاريخ والأصول المعمارية للمحراب ووظيفته، فقد أضحت آراء الفقهاء بمثابة الوثيقة التاريخية المعتمدة في محاولة الإجابة على كم الأسئلة الكبير المحيط بهذا الموضوع.لقد قوبل المحراب خاصة، في شقه المتعلق بكونه المكان الأغنى بالزخرفة أو حتّى يمكن اعتباره عنصرا زخرفيا في حد ذاته بمعارضة على مستويات عدّة وكثيرا ما أعتبر بدعة وحكمه من حكمها، ويمكن أن نستشف شيئا من ذلك من قول السمهودي "ولم يكن بالمسجد الشريف محراب في عهده صلى الله عليه و سلم ولا في عهد الخلفاء بعده، و أن أول من أحدثه عمر بن عبد العزيز في عمارة الوليد، وقال عمر بن عبد العزيز بعد زخرفة المسجد لعمرو بن عثمان: بناؤنا أحسن أم بناؤكم؟ فقال له: بنيناه بناء المساجد و بنيتموه بناء الكنائس...و قال مالك فيما نقله

---

[1]- غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 353.

[2]- كريزويل ك ، الآثار الإسلامية الأولى، نقله إلى العربية عبله عبد الهادي، إستخرج نصوصه وعلق عليه سبانو أحمد غسان، دار قتيبة، دمشق، 1404هـ/ 1984م، ص 416.

[3]- شافعي فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية، المرجع السابق، ص 606، 606.

[4]- غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 353.

[5]- مصطفى صالح لمعي، المرجع السابق، ص 75.

[6]- الحنبلي أبي بكر، تحفة الراكع و الساجد بأحكام المساجد، إدارة مساجد محافظة القيروانية، الكويت، 1425هـ/ 2004م، ص 239، 240. و للمزيد حول زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان و ما سبقها من إصلاحات و زيادات أنظر الحنفي قطب الدين، تاريخ المدينة، تحقيق محمد زينهم و محمد عرب، مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع، القاهرة، 1998، ص 95، 108 . 113.

[7]- إبن بطوطة محمد إبراهيم، المصدر السابق، ص 69.

[8]- السمهودي نور الدين، المصدر السابق، ص 525.

عنه صاحب التبصرة: كره الناس ما فعل في قبلة مسجد المدينة من التزاويق لأنه يشغل الناس في صلاتهم، و أرى أن يزال كل ما يشغل الناس عن الصلاة[1] ..."

كما جاء الحديث الوارد في مخطوط السيوطي المشهور بعنوان إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب ، والذي ننقله عن أحمد فكري " اتّقوا هذه المذابح...لا تزال هذه الأمة . أو قال أمتي . بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح كمذابح النصارى"، وقد أطنب هذا الأخير في نقده لكلام السيوطي، واعتبر روايته مرفوضة علميا ومستنكرة تاريخيا[2]، مع العلم أن حديث فكري عن الموضوع يدخل غالبا في إطار النقاش الدائر خاصة مع المستشرقين حول الأصول المعمارية للمحراب، ونقده لما جاء في مخطوط السيوطي هو امتداد لنقده لهم لاعتمادهم الكبير عليه في إثبات آرائهم.

ومهما يكن فإن تمحيص ما جاء في مخطوط وأحاديث معارضة أخرى قد جعل الكثيرين يستنتجون أنّ المعارضة والحديث لم يكونا منصبّان على المحراب كعنصر معماري في حدّ ذاته، وإنّما على ما يمكن أن يحمله هذا الأخير من زخارف وبهرجة وما يؤديه ذلك من إلهاء عن الصلاة وتشبه بمذبح الكنيسة الغني بالزخارف، وعلى كل حال فإن الموقف من الموضوع الأخير أي الزخرفة في المساجد كان واضحا في عديد الأحاديث والنصوص الفقهية، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تقوم السّاعة حتّى يتباهى الناس في المساجد**" أخرجه الترمذي وصححه ابن خزيمة[3].

وجاء في موضوع زخرفة المساجد عن رياض القاسمين "ولا بأس بأن ينقش المسجد بالجص والساج وماء الذهب من مال نفسه، والصرف إلى المساكن أفضل، لأن مسجد النبي صلى الله عليه و سلم كان من جريد النخل، والنقش من مال المسجد لا يجوز، لأنه تضييع، قيل لا ينبغي أن يتكلف في دقائق النقش، و قيل إن كان بديعا بحيث يشتغل به قلب المصلي يكره، وإلا فلا، وقيل إن قلّ لا يكره و إن كثر يكره، وقيل يكره في المحراب دون السقف والمؤخر، وقيل يجوز النقش على المسجد دون النقر والتجصيص حسن لأنه يحكم البناء،...اللإستصناع في محراب المسجد من المتولي النجار في خشب بقدر معلوم و عمل معلوم و صناعة معلومة لا يصح لأن الناس لم تتعارف الإستصناع فيه و كذا الأبواب و السلالم والسرد ولو كان بشراء الخشب بكذا ثم العمل فيه لم يصح[4]".

ج . الأصول المعمارية للمحراب: لقد تجاوز النقاش حول الأصول المعمارية للمحراب حدوده الأثرية والتاريخية والعلمية بكثير ليتحول إلى ما يشبه الصراع بين فريقين، الأول غربي مستشرق والثاني شرقي مسلم، و إن كان التباين كبيرا حتّى بين أعضاء الفريق الواحد فإننا يمكن أن نحصره في بين من يرى أنه اقتباس عن هياكل دينية أخرى سابقة للإسلام حسب الفريق الأول، وبين من يرى أنّ المحراب هو إبداع إسلامي عملي صرف كما يصرّ الفريق الثاني. أعطى المستشرقون من أثريين ومؤرخي الفن في الأساس أصلان معماريان اثنان يمكن أن يكون قد أستوحي عنهما المحراب، وهما محراب الكنيسة المسيحية (abside)[5] أو الكوة البوذية، وعدا عدم تقديمهم لشرح لاهوتي عقائدي مناسب، فهذان العنصران هما غريبان عن المسلمين الأوائل وغير ضروريان للممارسات الدينية الإسلامية لدرجة أن المحراب لم يتبنى أبدا من طرف المسلمين الأوائل، لكن العرب من جهة ثانية قد عرفوا بطريقة أو بأخرى هذه الاتجاهات الدينية القبل إسلامية من يهودية

1- نفسه، ص 377.

2- فكري أحمد، بدعة المحاريب، مجلة الكاتب المصري، ج 4، العدد 14، القاهرة، 1946، 306، 307.

3- الحافظ ابن حجر العسقلاني، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1424هـ/ 2004، ص 45، 46.

4- القاضي كامي محمد بن إبراهيم الأدرنوي الحنفي أفندي، رياض القاسمين أو فقه العمران الإسلامي، دراسة و تحقيق بن حموش مصطفى أحمد، دار البشائر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، 1421هـ/ 1723م، ص 335.

5- نسمي abside في العمارة باللغة الفرنسية كل بروز أو إمتداد لجزء من المخطط الداخلي لكتلة معمارية و الذي قد يكون نصف دائري أو متعدد الزوايا، و الذي قد يكون بارزا أو غير بارز من الخارج، و يكون هذا الزء في العادة مزود بسقف على هيأة قبّة نصفية أو بسقف مضاعف مدّور، و هو المعروف بالمحاب في الكنيسة المسيحية، أنظر:

Aurenche (O), Le dictionnaire illustré multilingue de l'architecture du proche orient ancien, maison de l'orient, Lyon, 2004, p 11.

ومسيحية، ولذلك يبدوا منطقيا نوعا ما الاقتراح القائل بأنهم حافظوا على تقليدهم القديم لكن مع التعديل ليتماشى والعقيدة الجديدة[1].

يقول سوفاجيهsauvaget في رأيه الشائع والمثير للجدل بأن المحراب قد أستعير عن الكنيسة القبطية لأجل أسباب معمارية، رغم أنه شخصيا يرى هذا السبب غير كاف من ناحية تفسير رمزية المحراب ومعاني الكلمة لغويا، ولا حتّى من حيث الإيضاح الكافي للعلاقة الشكلية أو الوظيفية بين العنصرين والتي قد تبرر هذه الاستعارة[2].

ويواصل فيما يشبه نقد رأي كريزول، أنه من حيث اشتقاق كلمة محراب كونها عنت في الديانة النصرانية القديمة جزء من القصر ينعزل فيه الأمير و أحيانا الكوة حيث يوضع التمثال وهي بذلك لم تعني المذبح، ثم حتّى لو عنته فإن معانيها المتعددة في القرآن لم تكن كذلك، لكنه يقترح في إطار إيجاد ترجمة للكلمة تغطي كل المعاني، ربط كلمة محراب مع الأشكال الهندسية المعمارية المستعملة في العصور القديمة، والتي خلص أنها تحوم حول محفر نصف دائري أو كوة دائرية، أي ما يشبه مساحات واسعة لإنشاء مذبح على أرضية مرتفعة، أو تكفي فقط لوضع تمثال، حيث تحولت إلى المذبح العنصر الضروري للكنيسة لأنه يستجيب إلى ضرورة طقائسية، وهو معنى يرى أنه لا يتعارض مع معنى كلمة محراب في الإسلام والذي هو عبارة عن كوة نصف دائرية، وهنا فالإسلام الذي اقتبس هذا العنصر عن الكنيسة حسب تلميحه لم يضف سوى فارق جديد على مستوى المعاني التي حوتها الكلمة قديما[3]، أي أنها صارت تعني مكان وقوف الإمام لإمامة المصلين.

لقد شكّل مخطوط إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب للسيوطي الذي سبق الحديث عنه، السند الأساسي لعديد المستشرقين في بناء نظرية استعارة المحراب عن الكنيسة، والذي تعرضنا لنقد فكري له سابقا[4].وشكلت رواية السمهودي والتي يتحدث فيها عن أمر الوليد واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز بهدم المسجد النبوي الشريف وإعادة بنائه، وعن إرسال ملك الروم أموالا وفسيفساء ورخام وأربعين قبطيا للقيام بالأشغال، إحدى البراهين التي لجأ إليها كثير المستشرقين على غرار كريزويل، الذي نسب بناء أول محراب مجوف في المسجد للأقباط خاصة مع وجود روايات تتحدث عن عملهم في مقدمة المسجد أي على حائط القبلة، لكن هذا يصطدم مع ما جاء في باقي رواية السمهودي حيث يقول "... لما وصل . عمر بن عبد العزيز. إلى جدار القبلة عند هدمه دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأمصار والعرب والموالي فقال لهم احضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا غيرها عمر فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانها أخرى[5]" حيث فسّر البعض هذا الحديث الأخير على أنّ المحراب كان موجودا قبل وصول الأقباط[6].فيما يقدم شافعي حجّة أخرى لنقد هذا الرأي، فيرى أن محراب الجدار الجنوبي لقبّة الصخرة المجوف كان قد شيد سنة 72هـ/692م، تاريخ بناء الجدار الذي بقي دون أي تجديدات، و تتمثل الحجة التي ارتكز عليها أنه لا يمكن حفر تجويف كالمحراب بالجدار لأنه سينهار[7]، لكن هذه الحجة غير صحيحة لأن التجارب أثبتت إمكانية القيام بذلك دون أن ينهار الجدار[8].كما أن السند المعتمد يحمل ثغرات أشار لها حتّى المعتمدون عليه، حيث يذكر أن إمبراطور الروم أرسل الأقباط بينما الأكيد أن مصر كانت خلال هذه الفترة قد دخلت تحت الحكم الإسلامي منذ حوالي سبعين سنة، وعليه يرجح أن استعمال كلمة الأقباط جاء للدلالة على أصل العمّال الذين عملوا

---

[1]-Féhérvàri (G), op.cit; p 7.

[2]- Sauvaget (J), La Mosqueé omeyyade de Médine, étude sur les origines architecturales de la mosquée et de la basilique, Vanoest des édition d' art et d' histoire; paris, p 145.

[3]- IBID, P 145, 146.

[4]- فكري أحمد، بدعة المحاريب، المرجع السابق،، ص 306، 307.

[5]- السمهودي نور الدين، المصدر السابق، ص 139.

[6]- غيلان حمود غيلان، المرجع السابق، ص 53.

[7]- شافعي فريد، العمارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 151.

[8]- مصطفى صالح لمعي، المرجع السابق، ص 74.

بحائط القبلة على أنهم من أصل مصري قبطي وليس بالضرورة المذهب القبطي[1].وإن كان يتفق مع رأي أغلب علماء الآثار حول عدم دخول المحراب في عمارة المساجد الأولى فإنّ أحمد فكري، وفي إطار دعم نظريته حول محراب جامع القيروان التي سبق الحديث عنها، فإنه لا يتفق معهم نهائيا حول فكرة أنّ هذا العنصر قد أشتق عن الكنائس، فزيادة على أنّ السيوطي صاحب رواية تشبيه المحراب في المسجد بمذبح الكنيسة قد عاش في زمن متأخر، وهو القرن الثامن هجري، ولم يذكر عن أوائل رواة الحديث ولا عن أوائل المؤرخين المسلمين، فإن ما جاء عن السمهودي يحمل بعض الخلل، من حيث التضارب في عدد العمال وجنسياتهم، ومن حيث عدم منطقية الاستنتاجات التي بنيت عليها، فلا يكفي وجود عمّال أجانب ليعملوا في المسجد وذلك تحت إشراف مسلم اسمه صالح بن كيسان، ليغيروا من نظامه خاصة وأنّ الأمر يتعلق بعنصر بالغ الأهمية كالمحراب، وزيادة على اعتماد فكري التضارب الذي حصل حول أول محراب في الإسلام في نقده، استند أيضا على الفروق المعمارية والهندسية بين العنصرين، فمحراب الكنيسة فناء كبير في صدرها يتجاوز نطاق الكنيسة ويتسع لأكثر من المنضدة حيث توضع معدات المراسيم، ومساحته واسعة يمكن التنقل فيه دون عائق، بينما المحراب في المسجد لا يعدوا أن يكون مجرد إشارة لتحديد القبلة عبر تجويف في حائط القبلة لا تتسع لغير ركوع الإمام وسجوده وجلوسه، والاختلاف كبير بين الوظيفتين[2].وهنا نجد أنّ محراب الكنيسة ليس ضروريا فقد خلت عديدها منه، فالمهم هو المذبح وهو المنضدة التي توضع عليها أدوات الطقوس من صلبان ومباخر وأجراس وكؤوس وكتب والذي يقف القس ومساعدوه خلفه في مواجهة الناس للقيام بالطقوس، والقس لا يمكن أن يكون نظيرا للإمام هنا لأنه في الواقع الوحيد الذي يصلي أما البقية فيتابعون ما يعمل ويستجيبون لإشارات محددة تعطى لهم من طرفه[3].

كما أنّ شكل الحنية النصف دائري قد كان الشكل المعماري الأكثر استعمالا منذ القدم في عمارة حضارات البحر الأبيض المتوسط حسب شافعي، ويتفق مع فكري في نقده لما جاء عن السيوطي بل ويذهب أبعد من ذلك حينما يشكك في نسب المخطوط لهذا الأخير، إضافة إلى الفروق الوظيفية بين المذبح في الكنيسة والمحراب في العمارة الإسلامية[4]، ويوافق شافعي في هذا عديد العلماء بما فيهم المستشرقين منهم، في أن فكرة إدخال المحراب إلى العمارة الإسلامية لم يكن اقتباسا عن أي عنصر معماري كان[5]، بل هو نتيجة لمسار تطور طبيعي لعنصر معماري وظيفي منذ ظهوره السنة الهجرية الثانية في مسجد مسجد قباء كعلامة على جدار القبلة حسبه، والتي أخذت هيأتها المعروفة مع زيادة التأنق في بناء المساجد في المدن والأمصار الإسلامية منذ منتصف القرن الهجري الأول[6].و هناك من نسبه إلى الكنيس اليهودي أو عرش الملك و آخرون إلى طيقان تماثيل الآلهة و الملوك والأمراء والأبطال عند اليونان و الرومان[7].كما أن مجموعة هامة من الأثريين المستشرقين المتأخرين قد فهموا التصور الذي يرى بأن المحراب قد نشأ في شكله المجوف كالمشكاة نشأة إسلامية خالصة، فرضتها ظروف وقوف الإمام منفردا في مساحة صف كامل متقدما المصلين، فجعل المحراب للإمام ليتحول إلى ضرورة وظيفية[8].

ويمكن أن نلخص ما جاء من معارضي نسب المحراب في العمارة الإسلامية إلى الاقتباس عن الكنيسة فيما جاء عن شافعي، من حيث تعدد التواريخ المطروحة كموعد للظهور الأول للمحراب في الإسلام والتي بلغ عددها خمسة، كما أن الوليد بن عبد الملك على رأيه لم يكن في حاجة إلى الروم والأقباط والفسيفساء التي يزعم أن ملك الروم قد أرسلها، ثم إن الصنّاع

---

[1]- نفسه، ص 73.

[2]- فكري أحمد، المسجد الجامع بالقيروان، المرجع السابق، ص 54، 55، 56.

[3]- مؤنس حسين، المرجع السابق، ص 68.

[4]- شافعي فريد، العمارة العربية في مصر، المرجع السابق، ص 601، 603.

[5]- غيلان حمود غيلان، المرجع السابق، ص 53، 54.

[6]- شافعي فريد، العمارة العربية في مصر، المرجع السابق، ص 611.

[7]- غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 353.

[8]- عبد الحميد سعد زغلول، العمارة و الفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت، ص 258.

الروم والأقباط الذين اشتركوا في بناء المسجد إن صحت الرواية وإن كان هذا المسجد . أي المسجد النبوي الشريف . هو من حمل المحراب المجوف الأول وهو احتمال من خمسة فرضيات، يدينون بالإسلام و ظهور المحراب ليس تحت تأثير مسيحي ثم إن التفصيل الذي يتحدث عن عمل الأقباط في مقدمة المسجد يحتمل الكثير من الخطأ.

ويصر سوفاجيهsauvaget على أنّ المحراب قد أخذ عن محراب الكنيسة، كنتيجة لدراسته لمكان ودور المحراب البالغ الشبه شكلا بقاعة الاستماع في محراب الكنيسة خاصة في المحاريب ذات الفتحة الكبيرة، كما أنه يرى أن دراسته الأثرية على المحراب الأموي بالمسجد النبوي الشريف قد بينت وجود عناصر ذات خصائص أجنبية والغير مفسرة في الاستعمال الحالي للمحراب، مما يوجد بالنسبة له المبررات الكاملة لقبول فكرة أن المحراب في العمارة الإسلامية هو نسخة مصغرة لمحراب الكنيسة، والهدف كان مزدوجا، الحصول على القدسية التي يحظى بها بالكنيسة في المسجد من جهة، والحفاظ قدر الإمكان على الشكل الأوّلي للمسجد على عهده صلى الله عليه وسلم[1].

ويعارضه في رأيه هذا مؤرخ الفن، المختص في الفن الإسلامي بابادوبولوpapadopoulo والذي قدّم أسباب تتعلق بالرمزية التي يعتقد أن المحراب قد أتى ليحققها كما سنرى لاحقا، حيث يرى أن الرأي السابق يصطدم بكون أن المسجد النبوي قد كان أيضا منزلا للرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن المحراب حسبه لم يحمل أي دور عملي أو سياسي عكس المنبر مثلا وهذا ما جعله يرجع وجود المحراب في الأساس إلى الرمز لحضوره صلى الله عليه و سلم في المكان، و الزخرفة التي خصصت للمحراب والرواق العمودي عليه إذا لم تكن لتكريم أي كان من الخليفة أو الحاكم أو ممثله كما يرى البعض بل تحمل مدلولات أكثر مباشرة وعمقا وقدسية وغير قابلة للمقارنة لا مع محراب الكنيسة أو مع غرفة العطايا في القصور خاصة وأن الإمام يقف مقابلا للمحراب وليس بإدارة ظهره له كما في الكنيسة[2].

لكنه يرى أن الاقتباس كان من حيث الرمزية الخفية قد جاء على أيدي المهندسين الأجانب، الذين كانوا هاهنا هم فقط من يعرف الكوة ومدلولاتها الرمزية في الفنون الكلاسيكية القديمة، والأمر حسبه كان بكل بساطة أنه قد طلب من هؤلاء إبراز وتمييز مكان الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته بمسجده، فمثل صلى الله عليه وسلم كما هو معروف في الفنون اليونانية الهيلنستية والرومانية المسيحية والبيزنطية، حيث يوضع تمثال للتكريم في كوة على الأرجح، وحذف التمثال لتعارضه والشريعة الإسلامية وبقيت الكوة لترمز إليه[3]، وقد دعم هذه النظرية بما هو معروف عن أن الإسلام في بداياته قد قد استعمل العديد من الأشكال الكلاسيكية كالقوس فوق عمودان على بعض من نقوده، وعليه فبعد هذا الاقتباس خضع شكل المحراب بعدها لاكتساب خصائص التميز والتفرد والمظهر الموحد والوحيد الذي سيشتهر بشكله الجمالي التشريفي، وبالنظر لتحريم الدين الإسلامي للتماثيل فقد أستبدل بالتجويف في الجدار وتحول إلى عنصر معماري[4].

والمهم أنه وجدت كثير المباني شكّلت أجزاؤها الهامة بشكل حنية كبيرة أو صغيرة قبل الإسلام والمسيحية ولا توجد غضاضة في استعمالها في المساجد، حيث استخدمها الروم في الكنائس[5].

إن إرجاع وجود المحراب في العمارة الإسلامية إلى اقتباس عن الديانة البوذية لا يبدوا منطقيا، على اعتبار أنّ العلاقات بين الهند معقل الديانة وآسيا الوسطى كانت متأخرة بالضبط مثلما لا يمكن إرجاعه إلى الكوة القبطية أو الكنيس اليهودي، حيث نظير المحراب هنا يكون أصغر حجما و مرتفعا عن مستوى الأرضية[6].

---

[1]- Sauvaget (J); Op.cit; p 148; 149.

[2]- Papadopoulo (A), L'islam et l'art musulman, Citadelles et Mazenod, Paris, 2002, p 228, 229.

[3]- IBID, p 230.

[4]- Grabar (O), op cit, p 171..

[5]- مصطفى صالح لمعي، المرجع السابق، ص 74.

[6]- Papadopoulo(A), L' islam et l' art musulman, op.cit, p 230.

كما أنّه يجب الإشارة إلى أنّ الحنايا المجوفة لهياكل الكنائس لم تكن ابتكارا قبطيا أو مسيحيا أو بيزنطيا، بل هي عناصر بالغ الرومان في عملها وتزيينها عمائرهم من معابد وحمامات ومساكن، وأنّ التأثير قد حصل في الاتجاهين فنجد مثلا زخارف بشكل المحاريب الإسلامية في كنائس بالشام[1].

ومهما يكن الأصل الذي ورد منه هذا العنصر المعماري، فإنّ هذا الأخير يعدّ محطة هامة في مسار الإنتاج المعماري والفني الإسلامي عموما[2]، وقد حقق أهدافا عملية ضمنت له الاستمرارية بغض النضر عن الأسباب والدوافع وراء ابتكاره أو اقتباسه.

2. وظيفة المحراب:يعد المحراب العنصر المعماري الوحيد الذي نجده دائما ومنذ ظهوره في جميع المساجد كبيرة كانت أم صغيرة، والذي يدعوا للفضول أن هذا العنصر الضروري في كل مسجد لم يكن موجودا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وجميع المساجد التي بنيت قبل إعادة بناء مسجد المدينة من طرف الخليفة الأموي الوليد (709.707م)، مما يجرنا للتساؤل حول سبب هذا الإبداع، وكيفية تحوله في فترة وجيزة إلى ضرورة في كل المساجد، فإذا كانت المئذنة ليست بالضرورية وخلت منها كثير المساجد الصغيرة، وكان المنبر القليل أو الكثير الزخرفة فقط في المساجد حيث تقام صلاة الجمعة بالعواصم السياسية أين يوجد الخليفة أو ممثله السياسي أو الديني[3]، فماذا عن المحراب؟

يستمر الجدل المحيط بالمحراب هنا أيضا، حيث كان هناك تضارب واختلافات لا تقل حدّة عما رأيناه سابقا، بين اتجاهات مختلفة، خاصة وأن محاولة تحديد وظيفة للمحراب كثيرا ما كان يهدف إلى الربط بينه وبين الأصول المعمارية لهذا العنصر المعماري، فبينما يرى أغلب الأثريين المسلمين بأن وجود عنصر المحراب ارتبط بضرورة وظيفية عملية بحتة وهذا يعزز رأيهم في أنّ العنصر يعد ابتكارا إسلاميا، يرى الفريق الآخر من العلماء ذي الأغلبية المستشرقة أنّ الوظيفة العملية المزعومة لأن يؤدّيها المحراب غير كافية لتبرير حضوره بهذه القوة وهذا الشكل، وأنّ المحراب تجاوز المسائل العملية ليصل إلى أبعاد جمالية ورمزية وعلى كل حال نحاول حصر جزء من هذه الآراء فيما يلي:

أ. وظيفة عملية:للوهلة الأولى يبدوا من تتبع تطور وجود المحراب بالمسجد، أنّ دوره لا يتجاوز وظيفة تحديد جهة القبلة للمصلين، حيث أنه كان في بعض الأحيان عبارة عن علامة مختلفة اللون عن باقي جدار القبلة ليقف الإمام أمامها، أو قد تستبدل الإشارة اللونية ببلاطة مسطحة بمادة مختلفة عن مادة الجدار، هذا قبل أن يتم الاقتداء بسنّة عمر بن عبد العزيز في المحراب المجوف في جل المساجد تقريبا، ولهذا التجويف غرض آخر وهو اختصار الحيز الذي يشغله الإمام منفردا قبالة جدار القبلة وتمكين جموع أخرى من المصلين من احتلاله[4].

وإن كان أحمد فكري لا يوافق الدور الأول، حيث أنه لو كان المحراب للدلالة على حائط القبلة فلم يكن من الضروري أن يكون مجوفا ويكفي أن يكون بشكل أو بقطعة أخرى أكثر بساطة ليقوم بهذه الوظيفة، لكنه أكثر من دافع عن نظرية أن المحراب مجرد فكرة عملية بسيطة لتوفير المكان الذي كان سيشغله الإمام في غياب تجويف المحراب، والذي كان يتسع لمئتي مصلي في القيروان مثلا، ويبرّر الشكل المقوس الغالب على فتحة المحراب بالتناسق المنشود في البناء بالتماشي وعقود قاعة الصلاة[5].

يرفض غرابارGrabar الشروح الشائعة لدور المحراب، خاصة التي تقول أن دور المحراب هو الإشارة إلى اتجاه الصلاة، مقدما عدّة أسباب، حيث أنه تاريخيا، لم يكن المحراب موجودا في أي من المساجد الأولى ليقوم بهذا الدور، كما أن المسجد

---

[1]- شافعي فريد، العمارة العربية في مصر، المرجع السابق، ص 611، 616، 617، 619.

[2]- غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 353.

[3]- Papadopoulo (A), Introduction générale, le mihrab dans l'architecture et la religion musulmanes, actes du colloque international tenu a Paris en mai 1980, publies et pourvus d'une étude d'introduction générale, E, J, Brill, Netherlands, 1988, P 9.

[4]- الوالي طه، المرجع السابق، ص 232.

[5]- فكري أحمد، المسجد الجامع بالقيروان، المرجع السابق، ص 58، 60.

ككتلة بأكمله موجه إلى القبلة، و المحراب غير مرئي من أجزاء واسعة في المسجد، و حجمه المتواضع لا يتناسب و الوظيفة المتوقعة له[1]، حيث ان المسجد كليا يحدد الاتجاه، واصفا إياه بمثابة بوصلة روحية متجهة نحو الكعبة الشريفة[2]. ثمّ إن ما كان يحدد اتجاه القبلة في مسجده صلى الله عليه وسلم هو الحائط الطويل الشمالي عندما كانت القبلة نحو بيت المقدس، ثم الجنوبي عند التحول نحو مكة المكرمة لذلك نجد أن المصلين يقفون بالمقابل له، ولهذا حمل اسم حائط القبلة الذي يكون طويلا قدر الإمكان ليستوعب في مقابله أكبر عدد من المصلين، فهو ما خلّفه الرسول صلى الله عليه وسلم كموجه للمسلمين، خاصة وأنه الأكثر صمودا بمرور الزمن، أكثر من أي عنصر آخر كالعنزة أو جذع النخلة أو أي شيء آخر قد يستعمله المسلمون التابعون لهذا الغرض[3].

وحصل هذا الرأي على كثير الدعم من حيث يتفق آخرون في أنّ هدف المحراب بهذا التقعر لم يكن تحديد القبلة، فالهدف تحديد مكان الإمام، حيث هناك مذاهب تمنع وقوف الإمام في تجويف المحراب، وهذا ما يفسر أنه في البلدان التي يسود فيها المذهب الحنفي كتركيا وباكستان تكون المحاريب فيها قليلة العمق[4]، لكن هذا الرأي يصطدم بوجود مساجد تتعدد فيها المحاريب بينما المجموعة الواحدة للمصلين لا تحتاج إلاّ إلى إمام واحد[5].

يرى سوفاجيه أن الاستعمال الحالي المعروف للمحراب كمحدد لاتجاه القبلة للمصلين هو في الحقيقة ليس الدور الذي أقيم المحراب من أجله، فمن الناحية العملية في مسجد بمساحة هائلة تتسع لمآت المصلين وكلما كانت القاعة كبيرة تعددت الدعائم وقربت وكبرت فصارت حاجبة لا يمكن أن يكون فيه تجويف بهذه الأبعاد الجد صغيرة، التي لا تتناسب وإياه لتحديد الاتجاه، ولكن في الواقع الموجه هو الحائط الموازي للقبلة، فإذا كان توجيهه خاطئ أخطأ المصلون القبلة وحتى توجيه المحراب يكون خاطئا[6].

يقدّم Golvin وجهة نضره المناوئة لاعتبار المحراب محددا لاتجاه القبلة، معتمدا على بدائه هندسية رياضية، حيث من هذا الجانب لا تكفي نقطة واحدة لتحديد اتجاه، بل يجب وجود مستقيم يمر على الأقل بنقطتي توجيه و هو ما يعرف بالخط المحوري إن وجد ثم إن المصلين يتوجهون في صلاتهم نحو الحائط لا المحراب الذي قد يكون في عديد المرات منحرفا عن مركز الحائط، أو متعدد، إضافة إلى أن كلمة محراب لم تعني أبدا الاتجاه في أي من مصادرها سواء لغات سامية أو قرآن كريم، وكلمتا المحراب والقبلة يحملان معاني مختلة في المعاجم العربية[7].

وعلى كل حال فإن نصف أسطوانة محفورة عموديا في جدار لا تشير إلى إي جهة رغم أن ذلك يكون موجودا بصورة ما إذا كان المحراب عبارة عن نصف متعدد الأضلع كالمثمن، كما أنه هناك عدّة أشكال و عناصر معمارية يمكن أن تستعمل لتحديد الاتجاه أيا كان من الداخل أو الخارج مثل المثلث و القبة و الأروقة العمودية على جدار القبلة[8].

إن التقعر في الجدار يملك وضيفة تقنية أخرى معروفة، فهي تجمع صوت الإمام لينعكس مضاعفا و يذهب أبعد، فربما أراد المهندس الأول بهذا التقعر مضاعفة صوت الإمام ببساطة، على غرار ما تفعله القباب[9]، حيث أن المحراب بشكله المعهود يمكن أن يقوم بوظيفة مكبر للصوت لما يتلوه الإمام القائم به[1].

---

[1]- Grabar (O), op.cit, p 171.

Papadopoulo (A), le <u>problème de mihrab, histoire de l'art, théologie esthétique, approches méthodologique,</u> le mihrab; Op.cit, p 34.-[2]

[3]- Papadopoulo (A), <u>Introduction générale</u>, le mihrab; op.cit, p 9.

[4]- Wafi (A.M), <u>les mihrabs et leurs ornementation décoratives</u>, le mihrab, Op.cit ; p 71; 72.

[5]- Sauvaget (J), Op.cit, p 148, 149.

cit, p 146..[6]- Sauvaget J), Op

[7]-Golvin (L), <u>le mihrab et sa éventuelle signification</u>, le mihrab dans l'architecture et la religion musulmanes, Op.cit, P 54.

Papadopoulo (A), <u>le problème de mihrab..., le mihrab</u>..., Op.cit, p 44, 45.- [8]

cit, P 72..Wafi (A.M), Op-[9]

ب . **وظيفة زخرفيه**:رغم الموقف الفقهي اتجاه الزخرفة في المساجد، والذي أمتد أثره ليشمل موقفه من المحراب، الذي صار على هذا المستوى يعد فعلا زخرفيا، كما رأيناه سابقا، إلى أن الزخرفة في المحراب قد سايرت التطور الذي كان يطرأ على هذا العنصر عبر مختلف الفترات، فبعدما كان بسيطا بدأت الزخرفة فيه وتطورت حتّى غدى المحراب يعد عند الكثيرين عنصرا زخرفيا محضا، بل وأكثر من ذلك قد جعل البعض يضع الزخرفة هدفا لوجود المحراب بالعمارة الإسلامية[2].

لقد ضلّ المحراب المكان الغني بالزخرفة في المسجد، هذه الزخرفة امتدت لتشمل الأجزاء المحيطة بالمحراب في الجدار، إن هذه الكوة الجد مزخرفة، تؤكد بدرجة عالية بأنه شيء رئيسي و مميز، وقد ظل المحراب يتطور على مستوى التفاصيل الزخرفية أو الإنشائية[3]ن فكانت المحاريب أو ما كان يقوم مقامها على عهده صلى الله عليه وسلم وصحابته بسيطة لا تمثل إلا محددا لموقع الإمام ولا تملك أية زخرفة، وخلال النصف الثاني من القرن الهجري الأول ظهرت الزخارف التزيينية بالمحراب وتطورت من حيث أنها شملت مختلف المواد، حيث استعملت الحجارة والآجر والرخام والبلاطات الخزفية الملونة والجص والفسيفساء، أو المواضيع الزخرفية، فنجد الزخارف النباتية المتداخلة والهندسية الشبكية والكتابية بخطوط الكوفي والنسخي والثلث، التي تكون في العادة محيطة بالمحراب، تحمل نصوص قرآنية أو أحاديث أو عبارات دينية أخرى[4]، قد استعملت كل هذه الأنواع الزخرفية لإغناء السطح عموما والمحراب خاصة، منفردة أو مختلطة، بصورة تظهر تنوع وامتداد الفن الإسلامي إلى أقصى الحدود[5].

إن تحول شكل الكوة من الملاءة التي كان يعرف عليها سابقا إلى رمز ديني جديد لحضور الرسول صلى الله عليه وسلّم ورسالته وكلام الله الممثل في القرآن، قد أدى إلى تحولات على المستوى الجمالي فصار التجويف رئيسيا وجماليا بصورة تلقائية، ليتسابق الجميع في جعله أكثر جمالا عبر زخرفته بسخاء، ومنه فقد أثّر الاتجاه الرمزي على جمالية هذا العنصر وهذه الجمالية كانت بدورها خزّانا لعديد التعبيرات الرمزية[6].

ج . **وضيفة رمزية**:في أغلب المساجد الإضاءة والزخرفة مركزة في المحراب، حيث أيضا تتقاطع الأروقة الرئيسية، وأيضا القبة المتقدمة المزخرفة بثراء الجالبة لأنظار المصلين، هل يرمز هذا لقدسية المكان؟ هل لأنه المكان المقدس الذي يرمز لحضور الرسول صلى الله عليه وسلم[7]!؟ هل لأنه إشارة لمكان القائد[8]؟

هذا العنصر الموجود في حائط القبلة قد أخذ أهمية رمزية خاصة بالنظر لعلاقته مع المركز الديني للإسلام، مكّة، حيث أن هذه الكوة الفارغة تحمل كثيرا من مزخرفة محتلة منتصف الحائط في الأغلب، في الظاهر هي مكان خاص للإمام الذي يقود الصلاة وموجها إلى مكة، لكن من الناحية الخفية قد يرمز هذا الشكل إلى باب يؤدي إلى الله، فالمحراب يأخذ مظهر الباب، باب رمزي طبعا، يؤدي إلى الله عز وجل، وما يعزز هذه الرمزية أن قاعة الصلاة تأتي مساحة فارغة خالية من أي منقولات ولا تعرف أي مركز خاضعة كليا لتوجيه ديني عكس الكنائس المسيحية[9].

---

[1]- غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 352.

[2]- غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 352.

[3]-Papadopoulo (A), L'islam et l'art ..., Op.cit, p 231.

[4]- Wafi (A.M); Op.cit, P 72, 73, 74.

[5]- IBID, p 73.

[6] -Papadopoulo (A), L'islam et l'art ..., Op.cit, p 229.

[7]- Golvin (L), op.cit, p 54, 55.

[8]- Sauvaget (J); Op.cit; p 149.

[9]- Clevenot (D), L'art islamique, Edition Scola, Paris, 1997, p 31.

يرى مؤرخ الفن الإسلامي بوركارتBurckhardt أنّ هذا الشكل الشعائري الموجود في عنصر معماري لاحق وهو المحراب، هو بؤرة للرمزية الخاصة والغنية والعميقة وهذا طبيعي حسبه بالنظر للرابط الموجود بين الفنون الدينية المقدسة والمذهب الباطني الرمزي وعليه فإن حتّى العناوين المسيحية التي تكون قد ظهرت بالمحراب لم يكن ذلك الظهور لا في الاتجاه التاريخي ولا القطعي ولا حتّى العقائدي، بل كان ذلك كنموذج للتعبيرات الفلسفية والرمزية[1].

فيما فسّر سوفاجيه وجود رواق أوسط عمودي على المحراب وأكثر زخرفة وعرضا وارتفاعا مزود بقبة أمام المحراب في المسجد النبوي والذي سيطور في المساجد اللاحقة فسره على أنه مستمد من الطابع المعماري للكنيسة، فإن هناك من مؤرخي الفن المستشرقين خاصة من يعارضه في ذلك، فكون الرواق قد أتى مائلا عن الوسط إلى اليسار أي أنه لم يكن مركزيا على غرار المحراب، الأمر الذي جعل من قاعة الصلاة غير متناظرة هذا ما يظهر الارتباط المراد إبرازه بين الرواق المركزي والمحراب، والغرض من ذلك الحفاظ على قاعة الصلاة على عهده صلى الله عليه وسلم، فكأنما كان هناك سحب إشعاعي لمكانه صلى الله عليه وسلم في مسجده الأول إلى غاية حائط القبلة في المسجد الجديد والغرض من كل هذا إذا . المحراب و الرواق المركزي . هو الرمز إلى مكان صلاته صلى الله عليه وسلم[2].

والرمزية هنا حسبهم تمس المحراب شكلا من حيث تخطيطه الهندسي وعناصره المعمارية المكونة من جهة كما تعني أيضا محتواه الزخرفي والفني، فمن الناحية الشكلية يعطي مظهر المحراب انطباع الباب أو إطاره، وقد أستخدم شكل الباب المحفوف بقبة والمزخرف منذ القدم حيث نجده في قبّة العرش بالمقصورة الملكية عند الرومان ومنها انتقل إلى اليهودية والمسيحية[3]، والباب هنا يرمز إلى مرور المؤمن بعون من الله نحو الجنة بواسطة القرآن الكريم، كما أنه هناك علاقة بين مركزية المحراب في الجدار وتوجيهه الدقيق نحو مكة المكرمة وشكله الشبيه بالباب كرمزية ثانوية، فالأسطوانة المركزية تعد إبرة حقيقية للبوصلة، فصار المعلم كله كبوصلة مجازية تؤشر إلى قطب الإسلام، وهذا التجويف هو امتداد للقدسية التي تحملها القبة والذي نزل عبر المحراب وصولا إلى مكانه صلى الله عليه وسلم، فينتج عن ذلك حتما الشكل الأسطواني الذي طبع نصفه على الجدار[4].

إن شكل الكوة الذي تعددت الآراء حول أصوله، يعد مقدسا ويحمل رمزية كونية، وهذه الرمزية بالنسبة للمحراب مستمدة من القرآن الكريم، فوجود القبة المحدبة المتوجة ترمز إلى السماء، من حيث تنزل الكلمات الإلهية عبر الأعمدة وصولا إلى القاعدة وهي الأرض، كما أن الشكل العام المجوف يرمز إلى الكهف أين نزل الوحي و الكهف نفسه يرمز إلى القلب حيث يجب أن يوجد الله وكلماته، وهي أهداف رمزية حققها شكل المحراب وقد عرفتها التقاليد الشرقية السابقة للإسلام[5].

إن القيمة التذكارية المتعلقة بتخليد ذكرى النبي صلى الله عليه وسلم كإمام أول للمسلمين لا تكفي وحدها لتبرير العناية والزخرفة التي حضي بها المحراب، فقد اكتسب على المستوى الديني اتجاه عقائدي ورمزي ضروري، تحت تأثير القرآن الكريم، وهذا ما يفسر انتقال شكله على مواد ومنتجات عدة، الحجارة والزرابي مثلا[6]، فحسب بوركارتBurckhardt في هذا هذا الجانب نجد لشكل المحراب التجريدي تجسيدا لمعاني في آيات من سورة النور، التي تبين وجود الله تعالى في العالم وفي قلب الإنسان بما يشبه المصباح الموضوع في المشكاة المتمثلة حسبه في الكوة وبالتالي المحراب، كما نسجل تعليق المصباح

[1] - Burckhardt (T), L'art de l'islam, language et signification, Sindibad, Paris, p 134.

[2]- Papadopoulo (A), L'islam et l'art ..., op.cit, p 228.

[3]- Féhérvàri (G), op.cit, p 7.

[4]- Papadopoulo(A), L' islam et l'art ..., Op.cit, p 232.

[5] - Burckhardt (T), Op-cit, p 134.

[6]- Grabar (O), Op.cit, p 171.

داخل المشكاة[1]، هنا قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: ٣٥، كما أننا نلاحظ أن عددا كثيرا من المحاريب القديمة الحجرية قد توجت بقبة بشكل صدفة بحرية أو المحارة، هذا الشكل الموجود في الفنون القديمة قد أستعمل عند المسلمين لتحقيق أهداف رمزية روحية، فالصدفة تحوي اللؤلؤة وهي إحدى الرموز الإسلامية لفعل رباني فقط وهو الخلق، حسب رواية عن النبي صلى الله عليه و سلم أن العالم قد خلق من لؤلؤة بيضاء، فصارت الصدفة البحرية أين تصنع اللؤلؤة في المحراب بمثابة المكان أو القلب المستقبل لكلمات الله تعالى، أي في المحراب حيث تردد الكلمات الإلهية[2]، فيرمز شكل المحارة أيضا للخلق والعطاء المتمثل في اللؤلؤة والمقرنصات البلورية الشكل، وكثيرا ما حمل عقد المحراب الآيات التي تدعوا إلى إعمار بيوت الله، بالإضافة إلى الآية: قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ آل عمران: ٣٧، فقد يكون تسجيل الآية بشكل دارج في المحراب محاولة لتجسيد معاني المحراب في القرآن[3].

وهناك من يرى أن المساجد التي لم تحترم الخطوط الرمزية التي يجب أن يحملها المحراب قد خضعت لظاهرة فنية تعرف بالرفض، و هذا ما حصل مع محراب جامع قرطبة حيث كانت الكوة عميقة لدرجة تحولها إلى غرفة في محاولة لتحقيق هدف رمزي آخر عن ما جاء في إحدى معاني المحراب في القرآن الكريم كغرفة أو مكان مخفي ومقدس، فلم يستمر هذا النموذج من هذه الناحية لتناقضه مع الشكل الرمزي ودلالته المتفق عليها، والأمر ينطبق على تعدد المحاريب في المسجد الواحد ورغم أنّ المحراب الأوسط يكون الأبرز والأكبر إلى أنه لم يتبنى بصورة واسعة لتناقضه ورمز المحراب لوجود النبي صلى الله عليه و سلم في المسجد[4]. وقد عززت رمزية المحراب بالقبة التي توجد أمامه، التي كانت في المسجد النبوي الشريف الشريف من خشب ومنه وجدت أكبر أو أصغر أبسط وأعقد في تخطيطها من خشب آجر أو حجر و صارت تزخرف بغزارة، فزادت رمزية المحراب بموقعها في الرواق الأوسط[5]. والراجح أيضا أن المحراب حتّى بما يحمله من العناصر الزخرفية ليست إلاّ أعمال فنية ولا تحمل أي إشارات رمزية، وعلى العكس من الآراء السابقة فآيات القرآن والأحاديث تملك إشارات دينية واضحة ومباشرة والغير رمزية، لأن هذا لا يتماشى والدين الإسلامي، كما أن وجود محراب في العمارة الإسلامية ليس له أي علاقة مع الأشكال المشابهة السابقة ولا حتّى مع رمزيتها، ففي النهاية العناصر المعمارية تشكل إرث إنساني قابل للتأقلم مع الهدف الإنشائي المعماري عموما[6].

3. تطور المحراب في العمارة الإسلامية:عرف عنصر المحراب منذ ظهوره الأول في العمارة الإسلامية تطورا من حيث شكله العام وتخطيطه وزخرفته ومن حيث المواد المستعملة في إنشائه بل حتّى أبعاده، و هو الأمر الذي أفضى في النهاية إلى وجود أنواع و طرز متعددة للمحاريب. ومن ناحية التخطيط الهندسي للمحراب يمكن القول أنه قد انطلق عن ما يعرف بالمحراب الأصيل أو **الكلاسيكي المجوف** والمبتكر في المسجد النبوي، حيث المحراب يتكون أساسا من قبّة نصفية تمتد حتّى الأرض

[1]- Burckhardt (T), Op.cit, p 135.

[2]- Burckhardt (T), Op.cit, p 135.

[3]- عبد الحميد سعد زغلول، المرجع السابق، ص 257.

[4]- Papadopoulo (A), L'islam et l' art ..., Op-cit, p 230.

[5]- IBID, p 232.

[6]- Wafi (A.M); Op-cit, P 75.

عبر نصف الأسطوانة، وعقد المحراب أو الفتحة عادة هو نصف دائري وأحيانا منكسر قليلا أو متجاوز، والأعمدة المدمجة التي يرتكز عليها القوس، هذا النموذج الذي نجده في المشرق الإسلامي، حيث أن شكل الكوة لم يتغير في هذه البلدان، ومنها انتقل إلى مناطق أخرى، فاستعمل أيضا في تركيا في أوقات مبكرة، وفي المغرب حيث اختفت المساجد الأولى، من المحتمل أن تكون محاريبها قد خضعت أيضا لهذا الطراز، أي بكوة كلاسيكية، لأن المحاريب الأندلسيةالمغربية المتأخرة وإن أتت مجوفة الى أنها حملت تطورات أخرى ظهرت مع إنشاء محراب قرطبة، واستمر هذا المظهر الذي حمله المحراب أقل أو أكثر ارتفاعا أو عرضا أو تزيينا استمر لمدة قرنين أو ثلاثة قرون على الأقل انطلاقا من ظهوره الأول[1].

وبالنسبة **لهذه المحاريب المجوفة** حيث أقدم نموذج لها هو ذلك الموجود في الضلع الجنوبي للمثمن الخارجي لقبّة الصخرة، كان بناؤها في **الأول** بسيطا، ثم تطّور التجويف مع تطور بناء المساجد في الفترات الإسلامية اللاحقة فازداد عمق الحنية ذات المسقط الدائري أو المستطيل[2]، الشبيهة بالطيقان المجوفة الصماء، تغور في الحائط ابتداء من الأرض وترتفع فوق القامة قليلا، وتتنوع هذه المحاريب المجوفة بين **الأول**الذي مسقطه نصف دائري ومقطعه الشاقولي عقد، قد يكون منكسر، حدوي، كامل أو متجاوز...إلى ما هنالك من عقود، وتعلوه قبيبة نصف دائرية أو قبو طولي قليل العمق، يأخذ شكل نصف أسطوانة مقوس المقطع، **والثاني** الذي مسقطه مستطيل يشكل عرضه عمق الجدار ويأخذ شكل متوازي المستطيلات، ويغور في الجدار كالأول وتعلوه أيضا نصف قبيبة، أما **الثالث** فهو كالسابق لكن دون قبة نصفية، كما أنه يدمج داخل مستطيل آخر أكبر عرضا وارتفاعا، و**الرابع** هو الذي يعد تطورا للنوع الثالث، حيث يتداخل محرابان أو أكثر وتحيط الأقواس المختلفة بالأطر المستطيلة، كما أن المحاريب قد تعلوا و تتسع وتعمق لتشابه مداخل كبيرة وتقارب مساحتها مقاسات الغرفة كما هو في قرطبة[3].

وظهر **المحراب المسطح** الغير مجوف، الذي هو عبارة عن لوحة مسطحة مستطيلة حفر عليها شكل المحراب المحاط بإطار زخرفي وآيات قرآنية، وأقدم المحاريب المسطحة هو الموجود في المغارة تحت قبة الصخرة بالمسجد الأقصى كما نجد نماذج في جامع ابن طولون وهي الظاهرة الشائعة خلال العصرين الفاطمي والمملوكي[4]، استعملت خاصة في الأضرحة وكذلك في بعض المساجد ممثلة للمحاريب المجوفة حيث تأخذ في الغالب شكل الحنية المجوفة ولكن رسما بالألوان على الخزف أو بالحفر على الحجر أو تنزيلا على الرخام أو نقشا على الخشب[5].

هذا النوع من المحاريب **أحاديةالحجر monolithes** يصنع بانفصال عن المسجد ثم يوضع به، قد يتخذ من الحجر ومن الرخام في الفترات الأولى، ورغم أن هذه المحاريب مسطحة إلى أنّها تظهر جميعا شكل الكوة المحفورة أو منقوشة كمؤشر أن المحراب مهما كان نوعه يجب أن يحمل التعبير عن الكوة، وهناك محاريب صنعت على انفصال لدواع تختلف بين أن صانعها يكون مؤهل أكثر من المكلف ببناء الجدار أو لأنها بمواد ثمينة فنجد محاريب من خشب، والآجر في إيران وآسيا الوسطى والجص المنقوش، وهي متحركة ممّا يعزّز نظرية أنّها لم تصنع لتحديد اتّجاه القبلة[6].

ومن بين المظاهر التي رافقت تطور المحراب في الإسلام هي ظاهرة **تعدد المحاريب،** فبعدما كان المحراب واحد في الفترات الإسلامية الأولى، اختلف الأمر مع ظهور المذاهب الأربعة الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، حيث يذكر ابن فضل العمري عن المسجد الأموي فقال "**...قد عقدت على المحراب الكبير الذي به خطيب الجامع وعامة الناس وفي شرقي المقصورة المحراب المعروف بمحراب الصحابة وهو محراب المسلمين الأول وبه تصلي المالكية الآن ... من الغرب محراب تصلي به**

---

[1]- Papadopoulo (A), Typologie des Mihrab, le mihrab dans l'architecteur et la religion musulmanes, Op.cit, p 20.

[2]- جودي محمد حسين، العمارة العربية الإسلامية، إبتكاراتها و جمالياتها، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، 1419هـ/ 1998م، ص 76.

[3]- غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 351.

[4]- جودي محمد حسين، المرجع السابق، ص 76.

[5]- غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 351.

[6]- Papadopoulo (A), Typologie des Mihrab, Op.cit, p 21, 22.

الحنابلة و لكل من هذه المحاريب الثلاثة إمام و مؤذن و قد وقف على كل محراب منها وقف ومدرّس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة، كل طائفة في محرابها[1]"، وتعددت المحاريب أيضا بالمسجد النبوي الشريف[2].

ومن أمثلة هذا أيضا ما نجده في جامع ابن طولون، حيث تصطف خمسة محاريب يتوسطها المحراب الرئيسي وهو الوحيد المجوف، وبلغت ثلاثة عشر محرابا بالأزهر، وهناك من يرى أن هذه الظاهرة التي وجدت من قبل في المسجد الأموي بدمشق كان الغرض منها هو تعدد المذاهب، الأمر الذي أكده أبن كثير في حديثه عن عمل المحاريب الأربعة لهذا المسجد، بينما هناك رأي آخر يعتقد أن هذه المحاريب التي عادة ما تضاف خلال عمليات الترميم والتجديد كان الغرض منها تذكاري أي أنها تقوم مقام اللوح التذكاري خاصة وأنها تأتي مسطحة[3].

كما صاحب تطور المحاريب ظاهرة معمارية جديدة منذ العهود الإسلامية المبكرة حيث تعمل زاوية غائرة في جانبي المحراب بغرض وضع العمود فيها والتي تسمى **بالنواصي المخلقة** و تعد من أهم المبتكرات و الظواهر التي تتصل بالمحاريب الإسلامية على غرار ما نجده في محراب قبة الصخرة بالجدار الجنوبي والمسجد الأموي...والتي نضجت في سامراء حيث صارت تحف بالمحراب عديد النواصي المخلقة في جامعي أبي دلف وسامراء الكبير.

ومن حيث **المواد الإنشائية**، فنجد محاريب حجرية وخشبية متنقلة مثل محراب الخليفة الآمر بجامع الأزهر والمحراب الخشبي في مشهد السيدة نفيسة، وهناك محاريب جصية في العصر الفاطمي فنرى مثال لها في جامع الأزهر، كما نجد الرخام المستعمل أيضا في التكسية[4]، وانطلاقا من القرنين 13 و14م في إيران أستعمل الخزف الأزرق الصلب والغير مقولب مقولب مما حول شكل المحراب، الذي أصبح تدريجيا قائم الزوايا مستطيل المقطع لأجل تسهيل التكسية بالمربعات الخزفية، بينما التقبيب الأصلي للتجويف قد أعيد تشكيله تقريبا سواء بمنحنيات مثلثة أو بالنوازل أو ما يعرف بالمقرنسات[5]، حيث تعد من التقاليد الإيرانية فأصبحت المحاريب ذات العرض أكبر من العمق والمقرنسات تخصص إيراني أين نجد أجمل الأمثلة لها، وتتميز أيضا بمقاساتها الضخمة وتكرير اسم الجلالة و محمد صلى الله عليه و سلم عديد المرات[6].

كما يعد محراب **جامع قرطبة** و ما تبعه من **محاريب مغربية** بروزا لنوع جديد من المحاريب، وإن كان محراب القيروان قد خضع للتقاليد الكلاسيكية السابقة الذكر، فقد أحدث نظيره في قرطبة انقطاع في الشكل وثورة في المفهوم لا تخفى عن العين، فحولت نصف الأسطوانة واستمر القوس النصف الدائري للكوة العادية في قوس بحدوة الفرس معلى[7] وإلى هذه المجموعة تنتمي المحاريب بالجزائر في الفترات الإسلامية السابقة قبل العهد العثماني.

---

[1]- العمري إبن فضل شهاب الدين، مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، نقلا عن الوالي طه، المرجع السابق، ص 232.

[2]- الوالي طه، المرجع السابق، ص 232، 233، و للمزيد حول محاريب المسجد النبوي بدمشق أنظر، الطنطاوي علي، الجامع الأموي في دمشق، وصف و تأريخ بقلم علي الطنطاوي، دار المنارة للنشر و التوزيع، جدّة، 1410هـ/ 1990م، ص 27. 55، 56.

[3]- ماهر سعاد، مساجد مصر و أولياؤها الصالحون، ج 1، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة،1971، ص 149، 222.

[4]- صالح لمعي، التراث المعماري الإسلامي في مصر، جامعة بيروت العربية، بيروت، 1975، ص 56.

[5]- الأصح عن معاجم اللغة العربية هو مقرنسات عن مقرنصات، و التي قد تسمى بأسماء عدّة كالقمع الركني أو الحنية الركنية أو الدلايات و أيضا الخواصر المنشورية أو خلية النحل أو متوازيات السطوح المنسدلة، و التي تتضارب الآراء حول أصولها المعمارية التي غالبا ما تعزى إلى الحنايا الركنية في مناطق الانتقال أسفل القبة، و قد إختلفت الآراء...أنظر الرزقي شرقي، مراجعة مفاهيم و آراء حول المقرنسات الإسلامية، مجلة دراسات تراثية، العدد 2، دار الملكية للطباعة و النشر و التوزيع و الإعلام، الجزائر، 2008، ص 110، 113، 114، و تعد المقرنسات من جهة أخرى العنصر الزخرفي الأكثر تميزا في الزخرفة الإسلامية المنفذة على أعضاء هندسية من تيجان و أقواص و أفاريز...، يأخذ مظهر التحجرات الكلسية في المغارات، و المقرنس الأكثر بساطة مكون من سبعة عناصر منشورية، و التي تجمع في هيأة تركيبة من مستطيل و مثلثان أحدهما قائم الزوايا و الآخر متساوي الضلعين كل منهما على جانب، أنظر: Martin (H), L' art musulman, Librairie d' art, Paris, p 16, 17, 18.

[6]- Papadopoulo(A), Typologie des Mihrab, Op.cit, p 22, 23.

[7]- Papadopoulo(A), Typologie des Mihrab, Op.cit, p 34.

خاتمة:

باختصار وانطلاقا مما تقدم خلال هذا البحث فإننا نخلص إلى أن المحراب كعنصر معماري وإن كان لم يتخذ شكله المتعارف عليه لاحقا في المساجد الأولى الى أن وجوده كفكرة عملية كان منذ عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم- فمهما كانت الإشارة أو الشكل الذي اتخذته هذه الفكرة فإنها دائما كانت تهدف إلى تحقيق متطلبات خاصة بممارسة المسلمين لفريضة الصلاة وأول تلك المتطلبات آنذاك هي تحديد اتجاه القبلة أو بالأحرى جدار القبلة، بينما لا يمكن على ما يبدو أن يكون أي رأي كان حاسما فيما يخص الحديث عن الشكل الذي سيتخذه المحراب لاحقا على اثر أعمال عمر ابن عبد العزيز على المسجد النبوي الشريف، وبالتحديد الشكل المجوف أو شكل الكوة، لكن الأرجح أن هذا الشكل قد جاء كالعادة لتحقيق متطلبات جديدة طرأت على المجتمعات المسلمة ومنها زيادة عدد المسلمين وكثرة أعداد المصلين والحاجة إلى توفير أكبر مساحة في الصفوف الأولى بالإضافة إلى الأمور المتعلقة بانتشار الصوت.

وعلى غرار العمارة الإسلامية عامة والدينية خاصة واصل المحراب منذ ظهوره التطور على جميع الأصعدة: من حيث شكله المعماري حيث تختلف أشكال العقود عند الفتحات كما تختلف مساقط تجويف المحراب بين تلك المقوسة والمضلعة، أو من حيث المواد الإنشائية المستعملة حيث نجد محارب حجرية وخشبية ورخامية، وخاصة من الناحية الزخرفية التزيينية، حيث كان المحراب بمثابة المركز الذي تجعل فيه أكثر وأهم وأجمل الأعمال الزخرفية التي نجدها في المسجد، ولم يكن هذا التطور مرتبطا بالفترات الزمنية والسياسية والمذهبية فقط، بل كان اكثر ارتباطا بالأقاليم الجغرافية حيث كان لكل منطقة تقريبا من العالم الإسلامي أسلوبها الخاص في إنشاء وتزيين المحاريب، فتحول المحراب الى مرجع هام للتعرف على مختلف الطرز والتأثيرات الفنية، ولا عجب في أنه أصبح واحدا من أهم رموز العمارة الإسلامية وأكثرها تعبيرا عنها.



صورة رقم(1): المحراب المسطح أسفل قبة الصخرة صورة رقم (2): محراب الجامع الكبير بالقيروان



صورة رقم (3): محراب جامع قرطبة صورة رقم (4): محراب الجامع الكبير بتلمسان

المضمر في رواية "زهور الأزمنة المتوحشة" لجيلالي خلاص ــ قراءة ثقافية ــ

أ.عقيلة شنيقل

جامعة باجي مختار. عنابة

الملخص: إنّ الاعتماد على النقد الثقافي في مقاربة النصوص الأدبية، يفصح للقارئ عن جملة الأنساق والبنيات التي تتفاعل في البناء العام لأحداث النص، فلاحظنا التداخل والتبادل والتقاطع بين رواية " زهور الأزمنة المتوحشة " كنصٍ أدبيٍ وبين المعارف والأنساق المجاورة كالأنساق السياسية و الفلسفية والتاريخية والاجتماعية وهذا يكشف عن مدى نجاعة هذا النشاط في التحليل والتمحيص عن التمثلات الثقافية المختفية.

Summary:

The reliance on cultural criticism in the approach to literary texts ،disclose to the reader all interconnected series that interact in the overall composition of th events of the text group، we noticed overlap and exchange the intersectionbetween the novel "flowers savage times"as text literary and between knowledge and nearby formats for example ،the political formats and philosophical and historicaland social this reveals the extent of the efficacy this activity in the analysis and scrutiny of cultural representations disappearing.

تمهيد: شقّت الدراسة الثقافية طريقها في خضم الزخم المعرفي الكبير الذي شهده الساحة الأدبية، فاكتسحت مجالاته المختلفة بطرحٍ جديدٍ تجاوزت فيه حيثيات الدراسات الجمالية، ساعيةً من ورائها إلى تدشين عصرٍ جديدٍ يعظّم من قيمة الثقافي، فانتعشت الفكرة وحظيت بمقعد الشرف في الدراسات المعاصرة، وهذا للدور المشرق الذي تؤديه في الساحة النقدية، الأمر الذي ولّد جملة من المفاهيم التي سيطرت بدورها على العمل النقدي وعزّزت من سلطة الثقافي تحت جملة من الشعارات المروّجة لهذا التوجه منها على سبيل المثال: اندثار الجمالي وبروز الثقافي، من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي... شكّلت هذه الفرضيات مفهوم النقد الثقافي، المبحث الذي يسعى إلى التفتيش والتنقيب عن جملة الأنساق الثقافية المختفية تحت عباءة الجمالي، باعتبار أنّ النص الأدبي يزخر بتمثلات وأبعاد ثقافية، يحاول المبدع تمريرها باستعمال قوالب جمالية حيّلاً لتمرير تطلعات مجتمع معين بقصد أو من دون قصد، ولأنّ النقلة من قطب الجمالي / الأدبي / النقدي إلى قطب آخر يدعى الثقافي ليس بالمهمة السهلة، فلا بدّ من وجود سوابق نقدية تمهّد الطريق لبروز نقد من هذا النوع ، وكيفية التحوّل من طرحٍ إلى آخر، وهذا ما عرفه مسار النقد الثقافي، فقد استفاد من منابع فلسفية وسوابق نقدية كثيرة،

ساعدت على ولادة هذا النشاط كحقلٍ معرفيٍ جديدٍ يرسم معلمًا جديدًا في خريطة النقد، يوحي بتشكل وعي جديد في الثقافة الإنسانية بصفةٍ عامة، مستعملًا جملة من الفرضيات والوسائل في نقلته، سنحاول توظيفها في دراسة رواية " زهور الأزمنة المتوحشة" لجيلالي خلاص، نظرا لقلّة الدراسات التي تناولت كتاباته في مقابل ثراء وغزارة تجربته الإبداعية، وسمناها ب:" **المضمر نسقية في رواية زهور الأزمنة المتوحشة(1) لجيلالي خلاص ـ قراءة ثقافية ـ"**

يعدّ النقد الثقافي آليّةً جديدةً في دراسة النصوص الأدبية، تسعى إلى الكشف عن القبحيات التي غفل عنها النقد الأدبي عندما ركّز على الجماليات وساهم في تشكل بعض الأنساق في النصوص الأدبية وتناميها، فالتعامل ، يعني " النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثمّ هو أحد علوم اللّغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق، المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكلّ تجلياته وأنماطه وصيغه، ماهو غير رسمي وغير مؤسساتي وماهو كذلك سواء بسواء...وهو لذا معني بكشف لا الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي، وإنّما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/ الجمالي" (2) فالتعامل مع النص الأدبي من منظور ثقافي يعني أننّا " لم نعد معنيين بما هو في الوعي اللّغوي، وإنّما نحن معنيون بالمضمرات النسقية، وهي مضمرات لاتعين المصطلحات البلاغية على كشفها أو التركيز عليها، وهذا مايدفع بنا إلى إجراء تعديلات توسّع من قدرة المصطلح على العمل، ولاتحرمنا من الخبرة الاصطلاحية المدربة"(3)، فكان المبدع يتفنّن في تمريرها باسم الجمالية والأدبية، الأمر الذي ساعدها على الاختفاء والترسّخ أكثر، السؤال الذي يطرح نفسه: هل حضور الجمالية في النصوص الأدبية بريئ أم أنّها حيّل لتمرير شيئ معين؟ ماذا يحمل النص الأدبي إضافة إلى الأدبية؟ هذه الأسئلة وأخرى سنحاول معالجتها في هذا الموضوع.

زهور الأزمنة المتوحشة و حوارية الأنساق الثقافية: جيلالي خلاص روائيٌ وقاصٌ جزائريٌ حاول أن يكتب اسمه ضمن معجم الروائيين الجزائرين المعاصرين الذين حملوا انشغالات وهموم المواطن وعرضها وتشخيصها، محاولًا استيعاب قضاياهم وطرحها للقارئ، فأسهم في إثراء عالم الرواية بجملة من الأعمال: رائحة الكلب، حمائم الشفق، شذو البلابل... و زهور الأزمنة المتوحشة الفن النثري الذي عزفت أحداثه على وتر واقعي خالص، ورسم مناخ و واقع جزائري خالص، راح الروائي يغرف منه موضوعةً لبناء روايته، أفصح من خلالها عن أنظمة ثقافية مضمرة عبّرت عن التحولات الناهضة في الجزائر، فترجم الروائي الروابط والعلاقات الكثيرة التي تعانقت مع الرواية، كالإيديولوجيا و التاريخ و السياسة والاقتصاد والأنثربولوجيا و علم الاجتماع وعلم النفس، وغيرها من المعارف والعلوم التي تكاثفت وتضامنت في بناء الرواية، وهذه التمثلات هي موضوع النقد الثقافي الذي دعا وكافح من أجل دراستها بتوجيه النظر من الأدبي إلى الثقافي المضمر، كون " مشروع النقد الثقافي هو ما يتوسل به...لنقد مافي الأدب من أشياء غير الأدبية، ولهذا فالتساؤل عمّا إذا كان في الأدب شيء آخر غير الأدبية تساوي تساؤلاً مركزيًا سيظل يحتل الجوهر الفاعل في مشروعه، أي أنّه قرر تجاوز نقد البعد الجمالي في النصوص الأدبية إلى بعد آخر ثقافي أو تجاوز النقد الأدبي إلى نقد ثقافي"(4) . جسّدت رواية " زهور الأزمنة المتوحشة " معاني التداخل وعوالم الالتقاء بين مختلف الخطابات والحقول المعرفية، كالخطاب السياسي والاجتماعي والثقافي والحضاري ، والأنظمة المصورة لثقافة الجزائر في تلك الفترة، وهذا التماهي والذوبان الذي يحدث بين الرواية وصاحبها وبين الواقع والظروف المحيطة ليس اعتباطيًا وإنّما هو تجسّيد خطّي لالتزام المبدع بقضايا بيئته والتعبير عنها، فأصبح الأديب الناطق بلسانه المعبر بقلمه على مختلف الأنساق الاجتماعية و الثقافية والسياسية، فنادرًا ما نعثر على عمل أدبي (رواية، شعر، قصة، مسرحية...) خالٍ من أنساق إيديولوجية وإلا صار نصًّا أخرسَ لا معنى له إن جُرِدَ من هذه البنيات الفكرية، والأمر نفسه مع النقاد الذين يثمنون ضرورة الالتزام بقضية مجتمعاتهم و لزوم التماهي و الذوبان مع انشغالاتهم "فقد حان الحين كي يلتزم الأدباء و الفنانون بمعارك شعوبهم وقضايا عصرهم ومصير الإنسانية، ولم يعد الأدب أو الفن مجرد هروب من الواقع بقدر ما يكون الأديب وعاء لمشكلات عصره، يستقي مصادره منها ، ذلك أنّ المنهج الإيديولوجي يطالب بعضوية الفنان و الأديب في مجتمعه بصورة فاعلة"(5)، فراح الأدباء يغرفون من الواقع المعيش وما يتناسب مع

توجهاتهم الإيديولوجية و يأخذونها كتيمات وموضوعات لأثارهم الأدبية، والروائي جيلالي خلاص من الروائيين الذين اهتموا بالقضايا الفكرية الثقافية والتاريخية لبيئتهم، لذلك توسّلنا بالنقد الثقافي المنهج الحداثي الذي ألحّ على ضرورة الأخذ بالمعارف والعلوم المجاورة.

- **بنية العنوان وتمثلات الخصوصية الثقافية:** تندرج دراسة العنوان ضمن رؤية معاصرة، عظّمت من حضوره وزادت من قيمته، فاعتبرته البوابة الأولية التي يطلّ منها القارئ على عالم النص، فهو الشفرة الأولى التي ينطلق منها الباحث لفكّ استغلاقات النص من اجل الوصول إلى معناه، فصار "يحتل موقعا استراتيجيًا خاصًا، ويشرف منه على النص، يحرص ويضمن وحدته، وعدم تفكّكه وذوبانه في نصوص أخرى، أو كالراية التي تعلو إحدى المؤسسات الرسمية وهو أول عبارة مطبوعة وبارزة من الكتاب "(6)، ومن هنا زاد الاهتمام به والرفع من قيمته والابتداء به عند أي دراسة، ف"زهور الأزمنة المتوحشة" أول جملة تقرأ وآخر جملة تبقى بعد القراءة، وهو تركيب يحيل على أحداث وقضايا وتاريخ بيئة ما، لمَا " تتمتع به اللّغة الروائية...من قدرة على إنتاج الدلالات والمعاني المخبوءة فيما وراء الأبنية السطحية الخارجية لها"(7)، فيعدّ بنية لغوية مختزلة يحمل دلالات ومعانٍ مكثفة، يستودع فيه الروائي ويختصر الأحداث الروائية، ف" الأزمنة المتوحشة" تركيب إسنادي يوحي للقارئ – مبدئيًا - على فترة زمنية خلَت، تميّزت بالعنف والضبابية والفساد والقتل والموت، يشعر القارئ أنّ ثمة زمن سوداويًا قاسيًا مريرًا مرّت به الجزائر، ففي العنوان إحالة إلى وضعٍ استعماري عانى من ويلاته الشعب الجزائري نتجت عنه آثار وخيمة ماديا ومعنويًا، ربّما تمخضت عن مرارته حياة سعيدة كشف عنها العنوان في تركيبته اللّغوية، وهو الأمر الذي نعثر على ملامحه في الرواية، عندما أخذ جيلالي خلاص من فترة ثلاثينيات القرن الماضي وانتعاش الحركة الوطنية الجزائرية وميلاد حزب الشعب الجزائري حافزًا أو محطةً حساسةً أسهمت في تشكّل وهندسة معالم الواقع الحالي، والعودة لهذه الفترة ليس من باب التغني بها بقدر ما هي وقفة مع الذات من جهة و الإفصاح عن محطات تاريخية لا يمكن تجاهل دورها في بناء النظام الحياتي المعاصر على جميع مستوياته.

1 ـ النسق السياسي والاجتماعي:

-**سلطة اللّغة العربية الفصحى/ اللّهجة العامية:** ممّا هو متعارف عليه أنّ لكلّ شخص معجمه اللّغوي الخاص، وهذا ما يحرص عليه الروائي عادةً، فيعطي لكلّ شخصية ملفوظها وكلماتها ، استنادا لعدّة اعتبارات، منها مايتعلق بالعوامل الثقافية الفكرية أو الاجتماعية ...، وهذا ما عمل به الروائي جيلالي خلاص في زهور الأزمنة المتوحشة، عندما مزج بين اللغّة العربية الفصحى واللّهجة العامية في نظام الرواية اللّغوي، والمسألة ليس بهذه البساطة وإنّما كلّ توجه يكشف عن البنية الفكرية والمستوى الثقافي لصاحبه، وهذا " يبين لنا أنّ المخيلة السردية في هذا الخطاب مخيلة دلالية ثرية بالمعاني ومعاني المعاني المخبوءة فيما وراء المظهر اللّغوي الخارجي للنص الروائي"(8) ، من هنا تنتج لنا جملة من التقاطبات والثنائيات:

- **اتجاه اللّغة لعربية الفصحى :** وتمثله شخصية عبد الله نظرا لمستواه الثقافي (الدراسي)، "ولكنّك قلت أنّ النصارى لا يدخلون مكة...كان عبد الله أصغر أبناء الحاج قويدر بن سوكة قد تكلّم بالفصحى، ولا غرو في ذلك فهو خريج زاوية سيدي بوعبد الله عقاب الواد..."(9)، بل الأمر يصبح أحيانا عادة، فعبد الله يتكلم العربية الفصحى من دون قصد، " لذلك كان غالبا ما يتكلّم بالفصحى، لم يكن هذا تملقًا ولا تعجرفا، وإنما كانت عادة أخذها من معلمه الذي كان يجله ويحبه..) (10).

-**اتجاه اللّهجة العامية:** وتمثله بقية إخوته، يوحي بتدني المستوى الدراسي، محاولة محاكاة، الشعور بالنقص لدرجة أنّهم يسعون لتقليده، وهذا ما تبينه جزئية الحوار الآتي:

" عبد القادر: مافهمت والو، كلّي الشيخ اتبدّل فالحج.

أحمد: واش تفهم، اللّي قالوا الشيخ تبعو.

محمد: أنا انشّد في عبد الله كاش مايفهمني....كانوا يعرفون أنّ الشيخ لن يزيدهم شيئا، وأنّ مرجعهم الوحيد الآن هو عبد اللّه مثقف العائلة وبطلها في الأيام الصعبة" (11)، ليصير الحديث بالفصحى رغبة في إثبات الذات ورفع المستوى، مثل ما وقع مع حمو وعبد القادر حيث" كادا أن يكملا دراستهما يفضلان طرح أسئلتهما باللّغة الفصحى حتّى يثبتا أنهما ليسا أقل مستوى منه" (12). وهذا التداخل اللّغوي داخل الرواية، يوحي ضمنيًا بالواقع والتجربة المريرة التي عاشتها الجزائر من ويلات الاستعمار الفرنسي، فحاول جيلالي خلاص رصد مظاهر هذا التداخل الموجود في الواقع الحالي ونقله على لسان شخصياته، ولكلّ اتجاه رؤية وحجة فيما يزعم، إذ "يفيء أنصار اللّغة العربيّة الفصحى في دعوتهم إلى التخاطب باللّغة الفصحى إلى مرجع ثقافي يتمثل في تفضيلها من حيث إنّها لغة المقدسات ولغة التراث، وهي اللّغة الجامعة للأمة" (13)، فوجدوا في اللّغة العربيّة الفصحى أساس النجاح، خاصّة وأنّها روح الأمة وعنوان هويتها، وحاملة مقدساتها (القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف)، "ودعوتهم هذه جاءت كردّ فعل على مخططات الاستعمار الفرنسي، واستراتيجياته المنحطة، الذي دعا إلى استعمال العاميّة بدل الفصحى، لأنّها حسب رأيهم لغة ميتة، في حين الفصحى لغة حيّة قادرة على مواجهة اللّغة الفرنسيّة بخلاف اللّهجة العاميّة التي لا تملك تراث غنيًا ومكتوبًا"(14)، وهذا ما اكتسبه الحاج قويدر بعدما أدى مناسك الحج "وفجأة تفطن الحاج قويدر إلى أنّ أبناءه الآخرين يكادون ألاّ يفهموا حديثه بالفصحى مع عبد الله" (15)، فاستعمال اللّغة الفصحى هنا يوحي بالمستوى الرفيع والثقافة الكبيرة التي يتميز بها عبد الله ووالده، فيصبح ممثلو هذا الاتجاه المتكلم والمعبر عن طبقة اجتماعية بكاملها ، هي الطبقة المثقفة، والتي تسند لها المهمة الكبرى في الدفاع عن الوطن وهذا ما حدث مع عبد الله، هذا من جانب ويصير أيضا رمزًا للشهامة والمروءة وقدوة للجميع في المجتمع، فتختلف نظرة الكل اتجاهه. أمّا الاتجاه الثاني فقد "سادت الدعوة إلى العاميّة، وانحسرت بعد جدالٍ طويلٍ، ويعود أصل دعوتهم إلى مقولات، حول تفضيل لغة التداول والمشافهة"(16)، فاللّغة العاميّة أساس التواصل الناجح، وأيضا هي الشفرة الكاشفة عن مستوى المتكلم بها، ومن هنا نسقط الهدف البريء الذي يزعمه البعض من هذا التداخل، كون هذا التعدّد يفصح عن اللّغة الشعبية في الأحياء الجزائرية، وهذا الاستعمال اللّغوي يجسّد صورة الجزائري البسيط، الفرد الأمّي، وما إخوة عبد الله إلا نموذجًا حيًّا عن طبقة الشعبي الجزائري البسيط، وهي اللّهجة التي يشترك فيها أهل الحي، تدل على البساطة، وتدني المستوى الثقافي، وممثلي هذا الاتجاه يعيشون نوع من الغيرة والتحدّي، فيحاولون محاكاة المتكلمين باللّغة الفصحى وهذا ماحدث عندما أراد إخوة عبد الله إظهار فصاحتهم وتقليدهم له.

تعدّ اللّغة مظهرًا من مظاهر الثقافة، فهي نسق ثقافي يرصد الإيديولوجيات في كلمات معينة، فالمتتبع لسيرورة السرد، يستطيع تمييز أبعاد الشخصيات الثقافية، فتشحن اللّغة وتصير وعاء يحتضن أبعاد ابستيمولوجية، تساعد القارئ في فك طلاسم النص.

-**جدلية الأنا / الآخر/ سؤال الهوية**:يعتبر مصطلح **"الهوية"** من أكثر المصطلحات المعاصرة، التي حظيت باهتمامٍ كبيرٍ من قبل الباحثين، وهذا لطبيعة المصطلح ومدى اقترانه بجوانب الحياة ومجالاتها المتعدّدة، حيث لقيّ استقبالًا كبيرًا، ومُنِح مفاهيم متعدّدة تعدّد المناهج والمدارس، الكلّ بحسب مرجعيته وإيديولوجيته" إنّ كل محاولة لإعطاء تعريف واضح ونهائي للهوية، بحيث يرضي النفسانيين والاجتماعيين والأنثربولوجيين ستظل بدون جدوى"(17)، فصار من أكثر المصطلحات التي تغري بالبحث والتقصي، وقد اجتمعت المفاهيم المقدمة بأنّها "الذات في الموقف الثقافي الاجتماعي، وهي كذلك امتداد في الزمن يجمع كلّ الخبرات التي عاشها الفرد في منحى العمر الزمني والعقلي والوجداني عندما تتحول لآليّات وديناميات للذات"(18)، بمعنى هي صورة الفرد في ثقافة ما وجملة المعارف والخبرات التي اكتسبها عبر الزمن، فتشكّل في الأخير وجوده الذي يميزه عن غيره، يبقى ملف الهوية يحاول التفتيش والتنقيب عن جملة من الثنائيات: الأصل/المقام، الجزائر/فرنسا، الأنا/الآخر، اللّغة العربية/الفرنسية ،وكلّها ثنائيات تقودنا في الأخير إلى تشكّيل وعي وفكر جزائري وزرع ثقافة جزائرية خالصة.نلمح في الرواية نوعًا من الصراع بين جملة من التوجهات تصب جميعها في ثنائية الأنا والآخر.

بداية نلمح الصراع بين حزبين شهيرين، وإن كان الهدف واحدًا فإنّ المبادئ تختلف، " كانت آخر وصية تركها لابنه عبد الله هي: إن حدث وأن توفيت في الحج أوصيك أن تنخرط وإخوتك في حزب الشعب، إياكم والأحزاب والجمعيات الأخرى، إنّها فاشلة ولاتذكر شيئا عن استقلال الجزائر واستعادتها لسيادتها الوطنية كاملة غير منقوصة، إنّ أغلب مناضلي تلك الأحزاب اندماجيون ويطالبون بمساواة العربي مع الرومي لاغير"(19) ، وفي المقطع إفصاح وتعرية لطبيعة الأحزاب والتنظيمات الجزائرية إبان الثورة التحريرية وإن كانت كلّها تسعى لأخذ الاستقلال إلا أنّ الوسائل والمبادئ تختلف، وهو توضيح لإيديولوجية بطل الرواية" الحاج قويدر بن سوكة" الذي يرى أنّه لا ضرورة للسير ومنهج الأحزاب الأخرى كونها تفرض المساواة بين الجزائري العربي المسلم والآخر الفرنسي الأوربي غير المسلم، وهنا يلّح على ضرورة التمسك بالوطن والهوية الجزائرية والسبيل لهذا هو الانضمام لحزب الشعب، وهو دليل على الرغبة في التنصل من كلّ ماله علاقة بالآخر، والتمسك والتشبث بمقومات الشعب الجزائري ولا جدوى من الاندماج مع المحتّل. من المقاطع الروائية التي تبين جدلية الصراع بين الأنا والآخر، الصراع والحرب بين الحاج قدور بن سويكة والجنرال الفرنسي ريدان، والتنافس بينهما حول القطعة الأرضيّة، " عندما افتتح المزاد في شهر أكتوبر..المعمر ريدان سينافس الحاج قويدر بن سوكة بشأن أرض الخشاب...لم يدم المزاد طويلا، لقد كان الحاج قويدر بن سوكة يعرف أن المعمر سيرفع السعر إلى المستحيلات ولكنه أصرّ على مواصلة المزايدة إلى أن ينسحب المعمر من المزاد العلني منهزما، كانت القضية بالنسبة للحاج قويدر قضية نضال ووطنية أكثر منها مزايدة على أرض قد تنتج أقل بكثير من المال الذي دفع..."(20)، فالأرض من مقومات الهوية الوطنية وانتصار الحاج قويدر بن سوكة هو انتصار قومي ووطني أكثر منه مادي، كون الأرض هنا مظهرًا من مظاهر الهوية وفوز الحاج بن سويكة هو فوز الجزائر على المستعمر الفرنسي، وفي الحادثة تمجيد لملف الثورة التحريرية التي ماتزال الموضوع الذي يستقطب العديد من الروائيين.

- **مناسك الحج/الذاكرة الإسلامية:** للبعد الديني أثر واضح في بنية الأحداث، فاعتمد الروائي على فريضة الحج حدثًا أساسيًا، ساهم في حركية الأحداث وأضفى عليها بعداً إنسانياً بامتيّاز، فمن بعده صارت القلوب ليّنة وأكثر تعايشاَ، فانطفأت غطرسة وهمجية الحاج قويدر بن سوكة وصار متفهماً وحنوناً وراضيًا عن الجميع وهذا ما أحسّت به عائلته، " إنّ عودة الحاج قويدر بن سوكة من الحج تفتح بصيصًا من الأمل بالنسبة لعبد الله وأم الخير....ويراهن الآن على تغير أفكار الحاج قويدر نحو الرحمة والرأفة والرقة بعد ذلك السفر الطويل.... فضلا عن أنّ زيارة بيت الله تجعل الإنسان أكثر طاعة وأقل غطرسة و تشددًا..."(21)، وهنا كشف عن البعد الباطني الذي يكسبه الفرد بعد أداء فريضة الحج، فتغيرت شخصيته نحو الأحسن حتّى أنّه قَبِل بزواج ابنته من سليمان الحلاب وزواج أم الخير راعية الغنم من بطله و ابنه المثقف عبد الله، ضمن هذا النسق نلمس – أيضًا - الروائي قد ركّز على فكرة التعارف والتواصل بين الشعوب استنادا لقوله تعالى: {**يا أيّها الناس إنّا خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم قدير**} (22)، وهذا ما رسمه لنا في شخصية الحاج قويدر " كنت قد التقيت في الحج بناس من فلسطين يدعون " بن سوكة" فدعوني إلى بلاد " بني مسوك"، فرافقتهم بدون تردد، كانوا طيبيين كراما أو كرماء إن شئت"(23)، وفي ذكره للحج كشف للمنافع وترديد للخصال الروحية والاجتماعية لهذا الركن الإسلامي.

موروث الزردة/ الطقوس الدينية الشعبية: يتفاعل العمل الروائي مع التراث الشعبي عبر التناص والمناصصة، فلا يمكن لأي كان التنصّل من ثقافته والانفصال عنها لأنها روح الأمة وعنوان هويتها، ومنها تستمّد عناصرها ومقوماتها. وعليها تؤسّس كلّ الخطابات ومنها تصنع مادتها، لاسيما الخطاب الروائي الذي جعل من "التراث" وحيثياته مادته الخام وركّيزته الأساسية في بنيته الداخلية والخارجية في شكله وفي مضمونه، ف" "تسعى الخطابات العربية إلى الظهور بشكل فنّي مغاير للشكل الفنّي الذي يتميز به الخطاب الغربي، وهذا من خلال العودة إلى عادات الشعب وتقاليده وتراثه، وتوظيف التراث الإنساني"(24)، وهذا ما جسّده جيلالي خلاص في روايته زهور الأزمنة المتوحشة، فاستحضر بعض الطقوس الشعبية،

الزردة والذبح ومالهما من دلالات شعبية ودينية، فراح يسهب في وصف طقوس الاحتفاليات وتشريح لهذه المراسم، فيشعر القارئ وكأنّه يعيش تلك الحالة من كثرة واقعيتها وقربها من الحقيقة، "هاته الزردة الكبيرة التي أقامها الرجل ليومين متتاليين ثمّ ختمها بال" حضرة" الكبيرة مع الفقهاء و"الطلبة"...كانت في هذه اللّيلة قد بلغت أوجها بعد ثلاثة أيام من أكل الكسكس واللّحم المطهو في عشرات القدور الكبيرة والمسقى بالحمص وأنواع الخضر المختلفة من البطاطا إلى البصل والجزر..."(25)، ففي المقطع كشف لمظهر مادي من مظاهر التراث، لهو الأكلة الشعبية، وقد اهتمت الثقافات المختلفة –قديما وحديثا- بالطعام واعتبرته ميزة أساسية وفارقا مهما بين الأمم، فغذاء العربي يختلف عن غذاء الغربي والعكس، وفي استحضار الروائي للغذاء وفي حديثه عن الزردة وعي وقصد، فليس من باب الصدفة وإنّما هو نقل للثقافة والفكر الجزائري الذي يزخر بخصوصيات تشكّل هويته ووجوده، وفي السياق ذاته نستحضر عملية الذبح بعد عملية حفر البئر" أقام الحاج قويدر بمناسبة حفر البئر " زردة كبيرة" دعا إليها أصدقاءه وأعيان المنطقة ...لقد ذبح عشرين كبشا سمينا من قطيعه"(26)، وفي المشهد رسم لطقوس شعبية تربى عليها الذوق الجزائري وماتحمله من معانٍ دينية كالصدقة والتعاون والتضامن كونها تأخذ هالة روحانية للتقرب من الله والتكفير عن الخطايا، فصوّر هذا الفعل فكر البيئة الجزائرية الريفية من ناحية اجتماعية :كالتعاون والتآخي فيما بين أبناء القرية، وناحية دينية ترجمت طقوسه هذا الموروث فهو دليل على لمّ صّلة الرحم، والصدقة وتقديم هبة لشكر الله على نعمهم.

الأنساق الحضارية: المرأة: للمرأة حضور كبير في السرد الروائي، فتعدّ من الأبنية التي لاتخلو منها أية رواية، " و مهما يكن فموضوع المرأة في الواقع الإنساني و الاجتماعي بتكوينها الجسدي و الأعراف المحيطة بها، إضافة إلى الموروث الثقافي الذي تحمله، و تحمله الجماعة التي تعيش ضمن أفرادها, يجعل الاهتمام بتقصي تفاصيلها في النص, خاصّة و أنّ الرواية الجزائرية المعاصرة أولتها اهتماما كبيرا في ظلّ الظروف الصعبة التي مرّت بها البلاد, فكانت زوجة و أما و أختا و حبيبة, صورت علاقتها بالرجل, و موقفه منها, و موقف المجتمع منها و موقفها منه"(27).

غير أنّ لكلّ روائي نظرته، أي أنّ نظرة الروائيين تختلف حولها، هناك من يشحنها بدلالات إيجابية وهناك من يحمّلها دلالات سلبية تماشيًا وسياق الأحداث، ففي الرواية التي بين أيدينا نعثر على الملامح الريفية البدوية لجنس المرأة، استنادًا للزمن والمكان الذي وقعت فيهما الأحداث، فجيلالي خلاص اختار لروايته المرأة/البنت الريفية وصبغها بالدلالات التالية:

أمّية: لاتعرف القراءة والكتابة ويظهر هذا جليًا في صورة "أم الخير" راعية الغنم، "هو اللّي علمني كلمة قطف أوقال لي معناها انحي اللوش...آه اللوش ثاني ايسميه ازهر...هو اللّي علمني أن العود ايقولو بالقراية الحصان.."(28).

ريفية: فاختار لأم الخير أن تكون راعية غنم.

متخلفة: واضحة علامات الحياء والخجل الذي اتسمت به "أنا ما كنتش قادرة مالحشمة والحيا نعطيه له بالعكس، كان يسير حذاي ويقطف وينحي اللوش ويعطيها لي وايقولي انحبك..أنا وجهي يحمرّ...." (29).

وهذه الأوصاف والتمثلات أفصحت عن صورة المرأة الجزائرية الريفية الأمية، ف" تظهر المرأة وكأنّما كائن طبيعي مطلق الدلالة، وتام الوجود، من حيث الأصل، ولكنها تحولت بفعل الحضارة والتاريخ إلى كائن ثقافي"(30)، فصورة المرأة وطبيعتها ومستواها وتفكيرها توحي بنسقٍ ثقافيٍ يرسم للقارئ ويقدّم له صورة المرأة الجزائرية الريفية

وظف الروائي "المرأة" رمزًا أساسيًا في عملية الحكي، تحمل جملة من الدلالات كالجمال والحياء والقوة والرغبة في التغيير، كونها ناقمة على الوضع السائد ورافضة لفكرة الطبقية التي حالت دون تحقيق رغباتها، فدلّ وجودها وتمسكها بحبها على كسر النظام السائد ودعوة لتحطم العادات والتقاليد، ففاطمة تمقت الأعراف التي فرقتها عن سليمان، وأمّ الخير تأمل في الحصول على عبد الله رغم فارق المستوى الاجتماعي والثقافي هذا من جهة أولى، وجاءت المرأة حاملة لجملة من المقومات شكلاً ومضموناً، فاتسمت بالجمال والجذب والحياء.

الأنساق الفلسفية: الحب/البحث عن السعادة: الحب تيمة فلسفية شغلت المفكرين منذ القديم، فهو من الحالات العاطفية التي تبنى عليها شخصية الإنسان وبواسطته تنجح عملية التواصل وتتحقق الاستمرارية، ونظرا لهذه القيمة تهاطلت الأبحاث والدراسات حول المفهوم، بداية بالفلسفة اليونانية كأفلاطون الذي يرى أنّ الحب الروحي يهدف لخلود الروح، وصولا لعلم النفس وسيميائية الأهواء التي تسلطّ الضوء على العاطفة كالخوف والحب مثلاً.وللحس الرومنسي في "زهور الأزمنة المتوحشة" نصيب كبير، فترجم البعد العاطفي بمشاهد كثيرة، ساهمت في التنويع في خيط السرد التاريخي، وقد ارتبطت هذه المشاهد التصويرية بشخصية، فاطمة وسليمان الحلاب، وعبد الله وراعية الغنم أم الخير، وقد اعتمد الكاتب على وصف المظهر الخارجي للمرأة ، فعن علاقة سليمان وفاطمة التي سلبت عقله، أسهب الروائي في وصف المظهر الخارجي لفاطمة: " وما إن رأته حتّى احمرّ وجهها وكاد الدم يتفتق من وجنتها البيضاوين الصافيتي البشرة لكأنها من ورق جميل مصقول شفاف، كانت قد ورثت عن أمها بنت صيفية كلّ شيئ، الشعر الأشقر الهفهاف، والوجه الأبيض الوضّاء والقدّ المياس كغصن بان، لذلك لاغرو أن تسلب عقل سليمان" والأمر ذاته في تقدّيم علاقة عبد الله وراعية الغنم أم الخير"بعد قليل سينزل بفرسه حتّى السهل ويقترب من حبيبة القلب، أم الخير الفتاة الجميلة الرائعة البهية الطلعة رغم فقرها ورغم كونها راعية غنم لدى أبيه لاغير"، غير أنّ مثل هذه الحالات لطالما تقابل بالرفض، فيتماهى الحب والقلق ويتولد الخوف من المصير، وهذا ما اعتمد عليه الروائي وركزّ عليه كون الطرفين لاينتميان إلى الطبقة الاجتماعية نفسها، فأم الخير مجرد راعية غنم في بيت عبد الله، وسليمان مجرد عامل في بيت فاطمة، وللعادات رأي في هذا ، وهذا ما يزيد من خوف الحبيبين، فجاء على لسان عبد الله" هناك حبيبة القلب والقلق، وإن كان قلق قلبه يلكزه لكزات لذيذة ممتعة يا ما أحبها ، لذيدة أنّه يريد أن تتكرر تلك اللّكزات القلقة في كل لحظة وألاّ تغادر قلبه الولهان أبدا"(31) ، وهو المفهوم الذي يطلق عليه باسم الماخوية في علم النفس" إنّ معانقة فكرة الحب هذه لفكرة الموت هي التعبير عمّا أسماه فرويد"غريزة الحياة" و"غريزة الموت" اللّتان تنطويان على صراع صامت في نفس كلّ واحد منّا، ومن اندماجهما بنسب مختلفة تحت ظروف الشذوذ تنشأ.إنّها درجات متفاوتة من المازوشية (وهي التلذذ بتعذيب الذات) والسادية (وهي التلذذ بتعذيب الغير)"(32)، فاختلطت معاني القلق والحب و العشق والخوف، وقد كان الزواج هو نهاية الخيط العاطفي بعدما كسر المعتاد وخضع الجميع للأمر الواقع، " يالحاج محمود، واش رايك راني رايح النّاسب واحد ماالفقاير....أقنع الحاج قويدر بن سوكة محدثيه بالفكرة..."(33)، والسبب وراء كلّ هذا هو ليونة قلب الحاج قويدر بعد آدائه فريضة الحج.

الموت:"الموت" من المواضيع التي تفرض نفسها في بنية الأحداث وتساهم في رسم القصة وطابعها العام، وطريقة التعامل مع هذا المفهوم - أيضًا - تختلف من روائي لآخر، فيجسّد" ذروة الحياة و قمّة اكتمالها بوصفها اخر المحن التي يتعرض إليها الإنسان و اشدها قسوة, و الاختبار الحقيقي لقيمته."(34)، وقد اعتمد الروائي جيلالي خلاص على هذه الدال، فاختار أن تكون روايته تراجيدية، انتهى خيط الحكي بموت عبد الله: "توقّف..توقّف..قال المترجم، بيد أن عبد الله أطلق ساقيه للريح...طاخ..طاخ..طاخ..ثلاث رصاصات..الأولى في الكتف، لم يسقط، شدّ على كتفه وجرى، الثانية في الرقبة..لم يسقط.سفح الدم غزيرا على صدره..الثالثة في الرأس...وسقط مضرّجا بدمائه"(35)، فقد كان عبد الله الشاب المجاهد والمكافح في خدمة البلد ضد المحتّل الفرنسي، تشبّع بالفكر النضالي والروح الثورية واختيار عبد الله وقتله من طرف القوات المحتلة ليس اعتباطيًا خاصّةً وأنّ عبد الله هو رمز البطولة والشجاعة، فهو الخليفة الذي يفتخر به الحاج قويدر، ونهايته هي نهاية لجيل أو لطبقة المثقفة، وهنا استحضار لفترة سوداوية مرّت بها الجزائر في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي، ومالهذه النهاية تساؤلات عدّة، ماذا بعد أفول طبقة المثقفين؟ هل في هذه النهاية تنبؤ لما يحدث في الواقع العربي؟ المستعمَر واحد والمستعمِر واحد، غير أنّ موت عبد الله يبقى مخلّد وفيه إحالة إلى رمز الشهيد الذي يبقى حيًّا، وهنا يأخذ الموت طابعًا آخرَ مغايرًا للموت العادي، فعبد الله المثقف مات شهيدًا في سبيل الوطن، فحمل دال الموت معنيين، وطني

لأنّه رحل في دفاعه عن الوطن، وديني فهذا الرحيل يحمل بعدًا إسلاميًا كونه شهيد، والشهيد يبقى حيًا لا يموت، فموت عبد الله المثقف هو موت آني فقط، والطبقة المثقفة ستنبعث من جديد حتمًا.

خاتمة: وصفوة القول، إنّ الاعتماد على الممارسة الثقافية لرواية " زهور الأزمنة المتوحشة" لجيلالي خلاص، قد أفصحت للقارئ عن جملة الأنساق والبنيات التي تفاعلت معها الرواية، فلاحظنا التداخل والتبادل والتقاطع بين الرواية كنصٍ أدبيٍ وبين المعارف والأنساق المجاورة كالأنساق السياسية و الفلسفية والتاريخية والاجتماعية:

*الأنساق السياسية والاجتماعية: تمثلت في اللّغة كنسق ثقافي يجسّد طبيعة النظام الاجتماعي ويرصد طبقاته ومستوياته الفكرية، وتجلت أيضاً في الهوية الدال الذي بنيت عليه خيوط الحكي، من خلاله كشف لنا الروائي عن الصراع بين الأنا الجزائرية والآخر المستعمر من أجل تحقيق البقاء، إضافةً لنسق الحج وبعده الإسلامي الذي يحيل على العبادة و التعارف والتواصل بين مختلف الشعوب، ونسق شعبي تمثل في الزردة، الموروث الذي تحدث عنه الروائي بإسهاب في عمله، وتجسّدت من ورائه جملة من المبادئ منها الصدقة، التعاون، صلة الرحم، التقرب من الله.

* الأنساق الحضارية: تجسّدت في شخصية المرأة الرمز، الرافضة لقانون العادات والتقاليد التي تمجد الطبقية، فحالت بينها وبين رغباتها.

* الأنساق الفلسفية: تمثلت في ثنائية الحب والموت، الحالة الشعورية التي تبنى عليها الحياة، فرأينا كيف وظف دال الموت وارتباطه بجانب ثوري، ليصير شهيد حي عند ربه، حضور يحمل بعدين معًا، وطني ويكمن في الدفاع وحماية الجزائر من المحتل وديني فموت عبد الله كان بطلقات المحتل ليصير شهيد من شهداء الثورة.

فالرواية مشحونة بجملة من الأنساق، تعمل جميعًا متظافرة في بناء نسيجها، والكشف عنها من صميم هدف النقد الثقافي عندما نادى بضرورة تجاوز الدرس الأدبي وطالب بضرورة إحداث نقلةٍ نوعيةٍ في مسار النقد بعد مرور سنوات غفل النقد عن معرفة هذه الأنساق.

هوامش البحث:

1 ـ جيلالي خلاص: زهور الأزمنة المتوحشة، (د/ط)، موفم للنشر، الجزائر، 2009.

2 ـ عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربي، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، 2005، ص ص 83، 84.

4- عبد الرحمن محمد القعود: انكسارات النسق الشعري، ط1، دار الجمهورية للصحافة، الرياض، 2007، ص87.

5- محمد مندور: النقد و النقاد المعاصرون، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة ،1997، ص189.

6- الطاهر روراينية: شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم ، السيميائية والنص الأدبي،أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها ،جامعة عنابة، ماي 1995،ص141

7– عثمان بدري: وظيفة اللّغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، دراسة تطبيقية، (د/ط)، موفم للنشر، الجزائر، 2000، ص28.

9- جيلالي خلاص: زهور الأزمنة المتوحشة، ص11.

10- المصدر نفسه، ص12. 11- المصدر نفسه، ص13.

12- المصدر نفسه، ص26.

13- فهمي جذعان وآخرون: حصاد القرن، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص50.

14- صالح بلعيد: اللغة العربية في الجزائر بعد خمسين سنة من الاستقلال ، تجارب ناجحة فهل نعتبر منشورات مخبر الممارسات اللّغوية في الجزائر، تيزي وزو، 2012، ص65.

15- جيلالي خلاص: زهور الأزمنة المتوحشة، ص12.

16- صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، ط5، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص189.

17- محمد مسلم: الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص85.

18ـ محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية و قضايا اللّسان والهوية، (د/ط)، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007، ص103.

19- جيلالي خلاص: زهور الأزمنة المتوحشة،ص16.
20- المصدر نفسه، ص78. 21- المصدر نفسه، ص49.
22-سورة الحجرات ، الآية13.
23- جيلالي خلاص: زهور الأزمنة المتوحشة، ص ص،11، 12.
24-محمد رياض وتار:توظيف التراث في الرواية العربية،(د/ط)،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2002، ص13.
25- جيلالي خلاص، زهور الأزمنة المتوحشة، ص64.
26- المصدر نفسه، ص57.
27 ـ الشريف حبيلة: الرواية و العنف، ط1، عالم الكتب الحديث, الاردن،2010، ص210.
28- جيلالي خلاص، زهور الأزمنة المتوحشة، ص93
29- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
30- عبد الله الغذامي: المرأة واللّغة، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب،2006، ص16.
31- جيلالي خلاص: زهور الأزمنة المتوحشة، ص59.
32- يوسف بلاطة: الرومنطيقية،معالمها في الشعر العربي الحديث،ط1، دار الثقافى للنشر والتوزيع، 1960، ص69.
33 ـ جيلالي خلاص: زهور الأزمنة المتوحشة، ص ص 83، 84.
34- جاك شورن: الموت في الفكر الغربي, ترجمه كامل يوسف حسن, عالم المعرفة, الكويت, دط, ١٩٧٨, ص34.
35- جيلالي خلاص: زهور الأزمنة المتوحشة، ص124.

التشكيل اللغوي في ديوان "مسافات" لنور الدين درويش– قراءة أسلوبية

د.وسيلة مرباح

المركز الجامعي بميلة

ملخص: تعرض هذه الدراسة التشكيل اللغوي في شعر نور الدين درويش ضمن مستويات ثلاثة أولها التكرار الذي عرضت فيه إلى نوعين هما التكرار البسيط والتكرار المركب، وثانيها الانزياح الذي تطرقت فيه إلى لونين هما الانزياح التركيبي والانزياح الاستبدالي، وآخرها المفارقة التي تعددت في نصه الشعري منها: مفارقة المفاجأة، ومفارقة المخادعة، ومفارقة التقابل، وقد توسل البحث في طرح هذه المستويات آليات المنهج الأسلوبي وبخاصة المحور الأفقي والمحور العمودي.

الكلمات المفاتيح: التشكيل اللغوي، الشعر، التكرار، الانزياح، المفارقة، الأسلوبية.

Summary:
This study presents the linguistic composition of Nur al-Din Darwish poems into three levels, the first iteration in which he studied in two types: simple repetition, composed of repetition, the second movement in which he studied in two types: the composition namely moving, and moving replacing the last irony is that there was much in the poetic text including: the paradox of surprise, deception and irony, juxtaposition and irony, requested the search ask these levels of stylistic approach mechanisms and in particular the horizontal axis and the vertical axis.

Key words: formation of language, poetry, repetition, deviation, irony, stylistic.

تمهيد: إن التجربة الشعرية تجربة لغة، وأن أولى مميزات الشعر استثمار خصائص اللغة بوصفها مادة بنائية "فاللغة مفردات وتراكيب، تأخذ في الشعر وضعا خاصا، وتؤدي – من ثم- وظيفة خاصة، ليس هذا فحسب، بل إن شاعرا أصيلا يكون له بالضرورة تعامله الخاص مع اللغة"[1]،ولهذا فإن قدرة الشاعر ليست في اختيار اللفظ، وإنما في قدرته على توظيفه وحسن استعماله، فالألفاظ لا قيمة لها في ذاتها "لأنها شيء مشترك بين الناس، وإنما العبرة بطريقة توظيفها شعريا"[2]، كما تظهر مهارة الشاعر أيضا في تشكيل هذه الألفاظ "فالقصيدة من حيث هي عمل فني ليست إلا تشكيلا خاصا لمجموعة من ألفاظ اللغة"[3]. وبما أن القصيدة تجربة لغوية جمالية، فإن تشكيلها الجمالي لا يتضح من دون دراسة مميزات لغتها الشعرية، باعتبار اللغة الشعرية "وسيلة للتعبير والخلق، كائنا ذا نبض وحيوية"[4].

ويتجلى جوهر اللغة الشعرية على مستويين، أما الأول فهو مستوى الكلمة، وذلك من خلال استعمالاتها الإيحائية "ونقل الكلمات إلى سياقات جديدة غير معهودة من قبل"، وتظهر قدرة الشاعر على هذا المستوى "في تفجير اللغة التي لم تعد للتعبير فقط وإنما للإيحاء أيضا"،حينها تتسم لغته "بالانحراف والتوتر والفجوة والصدمة والمفاجأة والخلخلة وكسر بنية التوقعات، وذلك قياسا على معيار الحقيقة والواقع ومعرفة القارئ الأولية".

ومن هذا المستوى للغة "تتميز اللغة بوصفها لغة أخرى غير اللغة الطبيعية التي يتحدث بها عموم الناس، لذا فإن الشاعر حين يستخدم هذه اللغة في بناء قصيدته فهو أبعد ما يكون عن استخدام اللغة أداة، وقد اختار طريقا اختيارا لا رجعة فيه، وهو طريق فرضه عليه مسلكه الشعري في اعتبار الكلمات أشياء في ذاتها وليست بعلامات مجردة لمعان، كما هي الحال في اللغة الاعتيادية التي تؤدي وظيفة إيصال المعنى المباشر إلى المتلقي والسامع"[5]، معنى ذلك أن تعامل الشاعر مع

---

[1]- عز الدين إسماعيل:الشعر المعاصر في اليمن –الرؤية والفن – دار العودة،بيروت(دط) 1986م،ص 241.

[2]- فاتح علاق: في تحليل الخطاب الشعري، دار التنوير للنشر والتوزيع،حسين داي –الجزائر، ط2، 1429هـ،2008م، ص21.

[3] - عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية، دار العودة، بيروت (دط)،2007م، ص50.

4- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1984م، ص65

[5]-سلمان علوان العبيدي: البناء الفني في القصيدة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ، 2011م، ص25.

اللغة يختلف عن تعامل الإنسان العادي معها "فهو يحسها ويجسها وينتقي منها، يتعامل معها تعامل العشاق ويؤسس علاقات جديدة بين مفرداتها تصور علاقته الخاصة بالموضوعات المختلفة"[1]، وانطلاقا من هذا التعامل الخاص مع اللغة، فإنها تؤدي على هذا المستوى وظيفة الإثارة "لأن الشعر [أساسا] لغة مثيرة، وهو من هذه الزاوية يختلف عن اللغة غير الشعرية، التي هي لغة مشيرة"[2].

وأما المستوى الثاني للغة الشعرية هو مستوى التركيب " والتركيب بناء، وبناء لغة الشعر يختلف اختلافا عميقا عن بناء لغة النثر، فالشعر قياسا إلى النثر انحراف (مجاوزة، عدول، انزياح)"[3]، وإذا كانت اللغة الشعرية على مستوى الكلمة تؤدي وظيفة الإثارة فإنها على مستوى التركيب تحقق وظيفة الإثراء (الخصوبة) "فيتجلى جوهر الشعر تجليا باهرا، وفيه يمارس الشاعر كل شعائره السحرية"[4]، ويبيح لنفسه كسر البنية التركيبية، أو حذف بعضا منها، أو إدخال تراكيب ذات دلالات تطفلية، من أجل تحقيق الأثر الجمالي للشعر والذي يتجلى في "صدمة القارئ على نحو يولد دهشة واستغرابا لديه"[5].

انطلاقا من هذين المستويين للغة الشعرية فإن الحديث عنها في شعر شاعر يقتضي الحديث عن طاقاتها الإبداعية، ومستوياتها التركيبية، وظواهرها الأسلوبية. وفي ضوء ما تقدم سوف نحاول دراسة اللغة في شعر نور الدين درويش، والوقوف على بعض مميزاتها الفنية وخصائصها الأسلوبية، وآثارها الجمالية.

1-التكرار: التكرار ظاهرة عرفها الشعر العربي القديم وتداولها النقاد القدماء، إلا أنه لم يكن من الأساليب الأساسية للقصيدة العربية القديمة، أما في القصيدة العربية الحديثة والمعاصرة فقد أصبح مدار اهتمام الشعراء، وعد أحد أبرز وسائل التماسك النصي، وطاقة كبرى في توليد المعنى وتكثيفه، ووسيلة هامة في التعبير والتصوير، وتبرز أهمية التكرار من خلال دوره الذي يتجلى في "الإلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها (...) فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها"[6]، وهو بما يتضمن من إمكانات تعبيرية "يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة "[7]. وقد شكل التكرار ملمحا بارزا في شعر نور الدين درويش من خلال إلحاح الشاعر على إبراز تصوراته ومواقفه، إضافة إلى شد انتباه المتلقي وإمتاعه، وتمظهر في نوعين مختلفين هما:

1.1 -التكرار البسيط: وهو من أبسط ألوان التكرار، ويتمثل في "تكرار كلمة واحدة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية في قصيدة"[8]، ويعد تكرار الحرف وتكرار الأداة وتكرار الصيغة من أبرز صوره في الشعر، ويقوم هذا التكرار "بتقديم معونة كبيرة تيسر مهمة الشاعر فإنه أقرب إلى السهولة أن يكرر المعنى نفسه، أو الألفاظ ذاتها مع تعديل طفيف يساند الاستمرار من أن يتوقف ليبحث ويولد صورا وألفاظا تناسب المعاني المستجدة"[9]، وقد حضر هذا النوع بقوة في شعر نور الدين درويش، وتمظهر في عدة أنماط منها:

1.1.1–تكرار الحرف: تكرار الحروف في شعر درويش أمر لافت للنظر، فلا تكاد تخلو قصيدة من هذا النمط من التكرار، ومن نماذجه، تكرار الشاعر لحرف الجر "عن" في قصيدة "أغنية الحب والنار"، إذ يقول[10]:

---

[1]-فاتح علاق: مرجع سبق ذكره، ص23.

[2]-مسعود بودوخة: الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ، 2011م، ص24.

[3]-وهب رومية:التشكيل اللغوي في شعر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة عالم المعرفة (الشعر والناقد من التشكيل إلى الرؤيا)،العدد 331، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006م، ص269.

[4]- المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

[5]-قاسم عدنان حسين: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن الإمارات، ط1،1412هـ 1992 م، ص204.

[6]-نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، ط14، 2007م،ص 276.

[7]-المرجع نفسه: ص 263.

[8]- المرجع نفسه: 264.

[9]-سعاد عبد الوهاب العبد الرحمن: الشعر العربي الحديث البنية والرؤية، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1،1432 هـ، 2011 م ص 198.

[10]- نور الدين درويش: ديوان مسافات، مطبعة جامعة منتوري، قسنطينة، ط2، 2002، ص ص 15، 16.

يحدثني عن رسائله،

وأحدثه عن رسالات ربي،

عن الأنبياء وعدل عمر.

أحدثه عن شجاعة "حمزة" و "ابن المهيدي"،،

عن الانقلابات،،

عن غيمة حجبت شمسنا،،

عن النار والعار في البوسنة

أحدثه عن فلسطين،، لبنان،، إيران،، أفغان،،

رقان،، إرتيريا

وعن الجوع،

عن موت أطفال صوماليا

عن الاغتيالات والمسرح الدموي أحدثه

عن صبي يدافع عن أرضه بالحجر.

نلاحظ في هذه المقطوعة أن الشاعر كرر حرف الجر "عن" ثلاث عشرة مرة، في مواقع متقاربة في القصيدة، فوردت استهلالية، كما تخللت الأسطر أيضا، لينقل لنا التكثيف الشعوري الذي وطأ ذات الشاعر، وأغرقها في معاناة الآخرين، فالشاعر يعيش حالة من الاستنفار على عدة مستويات نتيجة تشظي التعاطف الإنساني مع القضايا الوطنية والإقليمية والعالمية.

2. 1. 1 -تكرار الفعل: شاع تكرار الأفعال بصورة مكثفة في شعر نور الدين درويش، ولعل هدف الشاعر من تكرار الأفعال هو بناء نص متوثب ومتلاحم في الآن ذاته، وسنوضح ذلك في هذا المثال الذي يقول فيه الشاعر[1]:

ولدي رأيتك في المنام مسافرا من غير زاد

ولدي رأيتك في المنام بلا جواد

ولدي رأيت النار تلتهم القبور... وكنت أشبه بالرماد

ولدي رأيتك كنت عيسى في المنام،

وكنت مريم.

إن تكرار الشاعر لفعل الماضي "رأيت" أربع مرات في هذا المقطع الذي يضم خمسة أسطر، منح النص توثبا وتلاحما، ويتمظهر التوثب في طبيعة الفعل " بوصفه حدثا مقرونا بزمن وهو مبعث الحركة"[2]، ويتجلى التلاحم في الصورة النفسية المهيمنة على المقطع، وهي صورة الاغتراب التي التفت بذات الشاعر، مستهلا إياها بالاغتراب النفسي (السفر بلا زاد ولا جواد)، ليردفها بالاغتراب الجسدي (كنت أشبه بالرماد)، ليعيش الاغترابين معا، النفسي والجسدي، في الصورة الأخيرة (رأيتك كنت عيسى/ وكنت مريم)، وذلك بانصراف الدلالة إلى قصة عيسى ومريم – عليهما السلام – واستحضار اغتراب عيسى الجسدي، واغتراب مريم النفسي.

---

[1]- الديوان: ص 76.

[2]- أحمد علي محمد: مجلة جامعة دمشق(التكرار وعلامات الأسلوب في قصيدة نشيد الحياة للشابي دراسة أسلوبية إحصائية) المجلد 26، العدد الأول والثاني، 2010م، ص 60.

3.1.1 -تكرار الاسم: أخذت ظاهرة تكرار الأسماء مجالا واسعا في شعر درويش، عسى أن تكشف الأسماء المكررة عن رؤية أراد الشاعر استجلاءها، ولتوضيح ذلك نقف عند هذا المثال، يقول درويش[1]:

عيناك أمي تنموان على يدي وفي السطور

عيناك أمي تنموان كزهرة بين الزهور

يمتد حلمي... ليس لي إلاك ملهم.

وعيون أمي باسمة...

أبتاه أمي في عيوني باسمة...

أبتاه ماذا ؟

هل تحب عيون أمي...؟

كرر الشاعر في هذا المقطع اسم "أمي" ست مرات، وذلك لما لها من أهمية رمزية، فالأم هي الوطن، وهي الهوية، وهي الانتماء... الخ، وقد ارتبطت في هذا المقطع بصور النماء، والعيون الباسمة، والنفوس المستقرة النائمة، لتدل على رؤية الشاعر التفاؤلية، ويعزز هذه الرؤية ارتباط لفظة "أمي" بمرتكزات ضوئية في هذه الصور، فقد انتسبت إلى العيون مرتين، واتصفت بالبسمة، والنوم، كل هذا ينزع بالشاعر إلى التفاؤل في غد باسم ومستقر، وفي ذلك استجلاء لمذهب الشاعر التفاؤلي.

2.1 -التكرار النسقي: يبرز في تكرار الشاعر لتركيب في حدود الجملة أو أكثر، وهو "تشكيل فني يهندس القصيدة، ويجعل منها لوحة فنية مشكلة بالصوت والدلالة والحالة النفسية ويصعد بها جميعا إلى الحالة الجمالية"[2]، وقد تتكرر الجملة أو العبارة بلفظها وقد لا تتكرر بلفظها وإنما ببنائها، والأمثلة التي سنوردها توضح ذلك.

يقول نور الدين درويش[3]:

يزهر الإسمنت في رحم الحديقة...

ترقص الأحياء في عرس المدينة...

تولد الأحزاب في بيت الحكومة...

يكبر الأطفال في كنف الفجيعة...

يتكون النسق اللغوي المهيمن في هذا النص من (فعل + فاعل + شبه جملة+ مضاف إليه) ولا تظهر هيمنة النسق وبرزوه الأسلوبي في تكراره فحسب، بل تظهر أيضا في الانزياح الاستبدالي الذي ساهم في تغذية دلالة النسق، وذلك بأنسنته الحديقة، والأحياء، والمدينة، والأحزاب، والحكومة، بقرائن تعود على الإنسان وهي: الرحم، الرقص، العرس، الولادة، والبيت)، ويؤازر تناسق هذا التكرار أيضا أداة الجر (في) التي تكررت أربع مرات متوسطة الأسطر، فأدت بذلك وظيفتها الدلالية على أكمل وجه، وذلك بإحداث الترابط والتماسك بين عناصر الجمل، فجمعت بين المتضادات (يزهر الإسمنت # رحم الحديقة)، (ترقص الأحياء # عرس المدينة)، (تولد الأحزاب # بيت الحكومة)، (يكبر الأطفال# كنف الفجيعة)، كما ساهمت ظرفية هذه الأداة في تدعيم الوظيفة التجسيدية للانزياح الاستبدالي، وهكذا نجد التكرار النسقي ساهم في ترابط النص تركيبيا ودلاليا وفنيا.

وفي نموذج آخر من التكرار النسقي، يكرر الشاعر بنية إنشائية جمعت بين مستويين من التكرار: شكلي ومعنوي، كما سيوضحه المثال الآتي:

---

[1]- الديوان: ص 93.

[2]- سعاد عبد الوهاب العبد الرحمن: مرجع سبق ذكره، ص201.

[3]- الديوان: ص 86.

يقول نور الدين درويش[1]:

وعيون أمي لا تصدق ما يذاع

لا تقرئي الصحف التي شربت دمي

لا تقرئيني في أساطير النساء

لا تقرئيني في مراثي الأصدقاء

لا تقرئيني في الطبول وفي زغاريد التهكم

وعيون أمي لا تمل من الكلام.

يبني الشاعر في هذا النص نسقه اللغوي المكرر من (أداة النهي + فعل + شبه جملة + مركب إضافي)، وإذ نحن أمام نسق لغوي واحد ذي مضامين مختلفة باختلاف المركب الإضافي، وإذا نظرنا في هذا العنصر المتغير في النسق وجدنا فيه قراءة، إنه على الترتيب (أساطير النساء، و مراثي الأصدقاء، و زغاريد التهكم)، فالمتغير في النسق الأول يحمل دلالة الخوارق، وهي الأحداث المجاوزة لقدرة العبد أو لطبيعة المخلوقات، والمتغير في النسق الثاني يحمل دلالة التجاوز العاطفي وذلك لارتباط الرثاء بالأصدقاء، وهو في النسق الأخير يحمل دلالة اجتماعية قد تنصرف إلى الإشهار والاشتهار، إن هذه الدلالات تردّ دلالات الأنساق الثلاثة إلى دائرة دلالية واحدة هي "دائرة الذيوع" وما ينبثق منها، ويؤكد هذه النظرة تكرار لفظ (تقرأ) ثلاث مرات في بداية الأنساق الثلاثة، وهذا الحديث الصريح الذي سبق البنية التكرارية (وعيون أمي لا تصدق ما يذاع / لا تقرئي الصحف التي شربت دمي)، وأيضا معجم النص المهيمن الذي هو حقل الصوت بألفاظه (تقرأ، أساطير، مراثي، الزغاريد)، وفي ضوء هذا الاستنتاج يبدو النسق اللغوي المتكرر مهيمنا على المستوى اللفظي والدلالي معا، أي أن دلالة كل نسق من هذه الأنساق اللغوية هي كدلالة الأخرى، وبعبارة أوضح نحن أمام تكرار شكلي و معنوي.

2 - الانزياح: تطرق النقاد العرب القدماء إلى مظاهر الانزياح من تقديم وتأخير، وتوسع، وحذف، إلا أنهم لم يجمعوا السمات المشتركة بين كل هذه الأسماء في مسمى واحد، والتي تلتقي حول مفهوم واحد تقريبا هو الانزياح عن الأصل إلى الفرع. وإذا أتينا إلى الدراسات اللغوية الحديثة، وجدنا أن مصطلح "الانزياح" عرف عند الأسلوبيين ببدائل عديدة نذكر منها: الانحراف(La deviation)، الاختلالLa distorsion) المخالفة (L infraction) الشناعة(La scondale)،الانتهاك(Le viol)،خرق السنن (La violation des normes)[2].

وقد يرجع هذا التعدد في مصطلح الانزياح إلى اختلاف أهل الأسلوب في تحديد الواقع اللغوي الذي هو بمثابة الأصل.

فالدراسات الأسلوبية للنص الأدبي عند " ليو سبيتزر" (Leo Spitzer)تعتبر الأسلوب انحرافا وذلك أن "سبيتزر" يذهب إلى أن عملية الدراسات الأسلوبية عليها أن تبدأ من أي تفصيل في النص يلفت اهتمام المحلل، سواء لأنه يمثل انحرافا عن أنماط الكتابة القائمة، أو لأنه يمتلك دلالة على العمل الأدبي ككل[3].

ويرى "سبيتزر" أن أي انحراف لغوي عن نموذج الكلام الجاري في الاستعمال ليس إلا تعبيرا موازيا للإثارة النفسية المنحرفة عن المألوف في حياتنا النفسية ولهذا يستطيع الإنسان أن يحدس بمركز العواطف في النفس، من الانحراف اللغوي عن النموذج المعياري[4].

أما "جون كوهين"(Jon Cohen) فيرى أن في لغة جميع الشعراء يوجد عنصر ثابت على الرغم من الاختلافات، أي وجود طريقة واحدة للانزياح بالقياس إلى المعيار[1].

---

[1]- المصدر نفسه: ص 74.

[2]-ينظر بشان هذه المصطلحات وأصحابها:عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط5،2006 ص 79،80.

[3]-عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000م، ص38.

[4]-يوسف أبو العدوس: الأسلوبية، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، العبدلي، الأردن، ط1،2007 م،ص185.

ويعتبر "ميشال ريفاتير"(Michel Riffater) الأسلوب انزياحا عن النمط التعبيري المتواضع عليه، وهو خروج عن القواعد اللغوية ولجوء إلى ما ندر من الصيغ، وإذا كان الأسلوب هو الخروج عن المعيار، فإن المعيار في عرف "ريفاتير" هو الكلام الجاري على ألسنة الناس في استعماله العادي والحيادي، وهو التعبير البسيط السائر على الألسنة حسب السنن اللغوية، وغايته التوصل والإبلاغ، وهو تشكيل للغة محدود الفعالية، لا تهيمن فيه الوظيفة الشعرية أو الأدبية[2].

وقد استغنى الكثير من الباحثين العرب عن استعمال بعض هذه المصطلحات ولم يتبق منها إلا ثلاثة على حد رأي "أحمد ويس" وهي (الانزياح، والانحراف، والعدول)[3] وسنختار مصطلح الانزياح لأنه الترجمة الأدق لمصطلح (L ecart)،أما الانحراف والعدول فقد يحملان معان أخرى بلاغية غير التي نجدها في الانزياح.

وقد توزع الانزياح في شعر نور الدين درويش على محورين هما: محور التركيب و محور الاستبدال كما سنوضح في الآتي:

1.2-الانزياح التركيبي: تخضع العناصر المتعاقبة في الإجراء التأليفي إلى مجموعة من السنن والقوانين فتكوّن بذلك متوالية تلفظية، وهذا هو محور التركيب، ويتمظهر الانزياح على مستوى هذا المحور في خرق الخط العادي للسلسلة اللسانية، ويتطلب هذا التمظهر ضرورة تحديد السلسلة العادية باعتبارها في "الدرجة الصفر من طرف المعيار النحوي للغة الطبيعية"[4]. ويعد الحذف، والتقديم والتأخير، والالتفات، من أهم الخروقات التي تطرأ على السلسلة اللسانية العادية، فتحدث بذلك تجاوزا على المستوى النحوي، ومتعة على المستوى الأسلوبي، وسنبرز هذه الانزياحات في مستوياتها على النحو الآتي:

1.1.2 - الحذف: مما لا ريب فيه أن دلالة الجملة في اللغة العربية تقوم على المسند والمسند إليه، ففي الجملة الاسمية المبتدأ مسند إليه، والخبر مسند، وفي الجملة الفعلية الفعل مسند، والفاعل أو نائبه مسند إليه، وكل ركن من هذين الركنين أساس لا تقوم دلالة الجملة إلا عليه وبه، وتجاوز هذه المعايير هو عدول عن الأصل، ويعد الحذف من أبرز صور هذا التجاوز، لأنه عبارة عن إسقاط أحد عناصر البناء اللغوي، قد يكون مسندا أو مسندا إليه "ويؤدي [هذا الإسقاط] إلى عدول النسق التعبيري عن الاستعمال المألوف، بحيث إذا تعاملنا مع العبارة التي تشمل على جزء محذوف نرى هناك خللا واضحا خلافا لما هو معهود يحكم به العقل أو السياق أو مقتضيات اللغة، ولا يمكن تجاوزه إلا باستكمال العنصر المحذوف (...) ومن ثم لا بد من البحث فيما وراء ظاهر الصياغة، والوصول إلى صورتها المثالية أو بنيتها العميقة التي تحمل أصل المعنى، وللقيام بهذه التحولات لا بد من تقدير عناصر محذوفة غائبة عن ظاهر الصياغة"[5].

ويعد الحذف بمثابة فرصة يتركها المؤلف للقارئ ليساهم معه في عملية التأليف فيشاركه خياله وفنيته وإحساسه، وهو بهذا الدور يجد المتعة المبتغاة منه.

ومما يقع فيه الحذف على السلسلة الخطية للجملة حذف المسند إليه في الجملة الاسمية، ومكمن الجمال في حذف المسند إليه في الجملة الاسمية "هو أننا حين نحذف المبتدأ من العبارة إنما ندعي أن ذلك المبتدأ حي في ذهن المخاطب، ومعلوم، ولسنا بحاجة إلى أن نورده مرة أخرى"[6].

ومن أمثلته في الديوان نورد هذا النص الذي يقول فيه الشاعر[7]:

---

[1]- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1997م، ص189.

[2]-نور الدين السد: مرجع سبق ذكره، ص181.

[3]-لمعرفة المزيد ينظر أحمد محمد ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي(دراسة)،مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط)، 2006م، في المهاد (تأصيل الانزياح في التراث العربي).

[4]-هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، ترجمة: محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999م، ص66.

[5]-محمود صلاح زكي أبو حميدة: البلاغة والأسلوبية، جامعة الأزهر، القاهرة، دط، 2007م، ص117.

[6]-أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصر والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1998م، ص172.

[7]- الديوان: ص 98.

في الشارع المهجور أسئلة مريرة

وعلى امتداد الجرح قافلة مطاعة

_ من أنت فينا ؟

قلت طفل ضيع الدنيا و أخراه وضاع

_ عما تفتش ؟

قلت أبحث عن بريق النجمتين

_ أأنت فرد في المدينة؟

قلت فرد في رؤاي ′

إن تشكل الخطاب على هذا النحو مجردا من الضمير" أنا " يومئ إلى عدة قراءات، أولها: أن المتكلم معروف لدى المتلقي لا يحتاج مع هذه المعرفة أن يعرف نفسه بالضمير "أنا"، فإسقاطه من الخطاب والاكتفاء بالأخبار (طفل، فرد) ضَمِنَ حضور المتكلم، ولو كان الضمير موجودا لاتخذ الأمر شكل الادعاء، والمعروف لا يعرف، وثانيها: لو صرح الشاعر بالضمير "أنا" لوضع الخطاب في إطار محدد، تكتمل فيه الجملة إسناديا ووظيفيا، ولكن مضمون الخطاب يوحي بالطلاقة والانفتاح، لأن الضياع والتيه يهيكلانه، وبذلك يتفق الأسلوب مع مقصدية النص ليتحقق البعد الشعري المطلوب والإفادة الفكرية المرتجاة.

وفي مقطع آخر يحذف الشاعر المسند فيقول[1]:

أيها الشاهد العدل حلفتك الآن بالله فاشهد

على غربتي وضياع البلد

دمي...

كلما صحت جاوبني الظل: وحدك تبحث عن نجمة

لا سواك هنا،

لا أحد

يجيء هذا الحذف (حذف الخبر)، لا أحد... في قطعة تشكل حديثا داخليا للنفس، تمثل محاولة من الشاعر للخلاص من هواجس الخوف والتشبث بالأمل، كونه يعاني ألما خارجيا وداخليا بان، فالألم الخارجي يتمثل في الخوف من الآخر، والداخلي انعكاس لهذا الألم على شكل خواطر نفسية ذات حس توجسي، ويساند الحذف هنا هذا الحوار الداخلي (المونولوج) ليبرز دلالات مختلفة.

إن الأصل في العبارة أن تكون على هذا الشكل (لا أحد هنا) أو (لا أحد موجود) لكن الشاعر أراد أن يطلق العبارة ولا يقيدها رغبة منه في بيان حالة التشرذم والتشتت التي لا طاقة للخبر في هذا الموقف أن يعبر عنها، والسر في جمال هذا الخروج عن القاعدة التركيبية العادية أن الشاعر نقلك إلى حاله فعلا، فهو لا بد حاول الإخبار ولم يستطع، فإنك أيها المتلقي حاول إن استطعت، فتعرف بذلك حال مخاطبك من غير إخبار.

وفي نص آخر يسقط الشاعر المسند والمسند إليه معا فيقول[2]:

فلما تفتش يا صديقي عن شمالك في الجنوب

ولما تفتش عن حلولك عند سلطان كذوب

ما ضرني أن يكذب السلطان،

---

[1]- الديوان: ص 67.

[2]- المصدر نفسه: ص 36.

لكن

أن تصدقه الشعوب.

إن الحذف في هذا المقطع يتفق مع الإشارات التي مهدت له في سياق الأسطر الأولى وهي إشارات التعجيز والتيئيس (الشمال # الجنوب)، (الحلول # سلطان كذوب)، ولتكثيف هذا السياق التعجيزي عمد الشاعر ممارسة فعل الاختزال على مستوى اللغة ليحقق بدوره استحالة تحقيق الوعود والآمال على مستوى السياق، ولعل الشاعر أسقط جملة " ضرني" في السطر الرابع من التركيب بغية تعددية الدلالة وانفتاح الخطاب على آفاق غير محدودة، لأن التحديد يجر النص إلى الانغلاق على نفسه، وسياق هذا النص يتطلب مشاركة القارئ بتأويلاته ليعمق إشارات الخطاب.

2. 2.1 -الالتفات:تحدث البلاغيون العرب عن الالتفات مبكرا، وإن اختلفت تسميته عندهم، فقد عرض له "ابن وهب" تحت اسم "الصرف"، وسماه "قدامة بن جعفر" "الالتفات"، وجعله أقرب إلى مفهوم الاعتراض[1]، كما عرض له "ابن جني"[2] وأفاض فيه (ابن الأثير)، معرفا إياه بقوله:"وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة، لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض، أو غير ذلك"[3]، وقسمه إلى ثلاثة أقسام[4]:

1-الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة.

2-الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

3-الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي.

وبهذا الفهم يصبح الالتفات أسلوبا يعطي النص حيوية تساعد على إبراز رؤى خلاقة عند المبدع، ويساهم أيضا في إغناء النص دلاليا وجماليا، ونظرا لهذه الأهمية عني به نص نور الدين درويش، فبرز في خطابه الشعري بأنماط مختلفة، كالانتقال من الغيبة إلى الخطاب، أو التحول في الأزمنة من الماضي إلى الحاضر، أو الإخبار عن الماضي بالمستقبل، مشكلا بذلك صورا انزياحية أسهمت مع الظواهر الأسلوبية الأخرى في تغذية الإحساس الجمالي وتقويته، ومن أمثلته قوله في قصيدة "الحب والنار"[5]:

بكى صاحبي

ضمني وبكى مثل طفل صغير

إلى أين تذهب والنار في أوجها؟

لم أجبه ابتسمت،

مددت يدي للوداع

مددت يدي كي أصافح فيه البراءة والحب

لكنه ضمني وبكى.

---

[1]- قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص150.

[2]- أبو الفتح عثمان بن جني: المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، تحقيق: علي النجدي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1386هـ،ص145.

[3]ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبابة، ج2، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط2 دت،ص167.

[4]-المصدر نفسه: ص ص 181،168.

[5]- الديوان: ص 19.

يتناوب في تشكيل هذا النص ضميران هما: هو- أنا، وقد أدى التقابل بين (الغيبة # والمتكلم) على المستوى التركيبي، إلى التقابل بين (البكاء# والتبسم) على المستوى الدلالي، فقد تجلت دلالة البكاء مع "الهو" الذي بدا ضعيفا يتوسل المساعدة والحماية، متشيعا للهروب غير قادر على المواجهة، ولأنه كذلك فهو "صغير"، ثم ينتقل الشاعر إلى خطاب آخر يسنده إلى ضمير المتكلم المفرد "أنا" وقد أظهره متفائلا متبسما، وأكثر من ذلك شجاعا غير ممارس للوداع لكنه قادر على تقبله، والذات بهذه المواجهة فهي "كبيرة"، وبهذا يكون الالتفات قد حقق نوعا من المقابلة التي تبدو على هذا الشكل:

هو هارب فهو صغير# أنا مواجه فأنا كبير.

وفي نص آخر يلتفت الشاعر من الماضي إلى الأمر وينتقل من الماضي إلى المستقبل ولا شك أن هذه التحولات تقتضي فائدة، التي هي غاية الانتقال من أسلوب إلى آخر،غير أنها لا تخضع لقاعدة ثابتة، تجعلها صالحة لكل التفات، وإنما للسياق أهمية كبرى في بيان قيمة كل التفات، وهذا ما نتبيّنه في قول نور الدين درويش[1]:

وانقسم الفؤاد

يا قلب اختر من تشاء

احرقهما إن شئت

احرق ما تبقى منها

أو شئت فاحرقني.

نلاحظ في هذا النص أن الالتفات حدث على عدة مستويات، فقد تحول الخطاب من الماضي إلى المستقبل، والتفت من الغيبة إلى الخطاب، وانتقل من الماضي إلى الأمر، أما في تحوله من الماضي إلى المستقبل، فإن الشاعر يريد أن ينبه أن المستقبل من صنع الماضي، فإذا تشتت القلوب، وتبعثرت النوايا، فلا عجب بعد ذلك من أن يسود الحقد والكره و التنازع، وعندما التفت النص من الغيبة إلى الخطاب فإنه أظهر دلالة اليأس، فبعد أن أنهكت الذات من حدة الشتات والتشطر (وانقسم الفؤاد) يتحول الشاعر إلى الخطاب (يا قلب اختر، احرقهما، احرق، احرقني)، وفي تترى مشتقات (الحرق) تأكيد على القنوط. وفي التفات الشاعر عن الفعل الماضي إلى الأمر، توكيد للفعل في نفسه، فبعد أن يأس الشاعر من تحقق الوحدة والألفة بين الجميع، التفت إلى ذاته التي لم يستثنها من العقاب أيضا.

2. 2 - الانزياح الاستبدالي: تكون الانزياحات الاستبدالية على محور آخر أكثر غنى من المحور الأول، وهو محور الاختيار(الاستبدال)، وما يجعل الثاني أغنى من الأول، هو أن الأول يشتغل على محور محدود، لا يخرج عن النظام التأليفي الخاضع بدوره للنظام النحوي "والنظام النحوي لأية لغة يجعل عدد البدائل التي ينبغي أن يختار منها محدودا بشكل واضح(...)بيد أن هناك مجالا يبدو أن إمكانيات الاختيار فيه لا حد لها، وهو مجال التعبيرات المجازية والتصويرية من تشبيه واستعارة وغيرها"[2]. أو ما سماه "جون كوهن" بعدم الملاءمة أو المنافرة وهو "أكثر صور عدم الملاءمة ترددا يتم من خلال إسناد خواص مادية إلى ذوات روحية أو العكس"[3]

وقد وردت الانزياحات الاستبدالية في ديوان نور الدين درويش بكثرة فأحدثت زخما من الصور المجازية، عملت على تكثيف الدلالات وتعدد القراءات، ومن الأمثلة التي تؤكد ذلك قول الشاعر[4]:

أنا يا صديقي هنا

وهنالك خلف الحواجز روحي وأمنيتي تحتضر

[1]- الديوان: ص ص 104، 105.

[2]-صلاح فضل:علم الأسلوب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1968م، ص ص 118، 119.

[3]- جون كوهن:النظرية الشعرية، ترجمة:أحمد درويش، دار غريب،القاهرة، ص196.

[4]- الديوان: ص 17.

بقايا دم وبقايا صور

انزاحت في هذا النص عبارة " وهنالك خلف الحواجز روحي وأمنيتي تحتضر" عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي، حينما أسند الشاعر الموت للأمنية، فيتجاوز بذلك الدلالات المعجمية البسيطة إلى دلالات إيحائية عله بهذا التجاوز يحتوي تجربته الشعورية - من جهة - التي أثقلتها صنوف الهموم، وألوان العذابات، ولم تعد تأمل النجاة، ويحفز ذهن المتلقي -من جهة أخرى- ويبعثه ليعدد قراءاته، عله يدرك مبتغى المبدع.

وفي مثال آخر ينتهك الشاعر قواعد اللغة المعيارية بخروجه عن المألوف، فيقول[1]:

عندما يسحب الموج أذياله

وتجيء التي تحتوي غربتي

ربما...ربما يا صديقي أمد يدي،

وأعيد النظر.

خرج الشاعر في هذا النص عن الكلام العادي والمألوف، حيث شبه الموج بإنسان، ثم حذف المشبه به، وأبقى شيئا من لوازمه وهو "يسحب أذياله"، وهذا الخرق أعطى العبارة أدبيتها، ومنح النص بعدا جماليا.

وفي نص آخر يخرج الشاعر أيضا عن المألوف فيقول:[2]

تطول المسافة،

يجتاحنا الخوف

تنهشنا غربة وعذاب.

رسم الشاعر في هذا المقطع صورة غريبة خرق بها قواعد اللغة المعيارية باستخدام الاستعارة المكنية في عبارة "تنهشنا غربة وعذاب" وذلك بتجسيد كل من الغربة والعذاب، ومنحهما صفة النهش، وهي من صفات الحيوانات المفترسة، وبهذا الإسناد غير المألوف خلق جوا من الغرابة والدهشة والإثارة.

إن هذه الانزياحات الاستبدالية أدت إلى تقوية اللغة الشعرية، فأبعدتها عن الكلام العادي، كما عملت على إثارة انتباه القارئ وتحفيز ذهنه، وتنشيط تأويلاته.

3 - المفارقة: هي عبارة عن "لعبة لغوية ماهرة وذكية بين الطرفين: صانع المفارقة، وقارئها، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقتين تستثير القارئ، تدعوه إلى رفض معناه الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي، الذي غالبا ما يكون المعنى الضد، وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقارئ بال إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه، ليستقر عنده"[3]. وقد برزت في ديوان نور الدين درويش بأشكال وأنماط مختلفة سنتطرق إليها في الآتي:

1.3 - مفارقة العنوان: ضم ديوان "مسافات" لنور الدين درويش ثلاث عشرة قصيدة ذات العناوين الآتية: هي لن تموت، أغنية الحب والنار، وحدي أواصل، العصا والأفيون، من عمق اللهب، أنت القصيدة، أنت مشكلتي، سرتا الهوى والصلاة، لم أمت، الحسناء والدم النازف، عيون أمي، بكما معا أو لا أسير، حفنة من تراب، وقد بدت مفارقة العنوان في واحدة منها، وهي القصيدة الموسومة:" الحسناء والدم النازف"[4]، حيث بنى الشاعر هذا العنوان على مفارقة جمعت بين النقيضين، فالحسناء تمثل شدة الجمال، والدم النازف يمثل شدة القبح، والشاعر جمع بين الجمال والقبح كناية عن الخير والشر في سياق أسلوبي واحد متسق في جملة "الحسناء والدم النازف"، وهي جملة صرحت بمعنى الجمال كما صرحت أيضا بدلالة

---

[1]- المصدر نفسه: ص 20.

[2]- الديوان: ص 22.

[3]- خالد سليمان: المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشرق للنشر، دط، ص 46.

[4]- الديوان: ص 69.

القبح، إلا أن الجمع بينهما أخرج الجملة من حدودها اللغوية البسيطة إلى أداة فنية ذات مستوى رفيع أفرزت دلالة الصراع العميق بين الخير والشر، فهو صراع إذن جسد المفارقة، وصنع المخالفة فأوحى بالغرابة في ثنائية ضدية جمعت بين الحسن والقبح.

2. 3 - مفارقة التقابل: يقوم هذا النمط من المفارقة على موقفين متضاربين، يفرز كل موقف منهما رؤية تناقض رؤية الموقف الثاني، ويعمل كل موقف على تدعيم وجهته بالحجة والبرهان، فهي "مفارقة تثير الذهن، وتسيطر على النفس، وتذهب بالخيال إلى أبعد الحدود، وتسر الخاطر لذلك التقابل بين الموقفين على طرفي نقيض"[1]، وقد تجلى هذا النوع من المفارقة في قوله: فلما تفتش يا صديقي عن شمالك في الجنوب

ولما تفتش عن حلولك عند سلطان كذوب

ما ضرني أن يكذب السلطان، لكن

أن تصدقه الشعوب.

يضم هذا النص مواقف متضاربة ومتناقضة تماما، وقد تجلت المفارقة في التقابل بين (الشمال# الجنوب)، وبين (الحلول # سلطان كذوب)، وبين (يكذب السلطان # تصدقه الشعوب)، وكل هذا المواقف المتضاربة أفرزت دلالة التيئيس والتعجيز، وفي هذه البنية التقابلية إثارة لحال الشعوب التي أضحت تعيش التناقض على عدة مستويات وفي كل الاتجاهات من أدناها إلى أقصاها، ومن شمالها إلى جنوبها، وبهذا التقابل المركب استطاع الشاعر أن يختصر الأوضاع الاجتماعية والسياسية المتأزمة التي تتخبط فيها الشعوب، فكان بذلك تقابلا وضع القارئ أمام مشهد واسع الهوة بين المأمول واللامتوقع.

3. 3- مفارقة المخادعة: هذا النوع من المفارقة "يكشف لنا خيبة الأمل مما يتوقع صاحب الفعل، حيث يقدم موقفا أو مواقف إيجابية فيفاجأ بأن فعله لم يقابل إلا نكرانا وجحودا"[2] ومن أمثلته قول نور الدين درويش[3]:

لم تكن جمرة واحتراقا

ولا غيمة في السماء،

لم تكن بذرة في الهواء- لم تكن...

ثم كانت وكنت وباغتنا الماء،

يحمل هذا النص دلالة خيبة الأمل التي عملت على كسر توقع القارئ، وقد عمل على تكثيف هذه الدلالة النفي الذي استهل به النص والإثبات الذي ذيله، وبذلك جاءت النتيجة (ثم كانت وكنت وباغتنا الماء) عكس ما حرصت عليه المقدمات (لم تكن...).

خاتمة: في آخر هذه الدراسة خلصنا إلى أن شعر نور الدين درويش تميز بخصائص لغوية وظواهر أسلوبية بصمت خطابه الشعري بسمات جمالية، وأزاحت الغطاء عن رؤاه الشعرية، ومن هذه الظواهر التكرار والانزياح والمفارقة.

أما خاصية التكرار في شعر نور الدين درويش فقد شكلت مظهرا أسلوبيا بارزا، واستطاعت هذه الخاصية أن تعكس قدرة هذا الأجراء الأسلوبي في وضع بصمته الفنية المميزة، كما عبرت هذه الظاهرة الأسلوبية عن رؤية الشاعر وتصوراته بأسلوب فيه إلحاح وتوكيد تلون بلونين هما: التكرار البسيط والتكرار المركب، وجاء هذا التنوع ليدعم الفكرة والرؤية التي ينطلق منها الشاعر، فالتكرار بما يخلقه من إعادة للنغمة وإعادة للعبارة بصورة متتالية أو متباعدة بعض الشيء يستطيع أن يشكل هيكلا مميزا للنص بحيث يتمكن الشاعر من تحقيق رؤيته وتأكيدها.

---

[1]- سامح رواشدة: فضاءات شعرية، دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل، المركز القومي، الأردن، 1999، ص 25.

[2]- سامح رواشدة: فضاءات شعرية دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل، ص 17.

[3]- المصدر نفسه: ص 113.

أما الانزياح فقد توزع في شعر نور الدين درويش على محورين محور التركيب الذي يقوم بخرق البنية الخطية اللسانية عن طريق الحذف والالتفات، ومحور الاستبدال أو ما سماه "جون كوهن" بعدم الملاءمة أو المنافرة، وقد حقق الانزياح على مستوى هذين المحورين أثره الجمالي الذي يعزى عند أكثر الأسلوبيين إلى الدهشة التي تولدها مفاجأة القارئ بما لم يعهده ولم يتوقعه من التراكيب اللغوية. وقد أدت المفارقة في نص نور الدين درويش بأنواعها المختلفة إلى تحطيم الصيغ اللغوية وبث الخلل في وظيفتها، بهدف إنشاء نص ذو شحنات انفعالية له القدرة على مباغتة القارئ وإثارة انتباهه.

الهوامش:

1. أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصر والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1998م.
2. أحمد علي محمد: مجلة جامعة دمشق(التكرار وعلامات الأسلوب في قصيدة نشيد الحياة للشابي دراسة أسلوبية إحصائية) المجلد 26، العدد الأول والثاني، 2010م.
3. أحمد محمد ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي(دراسة)،مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط)، 2006م.
4. جون كوهن:النظرية الشعرية، ترجمة:أحمد درويش، دار غريب،القاهرة.
5. خالد سليمان: المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشرق للنشر، دط.
6. سامح رواشدة: فضاءات شعرية، دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل، المركز القومي، الأردن.
7. سعاد عبد الوهاب العبد الرحمن: الشعر العربي الحديث البنية والرؤية، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1432،1 هـ، 2011 م.
8. السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1984م.
9. سلمان علوان العبيدي: البناء الفني في القصيدة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ، 2011م.
10. صلاح فضل:علم الأسلوب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1968م.
11. ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبابة، ج2، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط2، دت.
12. عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 5،2006 م
13. عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000م.
14. عز الدين إسماعيل: الشعر المعاصر في اليمن –الرؤية والفن – دار العودة، بيروت(دط) 1986م.
15. الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية، دار العودة، بيروت (دط)،2007م.

فاتح علاق: في تحليل الخطاب الشعري، دار التنوير للنشر والتوزيع، حسين داي –الجزائر، ط2، 1429هـ،2008م.

16 - أبو الفتح عثمان بن جني: المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، تحقيق: علي النجدي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1386هـ

17 - قاسم عدنان حسين: الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن الإمارات، ط 1 1412هـ ،1992 م.

18 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

19 - محمود صلاح زكي أبو حميدة: البلاغة والأسلوبية، جامعة الأزهر، القاهرة، دط، 2007م.

20 - مسعود بودوخة: الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1432هـ، 2011م.

21 - موسى ربابعة: جماليات الأسلوب والتلقي (دراسات تطبيقية)،دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 1429هـ، 2008م

22 - نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، ط14، 2007م.

23 - نور الدين درويش: ديوان مسافات، مطبعة جامعة منتوري، قسنطينة، ط2، 2002.

24 - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1997م.

25 - هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، ترجمة: محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999م.

26 - وهب رومية: التشكيل اللغوي في شعر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة عالم المعرفة (الشعر والناقد من التشكيل إلى الرؤيا)،العدد 331، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006م.

27 - يوسف أبو العدوس: الأسلوبية، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، العبدلي، الأردن، ط1، 2007 م.

تجلّـيات الشـــروح فــي شرح كتـاب سيبــويه
-شرح الأعلم الشَّنْتَمَرِي نموذجا-

د. المضرري محمد الغالي
جامعة الآداب والعلوم الإنسانية بفاس-المغرب

ملخـص:

غايتنا في هذا المقال هي الكشف عن تجليات الشروح في شرح كتاب سيبويه، مقتصرين على شرح كتاب سيبويه للأعلم الشنتمري على اعتبار أن شرحَه يتماشى وقضية التعريف التي تقتضي الوضوحَ والبيانَ والجَمْعَ والمَنْعَ. إذن، فإلى أي حد استطاع هذا الشارح أن يُوفق في شرحه لكتاب سيبويه؟ وإذا كان الهدف من الشرح هو التبسيط والتيسير، فهل فعلاً تمكن الأعلم الشنتمري من فك غموض مصطلحات الكتاب؟ ثم ألا يمكن القول أن كثرة الشروح تؤدي أحياناً إلى التعمية والتعقيد؟؟؟.

Abstract:

The objective of this article is to explore the plainness of the explanations in elucidating Sibawayeh’s Book. We limit the study to the elucidation of Sibawayeh’s Book by Alaeelam Chantamari since his explanation is in parallel with the task of definition which necessitates lucidity, eloquence, inclusion and exclusion. Thus, to what extent has the elucidator been successful in clarifying Sibawayeh’s Book? And if the intention of the explanation is simplicity and easiness, has Ala3elam Chantamari really been capable of maximizing the obviousness of the Book’s terms? Then, is it possible to say that the abundance of definitions sometimes leads to complexity and blinding?

تمــــهيد:

إن البحث في شروح كتاب سيبويه يحتاج إلى جهدٍ مبذولٍ ووقتٍ طويلٍ من أجل أن تكشف قضاياه ومسائله النحوية، بل إن الحديث عن الكتاب وحده شائكٌ وطويلٌ، ذلك أن الكتابَ حاوٍ لمسائل النحو وحُسْنِ التَّعَاليل، وكنت ـ ولله الحمد ـ واحداً من الذين استطاعوا أن يلجؤوا إليه محاولاً استخراج مصطلحاته النحوية المُعَرَّفَةِ وتبيان منهج الشرّاح فيه بعد ما غِبت في غيابات الجُبِّ وقتاً طويلاً.

وغني عن التأكيد أن كتاب سيبويه قد ألفه صاحبه منذ القرن الثاني الهجري، فاستعمل فيه مصطلحات وأبواب غامضة تحتاج إلى من يوضحها ويفك ألغازها وغموضها، الشيء الذي جعل الشرّاح يهتمون بشرح مصطلحات الكتاب، فاختلفت بذلك طرائقهم ومناهجهم في فهم الكتاب وشرحه.

وغني عن البيان أيضا أن المصطلحات النحوية عرفت تطوراً منذ عصر سيبويه حتى عصر الأعلم الشَّنْتَمَرِي، وذلك راجع طبعا إلى شرّاح الكتاب وما أضافوه للنحو العربي من قضايا نحوية، سواء على مستوى الشرح أو على مستوى المنهج، بغض النظر عن الخلفية المرجعية لدى كل شارح.

قبل الحديث عن تجليات الشروح في شرح كتاب سيبويه، لا ضير أن نشير إلى تعريف الشرح ووظيفته في المنظومة النحوية بصفة عامة والمصطلحية على وجه الخصوص، وكذا منهج الشرّاح أثناء تعاملهم مع الشروح النحوية.

أولا: تعريف الشرح ومنهج الشرّاح:

1-تعريف الشرح ووظيفته:

تدور لفظة "الشرح" في المعاجم اللغوية على عدة معان متقاربة الدلالة هي: التوضيح والبيان والكشف والتفسير، يقول ابن منظور: **"والشَّرْحُ: الكَشفُ، يقال شَرَحَ فُلَانٌ أمرهُ، أي أوْضَحَهُ، وشرح مسألةً مشكلةً: بيَّنها، وشرح الشيءَ يشرحه**

شرحاً، وشرحه: فتحه وبينه وكشفه"[1]، وشرح الشيء بسطه ووسعه وفسره وكشف ما خفي منه، وشرح رأي فلان، إذا أوضحه وفسره وبينه بالتفصيل، وأزال عنه الغموض.

وجاء في معجم كشاق اصطلاحات الفنون للتهانوي ما يلي: **"شرح الله صدره: وسعه بالبيان، وشرحْت الأمر: بينته وأوضحته"**[2].

بناء على ما تقدم، نستشف أنَّ الشرحَ في الاصطلاح هو بيان الشيء المشروح وتجْليته، ولهذا فقد لا يستعمل الشرح في القرآن، بقدر ما يستعمل في الكتب الأخرى، خاصة في كتب الشروح النحوية التي تتميز غالبا بالغموض والإبهام، بحيث يحتاج القارئ إلى محاولة واجتهاد بالغ حتى يزيل الخفاء ويرفع الإشكال عنها، لذلك فالشرح يتطلب توضيح المعنى البعيد والغير المألوف بمعان قريبة معروفة ومألوفة.

ويرى بعض الدارسين أن الشرح ما هو إلا **"تعليق الحواشي في هوامش الكتاب"**[3]، وهذا التعريف في نظرنا يبدو تعريفا بسيطا أقرب إلى التعليمية منه إلى الوظيفية، ذلك أن الشارح لا يكتفي فقط بتعليق الحواشي، وتكميلا لنقائصه، وإنما يلجأ إلى شرح متْنِ كلام المصنف وفك عباراته وتوضيحها جُمْلةً جُمْلةً، فيقوم بتقوية المتن من ذكر الأدلة وتحليلها وانتقاد بعض الجوانب التي يكون وضعها مخل، لذلك فالمتأمل في قضية الشروح سيجدها متقدمة زمنيا عن الحواشي، التي هي بمثابة شرح الشرح، ولكن لا على الشرح كله مفردة مفردة، بل على أجزاء منها، وهذا يعني أن المَحْشِيَّ لا يشرح جميع كلام المصنف، وإنما يقتصر على أمور ويغفل جوانب أخرى قد يعتبرها الشارح قصورا في الإيضاح، بينما الشارح لا يترك صغيرة ولا كبيرة في المتن إلا وفصَّل الحديث فيها، ولهذا جاز أن يكون للمتن حاشية، وللشرح شرح.

إن أهم ما يميز الشرح عن غيره،(التعريف، التأويل، التفسير) كونه لا يترك مسألة إلا وناقشها، لذلك تميز بصِبْغةٍ تعليميةٍ، وهو بهذا المعنى خاص بالشرّاح الذين لهم سِعة في العلم وفيض في الكلام ودراية بكل ما يتعلق بعلوم الآلة (النحو، الصرف، البلاغة، العروض)، فإذا كان المصنف (صاحب المتن) لا يذكر إلا الحد المراد تحديده وتمييزه عن غيره، فإن الشارح يهدف بالإضافة إلى الإحاطة بجميع أجزاء الحد المراد شرحه مع تحديد الوظائف الدالة والسياقية الممكنة، مع توضيح إدراك المتصورات وتقريبها إلى أذهان المتلقين بشكل يسير.

والذي يبين لنا بجلاء وظيفة الشرح ومدى أهميته في المنظومة النحوية بشكل عام وفي الدرس المصطلحي على وجه الخصوص، كونه يهدف إلى توضيح وبيان ما جاء في المتن من غموض وتعمية، وما طرأ على المصطلحات من تغيير عبر الأحقاب والأزمنة، مبينا حدودَها وعللَها وأحكامَها وصيغَها الصرفية والدلالية والتركيبية، كما يتناول التعريفَ والتعليلَ والتعقيبَ والتعليقَ والاستشهادَ والاستدلالَ وما إلى ذلك.

لذلك، فأهمية الشرح تتجلى في كونه لا يقتصر على الإحاطة بالتعريف من جميع جوانبه فحسب، وإنما يلجأ إلى تحليل سماته الدلالية، أو البحث له عن مرادفات دلالية بتراكيب متعددة أو بلفظة واحدة خصوصا إذا تعلق الأمر بالعبارات الاصطلاحية أو الواصفة التي جاءت على شكل أبواب نحوية مطولة كما هو الحال مثلا في كتاب سيبويه.

2-منهج الشرّاح في الشرح:

تختلف مناهج الشرّاح وطرائقهم بحسب الكتاب المشروح، فقد يذكر الشارح عبارة المتن ثم يتبعها بالشرح، وهي طريقة مألوفة لدى معظم الشرح، لأن الشرح يأتي في المرتبة الثانية بعد المتن، والحواشي التي توضع على الشروح تأتي في المرحلة

1- لسان العرب لابن منظور، ط3، 1414هـ، دار صادر بيروت، ج2، ص 497-498

[2]- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للباحث العلامة محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، ط1، 1996، ص 538.

[3]- المقصود بالحاشية هنا هي شرح الشرح، وإن كان بعض المتأخرين يقصد بها الشرح فقط، أما عند أغلب المعاصرين فتطلق الحواشي على ما يكون في أسفل الصفحات مرقونة ترقينا معينا.

الثالثة بعد الشرح، وهكذا... وقد يُعلق الشارح على عبارات وألفاظ صاحب المتن دون ذِكر ما جاء في المتن كاملا، وهذه طريقة موضوعية تقوم على الاختصار، حيث يكتفي الشارح بذكر عبارة المؤلف وشرحها دون التعريج عليها، أو قد يأتي الشارح بطريقة الشرح المزجي، وهو خليط يبين الشرح والمتن من غير فصل، أي أن الشارح قد يدخل الشرح بين ثنايا المتن فيصير كأنه كتاب واحد.

ومهما تعددت طرق الشرح ومنهج الشرّاح في الشرح إلا أنها تلتقي في كونها تفك لغز عبارات المصنفين وتوضحها وتفصلها وتزيل عنها الإشكال، وهذه هي وظيفة العبارة الشارحة، فالشرح بهذا المعنى يتجاوز الوضوح والإبانة الذي يهدفه التعريف في كل عبارة لغوية أو اصطلاحية.

ومن خلال قراءتنا لبعض كتب "الشروح النحوية" تبين أن الشرّاح يقصدون شرح كلام مصنفيهم عندما يشعرون أن ما قدمه هؤلاء لا يَفِي بالغرض المنشود، وكأن الحدود والمصطلحات عندهم يشوبها الغموض والإبهام، وما على الشرّاح إلا توضيحها وتبيانها وفك لغزها، وبالتالي إيصالها إلى القارئ، بشكل واضح وبأقل جهد، وهذه هي وظيفة الشرّاح أنفسهم، لكن مع ذلك فقد لا تفهم دلالة هذا الشرح، ولا تدرك حقيقته كماهي، لأن الشارح لا يهدف أحيانا تحديد المصطلح تحديدا دقيقا بذكر ماهيته، وإنما البحث عن أكثر العبارات وضوحا ودقة في تحديد المصطلح، ولعل هذا ما أدى بالبعض إلى وصف عباراتهم بأنها "مُسْتَغْلَقَة" تحتاج هي الأخرى إلى شرح وتفصيل.

ولعل من الأسباب التي أدت إلى ظهور الشروح النحوية كون كلام المصنفين في حقبة متقدمة من الزمن غير واضح ومفهوم، ولذلك احتاج إلى من يزيل عنه الغموض والإبهام، كما أن اختلاف النُّسَخ في نصوص المتن الواحد قد يؤدي إلى قلب المعنى وتغيير الحُكم، والمتأمل في شروح كتاب سيبويه يجد إشارات كثيرة لنسخ مختلفة، ومن ذلك ما نبه عليه السيرافي في شرح نص سيبويه الذي قال فيه: **" فكل شيء جاز أن يكون هو المبهم بمنزلة اسم الواحد هو عطف عليه"**[1].

***ثانيا:* منهج الأعلم الشنتمري من خلال شرحه لكتاب سيبويه**

1- منهجه في التعامل مع المصطلحات النحوية المعرفة وصُور صياغتها:

إن القارئ لكتاب "النكت في تفسير كتاب سيبويه" للأعلم الشَّنْتَمَرِي والمتمعن في منهجه، سيجده يختلف تماما عن باقي شرّاح الكتاب، ذلك أنه انفرد منذ البداية بوضع خطة يبين فيها طريقة شرحه والغرض من هذا التأليف، بدءا بالحديث عن أهمية كتاب سيبويه ومنهج بعض شرّاحه، مع الحرص على تبيان الخَفِي من مصطلحات الكتاب وشرح غريبها.

والأعلم لم يلتزم بما ورد في الكتاب أثناء شرحه، بل نجده أحيانا يزيد بعض الأبواب الغير الواردة في الكتاب، وأحيانا يهمل بعضها، وأحيانا أخرى نراه يقتصر على ذِكْر الباب دون شرحه ظانّاً منه أنه مفهوم لا يحتاج إلى شرح أو توضيح.

وإذا كان الباب المراد شرحه طويل في متن الكتاب، فإنه يذكر أوله وآخره وبين الجزأين يستعمل عبارة: "وقوله من" "إلى" أو "إلى قوله"، وتارة يذكر معنى الباب دون لفظه، أما إذا كان الباب قصيرا فيستهل حديثه بقوله: قال سيبويه، أو ومعنى قوله... ثم يذكر النص كاملا، وتارة نجده يُوطِّئُ للباب بمقدمة مختصرة ثم يبدأ في شرح ما يمكن شرحه من مصطلحات وألفاظ غريبة. وعليه؛ يمكن توضيح منهج الأعلم الشنتمري من خلال تعامله مع المصطلحات المُعَرفة في الآتي:

1.1 اعتماده على المصطلحات النحوية المفردة المُعرَّفة:

اعتمد الشنتمري في شرحه لكتاب سيبويه مصطلحات نحوية مفردة، وأخرى مركبة، وقدم لها تعريفا دقيقا لِئَلاَّ تلتبس على القارئ، ومن صُور المصطلحات النحوية المفردة التي استعملها نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1- اختلاف الشرّاح في تفسير كلام سيبويه وأثره في الدرس النحوي والتصريفي، من إعداد الطالب عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله الدباش، تحت إشراف الدكتور: عبد الله بن سالم الدويسري، 1426-1427هـ ،ص23.

- مصطلح الابتداء: "اعلم أنَّ الابتداءَ هو تعرية الاسم من العوامل اللفظية لتخبر عنه. وهذه التعرية عاملة فيه، لأن العوامل في الإعراب بمنزلة العلامات الدالة على ما يجب من الإعراب"[1].

- مصطلح الندبة: "اعلم أن الندبة تفجُّعٌ ونوحٌ من حزن وغم، يلحق النادب على المندوب عند فقده فيدعوه ـ وإن كان يعلم أنه لا يجاب ـ لإزالة الشدة التي لحقته لفقده..."[2].

- مصطلح الحال: "الحال وصف من أوصاف الفاعل أو المفعول في وقت وقوع الفعل، كقولك: قام زيد ضاحكا، أي: وقع فعله في الحال التي هو موصوف فيها بضاحك"[3].

21 اعتماده على المصطلحات النحوية المركبة المُعرَّفة

فكما اعتمد الأعلم الشنتمري على المصطلحات المفردة في شرحه لكلام سيبويه، عمد أيضا إلى استعمال المصطلحات المركبة المعرفة، ومن ذلك نذكر ما يلي:

-مصطلح اسم المكان: "فالذي هو اسم للمكان نحو قولك: المذهب والمجلس وما أشبه ذلك"[4].

- مصطلح الفعل الماضي: "كل فعل صح الإخبار عن حدوثه في زمان بعد زمان حدوثه فهو ماض"[5].

- مصطلح حروف الزيادة: "وهي عشرة أحرف، وتجمعها قولك: "اليَوْمَ تَنْساهُ""[6].

- مصطلح مجاري أواخر الكلم: "أما قوله "مجاري" إنما أراد بها حركات أواخر الكلم، والدليل على ذلك قوله: "وهي تجري على ثمانية مجار": على النصب والرفع، وما بعدهما من الثمانية"[7].

- مصطلح الكلام المستقيم الكذب: " وأما المستقيم الكذب فكقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر"[8].

2ـ منهجه في التعريف بالمصطلحات النحوية المُعرَّفة:

القارئ لكتاب "النكت في تفسير كتاب سيبويه" سيجد أن مصطلحاته غالبا ما تتميز بالوضوح والبيان، أضف إلى ذلك اعتماده التعريفَ الدقيقَ المحكمَ، كما لا نجده يستعمل تلك العبارات الواصفة التي تأتي على صورة أبواب نحوية كما هي عند سيبويه أو عند السيرافي مثلا، وهذا مرده في نظرنا إلى أن المصطلحات بدأت تستقر وتنضج شيئا فشيئا. ومن أهم القضايا التي اهتم بها الأعلم الشنتمري في تحديد وصياغة تعريفه ما يلي:

أ. تقديم المُعرَّف على التَّعريف: وهذه الصورة هي الأكثر ورودا في شرحه، ومن ذلك قوله في تعريف **الاسم المبهم: "واعلم أن الاسم المبهم مخالف لغيره في النعت، وذلك أنه ينعت بأسماء الأجناس كقولك: مررت بهذا الرجل، وركبت هذا الفرس وما أشبه ذلك"[9].**

- مصطلح النعت: "اعلم أن النعت هو اختصاص الاسم المنعوت وإخراجه من إبهام وعموم إلى ما هو أخص منه"[10].

---

[1] النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشنتمري، دراسة وتحقيق: ذ رشيد بلحبيب، 1420هـ- 1999م، ج2، ص 108

[2] نفسه، ج2، ص 169

[3] نفسه، ج1، ص 262.

[4] نفسه، ج1، ص 248.

[5] المرجع نفسه، ج1، ص 166.

[6] نفسه، ج3، ص 271.

[7] النكت في تفسير كتاب سيبويه، مرجع سابق، ج1، ص 167

[8] ينظر حواشي النكت في تفسير كتاب سيبويه، ج1، ص 204.

[9] نفسه، ج2، ص 36.

[10] المرجع نفسه، ج2، ص 24

- **مصطلح التصغير: "اعلم أن التصغير يجيء على وجوه، منها: تقليل ما يجوز أن يتوهم كثيرا، أو تحقير ما يجوز أن يتوهم عظيما، أو تقريب ما يجوز أن يتوهم بعيدا. فأما التقليل فقولك: دُريهمات، وأما التحقير فقولك: كُليب ورُجيل، وأما التقريب: فكقولك: جئتك قُبَيل شهر رمضان وبُعَيده"**[1].

- **مصطلح حروف المد: "وحروف المد هي: الألف والواو والياء وما فيها، يعني الحركات"**[2].

- **مصطلح الإعراب: "والإعراب إنما هو تعاقب الحركات على أواخر الكلم باختلاف العوامل"**[3].

ب . تقديم التَّعريف وتأخير المُعرَّف: وهذه الصورة قَلَّمَا نجدها في كتابه، ومن ذلك قوله في تعريف **التصريف: "فأما التصريف فهو تغيير الكلمة بالحركات والزيادات والقلب للحروف حتى تصير على مثال كلمة أخرى كقولك في مثال: "جُلْجُل" من "ضَرَبَ" "ضُرْبُب"، فتغيير الضاد إلى الضم، وزيادة الباء وتغيير الحروف التي في "ضُرْبُبٍ" عن الحركات التي في ضرب هو التصريف"**[4].

- **مصطلح الاسم: "وحد الاسم في الحقيقة أن يقال: كل شيء دل لفظه على معنى غير مقترن بزمان محصل فهو اسم**[5].

- **مصطلح الفعل الماضي:** "**كل فعل صح الإخبار عن حدوثه في زمان بعد زمان حدوثه فهو ماض"**[6].

ج – تعدد التعريفات للمصطلح الواحد: حيث عمد الأعلم إلى تحديد المصطلح الواحد بأكثر من تعريف. ومثال ذلك قوله في تعريف **الاسم المتمكن: "والمتمكن على ضربين: أحدهما مستوف للتمكن ويسمى الأمْكن، والآخر ناقص التمكن. فأما الأمكن: فهو ما يدخله الرفع والنصب والجر والتنوين. والناقص التمكن: هو ما يمنح الجر والتنوين"**[7]، وهو أيضا ينقسم إلى قسمين: **" قسم مستوف للتمكن كله وهو المنصرف، وقسم ناقص عن هذا وهو غير المنصرف"**[8].

ج . وضوح التعريف وقِصَره: وهذه الصورة واردة بكثرة عند الأعلم، ذلك أنه حد المصطلحات بتحديدات واضحة ومختصرة تماشيا وقضية التعريف التي تقتضي التدقيق والوضوح والجمع والمنع.

ومن ذلك تعريفه لمصطلح **الكلم** بقوله:**" والكلم: اسم وفعل وحرف"**[9]، وكذا قوله في تعريف **المبتدأ: "المبتدأ هو الاسم المرفوع"**[10]، وقوله أيضا عن **حروف الإعراب: "وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة"**[11]، وكذا قوله أثناء سياق حديثه عن الاسم المتمكن وغير المتمكن: "**فالمتمكن المُعرب و غير المتمكن المبني"**[12]

---

[1] نفسه، ج3، ص 12.

[2] المرجع نفسه، ج3، ص 401.

[3] نفسه، ج1، ص 191.وقريب من هذا التعريف نجده عند الكفوي قائلا: والإعراب: "هو تغيير أواخر الكلم أو ما نزل منزلتها لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا، وعليه كثير من المتأخرين. (ينظر الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ط2، 1992م، ج1، ص227.)

[4] النكت في تفسير كتاب سيبويه، مرجع سابق، ج3، ص 278.

[5] نفسه، ج1، ص 165. أما السيرافي فيعرف الاسم بقوله: "كل شيء دل لفظه على معنى غير مقترن بزمان محصل، من مضي أو غيره فهو اسم". انظر شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي، تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان- ط1، 2008، ص15.أما الرماني النحوي فيعرف الاسم هكذا: الاسم كلمة تدل على معنى غير مختص بزمان...وهو الذي يعلمه المخاطب".(ينظر الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، للدكتور مازن المبارك، منشورات دار الكتب اللبناني – بيروت- ط2، 1972م.ج1،ص122 وما بعدها.

[6] النكت في تفسير كتاب سيبويه، مرجع سابق، ج1، ص 166

[7] نفسه، ج2، ص 434.

[8] نفسه، ج1، ص 169-170.

[9] ا لنكت في تفسير كتاب سيبويه، ج1، ص 185.

[10] نفسه، ج1، ص 198.

[11] نفسه، ج1، ص 169.

[12] نفسه، ج2، ص 434. هذا، ويرى أبو علي الفارسي أن "حروف الإعراب هو نهاية الكلم المعربة سواء كان ذلك زائدا أو أصليا". ينظر التعليقة على كتاب سيبويه، لأبي علي الحسن بن أحمد بن غفار الفارسي (377هـ)، تحقيق عوض بن حمد القوزي، ط1، 2008م. ج1، ص 28.

د ـ اعتماده الاستشهاد في التعريف: ذلك أن الأعلم الشنتمري لم يكتف بتعريف المصطلحات تعريفا واضحا ودقيقا، وإنما كان يعمد إلى الاستشهاد بآراء النحاة قصد تبيان المصطلحات ووضوحها أكثر، ومن أمثلة ذلك قوله في تعريف الإلصاق: **"والإلصاق ضربان: حقيقي نحو: أمسكت الجبل بيدي، قال ابن جني: أي ألصقتها به، ومجازي نحو: مررت بزيد، قال الزمخشري: المعنى: التصق مروري بموضع يقرب منه"**[1].

ومنه أيضا قوله في حد **النسبة**: **"والنسب في كلامهم على ضربين: مقيس وشاذ، فما ذكر من الشاذ قولهم في النسب إلى هذيل: هذلي"**[2].

وقوله في حد **المُضمر**: **"ومن النحويين من يسميه المُكنى"**[3]، **وكذا قوله في حروف البدل: "وهي أحد عشر حرفا قد ذكرها ذكرها سيبويه، ويجمعها في اللفظ: "أجد طويت منها"**[4].

وكذا قوله في تعريف **الفعل**: **"اعلم أن سيبويه ومن نحا نحوه يقسم الفعل على ثلاثة أزمنة: ماض ومستقبل وكائن وقت النطق به"**[5].

هـ ـ اعتماده التمثيلَ والتفصيلَ في التعريف: وقد اعتمد هذه الصورة في جملة من مصطلحاته، منها قوله في تعريف الاسم المقصور: **"والمقصور قد يسمى منقوصا أيضا. فأما قصره فهو حبسه عن الهمزة بعده، وأما نقصانه، فنقصان الهمزة منه"**[6].

وكذا قوله في سياق حديثه عن **الحروف**: **والحروف على ضربين: حروف معان: ك إلى ونِعم، وثم، وما أشبه ذلك. وحروف لا معنى لها وهي حروف المعجم"**[7]، ثم يقول عن **حروف المعجم (المبدولة): "وهذه الحروف تنقسم قسمين: أحدهما يطرد إبداله، والآخر لا يطرد، فأما ما يطرد فخمسة أحرف: الجيم والكاف والباء والفاء والقاف، وأما ما لا يطرد فالسين والشين والعين واللم والزاي"**[8].

ومنه أيضا قوله في تعريف **مجاري أواخر الكلم: "أما قوله "مجاري" إنما أراد بها حركات أواخر الكلم، والدليل على ذلك قوله: "وهي تجري على ثمانية مجار": على النصب والرفع، وما بعدهما من الثمانية"**[9].

وفي حديثه عن **الكلام المستقيم القبيح** قال: **"وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا ضربت، وكي زيدا يأتيك وأشباه هذا"**[10].

خاتمة:

انطلاقا مما توصلنا إليه، تبين لنا أن شرح كتاب سيبويه للأعلم الشَّنْتَمَرِي هو الشرح الذي يمكن أن نعتمد عليه في الدراسة المصطلحية خاصة وفي المنظومة النحوية بصفة عامة، ما دام يتماشى وقضية التعريف التي تقتضي الوضوح والبيان والجمع والمنع.

---

[1] انظر حواشي النكت في تفسير كتاب سيبويه، مرجع سابق، ج3، ص 265.

[2] المرجع نفسه، ج 2، ص516.

[3] نفسه،ج2، ص 262

[4] نفسه، ج3، ص 273

[5] نفسه، ج1، ص 165. قال سيبويه عن تعريف الفعل وأقسامه: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع". ينظر الكتاب، لسيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط3، 1408هـ/1988م، ج1،ص12.

[6] ينظرحواشي النكت في تفسير كتاب سيبويه، مرجع سابق،ج2، ص 178.

[7] النكت في تفسير كتاب سيبويه، ج1، ص 165

[8] نفسه، ج2، ص 334.

[9] النكت في تفسير كتاب سيبويه، مرجع سابق، ج1، ص *167*

[10] انظر حواشي النكت في تفسير كتاب سيبويه، ج1، ص 204.

ومادام الأصل في الشرح هو الوضوح والبيان، فإن كثرة الشروح أحيانا لا تزيد القارئ إلا تعمية وغموضا، وذلك راجع في نظرنا إلى عدم توحيد المصطلحات والتعاريف، ناهيك عن الخلفية المرجعية لدى كل شارح.

ولعلني بهذا أكون قد وفقت في تحقيق بعض ما قصدت، فإن أصبت فهذا ما قصدت، وإن كنت قد أخطأت فحسبي أني اجتهدت، والحمد لله أولا وآخرا عليه توكلت وإليه أنيب، وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

لائحة المصادر والمراجع

- اختلاف الشرّاح في تفسير كلام سيبويه وأثره في الدرس النحوي والتصريفي، من إعداد الطالب عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله الدباش، تحت إشراف الدكتور: عبد الله بن سالم الدويسري، 1426-1427هـ

- تقويم الفكر النحوي، للدكتور علي أبي المكارم، 2005م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

- التعليقة على كتاب سيبويه، لأبي علي الحسن بن أحمد بن غفار الفارسي (377هـ)، تحقيق عوض بن حَمَد القوزي، ط1، 2008م.

- الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، تأليف الدكتور مازن مبارك، منشورات دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط2، 1972م.

- الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر الملقب ب "سيبويه"، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ الطبعة الثالثة 1408هـ، 1988م.

- الكليات،(معجم مصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري – مؤسسة الرسالة-، بيروت – لبنان- ط2، 1988م.

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للباحث العلامة محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة الدكتور رفيق العجم، تحقيق الدكتور علي دحدوح، ط1، 1996م.

- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي(ت711هـ) دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ

- النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشنتمري، دراسة وتحقيق: ذ رشيد بلحبيب، 1420هـ- 1999م.

- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي، تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان) ط1، 2008م.

ماهية المعنى وحدوده

– دراسة في المصطلح والأبعاد–

أ.مداني إيمان
جامعة البليدة02-

الملخص:

يرى بعض الدارسين أن دور اللغة الأساس هو نقل المعنى، لذا ينبغي على دراسة المعنى أن تكون دائماً نقطة الاهتمام الرئيسة في الدراسة العلمية للغة. ومع ذلك فإن الأمر ليس كذلك. إذ انشغل الفلاسفة، والمفكرون بالأسئلة التي تدور حول المعنى منذ آلاف السنين، وذلك لدراسة علم الدلالة، كفرع أساس في اللغويات الحديثة التي هي حديثة العهد والتطور. إلا أنه في السنوات الأخيرة بدأ اللغويون ينظرون إلى علم المعنى بجدية أكبر. ولا نبالغ إن قلنا إن أكثر الأعمال تأثيرا حتى اليوم في مجال علم الدلالة كان نظري التوجه، حيث اتجه نحو توضيح الخواص المنطقية للجمل، وتفسيرها ضمن إطار بعض الأنظمة اللغوية. ويروم هذا البحث إلى تبيان ماهية المعنى وحدوده، ومحاولة استنطاق المفاهيم المصاحبة له.
الكلمات المفتاحية : المعنى، علم الدلالة، التأويل، معنى المعنى.

Abstract:

Some researchers believe that the fundamental role of language is to convey a meaning, it should be on the study of meaning must always be the main point of interest in the scientific study of language. However, it is not. He preoccupied philosophers and thinkers issues that revolve around the meaning thousands of years ago to study semantics, mainly as a branch of modern linguistics is a recent development. However, in recent years it has begun linguists look at the meaning of science more seriously. It is no exaggeration to say that most companies still influential today in the field of semantics was my orientation, where the head towards the clarification and interpretation of the logical properties of sentences under certain linguistic systems. And this research aims to show that the meaning and limits, and try to question the concepts associated with it.
Keywords: meaning, semantic, interpretation, the meaning of meaning.

مقدمة:

تعد قضية المعنى من أهم القضايا الفكرية التي شغلت فكر الإنسان منذ القدم. وقد وقف عندها علماء مختلفو الثقافة متنوعو الاهتمام، فاختلفت النظرة إلى هذه القضية باختلاف الفروع، والمجالات المعرفية، وبحسب اهتمام كل فرع منها بجانب خاص من جوانب المعنى، حيث اشترك في مناقشتها الفلاسفة، المناطقة، اللغويون، والأنثروبولوجيون، علماء النفس، ودارسو الفن والأدب ...

وتظهر أهميته أيضا، عند رجال الأعمال، ومصممي إعلانات الدعاية والإشهار، ورجال السياسة (خطب، تصريحات)، المؤرخين، والأطباء، وغيرهم.

كما نجد أن مسألة المعنى التي طال الحديث عنها على مر العصور، لطالما ارتبطت بجانب اللفظ هذا الأخير الذي جعل أحيانا هو الأساس، وأحيانا أخرى ركز على المعنى، فأمور الحياة الدنيا متداخلة متشابكة تكون في مجموعها نظاما متماسك الأطراف، ولا غرابة أن نرى معنى يقترب من آخر أو أن نرى جزءا من معنى يشترك فيه عدة ألفاظ، ومع ذلك تتجه معظم اللغات إلى تخصيص اللفظ بمعنى معين يصبح له بمثابة العلامة متى أطرقت السمع أثارت في الذهن دلالة معينة يشترك في فهمها أفراد البيئة اللغوية.

ولم يتوقف الأمر في البحث عن المعنى عند حد الألفاظ بل تجاوزها إلى الأصوات والإشارات والرموز، بمعنى الخوض في معاني المادة غير اللفظية التي هي ثرية من حيث دلالاتها، وتحتاج إلى التحليل المعمق في باطنها.

فعلى الرغم مما للعوامل غير اللفظية من دور في التواصل ونقل المعنى، حيث تتدخل فيه بنسبة 58% فإن الاهتمام بهذه الأخيرة بوصفها موضوعا للدراسة حديث النشأة، إذ تعود أول دراسة نسقية، وموسعة للوقائع الإشارية، والحركية إلى بداية الخمسينات من القرن العشرين،[1] ونضيف اجتهادات بارث في هذا الصدد رؤيته للمعاني التي تتضمنها الأنساق السيميائية غير اللغوية كالأكل مثلا حيث يصل إلى أن الطعام في حد ذاته، وطريقته والأدوات المستعملة في شأنه كلها تمثل علامات سيميولوجية تحمل في فحواها العديد من المضامين والدلالات. ومن سلسلة ما حلله الأكل بالعصيين بالنسبة للصينيين، حيث يذكر في كتابه " l'aventure sémiologique ": " إن الأكل بالعصيين سلوك ثقيل بالدلالات "

" Manger avec des baguettes un geste lourd de signification" حيث إن هذا المشهد حسبه يوحي بتقديس الغذاء والحفاظ عليه، وفي الوقت نفسه دلالة على العاطفة الكبيرة التي يحملها الإنسان تجاه هذه النعمة.[2]

إضافة إلى ذلك نجد ما يذكره كريم زكي حسام الدين في كتابه "الإشارات الجسمية" حيث يحدد وظائف الإشارات الجسمية في نقل المعنى، وتحقيق عملية التواصل، وذلك في:[3]

1- تحقيق وتدعيم المعاني والدلالات التي يقصدها المتكلم.

2- إكمال القصور وجبر العجز اللذين قد يشعر بهما المتكلم تجاه لغته الأم، أو اللغة الأجنبية التي لا يعرفها عندما ينتقل إلى مجتمع آخر.

3- النيابة عن الكلمات في بعض المواقف التي يلجأ خلالها المتكلم إلى استبدال الإشارة بالكلام في حالات الخجل والاضطراب أو عندما يتعمد إخفاء ما يريد قوله.

4- التعبير عن ظلال المعاني shades Of meanings التي يريدها المتكلم، أو ما سماه الجاحظ خاص الخاص.

بذلك تداخلت هذه المعالم كلها فكونت هالة من الغموض حول موضوع المعنى.

وموضوع المعنى قديم وجديد في آن واحد ، وهو دائم التجدد ما دام متعلقا بأهم نقطة في حياة الإنسانية وهي اللغة، وكما سبق وأن ذكرنا أن المعنى تجاذبته أطراف عدة كالفلسفة والمنطق، والبلاغة وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والمعنى جوهر علم اللغة فجاء علم اللغة ليضم كل الأطراف بغية الوصول إلى حقيقة هذا الجوهر، نتيجة لذلك ظهر مصطلح " علم الدلالة la sémantique " في نهاية القرن التاسع عشر كدراسة علمية للمعنى، أو كفرع يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى. فكثرت حوله المؤلفات، وتباينت وتنوعت وجهات النظر وتعددت. فالدلالة متعلقة بالمعنى باعتبار أن كلمة علم الدلالة مشتقة من الكلمة اليونانية semine بمعنى دل وعنى وهي نفسها مشتقة من كلمة sema أي دال. وقد كانت في الأصل تدل على كلمة معنى، أي أن أي تغيير دلالي هو تغيير معنوي.[4]

إن استنباط المعنى من أكبر الصعوبات التي تواجه الباحث، لأنه أمام معان متجددة، وتدخلها شروط كثيرة قبل استخدامها.

و يعتمد استنباط المعنى على النقاط التالية:

- تحديد دلالة الألفاظ المفردة خارج السياق.
- تحديد دلالة الألفاظ داخل السياق.
- دراسة معاني الجمل.
- ضبط مقام التركيب في سياق الخطاب.
- عدم إغفال المعنى الاجتماعي للمفردة أو الجملة أو التعبير.
- عدم إهمال المعنى الحضاري أو الديني...وما إلى ذلك.

وفي القرن العشرين اتسعت البحوث والدراسات في المعنى والدلالة، واتضحت المناهج، وتطور البحث فيها، ولم تعد تقتصر على الجوانب التاريخية فأدخلت الجوانب الاجتماعية والنفسية والإنسانية، وكل ما له علاقة بالمعنى، أي تضافرت مختلف العلوم الإنسانية لمعالجة هذا الموضوع المهم، باعتبار أن المعنى متعلق بكل شيء في حياة الإنسان.

1- مفهوم المعنى:

لغة: (اشتقاق المعنى من الإظهار، يقال: عنت القربة إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته، و قال آخرون من قول العرب: تمكنت الأرض بنبات حسن إذا انبتت نباتا...). والإظهار هو الإبانة والوضوح.[5]

كما أن المعنى في اللغة يدل على ما يأتي:

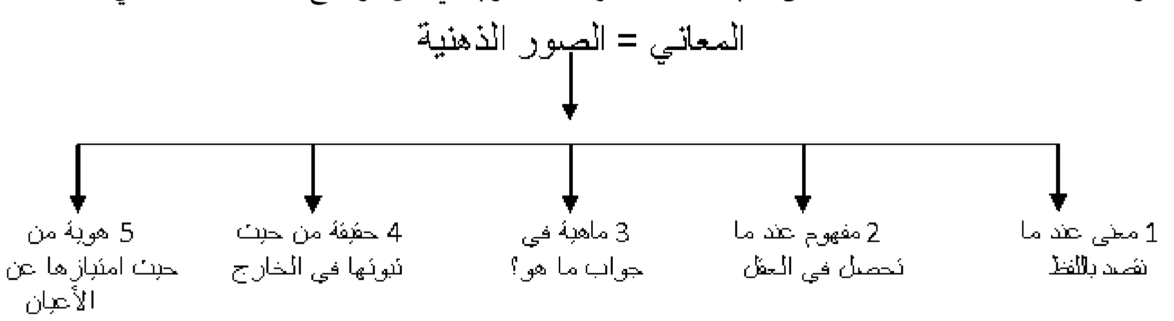
• المراد من الكلام والقصد منه.

• أن المعنى خفي يُدرك بالقلب.

• مضمون الكلام وما يقتضيه من دلالة أو العقل، وأنه شيء غير اللفظ، لأن اللسان ليس له فيه حظّ.[6]

اصطلاحا: حد جابر بن حيان المعاني، جمع معنى (أنها الصور المقصودة بالحروف إلى الدلالة عليها)، وعرفه الرماني (مقصد يقع البيان عنه باللفظ) وعرفه الشريف الجرجاني (ما يقصد بشيء) والتهانوي (هو الصورة الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها اللفظ، أي من حيث إنها تقصد من اللفظ) والأنصاري (الصورة الذهنية و هو القصد).[7]

كما ورد عن "الزبيدي" عن "المناوي" أن :« المعاني هي الصور الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ»، ثم يجعل لهذه الصور الذهنية أسماء اصطلاحية تطلق عليها، بحسب مراتب حصولها ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي:[8]



إن هذا الحشد لحدود المعنى يؤكد على بيان التشابه في معاني حد المعنى، ووجود كلمات مكررة تنوب عن مصطلحات دلالية مثل: صورة، حروف، دلالة، مقصد وقصد، بيان لفظ، فالدلالة ثم التحدث عنها والصورة، والحروف واللفظ يتأتى بيانها في الدال والمدلول، ويتبقى لنا القصد والبيان كمرادفات للدلالة والمعنى ونضيف لها التفسير، والتأويل معتمدين في ذلك قول ابن فارس في كلامه عن معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عنا لأشياء بقوله: « ومرجعها إلى ثلاثة: وهي المعنى والتفسير والتأويل، وهي وإن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة، فأما المعنى فهو القصد والمراد، يقال: عنيت بالكلام كذا أي: قصدت وعمدت..»[9]

نتوصل إلى أن مصطلحات التأويل والتفسير والبيان، وما يتعلق به من حيث الوظيفة والقصد كمصطلحات مرادفة للمعنى. وهو ما يستلزم ضرورة التطرق إلى هذه المفاهيم، الذي نجده في عنصر- تسميات المعنى-.

*** المعنى في اصطلاح اللغويين المحدثين:**

- المعنى عند "دي سوسور" هو عبارة عن« ارتباط متبادل أو علاقة متبادلة بين الكلمة (أو الاسم) وهي الصورة السمعية وبين الفكرة.»

فأي تغيير يحدث في الكلمة لا بد أن يؤدي إلى تغير مصاحب في الفكرة (المعنى) والعكس صحيح.

- والمعنى عند "بلومفيلد" (رائد البحث اللغوي الحديث في أمريكا) « هو مجموع الحوادث السابقة للكلام والتالية له.» [10]
وهذا التعريف للمصطلح مبني على تفسير الموقف اللغوي، الذي يحدث فيه مجموعة من المثيرات والانسحابات على النحو التالي:

مثير عملي ←—— رد فعل لغوي................. مثير لغوي رد فعل عملي. ←——

*** معنى المعنى: - ما معنى المعنى ؟**

لقد طرح هذا السؤال مرارا وكانت الأجوبة في كل مرة مختلفة تماما. ما جعل العديد من الباحثين يشككون في إمكانية دراسة المعنى دراسة علمية. ولعل أشهر كتاب تناول هذه المسألة بالتفصيل هو "معنى المعنى" الذي ظهر سنة 1923 لصاحبيه " أوغدن و ريتشاردز". و قد أورد هذان اللسانيان اثنين وعشرين تعريفا خاصا بكلمة "المعنى" و سنذكر فيما يأتي بعضا منها:

- المفردات التي تقرن بمفردة ما في القاموس.
- خاصية جوهرية.
- المعنى الإضافي الذي توحيه اللفظة علاوة على معناها الأصلي.
- النتائج العملية لشيء ما في تجربتنا المستقبلية.
- موقع أي شيء ما في نظام ما.
- ذلك الشيء الذي يقصده مستعمل الرمز.
- ذلك الشيء الذي يجب أن يقصده مستعمل الرمز.
- ذلك الشيء الذي يعتقد مستعمل الرمز أنه يقصده.
- ذلك الذي يقصده مؤول الرمز، أو يعتقد أنه يقصده، أو يعتقد أن المستعمل يقصده.

و بشكل عام، يمكن تقسيم هذه التعريفات المختلفة إلى نوعين اثنين:
النوع التحليلي: الذي يرمي إلى تحليل المعنى إلى كل عناصره المكونة له.
النوع العملي: الذي لا يعني بمعنى المعنى بقدر ما يعني بالعمل الذي يؤديه. [11]

2- تسميات المعنى:

*** التأويل:**

لغة: (الأول: الرجوع آل الشيء يؤول أولا ومآلا: رجع وأول إليه الشيء: رجعه وألت عن الشيء ارتددت) أي معناه الرجوع والعاقبة. [12] (وأول الكلام وتأوله: دبره وقدره ، وأوبه وفسروه) [13]

اصطلاحا: هو التفسير ونقل ظاهر اللفظ إلى غير ما يفهم منه لأول مرة، تبعا لقول الأزهري « قال الليث: والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه.» [14]

كما يعرفه التهاوني « توجيه لفظ موجه إلى معان مختلفة إلى واحد بما ظهر من الأدلة.» [15] أي تخصيص اللفظ إلى معنى واحد من معان متعددة تحتمل إن تخصص بذلك اللفظ مما يتيح للمتكلم مجالا واسعا في تفسير كلامه وبيان أغراضه.

أما من وجهة نظر اللسانيين المعاصرين، فهو يعد مفهوما شديد التعقيد، نتيجة لتعدد دلالاته ولتشغيله في حقول معرفية مختلفة، فبالإضافة إلى العلوم الدينية التي جعلت منه مفهوما إشكاليا، وبعد الثورة الإبستمولوجية التي أحدثتها العلوم الإنسانية، والتي استلزمت منه التخلي عن الإشكالية المتمحورة حول الخطأ والصواب، عرف هذا المفهوم استعمالا مكثفا من قبل مجموعة من العلوم التي أغنته، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، التحليل النفسي، الأنثروبولوجيا، علم الدلالة، الظاهراتية، الذكاء الاصطناعي السيمياء بمختلف اتجاهاتها. [16]

*** التفسير:**

لغة: (فسرت الشيء فسرا من باب ضرب بنيته و أوضحته و التثقيل مبالغة).

اصطلاحا: هو التفصيل عن ابن عباس (رضي الله عنه) في قوله تعالى: ﴿ **و أحسن تفسيرا**﴾ [**سورة آل عمران، الآية: 27**] قال: تفصيلا واشتقاقه من الفسر.[17] كما يعرفه التهاوني بأنه: بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا. أي لا يحتمل اللفظ إلا معنى واحدا وهو المقصود.

وقد فرق أبو هلال العسكري بين التأويل والتفسير بقوله: التفسير هو الإخبار عن إفراد وآحاد الجملة، والتأويل الإخبار بغرض المتكلم بكلام.[18]

*** البيان:**

لغة: الاتضاح والإفصاح وأصله الكشف والظهور وبان الشيء فهو بين.[19]

اصطلاحا: يعرف الجاحظ البيان بقوله: « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى أو هتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقة، ويهجم على محصوله كائن ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر، والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع.»[20]

كما عرفه الشريف الجرجاني بأنه: « إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.»[21]

نشير إلى أن البيان الذي تحدث عنه الجاحظ يشكل في فحواه مرادفا منطقيا للسيمياء أو علم العلامات. من جانب آخر غالبا ما يرتبط البيان في اصطلاحه بالفصاحة وعلم البلاغة. بيد أن ما يهمنا هنا البلاغة من حيث بلوغ المتكلم السامع في إيصال المعنى.

من ناحية أخرى، نجد أن علم الدلالة سمي بالمعنى على اعتبار- في رأي معظم المحدثين- أن المعنى يقابل الدلالة. وهو ما يستلزم ضرورة التطرق إلى التعريف بعلم الدلالة وموضوعه.

3- أنواع المعنى:

فرق علماء الدلالة بين أنواع من المعنى لابد من ملاحظتها قبل التحديد النهائي لمعاني الرموز والعلامات. ورغم اختلاف العلماء في حصر أنواع المعنى يمكننا أن نعرض بعضا منها فيما يأتي:

1- المعنى الأساسي أو الأولي أو المركزي (المعنى التصوري أو المفهومي conceptual meaning) (الإدراكي cognitive):

وقد عرف Nida هذا النوع من المعنى بأنه المعنى المتصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في أقل سياق أي حينما ترد منفردة.

2- المعنى الإضافي أو العرضي أو الثانوي أو التضمني:

هذا النوع من المعنى زائد على المعنى الأساسي، وليس له صفة الثبوت والشمول، وإنما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة.[22]

مثال: كلمة "امرأة" يتحدد معناها الأساسي بثلاثة ملامح هي (+إنسان-ذكر+بالغ). ولكن هناك معاني إضافية كثيرة، وهي صفات غير معيارية، وقابلة للتغيير من زمن إلى زمن، ومن مجتمع إلى مجتمع، هذه المعاني الإضافية تعكس بعض الخصائص العضوية، والنفسية والاجتماعية، كما تعكس بعض الصفات التي ترتبط في أذهان الناس بالمرأة كالثرثرة وإجادة الطبخ. ولا يعد شرطا بالنسبة للمتكلمين بلغة معينة أن يتفقوا في المعنى أو المعاني الإضافية. كما أن المعنى الإضافي مفتوح وغير نهائي، بخلاف المعنى الأساسي. ومن الممكن أن يتغير المعنى الإضافي ويتعدل مع ثبات المعنى الأساسي.

لنلحظ معا الجملة التالية:

" متى توقفت عن ضرب زوجتك؟" فهي تفترض أنك – ذات مرة- ضربتها، رغم أن الجملة لا تنص في أي مكان على أنك فعلت هذا. إذن فالافتراض الضمني واضح من التوكيد.[23]

3- المعنى الأسلوبي: وهو ذلك النوع من المعنى الذي تحمله قطعة من اللغة بالنسبة للظروف الاجتماعية لمستعملها والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها.

كما أنه يكشف عن مستويات أخرى مثل: التخصص، ودرجة العلاقة بين المتكلم، والسامع، ورتبة اللغة المستخدمة (أدبية، رسمية، عامية، مبتذلة..) ونوع اللغة (لغة قانون، لغة العلم، لغة الإعلان..) والواسطة (حديث، خطبة، كتابة..) [24] فعلى سبيل المثال، كلمتان مثل father وdaddy تتفقان في المعنى الأساسي، ولكن الثانية يقتصر استعمالها على مستوى الشخص الحميم.

4- المعنى النفسي: وهو يشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد،[25] ومن ثم يعد معنى مقيدا بالنسبة لمتحدث واحد فقط، ولا يتميز بالعمومية. ويظهر هذا المعنى بوضوح في الأحاديث العادية للأفراد، وفي كتابات الأدباء وأشعار الشعراء. كما نشير في هذا الصدد إلى علم اللغة النفسي.

*** الدلالة:** المعنى اللغوي للدلالة يوحي عند القدامى بالإرشاد، والهداية، والتسديد، أو التوجيه نحو الشيء.[26]

أما معنى الدلالة في الاصطلاح العربي القديم، فنجد الشريف الجرجاني (740-816هـ) يعرف الدلالة بأنها: « كل شيء لحالة يلتزم من المعرفة به المعرفة بشيء آخر، الشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص.» [27] وهذا معنى عام لكل رمز إذا علم كان دالا على شيء آخر.

وترتبط دلالة لفظ "الدلالة" في الاصطلاح بدلالته في اللغة، حيث انتقلت اللفظة من معنى الدلالة على الطريق، وهو معنى حسي إلى معنى الدلالة على معاني الألفاظ، وهو معنى عقلي مجرد.

في حين يتمثل علم الدّلالة في اصطلاح المحدثين، في ارتباطه بعلوم البلاغة في الثقافة الغربية القديمة، ولم ينفصل عنها إلا بعد أن تبلور مصطلح علم الدلالة في صورته الفرنسية Sémantique على يد عالم اللغة " بريل" Bréal صاحب أول دراسة علمية حديثة خاصة بالمعنى في كتابه Essai de sémantique 1897.

وقد وضع "بريل" هذا المصطلح Sémantique ليميز دراسته هذه عن غيرها من الدراسات اللغوية وليعبر به عن فرع من فروع علم اللغة العام، وهو علم الدلالة في مقابل الصوتيات Phonétique والمصطلح مشتق من الأصل اليوناني Sémantike المؤنث، ومذكره Sémantikos أي يعني. ويدل ومصدره كلمة Sema وتعني إشارة، وإذا كان معنى المصطلح يختلف عند "بريل" عن معناه الآن، إذ اقتصرت دراسته على الناحية التاريخية الاشتقاقية للألفاظ، وقد ذهب في بحثه مذهبين:

الأول: يذهب فيه إلى تحديد المعاني عبر الزمان.

الثاني: كان يهدف من ورائه إلى استخراج القوانين المتحكمة في تغيير المعاني، وتحويلها ومن هنا اكتسب البحث في الدلالة سمة العلمية، واستقل عن علوم البلاغة في العرب.

فالمصطلح أصله فرنسي ثم نقله اللغويون إلى الانكليزية بعد ذلك، يقول "بالمر Palmer": يعد مصطلح علم الدلالة "Sémantics" إضافة حديثة في اللغة الإنكليزية، وكانت هذه الكلمة تعني التنبّؤ بالغيب في القرن السابع عشر، إذا فمصطلح Sémantics قد أصابه تغير دلالي عن طريق الانتقال الدلالي من الدلالة على التنبؤ بالغيب إلى المعنى الاصطلاحي الجديد، المنتمي إلى حقل علم اللغة واستخدم فيه أول ما استخدم للإشارة إلى تطور المعنى وتغيره.[28] وعليه يمكننا تعريف علم الدلالة (Sémantics) بأنه أحدث فروع اللسانيات الحديثة، ويعنى بدراسة معاني الألفاظ والجمل دراسة وصفية موضوعية، وقد ظهر الاهتمام بالدراسات الدلالية في أوربا الغربية أولا في المحاضرات التي كان يلقيها "ريسيغ. C.Reisig" في هال Halle حوالي 1825م في حديثه الفيلولوجيا اللاتينية.[29] أما أول من استعمل مصطلح علم الدلالة Sémantique فهو

اللساني الفرنسي "بريال Michel Bréal" وذلك في مقاله الصادر عام 1883م ثم ما لبث أن فصل القول في مسائل المعنى في كتابه الموسوم بـ"محاولة في علم الدلالة، Essai de sémantique" وذلك سنة 1897م.

وإذا كان اللسانيون الأمريكيين في العهد البلومفيلدي قد اهتموا بدراسة اللغات من الناحية المعجمية، والصوتية، والنحوية، فإنهم لم يلتفتوا إلى دراسة المعنى نظرا لما يحيط به في رأيهم من مزالق، ومخاطر قد تؤدّي بهم إلى الابتعاد عن الدراسة العلمية. وبالفعل ساعد هذا الوقف السلبي على تعثر الدراسات الدلالية، ولم تشهد هذه الأخيرة أي تطور يذكر إلا في الستينات بعد رواج القواعد التوليدية التحويلية، وعلم النفس اللغوي، وفرضية "سابيرورف"، ونظرية الاتصال، ونظرية تحليل المكونات.[30]

هناك من الباحثين من يذهب صوب تحديد تمييز لطيف بين الدلالة، وبين المعنى: وذلك في اعتبار المعنى يمتاز بمقصود ثابت، ساكن، في حين الدلالة، تكتسب التوالد والحركة، والنماء في محور المعاني.. وبذلك يكون المعنى sens، محطة في محور الدلالةsignification.

خاتمة:

يتبين لنا مما سبق ذكره حول مفهوم المعنى، أنه موضوع متشابك ومتداخل، يمتد الاهتمام بمعالجته في أعماق الحضارة الإنسانية، فهو يرتبط بمختلف أنساق الإنتاج اليومي للإنسان، مهما كانت مادتها أو طبيعتها.

من جهة أخرى، أصبح من المسلم به مدى قيمة المعنى بالنسبة للغة حتى قال بعضهم إنه دون المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة.

كما أن المعالجة السيميائية لهذا الموضوع، لا طالما ارتبطت بالدلالة في الجانب اللغوي، وباللسانيات، باعتبار أن المنهج اللغوي كان انطلاقة الأبحاث السيميائية في دلالات ومعاني الأنساق الدلالية المختلفة الأوجه والطبيعة.

الهوامش:

1- حسن الهلالي: "التواصل غير اللفظي في التراث العربي الإسلامي"، مجلة العلامات، العدد26، ، المغرب، د.ت، ص 69.

2- Jacky Givrdet: Le nouveau sans frontières, arts- culture- littérature, clé international, Paris, p28.

3- كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية - دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل-، ط.2 ، المكتبة الالكترونية، د.ت، ص15.

4- ينظر: قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة - مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم-، ط.1، مؤسسة الوراق، عمان: 2007، ص 91- 92.

5- جاسم محمد عبد العبود: مصطلحات الدلالة العربية- دراسة في ضوء علم اللغة الحديث-د.ط ، دار الكتب العلمية، لبنان: 2007، ص51.

6- ينظر: فريد عوض حيدر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، ط.1، مكتبة الآداب، القاهرة: 2005، ص16-17.

7- ينظر: جاسم محمد عبد العبود: مرجع سابق، ص51-52.

8- فريد عوض حيدر: مرجع سابق، ص17.

9- جاسم محمد عبد العبود: مرجع سابق، ص52.

10- ينظر: فريد عوض حيدر: مرجع سابق، ص18-19.

11- أحمد مومن: اللسانيات- النشأة والتطور-، ط.4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2008، ص240.

12- جاسم محمد عبد العبود: مرجع سابق، ص52.

13- الحبيب الفقي: التأويل أسسه ومعانيه، سلسلة الدراسات الإسلامية، تونس، د.ت، ص11.

14- جاسم محمد عبد العبود: مرجع سابق، ص53.

15- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

16- رشيد الإدريسي: سيمياء التأويل، د.ط ، شركة النشر والتوزيع مداس، المغرب: 2000، ص30.

17- جاسم محمد عبد العبود: مرجع سابق، ص53.

18- ينظر: المرجع نفسه، ص53-54.

19- المرجع نفسه، ص54.

20- ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، د.ط ، دار الكتب العلمية، لبنان: د.ت، ص42-43.

21- جاسم محمد عبد العبود: مرجع سابق، ص55.

22- ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط.5، عالم الكتب، القاهرة: 1998، ص36-37.

23- ف.ر بالمر: علم الدلالة- إطار جديد-، تر: صبري إبراهيم السيد، د.ط ، 1999، ص61.

24- أحمد مختار عمر: مرجع سابق، ص38.

25- المرجع نفسه، ص39.

26- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، تقديم: علي الحمد، د.ط ، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن: 2007، ص 23.

27- طه حسين: من تاريخ الأدب العربي، د.ط، دار العلم للملايين، بيروت: د.ت، ص384.

28- ينظر: فريد عوض حيدر: مرجع سابق، ص12-13.

29- أحمد مومن: مرجع سابق، ص239.

30- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التفسير الصوتي للإدغام الشمسيّ والإظهار القمريّ

أ.د. سعدون أحمد علي
كلية التربية للعلوم الإنسانية
جامعة بابل
العراق

الملخص

ثمة ظاهرة صوتية لافتة للنظر مُفادها اختفاء لام الأداة (أل) من التصويت في الكلمات المنتظمة لها مع مجموعة من الأصوات العربية عند افتتاح كلمة بها أطلق عليها الأصوات الشمسية، وظهورها في التصويت عند افتتاح كلمة بها في مجموعة أخرى سمِّيت بالأصوات القمرية . وقد ضمّت الأصوات الشمسية: (ن ، ر، ل، ث ، ذ ، ظ ، ت ، د ، ط ، ز ، س، ص ، ض ، ش). في حين ضمّت الأصوات القمرية: (ف، ب، م، و، ك، ق، غ، خ، ح، ع، ه، ء، ي، ج).

يعبِّر الإدغام من الناحية الصوتية عن تجاور صوتين متجانسين أو متقاربين في المخرج يؤثر أحدهما في الآخر ويمنحه شيئاً من خصائصه، أو كلَّ خصائصه بأن يقلب إلى مثيله أولا ثم ينطق بالصوتين صوتاً مضعّفاً كالثاني، وهو لهذا تأثر رجعي، يجوز وقوعه في أغلب أصوات اللغة العربية إلا الأصوات الحلقية، لأنها ليست بأصل للإدغام. وقد علل الدكتور إبراهيم أنيس إدغام اللام في تلك الأصوات المتقاربة المخارج بكثرة شيوع اللام الساكنة في اللغة العربية حيث تبلغ نسبة شيوعها حوالي (127) مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة.

Abstract

This research paper contains of the mechanic interpretation to the phenomenon of alshamsi assimilation and alqamari emergence in the matter of alam in(Al) in Arabic language ,the light is fall on the absence of alam with alshamsi letters and her appearance in alqamari letters and the interpretation of the ancient and the modern scientific to this phenomenon and they reached to a group of results from it: there is a vocal phenomenon of eye catching effect that the disappearance of/l/ tool (Al)of the phonetic in the regular word of her with a group of Arabic letters when the word is open from it that it is called the alqamari letters ,and her appearance in the phonetic at the opening of a word in it in another group called the alshamsi letters. The alqamari letters has included these sounds(alnon , alam , altha , althal , altha'a , alta , aldal , alta'a , alza , alsean , alshean ,alsad, and althad)while alshamsi letters has included thee sounds (alfa, alba, almem, alwaw, alkaf, alqaf, alkane, alkha, alha, alaen, alha'a, alhamza, alea, and alcheam) .assimilation of a caustics expresses for juxtaposition of two sound homogenous or very nearly affect one in another and gives it a bit of its feature or all these feature to utter the two sounds as a double sound as a second .In this there is an affected retroactively may reside in the most the Arabic language sounds just only the phonetics ringed because it is not an asset of assimilation. And Dr. Ibrahim Amis give a reason about the assimilation of the sound /l/ in those voices converged vent frequently common the consonant /l/ in Arabic language where the common rent is about (127) once in every thousands of consonant.

مقدمة :

ثمة ظاهرة صوتية لافتة للنظر مُفادها اختفاء لام الأداة (أل) من التصويت في الكلمات المنتظمة لها مع طائفة من الأصوات العربية أطلق عليها الحروف الشمسية، وظهورها عند التصويت بطائفة أخرى سمِّيت بالحروف القمرية. ويبدو أن تسمية ما تدغم فيه لام(أل) بالأصوات الشمسية، وتسمية ما تظهر معه اللام بالأصوات القمرية ليست تسمية قديمة، إذ

لم يرد لهذين المصطلحين ذكر لدى الخليل الفراهيدي ومعاصريه، وأقدم إشارة للحروف القمرية وردت عند العالم اليمني علي بن سليمان الحيدرة (ت599 ه) في كتابه (كشف المشكل في النحو) حيث يقول: ((أما التبيين: فهو تبيين لام المعرفة إذ دخل على أحد أربعة عشر حرفاً وتسمى الحروف القمرية ويجمعها قوله: ابْغِ حَجَّكَ وخَفْ عَقِيمَه)) (1). وأشار إليها كذلك ابن الجزري (ت 833 ه) في كتابه النشر (2) .

وعلل ناصر الدين الطبلاوي(ت 966 ه) تلك التسمية بقوله: ((وتسميتها شمسية وقمرية من باب تسمية الكل باسم الجزء، وهو لام الشمس والقمر)) (3). مما سبق يتضح لنا أن لام الأداة (أل) تنقلب إلى (ش) في كلمة الشمس فتلفظ (اشْشَمْس) وقياساً على ذلك فإن كل صوت في بداية الكلمة يقلب لام (أل) إلى مثيله فهو صوت شمسي، وكل صوت لا يقلب لام (أل) إلى مثيله فهو صوت قمري، فتظهر لام الأداة (أل) غير متأثرة بذلك الصوت.

وقد صنف علماء اللغة الحروف(الأصوات) العربية تبعاً لذلك إلى مجموعتين هما (4):

- **الحروف الشمسية:** وتشمل: **(** ن، ر، ل، ث، ذ، ظ، ت، د، ط، ز، س، ص، ض، ش**)**، وهي الحروف التي تختفي فيها لام الأداة (أل) عند افتتاح كلمة بها.
- **الحروف القمرية:** وتشمل : (ف، ب، م، و، ك، ق، غ، خ، ح، ع، هـ، ء، ي، ج)، وهي الحروف التي تظهر معها لام الأداة (أل) عند افتتاح كلمة بها.

(أل) والتعريفان الشمسيّ والقمريّ:

لقد فطن علماؤنا الأوائل إلى هذه الظاهرة التي كانوا يسمونها (إدغام اللام المعرفة وتبيينها) فدرسوها ضمن ظاهرة إدغام المتقاربين واستنبطوا لها ضوابطها وأحكامها في دراستهم لأصوات العربية وتحديدهم مخارجها وصفاتها بطريقتهم المثلى آنذاك التي هي(ذوق الحروف).

فقد أشار سيبويه (ت180ه) إلى وجوب إدغام لام (أل) في ما سمي بالحروف الشمسية فقال: ((و(لام المعرفة) تدغم في ثلاثة عشر حرفاً لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام ؛ لكثرة لام المعرفة في الكلام ؛ وكثرة موافقتها لهذه الحروف، واللام من طرف اللسان. وهذه الحروف أحد عشر حرفاً، منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان، فلما اجتمع فيها هذا وكثرتها في الكلام لم يجز إلا الإدغام ، ... والأحد عشر حرفاً: النون، والراء، والدال، والتاء، والصاد، والطاء، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال. واللذان خالطاها: الضاد، والشين، لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام. والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء. وذلك قولك النعمان والرجل؛ وكذلك سائر هذه الحروف)) (5).

وقد تابع أبو البركات الأنباري (ت 577ه) وأبو بكر السيوطي(ت 911 ه) سيبويه بعدِّه الحروف التي تدغم فيها لام الأداة (أل) ثلاثة عشر حرفاً، إذ لم يعدّا حرف اللام (ل) من الحروف الشمسية أيضاً (6)، وهذا ما أقرّ به الدرس اللغوي الحديث أيضا. في حين ذهب بعض النحويين واللغويين إلى عدّ اللام من الحروف الشمسية، فهذا مكي بن أبي طالب(ت 437ه) يقول: ((اعلم أن لام التعريف تدغم في أربعة عشر حرفاً بلا اختلاف في ذلك)) (7). ويتابعه في هذا الرأي علاّمة اليمن في القرن السادس الهجري علي بن سليمان الحيدرة (ت599ه) فيقول: ((إدغام لام التعريف خاصة مع أربعة عشر حرفاً وهي: التاء والثاء والدال والذال واللام والنون والصاد والضاد والطاء والظاء والزاي والسين والشين. تقلب اللام على مثال ذلك الحرف وتدغمها فيه))(8).

ويوافق ابن الحاجب(ت 646 ه) الاثنين في عدّه اللام من الحروف الشمسية لتبلغ عدّتها أربعة عشر حرفا فيقول: ((واللام المعرفة تدغم وجوبا في مثلها وفي ثلاثة عشر حرفا)) (9)، وقد شرح الرضي الاستراباذي (ت 686 هـ) قول ابن الحاجب قائلا: ((يريد بالثلاثة عشر النون والراء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والطاء والظاء والثاء والذال والضاد والشين، وإنما أدغمت في هذه الحروف وجوبا لكثرة لام المعرفة في الكلام وفرط موافقتها لهذه الحروف، لأن جميع هذه

الحروف من طرف اللسان كاللام إلا الضاد والشين، وهما يخالطان حروف طرف اللسان أيضاً، أما الضاد فلأنها استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام كما مرّوكذا الشين حتى اتصلت بمخرج الطاء))(10).

وبعد هذا السرد التاريخي لظاهرة إدغام لام المعرفة لابد من تبيين معنى الإدغام صوتيا ثم تعليل اختفاء لام الأداة (أل) في بداية الكلمات العربية المبدوءة بحرف شمسي.

الإدغام :

يعبّر الإدغام من الناحية الصوتية عن تجاور صوتين متجانسين أو متقاربين يؤثر أحدهما في الآخر ويمنحه شيئاً من خصائصه، أو كلَّ خصائصه، بحيث ينطق بالصوتين صوتاً مضعّفاً كالثاني، وهو لهذا تأثر رجعي، يجوز وقوعه في أغلب أصوات اللغة العربية إلا الأصوات الحلقية، لأنها ليست بأصل للإدغام كما يقول المبرد(ت 285 هـ)، وهذا ما يفسر لنا ظهور لام الأداة (أل) مع أصوات الحلق لأن طبيعة هذه الأصوات لا تسمح لفناء صوت اللام فيها (11).

ولهذا فقد قسّم علماء الصوت الإدغام على قسمين هما :

- **إدغام المثلين.**
- **إدغام المتقاربين.**

وقد جعل علماء التجويد القدماء إدغام لام المعرفة في مقاربها النوع التاسع من القسم الثاني الذي وقع منه في القرآن الكريم أحد عشر نوعاً (12)، وللوقوف على علة اختفاء لام أداة التعريف من الحروف الشمسية وظهورها مع الحروف القمرية، سيعرض لها الباحث في وجهات نظر علماء الصوت القدماء والمحدثين:

أ _ إدغام لام (أل) من الحروف الشمسية وظهورها مع الحروف القمرية من وجهة نظر العلماء القدماء.

لقد علل علماء الصوت القدماء إدغام لام التعريف وجوباً في الحروف الشمسية بأن مخرجها من مخارج هذه الحروف في الفم، أو مقاربة لمخرج اللام، أو مماثلة لها، فلما سكنت اللام ولزمها السكون أشبهت اجتماع المثلين، والأول ساكن، وكثرة الاستعمال لها لكثرة شيوعها في اللغة العربية، ومع أن هذه الحروف أقوى من اللام باستثناء التاء، فكان في إدغامها فيهن قوة لها، فأدغمت فيها لذلك، ولا تدغم اللام المعرفة مع الأصوات القمرية من حروف الفم لتباعد مخارجها عن مخرج اللام باستثناء الجيم الذي يشترك في مخرجه مع الحروف الشمسية، وقد حذر بعض علماء التجويد من إدغام لام التعريف في الجيم مثل (الجنة) لمبادرة اللسان إلى ذلك، وعلّلوا ذلك بكون الجيم أدنى الحروف القمرية إلى اللام (13). وإن وقعت قبل هذه الحروف لام ساكنة غير لام التعريف لم تدغم فيهن نحو: (أَلْسِنَة "جمع لِسَان" ومثلها: أَلْزِمة، وأَلْصِقَة، وأَلْثِمَة)؛ وعلة ذلك أن هذه اللامات أصلية فهي تمثل فاء الفعل، وأنها لم تلزم السكون كما لزمته لام التعريف فلما تحركت قلّ استعمالها تقول : لَسِنْتُه ولَصِقْتُ بهِ ولَزِمْتُه .... الخ، في حين أن لام التعريف زائدة وليست من أصل الكلمة، ولزمها السكون فقويت في الإدغام وكثر استعمالها، وللتفريق بين ما هو أصل وفرع لم تدغم اللام الساكنة غير المعرفة في الحروف الشمسية، فلو أنك أدغمت اللام الأصلية في(أَلْسِنَة) جمع لسان، لأشبه قولك: (السِّنَة) التي تعني النَّوْم فيذهب المعنى المراد، لذا وجب إظهار لام الأصل في هذه الحال (14).

وقد جّوز بعض العلماء إدغام اللام غير المعرفة نحو لام(هل وبل) في الحروف الشمسية وجعلوه على مراتب متفاوتة في الجودة والحسن تبعاً لقرب مخارجها من مخرج اللام أو توافقها في الصفة والقوة (15) .

ب_ إدغام لام (أل) في الحروف الشمسية وظهورها مع الحروف القمرية من وجهة نظر العلماء المحدثين :

يرى علماء اللغة المحدثون أنَّ إدغام لام الأداة (أل) في الحروف الشمسية من أكثر ظواهر المماثلة (Assimilation) شيوعاً في الاستعمال؛ إذ إنّ اختفاء لام الأداة (أل) عند النطق بالكلمات المبدوءة بأحد الحروف الشمسية الذي يُضعَّف للدلالة على إدغام اللام فيه نحو: النَّهار(أَنْنَهار) هو قانون صوتي خاص باللغة العربية من النوع الذي يسمى بالإدغام الرجعي التام (Complet regressive assimilation)، حيث يؤثر الصوت الواقع في الموقع الأقوى الذي اكتسب قوته

التأثيرية من تحركه بحركة غير قابلة للسقوط على الصوت السابق عليه غير ذي الحركة، فينتج عن هذا التأثير أن يتغير الصوت الساكن إلى صوت مماثل للصوت المتلوّ بالحركة ؛ لكن ذلك التأثير لن يتم إلا بوجود علاقة صوتية بين الصوتين المتجاورين ليحصل الإبدال أو المماثلة (16). وهذه العلاقة ترتكز على مرتكزين اثنين هما:

الأول: تقارب الصوتين أو اتحادهما مُخرَجاً.

والثاني: كون الصوتين من مجموعة واحدة من الصوامت، والحركات.

ولتحديد هذه العلاقة لابد من ملاحظة النظام الصوتي للغة العربية الفصحى من حيث مخارج الحروف(الأصوات) وصفاتها في الجدول الآتي:

المخارج	الصفات													
	شديد					رخو				مركب	متوسط			
	مجهور		مهموس		لا مجهور ولا مهموس	مجهور		مهموس		مجهور فقط	منحرف (جانبي)	مكرر	أنفي	لين
	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق		مفخم	مرقق	مفخم	مرقق					
شفوي		ب											م	و
شفوي أسناني									ف					
أسناني						ظ	ذ		ث					
أسناني لثوي	ض	د	ط	ت			ز	ص	س					
لثوي											ل	ر	ن	
غاري									ش	ج				ي
طبقي				ك										
لهوي			ق											
حلقومي						غ		خ						
حلقي							ع		ح					
حنجري					ء				هـ					

وبإجراء موازنة بسيطة بين الحروف(الأصوات) الشمسية والقمرية في ضوء مخارجها في الجدول السابق تتضح لنا علة خفاء اللام من الحروف الشمسية وظهورها مع الحروف القمرية بالملاحظتين الآتيتين (17):

الأولى: أن اللام اختفت مع أصوات مقدم الفم التي يسهم في توليدها طرف اللسان ومقدمته بالاشتراك مع سقف الفم الممتد من الأسنان العليا إلى نهاية الجزء العلوي من الحنك، وسبب اختفائها يرجع إلى التقارب الصوتي والمخرجي، وضعف موقع اللام – الذي يسميه ابن جني(المنحرف) لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت (18) - وقوة موقع الصوت بعدها، وقد جرى تأثر اللام في صورة المماثلة الرجعية التامة (Complet regressive assimilation). على أن تلك اللام المدغمة بالحروف الشمسية تظهر في الكتابة طرداً للباب على وتيرة واحدة وتختفي لفظاً بتشديد الحرف الشمسي، فيعبّر التشديد من ناحية الكتابة عن العلامة التي توضع فوق الحرف لتفيد تكراره، في حين يعبّر من ناحية النطق عن استغراق النطق بالصوت المشدد زمنا مقداره ضِعْف ما يستغرقه الصوت الواحد نفسه من دون تشديد، أي أن الصوت المشدد هو في

حقيقته صوتان متماثلان متواليان، ومعنى ذلك أن لام (أل) قد قلبت إلى صوت يماثل الصوت الذي يليها من الأصوات التي تشترك معها في منطقة التوليد (الأصوات الشمسية)، فيصير الصوتان متماثلين، فيدغم الأول في الثاني ليؤديان قيمة نطقية واحدة مشددة (19).

وقد علل الدكتور إبراهيم أنيس إدغام اللام في تلك الأصوات المتقاربة المخارج بكثرة شيوع اللام الساكنة في اللغة العربية حيث تبلغ نسبة شيوعها حوالي (127) مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة، وعدّ إدغام لام التعريف في الشين أمراً غريباً، برّره بأن الشين أقرب أصوات الحنك للحروف الشمسية، ولصفة التفشّي التي تقترب بها إلى مخرج اللام كما ذهب إلى ذلك علماء الأصوات القدماء.

وقد جمع أحد الشعراء الحروف الشمسية في أوائل البيت الآتي :

طِبْ ثُمَّ صِلْ رَحِماً تَفُزْ ضِفْ ذَا نِعَمْ دَعْ سُوْءَ ظَنًّ زُرْ شَرِيْفاً لِلكَرَمْ (20)

الثانية: أن اللام ظهرت مع بقية الأصوات المتولدة خارج حدود منطقة توليد الحروف الشمسية المذكورة آنفاً بسبب التباعد المخرجي بين مخرج اللام ومخارج تلك الأصوات الذي يسّر نطق الصوتين بكل خصائصهما. يستثنى من هذه الأصوات صوت(الجيم) إذ يعده النحويون من الحروف القمرية لكنه يشترك والأصوات الشمسية في منطقة التوليد، ولعلّ هذا الاشتراك في منطقة التوليد هو السبب في إمكانية نطقه شمسياً بسهولة ويسر. وذهب بعض الباحثين إلى اتخاذ هذا دليلاً لبرهان الرأي القائل بأن الصوت(ج) كان يلفظ (گ g) أي : كما يشيع نطقه باللهجة المصرية في الوقت الحاضر، وأن تغيراً قد طرأ على النظام الصوتي للغة العربية تطور على إثره الصوت(گ) القمري إلى(ج) الشمسي(21).

وقد أيدت الدراسات الصوتية الحديثة ما قرره القدماء إلا فيما يتعلق بصوت اللام في بداية كلمة نريد تعريفها مثل:(لَوْم، لُعَاب، لِيْمَان)، فالقدماء- باستثناء سيبويه وأبي البركات الأنباري – يرون أن نطق: اللَّوْم، واللُّعاب، واللِّيمان، هو من قبيل اللام الشمسية، في حين يرى المحدثون أن اللام الشمسية تفنى في الصوت الآتي بعدها فناء كاملاً بظاهرة الإدغام الرجعي التام . وهي في الأمثلة المذكورة آنفاً موجودة بكل خصائصها، من دون أدنى تأثر ، فهي قمرية واضحة، لا فرق بينها وبين اللام في مثل: - الْباب، الْحبل، الْلُعاب .....الخ (22).

وقد توصل الدكتور غالب المطلبي في بحثه أداة التعريف العربية إلى أن الأداة هي الهمزة والتشديد (23)، وحمل ظهور اللام مع الحروف القمرية على قانون المخالفة باستبدال أحد الصوتين المتماثلين كراهية التضعيف بصوت مخالف لهما عادة ما يكون من أصوات المد الطويلة أو أشباهها المائعة المجموعة في كلمة (يرملون).

نرى أن الدكتور المطلبي قد جانب الحقيقة في حمله ظهور اللام مع الحروف القمرية على ظاهرة المخالفة، إذ لم أعثر– فيما اطّلعت عليه من مصادر– على أية كلمة أبدلت فيها اللام في بداية كلمة معرفة من أحد الصوتين المتماثلين كراهية التضعيف، لكنني عثرت على كلمات أبدلت فيها النون من أحد الصوتين المتماثلين من نحو: (انجانه) بدلاً من (إجّانه) ، و(انجاص) بدلاً من(إجّاص)، في حين اكتفى الدكتور المطلبي في التمثيل لما ذهب إليه بأفعال حدثت فيها المخالفة، من نحو: (يملل – يملي)، و(يجلل – يجلو). إن عدم حفظ النصوص القديمة لمثل هذا الإبدال أمر لا يمكن تجاوزه بسهولة، فضلاً عن تعذر إبدال اللام من أحد الأصوات القمرية بسبب عدم اشتراك اللام وتلك الأصوات في منطقة التوليد، فالتباعد بين مخرج اللام ومخارج تلك الأصوات القمرية يسّرَ نطق الصوتين بكل خصائصهما.

الهوامش :

(1) كشف المشكل، علي بن سليمان الحيدرة: 2/ 387 ، ينظر: الهامش (195)

(2) ينظر: النشر في القراءات العشر: 1/ 221 – 222 .

(3) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 416 – 417 .

(4) ينظر: كشف المشكل: 2/ 384 ، 387 ، والنشر في القراءات العشر: 221/1 – 222 ، والمنهج الصوتي للبنية العربية 212 .

(5) الكتاب: 4/ 457 .

(6) ينظر: أسرار العربية، أبو البركات الأنباري:426، وهمع الهوامع: 6/ 307.

(7) الكشف: 1/ 141 .

(8) كشف المشكل: 2 / 384 .

(9) شرح الشافية: 2 / 279 .

(10) م. ن: 2 / 279 .

(11) ينظر: المقتضب : 1/ 167، والأصوات اللغوية : 187 .

(12) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 416 .

(13) ينظر: الكتاب : 4/ 457 ، والكشف : 1141 ، وأسرار العربية : 426، وكشف المشكل: 2/ 384، 387 .

(14) ينظر: الكتاب : 4/ 457 ، وشرح الشافية: 3/ 79.

(15) ينظر: الكتاب : 4/ 457 ، والكشف: 1/ 153 .

(16) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: 210 .

(17) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: 212 .

(18) ينظر: سر صناعة الإعراب 1/ 72، والخصائص : 2/ 339، ودروس في علم أصوات العربية: 38 .

(19) ينظر: مدخل إلى علم اللغة ، حجازي : 34 ، واللسانيات المجال ، والوظيفة، والمنهج : 142 .

(20) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: 244 .

(21) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: 244 .

(22) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: 212.

(23) ينظر: أداة التعريف في العربية . دراسة تاريخية: 95 .

المصادر والمراجع

* أداة التعريف في العربية - دراسة تاريخية، د . غالب المطلبي ، مجلة المورد، م19 ,ع2 ، 1990 م .

* أسرار العربية ، أبو البركات الأنباري (ت 577 هـ) ، تح : محمد بهجة البيطار, مطبعة الترقي , دمشق ، 1957 م.

* الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5 ، 1975 .

* الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تح: محمد علي النجار, دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 4 ، 1990 .

* الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د . غانم قدوري الحمد , مطبعة الخلود , بغداد، ط1, 1986 م.

* دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة : صالح القرمادي، الجامعة التونسية، تونس ، 1966 م.

* سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) ، تح : مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف ، وإبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، 1954 م .

* شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي(ت 686 هـ) ، تح : محمد نور الحسن , ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975 م .

* الكتاب ، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)(ت 180 هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط3، 1983 م .

* الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، مكي بن أبي طالب القيسي (ت437 هـ) ، تح : د . محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981 م .

* كشف المشكل في النحو، علي بن سليمان الحيدرة (ت 599 هـ), تح: د . هادي عطية مطر، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط1، 1984 .

* اللسانيات - المجال ، والوظيفة ، والمنهج ، أ. د. سمير شريف استيتية ، عالم الكتب الحديث ، جدارا للكتاب العالمي ، الأردن ، ط2، 2008 م .

* مدخل إلى علم اللغة ، د. محمود فهمي حجازي، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1995م .

* المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د . رمضان عبد التواب ، مطبعة المدني ، القاهرة، ط2، 1985م .

* المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ) ، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ، بيروت .

* المنهج الصوتي للبنية العربية- رؤية جديدة في الصرف العربي ، د . عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1980م .

* النشر في القراءات العشر، ابن الجزَري(محمد بن محمد الدمشقي)(ت 833 هـ)، تح: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى،، مصر، د . ت .

* همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ) ، تح: د . عبد السلام هارون ، ود . عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ، 1975 م .

حالات الأنا ودورها في تحسين الاتصال الشخصي

دراسة نظرية لواقع الاتصال الشخصي في المؤسسات الإعلامية الجزائرية

أ.مريم رحماني
كلية علوم الإعلام والاتصال
جامعة الجزائر3

الملخص: تعد الدراسات العلمية التي تتناول الاتصال الشخصي للإعلاميين من الميادين المهمة في بحوث الاتصال، لكن يبقى مفهوم "حالات الأنا" من المفاهيم الغائبة، حيث لم يكن هذا المتغير يشكل موضوعا رئيسا في مثل هذا النوع من الدراسات. إذ غالبا ما كان ينظر إليه على أنه مفهوم نفسي مرتبط بالطب النفسي التشخيصي والعلاجي، يختص بتركيبة النفس البشرية ويفسر الشخصية والسلوك البشري بغية علاجها واستعادة توازنها الفطري وتنميتها، لهذا بقي مفهوم حالات الأنا بعيدا عن إمكانية صياغته ضمن إشكاليات ترتبط بميدان الإعلام والاتصال.

وضمن هذا المنظور تتمركز أهمية البحث كونها تطرح فكرة مستحدثة متعلقة بدراسة "حالات الأنا" في الاتصال الشخصي، ونقل هذا المتغير من ميدان علم النفس الذي شاع استعماله فيه إلى ميدان علوم الإعلام والاتصال، كونه من المتغيرات الأساسية التي تقدم إطارا لفهم بعض الاختلالات في الاتصال الشخصي بين الأفراد، ما يجعله يمثل مجالا جديدا يتطلب الدراسة والبحث الكيفي والتحليل النظري.

ولدراسة الاتصال هنالك تساؤلات يعمل البحث على فك شفرتها وهي ماهي حالة الأنا التي يستخدمها الصحفيون ورؤساء التحرير غالبا في اتصالهم الشخصي مع بعضهم البعض؟ هل هناك علاقة بين حالات الأنا كما حددها ERIC BERNE والاتصال الشخصي؟ ماهي طبيعة العلاقة التي تربط بين حالات الأنا والاتصال الشخصي؟ ماهي أنواع التبادلات الغالبة في اتصال رؤساء التحرير بالصحفيين؟ إذ يهدف البحث إلى فهم دور حالات الأنا في تحسين الاتصال الشخصي في المؤسسات الإعلامية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية : حالات الأنا - الاتصال الشخصي – التبادلات – الصحفيون – رؤساء التحرير- السلوك.

Summary

Scientific studies are currently dealing with personal contact for media persons, it can be considered as one of important fields in the contact research, but the concept remains "cases ego" of the missing concepts, as this variable was not a prime topic in this kind of studies. It has often been seen as a concept myself linked to psychological diagnostic and therapeutic medicine, respect to the composition of the human psyche and explains the personal and human behavior in order to treat and restore balance innate and development of this concept cases ego stayed.

Ting within Problems linked to the field of media and communication. Within this perspective stationed importance of research being put innovative idea related to the study of "cases of ego" in personal contact, and the transfer of this changing of the field of psychology, which commonly use it to the field of science information and communication, being one of the key variables that provide a framework for understanding some imbalances in personal contact between individuals, making it a new area requires study and qualitative research and theoretical analysis.

To study there are questions contact work search on the decoded what a case of ego used by journalists and editors often in personal contact with each other?? Is there a relationship between the cases of the ego as defined by ERIC BERNE and personal contact? What is the nature of the relationship between cases of ego and personal contact? What types of exchanges dominant in contact editors, journalists?? As research aims to understand the role of ego in situations improve personal contact in the Algerian media institutions.

Keywords: cases of ego - personal contact - exchanges - journalists - Editor in Chief – behavior

مدخل: يحتل الاتصال مكانة هامة في المجتمعات، لأنه أساس بناء واستمرار التفاعلات والتبادلات بين الأفراد، فهو جوهر العلاقات القائمة داخل المجتمعات وما ينتج عنها من سلوكات، وهذا ما تؤكده مدرسة بالو التو التي تشير إلى أنه "لا يمكن أن لا نتصل" فلا يمكن أن نفعل أي شيء لا يتضمن أي جزئية اتصالية إلى الحد الذي قاد GOFFMAN [1] إلى القول "عندما يجتمع أفراد في وضعيات ما تفرض أن لا يتم تبادل الكلمات و فعل الكلام، فإنهم سواء أرادوا أو لم يريدوا، يدخلون في شكل من أشكال الاتصال،... فحتى وإن توقف الشخص عن الكلام فإنه لا يمكنه أن يمتنع عن الاتصال بلغة الجسم. فيمكنه أن لا يتلفظ بعبارات أو بكلمات، لكنه لا يمكنه أن لا يقول أي شيء " (ص267).

وبناء على هذا فإن الاتصال مهم في مجال العمل أيضا، وبالفعل تثبت العديد من الأبحاث أهمية الاتصال الفعّال للموظفين في تطوير وتحسين العمل في المؤسسات وتحقيق أهدافها[2]، خاصة في ظل التطورات الهائلة والمنافسة الشديدة التي يشهدها العالم منذ ثمانينات هذا القرن. لكن، وبالمقابل نجد أن الدراسات الحديثة اهتمت بالاتصال الجماهيري وأهملت الاتصال الشخصي بشكل كبير، وهذا بالرغم من أن وسائل الاتصال الجماهيرية لا يمكن أن ترقى إلى مستوى الاتصال التبادلي المباشر المرتبط ارتباطا وثيقا بالسياق الاجتماعي والثقافي للأفراد.

من جانب آخر نجد أن هناك متغير مهم لم يدمج في دراسة الاتصال الشخصي رغم ما قد يقدمه من دلالات معرفية هامة في فهم سيرورته وتصحيح اختلالاته[3]، وبالتالي، التعرف على الإجراءات اللازمة التي ينبغي أن تتخذ لرفع مستوى المؤسسات، ونقصد هنا متغير حالات الأنا ودوره في تحسين كفاءة رجل الإعلام في تحقيق نجاح العمل الإعلامي. في السنوات القليلة الماضية، لم يعتبر مفهوم حالات الأنا متغيرا مهما في بحوث الاتصال[4]، لكن مع تطور المعرفة العلمية حول الجوانب الجوانب النفسية للأفراد وانعكاساتها على إنتاجية العمل، انتبه عدد من الباحثين[5] إلى الأهمية التي يمكن أن يأخذها متغير حالات الأنا إذا أدمج في عملية فهم نسق الاتصال الشخصي السائد في المؤسسات وتحسينه.

وهنا تبرز أهمية هذا البحث، إذ يسعى إلى ربط مفهوم حالات الأنا بالاتصال الشخصي لفهم البنية النفسية للمتصلين في المؤسسات الإعلامية الجزائرية ووصف أشكال العلاقات بينهم، محاولين في ذلك تجاوز التصورات والنماذج التي تصور حالات الأنا كخاصية تحدث داخل الإنسان فقط (ذاتية)، إلى تناول يطمح إلى تقديم فهم سياقي (نفسي اجتماعي) لحالات

---

[1] Goffman Erving, Behaviour in public places. New York, NY, Free press ,1963, P267.

[2] Schneider, A. (1999, March 26). Taking aim at student incoherence. Chronicle of Higher Education, pp. A16–A18. Wood ,Julia T. Interpersonal Communication: Everyday Encounters, Sixth Edition, Wadsworth, Cengage Learning, june 2008. Wagner, E. (2001, May 11). Listening: Hear today, probably gone tomorrow. Business Journal, p. 25. Cooper, L., Seibold, D., & Suchner, R. (1997). Listening in organizations: An analysis of error structures in models of listening competency. Communication Research Reports, 14, p3.

[3] BERNE, E. (1964). Games people play:The psychology of human relationships. New York: Grove Press.p27.

[4] Boholst, F.A., 2002. Cutting the Gordon Knot: Transactional Analysis and Social Transformation. A Paper read during the Psychological Association of the Philippines 11th Regional Convention Holiday Plaza Hotel, Cebu City, <http://www.geocities.com/fredrickboholst/CuttingGordonKnot.doc> (29.09.2016.). Barnes, G.(1977). Transactional Analysis After Eric Berne, Harper's College Press. Quazza, J-Pierre. (2012). L'analyste Transactionnel Et La Crise, Actualités En Analyse Transactionnelle, N° 142,pp.68-71. Kenward, L. Teaching communication via awareness of Berne's personal ego states, Nurse Education Today 33 (2013) 1096–1098.

[5] Dawson,T.(2013).The role of communication and ego states in patient compliance, Dental Nursing November 2013, Vol 9, No 11,654-656. Keçeci, A. Taşocak , G. Nurse faculty members' ego states: Transactional Analysis Approach, Nurse Education Today 29 (2009) 746–752. Solomon, C., 2003. Transactional analysis theory: The basics. Transactional Analysis Journal vol. 33,No.01,january. p15-22. Kay, EJ., Tinsley, SR. (2004). *Communication and the Dental Team*, Stephen Hancocks, London. PLATIS, M. BABAN, E. G. TRANSACTIONAL ANALYSIS IN THE BUSINESS CONTEXT, Challenges of the Knowledge Society. Economy,2011.p.78. Ciucur, D. The Ego States and the "Big Five" Personality Factors, Procedia - Social and Behavioral Sciences 78 (2013) 581 – 585. Loffredo,D.A, Harrington, R. Ego State Differences in University Students by Gender, Race, and College Major,JOURNAL OF PSYCHIATRY, PSYCHOLOGY AND MENTAL HEALTH; Volume 2, Issue 1, 2008.p94.

الأنا كبعد يتدخل في نجاح أو فشل الاتصال الشخصي داخل المؤسسات، أو بمعنى آخر كيف يمكن أن تلعب حالات الأنا في سياق ثقافي اجتماعي، دورا في فهم ظاهرة الاتصال الشخصي وتحسينها في المؤسسة الإعلامية الجزائرية. ولتحقيق هذا تضمنت الدراسة ثلاثة مباحث مع المنهجية وهي:

المبحث الأول: إجراءات منهجية.

المبحث الثاني: حالات الأنا والتحليل التبادلي.

المبحث الثالث: الاتصال الشخصي.

المبحث الأول: منهجية البحث

أولا) أهمية البحث: ينفرد هذا البحث بدراسة "حالات الأنا" في الاتصال الشخصي داخل المؤسسات الإعلامية الجزائرية، ونقل هذا المتغير من ميدان علم النفس الذي شاع استعماله فيه إلى ميدان علوم الإعلام والاتصال، كما أنه من شأن هذا البحث أن يساهم في تطوير المعرفة العلمية الخاصة بفهم المجتمع خاصة في السياق الجزائري الذي يبقى مجال دراسات الاتصال فيه – بصفة عامة - حديثا نوعا ما وضعيفا من حيث الكم والكيف مقارنة بالفضاء العلمي الغربي، كما يمكن للبحث أن يشكل تراكما علميا يوضح بعض جوانب شكل الاتصال في المجتمع الجزائري، وأخيرا يقدم البحث فرصة للإجابة على بعض الأسئلة المتعلقة بدراسة التبادلات ما يتيح فرصة الاهتمام بمثل هذه الاتجاهات المعرفية في المستقبل.

ثانيا) مشكلة البحث:تكمن مشكلة البحث في إمكانية دراسة حالات الأنا كمتغير نفسي اجتماعي يساعد على تحسين سيرورة الاتصال الشخصي في المؤسسات الإعلامية الجزائرية.لذا انطلقت الدراسة من تساؤل رئيس وهو كيف تعمل حالات الأنا على تحسين الاتصال الشخصي في المؤسسات الإعلامية الجزائرية؟

وللدراسة تساؤلات فرعية بحاجة إلى إجابة و هي:

1. هل هناك علاقة بين حالات الأنا والاتصال الشخصي؟
2. ماهي طبيعة العلاقة التي تربط بين حالات الأنا والاتصال الشخصي؟
3. هل يمكن أن تساهم حالات الأنا في تحسين الاتصال الشخصي في المؤسسات الإعلامية الجزائرية؟
4. ماهي التبادلات الفعالة في تحسين الاتصال الشخصي في المؤسسات الإعلامية الجزائرية.
5. أي نوع من حالات الأنا التي لها دور كبير في تحسين الاتصال الشخصي في المؤسسات الإعلامية الجزائرية.

ثالثا) أهداف البحث:يهدف هذا البحث إلى فهم دور حالات الأنا في تحسين الاتصال الشخصي في المؤسسات الإعلامية الجزائرية كما تتحدد أهداف البحث بالاتي:

1) مراجعة نظرية التحليل التبادلي وتطورها.
2) تحديد مفهوم حالات الأنا وبيان أهم تقسيماتها وأنواعها.
3) تحديد طرق تشخيص حالات الأنا وقياسها.
4) توضيح الجوانب التي يمكن أن توفرها حالات الأنا في تحسين الاتصال الشخصي في المؤسسات.
5) شرح التبادلات في التفاعلات الاجتماعية والاتصال الشخصي .
6) الكشف عن سيرورات الاتصال الشخصي ومناقشة فكرة السياق.

رابعا) منهج البحث:إن اختيار الاستراتيجية العامة للبحث لا بد أن يستجيب لأهداف البحث ومشكلته، وعلى هذا الأساس يندرج البحث الحالي ضمن البحوث الوصفية الذي اعتمد على التحليل الكيفى للتجارب السابقة ومحاولة الاستفادة منها، واعتمدت التوضيح والتأسيس النظري كونه استمد معلوماته من المصادر والمراجع العلمية الهامة من خلال محاولة وضع توصيف محدد لحالات الأنا والاتصال الشخصي و محاولة تمييزهما ببيان أهم الخصائص، واعتمد بذلك على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعمل على دراسة الظاهرة ومحاولة تحديدها.

المبحث الثاني: حالات الأنا ونظرية التحليل التبادلي

أولا: نظرية التحليل التبادلي وتطورها: تعود نشأة نظرية التحليل التبادلي إلى أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات من خلال أعمال ERIC BERNE (1910-1970)، وهو طبيب نفسي سريري سعى إلى فهم لماذا يتفاعل الأفراد ويتصلون بالطريقة التي يتصلون بها [1]. وهكذا طور نظرية للشخصية بقاعدة التفاعل الشخصي سماها **"نظرية التحليل التبادلي"** [2].

ازدهر التحليل التبادلي سنة 1965 عندما تم إنشاء «جمعية التحليل التبادلي الدولية » **(ITAA)** و «الجمعية الأوربية للتحليل التبادلي » **(EATA)** عام 1976، وقد عرّفت **I.T.A.A** التحليل التبادلي بأنه [3]:

"Transactional Analysis is an explanatory theory of personality and is a psychotherapeutic system dedicated to the development and personal change".

يؤكد بعض الباحثين أن للتحليل التبادلي دور في الرد على الأسئلة التي تظهر أثناء عملية الاتصال، حيث يعتبرون أن الإجابات توجد في تحليل الحالة المزاجية للمتصلين، لذا قراراتهم هي نتاج حالات الأنا الخاصة بهم.

يعرف **BERNE** [4] حالة الأنا بوصفها مجموعة من أنماط السلوك المرتبط ارتباطا وثيقا بالمشاعر. ويتم حسبه اختبار حالات الأنا بنموذجين منفصلين، النموذج البنيوي و النموذج الوظيفي :

1. **التحليل البنيوي:** وفقا للتحليل البنيوي فإن كل شخصية فرد تنقسم إلى 3 حالات أنا رئيسية : الوالد، الراشد والطفل (نموذج PAC). يذهب **BERNE**[5] إلى أن حالات الأنا هذه تمارس تأثيرا كبيرا على كيف يشعر الناس ويتصرفون في العلاقات الشخصية.

1.1 حالة الأنا الوالد: يرى عدد من الباحثين أن حالة الأنا الوالد هي حالة الأنا التي يستعير فيها الأفراد مواقف وسلوكات والديهم (أو غيرهم من الشخصيات الوالدية)[6]، وعليه فالفرد يفكر، يتكلم، يعمل، يشعر ويتفاعل مثلهم.

2.1 حالة الأنا الطفل: حالة الأنا الطفل هي رد فعل يعكس سلوك وموقف إبداعي وعفوي غير متوقع، و يُنظر إلى حالة الأنا هذه على أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالدوافع الطبيعية للشخص، وبالعواطف والمشاعر والخبرات والتجارب التي تتعلق بالطفولة وبالمعتقدات حول الذات والآخرين التي اتخذت في الحياة في وقت مبكر جدا، ومنه فالفرد في حالة الأنا هذه يفكر، يشعر ويرد مثل الطفل.

3.1 حالة الأنا الراشد: يشير الباحثون إلى أن حالة الأنا الراشد تمثل الجزء العقلاني والموضوعي في الشخص. وعليه فإنها تخضع لمبدأ العقلانية والوضوح، وأيضا التجرد من العاطفة التي من شأنها أن تعطل الفهم والمنطق في التعامل مع المواقف، وهذا ما يجعلها فعّالة في عملية صنع القرار [7].

بناء على ما سبق، يصف HARRIS(1967) [8] حالات الأنا الثلاثة في قوله:

" parent is our taugght concept of life,adult is our thought concept of life,child is our felt concept of life".

---

(1) Berne, E. (1961). Transactional analysis in psychotherapy: A systematic individual and social psychiatry. New York, NY: Grove Press.p.39.

(2) Bedard,D. position de vie et perception du comportement interpersonnel ,mémoire presente a l'universite du quebec a trois-rivieres comme exigence partielle de la maitrise en psychologie;juillet,1980.

(3) PLATIS, M. BABAN, E. G. TRANSACTIONAL ANALYSIS IN THE BUSINESS CONTEXT, Challenges of the Knowledge Society. Economy,2011.P. 1374.

(4) Berne, E., 1988. What Do You Say After You Say Hello. Bantam Books, 10th Printing, New York.

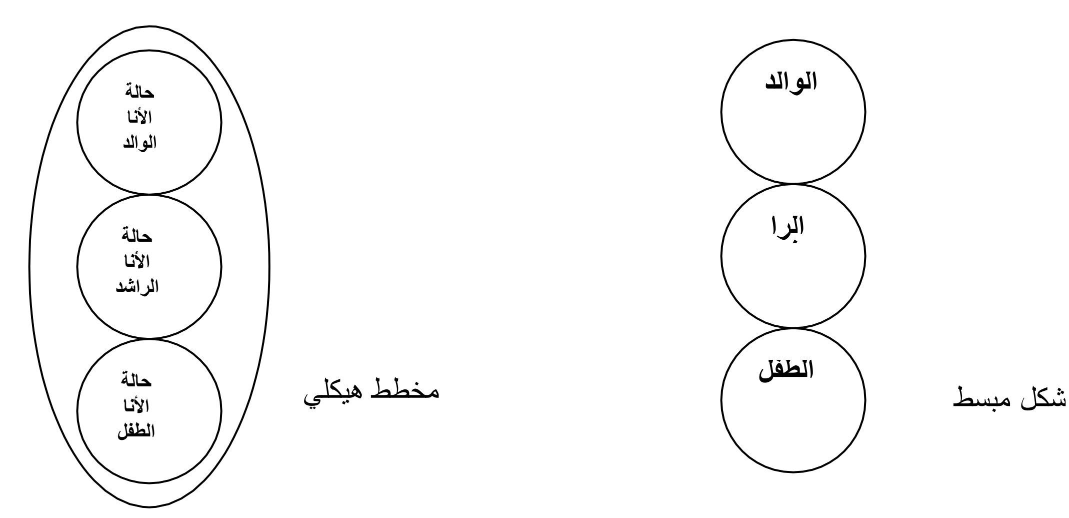
(5) BERNE, E. (1964). Games people play:The psychology of human relationships. New York: Grove Press.p.39.

(6) Agnès,G.états du moi, transactions et communication,interedition, 2004.p.1-11.

(7) Dawson,T.(2013).The role of communication and ego states in patient compliance, Dental Nursing November 2013, Vol 9, No 11,654-656. Steiner,C.(1990).Scripts People Live, Transactional Analysis Of Life Scripts,2nd Ed, Grove Press,P.29.

(8) Harris, T.A. (1967). D'accord Avec Soi Et Les Autres: Guide Pratique D'analyse Transactionnelle. Paris: Epi, 19 73.p.30.

يشير المنظرون في التحليل التبادلي أن الناس يميلون للعمل بحالة أنا واحدة أكثر من الحالات الأخرى في موقف معين وتستغرق مدة من الزمن، لكن هذا لا يمنع من أنها تتغير حسب مقتضيات الوضع (اعتمادا على مع من يتفاعل وعلى تجارب الشخص) [(1)].



الشكل (1) رسم تخطيطي لشخصية الفرد

2. **التحليل الوظيفي**: وفقا للتحليل الوظيفي، تنقسم حالة الأنا الوالد (P) إلى والد ناقد (CP) و والد راعي (NP). وحالة الأنا الطفل (C) إلى الطفل الحر(FC) أو الطفل الطبيعي (NC) والطفل المتكيف (AC)، وتظل حالة الأنا الراشد (A) على حالها [(2)].
[(2)].

1.2 حالة الأنا الوالد الناقد (CP): يصف الباحثون مفهوم الوالد الناقد بأنه يُشكّل مجموع الأفكار، المشاعر والمعتقدات التي يتعلمها الفرد من الوالدين أو الشخصيات الوالدية، تجعله يفرض قواعد ومسؤوليات، ويعطي التعليمات[(3)] و يصدر الأوامر والعقوبات بصفة قسرية. وعليه فالوالد الناقد يمثل الإملاء للمبادئ والمعايير.

2.2 حالة الأنا الوالد الراعي (NP): تمثل حالة الأنا الوالد الراعي الحماية والحراسة، حيث توفر الرعاية والمودة والدعم والحماية المدفوعة إلى أقصى حد قد تصل إلى الحماية المفرطة[(4)].

3.2 حالة الأنا الطفل الحر (FC): يعتقد عدد من الباحثين أن حالة الأنا الطفل الحر تعتني بالحاجات الجسدية للشخص، و يؤكد هؤلاء أن الشخص في هذه الحالة يكون عفوي، يفعل ما يشعر به، نشيط، ومبدع، يواجه المواقف بطريقة مباشرة و فورية، غير أنه يمثل الجانب غير المتعلم من الشخصية [(5)].

---

(1) Williamson, A.Ward ,R. Emotion in Interactive Systems:Applyingp.21.
Transactionat Analysis , Springer-Verlag London Lid Personal Technologies (1999) 3:123-131. Ciucur, D. The Ego States and the "Big Five" Personality Factors, Procedia - Social and Behavioral Sciences 78 (2013).p 581 – 585.

(2) Akbag˘, M., 2000. Examination of Some Methods of Coping with Stress in University Students, Negative Automatic Thoughts by Transactional Analysis Ego States and Some Variables. Marmara Universites Eg˘itim Bilimleri Enstitusu Doktora
Tezi, _Istanbul. Drego, P., 2006. Why people say and do what they don't really want to? <http:// www.lifepositive.com/Mind/psychology/transactional-analysis/harmoniousrelationships. asp>

(3) Keçeci, A. Taşocak , G. Nurse faculty members' ego states: Transactional Analysis Approach, Nurse Education Today 29 (2009).p746–752.

(4) Akkoyun, F., 2001. Transactional Analysis Transactional Solving Approach in
Psychology. Nobel Yayıncılık, 2. Baskı, Ankara.p.83.

(5) Dokmen, U., 2004. Communication Conflicts and Empathy. Sistem Yayıncılık,
.Baskı, Ankara.p. 27

4.2 حالة الأنا الطفل المَتكيفAC) : الطفل المتكيف هو الجزء من الشخصية الذي تطور من الرسائل الابوية التي يتعلمها الفرد حين يكبر. فهو حالة الأنا التي يتعرف فيها الفرد على قدراته الخاصة ويحاول تكملة عِلْمِه بقبول تأثير الآخرين[1].

حسب **BERNE** [2]هذه هي المجموعة الكاملة من حالات الأنا المتوفرة في الفرد، حيث يختار الشخص حالة الأنا التي سيستخدمها في التبادل (بأي حالة أنا يثير وبأي حالة أنا يستجيب). وعليه فإن أي تفاعل بين شخصين يعني وجود ستة حالات أنا، ثلاثة لكل فرد

ثانيا) التبادلات في التفاعلات الاجتماعية والاتصال الشخصي: وفقا لمقاربة التحليل التبادلي (**TA**) تتألف عملية الاتصال من التبادلات التي تحتوي على محفز أو استجابة بين حالات الأنا الفردية . على وجه التحديد هناك ثلاثة أنواع من التبادلات: التبادلات الموازية، التبادلات المتقاطعة، و التبادلات المخفية ويتم تحديد هذه الأنواع من التبادلات وفقا لحالات الأنا التي تكون ظاهرة في عملية الاتصال[3].

1. التبادلات الموازية: يحدث التبادل الموازي عندما يرسل الفرد رسالة من أي حالة أنا إلى شخص آخر، ويستجيب هذا الشخص الآخر من حالة الأنا المستهدفة، وبالتالي يحصل الفرد في هذا النوع على ما هو متوقع، وفي هذا السياق يؤكد الباحثون أن التبادلات الموازية يمكن أن تُنشِئ اتصال بنَّاء مريحا، وفعَّالا، قد يستمر إلى أجل غير مسمى [4]. من جهته يشير **BERNE** [5]إلى أن هذه التفاعلات تحقق التوازن والاستقرار في الاتصال، وعليه فهي صحية ومشبعة لكلا الطرفين، وكلما زادت مهارة الطرفين في الحفاظ على تفاعلات متكاملة كلما استمر الاتصال لمدة أطول.

2. التبادلات المتقاطعة :يحدث التبادل المتقاطع عندما يرسل الشخص رسالة من أي حالة أنا إلى شخص آخر، لكن يستجيب الشخص الآخر من حالة أنا أخرى غير حالة الأنا المستهدفة، حيث لا يحصل المبادر أو متلقي التبادل على ما هو متوقع، بل يحصل على استجابة غير مرغوبة. هذا النوع من التبادلات يجعل الطرفان غير مرتاحين مما قد يؤدي إلى ظهور ردود أفعال سلبية ومشاكل في الاتصال تخلق صراعات وخصومات قد تؤدي إلى انهيار الاتصال.

وفي هذا السياق يؤكد الباحثون أنه على الرغم من أن طرفي الاتصال في هذا النوع من التبادلات ليسا على اتفاق، إلا أن الاتصال واضح وصريح، كما في التبادلات الموازية. وعلى عكس التبادلات المخفية التي يكون فيها الاتصال مخفي ومستتر.

3. التبادلات المخفية:في التبادل الخفي، واحد فقط من الشخصين المتصلين، أوكلاهما يتخذ إجراءات من حالتي أنا مختلفتين، وبدوره تُرسَل رسالتين مختلفتين في وقت واحد (على كلا المستويين النفسي والاجتماعي) [6]. بحيث تحمل الرسائل في هذا النوع من التبادلات رسائل أخرى ضمنية، وهذا ما يؤكده **BERNE**[7]عندما أشار إلى أن هذا النوع يحمل أكثر من رسالة في نفس الوقت، رسالة مباشرة (اجتماعية) وأخرى خفية (نفسية)، لذلك عند تحليل هذه التبادلات نجد أن الاتجاهات تكون متوازية بين حالات أنا أطراف الاتصال، إلا أن الرسائل الضمنية تتقاطع معها.

---

(1) PLATIS, M. BABAN, E. G. TRANSACTIONAL ANALYSIS IN THE BUSINESS CONTEXT, Challenges of the Knowledge Society. Economy,2011.

(2) Berne, E. (1961). Transactional analysis in psychotherapy: A systematic individual and social psychiatry. New York, NY: Grove Press.p.163.

(3) Berne, E., 1988. What Do You Say After You Say Hello. Bantam Books, 10th Printing, New York.p.22.

(4) Solomon, C., 2003. Transactional analysis theory: The basics. Transactional Analysis Journal vol. 33,No.01,january. p15-22.

(5) BERNE, E. (1964). Games people play:The psychology of human relationships. New York: Grove Press.p.95.

(6) Parissopoulos, S., Kotzabassaki, S., 2004. Orem's self care theory, transactional analysis and management of elderly rehabilitation, Icus Nurs Web, (17).p.03.

(7) BERNE, E. (1964). Games people play:The psychology of human relationships. New York: Grove Press.p.176.

ثالثا) تشخيص حالات الأنا وقياسها:تشير مراجعة الأدبيات إلى أن هناك عدة طرق لمعرفة ماهي حالة الأنا التي نستخدمها نحن أو التي يستخدمها الطرف الآخر.اتجه بعض الباحثين إلى تحديد خمسة معايير يمكن من خلالها تشخيص حالات الأنا وتتمثل في : الكلمات المستخدمة، نبرة الصوت، الإيماءة، وضعية الجسد، وتعبيرات الوجه [1].

كما تضيف من جانبها SOLOMON [2]معيار الحالة العاطفية إلى المعايير السابقة. في حين ينبه باحثون آخرون إلى إحصاء الكلمات وبنية الجمل [3].

يرى ERIC BERNE [4]من جهته أن هناك أربع طرق للتعرف على حالات الأنا وهي :

1. التشخيص السلوكي
2. التشخيص الاجتماعي
3. التشخيص التاريخي
4. التشخيص الظاهراتي

التشخيص السلوكي:يعتبر BERNE [5] أن التشخيص السلوكي هو التشخيص الأكثر أهمية فهو يحدد حالة الأنا من ملاحظة ملاحظة سلوك الفرد في موقف ما، من خلال مراقبة الكلمات، الإيماءات، النبرات، المواقف، الوضعيات، السكوت التي تخبر عن أي حالة أنا يوجد فيها الفرد. وكلها تعمل كمفاتيح لتحديد حالة الأنا التي يوجد عليها هذا الأخير. وتأتي التشخيصات الثلاثة الأخرى للتأكيد على نتائج هذا التشخيص فقط.

وعلى هذا الأساس نجد أن الجانبين اللفظي وغير اللفظي هما اللذان يحددان حالة الأنا كما هو موضح في الجدول التالي:

	الوالد الناقد	الوالد الراعي	الراشد	الطفل الحر	الطفل المتكيف
الكلمات	يجب، جيد، سيء، يجب عليك (يتعين عليك)، دائما، إياك	تستطيع، إمضي قدما، أنا أثق بك، أنا أحبك، أحسنت، رائع، أنا معجب بك	أظن أن، لماذا؟ ماذا؟ كيف؟	شيك !، بلى، ! أوف أريد الآن، أشعر بـ	لا أريد، لا أستطيع، سأحاول، أتمنى..
نبرة الصوت	قوية، متعالية ناقدة، تصدر الأحكام	رقيقة، مُحبة، مهتمة بالأمر، حنونة، مراعية للمشاعر، مُريحة	دقيقة، رتيبة، ، محددة، متساءلة	نشيطة، سعيدة، مليئة بالعفوية،حرة، قوية	إما ضعيفة أو غير مقنعة، مستعطفة، مليئة بالقلق
الايماءات وأسلوب التعبير	توجيه الأصابع، تقطيب الحواجب، نظرة سلطوية	أذرع مفتوحة ، ابتسامة، نظرة تفهم ، لمسات حانية	صارم جدا، ايماءات محسوبة، مفكر، حذر، رأس سوي، منفتح، غير متصلب	كل الايماءات، يضحك، منطلقة، تلقائية، نظرة لامعة ومعبرة	تعبيرات حزينة، محبط، يائس، يتضرع، عابس، يتجاهل(يرفع أكتافه)
وضعيات الجسد والهيئة	أكتاف مشدودة، اليدين على الوركين، يُذكر بالقاعدة، يُجيز، يَمنع	يميل إلى الأمام، الذراع على الكتف، يشجع أو يتعاطف، يُذكر بما هو جيد أو صائب	مستقيم جدا، في حالة رصد ومراقبة، يُذكر بالحقائق، الواقع	يتحرك، يُحدث ضجة، يتفاعَل مباشرة	حزين، يميل إلى الرضوخ أمام الوقائع والناس، مساير ومتذلل، متوتر، منغلق، يميل إلى المعارضة

---

[1] Steiner, C., Campos, L., Drego, P., Joines, V., Ligabue, S., Noriega, et al. (2003). A compilation of core concepts. *Transactional Analysis Journal*, *33*, p.182–191.

[2] Solomon, C., 2003. Transactional analysis theory: The basics. Transactional Analysis Journal vol. 33,No.01,january. p15-22.

[3] Agnès,G.états du moi, transactions et communication,interedition, 2004.p1-11.

[4] Berne, E. (1961). Transactional analysis in psychotherapy: A systematic individual and social psychiatry. New York, NY: Grove Press.p.171.

[5] Ibid.p.172.

الجدول(1) بعض مؤشرات التشخيص السلوكي لتحديد حالات التشخيص الاجتماعي

يُقصد به ملاحظة نوعية تبادلات الفرد مع الآخرين والتعرف على حالة الأنا المثيرة من خلال معرفة حالة الأنا المستجيبة، فاستجابات الآخرين للفرد على نحو ما أغلب الوقت عادة ما تكون مفتاحا لتحديد حالة الأنا التي يميل لاستخدامها[1].

التشخيص التاريخي: يتم من خلاله جمع المعلومات و المؤشرات عن طريق طرح الأسئلة على الشخص حول تاريخه خاصة طفولته والأشخاص البارزين فيها، يستند هذا التشخيص على حقيقة أن معرفة تاريخ الفرد تقدم معلومات قيمة عنه الآن. وعليه فإن الأحداث التي عاشها في الماضي يمكن أن تؤثر عليه في الحاضر والمستقبل.

التشخيص الظاهراتي: ينبثق هذا التشخيص من الفحص الذاتي أو إعادة اكتشاف الواقع على أساس أن الفرد لا يتذكر الخبرة الماضية فحسب- كالتشخيص السابق- بل ويعيشها أيضا كما لو أنها تحدث الآن، هذا ما يسمح بتحديد حالة الأنا لدى الشخص المعني.من جهتهم يضيف بعض الباحثين تشخيصا آخر إلى الأنواع السابقة هو **التشخيص السياقي**، الذي يوضحون فيه أن تشخيص حالة الأنا يختلف باختلاف السياق الذي يوجد فيه الشخص حتّى وإن تشابهت العبارات، وعليه فإن السياق عنصر محوري يجب وضع تأثيره بعين الاعتبار في تحديد حالات الأنا [2].

المبحث الثالث: الاتصال الشخصي : يؤكد الباحثون أن الاتصال الشخصي هو أمر أساسي لفعاليتنا و حياتنا اليومية، باعتباره شريان الحياة بالنسبة للعلاقات ذات معنى في السياقات الشخصية، الاجتماعية، والمهنية [3]. وعلى هذا فإن الاتصال الشخصي مهم جدا في مكان العمل أيضا، فقد سأل **JERRY WINSOR, DAN CURTIS, & RONALD STEPHENS**[4] **400** مدير في مجموعة واسعة من المنظمات التي تَعتبر مهارات المتقدمين أهم معيار في تعيينهم، فكان الاتصال الشفهي يتصدر قائمة هذه المهارات، حيث أكد المدراء أنه للحصول على التعاقد والمضي قدما في المهن، يحتاج الناس إلى العمل بفعالية مع الآخرين والاستماع جيدا لهم، وإعطاء ردود أفعال فعالة. من جهة أخرى سألت **الجمعية الوطنية للكليات وأرباب العمل 480** شركة ما هي الصفات والقدرات الأكثر أهمية بالنسبة لها في اتخاذ قرارات التوظيف، فكانت مهارات الاتصال تتصدر القائمة[5]. ووفقا لأرباب العمل، تعتمد فعالية الأداء الوظيفي بشكل حاسم على مهارات مثل التعبير عن النفس بشكل واضح، الاستماع الجيد للآخرين، وخلق مناخات عمل مثمرة ومعرفة كيفية التعامل الفعال مع الآخرين. وفي هذا السياق أكدت العديد من الدراسات على أهمية الاتصال الشخصي في تحقيق النجاح المهني.

أولا) حتمية العلاقات الشخصية: طوّر عالم النفس **WILLIAM SCHUTZ (1966)**[6] نظرية الحاجات الشخصية التي تؤكد أن ميلنا إلى خلق والحفاظ على العلاقات يتوقف على مدى نجاحها في تلبية الحاجات الأساسية الثلاث: المودة، الاندماج، والسيطرة.بتوسيعه لأفكار **SCHUTZ** ، يفترض **ABRAHAM MASLOW (1968)** أننا نتصل لتلبية مجموعة من الحاجات البشرية: الحاجات المادية، الأمن، الانتماء، تقدير الذات وتحقيق الذات. إلا أنه وبالمقابل يجب تلبية الحاجات الأساسية قبل أن نركز على تلك التي هي أكثر تجريدا.

---

(1) Stewart lan.(2007). Lan:Transactional Analysis Counselling in Action: sage publications Ltd. p.63.

(2) ريهام محمد فتحي محمد قنديل، " فعالية برنامج للإرشاد القائم على التحليل التفاعلي التبادلي في تنمية مهارات التواصل في البيئة المدرسية"، أطروحة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في التربية، تخصص صحة نفسية، كلية التربية، جامعة عين شمس، مصر، 2012،ص76.

(3) Wood ,Julia T. Interpersonal Communication: Everyday Encounters, Sixth Edition, Wadsworth, Cengage Learning, june 2008.p.22.

(4) Winsor, J., Curtis, D., & Stephens, R. (1997). National preferences in business and communication éducation: An update. Journal of the Association for Communication Administration, 3, p170–179.

(5) Schneider, A. (1999, March 26). Taking aim at student incoherence. Chronicle of Higher Education, pp. A16–A18.

(6) Schutz, W. (1966). The interpersonal underworld. Palo Alto, CA: Science and Behavior Books.p.36.

من جهتها ترى WOOD[1] أن الانسان يسعى إلى أكثر من تلبية الحاجات المذكورة سابقا، بل يسعى إلى النمو الشخصي بالبحث عن التطور، التزايد، والتغيير، وتؤكد أن الاتصال يساعد في اكتشاف امكانياته وتعزيز سعيه إلى المعرفة والفهم والتحسين من نفسه بقولها:

"As humans,we seek more than survival, safety, belonging, and esteem. We also thrive on growth. Each of us wants to cultivate new dimensions of mind, heart, and spirit. We seek to enlarge our perspectives, engage in challenging and different experiences, learn new skills, and test ourselves in unfamiliar territories. To become our fullest selves—to *self-actualize—we must embrace the idea that personal growth is an ongoing process—we are always evolving,growing, changing.* "

ثانيا) مميزات الاتصال الشخصي : يعتبر الاتصال الشخصي نوعا متميزا من التفاعل بين الناس، ولفهم تميزه لابد من تتبع معنى كلمة **Interpersonal**. وهي كلمة متكونة من **Inter** وتعني "**بين**" وكلمة **Person** وتعني " شخص". ومعناها في مجملها: كل اتصال يحدث بين الناس. إلا أن العديد من التفاعلات لا تشملنا بشكل شخصي، حيث أن الاتصال موجود على خط ممتد من اللاشخصي إلى الشخصي[2].ترى **WOOD** أن الكثير من اتصالاتنا ليست حقا شخصية. ففي بعض الأحيان نحن لا نعترف بالآخرين كأناس على الإطلاق بل نعاملهم ككائنات. غير أننا وفي حالات أخرى نعترف بهم، ولكن نتفاعل معهم من حيث أدوارهم الاجتماعية بدلا من تفاعلنا معهم شخصيا. وبالمقابل نتصل مع عدد قليل ومحدد من الناس بطرق حميمية للغاية.في هذا السياق ميز **MARTIN BUBER**[3] بين ثلاث مستويات من الاتصال : **I–It**, **I–You**, & **I–Thou**. في علاقة **I–It** نعامل الآخرين بصورة لا شخصية للغاية باعتبارهم كائنات **Objects**. في هذا المستوى من الاتصال لا نعترف بإنسانية الآخرين ولسنا متأكدين حتّى من وجودهم، حيث لا يتم التعامل معهم كبشر بل كأدوات لاتخاذ أوامرنا وتقديم ما نريد.

المستوى الثاني لـ**BUBER** هو اتصال **I–You** الذي يمثل أغلب تفاعلاتنا، فالناس في هذا المستوى يعترفون ببعضهم البعض كونهم أكثر من أشياء، لكنهم لا يشاركون بعضهم البعض بشكل كامل كأفراد متميزين[4]. فقد تكون علاقات **I–You** أكثر شخصية حيث يتبادل الناس الأفكار والاهتمامات المشتركة، لكن لا يزال التفاعل مُوجها من قبل الأدوار، ومع ذلك يتم التأكيد على وجود الآخرين والاعتراف بهم كأفراد في تلك الأدوار. في هذا السياق أشار استطلاع رأي وطني إلى أن غالبية الناس ترى أن مشاكل الاتصال هي السبب الأول في فشل الزواج [5]. في حين سألت منظمة **ROPER STARCH 1,001** أمريكي أسئلة متنوعة عن دور الاتصال في حياتهم. ووجدت أن إجابة واحدة طغت على بقية الإجابات رغم اختلافهم في العمر، العرق، الجنس و مستوى الدخل، حيث ذكر الأمريكيون أن مشاكل الاتصال هي السبب الأكثر شيوعا في الطلاق بنسبة **53%**.مقارنة بأسباب أخرى: مشاكل مالية **29%**، تدخل أفراد الأسرة **7%**، مشاكل جنسية **5%**، علاقات سابقة **3%**، الأطفال**3%**[6].

المستوى الثالث من العلاقة هو اتصال **I–Thou** وهو أندر نوع، ويعتبر الباحثون هذا الاتصال أعلى شكل من أشكال الحوار الإنساني لأن كل شخص فيه يؤكد الآخر كشخص متميز. فالتفاعل بمستوى **I–Thou** هو مقابلة الآخرين في كمالهم وتفردهم بدلا من التعامل معهم كشاغلي أدوار اجتماعية، وعليه ينفتح الناس بالكامل في اتصال **I–Thou** واثقين بتقبل

---

[1] Wood ,Julia T. Interpersonal Communication: Everyday Encounters, Sixth Edition, Wadsworth, Cengage Learning, june 2008. p..14
[2] Ibid. P09.
[3] Buber, M. (1970). *I and thou* (Walter Kaufmann, Trans.). New York: Scribner.p222.
[4] Wood, J. T. (2006). Chopping the carrots: Creating intimacy moment by moment. In J. T. Wood & S. W. Duck (Eds.), *Composing relationships: Communication in everyday life* (pp. 24–35). Belmont, CA: Thomson/Wadsworth.
[5] Roper poll (1999). How Americans communicate. from http://www.natcom.org/ research/Roper/how_americans_ communicate.htm.
[6] Ibid.

الآخرين لهم كما هم، بإيجابيهم ونقائصهم. ويعتقد BUBER [1] أن علاقات I–Thou هي الوحيدة التي يصبح فيها البشر كاملين، وهذا يعني بالنسبة له أنهم يتجاهلون المظاهر التي يستخدمونها معظم الوقت ويسمحون لأنفسهم بأن يكونوا حقيقيين تماما. فهو يرى أن الكثير من اتصالاتنا تشتمل على ما يسميه بـ " الظاهر" التي ينشغل فيها الناس بصورتهم ويحرصون على إدارة كيفية تقديم أنفسهم. لكن في علاقات I–Thou ينخرطون في ما يسميه بـ "الحاضر" الذي من خلاله يكتشفون ماهم عليه حقا، وكيف يشعرون حقا.

من هذا المنظور يؤكد الباحثون أن علاقات I–Thou ليست شائعة، لأن الناس لا يسعهم تحمل الكشف عن أنفسهم تماما للجميع في كل وقت. وعليه فعلاقات I–Thou والاتصال فيها نادر وخاص.

بناء على ما سبق تُعرف WOOD [2] الاتصال الشخصي باعتباره عملية انتقائية، نظامية، فريدة، وجارية من التبادلات التي تسمح للناس بالتفكير وبناء المعرفة الشخصية لبعضهم البعض وخلق المعاني المشتركة في قولها:

ونشير هنا أن معظم مميزاته تتجلى في هذا التعريف (نتقائي، نظامي، فريد من نوعه....).

ثالثا) سياق الاتصال: منذ منتصف القرن الماضي دعى الباحثون إلى تجاوز فكرة اعتبار الاتصال منحصرا في نقل معلومات ضمن مخطط مرسل- مستقبل، بل نظروا إليه كونه أولا وقبل كل شيء ***"حقيقة ثقافية واجتماعية "*** [3]. وهو ما يستدعي بالضرورة الاهتمام بالسياق. وقد أكد JAQUES COSNIER [4] على أهمية السياق في قوله:

" إن مفهوم السياق يعتبر دون شك واحدا من بين أهم المفاهيم التي تبقى ضرورية أكثر لفهم الممارسات الاتصالية الإنسانية... " ص 29. يعود السياق في الأصل إلى تأطير سوسيولوجي قبل دخوله لعلوم الإعلام والاتصال، بحيث أصبح الاتصال يرتبط ارتباطا وثيقا بالسياق، لهذا بدأ الباحثون شيئا فشيئا وضعه بعين الاعتبار في دراساتهم. ويعد الأنتروبولوجي الأمريكي HALL من الأوائل الذين بحثوا في الأبعاد السياقية للاتصال الشخصي حيث يعتبر أن الاتصال لا ينشأ في فراغ بل في سياق ثقافي، أي نظام من القواعد والقوانين والمعايير التي تحدد تغيّرات سيرورة الاتصال، فحسب **(1984)** MYERS [5] لازال HALL يصر على التأثيرات التي يفرضها هذا السياق فيقول: " إننا لم ندرك جيدا بعد هذا السياق الثقافي لأنه يبدوا لنا مألوفا وشيئا عاديا ولا نعيره اهتماما إلا إذا قابلتنا ثقافة غريبة عنا "ص 204. وبالمقابل يؤكد عدد من الباحثين أن فهم كل فعل اتصالي يستدعي بالضرورة الرجوع إلى الرمزية الاجتماعية التي يحدث فيها، وتوصلت أبحاث " KATZ, BROWN , YOUNG , MORLEY، **اليابس"** و آخرين إلى أن نشاط بناء المعنى يختلف حسب الموارد الثقافية لكل فرد. مثلما يؤكد عليه WOLTON [6] بقوله: " الاعتراف بهذه الخصوصية المتمثلة في أن يكون الفرد هو واقع وتجربة لايمكن لايمكن فصلها عن الثقافة والمجتمع" ص 11.يصعب فهم الاتصال خارج السياق العام للمجتمع الذي يتواجد فيه المتصلون، وذلك لأنه لا يمكن فهم شيء بصورة منفصلة. فكل شيء وكل كائن موجود في حقل عناصر أخرى تتفاعل معه. لهذا يؤكد DEWEY [7] أن " المجتمع لا ينشأ بالاتصال فحسب بل ويعيش فيه وبه، لأن الاتصال يمكن الناس من أن يجدوا يجدوا أشياء مشترك, ليعيشوا سويا" ص18- 19، ومنه فالفرد لا ينفصل عن المجتمع كما أن المجتمع لا ينفصل عن الأفراد.

---

(1) Buber, M. (1970). *I and thou* (Walter Kaufmann, Trans.). New York: Scribner.p.656

(2) Wood ,Julia T. Interpersonal Communication: Everyday Encounters, Sixth Edition, Wadsworth, Cengage Learning, june 2008.p.21.

(3) Bélishe,Claire. Bianchi, Jean. et Jourdans, Robert,"pratiques médiatique,50 mots clés" , CNRS édition, paris,1999.p.56.

(4) Jacques Cosnier in Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratique de réseaux: Texte et contexte dans la communication. Cahier N° 13. France – Juin 1991 p.29.

(5) Myers E. Gail. Les bases de la communication interpersonnelle Copyright, Paris, 1984, p204.

(6) wolton,dominique.le moment de la communication,revue Hermès,n°38,france,p, 2004.11 ..

(7) Dewey John , Démocratie et éducation. Armand Colin, Paris 1995, P18-19.

من هذا المنطلق توصل الباحثون إلى أن السياق لا يساهم في إضفاء معنى للتبادلات فحسب، ولكن هذا المعنى يتشكل أيضا من خلال التبادل في حد ذاته. وهو مايؤكده Muccheilli [1] في قوله: " المعنى لا يُعطى هكذا با إنه ميلاد... إنه نتاج مسارات متعددة " ص89. وعليه، نحن نتصل باستمرار مع الآخرين، وبما أن الاتصال هو قبل كل شيء تبادل للمعنى عبر تبادل الارتباط والعلاقة (**رضوان، 2007**) [2]، فإن الفاعلين يعطون من خلال أفعالهم وردود أفعالهم قيمة مضافة للمعنى، وهو مايعني أن الأفراد هم من يقومون ببناء المعنى من خلال إيجاد قواعد للسلوك وكذا فهم مشترك للظواهر، وقد وضح **BERGER & LUCKMANN (2006)** [3]هذا في قولهم: " يوجد توافق مستمر بين المعاني التي أضفيها أنا وتلك التي يضفيها غيري" ص 75. من جهة أخرى أشار **HALL** إلى أهمية السياق الفضائي حين تحدث عن الجيرة أو المجاورة، والتي تعرف عادة بأنها " دراسة العلاقات الفضائية " ص115. هذه العلاقات الفضائية لا تحدد شروط وظروف العلاقات ين الناس فقط بل تعتبر أيضا شاملة لرموزها [4]. كما يؤكد **رضوان بوجمعة** [5] من جهته على سلطة الفضاء في تحديد طبيعة الاتصال وتوجيهه فيقول: ***" تلعب التصرفات الفضائية دورا هاما في الاتصال، حيث تتعلق بقواعد معينة، مرتبطة بالثقافة، وإذا ما تجاوزها الأفراد أولم يحترموها تجرّهم إلى صعوبات في الاتصال"*** ص 131.

نتائج الدراسة:وتتلخص بالآتي

1) هناك علاقة بين حالات الأنا والاتصال الشخصي في المؤسسات الإعلامية الجزائرية، فكلما كانت حالات الأنا متوافقة ومتزنة كلما سار الاتصال بشكل سلس وفعال يكون له تأثيراته الإيجابية على العمل، والعكس صحيح تماما. وهذا ما يؤكد التأثير الإيجابي للاتصال الشخصي الجيد والفعّال على تقدم الأفراد في مجال العمل.

2) تؤثر حالات الأنا في استمرارية أو انقطاع الاتصال الشخصي داخل المؤسسات الإعلامية الجزائرية، فأثناء التبادل القائم بين رجال الإعلام ضمن سلسلة مستمرة من مثير – استجابة، عندما لا يستخدم طرفا الاتصال حالة الأنا المناسبة في التعامل يخلق هذا ما يسمى بـ التبادلات المتقاطعة التي تجعل الطرفين غير مرتاحين ما يخلق صراعات ونزاعات تؤدي إلى انهيار الاتصال، وبالتالي هذا يؤثر سلبا على إنتاجية العمل.

3) تساهم حالات الأنا بشكل كبير في تحسين الاتصال الشخصي داخل المؤسسات الإعلامية الجزائرية لما يقدمه من دلالات معرفية هامة في فهم سيرورته وتصحيح اختلالاته، وبالتالي، التعرف على الإجراءات اللازمة التي ينبغي أن تتخذ لرفع مستوى هذه المؤسسات، بالإضافة إلى دوره الفعال في تحسين كفاءة رجل الإعلام في تحقيق نجاح العمل الإعلامي، وبالتالي توفير جو ملائم للعمل يساعد على الابتكار والإبداع.

4) التبادلات الموازية هي التبادلات الفعالة في تحسين الاتصال الشخصي داخل المؤسسات الإعلامية الجزائرية لما لها من دور في خلق اتصال مريح يساعد على تحقيق التوازن والاستقرار في التعامل الشخصي بين رجال الإعلام، لهذا تعتبر تبادلات متكاملة ومشبعة لاحتياجات مختلف الأطراف.

5) حالة الأنا الراشد هي حالة الأنا التي لها دور كبير في تحسين الاتصال الشخصي في المؤسسات الإعلامية الجزائرية لأنها تمثل الجزء العقلاني والموضوعي في الشخص. وعليه فإنها تخضع لمبدأ العقلانية والوضوح، وأيضا التجرد من العاطفة التي من شأنها أن تعطل الفهم والمنطق في التعامل مع المواقف، ما يجعلها فعّالة في عملية صنع القرار ما ينعكس إيجابا على إنتاجية العمل.

---

[1] Muccheilli,alex,"les situation de communication: méthodes en sciences humaines", édition Eyrolles, france,1991.p89.

[2] رضوان بوجمعة، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل : محاولة تحليل انثروبولوجي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في علوم الاعلام والاتصال كلية العلوم السياسية والاعلام، قسم علوم الاعلام والاتصال جامعة الجزائر، 2007، ص87.

[3] Berger , peter et Luckmann, thomas."la construction sociale réalité", Armond Collin, France,2006.p75.

[4] Simmel Georg : On indiviuality and social forms » University of chicago presss Chicago,1971,p22.

[5] رضوان بوجمعة، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل : محاولة تحليل انثروبولوجي، مرجع سابق، ص 131.

توصيات

1) نعتبر أن دراسة حالات الأنا من الأبعاد المهمة التي ينبغي أن ينصب عليها الاهتمام في ميدان الأعلام والاتصال، وإدماجها كمتغير نفسي اجتماعي يساعد على فهم سيرورة الاتصال الشخصي وتفسيره والتنبؤ به، خاصة وأن لحالات الأنا دور مهم في النظر في وجهات النظر البديلة التي تساعد الاتصال الشخصي في تمكين التغييرات التي يجب إجراؤها لحل المشاكل الموجودة فيه، وخلق اتصال بنَّاء وفعَّال، قد يستمر إلى أجل غير مسمى ما يساعد على توفير بيئة عمل ملائمة يكون رجل الإعلام فيها فعالا ومبتكرا.

2) ضرورة الاهتمام بالبحث في الاتصال الشخصي لما له من دور في فهم علاقة بعض الخاصيات السيكولوجية بالظاهرة الاتصالية.

3) ضرورة توفير اتصال جيد وفعال داخل المؤسسات الإعلامية لما له من دور في خلق مناخات عمل مثمرة، وتنمية المهارات مع توفير الفرصة لبناء العلاقات الفعالة التي تؤثر بشكل إيجابي على نجاح العمل الإعلامي.

4) السعي إلى خلق التبادلات الموازية التي يمكن أن تُنشِئ اتصال بنَّاء وفعَّال، قد يستمر إلى أجل غير مسمى، يساهم في توفير بيئة عمل ملائمة يكون رجل الإعلام فيها مبدعا.

5) ضرورة الاهتمام بدراسة نظرية التحليل التبادلي لما لها من دور في الرد على الأسئلة التي تظهر أثناء عملية الاتصال، كما تتوفر على مجموعة من الأساليب والتقنيات التي يمكن من خلالها تحليل شخصية الأفراد وسلوكاتهم.

مصادر البحث

المصادر باللغة العربية:

1. ريهام محمد فتحي محمد قنديل، " فعالية برنامج للإرشاد القائم على التحليل التفاعلي التبادلي في تنمية مهارات التواصل في البيئة المدرسية"، أطروحة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في التربية، تخصص صحة نفسية، كلية التربية، جامعة عين شمس، مصر، 2012.

2. رضوان بوجمعة، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل : محاولة تحليل انثروبولوجي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر، 2007.

المصادر باللّغتين الإنجليزية والفرنسية:

1. Berne, E. (1961). Transactional analysis in psychotherapy: A systematic individual and social psychiatry. New York, NY: Grove Press.

2. Loffredo,D.A, Harrington, R. Ego State Differences in University Students by Gender, Race, and College Major,JOURNAL OF PSYCHIATRY, PSYCHOLOGY AND MENTAL HEALTH; Volume 2, Issue 1, 2008.

3. Bedard,D. position de vie et perception du comportement interpersonnel ,mémoire presente a l'universite du quebec a trois-rivieres comme exigence partielle de la maitrise en psychologie;juillet,1980.

4. PLATIS, M. BABAN, E. G. TRANSACTIONAL ANALYSIS IN THE BUSINESS CONTEXT, Challenges of the Knowledge Society. Economy,2011.

5. Keçeci, A. Taşocak , G. Nurse faculty members' ego states: Transactional Analysis Approach, Nurse Education Today 29 (2009).

6. Akbag˘, M., 2000. Examination of Some Methods of Coping with Stress in University Students, Negative Automatic Thoughts by Transactional Analysis Ego States and Some Variables. Marmara Universites Eg˘itim Bilimleri Enstitusu Doktora Tezi, _Istanbul.

7. Akkoyun, F., 2001. Transactional Analysis Transactional Solving Approach in Psychology. Nobel Yayıncılık, 2. Baskı, Ankara.

8. Berne, E., 1988. What Do You Say After You Say Hello. Bantam Books, 10th Printing, New York.

9. Boholst, F.A., 2002. Cutting the Gordon Knot: Transactional Analysis and Social Transformation. A Paper read during the Psychological Association of the Philippines 11th Regional Convention Holiday Plaza Hotel, Cebu City, <http:// www.geocities.com/fredrickboholst/CuttingGordonKnot.doc> (19.02.2014.)

10. Parissopoulos, S., Kotzabassaki, S., 2004. Orem's self care theory, transactional analysis and management of elderly rehabilitation, Icus Nurs Web, (17).

11. Dokmen, U., 2004. Communication Conflicts and Empathy. Sistem Yayıncılık,27.Baskı, Ankara.
12. Solomon, C., 2003. Transactional analysis theory: The basics. Transactional Analysis Journal vol. 33,No.01,january.
13. Drego, P., 2006. Why people say and do what they don't really want to? <http:// www.lifepositive.com/Mind/psychology/transactional-asp>
14. Barnes, G.(1977). Transactional Analysis After Eric Berne, Harper's College Press.
15. BERNE, E. (1964). Games people play:The psychology of human relationships. New York: Grove Press.,p22.
16. Williamson, A.Ward ,R. Emotion in Interactive Systems:Applying Transactionat Analysis , Springer-Verlag London Lid Personal Technologies (1999) 3.
17. Quazza, J-Pierre. (2012). L'analyste Transactionnel Et La Crise, Actualités En Analyse Transactionnelle, N° 142.
18. Kenward, L. Teaching communication via awareness of Berne's personal ego states, Nurse Education Today 33 (2013) 1096–1098.
19. Ciucur, D. The Ego States and the "Big Five" Personality Factors, Procedia - Social and Behavioral Sciences 78 (2013.
20. Steiner, C., Campos, L., Drego, P., Joines, V., Ligabue, S., Noriega, et al. (2003). A compilation of core concepts. Transactional Analysis Journal, *33*.
21. Agnès,G.états du moi, transactions et communication,interedition, 2004.
22. sage publications Ltd. Transactional Analysis Counselling in Action::Stewart, lan.(2007).
23. . wolton,dominique.le moment de la communication,revue Hermès,n°38,france, 4.
24. Bélishe,Claire. Bianchi, Jean. et Jourdans, Robert,"pratiques médiatique,50 mots clés" , CNRS édition, paris,1999.
25. Jacques Cosnier in Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratique de réseaux: Texte et contexte dans la communication. Cahier N° 13. France – Juin 1991.
26. Muccheilli,alex,"les situation de communication: méthodes en sciences humaines", édition Eyrolles, france,1991.
27. Dewey John , Démocratie et éducation. Armand Colin, Paris 1995, P18-19.
28. Goffman Erving, Behaviour in public places. New York, NY, Free press ,1963.
29. Berger , peter et Luckmann, thomas."la construction sociale réalité", Armond Collin, France,2006.
30. Myers E. Gail. Les bases de la communication interpersonnelle Copyright, Paris, 1984.
31. Simmel Georg : On indiviuality and social forms » University of chicago presss Chicago,1971.
32. Wood ,Julia T. Interpersonal Communication: Everyday Encounters, Sixth Edition, Wadsworth, Cengage Learning, june 2008.
33. Winsor, J., Curtis, D., & Stephens, R. (1997). National preferences in business and communication éducation: An update. Journal of the Association for Communication Administration.
34. Schneider, A. (1999, March 26). Taking aim at student incoherence. Chronicle of Higher Education.
35. Cooper, L., Seibold, D., & Suchner, R. (1997). Listening in organizations: An analysis of error structures in models of listening competency. Communication Research Reports, 14, 3.
36. Waner, K. (1995). Business communication competencies needed by employees as perceived by business faculty and business professionals. Business Communication Quarterly, 58.
37. Wagner, E. (2001, May 11). Listening: Hear today, probably gone tomorrow. Business Journal.
38. Schutz, W. (1966). The interpersonal underworld. Palo Alto, CA: Science and Behavior Books.
39. Maslow, A. H. (1968). Toward a psychology of being. New York: Van Nostrand Reinhold.
40. Buber, M. (1970). *I and thou* (Walter Kaufmann, Trans.). New York: Scribner.
41. Wood, J. T. (2006). Chopping the carrots: Creating intimacy moment by moment. In J. T. Wood & S. W. Duck (Eds.), *Composing relationships: Communication in everyday life* Belmont, CA: Thomson/Wadsworth.
42. Roper poll (1999). How Americans communicate. from http://www.natcom.org/ research/Roper/how_americans_communicate.htm.
43. Dawson,T.(2013).The role of communication and ego states in patient compliance, Dental Nursing November 2013, Vol 9, No 11 .
44. Harris, T.A. (1967). D'accord Avec Soi Et Les Autres: Guide Pratique D'analyse Transactionnelle. Paris: Epi, 19 73.
45. Kay, EJ., Tinsley, SR. (2004). Communication and the Dental Team, Stephen Hancocks, London.
46. Steiner,C.(1990).Scripts People Live, Transactional Analysis Of Life Scripts,2nd Ed, Grove Press.

درجة ممارسة معلمي الحلقة الأساسية الثانية في الأردن لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته في ضوء الاتجاهات الحديثة

د.عبدالسلام يوسف الجعافرة

كلية العلوم التربوية-جامعة الزرقاء

ملخص:

هدفت الدراسة إلى تحديد درجة ممارسة معلمي الحلقة الأساسية الثانية في الأردن لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته في ضوء الاتجاهات الحديثة، والتعرف إلى الفروق في درجة الممارسة تبعاً لمتغيري النوع الاجتماعي، ومديرية التربية. تكونت عينة الدراسة من(140) معلماً ومعلمة، اختيروا بالطريقة العشوائية الطبقية من مجتمع الدراسة، ولتحقيق أهداف الدراسة طُورت استبانة مكونة من(32) فقرة موزعة على ست مجالات: استراتيجية التقويم المعتمدة على الأداء، واستراتيجية التقويم المعتمدة على التواصل، واستراتيجية التقويم المعتمدة على الملاحظة، واستراتيجية التقويم المعتمدة على مراجعة الذات، واستراتيجية التقويم المعتمدة على القلم والورقة، وأدوات التقويم.

أظهرت نتائج الدراسة أن درجة ممارسة المعلمين والمعلمات الكلية لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته جاءت بدرجة متوسطة، وبمتوسط حسابي(3,30)، وعلى مستوى المجالات حصل مجال استراتيجية التقويم المعتمدة على الملاحظة، ومجال استراتيجية التقويم المعتمدة على القلم والورقة على درجة ممارسة عالية، في حين حصلت المجالات الأربعة الأخرى على درجة ممارسة متوسطة. كما كشفت النتائج عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (**α ≤ 0.05**) تعزى لمتغيري النوع الاجتماعي، ومديرية التربية والتعليم. وفي ضوء النتائج خلصت الدراسة إلى عدد من التوصيات.

الكلمات المفتاحية:درجة الممارسة، الحلقة الأساسية الثانية ،استراتيجيات التقويم الحقيقي، أدوات التقويم الحقيقي، الاتجاهات الحديثة.

ABSTRACT

This study aimed at investigating the practicing degree of the second basic episode teacher's in Jordan educational directorate to real evaluation strategies and tools in light of recent trends, and to identify the differences in practice degree, depending on gender and educational directorate variables.

The study sample consisted of (140) teachers, which chosen by stratified random sampling from the study population, aquestionnaire was developed to achieve the study objectives, which consists of (32) items distributed on six domains: performancebased evaluation strategy, communication based evaluation strategy, observation based evaluation strategy,evaluation strategy based on self review,strategy evaluation based on the pen and paper, and evaluation tools.

Results of the study showed that the degree of teachers practicing real evaluation and toolswas moderatelevel with mean(3.30). At the domains level, the observationbased evaluation strategy and strategyevaluation based on the pen and paper, achieved on the highly practice level. While,

other four domains achieved moderate practice level. Also, the results revealed that there were no statistically significant at the level of significance (α ≥ 0.05) due to the variables of gender and the directorate of education.

In light of the results the study concluded anumber of recommendations.

Keywords: degree of practice, the second basic Episode, the real evaluation strategies, the real evaluation tools, recent trends.

مقدمة: يُعد التقويم أحد العناصر الرئيسة في المنظومة التعليمية التعلمية، والموجه الرئيس لتطويرها، ومن خلاله نُحدد مواطن القوة ونواحي القصور بها؛ نظراً لما يوفره من المعلومات والبيانات التي تعتمد عليها عمليات التغذية الراجعة، إصلاحاً وتطويراً لمَواطن القوة، وعلاجاً لنواحي القصور؛ لذا فإننا بحاجة إلى تقويم حقيقي يهدفُ إلى التحقق من مدى اكتساب الطالب للمعارف والمعلوماتِ والمهارات، وكيفية تنميتها وتوظيفها في حياته اليومية.

ولاشك أن السنوات الأخيرة من القرن العشرين شهدت تحولات هامة في مفهوم التقويم وأدواته، وتطور مفهومه كغيره من المفاهيم التربوية في ضوء النظرة الحديثة لعملية التعليم والتعلم، إذ أصبح له أهداف متنوعة، كتقييم كفاءة الطلبة ومراقبة تعلمهم وتطوير استراتيجيات تعليمهم وتقييم نموهم، ودمجهم من خلال عملية التقويم الذاتي ومعرفة حاجاتهم ونقاط القوة لديهم، ومن هنا نرى أنه لا يمكن لنوع واحد من التقويم أن يحقق الأهداف المرجوة كافة(الفريق الوطني،2004). والتقويم الحقيقي تجاوز الفهم التقليدي لعملية تقييم تعلم الطلبة، الذي يقوم على إظهار ما لدى الطلبة فروق أو مهارات فردية، تقاس بدرجات غير منطقية لا تعكس في الأغلب حقيقة ما يملكه الطلبة من قدرات ترتبط بعمليات التفكير العليا، وقدرتهم على بلورة الأحكام واتخاذ القرارات وحل المشكلات، باعتبارها مهارات تمكن الطلبة من التعامل مع التغيرات المتسارعة، في زمن أصبحت فية تكنولوجيا المعلومات ومستجداتها، سمة هذا العصر (Napoli&Raymond,2004)، والتقويم التربوي الحديث يتضمن استراتيجيات تقويم حديثة قائمة على أسس علمية ومنهجية، ترتكز على حقيقة وواقع ما تعلمه الطلبة، بشكل يضمن جودة العملية التربوية ومخرجاتها من حيث مدى بلوغ المتعلم لأغراض التعلم ونتاجاته، وتمكنه منها وإتقانه لها(Grisham,2006).

وورد في تقرير اللجنة القومية للمستويات التربوية والعمليات الاختبارية في أمريكا، أن التقويم في الماضي كان مقتصراً على الكفايات أو المهارات الأساسية؛ وهذا أدّى إلى افتقار الطلبة إلى المهارات العقلية العليا، لأن اختبارات الحد الأدنى للكفايات التي تقتصر على الورقة والقلم كان لها تأثير سلبي؛ ولهذا كانت هناك ردود فعل قوية من جانب المربين بضرورة التحول من التقويم المعتاد الذي يقدم صورة أُحادية البُعد عن أداء الطالب، إلى التقويم الحقيقي الذي يقدم صوراً متعددة الأبعاد عن أدائه باستخدام أساليب متنوعة(أبو علام، 2001).

وحذَّر العديد من الباحثين من سيطرة الاختبارات التقليدية على تقويم تعلم الطلبة وعلى ممارسات المعلمين وسلوكياتهم داخل الغرفة الصفية، حتّى أنها وصفت بأنها استعمار تربوي نظراً لخطورتها على العملية التربوية بمجملها (Morgan&Watson,2002)؛ ونتيجة لذلك أصبحت عملية التقويم تشمل جوانب شخصية الطالب المختلفة، ولم تعد مقصورة على قياس التحصيل الدراسي في الجانب المعرفي، كما كانت في ضوء النظرة التقليدية للتقويم، بل تجاوزته للجانب المهاري والجانب الانفعالي إضافة للجانب المعرفي(الثوابية وآخرون،2004 ؛ النمراوي،2011).

ويُعد التقويم من أهم البرامج التربوية التي تؤثر في تشكيل النموذج التربوي ورفع كفايته وفاعليته، فالتعلم النوعي المنشود للخروج من الجمود التعليمي القائم على التلقين وحفظ المعلومات واسترجاعها، إلى حيوية التعلم الناتج عن الاستكشاف والبحث والتعليل وحل المشكلات، وهذا يتطلب أدوات تقويم داعمة للاختبارات؛ لمواجهة معطيات العصر الحديثة بما فيها من تكنولوجيا وحوسبة للمناهج واستخدام الإنترنت كمصدر مهم من مصادر التعلم(مؤتمن،2004 ؛ الخرابشة،2004). وفي ظل الانتقال نحو التقويم الحقيقي، فإنه يتوقع من المعلمين السعي إلى إيجاد موقف تعليمي/تعلمي

يتمركزحول الطالب(Student–Contered) بدلاً مما تفعله الاختبارات التقليدية في خلق موقف تعليمي/تعلمي يتمركز حول المعلم، وقد أكد المجلس الوطني الأمريكي على تكامل عملية التقويم مع التدريس بحيث يصبح جزءاً لا يتجزأ من النشاط في غرفة الصف، يعمل على دعم وتوجيه تعلم الطلبة، ويساعدهم على تحمل مسؤولية تعلمهم وتقييم أنفسهم، وهذا يتطلب من المعلم البحث عن استراتيجيات وأدوات متعددة ومتنوعة لجمع المعلومات عن الطلبة، منتقلاً بذلك من التقويم السطحي لأدائهم ومهامهم إلى التركيز على طرائق تفكيرهم(اليونس،2006).

ولتحقيق هذا التطور لابد للمعلمين من تغيير أساليب التقويم التقليدية التي تعتمد على الامتحانات غير المقننة، وينتقلون لاستراتيجيات التقويم الحقيقي التي تقيس أداء الطالب وتعكس جوانب نموه المختلفة، وأن أي محاولة لتطوير النظام التربوي يجب أن تتضمن التقويم باعتباره هدفاً رئيساً في عملية إصلاح التعليم، ولتحقيقه يلزم الوقوف على فاعلية استراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته المستخدمة في عملية التقويم(عفانة،2011)، والمتمثلة في:

أ- استراتيجيات التقويم الحقيقي:

1- استراتيجية التقويم المعتمد على الأداء: تتيح هذه الاستراتيجية للطالب، توظيف المهارات التي تعلمها في مواقف حياتية جديدة تُحاكي المواقف الحقيقية، أو قيامه بعروض عملية يظهر من خلالها مدى إتقانه لما اكتسب من مهارات، في ضوء النتاجات التعليمية المراد إنجازها. ويندرج تحت هذه الاستراتيجية عدد من الفعاليات التي تُعد مثالاً لتطبيق الاستراتيجية كالتقديم،والعرض التوضيحي، والأداءالعملي، والحديث، والمعرض، والمحاكاة ولعب الأدوار، والمناقشة(عودة،2002).

2-استراتيجية التواصل: تقوم هذه الاستراتيجية على جمع المعلومات من خلال فعاليات التواصل عن مدى التقدم الذي حققه المتعلم، وكذلك معرفة طبيعة تفكيره، وأسلوبه في حل المشكلات. ويندرج تحت هذه الاستراتيجية: المقابلة، والأسئلة والأجوبة، والمؤتمر(أبو علي،2006).

3- استراتيجية الملاحظة:تُعد استراتيجية التقويم المعتمدة على الملاحظة من أنواع التقويم النوعي، وهي عملية يقوم بها الملاحظ أو المدرس بحواسه المختلفة نحو المتعلم؛ بقصد مراقبته في موقف نشط، وذلك من أجل الحصول على معلومات تفيد في الحكم عليه في تقويم مهاراته وقيمه وسلوكه وأخلاقياته وطريقة تفكيره، وتقسم إلى نوعين: الملاحظة التلقائية، والملاحظة المنظمة(الدويك، 2009 ؛Lanting,2000).

4-استراتيجية مراجعة الذات:تقوم هذه الاستراتيجية على تحويل الخبرة السابقة إلى تعلم بتقييم ما تعلمه، وتحديد ما سيتم تعلمه لاحقاً، ويندرج تحت استراتيجية مراجعة الذات:أ سلوب يوميات الطالب(Response Journal)، ويتم في هذا الأسلوب توثيق أفكار الطالب وملاحظاته وتفسيراته الذاتية حول ما تعلمه في المباحث المختلفة، وهي تجسيد لنظرة الطالب الشخصية، ورأيه في ما تعلمه. وتتمثل في: أسلوب التقييم الذاتي (Self Assessment)، وهواعتراف الطالب بقدراته وميوله ونواحي قوته وضعفه، بحيث يشكل كل ذلك مرآة تعكس ما يدور في ذهنه حول عملية تعليمه وتعلمه، ويقوم بها بنفسه بعيداً عن تأثير الآخرين ورأيهم فيه، ودون أن يقارن نفسه بأقرانه. وأسلوب تقييم ملف الطالب(Protfolio)، وهو عبارة عن ملف شخصي خاص بكل طالب، ويوضع فيه انجازاته جميعها بشكل منظم وفق الأطر العامة للمواد الدراسية المطروحة أو وفق الكفايات الأساسية، ويتضمن كذلك التقارير عن المشروعات والنشاطات والأوراق البحثية والإبداعات التي توصل لها، وهو أداة يستخدمها المدرس لتقويم تعلم الطالب، ويستخدمها الطالب لتقويم تعلمه ذاتياً، وأسلوب يوميات الطالب(زيتون،2007؛ محاسنة،2010؛ الثوابية،2006).

5- استراتيجية التقويم الحقيقي المعتمدة على القلم والورقة(الامتحانات التقليدية):تُعد من أهم أستراتيجيات التقويم التي مازالت تحتل مكاناً بارزاً بين بقية استراتيجيات التقويم الأخرى، ومنها اختبار الاختيار من متعدد، والمطابقة، والصواب والخطأ، والتكميل، والإجابة القصيرة، والإجابة الإنشائية وحل المسائل، والمقالية محددة الإجابة(عفانه،2011).

ب- أدوات التقويم الحقيقي:

1- قائمة الرصد(قائمة الشطب)(Check List): قائمة من الأفعال التي يرصدها المدرس للطالب في أثناء تنفيذ النشاط(المهمة)، وتتكون من مجموعة من المعايير ذاات الصلة بالنشاط المراد قياسه، وكل فقرة من هذه الفقراتتعبر عن سلوك يخضع للتقييم، حيث تتكون قائمة الرصد من معايير السلوك، ومقياس التقدير(الفريق الوطني،2004).

2- سلم التقدير العددي(Rating Scale): قائمة من الأفعال التي يرصدها المدرس للطالبفي أثناء تنفيذ النشاط(المهمة)، وتتكون من مجموعة من المعايير ذاات الصلة بالنشاط المراد قياسه(Trice,2000).

3- **سلم التقدير اللفظي**(Rubric): سلسلة من الصفات المختصرة التي تبين أداء الطالب في مستويات مختلفة، وهو يشبه تماماً سلم التقديرالعددي, ولكنه في العادة أكثر تفصيلاً منه, مما يجعل هذا السلم أكثر مساعدة للطالب في تحديد خطواته اللاحقة في التحسن, ويجب أن يوفر هذا السلم مؤشرات واضحة للعمل الجيد المطلوب(Huba,2000).

4- **سجل سير التعلم**(Learning Log): سجل منظم يكتب فيه الطالب خلال مدة من الزمن في أثناء قيامه بواجب محدد، أو خلال دراسته لمساق معين عبارات حول أشياء قرأها أو شاهدها أو مرّ بها في حياته الخاصة, حيث يسمح له بالتعبير بحرّية عن آرائه الخاصة واستجاباته حول ما تعلمه(Chatterji,2003).

5- **السجل القصصي**(Anecdotal Record): وصف قصير من المدرس، يسجل فيه ما يفعله الطالب والحالة التي تمت عندها الملاحظة. ويرى رولر(Ruler,2006)أنه لتحقيق النتاجات التربوية الإيجابية المرغوبة، لا بد للمعلم من أن يمارس التقويم الحقيقي لتحسين عملية التعلم من خلال ممارسات الطلبة لمهارات التقصي وانشغالهم بحل مشكلات ومهام مفيدة لهم على المستوى الشخصي وعلى مستوى المجتمع الذي يعيشون فيه، ويؤكد مولر (Mueller,2006) أن التقويم الحقيقي يشجع الطلبة على تحمل مسؤوليات تعلمهم، ويمنحهم الفرصة للتأمل بالأفكار والمعاني، ومن ثم التفاوض مع زملائهم ومعلميهم، مما يطور لديهم عملية التعلم الذاتي، ويشعرهم بالأمان ويبعدهم عن القلق والرهبة التي عادة ترافق الاختبارات التقليدية.

مشكلة الدراسة وأسئلتها: يُعد تقويم تعلم الطلبة من أهم مراحل العملية التعليمية التعلمية وأكثرها ارتباطاً بالتطوير التربوي الذي تسعى إليه الكثير من الأنظمة التربوية بفلسفاتها المختلفة،ومن خلال خبرة الباحث في التعليم العام والجامعي، يرى أن عملية تقويم تعلم الطلبة بالأساليب التقليدية كالاختبارات بأنواعها الإنشائية والموضوعية، لم تعد تتناسب مع الاتجاهات الحديثة في التقويم، كونها تركز على الجانب المعرفي لدى الطالب، مهملة بذلك الجانب المهاري والجانب الوجداني، وأن الاختبارات ليست إلاّ شكلاً من أشكال التقويم المتنوعة، في حين نجد أن التقويم الحقيقي يشمل مجالات الشخصية الثلاثة معاً؛ كي تنمو شخصية الطالب نمواً متكاملاً.

وأظهرت نتائج بعض الدراسات فاعلية التقويم الحقيقي مقارنة بالتقويم التقليدي(McMillan, 2001؛ أبو علي،2006)، كما كشفت نتائج دراسات أخرى أن المعلمين مازالوا يفتقرون إلى العديد من المهارات التي تمكنهم من تطبيق التقويم الحقيقي وأدواته(الشيخ،2008؛ زهران،2006 Bullens,2002) ولهذا يرى بعض التربويين والباحثين ضرورة الوقوف على مدى ممارسة المعلمين لهذه الاتجاهات الحديثة في تقويم أداء الطلبة نظراً لأهميتها(محاسنة، 2012)؛ ولهذا جاءت الدراسة الحالية للكشف عن درجة ممارسة معلمي ومعلمات الحلقة الأساسية الثانية لأساليب التقويم الحقيقي وأدواته، من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- مادرجة ممارسة معلمي ومعلمات الحلقة الأساسية الثانية لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته؟

2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة($\alpha \leq 0.05$) بين درجة ممارسة المعلمين والمعلمات لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته تعزى لمتغير النوع الاجتماعي(معلم/ معلمة)؟

3-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة($\alpha \leq 0.05$) بين درجة ممارسة المعلمين والمعلمات لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته تعزى لمتغير مديرية التربية(عمان الثانية/قصبة الكرك)؟

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية إلى:

1- تحديد درجة ممارسة معلمي ومعلمات الحلقة الأساسية الثانية لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته.

2- معرفة إذا كان هناك فروق في درجة ممارسة المعلمين والمعلمات لاسراتيجيات التقويم وأدواته تعزى لمتغيرالنوع الاجتماعي(معلم/معلمة).

3- معرفة إذا كان هناك فروق في درجة ممارسة المعلمين والمعلمات لاستراتيجيات التقويم وأدواته تعزى لمتغيرمديرية التربية(عمان الثانية/قصبة الكرك).

أهمية الدراسة: تنبع أهمية الدراسة من الآتية:

1- مسايرتها للاتجاهات الحديثة في تقويم أداء الطلبة داحل الغرفة الصفية وخارجها.

2- معرفة مدى توظيف المعلمين لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته في تقويم تعلم الطلبة.

3- تقديم تغذية راجعة لأصحاب القرار في وزارة التربية والتعليم عن واقع ممارسة المعلمين لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته.

4- دراستها لواقع ممارسة المعلمين والمعلمات لأساليب التقويم الحقيقي وأدواته، في إقليم الوسط وإقليم الجنوب في الأردن.

حدود الدراسة: تقتصر الدراسة على الحدود الآتية:

- **الحد المكاني**: اقتصرت الدراسة على مديرية تربية عمان الثانية في إقليم الوسط، ومديرية تربية قصبة الكرك في إقليم الجنوب .
- **الحد البشري:** اقتصرت الدراسة على معلمي ومعلمات الحلقة الأساسية الثانية من مرحلة التعليم الأساسي في مديريتي تربية وتعليم عمان الثانية وقصبة الكرك، والبالغ عددهم(140) معلماً ومعلمة.
- **الحد الزماني:** طُبقت الدراسة في الفصل الثاني من العام الدراسي 2016/2015.

الدراسات السابقة:

استطاع الباحث الوصول إلى عدد من الدراسات ذات العلاقة بالتقويم الحقيقي وأدواته، وقُسِّمت إلى قسمين:

أولاً- الدراسات العربية:

أجرت الزعبي(2013) دراسة هدفت إلى الكشف عن درجة معرفة معلمي الرياضيات للصفوف الأساسية العليا في الأردن وممارستهم لاستراتيجيات التقويم الواقعي وأدواته. تكونت عينة الدراسة من(91) معلماً ومعلمة في مديرية تربية إربد. ولتحقيق أهداف الدراسة قامت الباحثة بتطوير استبانة مكونة من أربعة أجزاء، وكذلك بطاقة ملاحظة. أظهرت النتائج أن درجة الاستخدام أدنى من الحد المأمول، وكانت درجة الاستخدام والمعرفة لأسلوب الملاحظة مرتفعة، في حين كانت درجة المعرفة والاستخدام لأداة يوميات الطالب متدنية جداً.

وأما دراسة الرفاعي وآخرون(2012) فقد هدفت إلى معرفة درجة ممارسة معلمي الدراسات الاجتماعية في المرحلة الأساسية المتوسطة في الأردن لاستراتيجيات التقويم الواقعي. أظهرت نتائج الدراسة أن درجة ممارسة المعلمين لاستراتيجيات التقويم الواقعي متوسطة، وأن هناك فروقاً في المؤهل العلمي لصالح البكالوريوس، وعدم وجود فروق تعزى للجنس. وقام البشير وأريج(2012) بدراسة هدفت إلى استقصاء درجة استخدام معلمي الرياضيات واللغة العربية لاستراتيجيات التقويم البديل وأدواته في الأردن. استخدمت استبانة وزعت على(86) معلماً ومعلمة، كما تم عمل مقابلات مع(20) معلماً ومعلمة. أظهرت نتائج الدراسة أن استخدام المعلمين لاستراتيجية التقويم المعتمد على القلم والورقة كانت

مرتفعة، بينما درجة استخدامهم متوسطة لاستراتيجيات التقويم المعتمد على الأداء، واستراتيجية الملاحظة واستراتيجية التواصل. في حين كانت درجة استخدامهم لاستراتيجية مراجعة الذات متدنية، وكذلك استخدامهم لأدوات التقويم البديل.

وأجرى عفانة(2011) دراسة هدفت إلى تحديد الاتجاهات الحديثة في التقويم، كما هدفت إلى تحديد واقع استخدام معلمي ومعلمات اللغة العربية في المرحلة الإعدادية في مدارس وكالة الغوث في قطاع غزة لأساليب التقويم البديل. تكونت عينة الدراسة من(60) معلماً ومعلمة و(24) مديراً ومشرفاً. أظهرت نتائج الدراسة أن الدرجة الكلية لاستخدام المعلمين الذكور بلغت(45.1 %)، واحتل أسلوب التقويم باستخدام الاختبارات الكتابية المرتبة الأولى، وأما المعلمات فقد بلغت نسبة استخدام أساليب التقويم الحديثة (58.3%) وحصل بُعد تقويم الأداء بالاختبارات الكتابية على المرتبة الأولى أيضاً.

وأما دراسة البدور(2010) فقد هدفت معرفة درجة ممارسة معلمي الرياضيات للتقويم الحقيقي وعلاقتها بإتقان تعلم الطلبة وقدرتهم على حل المشكلات الرياضية واتجاهاتهم نحو الرياضيات. تكونت عينة الدراسة من(114) معلماً ومعلمة و(566) طالباً وطالبة من طلبة الصف الثامن الأساسي في الأردن. أظهرت نتائج الدراسة أن متوسط درجة ممارسة معلمي الرياضيات للتقويم الحقيقي في تدريسهم الصفي بلغ(67.1%)، كما كشفت عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية يعزى لاستخدام استراتيجيات التقييم المستخدمة من قبل المعلمين والمعلمات.

وقام الجهني(2006) بدراسة هدفت التعرف إلى درجة معرفة معلمي التربية الإسلامية واستخدامهم لأساليب تقويم تعلم طلاب المرحلة الابتدائية في مدارس المدينة المنورة. تكونت عينة الدراسة من(304) معلماً، واستخدم الباحث اختباراً واستبانة لجمع البيانات اللازمة للدراسة. أظهرت نتائج الدراسة تدني استخدام المعلمين لأساليب التقويم الحقيقي.

وأجرى مراد(2001) دراسة هدفت إلى الكشف عن أساليب التقويم الأكثر استخداماً من قبل معلمي الحلقة الأولى للتعليم الابتدائي ومعلماتها في دولة البحرين، ومدى اختلاف تلك الممارسات باختلاف جنس المعلمين والمعلمات وخبرتهم التدريسية بالمدارس المطبقة لنظام التقويم التربوي. وتكونت أداة الدراسة من(56) فقرة. أظهرت نتائج الدراسة أن المعلمين والمعلمات يمارسون ثلاثة أساليب رئيسة: الاختبارات بأنواعها، والملاحظة، وملف انجاز الطالب بدرجة مرضية، وهناك تفاوت بين المعلمين والمعلمات في درجة الممارسة.

ثانياً- الدراسات الأجنبية: أجرى اولسن(Ohlsen,2007) دراسة هدفت إلى استقصاء أساليب التقويم السائدة في تسع ولايات أمريكية للمرحلة الثانوية في مادة الرياضيات. تكونت العينة من (262) معلماً ومعلمة. استخدمت استبانة لهذا الغرض. أظهرت نتائج الدراسة أن هناك مزجاً بين استخدام الأساليب التقليدية وأساليب التقويم البديل، وأن النسبة الكبرى في الاستخدام للأساليب التقليدية كالاختبارات بأنواعها المختلفة، وبلغت نسبة استخدام الأساليب التقليدية(80%).

وقام شنغ(Cheng,2006) بدراسة هدفت إلى معرفة الممارسات التقويمية في مدارس هونج كونج في الصين، ومدى استخدام التقويم الحقيقي في المدارس. تكونت العين من (8) معلمين ومعلمات، واستخدمت المقابلة أداة لجمع البيانات. أظهرت نتائج الدراسة اعتماد المعلمين والمعلمات على الأساليب التقليدية في تقويم تعلم الطلبة لعدم معرفتهم بأساليب التقويم الحقيقي.

وأما دراسة يلدرم(Yildirim,2004) هدفت إلى استقصاء استراتيجيات التقويم التي يستخدمها معلمو الدراسات الاجتماعية في المرحلة الثانوية في المدارس التركية. تكونت عينة الدراسة من(81) معلمة و(576) معلماً و(818) طالباً. أظهرت النتائج أن الاختبارات القصيرة هي الأكثر استخداماً، تليها الاختبارات الشفوية، ثم الاختبارات مفتوحة الإجابة. ويرى الطلبة أن هذه الاختبارات غير كافية لتقويم أدائهم الفعلي.

وأجرت بولنز(Bullens,2002) دراسة بعنوان التقييم الحقيقي تغيير من أجل المستقبل. تكونت عينة الدراسة من(40) طالباً من الصف الثامن في أحد مدارس المملكة المتحدة. حاولت الدراسة تطبيق استراتيجيات التقويم الحقيقي من أجل إعطاء صورة عن تقدم الطلبة وقدراتهم. وتضمنت الدراسة تحديد المشكلات التي يعاني منها التقويم التقليدي. أظهرت

نتائج الدراسة أن معظم المعلمين لا يستخدمون استراتيجيات التقويم الحقيقي كسلالم التقدير وقوائم الشطب والسجل القصصي والحقيبة التقويمية والتقويم الذاتي.

وأما دراسةلانتنج(Lanting,2000) هدفت التعرف إلى أساليب التقويم الحقيقي المتبعة من قبل معلمي المرحلة الابتدائية لتقويم أداء الطلبة في القراءة والكتابة. أظهرت نتائج الدراسة أن الملاحظة والمقابلة هما الأسلوبان المتبعان من قبل المعلمين لتقويم أداء الطلبة.

التعقيب على الدراسات السابقة:

-هناك تفاوت في نتائج الدراسات السابقة تجاه درجة ممارسة المعلمين لاستراتيجيات التقويم وأدواته.

- أظهرت نتائج بعض الدراسات أن درجة ممارسة المعلمين لاستراتيجيات التقويم وأدواته، كانت أدنى من المأمول وجاءت في المستوى الضعيف(الزعبي، 2013؛ الجهني، 2006 :Ohlsen,2007)، في حين كشفت نتائج دراستي (Yildirim,2004:Bullens,2002)عن عدم استخدام المعلمين لاستراتيجيات التقويم وأدواته.

-كشفت نتائج بعض الدراسات السابقة أن درجة ممارسة المعلمين لاستراتيجيات التقويم وأدواته، كانت متوسطة(عفانة،2011؛ البدور،2010؛ مراد، 2001).

-بيّنت نتائج دراستي(البشير وأريج،2012 ؛ Cheng,2006) وجود تفاوت في درجة الاستخدام لاستراتيجيات التقويم وأدواته، فكان استخدام الاستراتيجية المعتمدة على القلم والورقة مرتفعاً، في حين استخدام الاستراتيجيات المعتمدة على الأداء والملاحظة والتواصل متوسطة، بينما استراتيجية مراجعة الذات وأدوات التقويم كانت متدنية.

- أظهرت نتائج دراسة لانتنج(Lanting,2000) أن أكثر استراتيجيات التقويم التي يستخدمها المعلمون هي الملاحظة والمقابلة.

- وتباينت نتائج الدراسات السابقة تجاه أثر متغير الجنس، فهناك دراسة أظهرت عدم وجود فروق(الزعبي، 2013) ودراستان أظهرتا وجود فروق(البدور، 2010؛مراد،2001) لصالح المعلمين الذكور، في حين أظهرت دراسة عفانة(2011) وجود فروق لصالح المعلمات.

وأمَّا أهم مايميز الدراسة الحالية هو تطبيقها على مديريتي تربية وتعليم في إقليمين مختلفين هما الوسط والجنوب في الأردن، وتطبيقها على طلبة الحلقة الأساسية الثانية من مرحلة التعليم الأساسي، وكذلك اشتمال الأداة على(32) فقرة موزعة على ستة مجالات.

مصطلحات الدراسة:

– **درجة الممارسة:** الدرجة التي يقدرها معلموا ومعلمات الحلقة الأساسية الثانية لممارستهم لاستراتيجيات التقويم وأدواته أثناء تقويم أداء الطلبة، وذلك حسب ما هو وارد في أداة الدراسة(القمش،450). وتعرَّف إجرائياً بالتقدير أو العلامة التي يحصل عليها المعلم/المعلمة في ضوء استجابته عن فقرات أداة الدراسة.

– **الحلقة الأساسية الثانية:** إحدى حلقات المرحلة الأساسية في النظام التعليمي الأردني، وتشمل ثلاثة صفوف: الخامس والسادس والسابع الأساسية(الزبون والجعافرة والمواضية، 2016).

– **استراتيجيات التقويم الحقيقي**: مجموعة الاستراتيجيات والأساليب التي يتبعها المعلمون في تقويم تعلم الطلبة، وتتمركز في تقويم الجانب المعرفي، والمهاري، والوجداني(الزعبي،2013: 171).وتعرَّف إجرائياً بأنها أشكال التقويم التي يمارسها معلمو ومعلمات الحلقة الأساسية الثانية في الأردن، بشكل يعكس أداء الطالب ويقيسه في مواقف حقيقية.

– **أدوات التقويم الحقيقي**: جميع الأدوات التي يستخدمها المعلمون والمعلمات في تقييم تعلم الطلبة ومن الأدوات المستخدمة: قائمة شطب، سلالم التقدير العددية، سلالم التقدير اللفظية، سجل سير التعلم، السجل القصصي (محاسنة،2012: 389).

- **الاتجاهات الحديثة**: هي التي تقوم على الافتراض القائل بأن المعرفة يتم تكوينها وبنائها بوساطة المتعلم، ويتم تكوين صورة متكاملة عنه في ضوء مجموعة من البدائل(عفانه،2011: 9 ؛ عبدالسميع،2007 :191). وتعرَّف إجرائياً بأنها مجموعة الاستراتيجيات والأدوات التي من خلالها يتم تقويم تعلم الطلبة تقويماً شاملاً معرفياً ومهارياً ووجدانياً.

منهج الدراسة وإجراءاتها: اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي نظراً لملائمته لطبيعة الدراسة، مستخدماً استبانة مكونة من(32) فقرة موزعة على ستة مجالات.

مجتمع الدراسة وعينتها: تكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي ومعلمات الحلقة الأساسية الثانية في مديرية تربية عمان الثانية ومديرية تربية قصبة الكرك في الفصل الثاني من العام الدراسي(2016/2015) والبالغ عددهم(560) معلماً ومعلمة، وتكونت عينة الدراسة من(140) معلماً ومعلمة، ما نسبته(25%)، اختيروا بالطريقة الطبقية العشوائية، موزعين كما في جدول(1)

جدول(1) توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغيراتها(المديرية، النوع الاجتماعي)

مديرية التربية والتعليم	الجنس	العدد	النسبة%
عمان الثانية	معلم	36	%47
	معلمة	40	%53
	المجموع	76	%54
قصبة الكرك	معلم	30	%47
	معلمة	34	%53
	المجموع	64	%46
الكلي	المعلمون	66	%47
	المعلمات	74	%53
	المجموع	140	%100

أداة الدراسة: بعد الرجوع إلى الأدب التربوي والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة في مجال استراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته، طوّر الباحث استبانة تكونت في صورتها النهائية من(32) فقرة لقياس درجة ممارسة المعلمين والمعلمات لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته، موزعة على ستة مجالات: استراتيجية التقويم المعتمدة على الأداء، واستراتيجية التقويم المعتمدة على التواصل، واستراتيجية التقويم المعتمدة على الملاحظة، واستراتيجية التقويم المعتمدة على مراجعة الذات، واستراتيجية التقويم المعتمدة على القلم والورقة- التقليدية، وأدوات التقويم. واعتمد الباحث مقياسا خماسياً وفقاً لتدرج ليكرت الخماسي. وتم التحقق من صدق الأداة من خلال عرضها على(9) محكمين من أعضاء هيئة تدريس متخصصين في القياس والتقويم، وأساليب التدريس في جامعة الزرقاء والجامعة الأردنية، ومن مشرفين تربويين ومعلمين، وتم الأخذ بملاحظاتهم من حيث التعديل أو الحذف أو الإضافة، إذ تم حذف فقرتين، وإضافة فقرة واحدة، وبلغ عدد فقراتها بصورتها الأولية(33) فقرة، وبالصورة النهائية(32) فقرة، موزعة على (6) مجالات.

وللتأكد من ثبات أداة الدراسة تم تطبيقها على عينة استطلاعية من خارج عينة الدراسة مكونة من (35) معلماً ومعلمة، بأسلوب الاختبار وإعادة الاختبار، وبفاصل زمني أسبوعين من التطبيق وإعادته، وحُسب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي حسب معادلة كرونباخ ألفا(Cronbach alpha) وبلغت قيمته(0.81)، وهي نسبة مقبولة لغايات هذه الدراسة، كما هو في الجدول(2)

جدول(2) معاملات الثبات لكل مجال من مجالاتها والكلي للأداة

الرقم	المجال	أرقام الفقرات	معامل الثبات
1	استراتيجية التقويم المعتمدة على الأداء.	8-1	0.92
2	استراتيجية التقويم المعتمدة على التواصل	14-9	0.72
3	استراتيجية التقويم المعتمدة على الملاحظة.	16-15	0.84
4	استراتيجية التقويم المعتمدة على مراجعة الذات.	20-17	0.73

5	استراتيجية التقويم المعتمدة على القلم والورقة.	27-21	0.75
6	أدوات التقويم.	32-28	0.53
الأداة ككل		32-1	0.87

متغيرات الدراسة: المتغيرات المستقلة:

- النوع الاجتماعي، وله مستويان: ذكور، وإناث.
- مديرية التربية والتعليم، وله مستويان: عمان الثانية، وقصبة الكرك.

المتغير التابع: يتمثل في درجة ممارسة معلمي ومعلمات الحلقة الأساسية الثانية في مديريتي تربية عمان الثانية وقصبة الكرك لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته.

الأساليب الإحصائية: بعد جمع البيانات تمّ ترميزها ومعالجتها إحصائياً باستخدام برنامج(SPSS)، وذلك باستخدام الإحصاء الوصفي والتحليلي، واستخرجت التكرارات والنسب المئوية في وصف خصائص مجتمع الدراسة على النحو الآتي:

- للتحقق من ثبات الأداة استخدم معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا.
- للإجابة عن السؤال الأول استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.
- للإجابة عن السؤال الثاني والثالث استخدم اختبار(T-Test) للعينات المستقلة.

وتمَّ تدرج مستوى الإجابة عن كل فقرة من فقرات أداة الدراسة وفق مقياس ليكرت الخماسي، وحددت بخمسة مستويات هي: موافق بشدة (5 درجات)، موافق (4 درجات)، محايد (3درجات)، غير موافق (درجتان)، وغير موافق بشدة (درجة واحدة). وقُسِّمت درجة الممارسة إلى ثلاثة مستويات: عالية، متوسطة، متدنية؛ وذلك بتقسيم مدى الأعداد من (1-5) في ثلاث فئات للحصول على مدى كل مستوى أي (5-1= 4// 3/4= 1,33) ،وعليه تكون المستويات كالآتي: درجة متدنية(1-2,33)، ودرجة متوسطة من(2,34-3,67) ، ودرجة مرتفعة من(3,68-5).

نتائج الدراسة ومناقشتها:

السؤال الأول: ما درجة ممارسة معلمي ومعلمات الحلقة الأساسية الثانية في مديريتي تربية عمان الثانية وقصبة الكرك لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته؟

للإجابة عن هذا السؤال حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات معلمي الحلقة الأساسية الثانية لدرجة ممارستهم لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته، وفقاً لكل مجال من مجالات الدراسة الستة، وعلى النحو الآتي:

جدول(3)المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة ممارسة المعلمين والمعلمات على كل فقرة من فقرات الاستبانة وللأداة ككل

رقم الفقرة	الاستراتيجية/ الأداة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة	الرتبة
المجال الأول- استراتيجية التقويم المعتمدة على الأداء:		3,44	.347	متوسطة	3
1	التقديم	3,75	1,062	عالية	12
2	العرض التوضيحي	3,75	1,046	عالية	12
3	الأداء	3,71	1,094	عالية	14
4	الحديث	4,07	.873	عالية	3
5	المعرض	2,14	.894	متدنية	31
6	المحاكاة/ لعب الأدوار	3,87	1,014	عالية	8
7	المناقشة	3,96	1,048	عالية	5
8	المشروعات	2,32	1,041	متدنية	29
المجال الثاني- استراتيجية التقويم المعتمدة على التواصل:		2,69	.477	متوسطة	6
9	المؤتمر	1,52	.992	متدنية	32
10	المقابلة المحددة	3,29	.948	متوسطة	20

11	المقابلة الجماعية	2,51	.912	متوسطة	26
12	المقابلة الفردية	2,41	.926	متوسطة	28
13	المقابلة غير المحددة	2,22	.887	متدنية	30
14	الأسئلة والأجوبة	4,22	.698	عالية	1
المجال الثالث- استراتيجية التقويم المعتمدة على الملاحظة:		3,75	.695	عالية	1
15	الملاحظة التلقائية	4,08	.901	عالية	2
16	الملاحظة المنظمة	3.42	1.18	متوسطة	18
المجال الرابع- استراتيجية التقويم المعتمدة على مراجعة الذات:		2,88	.740	متوسطة	5
17	يوميات الطالب	2,57	1,13	متوسطة	25
18	ملف الطالب	3,40	1,13	متوسطة	19
19	التقويم الذاتي	3,06	1,17	متوسطة	21
20	تقويم الأقران	2,51	1,15	متوسطة	26
المجال الخامس- استراتيجية التقويم المعتمدة على القلم والورقة:		3,75	.381	عالية	1
21	الاختيار من متعدد	3,92	.989	عالية	6
22	المطابقة	3,85	1,06	عالية	9
23	الصواب والخطأ	3,80	1,07	عالية	11
24	التكميل	3,85	1,01	عالية	9
25	الإجابة القصيرة	4,06	.923	عالية	4
26	الإنشائية وحل المسائل	3,91	.978	عالية	7
27	المقالية محددة الإجابة	2,88	.906	متوسطة	24
المجال السادس- أدوات التقويم:		3,33	.514	متوسطة	4
28	قائمة شطب(رصد)	2,99	1,22	متوسطة	23
29	سلم تقدير عددي	3,46	1,11	متوسطة	17
30	سلم تقدير لفظي	3,67	.94	متوسطة	15
31	سجل سير التعلم	3,51	1,15	متوسطة	16
32	السجل القصصي	3,02	1,04	متوسطة	22
الكلي للأداة:		3,30	.218	متوسط	-

يتبيَّن من جدول(3) أن المتوسطات الحسابية لاستجابات المعلمين عن فقرات أداة الدراسة تراوحت بين(1,52-4,22)، وحصلت الفقرة رقم(10) "الأسئلة والأجوبة" على أعلى متوسط حسابي(4,22) وانحراف معياري(.723)، وفي المرتبة الثانية الفقرة رقم(15) "الملاحظة التلقائية" بمتوسط حسابي(4,08) وانحراف معياري(.901) وفي المرتبة الثالثة الفقرة رقم(4) "الحديث" بمتوسط حسابي(4,07) وانحراف معياري(873.)، في حين حصلت الفقرة رقم(9) "المؤتمر" على أدنى متوسط حسابي(1,52) وانحراف معياري(.651) ويليها الفقرة رقم(5) "المعرض" بمتوسط حسابي(2,14) وانحراف معياري(.894)، ويليها الفقرة رقم(13) "المقابلة غير المحددة" بمتوسط حسابي(2,22) وانحراف معياري(.887).

ويتبيَّن أن الفقرات ذوات الأرقام الآتية حصلت على تقديرات عالية(1، 2، 3، 4، 6، 7، 14.15.21.22، 23، 24.25.26) وعددها(14) فقرة. في حين حصلت الفقرات الآتية على تقديرات متوسطة (10.11.12.16.17.18.19.20.27.28.29.30.31.32) وعددها(14) فقرة، وأما الفقرات التي حصلت على تقديرات متدنية (5.8.9.13) وعددها(4) فقرات.

وعند النظر في درجة تقدير الفقرات من خلال المجالات الستة يتبيّن أن المجال الأول استراتيجية التقويم المعتمدة على الأداء حصلت(6) فقرات على تقديرات عالية(التقديم، العرض التوضيحي، الأداء، الحديث، المحكاة/لعب الأدوار) وفقرتان على تقديرات متدنية(المعرض، المشروعات)، وفي المجال الثاني استراتيجية التقويم المعتمدة على التواصل، حصلت فقرة واحدة على تقدير عالٍ(الأسئلة والأجوبة) و(3) فقرات على تقديرات متوسطة(المقابلة المحددة، المقابلة الجماعية، المقابلة الفردية) وفقرتان على تقديرات متدنية(المؤتمر، المقابلة غير المحددة)، وفي المجال الثالث استراتيجية التقويم المعتمدة على الملاحظة، حصلت فقرة واحدة على تقديرعالٍ(الملاحظة التلقائية)، وفقرة واحدة على تقدير متوسط(الملاحظة المنتظمة)، وفي المجال الرابع استراتيجية التقويم المعتمدة على مراجعة الذات، حصلت فقراته جميعها على تقديرات متوسطة(يوميات

الطالب، ملف الطالب، التقويم الذاتي، تقويم الأقران). وفي المجال الخامس استراتيجية التقويم المعتمدة على القلم والورقة،حصلت فقراته جميعها على تقديرات عالية(الاختيار من متعدد، المطابقة، الصواب والخطأ، التكميل، الإجابة القصيرة، الإنشائية وحل المسائل، المقالية محددة الإجابة)، وأما المجال السادس أدوات التقويم،حصلت فقراته جميعها على تقديرات متوسطة(قائمة شطب، سلم تقدير عددي، سلم تقدير لفظي، سجل سير العمل، السجل القصصي).

ويرى الباحث من خلال هذه النتائج أن هناك استراتيجيات تقويم تكاد تكون مغيبة كلياً عند المعلمين على الرغم من أهميتها في التقويم الحقيقي كالمعارض، والمشروعات، والمؤتمرات، والمقابلة غير المحددة، في حين أن هناك استراتيجيات تقويم يعتمد عليها المعلمون بشكل كبير كالأسئلة والأجوبة، والملاحظة التلقائية، والحديث، والإجابة القصيرة.

ولمزيد من التوضيح حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات المعلمين لدرجة ممارستهم لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته لكل مجال من مجالات الدراسة كما هو في جدول(4)

جدول(4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات المعلمين والمعلمات لدرجة ممارستهم لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته لكل مجال من مجالات الدراسة والكلي للأداة

الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة	الرتبة
1	استراتيجية التقويم المعتمدة على الأداء.	3,44	.347	متوسطة	3
2	استراتيجية التقويم المعتمدة على التواصل.	2,69	.477	متوسطة	6
3	استراتيجية التقويم المعتمدة على الملاحظة.	3,75	.695	عالية	1
4	استراتيجية التقويم المعتمدة على مراجعة الذات.	2,88	.740	متوسطة	5
5	استراتيجية التقويم المعتمدة على القلم والورقة.	3,75	.381	عالية	1
6	أدوات التقويم.	3,33	.514	متوسطة	4
	الكلي للمجالات:	3,30	.218	متوسطة	-

يتبيّن من جدول(4) أن مجال استراتيجية التقويم المعتمدة على الملاحظة، ومجال استراتيجية التقويم المعتمدة على القلم والورقة جاءا في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي(3,75) وانحراف معياري على التوالي(.695؛ .381)، وفي المرتبة الثالثة جاء مجال استراتيجية التقويم المعتمدة على الأداء، بمتوسط حسابي(3,44) وانحراف معياري(.347)، وفي المرتبة الرابعة جاء مجال أدوات التقويم، بمتوسط حسابي(3,33) وانحراف معياري(.514)، وفي المرتبة الخامسة جاء مجال استراتيجية التقويم المعتمدة على مراجعة الذات، بمتوسط(2,88) وانحراف معياري(.740)، وفي المرتبة السادسة والأخيرة جاء مجال استراتيجية التقويم المعتمدة على التواصل، بمتوسط حسابي(2,69) وانحراف معياري(.477). ويتبيّن أن أكثر المجالات ممارسة عند المعلمين هما مجال استراتيجية التقويم المعتمدة على الملاحظة، ومجال استراتيجية التقويم المعتمدة على القلم والورقة، وأقل المجالات ممارسة عندهم هو مجال استراتيجية التقويم المعتمدة على التواصل. وهذه النتائج تشير إلى أن المعلمين لا يزالون يتمسكون بالدرجة الأولى عند تقويم أداء طلبتهم بالتقويم التقليدي.

وهذه النتيجة تتفق مع ما توصلت له نتائج دراسات(البشير وأريج،2012 ؛ Cheng,2006 ؛عفانة،2011؛ البدور،2010؛ مراد، 2001؛ الحاج،2010)، في حين تتعارض النتائج مع نتائج دراسات(الزعبي، 2013؛ الجهني، 2006 ؛Ohlsen,2007) التي أظهرت ضعف ممارسة المعلمين لاستراتيجيات التقويم وأدواته، وكذلك تتعارض مع نتائج دراستي (Yildirim,2004؛Bullens,2002) اللتان أظهرتا عدم ممارسة المعلمين لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته.

ويعزو الباحث ذلك لأسباب عديدة منها: سهولة إجراء التقويم بالطرائق التقليدية بالنسبة للمعلمين، وكذلك لكثرة أعداد الطلبة في الشعب، وارتفاع أنصبة المعلمين من الحصص الأسبوعية، ويضاف لذلك الأعمال الإدارية الأخرى التي يقومون بها كتربية الصفوف والأنشطة والمسابقات المدرسية وغيرها، وكذلك مقاومة التغيير والتمسك بالطرائق التقليدية التي اعتادوا عليها وأصبحت مألوفة لديهم، وهناك أسباب تعود لعدم اهتمام ومتابعة ومعرفة مديري ومديرات المدارس والمشرفين التربويين لأهمية التقويم الحقيقي في بناء شخصية الطالب وإعداده للمستقبل، وقد يكون من أسباب ذلك

نقص التدريب الذي تلقاه المعلمون سواء قبل الخدمة أو أثناء الخدمة، كماأن غالبية أولياء الأمور يؤمنون بالأساليب التقليدية في تقييم أبنائهم، وكذلك بعدالتها وصدقها، ومن خلال خبرة الباحث في العمل التربوي يرى أن غالبية المعلمين يؤمنون باستراتيجيات التقويم التقليدية أكثر من استراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته، وتتفق مع نتائج دراسات(Yildirim,2004؛ Cheng,2006 ؛الجهني،2006؛Bullens,2002؛Ohlsen,2007؛ عفانة،2011؛الرفاعي،2012). وأما حصول استرتيجية التقويم المعتمدة على التواصل على أقل متوسط حسابي بين المجالات الستة، فقد يعود إلى صعوبة إعدادها، فهي تتطلب جُهداً ووقتاً وإمكانيات كبيرة من المعلمين لتنفيذها، وتتفق مع نتائج دراسة (البشير وأريج، 2012).

السؤال الثاني:هل تختلف درجة ممارسة المعلمين والمعلمات لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي(معلم/ معلمة)؟

للإجابة عن هذا السؤال استخدم اختبار(ت) للعينات المستقلة لفحص الفروق بين تقديرات المعلمبن والمعلمات لدرجة ممارستهم لا ستراتيجيات التقويم وأدواته، وفقاً لمتغير النوع الاجتماعي(معلم/معلمة)، والجدول(5) يوضح نتائج ذلك.

جدول(5) نتائج اختبار(ت) للعينات المستقلة لفحص الفروق في تقديرات المعلمين والمعلمات لدرجة ممارستهملاستراتيجياتالتقويم الحقيقي وأدواته، وفقاً لمتغير النوع الاجتماعي(معلم/ معلمة)

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة(ت) المحسوبة	درجات الحرية	مستوى الدلالة
ذكور/معلمون	66	3,30	.1989	.033	138	.974
إناث/ معلمات	74	3,30	.2364			

تشير البيانات الواردة في جدول(5) إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) بين متوسطي تقديرات المعلمين والمعلمات لدرجة ممارستهم لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته وفقاً لمتغير النوع الاجتماعي(معلم/معلمة) على المستوى الكلي للمجالات الستة.

ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى تشابه ظروف العمل بين الجنسين، وكذلك نفس البرامج التدريبية التي يتلقونها أثناء الخدمة، وتختلف هذه النتيجة مع نتائج دراستي(البدور، 2010؛مراد،2001) اللتان أظهرت نتائجهم وجود فروق بين الجنسين في درجة الممارسة لصالح المعلمين الذكور، وتختلف كذلك مع نتائج دراسة(عقانة،2011؛ الحاج،2010) التي أظهرت نتائجهما وجود فروق بين المعلمين والمعلمات في درجة الممارسة لصالح المعلمات، في حين تتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراستي(الزعبي،2013؛ الرفاعي،2012) التي أظهرت نتائجهما عدم وجود فروق بين المعلمين والمعلمات في درجة ممارسة استراتيجيات التقويم وأدواته.

السؤال الثالث:هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة($\alpha \geq 0.05$)بين درجة ممارسة المعلمين والمعلمات لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته تعزى لمتغير مديرية التربية(عمان الثانية/قصبة الكرك؟

للإجابة عن هذا السؤال استخدم اختبار(ت) للعينات المستقلة لفحص الفروق بين تقديرات المعلمبن والمعلمات لدرجة ممارستهم لاستراتيجيات التقويم وأدواته، وفقاً لمتغير مديرية التربية والتعليم(عمان الثانية/ قصبة الكرك)، والجدول(6) يوضح نتائج ذلك.

جدول(6) نتائج اختبار(ت) للعينات المستقلة لفحص الفروق في تقديرات المعلمين والمعلمات لدرجة ممارستهم لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته، وفقاً لمتغير مديرية التربية والتعليم(عمان الثانية/ قصبة الكرك)

مديرية التربية والتعليم	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة(ت) المحسوبة	درجات الحرية	مستوى الدلالة
عمان الثانية	76	3,27	.2240	1,964	138	.052

قصبة الكرك	64	3,74	.2073			

تشير البيانات الواردة في جدول(6) إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \geq 0.05$) بين متوسطي تقديرات المعلمين والمعلمات لدرجة ممارستهم لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته، وفقاً لمتغير مديرية التربية والتعليم(عمان الثانية/ قصبة الكرك) على المستوى الكلي للمجالات الستة.

ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى تماثل البرامج التدريبية في كلتا المديريتين كون هذه البرامج التدريبية تُعد مركزياً في مركز وزارة التربية والتعليم، وتنفذ من قبل أقسام التدريب والتأهيل والإشراف التربوي في الميدان، وكذلك قد يعود إلى استقرار الهيئات التدريسية في المحافظات البعيدة عن المركز في العاصمة عمان في الفترة الحالية قياساً عمّا كانت عليه في السابق، حيث كانت تُسمى مناطق طاردة للكفاءات، ويضاف لذلك أن الحوافز التي يحصل عليها المعلمون هي نفسها في مديريات التربية والتعليم جميعها.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة أورد الباحث عدداً من التوصيات، التي يمكن ان تؤدي إلى رفع مستوى إسهامات استراتيجيات التقويم الحقيقي في تحسين جودة التعلم:

1.عقد دورات تدريبية للمعلمين على استراتيجية التقويم الحقيقي وأدواته ولكافة التخصصات.

2.اعتماد استراتيجيات التقويم الحقيقي ضمن مقررات برامج إعداد المعلمين في كليات التربية في الجامعات الأردنية.

3. العمل على توعية صُنّاع القرار والمعلمين بأهمية التقويم الحقيقي وأدواته، في إعداد النشء لمواجهة متطلبات الحياة في القرن الحادي والعشرين.

4.إعادة النظر في الممارسات التقويمية الحالية التي تعتمد على الاختبارات التقليدية-القلم والورقة- فهي لم تَعُد مقبولة لتقييم أداء الطلبة منفردة.

5. اعتماد درجة ممارسة المعلمين لاستراتيجيات التقويم وأدواته ضمن معايير تقييم أداء المعلمين.

6.إجراء دراسات مماثلة على عينة من المعلمين من تخصصات مختلفة، ومناطق مختلفة، بهدف التحقق من درجة استخدام المعلمين لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته.

المراجع:

- أبوعلي، محمد أحمد(2006). فاعلية توظيف الطرق التعليمية القائمة على التقويم الحقيقي في تنمية مهارات التفكير العليا عند طلبة الصف العاشر وفي اتجاهاتهم نحو العلوم. أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

– أبو علام، رجاء(2001). النظريات الحديثة في القياس والتقويم وتطوير نظام الامتحانات، ورقة عمل"المؤتمر العربي الاول للامتحانات والتقويم التربوي": رؤية مستقبلية، المركز القومي للامتحانات والتقويم التربوي، القاهرة في 22 – 24 / 12/ 2001، 93 – 119.

-البدور، أحمد(2010). درجة ممارسة معلمي الرياضيات للتقويم الحقيقي وعلاقتها بإتقان تعلم الطلبة وقدرتهم على حل المشكلات الرياضية واتجاهاتهم نحو الرياضيات.أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية.

-البشير، أكرم وأريج، برهم(2012).استخدام استراتيجيات التقويم البديل وأدواته في تقويم تعلم الرياضيات واللغة العربية في الأردن. مجلة دراسات، العلوم التربوية، المجلد(39) العدد(1)،382-412.

- الثوابية، أحمد وآخرون(2004). استراتيجيات التقويم وأدواته: الإطار النظري، دائرة الامتحانات العامة.-الثوابية، أحمد(2006) .التقييم الحقيقي، وزارة التربية والتعليم في الأردن، رسالة المعلم، العدد(4) عمان- الأردن.

- الجهني، عوض(2006).درجة معرفة معلمي التربية الإسلامية واستخدامهم لأساليب تقويم تعلم طلاب المرحلة الابتدائية في مدارس المدينة المنورة.أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية.

- الحاج، أحلام حسن(2010). مدى معرفة معلمي اللغة الانجليزية للمرحلة الأساسية العليا في العاصمة عمان لأساليب التقويم البديلة واستخدامهم لها. رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية.

- الخرابشة، بنان(2004). أثر استخدام أساليب التقويم البديلة في أداء طلبة الصف التاسع الأساسي في التعبير الكتابي. رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية،عمان- الأردن.ص7-10.

- الدويك، ساهرة(2009). درجة معرفة معلمي الرياضيات بالمفاهيم واستراتيجيات التقويم الواقعي ودرجة تصنيفهم في الزرقاء. رسالة ماجستير،الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

-الرفاعي، عبير وطوالبة،هادي و القاعود، إبراهيم(2012). درجة ممارسة معلمي الدراسات الاجتماعية في محافظة إربد لاستراتيجيات التقويم الواقعي. مجلة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، 4(1).

- زيتون،عايش(2007). النظرية البنائية في تدريس العلوم،ط!،الشروق للنشر والتوزيع- عمان- الأردن.

- زهران، محمد(2006). فاعلية توظيف الطرق التعليمية القائمة على التقويم الحقيقي في تنمية مهارات التفكير العليا عند طلبة الصف العاشر وفي اتجاهاتهم نحو العلوم، أطروحة دكتوراه غير منشورة- الجامعة الأردنية، عمان- الأردن.

– الزبون، محمد والجعافرة، عبدالسلام، والمواضية،رضا(2016). نظام التربية والتعليم في الأردن.ط1، دار وائل للنشر-عمان.

- الزعبي، آمال(2013). درجة معرفة وممارسة معلمي الرياضيات لاستراتيجيات التقويم الواقعي ولأدواته.مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثالث، 165-197.

- الشيخ، عمر(2008). ادراكات المعلمين ومديري المدارس وأولياء الأمور للمناهج والكتب الجديدة، المركز الوطني لتنمية الموارد البشرية، عمان، الأردن.

- عودة، أحمد(2002). القياس والتقويم في العملية التدريسية. دار الأمل للنشر والتوزيع، ط3.-عبد السميع ، عزة محمد (2007).فاعلية برنامج مقترح في تنمية فهم واستخدام بعض أساليب التقويم الواقعي لدى طلاب كلية التربية (شعبةالرياضيات). المؤتمر العلمي السابع.المجلد2. مصر،187-215.

- عفانة، محمد عطية(2011). واقع استخدام معلمي اللغة العربية في المرحلة الاعدادية في مدارس وكالة الغوث الدولية في قطاع غزة في ضوء الاتجاهات الحديثة.رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية- غزة- فلسطين.

- الفريق الوطني(2004). استراتيجيات التقويم وأدواته، الإطار النظري. الفريق الوطني للتقويم، عمان: إدارة الامتحانات والاختبارات.

- القمش، مصطفى نوري(2013). درجة ممارسة الطلبة الموهوبين لابعاد التدريس الفعَّال في الأردن. دراسات، العلوم التربوية، المجلد40، ملحق1،445-462.

- محاسنة،عمر(2010). مناهج التربية المهنية واستراتيجيات تدريسها وتقويمها،ط1، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن.

- محاسنة، عمر(2012). مدى إلمام أعضاء هيئة التدريس في كليتي الشوبك ومعان الجامعية لاساليب التقويم الحقيقي ،المؤتمر الدولي الثاني التربية ومهارات التعلم والتعليم، جامعة الإسراء، الأردن، 380-404.

– مؤتمن، منى(2002). نحو رؤية مستقبلية للنظام التربوي في الأردن: منتدى التعليم في أردن المستقبل، وزارة التربية والتعليم، عمان- الأردن.

- مراد، خلود علي(2001). أساليب التقويم لدى معلمي ومعلمات الحلقة الأولى من التعليم الابتدائي في ظل نظام التقويم التربوي.مجلة العلوم التربوية، 2(4)، 192-222.

– النمراوي، زياد(2011).دور التقويم الحقيقي في تطوير الممارسات الصفية لمعلمي التربية العملية خلال تدريسهم الرياضيات للصف الثالث الأساسي في الأردن. دراسات العلوم التربوية،المجلد 38، ملحق5، 1551-1566.

- اليونس، يونس محمد(2006).أثر أساليب التقويم المستخدمة في أثناء الفصل الدراسي التاسع في مساق القياس والتقويم التربوي على تحصيل طلبة الدبلوم المهني في الجامعة الأردنية. مجلة دراسات، العلوم التربوية، مجلد31(2)، 266- 280.

-Bullens,(2002).Authentic assessment: Ahandbook for Educators. Menlo park, california. Reading Massachusectts. New York, Don Mills,Ontario Working. England.

-Chatterji,M(2003).Designing and Using Tools for Educational Assessment.Boston, MA: Allyn and Bacon.

- Cheng, H.(2006).Junior secondary science teachers understanding and practice of alternative assessment in Hong Kong: implication for teacher Professional development. Canadian Journal of science mathematics and technology education,6(3),227-24.

-Chatterji,M(2003).Designing and Using Tools for Educational Assessment.Boston,MA:Allyn and Bacon.

-Grisham,B (2006). Usingauthentic assessment to evidence children's progressTowardearly learning standards. Early Childhood Education Journal,34(1), 45-51.
- Huba,M.&Freed,J.(2000).Learner-Centered Assessments on College Campuses: shifting the focus from Teaching to Learning.Boston:Allyn andBacon.
-Lanting,S(2000).An Empirical Study of District-Wide K-2 Performance Assessment Program: Teacher Practices Information.Gained and use of Assessment Resats. Dissertation Abstracts PHD, University of Iiiionois Urbana champing,USA.
- Morgan,C.&Watson,A(2002). The Interpretive Nature of Assessment. Journal for Research in Mathemtics Education,33(2):78-110.
-Mueller,J.(2006).Authentic Assessment Toolbox, Rubrics. Retrieved March,//jonathan.mueller.faculty. Nocrtl.edu/toolbox/rubrics.htm
- McMillan, J. (2001). Essential Assessment Concepts for Teachersand Administrators. Thousand Oaks, CA: Corwin Press, Inc +
-Ohlsen,M.T.(2007). Classroom assessment practices of secondary School Members of NCTM, American Secondary Education,36(1),4-14.
-Napoli, A. R. & Raymond, L. A. (2004). How reliable are Ourassessmentdata?:A comparison of the reliability of data produced in gradedand un-graded conditions. Research in Higher Education, 45(8),921-929.
-Ruler,A.(2006). The component of Authentic Learning.Journal of Authentic Learning,3(1):1-10.
-Trice,A.(2000). Ahandbook of Classroom Assessment.NewYork:Addison Wesley Longman,Inc.
-Yildirim,A.(2004). Student assessment in high-school social studies courses in Turkey: Teachers, and Students Perception.International Review of Educational,50(2),157-175.

استبانة

عزيزي المعلم/ عزيزتي المعلمة/

أضع بين أيديكم هذه الاستبانة التي تهدف إلى الكشف عن درجة ممارستكم لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته في ضوء الاتجاهات الحديثة. والمكونة من (32) فقرة موزعة على ستة مجالات توضح درجة ممارستكم لاستراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته في تقويم تعلم الطلبة داخل الغرفة الصفية وخارجها. لذا أرجو التكرم بالإجابة بكل موضوعية، وذلك بوضع إشارة(x) في المربع الذي يعبر عن درجة ممارستك أمام كل فقرة، علماً بأنها ستستخدم لأغراض البحث العلمي فقط.

مع خالص الشكر والتقدير لتعاونكم الباحث/ د. عبدالسلام الجعافرة.

أولاً- معلومات عامة:

1- الجنس: ذكر ( ) أنثى ( )

2- مديرية التربية: عمان الثانية( ) قصبة الكرك ( )

ثانياً- فقرات أداة الدراسة.

	استراتيجيات التقويم الحقيقي وأدواته	درجة الممارسة				
		كثيرة جداً	كثيرة	متوسطة	قليلة	قليلة جداً
المجال الأول- استراتيجية التقويم المعتمدة على الأداء:						
1	التقديم.					
2	العرض التوضيحي.					

3	الأداء.					
4	الحديث.					
5	المعرض.					
6	لعب الأدوار.					
7	المناقشة.					
8	المشروعات.					
المجال الثاني- استراتيجية التقويم المعتمدة على التواصل:						
9	المؤتمر					
10	المقابلة المحددة					
11	المقابلة الجماعية					
12	المقابلة الفردية					
13	المقابلة غير المحددة					
14	الأسئلة والأجوبة					
المجال الثالث- استراتيجية التقويم المعتمدة على الملاحظة:						
15	الملاحظة التلقائية.					
16	الملاحظة المنظمة.					
المجال الرابع- استراتيجية التقويم المعتمدة على مراجعة الذات:						
17	يوميات الطالب					
18	ملف الطالب					
19	التقويم الذاتي					
20	تقويم الأقران					
المجال الخامس- استراتيجية التقويم المعتمدة على(القلم والورقة):						
21	الاختيار من متعدد					
22	المطابقة					
23	الصواب والخطأ					
24	التكميل					
25	الإجابة القصيرة					
26	الإنشائية وحل المسائل					
27	المقالية محددة الإجابة					
المجال السادس- أدوات التقويم:						
28	قائمة شطب(رصد).					
29	سلم تقدير عددي.					
30	سلم تقدير لفظي.					

31	سجل سير التعلم.					
32	السجل القصصي.					

تقييم فاعلية إدارة الوقت وعلاقته بالأداء الأكاديمي

طلاب كليات العلوم الإدارية والإنسانية بالجامعات السعودية(نموذجا)

د. عبدالناصر عبدالله محمد عيسي -جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية

د. عبدالرحيم الشاذلي يحى عبدالله-جامعة زالنجى، جمهورية السودان.

الملخص : هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة فاعلية إدارة الوقت لدى طلاب الجامعات السعودية وعلاقته بالتحصيل الأكاديمي، وتضمنت الدراسة مجموعة من الفرضيات من أهما توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لفاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي تعزى لمتغير النوع وكذا وفقا لمتغير المستوى الدراسي ووفقا لمتغير المعدل التراكمي، وتوصلت الدراسة إلي مجموعة من النتائج من أهما وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الطلاب وفقا لمتغير النوع، وفيما يتعلق بالمستوى الجامعي توصلت الدراسة إلي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية، وفقا للعلاقة بين إدارة الوقت وفعالية الأداء الأكاديمي ووجدت الدراسة أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية في عينة الدراسة وفقا لمتغير المعدل التراكمي (GPA).

الكلمات ألمفتاحيه: إدارة الوقت، الفاعلية، الأداء الأكاديمي، الطالب الجامعي.

Abstract: The study aimed to identify the degree of effective time management at Saudi universities students and its relationship to academic achievement. The study included many hypotheses: There are significant differences between the averages of the study sample estimates For effective time management and its relationship to academic achievement Due to the variable type and also due to Study level variable and due to cumulative Variable **(GPA).**The study found a set of results :there is statistically significant differences in favor of students According to the variable type , With regard to the level of university There were no statistically significant differences. according to the relationship between time management and effectiveness of academic performance The study found that there were statistically significant differences in the study sample According to the variable cumulative grade point average (GPA) .

Key Wards: Time management - Effectiveness - Academic Performance - University student

المقدمة: تركز الدراسات الأكاديمية على الموارد النادرة القابلة للانتهاء طبيعية كانت أم غير طبيعية دون الاعتبار لأهمية الوقت والذي يعتبر بدوره احد أهم وأثمن الموارد النادرة في الحياة وإن الاهتمام بالوقت والحرص على عدم إهداره , وتوظيفه واستثماره بشكل كفء وفعال يدل على إدراك قيمته.

أن الاستغلال الأمثل للوقت هو العامل الحاسم في تحقيق التقدم والتطور والنمو في سبيل إنجاز الأهداف السامية للأفراد والمؤسسات والشعوب والأمم حيث تفيد تقارير أن عطاء الإنسان الأوربي يتجاوز السبع ساعات بينما تفيد التقارير الرسمية أن عطاء الإنسان المسلم لا يتجاوز ثلاثين دقيقة مما يتطلب الاهتمام بإدارة الوقت ودراساته على مستوى العالم العربي (القرضاوى:2000). ولإدارة الوقت أهمية خاصة في حياة كل شخص ودور متعاظم في تحديد وترتيب أولوياته ونمط حياته ومستقبله وتزداد أهميته لدى الطالب الجامعي لكثرة مضيعات الوقت التي تلازم عمره والتحديات التي تواجه مستقبله وتكون سببا في تميزه وتفرده أو فشله وضياع مستقبله بنهاية فترة الحياة الأكاديمية.

يركز البحث علي كيفية تحقيق الاستفادة القصوى من وقت الطالب الجامعي والذي يمثل مستقبل إدارة المعرفة والأفكار والمبتكرة، فضياع زمن هذا الجيل يعني ضياع جيل بأكمله فما فائدة الموارد بلا أجيال تحافظ عليها وتنميها وتطورها.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في اختلاف مستويات إدراك أهمية الوقت وتخطيطه وتنظيمه بين طلاب وطالبات المرحلة الجامعية مما يكون سببا في التفاوت المنظور في مستويات الأداء الأكاديمي.

هل يساهم إلمام طلاب كليات العلوم الإدارية والإنسانية في الجامعات السعودية بالمفاهيم الإدارية المختلفة ودراسة موضوعات متنوعة ذات علاقة بوظائف الإدارة ومفاهيم الكفاءة والفاعلية بحكم المساق الدراسي (تخصص إدارة الأعمال) في زيادة فعالية إدارتهم للوقت وانعكاس ذلك بصورة إيجابية على أدائهم الأكاديمي.

أسئلة البحث: تتمثل أسئلة البحث في الأسئلة الآتية:

- هل لدى عينة الدراسة الفعالية في إدارة الوقت ؟
- كيف يمكن تحسين وزيادة مستوى الأداء الأكاديمي بزيادة فاعلية إدارة الوقت.

فرضيات الدراسة:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لفاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالأداء الأكاديمي تعزى لمتغير النوع (ذكور -إناث).
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لفاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالأداء الأكاديمي تعزى لمتغير المستوى الدراسي(المستوى الثاني، المستوى الثالث، والمستوى الرابع).
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لفاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالأداء الأكاديمي تعزى لمتغير المعدل التراكمي.

أهمية البحث: تتمثل أهمية البحث في المحاور التالية:

- تتمثل أهمية البحث في التركيز على دراسة واقع تعامل مجتمع الدراسة مع إدارة الوقت من خلال معرفة الكيفية الحقيقية لإدارة وتنظيم وقت عينة الدراسة ومن ثم استكشاف الإيجابيات والمعوقات التي تعترض سبيل الاستغلال الأمثل للوقت لدى مجتمع الدراسة.
- تزويد المكتبة الجامعية السعودية بدراسات خاصة في مجال إدارة الوقت لدى طلاب المرحلة الجامعية وتمثل إضافة لعدم توفر دراسات كافية تقارن مابين الطلاب والطالبات.

أهداف البحث:

- التعرف علي مقدرات الطالب/الطالبة الجامعية في الاستخدام الأمثل والفعال للوقت واثر ذلك علي قدرتهم في تحقيق أهدافهم الأكاديمية.
- معرفة الاختلافات الموجودة بين عينة الدراسة في درجات التعامل مع الوقت.
- معرفة اثر فاعلية إدارة الوقت على مستوى الأداء الأكاديمي.

المنهجية: اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي لمعالجة البيانات الثانوية التي تم الحصول عليها من المراجع والمجلات العلمية والدراسات السابقة للأدبيات ذات العلاقة، بالإضافة لدراسة حالة تشمل مستويات مختلفة من طلاب وطالبات قسم إدارة الأعمال بجامعة الجوف كلية العلوم الإدارية الإنسانية) من خلال قائمة الاستقصاء التي أعدت خصيصا لهذا الغرض.

حدود الدراسة: حسب موضوعها فهي تختص بتقييم فاعلية إدارة والوقت وعلاقتها بالأداء الأكاديمي لدى طلاب الجامعات السعودية بنهاية الفصل الدراسي الأول 1435هـ.

مصطلحات البحث:1- الفاعلية: يقصد بالفاعلية حسب الدراسة القدرة على تحقيق الأهداف الأكاديمية المطلوبة وهي تعنى درجة تحقيق الطالب أو المنظومة الأكاديمية لأهدافها (الجندي:2002).

2- الإدارة: تعنى وجود هدف أو نتيجة نهائية مرغوبة وتتطلب خطة وتنظيم ومتابعة واضحة خلال فترة زمنية قصيرة أو طويلة الأجل بهدف تحقيق نتائج محددة (العلاق: 1983).

3- الوقت: هو مقدار من الزمان المتاح والمقدر لأمر ما (المعجم الوسيط:1985)

4- إدارة الوقت: تعنى المهارات المعبرة عن قدرة الفرد على تعديل سلوكه وتغيير العادات السلبية التي يمارسها في حياته لتدبير وقته واستغلاله الاستغلال الأمثل والتغلب على الصعوبات التي تعوقه عن تحقيق رسالته وأهدافه في الحياة (نبيل: 1996).

5- الطالب الجامعي: هو ذلك الطالب الذي تحصل على شهادة (الثانوية العامة) وعلى إثرها التحق بالجامعة لدراسة تخصص معين.

6- التحصيل الدراسي: يشير في أغلب الأحيان إلى ما اكتسبه الطالب من خبرات معرفية نتيجة دراسته لموضوع معين أو وحدة دراسية أو مروره بمواقف تعليمية محددة (محمد:1998)، ويعنى كذلك المعدل أو التقدير الفصلي أو النهائي الذي يحصل عليه الطالب بعد تحويل درجاته الكمية ومقارنتها مع الساعات المعتمدة ومن ثم أعاده ترميزها وتحويلها لمعدلات وصفية تحمل صبغة التقدير ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالي:

أ- **المعدل:** هو معيار أو وزن يقيس مستوى الطالب أثناء دراسته بالجامعة، ويشكل أهم المعايير التي يستند إليها في الحكم على أداء الطالب أكاديميا.

ب- **المعدل التراكمي**: حاصل قسمة جميع النقاط التي حصل عليها الطالب في جميع المقررات التي درسها منذ التحاقه بالجامعة على مجموع الساعات المعتمدة لتلك المقررات.

ج- المعدل الفصلي:

حاصل قسمة جميع النقاط التي حصل عليها الطالب في جميع المقررات التي درسها في أي فصل دراسي وتحسب النقاط بضرب الوحدة المقررة في وزن التقدير الذي حصل عليه الطالب في كل مقرر دراسي.

د- درجة الاختبار النهائي: هي الدرجة التي يحصل عليها الطالب في مقرر في الاختبار النهائي للفصل الدراسي

الدرجة النهائية: مجموع درجات الأعمال الفصلية مضافا إليه درجة الاختبار النهائي لكل مقرر وتحسب الدرجة من مائة.

و- **التقدير**: وصف النسبة المئوية أو الرمز الجديد للدرجة النهائية التي حصل عليها الطالب في أي مقرر.

التعريفات الإجرائية:

1- **إدارة الوقت:** بالتركيز علي الطالب تعني القدرة علي الاستغلال الأمثل للوقت من اجل تلبية حاجة المجتمع من مختلف المعارف مع تحقيق السعادة لكل من الطالب والأستاذ والأسرة والمجتمع.

2- **التحصيل (الأداء الأكاديمي)**: يقصد به الدرجة / التقدير الذي يحصل عليه الطالب/الطالبة من خلال الإجابة علي أداة تقييم فعالية إدارة الوقت باعتبارها نموذج اختبار الدراسة.

ثانياً الدراسات السابقة:

1- دراسة بعنوان: (مستويات إدارة الوقت لدى طالبات جامعة قطر وتخصصهن الأكاديمي في علاقتهما بالتحصيل الأكاديمي والرضاء عن الحياة، إعداد / حصة عبد الرحمن فخرو ٢٠٠٥).

ركزت الدراسة على محاوله الكشف عن علاقة إدارة الوقت والتخصص الجامعي بكل من التحصيل الأكاديمي من ناحية وبعض متغيرات الضغوط النفسية من ناحية أخرى وقد أسفرت نتائج الدراسة إلى ما يلي :أن التأثير الرئيسي للتخصص الجامعي لم يكن دالا بالنسبة لمؤشري التحصيل الأكاديمي، عند دراسته مع جميع متغيرات إدارة الوقت، وأن هناك فروقاً دالة إحصائيا بين الطالبات لعلاقة متغيرات إدارة الوقت ومستوى الطالبات فيها بمؤشري التحصيل الأكاديمي، ولا توجد فروق داله إحصائيا بين الطالبات في مؤشري الرضا عن الحياة ترجع إلى تخصصهن الجامعي، وهناك بعض الفروق الدالة إحصائياً بين الطالبات في مؤشري الرضا عن الحياة يمكن عزوها إلى مستواهن في إدارة الوقت بمتغيراته المختلفة.

2- **دراسة بعنوان: (فعالية إدارة الوقت لدي طلاب كلية المعلمين بحائل بالمملكة العربية السعودية وعلاقته بالتحصيل الدراسي، إعداد / عنتر محمد احمد عبدالعال 2009).**

هدفت الدراسة إلى تحديد فعالية إدارة الوقت لدي طلاب كلية المعلمين بحائل بالمملكة العربية السعودية وعلاقته بالتحصيل الدراسي، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: أن عينة الدراسة بكلية المعلمين بحائل يديرون بعض وقتهم بكفاءة في بعض الأحيان، ويحتاجون مع ذلك إلى أن يكونوا أكثر تمسكاً، وحرصاً على تطبيق بعض استراتيجيات توفير الوقت، وأن هناك علاقة ارتباطيه بين إدارة الوقت وبين التحصيل الدراسي، فكلما ارتفعت فعالية إدارة الوقت ارتفع معها التحصيل الدراسي.

3- دراسة بعنوان (درجه فاعليه إدارة الوقت لدى طالبات كليه عجلون الجامعية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي إعداد/ د. عمار عبد الله محمود الفريحات ود. عمر عبد الرحيم الربابعة ود. حامد محمد دعوم، 2010).

توصلت الدراسة إلي أن درجة فاعلية إدارة الوقت لدى عينة الدراسة كانت متوسطة على جميع محاور الدراسة، وأن هناك ارتباط بين مجال الاتجاه نحو الوقت والتحصيل، أما باقي المجالات فلم يكن هناك ارتباط، كما أشارت الدراسة لوجود فروق ذات دلاله إحصائية عند مستوى الدلالة (∞≤٠,٠٥) لمرحله بكالوريوس والدبلوم لصالح الدبلوم في مجال التخطيط قصير الأمد، أما باقي المجالات فلا توجد دلالة إحصائية.

4- دراسة بعنوان: (فاعلية إدارة الوقت لدى طلبة الجامعة الإسلامية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي في ضوء بعض المتغيرات، إعداد / سليمان حسين موسى 2012).هدفت الدراسة إلى التوصل لمعرفة دور الجامعة في زيادة فاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية : توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند فاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي من وجهة نظر الطلبة تعزى لمتغير الجنس ذكور، إناث لصالح الإناث، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند فاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي من وجهة نظر الطلبة تعزى لمتغير المستوى الدراسي(الأول والرابع)، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند فاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي من وجهة نظر الطلبة تعزى لمتغير الاختصاص (تعليم أساسي، إرشاد نفسي، ودراسات إسلامية (لصالح التعليم الأساسي.

الاختلاف عن الدراسات السابقة: تشابه الدراسة الحالية الدراسات السابقة في تناولها للعلاقة بين فعالية إدارة الوقت والتحصيل الدراسي حيث استفادت الدراسة من تلك الدراسات في تطوير الأداة المستخدمة فيها، إلا أن هذه الدراسة تختلف عن الدراسات السابقة، في مجتمعها الذي تدرسه، فهي تدرس علاقة تنظيم الوقت بالتحصيل الدراسي لدى عينة من طلاب كلية العلوم الإدارية والإنسانية بالجامعات السعودية ممثلا بجامعه الجوف، علما بان غالبية الدراسات تمت في دول تختلف من حيث الثقافة والمفاهيم والعادات والتقاليد، وما يميز هذه الدراسة عدم الاختلاط في مجال الدراسة بين أفراد مجتمع الدراسة بالإضافة إلي إلمام عينة الدراسة بالمفاهيم الإدارية المختلفة ذات العلاقة بإدارة الوقت بحكم التخصص الأكاديمي، وغيرها من الاعتبارات التي تعتبر في صالح اهتمام مجتمع الدراسة بالوقت واستخدامه استخدما امثل.

ثالثا الإطار النظري:

مفهوم إدارة الوقت: من الثابت أن علاقه الإنسان بالوقت علاقة ارتباط خاص ووثيق، فحياته ومماته أحداث مرتبطة بأوقات محددة (ابتسام:2008)، وتعنى إدارة الوقت عملية الاستفادة من الوقت المتاح لتحقيق الأهداف المهمة في الحياة، مع المحافظة على تحقيق التوازن بين متطلبات العمل والحياة الخاصة، وبين حاجات الجسد والروح والعقل (القعيد: 1422هـ)، ويقصد بإدارة الوقت كذلك الاستغلال الأمثل للوقت والتغلب على الصعوبات التي تعوق الاستفادة منه، وهذا الاستغلال الأمثل يعني الاستفادة القصوى من الموارد والفرص المتاحة للطالب الجامعي وفقا للزمن المخصص للدراسة الجامعية مع التكيف مع العقبات والصعوبات التي تحول دون ذلك من خلال وضع خطة مرنة تتماشي مع مهدرات الوقت وبرنامج تنظيمي فعال يراعي فيه أهم ميزة للوقت وهو التساوي بين كل أفراد المجتمع باعتباره محدد بأربعة وعشرون ساعة للجميع وبعدد شهور وأيام سنوات موزعة مابين ضرورة الإنجاز الأكاديمي وبقية الأمور الحياتية من وقت دنيوي (ضرورات فسيولوجية اجتماعية، ضرورات ذاتية للهو والمرح) ووقت أخروي للدين والعبادة ونظرا لتعدد المهام الملقاة على الطالب

الجامعي عبر ساعات اليوم الدراسي ؛ فإن مشكلة الوقت لديه تنشأ في كافة الأنشطة، حيث لا يتسع الوقت المتاح لإنجاز كل الأعمال المطلوبة (حجى:1994).

إدارة الوقت تعنى إدارة الذات، (ماكينزي:**1990**)، كما تعنى كيفية استثمار الوقت بشكل فعّال ومن ثم القدرة على الانجاز والإبداع بأقل جهد وهدر في الوقت المتاح (الجريسي:1422ه).

مما تقدم لا يختلف اثنان في أهمية تحديد الإنسان لنفسه أهداف معينه وسعيه لتحقيق هذه الأهداف، فالنجاح والإبداع لابد إن يتحققان في حدود الوقت المحدد لتحقيق تلك الأهداف أي ما يعبر عنه بالإدارة الفعالة للوقت, لذا فان مراعاة الوقت المحدد لتحقيق هذه الأهداف لا يقل أهمية عن الأهداف نفسها مع الأخذ في الاعتبار خصائص الوقت التالية:

1.لاشيء أطول من الوقت لأنه مقياس الخلود.

2.الوقت لا يحترم أحداً، فلا يمكن لأحد تغيره أو تحويله.

3.الوقت سريع الانقضاء.

4.يعتبر من أندر الموارد المتاحة وأثمنها.

أهداف إدارة الوقت: تتمثل تلك الأهداف في أربعة مجالات:

- الإجهاد، حيث تسهم إدارة الوقت في منع الكثير من الإجهاد.
- التوازن، حيث تسهم العادات الجيدة في إدارة الوقت في الوصول إلى حياة أكثر توازنا، وتوفر الوقت المناسب للعمل والعائلة والذات.
- الإنتاجية، حيث أن الوقت في دنيا الأعمال يساوي الإنتاجية، ففعالية إدارة الوقت تعنى زيادة الإنتاج.
- الأهداف، لتحقيق الأهداف الشخصية والمهنية لابد من توفر وقت يكفي لذلك.

أهمية الوقت:

1.إن أهمية الوقت تنبع من أهمية الحياة التي نعيش فيها، فحفظه حفظ لها، وقتله قتل لها، ولكنه من النوع غير محسوس، لذلك كانت إضاعة الساعات تلو الساعات إضاعة لعمر الإنسان.

2. إن الساعة من الزمن هي نفسها لكل البشر، لكنها بالنسبة للإنسان الفعال لحظات تنبض بالحيوية والنشاط والإنجازات المميزة، أما بالنسبة لغير الفعال فما هي سوى لحظات جامدة ميتة لا أثر لها بعد مضيها إلا الحسرة والندامة في الدنيا والآخرة.

3. لا يملك الإنسان أثمن من الوقت، لأنه يشكل عمر وعمل الإنسان، و أن إهدار الوقت إهدار للحياة، واغتنام ساعاته وأيامه اغتنام لفسحة العمر التي وهبها الله تعالى لكافة البشر.

4.الوقت نعمة سخرها الله للإنسان مستخلفا ومعمرا للأرض) شحادة،(2005.

مضيعات وقت الطالب الجامعي:

إن إساءة استخدام الوقت وإهماله كقيمة أساسية في حياة الإفراد يؤثر سلبا على العلاقات الاجتماعية التي تربط الفرد بأسرته، وبالجماعات المحيطة في المجتمع ويؤدى إلي عدم الالتزام وتحمل المسؤولية هذا إلي جانب ظهور بعض الانحرافات، وخاصة بين الشباب الذين يمثلون ثروة الأمم (نادر أبو شيخه:1991).

المضيعات الذاتية لوقت الطالب الجامعي:

- انعدام الخطط وعدم اختيار المقررات المناسبة لقدرات الطالب.
- كثرة الأعذار لتبرير حالات الغياب وعدم الانتظام في حضور المحاضرات.
- السهر والسفر والتسوق المتكرر.
- الأمور الاجتماعية (مواقع التواصل الاجتماعي).

- الفشل في الاستماع والفشل في التفويض.
- التأجيل والتسويف وحصر القراءة في فترات الاختبارات.
- كتابة الكثير من المذكرات
- عدم إنجاز الواجبات أول بأول.

طرق تجنب مضيعات وقت الطالب الجامعي:

تحديد مصادر الوقت المبدد بتقسيمه إلي:

أ- الوقت الذي يبدده الطالب .

ب- الوقت الذي يبدده الآخرون للطالب .

ج- أنجاز الأعمال المخطط لها.

فوائد الإدارة الجيدة لوقت الطالب الجامعي:

1- التخطيط الجيد لوقت الطلاب الجامعي:

- الإلمام بالاهتمامات التي تستغرق أوقات أكثر ومن ثم القدرة على وضع خطط تتناسب معها بحيث لأتكون علي حساب الاهتمامات الأخرى.
- التمكن من وضع جداول واقعية للاستذكار وكذا الإلمام بتفاصيل التقويم الدراسي والموازنة مابين الزمن المخصص للنشاطات ذات الطابع الأكاديمي والنشاطات العامة الأخرى.
- القيام بالمهم ثم الأهم من الموضوعات والبرامج ومن ثم الحصول على نتائج ملموسة وتقدم ملحوظ مقارنة بالآخرين.
- القدرة على التنبؤ السليم بالمستقبل وإحداثه والاستعداد لذلك من خلال التحليل والدراسة ووضع الخطط المناسبة للوقت المتاح والمتوقع الحصول منه علي النتيجة المطلوبة.
- القدرة على تحديد وقت البدء المبكر للنشاط المعنى وكذا وقت الانتهاء الخاص بذلك.
- إمكانية تحقيق الاستفادة من الوقت المتاح بمضاعفته ببحث أفضل السبل لاستغلاله وبالتالي تجاوز حاجز محدوديته.

2- التنظيم الفعال لوقت الطلاب الجامعي:

أ- القدرة على التعرف على مضيعات الوقت وتجاوزها مستقبلا.

ب- القدرة على تجاوز عقبات عدم الاستغلال الأمثل للوقت بتحديد أوقات مناسبة لمراجعة بعض الموضوعات الدراسية (جامعة القدس المفتوحة:1995)..

ت- القدرة على عمل جدول تنظيمي للوقت تحدد فيه المهام الرئيسية للفرد وعلاقته بالآخرين من خلال تحديد الوقت الخاص بالإنجاز مع ضرورة عدم التأثير في الوقت المتاح للآخرين.

ث- القدرة على تصميم دليل تنظيمي للوقت يتضمن الأهداف والغايات المستقبلية والمدى الزمني لها من خلال تصنيفها إلي:

- أهداف مستقبلية مهمة ذات تأثير جوهري في حياة الشخص لذا لا يمكن التلاعب في الوقت المخصص لها.
- أهداف بدرجة اقل من الأهمية والضوابط وذات بدائل ويجب ضمان تحقيقها أو إنجازها حسب الوقت المتاح لها.
- أهداف اقل درجة من سابقاتها وتترك لها هوامش وقت يكفي لإنجازها وحتى إذا لم تنجز لا يمكن اعتبارها مصدر خصم من الوقت المخصص لنشاطات الفئة الأولى والثانية.

رابعا: تحليل الدراسة ومناقشه النتائج:

- **أداة الدراسة**: للتعرف على واقع إدارة الوقت لدى مجتمع الدراسة قام الباحثان بإعداد استبانة معتمدين في إعدادها علي الموازنة مابين نهج البحث العلمي في المجال الإداري ومجال البحث التربوي , إضافة إلى الدراسات السابقة التي بحثت موضوعات ذات علاقة بموضوع الدراسة وتم استبعاد بعض العبارات التي وردت في بعض

الدراسات والتي تعتبر صالحة لعينة من الإداريين أو الموظفين أو العاملين عموما وليس لمجتمع من الطلاب، وبذلك تمكن الباحثان من تحديد المجالات التي شكلت بموجبها أداة الدراسة , كما قام الباحثان بوضع عدد من الفقرات تحت كل مجال من المجالات التي شملتها الدراسة , إذ بلغ عدد الفقرات (20) فقرة بعد التحكيم بحيث شملت المجالات التالية:

جدول (1) يوضح محاور أداة الدراسة وفقراتها

الرقم	المحور	عدد الفقرات
1	التخطيط قصير الأجل	5
2	التحكم في الوقت	5
3	الاتجاه نحو الوقت	5
4	التخطيط طويل الأجل	5
المجموع	**4**	**20**

تم تصميم الاستجابة على أداة الدراسة وفقا لمقياس ليكرت الخماسي وبذلك اعتمدت الدراسة التدرج التالي لفئات المتوسطات الحسابية من حيث درجة إدارة الوقت لدى العينة محل الدراسة كما يلي: موافق بشدة (5) درجات , موافق (4) درجات , محايد (3) درجات , غير موافق (2) درجة , غير موافق بشدة درجة واحدة وتم عكس الوزن للعبارات المنفية في أصل السؤال.

- **صدق الأداة:** رأي المحكمين: تم عرض الاستبانة على عدد سبعة محكمين من أساتذة الجامعات من ذوى الاختصاص والاهتمام بموضوع البحث لمعرفة آرائهم على فقرات الاستبانة وعباراتها ومدى مناسبتها من حيث البساطة والوضوح وتقويم مدى مناسبتها لاختبار فرضيات الدراسة ومن ثم تحقيق أهدافها وبعد إجراء التعديلات المقترحة من قبل المحكمين تم عرض الاستبانة علي مدقق لغوى والذي إجراء بعض التعديلات ذات الطابع اللغوي.

- **خصائص مجتمع الدراسة:** يتكون مجتمع الدراسة من طلاب وطالبات كلية العلوم الإدارية والإنسانية قسم إدارة الأعمال للفصل الدراسي الأول للعام 1435-1436هـ لمستوى البكالوريوس، وتم اختيار عينة عشوائية من قسم إدارة الأعمال بكلية العلوم الإدارية والإنسانية بجامعة الجوف من 206 طالبا بنسبة 49.8% و208 طالبة بنسبة 50.2%

جدول رقم (2): توزيع أفراد الدراسة وفقا للمتغيرات *الشخصية*

الرقم	المتغير	فئات المتغير	التكرار	النسبة %
1	النوع	ذكر	206	%49.8
		أنثى	208	%50.2
2	المعدل	ممتاز	50	%12.0
		جيد جدا	91	%22.0
		جيد	153	%37.0
		مقبول	120	%29.0
3	المستوى	الثاني	111	%26.8
		الثالث	143	%34.6
		الرابع	160	%38.6

ويتضح من الجدول رقم (2) أن (206) من أفراد عينة الدراسة يمثلون ما نسبته (49.8%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة من الذكور، في حين أن (208) منهم يمثلون ما نسبته (50.2%) من إجمالي أفراد العينة من الإناث. وهم الفئة الأكثر من أفراد العينة.أما فيما يتعلق بالمعدل العلمي فأن النسبة العظمى منهم حاصلين على جيد حيث بلغ عددهم (153) ما نسبته

(37.0 %)، يأتي بعدهم الأشخاص الحاصلين على مقبول إذ بلغوا (120) ما نسبته (29.0%)، في حين أن (91) منهم يمثلون ما نسبته (22.0%) حاصلين على جيد جداً، بينما الحاصلين على ممتاز فيمثلون (50) ما نسبته (12.0%)، من أجمالي المجيبين على الاستبانة.وأن (160) من أفراد عينة الدراسة يمثلون ما نسبته (37.6%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة من المستوى الرابع، وهم الفئة الأكثر من أفراد العينة، في حين أن (143) منهم يمثلون ما نسبته (34.6%) من إجمالي أفراد العينة من المستوى الثالث، و(111) منهم يمثلون ما نسبته (26.8%) من المستوى الثاني.

- نتائج أسئلة الدراسة:

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول (ما درجة فاعلية إدارة الوقت لدى طلاب وطالبات قسم إدارة الأعمال بكلية العلوم الإدارية والإنسانية بجامعة الجوف) للإجابة عن السؤال تم استخدام التكرارات واستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات العينة لمعرفة مستوى امتلاكهم مهارة إدارة الوقت بالنسبة لكل مجال من مجالات الأداة على حدة ومن حسابها للمجالات مجتمعة.

اولاً- درجة فعالية إدارة الوقت في كل مجال على حدة:

1. مجال التخطيط القصير الأجل:للتعرف على مجال التخطيط القصير الأجل لدى عينة الدراسة تم احتساب الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لكل عبارة على حدة وللعبارات مجتمعة.

جدول رقم (3) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية حول عبارات التخطيط القصير الأجل

الرقم	العبارة	متوسط الإجابة	الانحراف المعياري
1	أحدد مقدار الوقت الذي أقضيه في ممارسة الهوايات اليومية.	3.12	0.987
2	احتفظ بسجل زمني بصور دورية شهرية كوسيلة لتحسين استفادتي من وقتي	3.22	0.960
3	أضع جدولا لبرنامجي الخاص بالأسبوع القادم	3.12	1.079
4	أضع جدول زمني للأنشطة التي يجب على أدائها خلال اليوم الدراسي	3.01	1.136
5	أضع قائمة بالأشياء التي ارغب في إنجازها خلال الأيام القادمة	3.07	1.153
	جميع العبارات	3.11	0.752

يتضح من الجدول رقم (3) أن المتوسطات الحسابية لدرجة التخطيط في الوقت القصير الأجل مابين (3.01 و3.22) وان الانحراف المعياري للعبارات تراوح مابين (0.960 و1.153) ويمكن تحليل هذه النتائج على النحو التالي:

أ. اعلي متوسط سجل لإفراد العينة (3.22) وذلك عن العبارة رقم (2) والتي تنص علي (احتفظ بسجل زمني بصور دورية شهرية كوسيلة لتحسين استفادتي من وقتي).

ب. اقل متوسط سجل لإفراد العينة (3.01) وذلك عن العبارة رقم (4) والتي تنص (أضع جدول زمني للأنشطة التي يجب على القيام بها في اليوم الدراسي) وبالرغم من أنها اقل مرتبة إلا أنها تمثل درجة متوسطة بالنسبة للتخطيط قصير الأجل وهي درجة مقبولة.

ج.المتوسط الحسابي الكلي المسجل لإفراد عينة الدراسة من حيث مستوى قدرتهم على التخطيط القصير الأجل بلغ (3.11) وهو درجة متوسطة وتعتبر درجة مقبولة.

2. مجال التحكم في الوقت:

للتعرف على مجال التحكم في الوقت لدى عينة الدراسة تم احتساب الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لكل عبارة على حدة وللعبارات مجتمعة.

جدول رقم (4) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية حول عبارات التحكم في الوقت

الرقم	العبارة	متوسط الإجابة	الانحراف المعياري
1	يعلم الناس أفضل وقت للعثور على	3.13	1.124
2	الأصدقاء يحترمون مدي التزامي بوقتي	3.01	1.141
3	أقول لا، عندما يطلب الآخرون وقتي إذا كان ذلك يحول دون انجاز مهامي	3.24	1.242
4	وقتي ملكا لي واستطيع التحكم فيه	3.02	1.395
5	ارتب أولوياتي دون تدخل من الآخرين	3.07	1.341
	جميع العبارات	3.09	0.932

يتضح من الجدول رقم (4) أن المتوسطات الحسابية لدرجة التحكم في الوقت مابين (3.01 و3.24) وان الانحراف المعياري للعبارات تراوح مابين (1.124 و1.395) ويمكن تحليل هذه النتائج على النحو التالي:

أ. اعلي متوسط سجل لإفراد العينة (3.24) وذلك عن العبارة رقم (3) والتي تنص علي (أقول لا،عندما يطلب الآخرون وقتي إذا كان ذلك يحول دون انجاز مهامي).

ب. اقل متوسط سجل لإفراد العينة (3.01) وذلك عن العبارة رقم (4) والتي تنص (الأصدقاء يحترمون مدي التزامي بوقتي) وبالرغم من أنها اقل مرتبة إلا أنها تمثل درجة متوسطة بالنسبة للتحكم في الوقت وهي درجة مقبولة.

ج.المتوسط الحسابي الكلي المسجل لإفراد عينة الدراسة من حيث مستوى قدرتهم على التحكم في الوقت بلغ (3.09) وهو درجة متوسطة وتعتبر درجة مقبولة.

3. مجال الاتجاه نحو الوقت:

للتعرف على الاتجاه نحو الوقت لدى عينة الدراسة تم احتساب الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لكل عبارة على حدة وللعبارات مجتمعة **كما يتضح من الجدول رقم (5)**

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية حول عبارات الاتجاه نحو الوقت

الرقم	العبارة	متوسط الإجابة	الانحراف المعياري
1	لا أذاكر عندما اشعر بالتعب والإرهاق	4.15	0.362
2	أفوض العمل الذي يمكن أن يؤديه الآخرين	3.15	1.061
3	وقت الاهتمام الأكاديمي عندى اكبر من وقت الاهتمامات الأخرى	3.03	1.069
4	أنجز الأجزاء الصعبة من موضوع الدراسة أوّلاً.	2.89	1.260
5	احدد وقت للاستجمام والراحة	2.91	1.384
	جميع العبارات	3.23	0.664

يتضح من الجدول رقم (5) أن المتوسطات الحسابية لدرجة الاتجاه نحو الوقت مابين (2.89 و4.15) وان الانحراف المعياري للعبارات تراوح مابين (0.362 و1.384) ويمكن تحليل هذه النتائج على النحو التالي:

أ.اعلي متوسط سجل لإفراد العينة (4.15) وذلك عن العبارة رقم (1) والتي تنص علي (لا أذاكر عندما اشعر بالتعب والإرهاق).

ب. اقل متوسط سجل لإفراد العينة (2.89) وذلك عن العبارة رقم (4) والتي تنص (أنجز الأجزاء الصعبة من موضوع الدراسة أوّلاً) وتعتبر اقل مرتبة بالرغم من أهميتها في تنظيم الاستذكار مما يعنى ضرورة الاهتمام بهذا الجانب من قبل عينة الدراسة.

ج.المتوسط الحسابي الكلي المسجل لإفراد عينة الدراسة من حيث مستوى قدرتهم على التحكم في الوقت بلغ (3.23) وهو درجة كبيرة.

4. مجال التخطيط طويل الأجل:

للتعرف على التخطيط طويل الأجل لدى عينة الدراسة تم احتساب الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لكل عبارة على حدة وللعبارات مجتمعة **كما يتضح من الجدول رقم (6)**

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية حول عبارات التخطيط طويل الأجل

الرقم	العبارة	متوسط الإجابة	الانحراف المعياري
1	اعرف هدفي المستقبلي بعد الحصول على المؤهل الأكاديمي	2.93	1.284
2	وضعت خطة شاملة للشهور الست المقبلة	3.19	1.097
3	ارتب برنامجي الخاص بالاستذكار استعدادا للاختبارات من وقت مبكر	3.06	1.143
4	إنا ملم بتفاصيل الخطة الأكاديمية لدراستي وأنجزها تباعا	2.49	1.187
5	لدي أهداف تتعلق بما يجب انجازه في العام القادم	3.11	1.274
	جميع العبارات	3.05	0.808

المصدر: إعداد الدارسة من الدراسة التطبيقية، 2014م

يتضح من الجدول رقم (6) أن المتوسطات الحسابية لدرجة التخطيط طويل الأجل مابين (2.49 و3.19) وان الانحراف المعياري للعبارات تراوح مابين (1.097 و1.284) ويمكن تحليل هذه النتائج على النحو التالي:

أ. أعلى متوسط سجل لإفراد العينة (3.19) وذلك عن العبارة رقم (2) والتي تنص علي (وضعت خطة شاملة للشهور الست المقبلة)

ب.أقل متوسط سجل لإفراد العينة (2.49) وذلك عن العبارة رقم (4) والتي تنص (انا ملم بتفاصيل الخطة الأكاديمية لدراستي وأنجزها تباعا) وتعتبر اقل مرتبة بالرغم من أهميتها وقد ترجع لنظام الساعات الدراسية [1]

ج.المتوسط الحسابي الكلي المسجل لإفراد عينة الدراسة من حيث مستوى قدرتهم على التخطيط طويل الأجل بلغ (3.05) وهو درجة متوسطة.

ثانياً جميع محاور الدراسة:لمعرفة اتجاه آراء المبحوثين في عينة الدراسة نحو مدى تحقق هذه المحاور، تم استخدام اختبار t للعينة الواحدة والنتائج المبينة لمعرفة آراء أفراد عينة الدراسة في محاور الدراسة والمبينة في الجدول (7).

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ومستوى الدلالة لمدى فعالية إدارة الوقت لدى عينة الدراسة من خلال مجالات الأداة ككل

م	المحور	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة
1	التخطيط القصير الأجل	3.11	0.752	84.084	0.000
2	التحكم في الوقت	3.10	0.932	67.495	0.000
3	الاتجاه نحو الوقت	3.23	0.664	98.935	0.000
4	التخطيط طويل الأجل	3.05	0.808	76.754	0.000

[1] - نظام الساعات الدراسية المتبع مبنى على الاختيار الحر للمقررات الدراسية من فصل إلي فصل دراسي أخر على أن تكون المحصلة النهائية أكمال دراسة كل الساعات المعتمدة في الخطة الدراسية حسب ترتيب اختيار الطالب للمقررات الدراسية مع وضع المتطلبات السابقة للمقررات في الاعتبار عن عملية اختيار.

جميع المحاور	3.12	0.682	93.027	0.000

المصدر: إعداد الدارسة من الدراسة التطبيقية، 2014م

بالنظر إلى الجدول السابق يتضح أن:

أن المتوسط الحسابي لجميع محاور الدراسة بلغ (3.13)، كما وبلغت قيمة t المحسوبة (93.027) وهي أكبر من قيمة t الجدوليه التي تساوي (2.581)، وبلغت قيمة مستوى الدلالة (0.000) وهي اقل من (0.05) مما يدل على أن فعالية إدارة الوقت لدى عينة الدراسة جيدة بشكل عام أي أن مهارات إدارة الوقت التي تؤدى إلي الفعالية في الاستفادة من إدارة الوقت في التنظيم الدراسي والتحصيل الأكاديمي متوفرة بدرجة جيدة لدى عينة الدراسة بالقدر الذي يمكنهم من تنفيذ الاستجابة للخطط والبرامج الدراسية بكفاءة.

ثانياً: معامل ارتباط درجات كل عامل بالدرجة الكلية لاستبيان مدى فعالية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى طلاب وطالبات كلية العلوم والإدارية والإنسانية بجامعة الجوف كما يتضح من الجدول رقم (8) الذي يبين مدى تواجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين جميع محاور الدراسة).

جدول رقم (8) يوضح معامل الارتباط بين جميع محاور الدراسة

المحور	الإحصاءات	الأول	الثاني	الثالث	الرابع
الأول	معامل الارتباط	1	0,650**	0,576**	0.657**
	مستوى الدلالة	-	0.000	0.000	0.000
الثاني	معامل الارتباط	0,650**	1	0,696**	0.726**
	مستوى الدلالة	0.000	-	0.000	0.000
الثالث	معامل الارتباط	0,576**	0,696**	1	0.631**
	مستوى الدلالة	0.000	0.000	-	0.000
الرابع	معامل الارتباط	0,657**	0,726**	0.631**	1
	مستوى الدلالة	0.000	0.000	0.000	-

المصدر: إعداد الدارسة من الدراسة التطبيقية، 2014م

بالرجوع إلى الجدول السابق يتضح أن:

♦ العلاقة بين المحور الأول والمحور الثاني علاقة طردية قوية لان معامل الارتباط يساوي (**0,650) وهي موجبة وتقترب من الواحد وذات دلالة إحصائية عالية جداً (0.000) اقل من (0.01). وذلك يدل على تماسك واتساق مكونات فعالية إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم حيث أن معامل الارتباط موجب ودال إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01)

♦ العلاقة بين المحور الأول والمحور الثالث علاقة طردية متوسطة لان معامل الارتباط يساوي (**0,576) وهي موجبة وتقترب من الواحد، وذات دلالة إحصائية عالية جداً (0.000) اقل من (0.01). وذلك يدل على تماسك واتساق مكونات فعالية إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم حيث أن معامل الارتباط موجب ودال إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01)

♦ العلاقة بين المحور الأول والمحور الرابع علاقة طردية قوية لان معامل الارتباط يساوي (**0,657) وهي موجبة وتقترب من الواحد، وذات دلالة إحصائية عالية جداً (0.000) اقل من (0.01). وذلك يدل على تماسك واتساق مكونات فعالية

إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم حيث أن معامل الارتباط موجب ودال إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01).

♦ العلاقة بين المحور الثاني والمحور الثالث علاقة طردية قوية لان معامل الارتباط يساوي (**0,696) وهي موجبة وتقترب من الواحد، وذات دلالة إحصائية عالية جداً (0.000) اقل من (0.01 وذلك يدل على تماسك واتساق مكونات فعالية إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم حيث أن معامل الارتباط موجب ودال إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01).

♦ العلاقة بين المحور الثاني والمحور الرابع علاقة طردية قوية لان معامل الارتباط يساوي (**0,726) وهي موجبة وتقترب من الواحد، وذات دلالة إحصائية عالية جداً (0.000) اقل من (0.01) وذلك يدل على تماسك واتساق مكونات فعالية إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم حيث أن معامل الارتباط موجب ودال إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01).

♦ العلاقة بين المحور الثالث والمحور الرابع علاقة طردية متوسطة لان معامل الارتباط يساوي (**0,631) وهي موجبة وتقترب من الواحد، وذات دلالة إحصائية عالية جداً (0.000) اقل من (0.01) وذلك يدل على تماسك واتساق مكونات فعالية إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم حيث أن معامل الارتباط موجب ودال إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.01).

- اختبار فروض الدراسة:

1- الفروق باختلاف النوع للفرضية (هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لفاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي تعزى لمتغير النوع (ذكور وإناث):

للتعرف إلى ما إذا كانت هنالك فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً لاختلاف النوع، وحيث أن المتغير المستقل يتكون من فئتين فقط فقد تم استخدام اختبار (ت) للعينتين المستقلتين، لتوضيح دلالة الفروق بين إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً لاختلاف النوع، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول رقم (9):

نتيجة اختبار (ت) للعينتين المستقلتين للفروق بين إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً لاختلاف النوع

المحاور الرئيسية	النوع	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (t)	مستوى الدلالة	الفروق
الأول	ذكر	206	3.62	0.542	18.671	0.000**	توجد فروق
	أنثى	208	2.60	0.566			
الثاني	ذكر	206	3.88	0.489	31.147	0.000**	توجد فروق
	أنثى	208	2.32	0.529			
الثالث	ذكر	206	3.73	0.464	23.017	0.000**	توجد فروق
	أنثى	208	2.32	0.413			
الرابع	ذكر	206	3.64	0.553	21.819	0.000**	توجد فروق
	أنثى	208	2.46	0.548			

*** توجد فروق إحصائية عند مستوى معنوية (0.05).**

المصدر: إعداد الدارسة من الدراسة التطبيقية، 2014م.

♦ يشير الجدول إلى أن الوسط الحسابي لإجابات الذكور فيما يتعلق بالمحور الأول كان (3.62) وبانحراف معياري (0.542)، أما الوسط الحسابي للإناث فقد بلغ (2.60) وبانحراف معياري (0.566)، أي أن الوسط الحسابي للذكور كان أعلى من الوسط الحسابي للإناث، وإن مستوى الدلالة (0.000) وهو أقل من (0.05). مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أفراد العينة حول العلاقة بين المحور الأول تعود إلى النوع كانت لصالح الذكور.

♦ يشير الجدول إلى أن الوسط الحسابي لإجابات الذكور فيما يتعلق بالمحور الثاني كان (3.88) وبانحراف معياري (0.489)، أما الوسط الحسابي للإناث فقد بلغ (2.31) وبانحراف معياري (0.529)، أي أن الوسط الحسابي للذكور كان أعلى من الوسط الحسابي للإناث، وإن مستوى الدلالة (0.000) وهو أقل من (0.05). مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أفراد العينة حول العلاقة بين المحور الثاني تعود إلى النوع لصالح الذكور.

♦ يشير الجدول إلى أن الوسط الحسابي لإجابات الذكور فيما يتعلق بالمحور الثالث كان (3.73) وبانحراف معياري (0.464)، أما الوسط الحسابي للإناث فقد بلغ (2.73) وبانحراف معياري (0.413)، أي أن الوسط الحسابي للذكور كان أعلى من الوسط الحسابي للإناث، وإن مستوى الدلالة (0.000) وهو أقل من (0.05)، مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أفراد العينة حول العلاقة بين المحور الثالث تعود إلى النوع لصالح الذكور.

♦ يشير الجدول إلى أن الوسط الحسابي لإجابات الذكور فيما يتعلق بالمحور الرابع كان (3.64) وبانحراف معياري (0.553)، أما الوسط الحسابي للإناث فقد بلغ (2.46) وبانحراف معياري (0.548)، أي أن الوسط الحسابي للذكور كان أعلى من الوسط الحسابي للإناث، وإن مستوى الدلالة (0.000) وهو أقل من (0.05)، مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أفراد العينة حول العلاقة بين المحور الثاني تعود إلى النوع لصالح الذكور.

2- الفروق باختلاف المعدل التراكمي للفرضية (هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لفاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي تعزى لمتغير المعدل التراكمي لدى عينة الدراسة):

للتعرف إلى ما إذا كانت هنالك فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً لاختلاف المعدل التراكمي، تم استخدام تحليل التباين الأحادي (ONE WAY ANOVA)، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول (10):

نتيجة تحليل التباين الأحادي (ONE WAY ANOVA) للفروق بين إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً لاختلاف المعدل التراكمي

المحاور الرئيسية	المعدل التراكمي	العدد	المتوسط الحسابي	قيمة (ف)	مستوى الدلالة	الفروق
الأول	ممتاز	50	3.03	4.863	0.002*	توجد فروق
	جيد جدا	91	2.90			
	جيد	153	3.12			
	مقبول	120	3.28			
الثاني	ممتاز	50	2.81	9.121	0.000**	توجد فروق
	جيد جدا	91	2.78			
	جيد	153	3.15			
	مقبول	120	3.37			
الثالث	ممتاز	50	3.16	3.649	0.013*	توجد فروق
	جيد جدا	91	3.05			
	جيد	153	3.27			

المحاور الرئيسية	المعدل التراكمي	العدد	المتوسط الحسابي	قيمة (ف)	مستوى الدلالة	الفروق
	مقبول	120	3.34			
الرابع	ممتاز	50	2.89	5.712	0.001**	توجد فروق
	جيد جدا	91	2.81			
	جيد	153	3.10			
	مقبول	120	3.23			

*** توجد فروق إحصائية عند مستوى معنوية (0.05).** المصدر: إعداد الدارسة من الدراسة التطبيقية، 2014م.

بالنظر للجدول أعلاه يتضح أن:

♦ تشير النتائج في الجدول إلى قيمة F المحسوبة للمحور الأول (التخطيط القصير الأجل) تساوي (4.863) وهي أكبر من قيمة F الجدولية التي تساوي (2.63)، كذلك بلغت قيمة مستوى الدلالة (0.002) وهي أقل من (0.05)، مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول هذا المحور طبقاً لاختلاف المعدل التراكمي.

♦ تشير النتائج في الجدول إلى قيمة F المحسوبة للمحور الثاني (التحكم في الوقت) تساوي (9.121) وهي أكبر من قيمة F الجدولية التي تساوي (2.63)، كذلك بلغت قيمة مستوى الدلالة (0.000) وهي أقل من (0.05)، مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول هذا المحور طبقاً لاختلاف المعدل التراكمي.

♦ تشير النتائج في الجدول إلى قيمة F المحسوبة للمحور الثالث (الاتجاه نحو الوقت) تساوي (3.649) وهي أكبر من قيمة F الجدولية التي تساوي (2.63)، كذلك بلغت قيمة مستوى الدلالة (0.013) وهي أقل من (0.05)، مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول هذا المحور طبقاً لاختلاف المعدل التراكمي.

♦ تشير النتائج في الجدول إلى قيمة F المحسوبة للمحور الثالث (التخطيط الطويل الأجل) تساوي (3.712) وهي أكبر من قيمة F الجدولية التي تساوي (2.63)، كذلك بلغت قيمة مستوى الدلالة (0.001) وهي أقل من (0.05)، مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول هذا المحور طبقاً لاختلاف المعدل التراكمي.

3. اختبار الفروق باختلاف المستوى الدراسي للفرضية (هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لفاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي تعزى لمتغير المستوى الدراسي الثاني الثالث والرابع بالنسبة لعينة الدراسة):

للتعرف إلى ما إذا كانت هنالك فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً لاختلاف المستوى الدراسي، ولتوضيح دلالة الفروق بين إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً لاختلاف المستوى الدراسي، تم استخدام تحليل التباين الأحادي (ONE WAY ANOVA)، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول (11):

نتيجة اختبار تحليل التباين الأحادي (ONE WAY ANOVA) للفروق بين إجابات أفراد عينة الدراسة طبقاً لاختلاف المستوى الدراسي

المحاور الرئيسية	المستوى	العدد	المتوسط الحسابي	قيمة (ف)	مستوى الدلالة	الفروق
الأول	الثاني	111	3.16	1.081	0.340	لا توجد فروق
	الثالث	143	3.14			
	الرابع	160	3.04			
الثاني	الثاني	111	3.13	2.480	0.058	لا توجد فروق
	الثالث	143	3.20			
	الرابع	160	2.97			
الثالث	الثاني	111	3.28	0.527	0.591	لا توجد فروق

المحاور الرئيسية	المستوى	العدد	المتوسط الحسابي	قيمة (ف)	مستوى الدلالة	الفروق
	الثالث	143	3.21			
	الرابع	160	3.21			
الرابع	الثاني	111	3.12	0.173	0.043	لا توجد فروق
	الثالث	143	3.13			
	الرابع	160	2.92			

المصدر: إعداد الدارسة من الدراسة التطبيقية، 2014م.

**** توجد فروق إحصائية عند مستوى معنوية (0.01). * توجد فروق إحصائية عند مستوى معنوية (0.05).**

بالنظر للجدول أعلاه يتضح أن:

♦ تشير النتائج في الجدول إلى قيمة F المحسوبة للمحور الأول (التخطيط القصير الأجل) حيث تساوي (1.081) وهي أقل من قيمة F الجدولية التي تساوي (2.63)، كذلك بلغت قيمة مستوى الدلالة (0.340) وهي أكبر من (0.05)، مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول هذا المحور طبقاً لاختلاف المستوى الدراسي.

♦ تشير النتائج في الجدول إلى قيمة F المحسوبة للمحور الثاني (التحكم في الوقت) تساوي (2.480) وهي أكبر من قيمة F الجدولية التي تساوي (2.63)، كذلك بلغت قيمة مستوى الدلالة (0.085) وهي اكبر من (0.05)، مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول هذا المحور طبقاً لاختلاف المستوى الدراسي.

♦ تشير النتائج في الجدول إلى قيمة F المحسوبة للمحور الثالث (الاتجاه نحو الوقت) تساوي (0.527) وهي أقل من قيمة F الجدولية التي تساوي (2.63)، كذلك بلغت قيمة مستوى الدلالة (0.591) وهي أكبر من (0.05)، مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول هذا المحور طبقاً لاختلاف المستوى الدراسي.

♦ تشير النتائج في الجدول إلى قيمة F المحسوبة للمحور الرابع (التخطيط الطويل الأجل) تساوي (3.173) وهي أكبر من قيمة F الجدولية التي تساوي (2.63)، كذلك بلغت قيمة مستوى الدلالة (0.043) وهي أقل من (0.05)، مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول هذا المحور طبقاً لاختلاف المستوى الدراسي.

النتائج:

- درجة فعالية إدارة الوقت **في مجال التخطيط القصير الأجل** لدى عينة الدراسة تعتبر متوسطة وتعتبر درجة مقبولة.
- درجة فعالية إدارة الوقت **في مجال التحكم في الوقت** لدى عينة الدراسة تعتبر متوسطة وتعتبر درجة مقبولة.
- درجة فعالية إدارة الوقت في **مجال الاتجاه نحو الوقت** لدى عينة الدراسة تعتبر درجة كبيرة.
- درجة فعالية إدارة الوقت **في مجال التخطيط طويل الأجل** لدى عينة الدراسة تعتبر درجة متوسطة.
- درجة فعالية إدارة الوقت لدى عينة الدراسة تجاه كل محاور الدراسة تعتبر جيدة بشكل عام أي أن مهارات إدارة الوقت التي تؤدى إلي الفعالية في الاستفادة من إدارة الوقت في التنظيم الدراسي والتحصيل الأكاديمي متوفرة بدرجة جيدة لدى عينة الدراسة بالقدر الذي يمكنهم من تنفيذ الاستجابة للخطط والبرامج الدراسية بكفاءة.

- معامل ارتباط درجات كل عامل بالدرجة الكلية لاستبيان مدى فعالية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى طلاب وطالبات جامعة الجوف:

العلاقة بين محور **التخطيط القصير الأجل** ومحور **التحكم في الوقت** علاقة طردية قوية ويدل ذلك على تماسك واتساق مكونات فعالية إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم.

♦ العلاقة بين محور **التخطيط القصير الأجل** ومحور **الاتجاه نحو الوقت** علاقة طردية متوسطة وذات دلالة إحصائية عالية جداً وذلك يدل على تماسك واتساق مكونات فعالية إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم

♦ العلاقة بين محور **التخطيط القصير الأجل** ومحور **التخطيط طويل الأجل** علاقة طردية قوية وذلك يدل على تماسك واتساق مكونات فعالية إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم.

♦ العلاقة بين محور **التحكم في الوقت** ومحور **الاتجاه نحو الوقت** علاقة طردية قوية وذلك يدل على تماسك واتساق مكونات فعالية إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم.

♦ العلاقة بين محور **التحكم في الوقت** ومحور **التخطيط طويل الأجل** علاقة طردية قوية وذلك يدل على تماسك واتساق مكونات فعالية إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم.

♦ العلاقة بين محور **الاتجاه نحو الوقت** ومحور **التخطيط طويل الأجل** علاقة طردية متوسطة وذات دلالة إحصائية وذلك يدل على تماسك واتساق مكونات فعالية إدارة الوقت وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة الدراسة قياسا بمحاور وعبارات الاستبيان المستخدم.

نتائج اختبار فروض الدراسة:

1- نتائج اختبار الفروق باختلاف النوع للفرضية (هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لفاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي تعزى لمتغير النوع (ذكور وإناث):

توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أفراد العينة فيما يتعلق بالتخطيط القصير الأجل تعود إلى النوع كانت لصالح الذكور.

توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أفراد العينة فيما يتعلق بالتحكم بالوقت تعود إلى النوع كانت لصالح الذكور.

توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أفراد العينة فيما يتعلق بالاتجاه نحو الوقت تعود إلى النوع كانت لصالح الذكور.

توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أفراد العينة فيما يتعلق بالتخطيط الطويل الأجل تعود إلى النوع كانت لصالح الذكور.

2- نتائج اختبار الفروق باختلاف المعدل التراكمي للفرضية (هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لفاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي تعزى لمتغير المعدل التراكمي لدى عينة الدراسة):

♦ تشير النتائج إلي وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول محور التخطيط القصير الأجل طبقاً لاختلاف المعدل التراكمي.

♦ تشير النتائج إلي وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول محور التحكم في الوقت طبقاً لاختلاف المعدل التراكمي.

♦ تشير النتائج إلي وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول محور الاتجاه نحو الوقت طبقاً لاختلاف المعدل التراكمي.

♦ تشير النتائج إلي وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول محور التخطيط الطويل الأجل طبقاً لاختلاف المعدل التراكمي.

3. نتائج اختبار الفروق باختلاف المستوى الدراسي للفرضية (هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لفاعلية إدارة الوقت وعلاقتها بالتحصيل الدراسي تعزى لمتغير المستوى الدراسي الثاني الثالث والرابع بالنسبة لعينة الدراسة):

♦ تشير النتائج إلي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول محور التخطيط القصير الأجل طبقاً لاختلاف المستوى الدراسي.

♦ تشير النتائج إلي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول محور التحكم في الوقت طبقاً المستوى الدراسي.

♦ تشير النتائج إلي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول محور الاتجاه نحو الوقت طبقاً المستوى الدراسي.

♦ تشير النتائج إلي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد عينة الدراسة حول محور التخطيط الطويل الأجل طبقاً المستوى الدراسي.

أخيرا أسفرت نتائج الدراسة إلى ما يلي :أن التأثير الرئيسي للنوع (ذكور -إناث) كان دالا عند دراسته مع جميع متغيرات إدارة الوقت في علاقتها بالأداء الأكاديمي لصالح الذكور ولم تتفق مع دراسة سليمان (2012) فقد كانت لصالح الإناث، أن تأثير المستوى للنوع كان دالا بالنسبة لمؤشر التحصيل الأكاديمي، عند دراسته مع جميع متغيرات إدارة الوقت وقد اتفقت مع دراسة سليمان (2012) وفريحات وآخرون (2010).، وهناك فروق دالة إحصائياً بين عينة الدراسة في الأداء الأكاديمي يمكن عزوه إلى فعالية مستوى إدارة الوقت بمتغيراته المختلفة لدى عينة الدراسة.

التوصيات:

- إجراء المزيد من البحوث والدراسات في مجال إدارة الوقت لدى طلاب كليات العلوم الإدارية في العالم العربي.
- نشر ثقافة إدارة الوقت لدى الطلاب في مختلف المراحل الدراسية وخاصة في المراحل المبكرة لينعكس ذلك سلوكا فيما بعد.
- إجراء دراسات دقيقة في مجال إدارة الوقت وربطها بمتغيرات جديدة تساهم في فعالية إدارة الوقت.

المراجع:

1- أبو شيخه، نادر احمد (1991). إدارة الوقت، عمان: دار المجدلاوي للنشر.

2- الجريسي،خالد (1422هـ). إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، الرياض: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.

3- الجندي،عادل السيد محمد(2002).الإدارة والتخطيط التعليمي والإستراتيجي، الرياض:مكتبة الرشيد

4- العلاق،بشير (1995). معجم مصطلحات العلوم الإدارية الموحد، بيروت: الدار العربية للموسوعات.

5- القرضاوي، يوسف عبد الله (2000).الوقت في حياة المسلم، بيروت: مؤسسة الرسالة ط3.

6- القعيد،إبراهيم حمد (١٤٢٢هـ). العادات العشر للشخصية الناجحة، الرياض: دار المعرفة للتنمية البشرية.

7- المعجم الوسيط (1989).مجمع اللغة العربية. الإدارة العامة للمعجمات وأحياء التراث، استانبول تركيا: دار الدعوة.

8- جامعة القدس المفتوحة(1995). تعلم كيف تتعلم، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن.

9- حجي،أحمد إسماعيل (1994). التعليم الأساسي الإلزامي وتخفيض سنوات إلزامه في مصر، حلـــــــول نظرية وخبرات أجنبية، القاهرة: النهضة المصرية.

10- خليل، نبيل سعد (1996).فعالية إدارة الوقت من وجهة نظر مديري نظار مدارس التعليم العام، دراسة تحليلية ميدانية بمحافظة سوهاج، مصر: مجلة كلية التربية بجامعة سوهاج.

11- شتات،ابتسام محمود(٢٠٠٨). العلاقة بين إدارة الوقت وأساليب مواجهة الضغوط ودافعية الإنجاز لدى طلاب المرحلة الثانوية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس: معهد الدراسات العليا للطفولة.

12- شحادة،محمد أمين (2005).، إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة كيف تنجح إدارة وقتك وبالتالي حياتك فرجينيا، الولايات المتحدة: دار ابن الجوزي.

13- عبد العال،عنتر محمد احمد (2009). فعالية إدارة الوقت لدي طلاب كلية المعلمين بحائل بالمملكة العربية السعودية وعلاقته بالتحصيل الدراسي، مجلة علوم انسانية العدد 40.

14- على،محمد السيد (1998).مصطلحات فى المناهج وطرق التدريس دار الفكر العربي – القاهرة.

15- فريحات،عمار وآخرون(2010).درجه فاعليه إدارة الوقت لدى طالبات كليه عجلون الجامعية وعلاقتها بالتحصيل، غزة: مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية.

16- فخرو، حصة عبد الرحمن (2005).مستويات إدارة الوقت لدى طالبات جامعة قطر وتخصصهن الأكاديمي في علاقتهما بالتحصيل الأكاديمي والرضاء عن الحياة، جامعة قطر: مجلة مركز البحوث التربوية.

17- موسى،سليمان حسين (2012). فاعلية إدارة الوقت لدى طلبة الجامعة الإسلامية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي في ضوء بعض المتغيرات، غزة: مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية.

18. - Mackenzie, Alec. (1990). Team Work Through Time Management Dartncll Corporation1990

أثر استخدام استراتيجية التشبيهات في الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي في ضوء مستوى تحصيلهم

د.شذا عريقات - أ. د.إبراهيم الشرع - د. جهاد العناتي

وزارة التربية والتعليم -الأردن - الجامعة الاردنية - الجامعة الاردنية

الملخص: هدفت الدراسة إلى تقصي أثر استخدام استراتيجية التشبيهات في الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي في ضوء مستوى تحصيلهم. ولتحقيق أغراض الدراسة اختيرت شعبتين كعينة قصدية تكونت من (50) طالباً وطالبة من طلبة الصف السادس الأساسي ووزعت عشوائيا على مجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة بالتساوي، واستُخدم تحليل التباين المصاحب (ANCOVA) لمعرفة دلالة الفروق. أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق دالة إحصائياً (α=0.05) في الميول العلمية لدى الطلبة لصالح الطلبة الذين درسوا باستخدام التشبيهات، ووجود أثر للتحصيل على الميول العلمية، وعدم وجود أثر للتفاعل بين طريقة التدريس ومستوى التحصيل على الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي، وأوصت الدراسة بتبني معلمي العلوم لاستراتيجية التشبيهات وتوظيفها في تدريس مبحث العلوم.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية التشبيهات، الميول العلمية، التحصيل.

ABSTRACT

This study aimed at investigating the effect of using analogies strategy scientific tendencies among the 6th Grades students in the light of their achievement level. To achieve the purposes of the study, a purposeful sample of (50) sixth grade basic students were distributed equally onto two groups; exeperemental and control (25)students for each. Analysis of covariance (ANCOVA) used to find out if there are any significant differences. The results showed there were statistically significant differences at (α = 0.05) on the scientific tendencies among students for the favor of experimental group, there are statistical significant effect to the achievement level on scientific tendencies. But there is no statistical significant effect on scientific tendencies attributed to the interaction between the strategy and achievement level. Accordingly, the study recommended to adapt the analogies strategy by science teachers in the classroom.

Key word: analogies, scientific tendencies, achievement level.

المقدمة: شهد القرن الماضي ثورة علمية ومعرفية هائلة في جميع الميادين والمجالات، ومن بين هذه المجالات مجال التعليم بشقيه النظري والتطبيقي، حيث شهد تطوراً كبيراً شمل عناصر ومكونات العملية التعلمية التعليمية، وقد انعكس هذا التأثير على المؤسسات التربوية من تغيير في غاياتها وتطوير لأدواتها وما يتم فيها من عمليات، والتركيز على ما يتم داخل الغرف الصفية، من تفاعل بين الطلبة والمعلمين، الأمر الذي جعل المؤسسات التربوية تسعى لتوظيف إستراتيجيات حديثة في العملية التعلمية، كاستراتيجية التشبيهات.

ويقوم أساس استخدام استراتيجية التشبيهات على تبسيط فهم الطلبة للمفاهيم المجردة وغير المحسوسة مع مفاهيم أو مكونات ضمن الواقع المحسوس للطلبة، وهي المشبه به، من خلال التركيز على أوجه الشبه والاختلاف بين المشبه والمشبه به، بحيث يقود هذا التشبيه إلى إكساب الطلبة المفاهيم والمعارف المرغوبة (سعيد وعبدالله، 2008). هذا مع العلم أن التشبيهات تقوم على مقارنة المفهوم الهدف والمفهوم المشبه به، كما أن أفضل التشبيهات هي التي تكون بين المفهوم الهدف وأكثر المفاهيم ألفة إلى المتعلم، والتي تجمع أكبر عدد من الخصائص المشتركة بين المشبه والمشبه به. وعلى الرغم مما أظهرته الدراسات من أهمية للتشبيهات في إكساب الطلبة المفاهيم، وتكوين الاتجاهات الإيجابية نحو التعلم، ومساعدة الطلبة في تعلمهم، إلا أن الكثير من المقررات الدراسية وكتب العلوم تحديداً ما زالت تتجاهل التركيز عليها، وتوظيفها توظيفاً كافياً في الدروس (Rena & Sandra, 2008).وحقيقة التشبيهات التعليمية تقوم على بناء مماثلة بين مفهومين أو مجالي تعلم، تستنبط في أثناء عملية التشبيه جملة العلاقات البنيوية والوظيفية المشتركة بين المفهومين، ومثال ذلك تشبيه سريان التيار الكهربائي في الأسلاك بتدفق الماء في الأنابيب، وعلى الرغم من الاختلاف البيّن بين الماء والشحنات الكهربائية، إلا أن التشبيه يكفل قدراً من تقريب الصورة من

الفهم لحقيقة سريان التيار الكهربائي، وهنا تتجسد حقيقة التشبيه المستخدم في عمليات التعلم من خلال بناء الرابط بين المألوف وهو المشبه به، وغير المألوف وهو المشبه، ولا يخفى أثر ذلك في إكساب الطلبة المفهوم، واستمتاعهم بإيجاد العلاقات بين المشبه والمشبه، وتطوير الميول العلمية لديهم (Yanowitz, 2001).

بقيت الميول العلمية متطلباً قبلياً كمحفز أساسي لرغبة الطالب واهتماماته لتعلمه وانشغال الأنشطة التعلم وتنشيط معرفته وبنائها وتوظيفها (Yager, 1999). ويمكن قياس الميول العلمية وتقييمها من خلال الاستجابات اللفظية المعلنة للطلبة أو من ملاحظة أوجه الممارسات والسلوك والأنشطة العلمية (الميول الملاحظة) التي يقوم بها المتعلمون وما يهتمون به عملياً (زيتون، 2008).لذا حظيت الميول العلمية بالدراسة والبحث وتوجهت الأنظار إلى دور معلم العلوم لمساعدة الطلبة على تشكيل ميولهم العلمية وتنميتها كدوافع لسلوكهم العلمي وموجهات علمية عملية في التعليم البنائي وحياة القرن الحادي والعشرين، حيث إنه لم يعد كافياً أن يحصل الطلبة على القاعدة المعرفية فحسب، بل ينبغي مساعدتهم على تكوين رغباتهم وفق أنماط تعلمهم وميولهم واهتماماتهم الإيجابية نحوها بحيث تدفعهم للاستزادة والإفادة منها في التعلم الذاتي وأنشطة تعلم العلوم البنائية وتحقيق أهدافها وغايتها (Hennessy, 2011).

ويرى التربويون ضرورة التركيز على ميول الطلبة العلمية التي تساعدهم على تنفيذ المهمات التعلمية التعليمية وتزيد من نشاطهم وفاعليتهم في التعلم، وترفع مستوى اهتمامهم بما ينفذونه من مهمات، فالميول سمة مكتسبة ولها دور مهم في التحصيل بشكل عام، وعليه؛ فإنه يجب على المدرسة أن تهتم بتعزيز ميول الطلبة العلمية لتشبع اهتماماتهم وحاجاتهم، وعلى المعلم أن يوظف استراتيجيات التدريس المناسبة لتعزز الميول الإيجابية نحو المبحث الذي يدرسه، من خلال بناء ميول علمية لدى الطلبة تجعل عملية التعلم جزءاً من حياتهم داخل المدرسة وخارجها، لتصل إلى مستويات تقود توجهاتهم وتفضيلاتهم المهنية في حياتهم المستقبلية (العيسوي، 2002).وعمل كثير من الباحثين في تقصي أثر بعض العوامل والمتغيرات التي قد تعدل أو تؤثر في تشكيل الميول العلمية والاتجاهات وتنميتها للطلبة، وأشار ثوماس (Thomas, 1986) أن التشجيع من الآباء والمعلمين والاهتمام بالهوايات العلمية والطموحات المستقبلية ومستوى التحصيل العلمي والمشاركة في النوادي والجمعيات العلمية كلها لها تاثير إيجابي في تشكيل الميول العلمية للطلبة وبالتالي تدفعهم لدراسة العلوم وتعلمها.

ويعتقد بعض التربويين أن اتجاهات الطلبة وميولهم تؤثر في تحصيلهم وتنمي مهارات التفكير وقدرتهم على حل المشكلات، وتحدد مدى تقبل الطلبة للمفاهيم والحقائق العلمية وإلمامهم بها، لذا فإنه من الضروري العمل على تنميتها وتعزيزها (الشرع، 2009). كما أن الميول نفسها تتأثر بعوامل متعددة، منها الدافعية والثقة بالنفس (Mattern & Sehau, 2000). بناء على مسبق تسعى هذه الدراسة للكشف عن أثر استراتيجية التشبيهات في تنمية الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي في ضوء مستوى التحصيل لديهم.

مشكلة الدراسة: أشارت نتائج التقرير الإقليمي حول التعليم للجميع في الدول العربية (منظمة الأمم المتحدة للعلم والتربية والثقافة) للعام (2014) إلى أن أنظمة التعليم في معظم الدول العربية لا تزال تسودها مناهج مليئة بالحشو والتكرار وطرائق تعلم تقليدية؛ فضلاً عن أن معظم مكوناتها تركز على الحقائق أكثر من المفاهيم والتعميمات والمبادئ، وأشارت دراسة القطاونة والسعودي (2012) إلى أن المعلمين يهتمون بإنهاء المباحث العلمية المقررة ضمن برنامج زمني محدد أكثر من اهتمامهم بتوفير الفرص للطلبة لإمعان عقولهم في المواد التعليمية المقررة، ووقوف غالبيتهم عند الحقائق العلمية في التدريس، دون أن تأخذ تلك الحقائق بعداً آخر يتمثل في البحث عن استراتيجيات مباشرة لنقل التعلم، وتنمية الميول العلمية لديهم. في حين نجد أن المؤسسات التربوية قد أولت اهتماماً كبيراً باستراتيجيات التدريس المستندة إلى النظرية المعرفية والنظرية البنائية كأدوات لتنمية شخصية المتعلمين ونقل المعرفة وبناء الميول العلمية إليهم، ومن هذه الاستراتيجيات استراتيجية التشبيهات، التي تضع المفهوم العلمي في سياق حياتي مرتبط بخبرات الطالب، وبالتالي تخلق ميولاً علمية لتعلم المواضيع العلمية وتزيد من الإقبال عليها، وتنمي مهارات التفكير لديهم (عابد، 2005).

و أشارت دراسة هامرك وهارتي (Hamrick & Harty, 1987) إلى تدن مستمر في التحصيل العلمي، وضعف ملحوظ في الميول العلمية لدى الطلبة؛ فقد تبين أن حوالي (31%) من طلبة المرحلة الثانوية و(21%) من طلبة المدارس (المتوسطة) الأساسية غالباً ما يجدون صفوف العلوم مملة وغير مريحة. كما أن تشكيل الميول العلمية عند الطلبة وتنميتها اعتبرت مشكلة رئيسة من وجهة نظر معلمي العلوم. وفي هذا السياق، أشارت دراسة كراجكيك (Krajcik, 1993) المتعلقة بمدى التركيز على أهداف العلوم إلى وضع غير مشجع، ومستوى متدنٍ نسبياً لواقع التربية العلمية وتدريس العلوم في الولايات المتحدة؛ فقد تبين أن حب طلبة مراحل التعليم الابتدائية والمتوسطة والثانوية للعلوم والاهتمام بها والميول نحوها يتراجع عما كان في السابق، و ضعف دافعيتهم لتعلم العلوم. و أن ضعف الاهتمام بالعلوم ناجم عن ضعف اتجاهات الطلبة وميولهم نحو المدرسة وموضوعات العلوم ومعلميها، إضافة إلى تذبذب استقرار الميول العلمية وضبابيتها وبخاصة لدى طلبة المرحلة الأساسية (المراهقين) في المدرسة (Hassard, 2004). هذا، وقد وانخفض أداء الطلبة الاردنين في امتحان PISA عام 2009؛ اذ جاء ترتيبهم في المرتبة (51) من بين(65) دولة مشاركة في مجال تعلم العلوم وتعليمها، مما يثير المخاوف حول ضعف الميول العلمية للطلبة. ويتضح ذلك من خلال بعض الشواهد التربوية والمؤشرات الأولية المختلفة كالتحصيل المنخفض محليا وعالمياً في العلوم. الأمر الذي ولد لدى الباحثين الرغبة في الكشف عن أثر استراتيجية التشبيهات في تنمية الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي في ضوء مستوى تحصيلهم. وتحديدا حاولت هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. هل يوجد فرق دال إحصائيا عند ($\alpha = 0.05$) في الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي يعزى إلى استراتيجية التدريس (التشبيهات، والطريقة الاعتيادية)؟

2. هل يوجد فرق دال إحصائيا عند ($\alpha = 0.05$) في الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي يعزى لمستوى التحصيل (منخفض، متوسط، مرتفع)

3. هل يوجد فرق دال إحصائيا عند ($\alpha = 0.05$) في الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي يعزى للتفاعل بين استراتيجية التدريس (التشبيهات، والطريقة الاعتيادية) و مستوى تحصيلهم؟

هدف الدراسة: سعت هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف منها:

- الكشف عن أثر استخدام استراتيجية التشبيهات في تنمية الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي.
- التعرف إلى أثر مستوى التحصيل في تنمية الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي.
- التعرف إلى أثر التفاعل بين استخدام استراتيجية التشبيهات ومستوى التحصيل في تنمية الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي.

مصطلحات الدراسة وتعريفاتها الإجرائية

استراتيجية التشبيهات: تعرف استراتيجية التشبيهات بأنها عقد الصلة بين المفاهيم المألوفة والمفاهيم الأقل ألفة لدى المتعلمين لتسهيل اكتسابهم للمفاهيم المستهدفة (Dagher,1995). وتُعرّف إجرائيا في هذه الدراسة بأنها استراتيجية تدريسية تقوم على ربط المفهوم العلمي الجديد بمفهوم من الواقع مألوف للطلبة الصف السادس الأساسي في الحياة اليومية، وذلك بالتركيز على أوجه الشبه والاختلاف بين المفهوم العلمي (المشبه) والمفهوم الواقعي (المشبه به) أثناء دراستهم للوحدة الثالثة "جسم الإنسان وصحته" في مبحث العلوم العامة، وقيست بدرجة الطالب على امتحان البعدي المعد لأغراض الدراسة.

الميول العلمية: عرفها زيتون (2014: 402) بأنها "ما يهتم به الطلبة ويفضلونه من أشياء وأنشطة ودراسات علمية محببة إليهم"، وتعرّفت إجرائيا بأنها ميل الطلبة ورغبتهم للقيام بالأنشطة التعلمية التعليمية في مبحث العلوم العامة، وقيست بمتوسط أداء الطالب على مقياس الميول العلمية المعد لأغراض هذه الدراسة.

أهمية الدراسة: تنبع أهمية هذه الدراسة من سعيها إلى توظيف استراتيجية تدرس منبثقة عن النظرية البنائية التي تستند في أساسها على التشبيهات العلمية، وتقصي أثر هذه الاستراتيجية في تنمية الميول العلمية لدى طلبة الصف السادس الأساسي في

ضوء مستوى تحصيلهم، وعليه فإنه يمكن تلخيص أهمية الدراسة فيما يأتي:

الأهمية النظرية: قد تسهم هذه الدراسة في تحسين رفد المكتبة العربية بإطار نظري حول الميول العلمية وإستراتيجية التشبهات، كما يمكن أن توضح العلاقة بين كل من استراتيجية التشبهات والميول العلمية ومستوى التحصيل والتفاعلات بين هذه المتغيرات.

الأهمية العملية: قد يستفيد من هذه الدراسة المعلمون والموجهون التربويون وواضعوا المناهج في ضوء نتائجها، وذلك بتوظيف إستراتيجية التشبيهات في التدريس وورش العمل وتضمينها في المنهاج، كما أن الدراسة توفر مقياساً للميول العلمية يمكن استخدامه لقياس الميول العلمية لدى طلبة صفوف أخرى، و توفر دليلاً تدريسياً للوحدة الثالثة "جسم الإنسان وصحته" في مبحث العلوم للصف السادس الأساسي يمكن استخدامه في التدريس لتحسين مستوى التحصيل وتنمية الميول العلمية.

حدود الدراسة ومحدداتها: يقتصر تعميم نتائج هذه الدراسة في ضوء الحدود والمحددات الآتية:

1- الحدود البشرية والمكانية: اقتصرت هذه الدراسة على طلبة الصف السادس الأساسي في مدرسة خاصة في عمان.

2- الحدود الزمانية: جرى تطبيق هذه الدراسة في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي 2015/2014.

3- الحدود الموضوعية: اقتصرت هذه الدراسة على الوحدة الثالثة "جسم الإنسان وصحته"، ويعتمد تعميم نتائجها بحسب بطبيعة أدوات الدراسة وفي ضوء خصائصها السيكومترية من صدق وثبات.

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري: يعد استخدام التشبيهات في التدريس من أهم الاستراتيجيات لتسهيل تدريس المفاهيم العلمية المجردة، فالتفسير التشبيهي يقوم على استخدام مخطط لمفهوم معروف في وصف وكشف خصائص مفهوم غير معروف؛ لإيجاد علاقة ارتباطية بين المفهومين، وذلك لتسهيل مهمة انتقال التعلم. وتعزز التشبيهات كفاءة الطلبة في أثناء دراسة العلوم في بناء المفهوم وتزيد من قدراتهم المعرفية، فمثلاً تشبيه العين بالكاميرا يسهل على الطلبة تعلم المفاهيم المتصلة بالعين البشرية (Chuang & She,2013). إن توظيف التشبيهات في عملية التعلم يمثل جسراً يربط بين المفاهيم غير المألوفة للمتعلمين مع المفاهيم الموجودة لديهم مسبقاً، فهي تعينهم على بناء تصورات وبنى معرفية للمفاهيم المجردة، وإن أي مشكلة تبدو غريبة وغير مألوفة يمكن فهمها إذا ما تم توظيف التشبيهات في التعامل معها، فالربط بين المفاهيم وبالذات المفاهيم المجردة مع البنى المعرفية القائمة في أذهان الطلبة هو مقصد من مقاصد النظرية البنائية في التعلم (Broun, 1993).

وتعرّف إستراتيجية التشبيهات بأنها حالات يتم خلالها عقد مقابلة (مماثلة) وتحديد السمات المشتركة فيما بين مفهومين أو أكثر، وذلك بهدف تسهيل تعلم الطالب لمادة التعلم (Glynn, 1994)، في حين يعرّف عبد السلام (2001) استراتيجية التشبيهات بأنها إستراتيجية للتدريس تقوم على توضيح ومقارنة ومشابهة المفاهيم والظواهر المراد تعليمها للطلاب بالمفاهيم والظواهر المألوفة والموجودة في بنيتهم المعرفية من قبل.ولعل استخدام استراتيجية التشبيهات تعد من أهم الاستراتيجيات في التقريب بين ما هو اجتماعي في الأصل وبين ما يمكن أن يكتسبه المتعلم ليكون جزءاً من بنيته المعرفية، ويحتاج المتعلم إلى تدخل المعلم لدعم عملية التعلم، وينقله من مستوى النماء الحقيقي وهو ما يعرف بأنه الوظائف العقلية الناضجة عند المتعلم إلى مستوى النماء الممكن وهو ما سيكون عليه المتعلم في المستقبل القريب، ويستخدم المعلم في منطقة النماء القريب خبراته واستراتيجياته في معاونة المتعلم على عبورها لتحقيق أغراض التعلم (Roth, 2004).

إن ربط التعلم اللاحق بالتعلم السابق وحفز الطلبة على إقامة علاقات ارتباطية بين الخبرات السابقة واللاحقة وفق تصميمات تدريسية مناسبة، وعمل التشبيهات ذات الدلالة تعد من أهم واجبات المعلم وفق المنحى المعرفي للتعلم، وكذلك تدريب الطلبة على زيادة مخزون التشبيهات الموجودة لديهم وإثرائها يجعل عملية التعلم عملية نشطة وهادفة، ويسهم في بناء اتجاهات إيجابية نحو عملية التعليم، ويساعد الطلبة على التكيف وحل مشكلاتهم، والسيطرة على تعلمهم (قطامي وآخرون، 2002).

وكذلك فإن استخدام التشبيهات في الغرف الصّفية يساعد الطلبة على عمل الصلة بين الحياة اليومية التي يعيشونها والمفاهيم المرجو تعلمها، كما تساعد التشبيهات في تشكيل صلة وثيقة بين المعرفة الحالية الموجودة عند الطلبة والمعرفة الجديدة، وبشكل عام فإن الأفراد غالبا ما يستخدمون التشبيهات في حياتهم اليومية وخصوصاً عندما يحاول الفرد شرح أو توضيح شيء للآخرين، وقد مكّن التفكير التشبيهي الكثير من العلماء في الوصول إلى اكتشافات علمية مهمة، فعلى سبيل المثال إن العالم كيكول (August Kekule) استوحى فكرة هيكل حلقة البنزين من حركة ذيل الثعبان في أثناء المطاردة، وعليه؛ فإن استخدام التشبيهات في التدريس يمكّن المدرسين من مساعدة الطلبة على بناء نماذج عقلية تكون رابطا للأفكار والمفاهيم الجديدة التي تكون مجردة في بعض الأحيان بالتجارب والخبرات السابقة لديهم (Rena & Sandra, 2008).

ويمكن تقسيم التشبيهات إلى نوعين رئيسين هما: التشبيهات الهيكلية والتشبيهات الوظيفية؛ ففي التشبيهات الهيكلية يتم التركيز على الهيكلة أو الشكل الهيكلي الخارجي بين المفهوم الهدف والمفهوم المشبه به، وعلى سبيل المثال (الأرض مثل البرتقالة). أما التشبيهات الوظيفية فهي تركز على الأداء أو السلوك أو ميكانيكيات العمل مثل القول بأن (الخلية مثل الثلاجة) (Rena & Sandra, 2008). ويرى جفريز (Jeffrries, 2003) أنّ التفسير من خلال التشبيهات يعد من أهم الأدوات اللازمة لتنمية الميول العلمية، كما أن التشبيه لا يستخدم فقط في الحياة اليومية كلغة دارجة بين الناس وإنما يستخدم أيضا كعملية منظمة وبصورة دائمة في عمليات التدريس، وتحديداً في الموضوعات التي تتسم بقدر من الصعوبة، وغالباً ما تستخدم التشبيهات والاستعارات في تدريس المفاهيم المجردة والنظرية، ويعتمد المعلم في ذلك على الوسائل اللغوية للإشارة إلى الشبه القائم بين المفاهيم أو المجالات التي تتم فيها المقارنات، وهناك الكثير من الأدلة على أن المعلمين يستخدمون التشبيهات دون التطرق إلى الأسس التي تقوم عليها عمليات التشبيه، وهذا قد يقود إلى مشكلات في فهم الطلبة.وتعد الميول العلمية محط اهتمام العلماء والباحثين لما لها من أهمية في دفع المتعلم نحو التعلم والاهتمام به. ولقد تعدد تعريفات الميول بحسب توجهات العلماء والباحثين، فمنهم من عرفها على أنها نزعة سلوكية توجه الفرد نحو نوع من الأداء (الحريري، 2007)، كما عُرّفت على أنها مجموعة من الاستعدادات الفطرية التي تثير فضول الفرد نحو موضوع معين (عبدالهادي، 2002)، ويمكن تعريفها أيضا أنها الدافع لكافة أقوال وأعمال الفرد وممارساته التي يقوم بها (الحريري، 2010).

وللميول أنماط مختلفة مثل: الميول التعبيرية التي يعبر من خلالها الطلبة باستخدام كافة طرق التعبير اللفظي والإشاري والحركي عما يجول في خواطرهم، والميول السلوكية التي تنعكس على السلوك التعلمي للطلبة في أثناء النشاط الصفي وخارج الغرفة الصفية، والميول التحصيلية التي تظهر على الطلبة من خلال اهتمامهم ورغبتهم وسعيهم للحصول على أعلى الدرجات، وأخيرا الميول القياسية التي يمكن الكشف عنها من خلال الاستبانات والمقاييس، وتوظَّف للمقارنة بين شدة الميول نحو مختلف جوانب الحياة (علام، 2002).وهناك العديد من الخصائص والسمات التي تتميز بها الميول العلمية؛ فالميول مكتسبة قد تكتسب في البيت أو في المدرسة أو من خلال البيئة المحلية. كما أنها تميل إلى الاستقرار بعد تشكّلها لدى الفرد، وتمثل قوة دافعة للمتعلم تدفعه نحو القيام بسلوك معين، إضافة إلى قابليتها للقياس والتقويم من خلال الاستجابات اللفظية المنطوقة أو المكتوبة، أو من خلال الملاحظة المباشرة، إلا أن نقصها يؤدي إلى اضطرابات في شخصية المتعلم، فهي في حقيقتها قدرة انفعالية نفسية، وعادة ما تقترن بالسلوك، فالطالب الذي لديه ميولٌ علمية يفضل ممارسة أنشطة علمية أو أنشطة مرتبطة بالعلوم أكثر من أنواع الأنشطة الأخرى (الآغا واللولو، 2004).وللميول العلمية أهمية كبرى في نشاط المتعلم، وبناء شخصيته، بالإضافة إلى أن مكونات الميول العلمية تعد ذات أهمية لتعلّم المتعلم المباحث ذات الطبيعة العلمية، فهي تؤدي إلى إدماج المتعلم بصورة حاسمة في عملية التعليم. وفي الحقيقة فإن الميول العلمية تعكس ما يهتم به الطلبة من أعمال وأنشطة وأبحاث ودراسات علمية انطلاقاً من رغبتهم في تحقيق دافع داخلي عندهم (زيتون، 1987). كما أنه يعد عاملا حاسماً في نجاح عمليات التعلم والتعليم، وفي الحقيقة لا يكون التعليم فاعلاً إلا إذا توفرت الرغبة لدى المتعلم لذلك التعلم، وكذلك الميل لاستكمال ما تعلمه من خلال المتابعة، أو الابتكار والإنتاج في المجالات ذات الطبيعة العلمية (عبدالسلام وإبراهيم، 1993).ولا بد أن يركز المنهاج الحديث على ميول الطلبة العلمية

التي تساعدهم على تنفيذ المهمات التعليمية، وتزيد من نشاطهم وفاعليتهم في التعلم، وترفع مستوى تحصيلهم الدراسي واهتمامهم بما ينفذونه من مهمات، بل يجب أن يتعدى ذلك من خلال بناء ميول علمية لدى الطلبة تجعل عملية التعلم جزءاً من حياتهم داخل المدرسة وخارجها، لتصل إلى مستويات تقود توجهاتهم وتفضيلاتهم المهنية في حياتهم المستقبلية (الكوافحة، 2010). وبما أن الميول مكتسبة ولها في ذات الوقت دورٌ مهمٌ في التعلم والأداء والسلوك فإن على المدرسة بشكل عام ومعلم العلوم على وجه الخصوص أن يهتم بإكساب الطلبة ميولا إيجابية، ويشبع اهتماماتهم وحاجاتهم، وكذلك يوظف استراتيجيات التدريس التي تعزز الميول الإيجابية نحو المبحث الذي يدرّسه (العيسوي، 2002). فقد أكد كل من براون (Brown, 1996))، وكافالو ومايرز (Cavallo & Myers, 2001) إلى أن استراتيجيات التدريس القائمة على المنحى البنائي كاستراتيجية المتشابهات وحل المشكلات تلعب دوراً كبيراً في تحسين ميول الطلبة العلمية والاستقصاء العلمي. وتعد تنمية الاتجاهات المرغوبة هدفاً أساسياً وهاماً من أهداف التربية، وهي لا تقل أهمية عن اكتساب المعرفة العلمية، وتطوير مهارات التفكير العلمية. ويذهب بعض المربين إلى اعتبار تنمية الاتجاهات الهدف الأساسي للتربية العلمية. فالاتجاهات الإيجابية نحو العلوم تؤدي إلى زيادة اهتمام الطلبة بها، وتؤدي إلى زيادة تحصيلهم العلمي. من هذه الدراسات دراسة كانون وسمبسون (Cannon & Simpson, 1985) . وقد يلعب التحصيل دوراً بارزاً في تنمية التحصيل، فالميول تتأثر بعوامل متعددة منها توقعات النجاح، وتوجهات المعلمين والوالدين، والصف الدراسي (Mattern & Sehau, 2000).

ثانياً: الدراسات السابقة: تمت مراجعة الدراسات ذات العلاقة والمرتبطة بالتشبيهات، ففي دراسة توماس ومكروبي (Thomas &MCroobbie, 2000) التي هدفت إلى معرفة أثر التدريس باستخدام التشبيهات في تحسين مهارات ما وراء المعرفة وعمليات العلم وتعلم الكيمياء. وتكونت عينة الدرسة من (24) طالباً من طلبة الصف الحادي عشر في إحدى المدارس الحكومية الأسترالية. وقد دلت النتائج أن لدى لطلبة ميلاً إلى تحسن مهارات ما وراء المعرفة وعمليات العلم وتعلم المفاهيم الكيميائية، كما كشفت الدراسة أن استخدام التشبيهات في تدريس الطلبة يسهل عملية التأمل كعملية رئيسية من مهارات ما وراء المعرفة.

وأجرى بليك (Blake, 2004) دراسة هدفت إلى تقصي فاعلية استخدام التشبيهات في فهم الطلبة لمادة العلوم, وقد تكونت عينة الدراسة من (60) طالبا تراوحت أعمارهم بين (9-11) سنة في إحدى المدارس البريطانية, موزعين على مجموعتي الدراسة؛ التجريبية والضابطة. أشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية في فهم الطلبة لدورة الصخور؛ وكانت الفروق لصالح المجموعة التجريبية, حيث تفوق طلبة المجموعة التجريبية في امتلاكهم لكم أكبر من المفاهيم المرتبطة بالصخور وتصنيفها, إضافة لتعبيرهم عن علاقات صحيحة بين تلك المفاهيم.

وهدفت دراسة روول وفيرلتي (Rule and Furletti,2004) إلى تقصي أثر استخدام التشبيهات الشكلية و الوظيفية (From and function analogy object boxes) مقابل استخدام طريقة التشبيهات وطريقة المحاضره العادية وأوراق العمل في تعلم الطلبة للمفاهيم المرتبطة بأربعة من أجهزة جسم الانسان: الهيكل العظمي, والجهاز الهضمي, وجهاز المناعة والجهاز العصبي, طبقت الدراسة على 32 طالبا من الصف العاشر في نيويورك, وزعوا على مجموعتين متساويتين تجريبية وضابطة استنادا إلى نتائج اختبار تقدموا له. أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق كبيرة ذات دلالة احصائية بين أداء الطلبة على الاختبار البعدي؛ و لصالح التجريبية, وأشارت عملية استطلاع الطلبة حول استخدام التشبيهات الشكلية والوظيفية ان استخدام هذه الطريقة سهل عليهم تعلم المفاهيم وفهمها, إضافة إلى استمتاعهم بعملية التعلم, وأن استخدام هذه الطريقة عمل على ربط خبراتهم الحياتية بموضوع التعلم.

وهدفت دراسة عابد والحيلة (2009) التي هدفت إلى مقارنة أثر استرتيجيتي التشبيهات ودورة التعلم في اكتساب المفاهيم الحياتية والاحتفاظ بها لدى عينة مكونة من (68) طالبا وطالبة تخصص (معلم صف) في كلية العلوم التربوية التابعة لوكالة الغوث الدولية (الأنروا) في الأردن، تم توزيع أفراد الدراسة إلى ثلاث مجموعات، مجموعتين تجريبيتين (التشبيهات، و دورة التعلم)، ومجموعة ضابطة درّست بالطريقة الاعتيادية. أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق دالة إحصائيا في اكتساب المفاهيم

الحياتية والاحتفاظ بها. لصالح الطلبة الذين درّسوا باستخدام التشبيهات التدريسية مقارنة بالطلبة الذين تم تدريسهم باستراتيجية دورة التعلم والطريقة الاعتيادية في التدريس.

وتقصت دراسة عابد (2005) أثر استخدام التشبيهات في النمو المفاهيمي والاتجاهات نحو العلوم لدى طلبة الصف السادس الأساسي في الأردن. استخدم الباحث المنهجية شبه التجريبية، تكونت عينة الدراسة من (80) طالبا موزعين مناصفة في شعبتين، تجريبية وضابطة. أظهرت النتائج فروقاً دالة إحصائياً في اكتساب المفاهيم العلمية والاتجاهات نحو تعلم العلوم لصالح المجموعة التجريبية، ولم تظهر فروقا ذات دلالة إحصائية في اكتساب المفاهيم العلمية والاتجاهات نحو تعلم العلوم تعزى لمستوى تحصيل الطلبة العلمي، أو التفاعل بين مستوى التحصيل العلمي وطريقة التدريس.

وتقصت دراسة الآغا (2007) أثر استخدام استراتيجية المتشابهات في اكتساب المفاهيم العلمية والاحتفاظ بها في مادة العلوم لطالبات الصف التاسع الأساسي بغزة، تكونت العينة من (80) طالبة، قسمن بالتساوي إلى مجموعتين تجريبية وضابطة. استخدمت الباحثة المنهج التجريبي ولتحقيق اهداف الدراسة تم اعداد أدوات الدراسة: اختبار المفاهيم العلمية ودليلا للمعلم ونشاط للطالب وأكدت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين أداء طالبات المجموعة التجريبية والضابطة لصالح الطالبات اللواتي درسن بطريقة المتشابهات، كما أظهرت فرقاً دالاً إحصائيا في التحصيل المؤجل بين المجموعتين لصالح المجموعة التجريبية أيضا.

وهدفت دراسة المومني (2007) إلى بحث أثر استخدام استراتيجية المشابهه في تنمية مهارات التفكير الابتكاري وفهم طبيعة العلم لدى طلبة المرحلة الأساسية في الأردن. تكونت عينة الدراسة من (50) طالبة من الصف الخامس قسمن بالتساوي إلى مجموعتين تجريبية وضابطة. استخدمت الباحثة ثلاث أدوات دراسة: اختبار التفكير الابتكاري، اختبار طبيعة العلم، ونموذج تنفيذ استراتيجية المشابهة. أكدت نتائج الدراسة وجود فرق دال إحصائيا على مستوى الدلالة (α=0.05) يعزى لاستخدام استراتيجية التشبيهات في مهارات التفكير الابتكاري ككل وفي كل مهارة من المهارات الفرعية (الطلاقة، والمرونة، والأصالة) لصالح المجموعة التجريبية، كما أظهرت نتائج الدراسة وجود فرق دال إحصائيا على مستوى الدلالة (α=0.05) يعزى لاستخدام استراتيجية التشبيهات في فهم طبيعة العلم لصالح المجموعة التجريبية.

وهدفت دراسة دلبر ودجن (Dilber& Dugun,2008) إلى معرفة أثر التدريس بالتشبيهات في اكساب مفاهيم الفيزياء لطلبة المرحلة الثانوية في تركيا. وقد استخدم الباحثان المنهج التجريبي على عينة عشوائية عددها (78) طالباً قسموا إلى مجموعتين: مجموعة تجريبية وضابطة. وقد استخدم الباحثان اختبارا خاصا بالمفاهيم الكهربائية في منهاج الفيزياء وبعد تطبيق التجربة ومعالجة البيانات احصائيا أكدت النتائج أن طلبة المجموعة التجريبية كان أداؤهم أفضل من طلاب المجموعة الضابطة في اختبار المفاهيم الفيزيائية، وهذا يدعم فرضية وجود أثر إيجابي لاستخدام التشبيهات في إكساب طلبة المرحلة الثانوية مفاهيم الفيزياء مقارنة بالتدريس التقليدي.

وهدفت دراسة القطراوي (2010) إلى تعرّف أثر استخدام المتشابهات في تنمية عمليات العلم ومهارات التفكير التأملي في العلوم لدى طلاب الصف الثامن الأساسي بغزة. استخدم الباحث المنهج شبه التجريبي على عينة قصدية مكونة من (64) طالباً قسموا إلى مجموعتين؛ تجريبية وضابطة بالتساوي، ووزعتا عشوائياً.وقد استخدم الباحث اختبار عمليات العلم واختبار مهارات التفكير التأملي وأداة تحليل محتوى كأدوات للدراسة، أكدت نتائج الدراسة وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05) بين أداء طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة في فهم عمليات العلم تعزى لاستخدام استراتيجية المتشابهات، وكذلك أظهرت الدراسة وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05) بين أداء طلبة المجموعتين في مهارات التفكير التأملي تعزى لاستخدام استراتيجية المتشابهات.

وهدفت دراسة بغدادي (2010) تعرف فاعلية توظيف التشبيهات في تدريس وحدة (خصائص المادة وتركيبها) في مادة العلوم لدى طالبات الصف الأول المتوسط على تنمية التحصيل وتنمية عمليات العلم. ولتحقيق ذلك استخدمت الباحثة المنهج شبه

التجريبي على عينة من طالبات الصف الأول المتوسط بالمدرسة المتوسطة بمدينة مكة المكرمة بلغ عددها (108) طالبات، وقد قسمت العينة إلى مجموعتين: تجريبية درست باستخدام التشبيهات، وضابطة درست بالطريقة التقليدية. أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطالبات في المجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي للاختبار التحصيلي واختبار عمليات العلم، كما جاء حجم الأثر كبيرا في مستويات التحصيل الثلاثة (التذكر، والفهم، والتطبيق)، بينما جاء حجم الأثر متوسطا في عمليات العلم.

وسعت دراسة براسك وجولدمان (Brassch & Goldman, 2010) إلى الكشف عن أثر تقديم محتوى يتضمن تشبيهات علمية مألوفة للطلبة في تحصيلهم للمفاهيم في مبحث الضغط الجوي وظاهرة النينو في شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية، استخدم الباحثان المنهج التجريبي على عينة من (60) طالباً قسموا إلى أربع مجموعات في ضوء خبراتهم السابقة بمفهوم الضغط الجوي ومعرفتهم بإطار السيارة عند نزع صمام الهواء عنه، مجموعتين تجريبيتين ومجموعتين ضابطتين. أكدت نتائج الدراسة تقدم المجموعتين التجريبيتين في تحصيل المفاهيم العلمية المتعلقة بالضغط الجوي وظاهرة النيتو، كما بينت النتائج أهمية المعرفة السابقة بالمشبه به (إطار السيارة)، إذ تقدم الطلبة الذين يمتلكون معرفة سابقة بالمشبه به على الطلبة الذين لا يعرفون تلك الظاهرة، مما يؤكد على أهمية معرفة الطلبة بمفهوم المشبه به لدى استخدامه في عملية التشبيه.

وهدفت دراسة موافي (2010) حيث هدفت هذه الدراسة إلى تدريس وحدة الأعداد النسبية لطالبات الصف الثاني المتوسط بالتشبيهات وفق نموذج جلين وأثر ذلك على تنمية التفكير الناقد. وقد استخدمت الباحثة المنهج شبه التجريبي على عينة من طالبات الصف الثاني المتوسط بمدينة جدة بلغ عددها (63) طالبة، قسمت الطالبات إلى مجموعتين: تجريبية تم تدريسها باستخدام التشبيهات وفق نموذج جلين، وضابطة تم تدريسها بالطريقة الاعتيادية. أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطالبات في المجموعة التجريبية ومتوسط درجات الطالبات في المجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي.

وأجرت الشرمان (2011) دراسة هدفت إلى استقصاء أثر استخدام التشبيهات والنماذج في اكتساب المفاهيم العلمية ومهارات التفكير الناقد في مادة العلوم ودافعية الطلبة نحو تعلم العلوم لدى طلبة الصف الثامن في مدينة إربد. طبقت على عينة من (124) طالبة موزعات على ثلاث شعب، درست الأولى باستخدام التشبيهات، والثانية بالنماذج، والثالثة بالطريقة الاعتيادية. أظهرت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائيا في اكتساب المفاهيم العلمية، ومهارات التفكير الناقد، والدافعية نحو تعلم العلوم لصالح الشعب التي تم تدريسها من خلال التشبيهات والنماذج مقارنة بالطالبات اللواتي درسن بالطريقة الاعتيادية.

أما دراسة الحراحشة (2012) فقد هدفت إلى استقصاء أثر استراتيجية المماثلة في اكتساب المفاهيم العلمية ومستوى أداء عمليات العلم الأساسية لدى طلبة الصف الخامس الأساسي في قصبة المفرق. طبقت الباحثة المنهج شبه التجريبي على (64) طالبة، وزعن بالتساوي إلى مجموعتين تجريبية وضابطة. أظهرت نتائج الدراسة وجود فرق دال إحصائيا بين متوسطي علامات الطالبات في مجموعتي الدراسة على اختبار المفاهيم العلمية لصالح الطالبات اللواتي درسن بالطريقة التجريبية. كما توصلت الدراسة إلى وجود فرق دال إحصائيا بين متوسطي علامات الطالبات في اختبار أداء عمليات العلم الأساسية لصالح أفراد المجموعة التجريبية.

أما دراسة برايس ومكملان (Bryce & MacMillan, 2012) فهدفت إلى الكشف عن تحسين تدريس المفاهيم العلمية باعتماد التشبيهات، واعتمدت قانون الفعل ورد الفعل كحالة في الفيزياء. تكونت العينة من (21) طالباً من جلاسكو في بريطانيا، وقد قسم الطلبة إلى ثلاث مجموعات بالتساوي: المجموعة الأولى لم تدرس القوى أو قانون نيوتن الثالث، والثانية درست القانون بالطريقة الاعتيادية، أما الثالثة فقد درست القوى وتأثيراتها فقط. أظهرت نتائج المقابلات الشخصية للطلبة أن استخدام

التشبيهات في تدريس قوة الفعل ورد الفعل كانت أكثر فاعلية في إكساب الطلبة المفاهيم المتضمنة في القانون من الطريقة الاعتيادية، وتجاوزت آثار استخدام التشبيهات إلى تطوير ودعم المهارات العقلية والمهارات فوق المعرفية لدى الطلبة.

وهدفت دراسة العضيلة (2013) إلى الكشف عن أثر استخدام التشبيهات في تدريس العلوم لتنمية التحصيل والاتجاه نحو المادة لدى طلاب الصف الأول المتوسط بمحافظة المهد التعليمية بالمملكة العربية السعودية. استخدم الباحث المنهج التجريبي على عينة من (80) طالبا، ةوعوا على مجموعتي الدراسة؛ التجريبية والضابطة. أظهرت نتائج الدراسة فاعلية استخدام التشبيهات في تحصيل الطلبة في العلوم وفس اتجاهاتهم نحو العلوم.

وبحثت دراسة حداد (2014) أثر استخدام استراتيجية مقترحة توظف (التشبيهات - المتناقضات) في تنمية التفكير الناقد ومستوى التحصيل في مادة العلوم العامة لدى طالبات الصف العاشر بغزة. طبقت الدراسة على من (88) طالبة وزّعن بالتساوي على مجموعتي الدّراسة التجريبية والضابطة. أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند (α=0.05) بين متوسطي درجات طالبات المجموعتين التجريبية والضابطة؛ ولصالح الطالبات اللواتي درسن بالاستراتيجية (المتشابهات- المتناقضات).

وأجرى السليمان (2014) دراسة لاستقصاء أثر استراتيجية المتشابهات في اكتساب المفاهيم العلمية ومهارات عمليات العلم لدى طلبة الصف السابع الأساسي في الأردن. تكون العينة من (50) طالبا، وزعوا بالتساوي على مجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة. أظهرت نتائج الدراسة وجود فرق دال إحصائيا بين متوسطي علامات طلبة مجموعتي الدراسة في المهارات العلمية وعمليات العلم؛ ولصالح طلبة المجموعة التجريبية.

وهدفت دراسة شرمان وخطايبة (2015) إلى تحليل جميع كتب العلوم المقررة للطلبة في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي في الأردن، بهدف الكشف عما تضمنته من تشبيهات، واستقصاء أثر استخدام التشبيهات في اكتساب المفاهيم العلمية لدى طالبات الصف الثامن الأساسي. شملت العينة (83) طالبة، قسمن إلى مجموعتين: تجريبية (41) طالبة، وضابطة (42) طالبة. أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات اكتساب المفاهيم العلمية لدى طالبات الصف الثامن الأساسي تعزى إلى استراتيجية التدريس لصالح الطالبات اللواتي درسن باستخدام التشبيهات في التدريس مقارنة بالطالبات اللواتي درسن باستخدام الاستراتيجية الاعتيادية.

تعقيب على الدراسات السابقة: يتبين من استعراض الدراسات السابقة المتعلقة بالتشبيهات أن هذه الدراسة قد تشابهت مع بعض الدراسات التي بحثت في أثر استراتيجية التشبيهات في متغير تابع أو أكثر، كالتحصيل، وعمليات العلم، وتحصيل الطلبة للمفاهيم العلمية، كما ربطت بعض الدراسات بين توظيف استراتيجية التشبيهات في التدريس واتجاهات الطلبة. كما تشابهت مع بعض الدراسات التي استخدمت المنهج شبه التجريبي، أو التي اختارت عينتها من طلبة المدارس.

وتتميز هذه الدراسة عن بقية الدراسات السابقة بتاولها لأثر استخدام استراتيجية التشبيهات في الميول العلمية في ضوء مستوى تحصيلهم في مبحث العلوم العامة.

الطريقة والإجراءات

منهج الدراسة: نهجت هذه الدراسة منهجاً شبه تجريبي لمناسبته لأغراض الدراسة، نظرا لاشتمالها على مجموعتين تجريبية وضابطة.

أفراد الدراسة: اختير (50) طالباً وطالبة في شعبتين قصدياً من الصف السادس الأساسي في مدرسة خاصة ووزعتا عشوائياً على مجموعتي الدراسة، مجموعة تجريبية (25) طالباً وطالبة والأخرى ضابطة (25) طالباً وطالبة، وقسم أفراد الدراسة إلى ثلاث فئات (مرتفع، متوسط، منخفض) وفقاً لمستوى تحصيلهم المدرسي في العلوم للفصل الدراسي الأول.

أدوات الدراسة:

أولا: مقياس الميول العلمية: استخدم مقياس الميول العلمية ونموها الذي بناه وصممه زيتون (1987) لطلبة الصفين التاسع الأساسي، والثالث الثانوي الأكاديمي بفرعيه العلمي والأدبي في المدارس الحكومية في الأردن. وتألف المقياس بصورته النهائية من

(48) فقرة تغطي العناصر السلوكية والوجدانية والمعرفية للميول العلمية. كما تضمن المقياس بشكل عام أشكال السلوك اللفظي للميول العلمية، وهي: التوسع الحر في القراءة العلمية، والاستفسار، والتساؤل، والشرح، والرغبة، والحب، وأشكال السلوك غير اللفظي للميول العلمية. وتكون المقياس من سلم خماسي (Likert) كما يأتي: (نادرة=1؛ قليلة=2؛ متوسطة=3؛ كبيرة=4؛ كبيرة جداً=5). وأجريت بعض التعديلات على المقياس لتناسب مستوى اللغة والفئة العمرية لطلبة الصف السادس الأساسي.

صدق مقياس الميول العلمية: للتحقق من صدق مقياس الميول العلمية عُرِضَ على (8) من المتخصصين في أساليب تدريس العلوم، والمناهج العامة، وآخرين في مجال علم النفس التربوي، للحكم على ملاءمة فقرات المقياس ومناسبتها للكشف عن الميول العلمية عند طلبة الصف السادس الأساسي، وأخذ بآراء وملاحظات المحكمين التي أجمع عليها ما يزيد على(80%) منهم، فحذف من المقياس عشر (10) فقرات وأصبح المقياس بصورته النهائية مكوناً من (38) فقرة.

ثبات مقياس الميول العلمية:للتحقق من الثبات طبق على (24) طالباً من طلبة الصف السادس الأساسي في مدرسة أخرى خارج عينة الدراسة، واستخدم معامل (كرونباخ ألفا) لحساب معامل الاتساق الداخلي ووجد (0.93).

ثانيا: المادة التعليمية

دليل استخدام استراتيجية التشبيهات: تم إعداد دليل لاستخدام استراتيجية التشبيهات في تدريس الوحدة الثالثة "جسم الإنسان وصحته" في مبحث العلوم للصف السادس الأساسي وفقاً للخطوات الآتية:

- اختيار الوحدة الثالثة "جسم الإنسان وصحته" من مبحث العلوم العامة لطلبة الصف السادس الأساسي؛ لمناسبة التوقيت الزمني لتدريسها، واحتوائها على عدة مفاهيم ومصطلحات يمكن تكييف تدريسها لتقدم وفق استراتيجية التشبيهات.
- تحليل محتوى الوحدة الثالثة "جسم الإنسان وصحته".
- الاطلاع على الأدب النظري المتعلق باستراتيجية التشبيهات، والرجوع لدراسات استخدمت التشبيهات في مبحث العلوم.

وعليه، تمّ تصميم التدريس للوحدة وفق نموذج تعليمي مستند إلى التشبيهات (عابد،2005؛ المومني، 2007؛ الآغا، 2007؛ القطراوي، 2010؛ Chiu & Lin, 2005؛ Milne, 2008). وروجعت مجموعة من النماذج التي تصف خطوات تقديم التشبيهات للطلبة (Glynn et al. ,1989) التعليم باستخدام التشبيهات (TWA) (Teaching with Analogy Model)، والنموذج العام للتعليم المتضمن بالتشبيهات (GMAT) (The General Model of Analogy Teaching) لمطوره زيتون (Zeitoun, 1984)، ومنحى التدريس بالتشبيهات المجسرة ((Bridging Analogies Approach (BAA) الذي اقترحه براون وكلمنت (Broun & Clement, 1989)، ونموذج العمل بالتشبيهات (Working With Analogies) والخطوات التي اقترحها نيوتن (Newton, 2000).

- رصد الأمثلة من حياة طلبة الصف السادس الأساسي والمرتبطة بجسم الإنسان وصحته.
- إعادة تصميم محتوى الوحدة الثالثة "جسم الإنسان وصحته" بما يتناسب مع استراتيجية التشبيهات.
- استخلاص صدق الدليل من خلال عرضه على محكمين من ذوي الاختصاص.

وقد تضمن الدليل بصورته النهائية ما يأتي:

- إطاراً نظرياً حول استراتيجية التشبيهات.
- الهدف العام من الدليل والنتاجات التعلمية التعليمية.
- الفئة المستهدفة زمن التطبيق.
- خططاً دراسية لدروس الوحدة الثالثة "جسم الإنسان وصحته".

صدق دليل استخدام استراتيجية التشبيهات:للتحقق من صدق دليل استخدام استراتيجية التشبيهات عرض على عدد من المتخصصين في أساليب تدريس العلوم، والمناهج العامة، ومشرفين تربويين لمبحث العلوم، للحكم على ملاءمتة لتنفيذ دروس الوحدة الثالثة "جسم الإنسان وصحته" من مبحث العلوم العامة للصف السادس الأساسي. وأجريت بعض التعديلات في

إجراءات تنفيذ استراتيجية التشبيهات. وقد خرج الدليل بصورته النهائية متضمناً (11) حصة صفية، والمدة الزمنية لكل منها (45) دقيقة.

متغيرات الدراسة:تشتمل هذه الدراسة على المتغيرات الآتية:

1. **المتغيرات المستقلة:**

- استراتيجية التدريس ولها مستويان (التشبيهات، والطريقة الاعتيادية).
- التحصيل: وله ثلاثة مستويات (منخفض، متوسط، مرتفع)

2. **المتغير التابع:** الميول العلمية لدى الطلبة.

تصميم الدراسة: استخدمت هذه الدراسة المنهج شبه التجريبي، الذي يعتمد مجموعتين: إحداهما تجريبية تدَرّس من خلال التّشبيهات، والأخرى ضابطة تدَرّس بالطريقة الإعتيادية.

EG: O1 X O1

CG: O1 - O1

EG: المجموعة التجريبية. و CG: المجموعة الضابطة.

O1: مقياس الميول العلمية (قبلي، وبعدي).

X: المعالجة التجريبية (التدريس باستراتيجية التشبيهات).

إجراءات تنفيذ الدراسة:لتحقيق أغراض هذه الدراسة والإجابة عن أسئلتها قام الباحثون بالخطوات الآتية:

1- الحصول على الأذونات الرسمية لتطبيق الدراسة في مدارس وزارة التربية والتعليم.

2- اختيار الشعبتين قصدياً، وتعيينهما عشوائياً على مجموعتي الدراسة، وتحديد فئات الطلبة وفقاً لمستوى تحصيلهم في ضوء تحصيلهم في الفصل الدراسي الأول (مرتفع، متوسط، منخفض)

3- إعادة تنظيم المادة التعليمية وإعداد خطة التدريس المبنية على التشبيهات.

4- إعداد أدوات الدراسة واستخلاص صدقها وثباتها.

5- تطبيق أداة الدراسة – مقياس الميول العلمية تطبيقاً قبلياً على مجموعتي.

6- تنفيذ التجربة باستخدام التشبيهات، وتدريس الوحدة نفسها للمجموعة الضابطة بالطريقة الاعتيادية.

7- تطبيق مقياس الميول العلمية على المجموعتين التجريبية والضابطة تطبيقاً بعدياً.

8- جمع البيانات وتنظيمها ومعالجتها إحصائياً.

المعالجة الإحصائية: استخدمت التحليلات الإحصائية الآتية للإجابة عن أسئلة الدراسة:

-المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأداء الطلبة على مقياس الميول العلمية، واستخدم تحليل التباين المصاحب (ANCOVA) لمقارنة متوسطات أداء الطلبة في استجاباتهم على مقياس الميول العلمية. وحسب مربع ايتا (η^2) لمعرفة حجم الأثر والتباين المفسّر لأثر استراتيجية التّدريس في التباين الكلي في المتغيرات التابعة.

نتائج الدّراسة ومناقشتها

أولا: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: هل توجد فروق ذات دلالة احصائية عند (0.05) في الميول العلمية لدى طلبة السادس الاساسي تعزى لاستراتيجية التدريس (التشبيهات، والطريقة الاعتيادية)؟ وللإجابة عن هذا السؤال حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعلامات الطلبة في المجموعتين الضابطة والتجريبية على مقياس الميول العلمية، الموضحة في الجدول (1)

الجدول (1) أعداد الطلبة والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية القبلية والبعدية والمعدلة لاستجابات أفراد مجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة على مقياس الميول العلمية

المجموعة	القبلي	البعدي	المعدل

	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الضابطة	**25**	3.71	0.43	3.96	.233	3.95	1.25
التجريبية	**25**	3.66	0.29	4.21	.194	4.21	1.15
الكلي	**50**	3.69	0.36	4.08	.246	4.08	1.19

يتضح من الجدول (1) وجود فروق ظاهرية بين المتوسطات الحسابية للميول العلمية لدى طلبة السادس الأساسي باختلاف مستويات تحصيلهم (متدني، متوسط، مرتفع)، ولمعرفة دلالة الفروق استخدم تحليل التباين المشترك الاحادي ANCOVAالمبينة نتائجه في الجدول (2).

الجدول (2) تحليل التباين المشترك للفروق بين المتوسطات الحسابية لاستجابات افراد المجموعتين التجريبية والضابطة عن مقياس الميول العلمية

مصدر الخطأ	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	ف	مستوى الدلالة	مربع ايتا الجزئي
الميول القبلي	.309	1	.309	22.958	*.000	.348
المجموعة	.805	1	.805	59.880	*.000	.582
مستوى التحصيل	.513	2	.256	19.077	*.000	.470
التفاعل المجموعة* التحصيل	.063	2	.032	2.354	.107	.099
الخطأ	0.578	43	0.013			
الكلي	2.268	49				

*** ذات دلالة احصائية عند (α=0.05)**

يتضح من الجدول (2) وجود فروق ذات دلالة احصائية عند (0.05) بين المتوسطات في الميول العلمية تعزى لطريقة التدريس؛ ولصالح أفراد المجموعة التجريبية (التي درست باستخدام استراتيجية التشبيهات)، حيث بلغ المتوسط الحسابي لها (4.21)، مقارنة بأفراد المجموعة الضابطة (التي درست بالاعتيادية) (3.95). ومن خلال قيمة مربع إيتا نجد أن استراتيجية التدريس قد فسرت (58.2%) من التباين في الميول العلمية.

وقد تعزى هذه النتيجة إلى أن الطلبة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية بذلوا جهداً كبيراً في حفظ واستظهار المعلومة بدلاً من ربطها بخبراتهم السابقة، مما جعل التعلم لديهم عملية غير ممتعة، وأثر ذلك سلبياً في حماسهم وتشوقهم ودافعيتهم نحو التعلم. بينما نجد الطلبة الذين درسوا باستخدام التشبيهات كانوا أكثر تفاعلاً وحماساً في عملية التعلم، فعملية البحث عن التشبيهات والبحث عن أوجه الشبه والاختلاف بين المشبه والمشبه به كانت ممتعة لهم وشعروا أنهم في موقف اللعب كما هو الحال في ألعاب الألغاز والجزء المفقود. وفي نفس الوقت ربما سهلت تعلمهم، وزادت من فهمهم لطبيعة جسم الإنسان، الأمر الذي ولد لديهم شعوراً بأن مبحث العلوم ليس مبحثاً مجرداً، وأنه يمكن التمتع بتعلمه.

كما أن المعارف المتداولة لدى الطلبة في المجموعة التجريبية في مبحث العلوم كان أكبر من المعارف المتداولة لدى طلبة المجموعة الضابطة، إذ أن طلبة المجموعة التجريبية استخدموا تشبيهات وأمثلة متعددة ومتنوعة، وقاموا بربط تعلمهم بالواقع والبيئة، واستخدموا مهارات تفكير مختلفة لبناء تصورات حول المفاهيم الواردة في وحدة جسم الإنسان وصحته، مما حسّن من اتجاهاتهم وميولهم العلمية، إذ أن هناك علاقة تبادلية بين التحصيل وطرائق التفكير وبين تنمية الميول (Mattern & Sehau, 2000).

وربما أن استخدام التشبيهات في عملية التعلم وإسهام الطلبة في بناء تلك التشبيهات جعل الطلبة محور العملية التعليمية ومنحهم الحرية في التعبير عن آرائهم من غير خوف أو تردد مما ساعدهم في إكتساب المفاهيم، وبالتالي ولّد لدى الطلبة رغبة في متابعة الدرس والحرص على إتمام التعلم حتى نهايته مما انعكس بصورة إيجابية على ميولهم العلمية.

وقد اتفقت نتيجة هذه الدراسة مع النتائج التي توصلت إليها دراسة العضيلة (2013) من حيث التأثير الإيجابي لتوظيف التشبيهات في تدريس العلوم على ميول الطلبة نحو المادة التعليمية.

ثانيا:النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة احصائية عند (0.05) في الميول العلمية لدى طلبة السادس الاساسي تعزى لمستوى التحصيل (متدني، متوسط، مرتفع)؟.

للإجابة عن السؤال الثاني حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات افراد الدراسة عن مقياس الميول العملية وكانت النتائج كما هي موضحة في الجدول (3).

الجدول (3) أعداد الطلبة والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية القبلية والبعدية والمعدلة لاستجابات افراد الدراسة عن مقياس الميول العلمية

مستوى التحصيل	قبلي			بعدي		معدل	
	عدد الطلبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
متدني	15	3.4640	.33149	3.8867	.18231	3.93	0.13
متوسط	20	3.7525	.32620	4.0720	.16960	4.09	0.12
مرتفع	15	3.8167	.35940	4.3000	.21660	4.22	0.12
الكلي	50	3.6852	.36288	4.0848	.24559	4.08	0.12

يتضح من الجدول (3) وجود فروق ظاهرية بين المتوسطات الحسابية لأداء أفراد الدراسة، ولمعرفة دلالة الفروق استخدم تحليل التباين المشترك الموضحة نتائجة في الجدول (4).

الجدول (4) تحليل التباين المشترك لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية لاستجابات افراد الدراسة عن مقياس الميول العلمية

مصدر الخطأ	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	ف	مستوى الدلالة	مربع ايتا الجزئي
الميول القبلي	.309	1	.309	22.958	.000*	.348
المجموعة	.805	1	.805	59.880	.000*	.582
مستوى التحصيل	.513	2	.256	19.077	.000*	.470
التفاعل المجموعة* التحصيل	.063	2	.032	2.354	.107	.099
الخطأ	0.578	43	0.013			
الكلي	2.268	49				

*** ذات دلالة احصائية عند (α=0.05)**

يتضح من الجدول (4) وجود فروق ذات دلالة احصائية عند (0.05) في الميول العلمي لدى طلبة السادس تبعا لمستوى التحصيل، حيث بلغت قيمة ف (19.077) وتقابل مستوى دلالة (0.00). ومن خلال قيمة مربع إيتا نجد أن مستوى التحصيل قد فسر (47.0%) من التباين في الميول العلمية، ولتحديد لصالح من تعزى الفروق، استخدم اختبار شيفية Scheffe للمقارنات البعدية، ويوضح الجدول (5) تلك النتائج.

الجدول (5) نتائج اختبار شيفيه لمعرفة لصالح من تعزى الفروق

المتغير	متدني	متوسط	مرتفع
متدني (3.887)	**00000**	**-0.1853 ***	**-0.413 ***
متوسط (4.072)	**0.1853 ***	**00000**	**-0.228 ***
مرتفع (4.300)	**0.413 ***	**0.228**	**00000**

- **دال عند (0.05)**

يتضح من الجدول (5) وجود فروق ذات دلالة احصائية بين المتوسطات الحسابية في الميول العلمية تبعا لمستوى التحصيل ؛ ولصالح الطلبة ذوي التحصيل المرتفع (4.30) مقارنة بالطلبة ذوي التحصيل المتوسط (4.072) والمتدني (3.887)، ولصالح الطلبة متوسطي التحصيل مقارنة بالطلبة متدني التحصيل.

وقد تعزى هذه النتيجة إلى أن طلبة المجموعة التجريبية وجدوا أنفسهم في أجواء تعليمية تراعي الفروق الفردية، فقد شارك بعضهم بعضاً في بناء التشبيهات المرتبطة بالبيئة التي يعيشون فيها، وقدم الطلبة تشبيهات للمفهوم الهدف كلٌ حسب قدرته على ربط المفهوم المجرد بالواقع، وقدم الطلبة ذوي التحصيل المرتفع أمثلة وتشبيهات أكثر من الطلبة ذوي التحصيل المتدني، فكلما ازداد تحصيل الطالب كلما ازدادت قدرته على طرح تشبيهات وربطها بالمفهوم الوارد في وحدة جسم الإنسان وصحته، الأمر الذي قد يسهم في تحسين ميوله العلمية أكثر من الذين يقدمون تشبيهات أقل من ذوي التحصيل المتدني، وفي هذا المجال ترى كل من رينا وساندرا (Rena & Sandra, 2008) أن قدرة الطلبة على إعطاء تشبيهات للمفهوم الهدف تتأثر بتحصيلهم، وتحسن مستوى الميول العلمية لديهم.

وربما تعزى هذه النتيجة إلى ارتباط مستوى التحصيل بالميول العلمية، فكلما كان تحصيل الطلبة مرتفعاً فهموا المواضيع العلمية أكثر من غيرهم، وتفاعلوا معها، وشعروا بتقدمهم، وازدادت دافعيتهم للتعلم، وبالتالي تحسن من ميولهم العلمية، فهناك اعتقاد سائد لدى كثير من التربويين أن اتجاهات الطلبة وميولهم العلمية تؤثر في تحصيلهم وتنمي مهارات التفكير وحل المشكلات، وتحدد مدى تقبل الطلبة للمفاهيم والحقائق العلمية وإلمامهم بها، لذلك فإنه من الضروري العمل على تنميتها وتعزيزها (الشرع، 2009).

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: هل توجد فروق ذات دلالة احصائية عند (0.05) في التفاعل بين الميول العلمية ومستوى التحصيل في مادة العلوم لدى طلبة السادس الاساسي تعزى لاستراتيجية التدريس (التشبيهات، والطريقة الاعتيادية)؟

للإجابة عن السؤال الثالث حسبت أعداد الطلبة و المتوسطات الحسابية و الانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد مجموعات الدراسة تبعا لطريقة التدريس ومستوى تحصيلهم عن مقياس الميول العلمية كما هم مبين في الجدول (6).

الجدول (6) أعداد الطلبة والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية القبلية والبعدية والمعدلة لاستجابات أفراد مجموعات الدراسة تبعا لطريقة التدريس ومستوى تحصيلهم عن مقياس الميول العلمية

المجموعة	مستوى التحصيل	القبلي			البعدي		المعدل	
		العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
ضابطة	**متدني**	6	3.25	.36	3.72	.14	3.83	0.13
	متوسط	13	3.78	.32	4.00	.17	3.98	0.12
	مرتفع	6	4.02	.37	4.13	.26	4.04	0.13
تجريبية	**متدني**	9	3.61	.23	4.00	.10	4.02	0.12
	متوسط	7	3.71	.36	4.21	.06	4.20	0.12
	مرتفع	9	3.68	.30	4.42	.06	4.42	0.12
الكلي	**متدني**	15	3.46	.33	3.89	.18	3.93	0.13
	متوسط	20	3.75	.33	4.07	.17	4.09	0.12
	مرتفع	15	3.82	.36	4.30	.22	4.22	0.12

يتضح من الجدول (6) وجود فروق ظاهرية بين المتوسطات الحسابية للتفاعل بين الميول العلمية ومستوى التحصيل.

ولمعرفة دلالة الفروق استخدم تحليل التباين المشترك ANCOVA كما هو موضح في الجدول (7).

الجدول (7) تحليل التباين المشترك لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية للتفاعل بين الميول العملية ومستوى التحصيل

مصدر الخطأ	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	ف	مستوى الدلالة	مربع ايتا الجزئي
الميول القبلي	.309	1	.309	22.958	.000*	.348
المجموعة	.805	1	.805	59.880	.000*	.582

مستوى التحصيل	.513	2	.256	19.077	*.000	.470
التفاعل المجموعة* التحصيل	.063	2	.032	2.354	.107	.099
الخطأ	0.578	43	0.013			
الكلي	2.268	49				

يتضح من الجدول (7)، ومن خلال قيمة ف (2.354) وتقابل مستوى دلالة (0.107)، مما يشير إلى عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين المتوسطات الحسابية للتفاعل بين الميول العلمية ومستوى التحصيل.

وقد تعزى هذه النتيجة إلى أن الميول العلمية تتطلب مزيداً من الوقت والتدخل لتنميتها، كما أن إستراتيجية المتشابهات اهتمت بجميع الطلبة، وراعت الفروق الفردية بين الطلبة، وجعلت جميع الطلبة على اختلاف مستويات تحصيلهم يطرحون أمثلة للمفهوم الهدف، فقد شارك الطلبة بعضهم بعضاً في بناء التشبيهات المرتبطة بالبيئة التي يعيشون فيها، فمنحهم ذلك إحساسا بالثقة بالنفس وإحساسا بفهم ما تعلموه وبأهميته في الحياة الواقعية.

كما يمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى أن إستراتيجية المتشابهات تهدف إلى تسهيل تدريس المفاهيم العلمية المجردة لدى جميع الطلبة بغض النظر عن مستوى تحصيلهم أو ميولهم العلمية، وتساعد جميع الطلبة على بناء مخطط لمفهوم معروف في وصف وكشف خصائص مفهوم غير معروف؛ من أجل إيجاد علاقة ارتباطية بين المفهومين، وذلك لتسهيل مهمة انتقال التعلم، وربما أن تقريب استراتيجية التشبيهات قد وفرت للطلبة مشبه به من واقع الحياة المعاشة لجميع الطلبة وكون بيئات الطلبة الحياتية متشابهة فإن الطلبة وصلوا إلى نفس الشعور بحبهم لمتابعة الموضوع مما جعل ميولوهم العملية متقاربة

وربما أن الطلبة على اختلاف مستويات تحصيلهم وميولهم العلمية أثناء دراسة وحدة جسم الإنسان بنوا جسرا يربط بين المفاهيم غير المألوفة لهم والمعلومات الموجودة لديهم مسبقاً، فاستمتع جميع الطلبة في المجموعة التجريبية ببناء روابط تربط بين مفاهيم وحدة جسم الإنسان والمفاهيم المالوفة لديهم، لأن كم المفاهيم المألوفة لدى الطلبة يرتبط بخبراتهم وثروة بيئتهم بالمفاهيم أكثر من ارتباطها بالميول أو مستوى التحصيل.

التوصيات:في ضوء نتائج الدراسة، يوصي الباحثون بالآتي:

- حفز المعلمين وتشجيعهم على توظيف استراتيجية التشبيهات في تدريس مادة العلوم في الصف السادس الأساسي.
- تدريب المعلمين على آليّات التعامل مع التشبيهات وتعريفهم بكيفية بنائها ومراحل تقديمها، وذلك لتجنب ما قد ينشأ من سلبيات في أثناء العمل على التشبيهات، والحصول على أكبر كم من الإيجابيات والفائدة المرجوة من ذلك.
- إجراء دراسات تبحث في أثر استخدام استراتيجية التشبيهات في مباحث ومتغيرات أخرى في العلوم.

المراجع

الآغا، إحسان واللولو، فتحية (2004). **تدريس العلوم**. (ط1)، غزة: جامعة الأقصى.

بغدادي، منال (2010). **فاعلية استراتيجية المتشابهات في تنمية التحصيل وبعض مهارات عمليات العلم في مادة العلوم لدى تلميذات المرحلة المتوسطة بمدينة مكة المكرمة**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

الحراحشة، كوثر(2012). أثر استراتيجية المماثلة في تدريس العلوم في اكتساب المفاهيم العلمية ومستوى أداء عمليات العلم الأساسية. **مجلة جامعة دمشق**، 28(2)، 411-450.

الحريري، رافدة (2007). **التقويم التربوي الشامل للمؤسسة المدرسية**. (ط1)، عمان: دار الفكر.

الحريري، رافدة (2010). **طرق التدريس بين التقليد والتجديد**. (ط1)، عمان: دار الفكر.

زيتون، عايش (1987). **تنمية الإبداع والتفكير الإبداعي في تدريس العلوم**. (ط1) عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية.

زيتون، عايش (1987). الميول العلمية عند طلبة الصفين الثالث الإعدادي والثالث الثانوي الأكاديمي في بعض المدارس الحكومية في الأردن. **مجلة دراسات**، 14 (5)، 225-244.

زيتون، عايش (1988). **الاتجاهات والميول العلمية في تدريس العلوم**. (ط1)، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية.

زيتون، ع. (2014). الميول العلمية وعلاقتها بمتغيرات الصف التعليمي والجنس والتحصيل في العلوم لطلبة المرحلة الساسية في الأردن. المجلة

التربوية، 1(113)، 389- 433.

زيدان، عبد الرزاق وشاكر، أنوار (2012). أثر استراتيجية المتشابهات في اكتساب المفاهيم التاريخية لدى تلميذات الصف الخامس الأساسي. **مجلة الفتح**، (48)، 185-210.

سعيد، عاطف وعبدالله، محمد (2008). **الدراسات الاجتماعية**. (ط1)، القاهرة: دار الفكر العربي.

الشرع، أبراهيم (2009). اتجاهات طلبة المرحلة الأساسية العليا نحو الرياضيات وعلاقتها بمستوى تحصيلهم وجنسهم ومستواهم الدراسي. مجلة المنارة، 16(3)، 125-164.

الشرمان، سميرة (2011). **استخدام المتشابهات والنماذج في اكتساب المفاهيم العلمية ومهارات التفكير الناقد في مادة العلوم لدى طلبة الصف الثامن ودافعيتهم نحوها**. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

عابد، أسامة (2005). **أثر استخدام التشبيهات في النمو المفاهيمي والاتجاهات نحو تعلم العلوم لدى طلبة المرحلة الأساسية في الأردن.** أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

عابد، أسامة، والحيلة، محمد (2009). أثر استخدام استراتيجيتي المتشابهات التدريسية ودورة التعلم في اكتساب المفاهيم الحياتية والاحتفاظ بها لدى طلبة معلم صف في كلية العلوم التربوية الجامعية- الأنروا. **مجلة اتحاد الجامعات العربية** (45)، 221-225.

عبد السلام، فاروق، وإبراهيم، أحمد (1993). دورمناهج كلية التربية في الطائف في تنمية الميول الأدبية والعلمية للطلاب والطالبات. **مجلة دراسات تربوية**، 8 (57)، 74-102.

عبد الكريم، سحر (1998). **أثر تدريس مادة الكيمياء باستخدام خرائط المفاهيم والمتشابهات على التحصيل والقدرة على حل المشكلات.** أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.

عبد الهادي، نبيل (2002). **مدخل إلى القياس والتقويم التربوي واستخدامه في مجال التدريس الصفي**. (ط2)، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.

العضيلة، سعود (2013). **أثر استخدام استراتيجية المتشابهات في تدريس العلوم لتنمية التحصيل والاتجاه نحو المادة لدى طلاب الصف الأول متوسط بمحافظة المهد التعليمية**. رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

علام، صلاح الدين (2002). **القياس والتقويم التربوي والنفسي – أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة**. القاهرة: دار الفكر العربي.

العيسوي، عبد الرحمن (2002). **الطريق إلى النبوغ العلمي – موسوعة كتب علم النفس الحديث**. بيروت: دار الراتب الجامعية.

قطامي، يوسف، وأبوجابر، ماجد وقطامي، نايفة (2002). **تصميم التدريس**. عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.

القطاونة، خليل والسعودي، خالد.(2012). تصميم التدريس وفق مدخل التفكير المفهومي: دراسة في الأساس النظري وآليات التطبيق، بحث مقبول للنشر بتاريخ 2012/8/12، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، جامعة دمشق.

القطراوي، عبدالعزيز (2010). **أثر استخدام استراتيجية المتشابهات في تنمية عمليات العلم ومهارات التفكير التأملي في العلوم لدى طلاب الصف الثامن الأساسي**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامة، غزة، فلسطين.

الكوافحة، تيسير (2010). **القياس والتقويم وأساليب القياس والتشخيص في التربية الخاصة**. (ط3)، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

المركز الوطني لتنمية الموارد البشرية (2011). التقرير الوطني حول دراسة البرنامج الدولي لتقييم الطلبة بيزا 2009 .

منظمة الأمم المتحدة للعلم والتربية والثقافة (2014) تقرير المنظمة للعام (2014/2013) على الرابط الآتي: http://unesdoc.unesco.org

موافي، سوسن (2010). أثر التدريس باستخدام المتشابهات وفق نموذج جلين (Glynn)على تحصيل الرياضيات وتنمية مهارات التفكير الناقد لدى طالبات الصف الثاني المتوسط بمدينة جدة. **مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس**، 4(2)، 131-155.

وزارة التربية والتعليم الأردن (2007). **دليل معلم العلوم للصف السادس الأساسي**. عمان، الأردن.

Brown, F. (1996).**The Effect of An Inquiry – Oriented Environmental Science Course on Preservice Elementary Teachers' Attitudes About Science**. Paper Presented at the meeting of the National Association for Research in Science Teaching, St. Louis, Mo.

Bryce, T. & MacMillan, K. (2012). Encouraging conceptual change: the use of bridging analogies in the teaching of action–reaction forces and the 'at rest' condition in physics. **International Journal of Science Education**, 27(6), 737-763.

Cannon, R. & Simpson, R. (1985). Relationships Among Attitude Motivation, and Achievement of Ability Grouped, Seventh-grade, Life Science Students. **Science Education**, 69 (2),121-138.

Cavallo, M. & Myers, R. (2001). Students Science Perception and Enrollment Decisions in Differing Cycle Classroom. **Journal of Research in Science Teaching**,38 (9),1029-1062.

Chiu, H. & Lin, W. (2005). Promoting fourth graders' conceptual change of their understanding of electric current via multiple analogies. **Journal of Research in Science Teaching,** 42(4), 429 – 44.

Chuang, M. & She, H. (2013). Fostering 5th Grade Students' Understanding of Science Via Salience Analogical Reasoning in On-Line and Classroom Learning Environments. **Educational Technology & Society**, 16(3), 102-145.

Dagher, Z. (1995). Review of studies on the effectiveness of instructional analogies in science education. **Science Education**, 79(4), 295-312.

Glynn, S. , Britton, B., Semrud-Clikeman, M & Muth, K.(1989). **Analogical reasoning and problem solving in science textbook**. In Glover, J.,Ronning, R., & Reynolds, C. (Eds.), A handbook of creativity:Assessment, research and theory. New York: Plenum. In Duit.

Glynn, S.(1994**). Teaching Science with Analogies: A Strategy for Teachers and Textbook Authors, National Reading Research Center (NRRC)**, Athens, GA, College Park, MD. Reading Research Report No. 15, Spring 1994.

Hamric, L. & Harty, H. (1987). Influence of Resequencing Genberal Science Cintent on the Sceince Acheivment, Attituds Towards Science, and Interest in Science of Sixth Grade Students. **Journal of research in Science Teaching,** 24(1), 15-25.

Hassard, J. (2004). Minds on Science (on line). Georgia State University, Atlanta, Georgia 30303, USA.

Hennessy, D. (2011). **Learning Style, Teaching Style, and High School Student Retention**. Trident University International, Doctoral Dissertation Cypress, California.

Mattern, N. , Mattern, N. and Sehau, C. (2002). Gender Differences in Science Attitude – Achievment Relationships Over Time Among White Middle -School Students. **Jordan of Research in Science Teaching,** 39(4), 324-340.

Mattern, N. & Sehau, C. (2002). Gender Differences in Science Attitude, Achievement Relationship over time among white middle school students. **Journal of Research in Science Teaching**, 39(4): 324-340.

Milne, C. (2008). The Beaks of Finches & the Tool Analogy: Use with Care. **The American Biology Teacher**, 70 (3), 153.

Newton, D. (2000). **Teaching for Understanding: What it is and How to do it**. London: Rout Ledge-Flamer.

Rena, s. & Sandra, K. (2008**).** Using Analogies in Elementary Science. **Science and Children**, 46(4), 135-152.

Roth, W. (2004). Activity theory and education. **Mind Culture & Activity**, 11(1), 123-140.

Rule, A. & Furletti, C. (2004). Using Form and Function Analogy Object Boxes to Teach Human Body System. **School Science and Mathematics**, 104(4), 155-169.

Schibeci, R. & Riley, J. (1986). Influence of Students Background and Perception on Science Attitudes and Achievement**. *Journal of Research in Science Teaching***. 23(3): 177-187.

Thomas, G. (1986). Cultivating the Interest of Women and Minorities in High School Mathematics and Science. **Science Education,** 70(1), 31-43.

Yager, R. (1999). The constructivist Learning Model: Towards Real Reform in Science Educatikon. **The Science Teacher,** 53(6), 52-57.

Yanowitz, K. (2001). Using Analogies to Improve Elementary School Students Inferential Reasoning About Scientific Concepts**. School Science and Mathematics,** 101(3), 133-142.

Zeitoun, H. (1984). Teaching Scientific Analogies: A proposed Model. **Research in Science and Technology Education**, 2, 107-125.

دور الذكاء الاقتصادي في إدارة الأزمات في منظمات الأعمال الصغيرة

أ.سهام بوفلفل-أ.د.شريف غياط

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

الملخص: لا ريب في أن منظمات الأعمال الصغيرة تواجه تغييرات بيئية متعددة، مما قد يتسبب لها في حدوث أنواع متعددة من الأزمات، وهذه الأزمات لها تأثير كبير على استمرارية منظمات الأعمال الصغيرة، إذ تهدد بقائها وقدرتها على المنافسة، وبالتالي يكون مصيرها التخلف والانهيار، لذلك كانت استراتيجية الذكاء الاقتصادي هي الحل والسبيل لتحقيق النجاح الإداري والمحافظة على البقاء وإدارة الأزمات في منظمة الأعمال الصغيرة.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاقتصادي، منظمة الأعمال الصغيرة، إدارة الأزمات.

Abstract :

Facing small business organizations changes to multiple environmental, which may cause the occurrence of multiple types of crises, and impact of these crises on the sustainability of small business organizations and threaten its survival and its ability to compete and put the reputation of the organization and its survival in the crucible of the test, can not have continuity and be doomed to failure and collapse , so the strategy was to economic Intelligence is the solution to achieve success administrative and maintain survival, as a new mechanism is working on crisis management in a business organization small.

Key Words : business intelligence, small business organizations , Crisis Management.

المقدمة:

في ظل عولمة الاقتصاد وارتفاع معدلات التنافسية أضحى الذكاء الاقتصادي من أهم الرهانات الموجودة في طريق منظمات الأعمال سيما وهي تعيش في بيئة أقل ما يميزها ثورة تكنولوجية هائلة، تتميز بانتشار المعلومة وهيمنة كبيرة لوسائل التواصل الاجتماعي، وهو ما يتطلب حتمية وجود استراتيجية تهدف في مضمونها إلى تنمية وترقية هذه المنظمات، خاصة ونحن نعلم الدور الريادي لها فيما يتعلق بامتصاص اليد العاملة، ومن ثمة التخفيف من حدة البطالة، هذه الأخيرة التي أضحت تعاني منها جل الدول بشقيها المتقدم والنامي على حد سواء.

يوفر الذكاء الاقتصادي مجموعة من المعلومات الدقيقة التي تدعم وتسهل اتخاذ القرارات على مستوى منظمات الأعمال الصغيرة، حيث يسمح بتحديد الفرص والتنبؤ بالأخطار.

مشكلة البحث: بالرغم من أهمية ودور الذكاء الاقتصادي بوصفها مرحلة محتواة فيه، أضحى الرهان الذي تعول عليه منظمات الأعمال الصغيرة في ضمان بقائها واستمراريتها وديمومتها، فإن الإشكالية المطروحة تكمن في التساؤل الرئيسي: إلى أي مدى يمكن أن يكون الذكاء الاقتصادي رهان حقيقي لمنظمات الأعمال الصغيرة في إدارة الأزمات.

أهمية البحث: يستمد البحث أهميته في طبيعة الموضوع في حد ذاته من حيث حداثته، على أساس أن الذكاء الاقتصادي تم استخدامه منذ فترات ليست ببعيدة، كما يستمد أهميته من خلال تسليط الضوء علي مدى قدرة الذكاء الاقتصادي وكذا اليقظة الاستراتيجية كأسلوب أو أداة في إدارة الأزمات في منظمات الأعمال الصغيرة.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى توضيح المفاهيم التي لها علاقة بالبحث:

- مفهوم الذكاء الاقتصادي.
- مفهوم اليقظة الاستراتيجية.
- مفهوم منظمات الأعمال الصغيرة.

كما يهدف البحث أيضا إلى بيان درجة انفتاح منظمات الأعمال الصغيرة على هذا النوع من المفاهيم، ومن ثم إبراز مدى ملاءمة السياسة المعتمدة من قبل هذه المنظمات لتطبيق أدوات الذكاء الاقتصادي في إدارة الأزمات، وأخيرا وضع التوصيات والمقترحات المتعلقة بالبحث.

منهجية البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي والكمي العام، وذلك بالاعتماد على البيانات والنشرات والدراسات الصادرة عن الندوات والمؤتمرات.

خطة البحث: ونظرا لأهمية البحث وأثره على المنظمات بشكل عام ومنظمات الأعمال الصغيرة بشكل خاص فقد ارتأينا تقسيم البحث إلى أربعة محاور رئيسية، حيث يشمل المحور الأول السياق النظري لمنظمات الأعمال الصغيرة، بينما استعرضنا في المحور الثاني أساسيات عامة حول الذكاء الاقتصادي، وناقش المحور الثالث مفاهيم حول إدارة الأزمات في بيئة الأعمال المعاصرة، في حين خصص المحور الرابع لـ الذكاء الاقتصادي رهان منظمات الأعمال الصغيرة لإدارة الأزمات.

المحور الأول: السياق النظري لمنظمات الأعمال الصغيرة: مما لا شك فيه أن منظمات الأعمال الصغيرة أصبحت أحد أهم الركائز التي يقوم عليها الاقتصاد العالمي، ففضلا عن مساهمتها الكبيرة في الاقتصاد الوطني لكل دولة، فهي لها تأثيرات عميقة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ونلاحظ أن مختلف الدول تعطي أهمية بالغة للقطاع المؤسساتي، خاصة قطاع الأعمال الصغيرة، وهذا في حد ذاته يقودنا لطرح عدة تساؤلات حول مفهومها، سيما وأن تعريف هذه الأخيرة يصطدم بعدد كبير من الصعوبات استحال منها الوقوف عند تعريف واحد و موحد.

1.1.ماهية منظمة الأعمال الصغيرة: تعرف منظمة الأعمال بشكل عام بأنها: وحدة اقتصادية تضم أكثر من شخص، وتستخدم موارد لتحويلها إلى مخرجات نتيجة القيام بأنشطة وتفاعلات، بهدف إشباع حاجات ورغبات الناس عن طريق إنتاج وتوزيع تلك المخرجات، والتي قد تكون سلعة أو خدمة، وتحصل في مقابل ذلك على ربح يؤمن استمرارية بقائها وتطورها، كما تعرف النظرية الاقتصادية الحديثة منظمة الأعمال الصغيرة بأنها الوحدة الأولية التي تنظم في داخلها مصادر الإنتاج لتحقيق الثروة، فهي تتحكم في عوامل الإنتاج داخلها عن طريق إدارة تتمثل في شخص المنظم[1].

إن مفهوم منظمة الأعمال الصغيرة، لا يمكن تحديده استنادا إلى معيار واحد، إنما تستند إلى بعض الأسس والمعايير، ومن هنا نجد أن تحديد وتعريف منظمة الأعمال الصغيرة تختلف باختلاف المكان ومجال النشاط، فالمنظمة الصغيرة بالنسبة للاقتصاد الأمريكي أو الياباني أو الألماني وغيرها من الاقتصاديات المتقدمة، تختلف عن المنظمة الصغيرة في مصر أو الأردن أو الجزائر، أو أية دولة نامية، ومن ناحية أخرى فإن نفس المنظمة تختلف من حيث النشاط الذي تمارسه، فالمنظمات التي تعمل في مجال الصناعة تختلف عن تلك التي تعمل في مجال الزراعة أو تلك التي تعمل في مجال تقديم الخدمات[2]. وبالتالي فإنه يمكن القول أن تحديد تعريف لمنظمات الأعمال الصغيرة يختلف باختلاف المعايير التي تستند إليها كل دولة في تعريف هذه المنظمات، ومن هذه المعايير نجد معيار عدد العمال المستخدم، معيار حجم رأس المال المستثمر، معيار الإيرادات، كما نجد معيار القيمة المضافة وكلها معايير كمية، كما توجد معايير أخرى نوعية تهدف في مجملها إلى الوصول إلى تعريف منظمات الأعمال الصغيرة ومنها نجد درجة التخصص في الإدارة، مستوى التقدم التكنولوجي، وأن تتواجد هذه المنظمات على نطاق جغرافي واحد.

الجدول رقم 1.1.تعريفات بعض الدول لمنظمات الأعمال الصغيرة

الدولة / الجهة	المعيار	متناهية الصغر	صغيرة	متوسطة
مصر (تعريفات متعددة منها)	عدد العمال	1-4 عامل	5-49 عامل	50-99 عامل
	أصول ثابتة	أصغر من 25 ألف جنيه	من 25 إلى أصغر من 100 ألف	من 100 ألف جنيه إلى 2

[1] فايز جمعة وعبد الستار العلي، **الريادة وادارة الأعمال الصغيرة**، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2006، 59.

[2] توفيق عبد الرحيم يوسف، **إدارة الاعمال التجارية الصغيرة**، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن، 2001، ص15.

			جنيه	مليون جنيه
الوكالة الدولية للتنمية	عدد العمال	1-5 عامل	6-15 عامل	
	أصول ثابتة		أصغر من 25 ألف جنيه	
الإتحاد الأوروبي	عدد العمال	حتى 10 عمال	حتى 50 عامل	حتى 250 عامل
إنجلترا	عدد العمال		أصغر من 15 عامل	
	رأس المال		أصغر من نصف مليون جنيه إسترليني	
المكسيك	عدد العمال	أصغر من 15 عامل	16-100 عامل	101-250 عامل
غانا	عدد العمال		أصغر من 9 عامل	10 – 30 عامل
ماليزيا	عدد العمال	من 5-50 عامل	أصغر من 75 عامل	
تايوان	عدد العمال	أصغر من 50 عامل		
اليابان	عدد العمال	أصغر من 300 عامل		

المصدر: محمد حامد الصياد،, **التأمينات الاجتماعية والعاملين بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة**, منظمة العمل العربية، 2006، ص15

وعموما يمكن القول بأن منظمات الأعمال الصغيرة تمتلك الشخصية المستقلة في الملكية والإدارة وسهلة البدء، وتستطيع أن تخلق عملا بدرجة مخاطرة عالية أو عدم تأكد عال لغرض تحقيق الربحية والنمو، كما أن نوعية العلاقة الموجودة بين عمال هذه المنظمات هي علاقة أسرية، وطبيعة التمويل فيها ذاتي، وبالرغم من اختلاف التعاريف من بلد إلى آخر، فإنه يمكن القول بأن هناك اتفاق على الأقل فيما يخص المعايير المساعدة على بلورة مفهوم واضح لمنظمات الأعمال الصغيرة.

2.1. أهمية منظمات الأعمال الصغيرة في الاقتصاد الوطني: إن العمل الصغير هو المصدر التقليدي لنمو الاقتصاد المحلي والوطني، ويوفر أكثر من 50 % من مجموع الاستخدام الخاص وأكثر من 40% من الناتج القومي الإجمالي للسلع والخدمات، ويمكن تلخيص الدور البارز لهذه المنظمات في النقاط التالية[1]:

- ❖ توفر مصدر منافسة محتمل وفعلي لمنظمات الأعمال الكبيرة وتحد من قدرتها على التحكم في الأسعار.
- ❖ تعتبر المصدر الرئيس لتوفير الوظائف في الاقتصاديات المتقدمة والنامية على حد سواء.
- ❖ هذه المنظمات تعتبر بذور أساسية لمنظمات الأعمال الكبيرة.
- ❖ توفر بيئة عمل ملائمة، حيث يعمل صاحب المنظمة والعاملين جنبا إلى جنب لمصلحتهم المشتركة.
- ❖ هذا النوع من المنظمات يساعد في تطوير وتنمية المناطق الأقل حظا في النمو والتنمية وتدني مستويات الدخل وارتفاع معدلات البطالة.
- ❖ تعتبر من المجالات الخصبة لتطوير الإبداعات والأفكار الجدية.

3.1.معوقات منظمات الأعمال الصغيرة:تواجه هذه المنظمات جملة من المعوقات و الصعوبات نوجزها فيما يلي[2]:

- ❖ نقص رأس المال اللازم لتمويل الأصول الثابتة والمتداولة.
- ❖ نقص المهارات والقدرات التنظيمية.
- ❖ ضعف الأساس المحاسبي في إدارة المنظمة وتخطيطها.
- ❖ الدخول غير المتكافئ إلى أسواق الائتمان والمواد الأولية والمنتجات.
- ❖ تعاني هذه المنظمات من مشكلات تسويقية.

ضف إلى أن الحجم الصغير يعد هو الآخر عائقا، بالإضافة إلى عدم متابعة التطورات البيئية التي تحدث، كما أن هذه المنظمات تتأثر بحالة الاقتصاد المحلي سلبا أو إيجابا، دونما أن ننسى أنها تعاني من صعوبة الحصول على المكان الملائم

---

[1] ليث القهيوي وبلال الوادي، **المشاريع الريادية الصغيرة والمتوسطة ودورها في عملية التنمية**، دار الحامد للنشر والتوزيع، الاردن، 2012، ص33.

[2] مصطفى يوسف كافي، **بيئة وتكنولوجية إدارة المشروعات الصغيرة والمتوسطة**، دار الرواد للنشر والوزيع، الاردن، 2014، ص62.

لإقامة مشروعها[1].كما تعاني هذه المنظمات من صعوبة الحصول على المعلومات والتكنولوجيا وصعوبة التطوير والتحديث التكنولوجي وغياب الجهات المختصصة والتي يمكن اللجوء إلها واستشارتها.

المحور الثاني: أساسيات عامة حول الذكاء الاقتصادي: يعد الذكاء الاقتصادي من الأساليب الجديدة في علم الإدارة الحديثة، التي تحث على ضرورة الإنصات إلى بيئة المنظمة من زبائن وموردين وتكنولوجيا ومنافسة، وقد ارتأينا قبل الخوض في مفهوم الذكاء الاقتصادي التعريج على مفهوم اليقظة الاستراتيجية باعتبارها جزء لا يتجزأ منه.

1.2.اليقظة الاستراتيجية: اليقظة بمفهومها الشامل مصطلح حديث النشأة، ظهر ونشأ في أدبيات إدارة الأعمال وفي الأوساط التي تهتم بالمعلومة وتسييرها، كما إن استخدام هذا المصطلح باللغة الفرنسية هو ناتج عن مفهوم المراقبة بالرادار وهذا لحماية منطقة ما، ونقصد بالمراقبة ذلك العمل المنظم والمستمر لرصد بيئة المنظمة والذي يهتم بالكشف عن المعلومات التي تؤثر تأثيرا سريعا على نمو منظمة الأعمال، والمراقبة تلعب دورا هجوميا لاكتساب المعارف حول البيئة، ودورا دفاعيا لحماية تلك المعارف، وقد وضح كل من MARTI" و " MARTINET " في كتابهما أن هذا الرادار أو كما سمياه برادار اليقظة يعمل على مراقبة مستمرة لمنطقة ما، وهدفه إشعار الأشخاص المعنيين بأي خطر يداهمهم ولكن هذا لا يكفي حيث أن هناك نوع آخر من الرادار وهو رادار المتابعة، فإذا أطلق الرادار الأول إشارات الإنذار قام الرادار الثاني بتتبع مصدر الإنذار بهدف التعرف عليه وجمع المعلومات الخاصة به[2].

أولا:تعريف اليقظة الاستراتيجية: لا يمكن الوقوف عند تعريف واحد وموحد لليقظة الاستراتيجية، حيث تعددت التعاريف بتعدد وجهات نظر الباحثين وكذا طرفي مجالات الدراسة، ومع ذلك بالإمكان أن نورد بعضا منها في الأتي: أ.هي السياق المعلوماتي الذي بواسطته تتمكن المنظمة من الإصغاء المسبق والإرادي إلى بيئتها الخارجية بغرض فتح منافذ على الفرص المناسبة لاستغلالها في وقتها، أو لمعرفة الأخطار وتفاديها والتقليل من آثارها، وتتضمن هذه العملية تجميع وتوزيع وتحليل المعلومات الاستراتيجية ونشرها بغرض تغذية القرارات الاستراتيجية[3].

ب. هي أسلوب منظم، في الإدارة الاستراتيجية للمنظمة تركز على تحسين تنافسيتها بالجمع ومعالجة المعلومات ونشر المعرفة المفيدة للتحكم في المحيط (التهديدات والفرص)، وهذا المنهج الذي يساهم في أخذ القرارات يستعمل وسائل معينة، يجند العمال ويركز على نشاط الشبكات الداخلية والخارجية[4].

جـ.اليقظة الاستراتيجية هي عملية مستمرة من إدارة المعلومات ودعم القرار من أجل تنمية وتطوير منظمة الأعمال وضمان بقائها[5].

د.اليقظة الاستراتيجية هي البحث عن المعلومة عن طريق يقظة ثابتة ومراقبة دائمة للبيئة وهذا لأهداف استراتيجية[6].

مما سبق يمكن القول أن اليقظة هي ذلك النشاط الذي يدعو متخذ القرار لتنظيم رؤيته لما حوله بتقديم المعلومة الجيدة للشخص المناسب وفي الوقت المناسب لاتخاذ القرار المناسب، وذلك من خلال عملية بحث، تحليل وانتقاء، لتلك

---

[1] مروة أحمد ونسيم برهم، **الريادة وإدارة المشروعات الصغيرة**، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، 2007، ص 106.

[2] شمس ضيات خلفلاوي، **الذكاء الاقتصادي رهان لتسيير المؤسسات الحديثة**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع:10، مارس 2013، ص 229.

[3] سعيد كرومي وأحمد عمرستي، **أهمية اليقظة الاستراتيجية في تحسين القرارات الاستراتيجية والتنافسية للمؤسسة**، ورقة بحثية مقدمة غلى الملتقى الدولي الرابع حول: المنافسة والاستراتيجيات التنافسية للمؤسسات الصناعية خارج قطاع المحروقات في الدول العربية،جامعة الشلف، 2010، ص 4.

[4] فيروز زروخي وفاطمة الزهراء سكر، **دور اليقظة الاستراتيجية في الرفع من تنافسية المؤسسات الاقتصادية**، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى الدولي الرابع حول: المنافسة والاستراتيجيات التنافسية للمؤسسات الصناعية خارج قطاع المحروقات في الدول العربية، يومي 8-9 نوفمبر 2010، جامعة الشلف، ص 8.

[5] بعلزوز بن علي وصليحة فلاق، **دور اليقظة الاستراتيجية في تنمية الميزة التنافسية للمؤسسة وواقعها في الجزائر**، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى الدولي الرابع حول: المنافسة والاستراتيجيات التنافسية للمؤسسات الصناعية خارج قطاع المحروقات في الدول العربية، يومي 8-9 نوفمبر 2010، جامعة الشلف، ص 2.

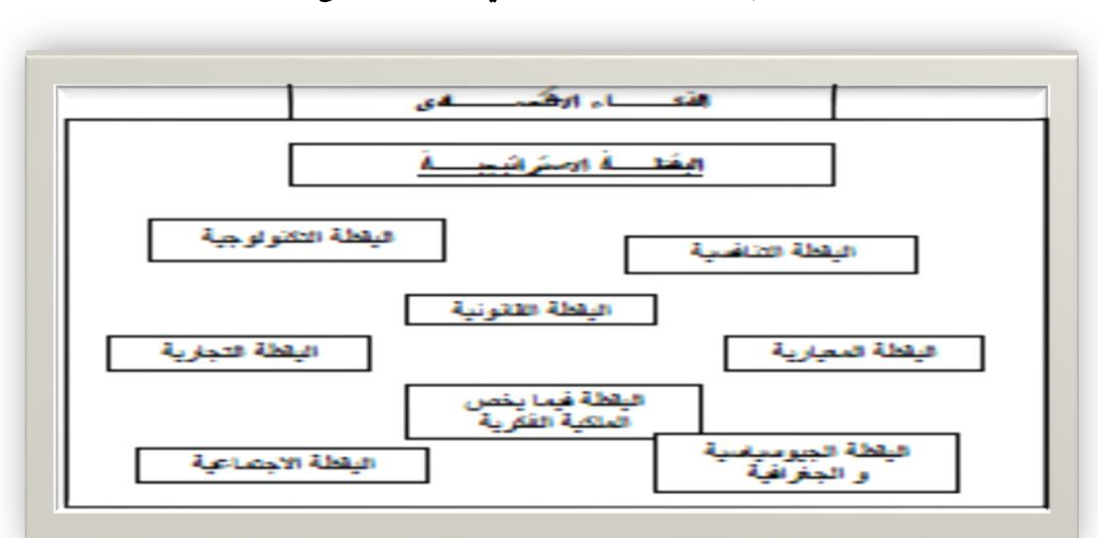
[6] رتيبة حديد ونوفل حديد، **اليقظة التنافسية وسيلة تسييرية حديثة لتنافسية المؤسسة**، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى العلمي الدولي حول الأدء المتميز للمنظمات والحكومات، يومي 8-9 مارس 2005، جامعة ورقلة، ص 191.

المعلومة الجيدة للوصول في النهاية لخلق مزايا تنافسية تسمح للمنظمة بالتكيف وتحولات بيئتها[1]، ومنه فإن اليقظة الاستراتيجية تعني أن يكون هناك تفكير استراتيجي استباقي كجزء من العمل يمارس من قبل جميع الموظفين في جميع المستويات الإدارية، وهذا يعني في جوهره أن تكون المنظمة متعلمة لتبقى ناجحة، فالمنظمة المتعلمة التي تستهدف بناء الخبرة والوقوف على جميع المستجدات في بيئتها هي أفضل من تلك المنظمات التي لا تتعلم حتّى وإن كان لديها استراتيجية أفضل صياغة، فالمهم ليس ما تعرفه ولكن ما تستطيع تعلمه! وهو ما يعني القدرة على فهم ما يدور حولك وإحداث التغيير المطلوب في التوقيت المناسب، ما يقود إلى التكيف مع المستجدات[2].

ثانيا: من اليقظة الاستراتيجية إلى الذكاء الاقتصادي

يمثل الشكل الآتي مختلف أنواع اليقظة التي يجب على المنظمة أن تتبناها، وكلها تدخل في إطار ما يسمى بالذكاء الاقتصادي، أي أن اليقظة مرحلة أو جزء من عملية الذكاء الاقتصادي.

الشكل رقم(1.1): الذكاء الاقتصادي ومختلف أنواع اليقظة



المصدر: أحمد بخوش، دور اليقظة وطرح المنتوجات الجديدة في زيادة القدرة التنافسية للمؤسسة، مذكرة ماجيستر في علوم التسيير، جامعة الجزائر، 2007، ص40.

2.2.نشأة وتطور الذكاء الاقتصادي: لقد تعرضت Gartner Group للذكاء الاقتصادي في أواسط التسعينات من القرن المنصرم، ولو أن هذا المفهوم نشأ قبل ذلك بكثير، حيث كان يجري تداوله عبر تقارير نظم المعلومات الإدارية، بين عقدي السبعينات والتسعينات من القرن الماضي، كما برز خلال بداية عقد الثمانينات من ذلك القرن مفهوم نظم معلومات للإدارة التنفيذية العليا، إلا أن المفهوم نشط وتوسع بدعم ومساندة تكنولوجيا الحاسوب سيما لصالح المديرين من الإدارة العليا، ومن بين المهارات التي زودها الذكاء الاقتصادي التنبؤ والتحليل وبعمق للكشف عن المحركات والعوامل ذات الاعتبار من جانب القرارات الاستراتيجية، وقد برزت مثل هذه الصفات عبر المنتجات التجارية في منتصف التسعينات من القرن الماضي، وبعد كل هذا التطور برز مفهوم الذكاء الاقتصادي متضمنا المواصفات المنوه عنها، وبالتالي يمكن القول أن كافة المعلومات التي تحتاجها الإدارة العليا تبنى قاعدة جيدة للذكاء الاقتصادي في نظم معلومات الخاص بالمنظمة المعنية، لذا

---

[1] قدور بن نافلة وعاشور مزريق، اليقظة الاستراتيجية قناة اتصال المؤسسة ببيئتها، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى الدولي الرابع حول: المنافسة والاستراتيجيات التنافسية للمؤسسات الصناعية خارج قطاع المحروقات في الدول العربية، يومي8-9 نوفمبر 2010، جامعة الشلف، ص 8.

[2] عدنان بن عبد الله الشيحة، من التخطيط الاستراتيجي إلى اليقظة الاستراتيجية، جريدة الاقتصادية الالكترونية، تاريخ الزيارة 2014/03/16، متاحة عبر الرابط: http://www.aleqt.com/2012/03/10/article_634764.html.

فقد تحول مفهوم معلومات الإدارة العليا إلى بحر الذكاء الاقتصادي، وبحلول العام 2005 من الألفية الجديدة بدأت نظم الذكاء الاقتصادي تشتمل على إمكانيات الذكاء الاصطناعي إضافة إلى إمكانيات التحليل والفحص ذوي القدرة القوية على العطاء لصالح إدارة المنظمة[1]، وفيما يلي جدول يوضح المسار التاريخي لمفهوم الذكاء الاقتصادي:

الجدول رقم 1.2: المسار التاريخي للذكاء الاقتصادي

الكاتب	التاريخ	التسمية	التعريف
Luhn	1958	نظام الذكاء الاقتصادي	كل نظم الاتصالات التي تخدم سير العمل على نطاق واسع.
Simon	1960	الذكاء	المرحلة الأولى من عملية اتخاذ القرار لاستكشاف المحيط وتحديد الحالات التي تتطلب اتخاذ إجراءات.
Wilensky	1967	الذكاء التنظيمي	مشكلة جمع وتفسير ونشر المعلومات اللازمة لعملية صنع القرار.
Sammon et al	1984	الذكاء الاستراتيجي	وسيلة تحليل إستراتيجية وفق نهج منظم للمعلومات التنافسية.
Tyson	1986	ذكاء الأعمال	نظام الإنذار المبكر لحركة وشيكة من منافس أو مساعدة على تحديد كيفية الرد على مناورة المؤسسات الأخرى.
Martinet , Ribault	1988	اليقظة	موقف أكثر تنظيما للاستماع لإشارات بيئة المؤسسة التي قد تعرض خياراتها الإستراتيجية للخطر.
Baumard	1991	ذكاء المؤسسة	النشاط الذي يعالج ويستغل جميع المعلومات البيئية لصالح المؤسسة.
Jakobiak	1991	اليقظة التكنولوجيا	رصد تحليل البيئة ثم نشر المعلومات المحددة والمعالجة التي تستخدم لاتخاذ القرارات الإستراتيجية، وهي تتعلق بالمعلومات العلمية، التقنية، التكنولوجيا والاقتصادية.
Ribault	1992	اليقظة	المراقبة العامة والذكاء المحيطي للمؤسسة وذلك للإطلاع على المعلومات الواقعية.
CGP	1994	الذكاء الاقتصادي	جميع التصرفات المنسقة للبحث، معالجة ونشر المعلومات المفيدة للمتعاملين الاقتصاديين، وتجري هذه الأعمال المختلفة بشكل قانوني، مع ضمان حماية تراث المؤسسة في أفضل شروط النوعية، المدة والتكلفة.
Lesca	1994	اليقظة الإستراتيجية	الإجراءات الإعلامية التي تؤدي بالمؤسسة إلى الاستماع للإشارات الضعيفة الإستباقية في بيئتها بهدف اكتشاف الفرص والتقليل من حالة عدم اليقين.
Bloch	1996	الذكاء الاقتصادي	إجراءات تبادل المعلومات والتفاعل بين المؤسسة ومحيطها.
Salmon Linares	1997	الذكاء التنافسي	يمنح المقررين بالمؤسسة المعلومات اللازمة لتحديد أفضل توجهاتها في المدى المتوسط والطويل.
Jakobiak	1998	الذكاء الاقتصادي	تمديد اليقظة الإستراتيجية من أجل استخدام هجومي للمعلومات.
Bournois et Romani	2000	الذكاء الاقتصادي والاستراتيجي	طريقة منظمة في خدمات الإدارة الاستراتيجي للمؤسسة لتحسين قدرتها التنافسية من خلال جمع ومعالجة المعلومات، ونشر المعرفة المفيدة للسيطرة على محيطها من خلال الشبكات الداخلية والخارجية.
Paturel	2002	الذكاء الاقتصادي	البحث من خلال مراقبة نشطة للمعلومات، معالجتها ثم نشرها في الوقت الملائم للأشخاص المناسبين لترجمتها ثم استغلالها بهدف تسهيل استمرارية المؤسسة وتطورها.
HRIE	2006	الذكاء الاقتصادي	التحكم في المعلومات الإستراتيجية وحمايتها لكل الفاعلين الاقتصاديين.

المصدر: محمد رقامي، **اثر اليقظة الاستراتيجية والذكاء الاقتصادي على تحسين الاداء المؤسسات الاقتصادية دراسة حالة المؤسسات الاقتصادية الجزائرية**، أطروحة دكتوراه في علوم التسيير ،جامعة عنابة 2015، ص 13.

3.2. مفهوم الذكاء الاقتصادي[2]

---

[1] مزهر شعبان وآخرون، **ذكاء الأعمال وتكنولوجيا المعلومات**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص 22.

[2] منذ بداية التسعينات ومفهوم الذكاء الاقتصادي يستوي البحث بكل أطيافها (المثقفون، الاقتصاديون، المقاولون)ويشار إلى هذا المفهوم في اللغة الفرنسية بـ Intelligence Economique أو بالمصطلح **IE** وفي اللغة الانكليزية Business Intelligence وبالمصطلح **BI**

لقد تعددت وتنوعت تعريفات الذكاء الاقتصادي من اقتصادي لآخر وذلك باختلاف الرؤى والبيئة الاقتصادية من دولة لأخرى، ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف في وجهات نظر الباحثين حول هذا المصطلح، فإنه بالإمكان حصر بعضا من هذه التعاريف في الآتي:

- ✓ عرفه G.Golletis في سنة 1997 بأنه القدرة على المفاضلة الفعالة للمعرفة والقدرات الداخلية والخارجية من أجل معالجة المشاكل[1].
- ✓ وبحسب Haag et al 2007 فيقصد به المعرفة المتعلقة بالزبائن والمنافسين والمشاركين، والبيئة التنافسية والعمليات الداخلية الخاصة بالمنظمة والتي تعطي المنظمة القدرة على اتخاذ قرارات الأعمال الفاعلة والمهمة والاستراتيجية[2].
- ✓ وعرفه Martre 1994 بأنه مجموعة الأعمال المرتبطة بالبحث، معالجة وبث المعلومة المفيدة للأعوان والمتدخلين الاقتصاديين لصياغة استراتيجياتهم[3].
- ✓ عرفه Emmanuel Pateyron بأنه عبارة عن مجموعة من الخطوات المنسقة للبحث، الدراسة، التوزيع وحماية المعلومة النافعة للأعوان الاقتصاديين المحصلة بصفة شرعية في ظروف جيدة، النوعية الآجال والتكلفة[4].
- ✓ أو هو مجموعة الوسائل التي تنظم المعرفة، تنتج المعلومات المفيدة لاتخاذ القرار ولتوقعات الأداء الناجع وخلق قيمة لكل الأجزاء المؤثرة[5].
- ✓ وحسب Christian Harbulot 1994 فقد عرف الذكاء الاقتصادي على انه مجموعة عمليات مراقبة البيئة التنافسية: اليقظة، الحماية، معالجة المعلومة، النفوذ، حيث أن إشكالية الذكاء الاقتصادي تركز على اثنين من الفجوات الثقافية، وهي الانتقال من ثقافة المعلومة المغلقة إلى ثقافة المعلومة المفتوحة، ومن ثقافة المعلومة الفردية إلى ثقافة المعلومة الجماعية[6].
- ✓ يشار إلى الذكاء الاقتصادي على أنه مجموعة من العمليات والتكنولوجيات والأدوات المطلوبة لتحويل البيانات إلى معلومات، والمعلومات إلى معرفة، والمعرفة إلى خطط تطبيقية تدفع المنظمات نحو الأعمال المربحة[7].
- ✓ هو عملية جمع ومعالجة المعلومات بهدف إيصالها للمسؤول المعني لتقليل عدم التأكد لاتخاذ قرارات صائبة[8].

تأسيسا على كل ما سبق، فإنه يمكن القول بأن الذكاء الاقتصادي هو مجموعة الأعمال المتعلقة بعملية البحث عن المعلومة المتعلقة بالزبون والمنافسين والمشاركين، لمعرفة الفرص واقتنائها والتهديدات بهدف تجنبها، للوصول إلى اتخاذ القرارات المثلى والتي تحتاجها المنظمة لتضمن بقائها في السوق.

---

[1] مصطفى بودرامة، **دور الذكاء الاقتصادي في تحسين تنافسية المشروعات الصغيرة والمتوسطة الجزائرية**، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى العلمي السنوي الحادي عشر حول ذكاء الاعمال واقتصاد المعرفة، جامعة الزيتونة الأردنية، الأردن، ايام 23-26 أفريل 2012، ص 582.

[2] بسام عبد الرحمن يوسف وربيع علي زكر، **ذكاء الأعمال ودوره في فاعلية التجارة الخارجية معمارية مقترحة لشركة الحكماء لصناعة الأدوية والمستلزمات الطبية في محافظة نينوى**، مجلة تنمية الرافدين، العدد113، المجلد 35، العراق، 2013، ص 82.

[3] Didier Lucas, **Introduction à L'intelligence économique et stratégique : vers un nouveau paradigme de l'interaction concurrentielle,** document de travail, Québec, février 2001, p : 3.

[4] لامية حليمي، **دور اليقظة الاستراتيجية والذكاء الاقتصادي في تعزيز تنافسية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة**، مذكرو ماجيستر في علوم التسيير، جامعة بومرداس، 2009، ص47.

[5] Alain Juillett**, modèle d'intelligence économique**, ed économica, paris, 2004, p :4.

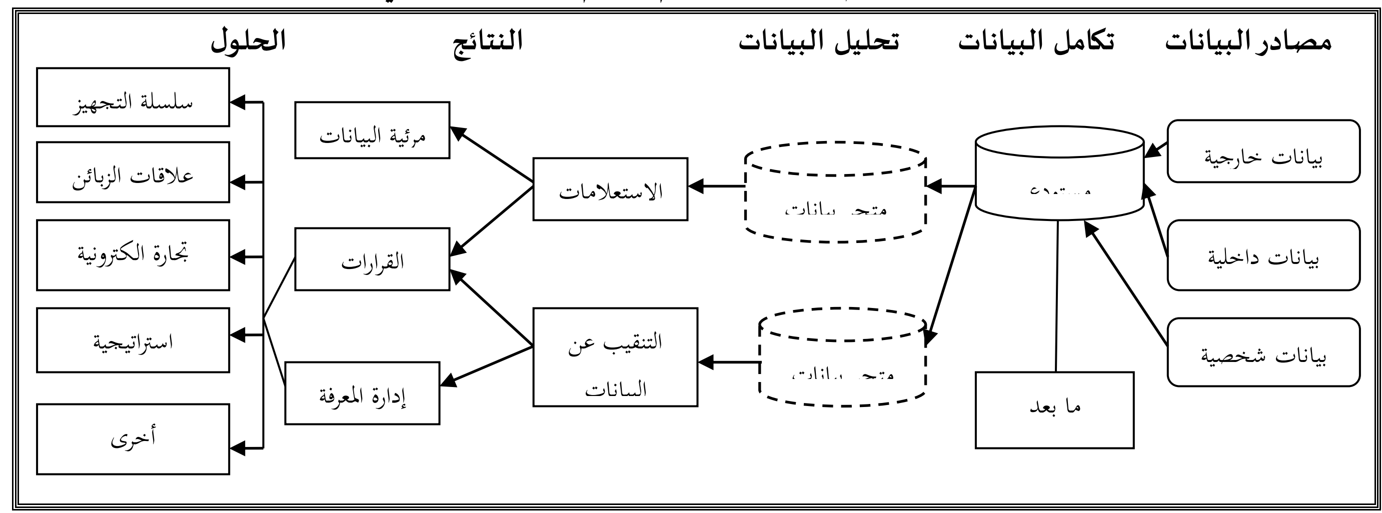
[6] Emeric Saltet de Sablet d'Estiére**, L'intelligence économique au sevice de la gestion des risques et des crises : la crise d'air canada,** mémoire présenté comme exignece de la maitrise en adminstration des affaires MBA recherche, université de Québec à Montréal, juillet 2006, p :93.

[7] عامر عبد الرواق الناصر، **ادارة المعرفة في إطار نظم ذكاء الأعمال**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص98.

[8] أكرم محسن الياسري و أحمد الشمري، **مفاهيم معاصرة في الإدارة الاستراتيجية ونظرية المنظمة**، دار صفاء للنشر والتوزيع، الادرن، 2015، ص 247.

وبعبارة أخرى هو مجموعة من العمليات الذهنية المعبأة بهدف التحليل والفهم وترتيب الواقع على شكل مفاهيم خاصة بالكائن الإنساني، وفيما يلي الشكل التالي الذي يوضح كل ماسبق:

الشكل رقم 1.1: الاطار العام لمفهوم الذكاء الاقتصادي



المصدر: عامر عبد الرواق الناصر، **إدارة المعرفة في إطار نظم ذكاء الأعمال**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص100.

4.2.العوامل المساعدة على بلورة مفهوم الذكاء الاقتصادي

شرعت المنظمات المتعددة باستخلاص البيانات ودراستها وإدراك مضامينها من أجل استخدامها لدعم أعمال صناعة القرارات بقصد تطوير العمليات والأنشطة المختلفة والخاصة بأعمالها، ومن جانب آخر فإن القوانين والتشريعات بحاجة إلى عمل يقود إلى تثبيت إجراءات الأعمال وتأشير التشريع الخاص بالبيانات والمعلومات التي توضح كيفية عرضها في التقارير[1].

ولما كانت التكنولوجيا قد اختزلت دورة حياة منظمات الأعمال بشكل ملحوظ، فإن جانبا من النجاح يمكن إن يعزى إلى غزارة البيانات والمعلومات، التي تم إيداعها في قواعدها الخاصة تحضيرا لأعمال صناعة واتخاذ القرارات التنافسية المطلوبة، علما أن المديرون يطلبون البيانات والمعلومات وفي الوقت المحدد والمكان المقصود، وما تقدم يؤشر لنا ضرورة بناء نماذج أحدث للذكاء الاقتصادي، لتقود المنظمة المعنية إلى ممارية أعمالها بذكاء عال، ويبقى على إدارة المنظمة المعنية قيادة إدارة الذكاء الاقتصادي كونه يضم الجانب الاستخباراتي المهم والضروري لتنفيذ أعمالها وبالشكل السليم، ومن بين الجوانب المساعدة على بلورة مداخل ناجحة لخدمة إدارة الذكاء الاقتصادي التطبيقات التالية[2]:

أ.تصنيف الزبائن والذي من شانه توليد قيمة للأعمال، ويجرى التصنيف من شكل العلاقة ونوع الخدمة وشكل البيع (التجزئة والجملة).

ب.التهيؤ لعقد صفقات الشراء الجديدة، حيث ينتظر أن تضيف الصفقة الجديدة قيمة للمنظمة وبما يخدم الزبائن الحاليين والمحتملين واستكشاف إمكانية رفع طاقة خط الإنتاج في ضوء عدد الطلبات المحتملة وكل ذلك ينعكس على ربحية منظمة الأعمال.

جـ.القيمة التي يتوقعها الزبون جراء قيامه بالشراء من هذه المؤسسة أو تلك، وأن ناتج قرارات الشراء الخاصة بالزبون تساهم في توليد الحالة التفاعلية بين الزبون والمنظمة، ومن شأن مثل هذه القرارات ان تنعكس على ربحية منظمة الأعمال.

---

[1] مزهر شعبان العاني وآخرون، **ذكاء الأعمال وتكنولوجيا المعلومات**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص 25.

[2] نفسه، ص 26.

د.الكشف عن حالات التلاعب والاحتيال قبل وقوعه، إذ تساعد البيانات والمعلومات إدارة المنظمة في التحصن إزاء حالات التلاعب، والقيام بالأفعال السريعة والآنية.

ه.تحصين الزبون من خلال القيمة التي تولدها، البيانات والمعلومات وإبعاد الخسارة عنه، أو الاندفاع نحو زيادة عدد الزبائن، وما تولدها هذه الزيادة من قيمة إضافية لصالح المنظمة.

و.قنوات الاتصال أو التوزيع وأفضليتها في توليد القيمة الإضافية لصالح كل من الزبون والمنظمة، من حيث إيصال الخدمة أو السلعة للزبون المعني دون تحميل المنظمة تكلفة إضافية.

5.2.أهمية الذكاء الاقتصادي:هناك العديد من العوامل ساهمت في ازدياد أهمية الذكاء الاقتصادي وهي كالتالي[1]:

❖ تطور اقتصاد المعرفة، أين القيمة المضافة للمعرفة أخدت أهمية تنامت في التصور الصنع، التوزيع، البيع والإشهار للسلع والخدمات، الذي أدى إلى النمو الزائد لدور الإبداع والطرق التيسيرية الحديثة للذكاء الاقتصادي في النجاحات التجارية لأية منظمة.

❖ بروز أشكال الحرب الاقتصادية في إطار التبادلات التجارية وأشكال الضغط الأكثر نشاطا.

❖ الاستعمال الدفاعي للمعلومة والمعرفة في النشاط الاقتصادي.

وكنتيجة لهذه التغيرات، وجب على المنظمات إلزامية المبادرة النظامية المبنية في سلسلة ردود الأفعال المتصلة، والتي تكون مجمعة في مفهوم الذكاء الاقتصادي، الذي يمكن المنظمة من الوضع في الاستطاع عمليات صلبة لليقظة وحماية الإرث المعلوماتي، وكذا ممارسة التأثير، ويمكن إجمال أهمية الذكاء الاقتصادي في النقاط التالية[2]:

✓ تطوير منتجات جديدة لكون الذكاء يسمح بالتنبؤ بالجديد.

✓ يقود للأداء الناجح وذلك لأن الذكاء من طرق القياس المقارن، الذي يقوم على الدراسة المقارنة للميزة التنافسية للمنافسين.

✓ اتخاذ القرارات مثل قرار الاستثمار أو تغيير الاستراتيجية أو مواجهة المنافسين.

✓ الذكاء هو أحسن وسيلة للبائعين.

✓ الحصول على ميزة تنافسية ويوقد المنظمة لتأمين وضمان المركز الأول سواء في السوق أو القطاع.

المحور الثالث: أساسيات حول إدارة الأزمات في بيئة الأعمال المعاصرة:قبل التطرق لمفهوم إدارة الأزمات سنشير إلى مفهوم الأزمة، بحيث أن مفهوم الأزمة يعتبر من المفاهيم الشائعة الاستعمال في كافة المجالات.

1.3.ماهية الأزمة:إن الأزمة من أكثر الكلمات تداولا في مختلف الأنظمة والتخصصات وأيضا في مختلف المستويات من الفرد إلى المجتمع، والمنظمة والدولة حتّى أن تعاريفها تعددت وتنوعت حسب نوع الأزمة ومستواها.

أولا:تعريف الأزمة: توجد العديد من التعريفات الخاصة بمصطلح الأزمة ومن أبرز هذه التعريفات ما يلي:

✓ الأزمة لغويا في المعجم الوسيط هي الشدة والقحط أما في المنجد فإن اصل الكلمة مشتق من الفعل زأم زؤوما أي مات سريعا[3].

✓ الأزمة هي موقف ينتج عن تغيرات بيئية مولدة للازمات ويخرج عن إطار العمل المعتاد، ويتضمن قدرا من الخطورة، والتهديد، والمفاجأة إن لم يكن في الحدوث فهو في التوقيت، ويتطلب استخدام أساليب إدارية مبتكرة وسرعة ودقة في رد الفعل، ويفرز آثارا مستقبلية تحمل في طياتها فرصا للتحسين والتعلم[4].

---

[1] لامية حليمي، مرجع سبق ذكره، ص 53.

[2] نفسه، ص55.

[3] محسن أحمد الخضيري، **إدارة الازمات**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2003، ص 21.

[4] علاء الدين عبد الغني محمود، **إدارة المنظمات**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 420.

✓ هو توقف لأحداث المنظمة المتوقعة واضطراب العادات، مما يستلزم اتخاذ اجراءات سريعة لإعادة التوازن للمنظمة وتكوين عادات جديدة أكثر ملائمة للحدث[1].

✓ الأزمة هي مصطلح يعبر عن الحالة العملية الحرجة والطارئة وكذلك عن المصيبة الواقعة أو المتوقعة الحدوث، والتي تواجه المنظمات الإدارية والمؤسسات المالية والشركات التجارية وكل مجموعة إنسانية قائمة، سواء أكانت مجموعة أعمال إدارية أو تجارية أو مالية، أو حتّى مجموعة اجتماعية أو أسرية[2].

✓ كما تعرف إداريا على أنها: نقطة تحول في حياة المؤسسة نحو الأسوأ أو الأفضل، فهي حالة من عدم الاستقرار يوشك أن يحدث فيها تغيير حاسم يؤدي إلى نتائج مرغوب فيها ، أو قد يؤدي إلى نتائج غير مرغوب فيها[3].

✓ وعرف (Pauchant & Douville 1993) الأزمات بأنها مواقف مركبه تواجه المنظمة أو النظام كله وتتحدى الافتراضات الأساسية المتعارف عليها وعادة تتطلب تلك الأزمات تصرفات وقرارات عاجلة ومستحدثه وتؤدى فيما بعد لاستجواب دقيق للنظام والافتراضات الأساسية بواسطة أعضاء النظام [4].

الجدول رقم (1.3): الأزمة طبقا إلى الأوجه الإيجابية والسلبية

مستوى الأزمة	الأوجه السلبية (تهديد)	الأوجه الإيجابية (فرصة)
على مستوى خطة المؤسسة الاستراتيجية	تشويش/فوضى	البحث عن فرص/تجديد النسيج الاجتماعي.
على مستوى الخطة التشغيلية	قصور ذاتي/شلل/مصدر إرباك/صراع/تنافس.	تكييف أفعال جديدة وأكثر كفاءة.
على مستوى الخطة المتصلة بالنظام العلاقاتي		تعاون/تحالفات/ائتلافات.
على مستوى الخطة السلوكية	شد مفرط يؤدي إلى سلسلة من السلوكيات العنيفة والطائشة.	ضغط خلاق/البحث عن حلول واضحة.
على مستوى خطة القيم	تصرفات روتينية مألوفة.	وقاية/ تماسك.
على مستوى خطة التعلم	مدخل متسارع باتجاه قواعد معيارية	التجريب البراكماتية.

المصدر: إيثار عبد الهادي محمد، **استراتيجية إدارة الأزمات: تأطير مفاهيمي على وفق المنظور الإسلامي**، ص13.

وهكذا تحول مفهوم الأزمة من وجهة النظر التقليدية التي تصفها كحدث يدمر أو يؤثر في المنظمة ككل، إلى وجهة النظر الاستراتيجية، بكونها لحظة حاسمة ونقطة تحول نحو الأفضل او الأسوأ[5].

مما سبق وباستقراء تعريفات الأزمة في أدبيات الإدارة يتضح لنا معنى إدارة الأزمة في منظمة الأعمال الصغيرة، حيث هي عبارة فشل إداري لمتخذي القرار نتيجة لحدوث خلل إداري معين أو عدم خبرة أو حداثة معرفة.

ثانيا:خصائص الأزمة: إن هناك مجموعة من الخصائص التي تميز الأزمة وتجعلها واضحة المعالم، ومن جملة هذه الخصائص مانوجزه في النقاط التالية[6]:

✓ سيادة جو من عدم المعرفة وذلك في ظل وجود غيمة مظلمة من عدم وجود المعلومات الكافية والهامة للمنظمات وبالتالي لا يعرفون كيف يتصرفون مع الأمور، بل تزداد الأمور سوءا وتعقيدا لعدم وجود المعلومات الكافية.

✓ الأزمة بطبيعتها معقدة ومعطياتها متداخلة ومعلوماتها متشابكة ومتعددة.

✓ الأزمة قد تسبب انهيار وخسارة وعجز للمنظمات الإدارية.

إضافة لما تقدم، هناك مزايا أخرى، يمكن إضافتها ومنها[1]:

---

[1] حامد عبد حمد الدليمي، **إدارة الأزمات في بيئة العولمة حالة دراسية لإعادة إعمار مدينة الفلوجة في جمهورية العراق**، أطروحة دكتوراه في إدارة المشاريع في الأزمات، جامعة كليمنتس، 2008، ص 66.

[2] محمد سرور، **إدارة الأزمات المشكلات الاقتصادية والمالية والادارية**، دار البداية، عمان، 2010، ص 129.

[3] حيدر عبيسات وزياد طوالبة، **دراسة ميدانية لمدى توفر لإدارة الأزمات في مؤسسة المناطق الحرة**، مديرية الدراسات، الأردن، 2005، ص 4.

[4] ممدوح رفاعي وماجدة جبريل، **إدارة الأزمات**، كلية التجارة جامعة عين شمس، مصر، ص 19.

[5] نفسه، ص 5.

[6] محمد سرور، مرجع سبق ذكره، ص 137.

✓ تسبب في ظهور أعراض سلوكية مثل التوتر واللامبالاة وشيوع التخريب للموجودات المادية المتواجدة لدى الكيان الإداري.

✓ تستوجب خروجا عن الطرق والوسائل العادية المألوفة.

✓ توفرا حافزا لبعض المديرين القياديين لتعزيز ادوارهم أفرادا أو منظمات.

ثالثا: أنواع الأزمات: تختلف الأزمات التي تواجهها المنظمات من حيث حدتها، إذ يمكن التمييز في هذا الصدد بين ثلاثة أنواع من الأزمات وهي[2]:

الأزمات الفورية: إذ تحصل الأزمة دون سابق إنذار أو بتحذير قليل، لذلك لا تكون المنظمة قادرة على التخطيط للأزمة قبل وقوعها.

الأزمة التصاعدية: وهذا النوع من الأزمات يتطور ببطء، ويمكن إيقافه أو الحد منه عن طريق استخدام بعض الإجراءات التنظيمية.

الأزمة المستديمة: ويستمر هذا النوع لأسابيع أو أشهر أو حتّى لسنوات.

رابعا:أسباب حدوث الأزمات: لكل أزمة مقدمات تدل عليها وشواهد تشير إلى حدوثها ومظاهر أولية ووسطى ونهاية تفرزها، ولكل حدث أو فعل تداعيات وتأثيرات وعوامل تفرز مستجدات، وأيا كان فإن هناك أسبابا مختلفة لنشوء الأزمات، بالإمكان تلخيصها في الشكل التالي:

الشكل رقم (1.3): أسباب حدوث الأزمات

أسباب حدوث الأزمات
تعار ض الأهداف
تعارض المصالح
سوء الفهم
سوء الإدراك
سوء التقدير
الإدارة
الرغبة في الإبتزاز
اليأس
الإشاعات
استعراض القوة
الأخطاء البشرية
الأزمات المتعمدة المخططة

المصدر: محسن أحمد الخضيري، إدارة الأزمات: علم امتلاك كامل القوة في أشد لحظات الضعف، القاهرة، مجموعة النيل العربية، ط2، 2002، ص (66).

2.3.مفهوم إدارة الأزمة:يعتبر علم إدارة الأزمات احد العلوم الإدارية الحديثة التي ازدادت أهميتها في عالمنا المعاصر، ومتصل بكافة العلوم الانسانية الأخرى كالاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها، يأخذ منها ويضيف إليها الجديد الذي تحتاجه وهو في ذات الوقت علم المستقبل والتكيف مع المتغيرات شديدة التعقيد، وهناك لبس بين مفهوم إدارة الأزمة والإدارة بالأزمات فالبعض يطلق على الإدارة بالأزمات علم صناعة الأزمة للتحكم والسيطرة على موقف ما بافتعال

[1] محمود محمد العجلوني، إدارة الأزمات في القطاع المصرفي في إقليم الشمال، جامعة اربد الاهلية، الاردن، http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=72869 ص20.

[2] شاكر جار الله الخشالي ومحيي الدين القطب، فاعلية نظم المعلومات الادارية ، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، المجلد3، ع:1، 2007، ص 28.

الأزمات أي أنه يتم افتعال الأزمات للتمويه والتغطية على مشاكل قائمة في النظام أي استخدام الأزمات المفتعلة كستار من الدخان لإخفاء الفشل الإداري أو للاستمرار في عمليات النهب المنظم لمقدرات الكيانات الإدارية التي يشرفون عليها[1]، كما يمكن اعتبار الإدارة بالأزمات علم وفن السيطرة على الآخرين من خلال احداث الموقف وتوجيهه بما يخدم أهداف صناع الأزمة بهدف الإخضاع والابتزاز بعد خلق فوضى منظمة متحكم فيها، لذا تدعى أحيانا بفن صناعة المؤامرات، يساعد على ذلك وجود مناخ من القلق والتوتر والشك، أما إدارة الأزمة فهي علم وفن السيطرة على الموقف وتوجيهه بما يخدم أهداف مشروعة من خلال إدارة الأزمة ذاتها من اجل التحكم في ضغطها ومسارها واتجاهاتها[2].

أولا: تعريف إدارة الأزمة: هناك العديد من المفاهيم التي وردت في تعريف إدارة الأزمة، ونظرا لتعددها وكثرتها فقد ارتأينا عرض لبعض منها على النحو الآتي[3]:

- ✓ مفهوم إدارة الأزمة يشير إلى كيفية التغلب على الأزمة باستخدام الأسلوب الإداري العلمي من أجل تلافي سلبياتها ما أمكن، وتعظيم الإيجابيات.
- ✓ إدارة الأزمات هي نشاط هادف يقوم على البحث والحصول على المعلومات اللازمة التي تمكن الإدارة من التنبؤ بأماكن واتجاهات الأزمة المتوقعة، وتهيئة المناخ المناسب للتعامل معها، عن طريق اتخاذ التدابير للتحكم في الأزمة المتوقعة والقضاء عليها أو تغيير مسارها لصالح المنظمة.
- ✓ ويرى بعض الباحثين أن إدارة الأزمة:" عملية إدارية متميزة لأنها تتعرض لحدث مفاجئ، ولأنها تحتاج لتصرفات حاسمة سريعة تتفق مع تطورات الأزمة، وبالتالي يكون لإدارة الأزمة زمام المبادأة في قيادة الأحداث والتأثير عليها وتوجيهها وفقاً لمقتضيات الأمور".
- ✓ كما تعني إدارة الأزمة " التعامل مع الأزمات من أجل تجنب حدوثها من خلال التخطيط للحالات التي يمكن تجنبها، وإجراء التحضيرات للأزمات التي يمكن التنبؤ بحدوثها في إطار نظام يطبق مع هذه الحالات الطارئة عند حدوثها بغرض التحكم في النتائج أو الحد من آثارها التدميرية".
- ✓ هي فن القضاء على جانب كبير من المخاطرة وعدم التأكد بما يسمح لك بتحقيق تحكم أكبر في مصيرك ومقدراتك.
- ✓ التخطيط لما قد لا يحدث.
- ✓ إدارة الأزمات تشير إلى منهجية الإدارة في التعامل مع الأزمات في ضوء الاستعداد والمعرفة والوعي والإدراك والإمكانات المتوافرة والمهارات وأنماط الإدارة السائدة[4].
- ✓ هي كافة الوسائل والإجراءات والأنشطة التى تنفذها المنظمة بصفة مستمرة فى مراحل ما قبل الأزمة وأثناءها وبعد وقوعها والتى تهدف من خلالها إلى تحقيق مايلى[5]:

- منع وقوع الأزمة كلما أمكن. - مواجهة الأزمة بكفاءة وفعالية.
- تقليل الخسائر فى الأرواح والممتلكات إلى أقل حد ممكن. - تخفيض الآثار السلبية على البيئة المحيطه.
- إزالة الآثار السلبية التى تخلفها الأزمة لدى العاملين والجمهور .
- تحليل الأزمة والاستفادة منها فى منع وقوع الأزمات المشابهه أو تحسين وتطوير قدرات المنظمة وأداءها فور مواجهة تلك الأزمات.

---

[1] نفسه ، ص 14.

[2] نفسه، ص 56.

[3] ربحي عبد القادر الجديلي، مرجع سبق ذكره، ص 14.

[4] شاكر جار الله الخشالي ومحيي الدين القطب، **فاعلية نظم المعلومات الادارية** ، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، المجلد3، ع:1، 2007، ص 28.

[5] ممدوح رفاعي وماجدة جبريل، مرجع سبق ذكره، ص30.

ومن خلال المفاهيم السابقة لإدارة الأزمة يمكن تحديد عناصرها فيما يلي:

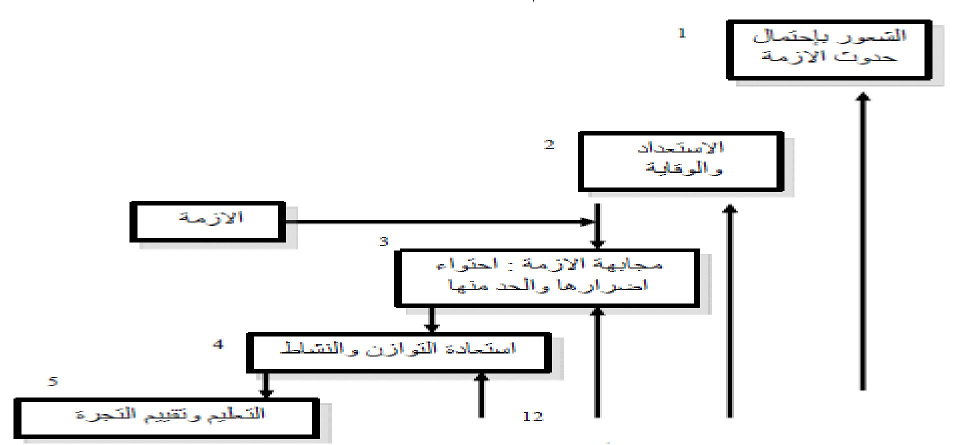
- ✓ عملية إدارية خاصة تتمثل في مجموعة من الإجراءات الاستثنائية التي تتجاوز الوصف الوظيفي المعتاد للمهام الإدارية.
- ✓ استجابات إستراتيجية لمواقف الأزمات.
- ✓ تدار الأزمة بواسطة مجموعة من القدرات الإدارية الكفؤة والمدربة تدريباً خاصاً في مواجهة الأزمات.
- ✓ تهدف إدارة الأزمة إلى تقليل الخسائر إلى الحد الأدنى.
- ✓ تستخدم الأسلوب العلمي في اتخاذ القرار.[1]

ثانيا: أهداف إدارة الأزمة: إن الأزمة فترة حرجة وحاسمة تتعلق بمصير الكيان الإداري الذي أصيب بها، ومن اهم أهداف إدارة الأزمة هي[2]:

- ✓ العمل على عدم حدوث الأزمات من خلال إزالة مسبباتها.
- ✓ تصميم النمط التنظيمي الفعال لمواجهة الأزمة عند حدوثها وتقليل آثارها.

3.3. مراحل إدارة الأزمة: لإدارة الأزمة خمسة مراحل يقتضي على كل مرحلة من مراحلها لدقة من خلال التخطيط للمرحلة الأولى وتنفيذها ومتابعتها والمعلومات المرتدة من هذه المرحلة، التغذية العكسية تعتبر أساسا للمرحلة الثانية في التخطيط والتنفيذ والمتابعة والمعلومات المرتدة من المرحلة الثانية تعتبر أساسا للمرحلة الثالثة وهكذا، والمراحل الخمسة لإدارة الأزمة بمكن عرضها في الشكل الموالي:

الشكل رقم (2.3): المراحل الخمسة لإدارة الأزمة



المصدر: نجم العزاوي، أثر التخطيط الاستراتيجي على إدارة الأزمة، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي السابع حول: تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية على منظمات الأعمال، جامعة الزرقاء، الاردن، يومي 3-2009/11/5، ص 12.

المحور الرابع: الذكاء الاقتصادي رهان منظمات الأعمال الصغيرة لإدارة الأزمات:إن المقدرة الفائقة لإستراتيجية الذكاء الاقتصادي في البحث عن المعلومة والوصول إليها جعل لها ميزة في إدارة الأزمات التي يمكن أن تواجه منظمات الأعمال الصغيرة، ومن هنا أمكن القول أن الذكاء الاقتصادي أضحى الرهان الذي تعول عليه منظمات الأعمال الصغيرة سواء في البقاء والاستمرارية أو المنافسة على مستوى السوق.

1.4.حاجة منظمات الأعمال الصغيرة للذكاء الاقتصادي: بسبب العلاقة الوثيقة والقريبة بين تطبيق الذكاء الاقتصادي والإدارة العليا في منظمة الأعمال الصغيرة، هنالك عامل هام يجب ان يتم تحليله ودراسته قبل البدء بالمشروع وهو فيما

---

[1] ربحي عبد القادر الجديلي، مرجع سبق ذكره، ص15.

[2] نجم العزاوي، أثر التخطيط الاستراتيجي على إدارة الأزمة، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي السابع حول : تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية على منظمات الأعمال، جامعة الزرقاء الخاصة الأردنية، يومي 3-2009/11/5، ص 11.

اذا كان هنالك حاجة لتطبيق الذكاء الاقتصادي ضمن المنظمة ام لا، وكذلك فيما اذا كان هنالك فوائد واضحة سيتم الحصول عليها عند القيام بالتطبيق، كما أن المنافسة تعد من العوامل الرئيسية المحددة للحاجات والفوائد من تطبيق الذكاء الاقتصادي وكذلك ضرورة ايجاد تفوق في السوق[1].هنالك ايضا فائدة وسبب هام لتطبيق الذكاء الاقتصادي المقاد بتحليل الأعمال وهو عند استحواذ منظمة اعمال صغيرة على منظمة اعمال اخرى في هذه الحالة تطبيق الذكاء الاقتصادي المقاد بتحليل الأعمال سيوفر طريقة فعالة للحصول على فهم اعمق وأدق لأعمال المنظمة.

2.4. مراحل تطبيق الذكاء الاقتصادي على مستوى منظمات الأعمال الصغيرة[2]: أولا: جمع البيانات: في هذه المرحلة تقوم أنظمة الذكاء الاقتصادي بجمع البيانات من المصادر الداخلية والخارجية، وذلك حسب الأغراض المرجوة منها وبما يخدم عملية اتخاذ القرار

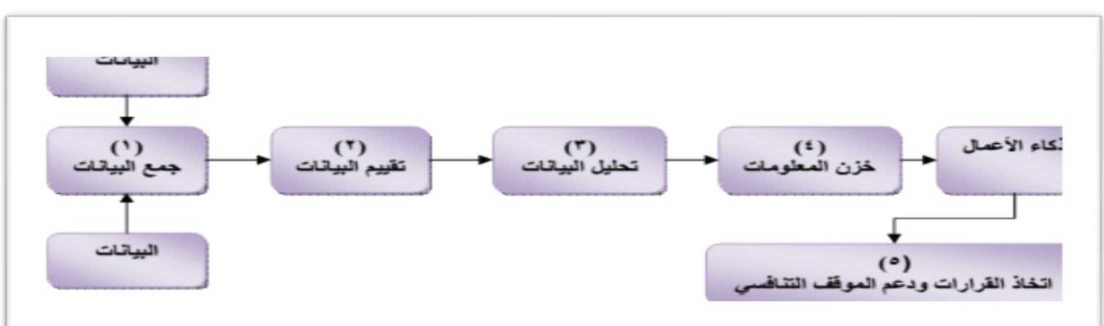
ثانيا: تقييم البيانات: في هذه المرحلة يتم تقييم البيانات لتحديد البيانات التي من الممكن الاستفادة منها في عملية اتخاذ القرار واستبعاد تلك التي لا يمكن الاستفادة منها

ثالثا: تحليل البيانات: وذلك للحصول على المعلومات المطلوبة لاتخاذ القرارات المختلفة للمنظمة وبما يعزز موقفها التنافسي.

رابعا: خزن المعلومات: تخزن المعلومات التي تم الحصول عليها في المرحلة السابقة في قواعد البيانات لكي تكون جاهزة لمتخذي القرار حين طلبها.

خامسا: اتخاذ القرارات ودعم الموقف التنافسي: في هذه المرحلة يتم استرجاع المعلومات المخزنة في قواعد البيانات للاستفادة منها في اتخاذ القرارات المختلفة والتي تساهم في دعم الموقف التنافسي لمنظمة الاعمال الصغيرة في ظل البيئة التي تعمل فيها.والشكل الموالي يبين لنا مختلف مصادر المعلومات التي تحصل عليها منظمة الأعمال الصغيرة:

الشكل رقم1.4 : مصادر معلومات منظمة الأعمال الصغيرة



المصدر: غانم ارزوقي العزواي، **استخدام انظمة ذكاء الاعمال في تنمية راس المال البشري**، جامعة بغداد، كلية الادارة والاقتصاد، ص56.

إن تطوير ممارسة الذكاء الاقتصادي يفرض على كل منظمات الأعمال الصغيرة مضاعفة تدابير الحذر فيما يخص حماية إرثها المعلوماتي عن طريق معرفة واستعمال كل المصادر القانونية المتاحة لهذا الغرض وتسخير كل الوسائل البشرية،المعلوماتية و التنظيمية.

3.4.معنى الذكاء الاقتصادي في إدارة أزمات منظمات الأعمال الصغيرة: ويتعلق بالجوانب التالية[3]:

1. **الشمولية:** يعني مفهوم الشمولية مفهوم الذكاء الاقتصادي بحيث يمكن القادة من رسم جميع الأوجه الافتراضية لنجاح المنظمة، داخل إطار مألوف للإشارة إلى المداولة والمحادثة والتقييم وحق الأقدمية.

[1] خالد ضيف الله ، ذكاء الأعمال، حلقة بحث، متاحة عبر الرابط الالكتروني%https://www.linkedin.com/pulse/ ،

[2]: غانم ارزوقي العزواي، **استخدام انظمة ذكاء الاعمال في تنمية راس المال البشري**، جامعة بغداد، كلية الادارة والاقتصاد، العراق، ص56.

[3] نعمة عباس الخفاجي، **الذكاء المنظمي: فكرة معاصرة في إدارة أزمات الأعمال**، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد 84، العراق، 2010، ص64.

2. **الواقعية:** ينبغي التعامل بواقعية مع العمل اليومي وحياة المنظمات، فالخيال والحالة المثالية إنما تعتمد على التوقعات للسلوك الجمعي ومقدار فرص النجاح بعيد الأمد.

3. **المنظور**: ينبغي تحديد النقطة التي توجه نحوها أنواع الأفعال، والاستراتيجيات والممارسات التي تعرض فرص لإنجاز الحالة المنشودة.

4. **التجانس:** أخذ بنظرة الاعتبار نماذج السلوك الفعلي ومنظومات القيم، والمعتقدات، والتقاليد والمحظورات والحشد في العلاقات الجمعية التي تتفرد بها المنظمة عن باقي المنظمات.

5. **التطوير:** ينبغي عرض البرامج التي تحدث تقدما وتحسنا ممكنا، بتطبيق ذكي وجهود متقنة مجتهدة للحصول على ممارسات صحيحة في مكانها، ويلتزم القادة بتحسين درجات الذكاء الاقتصادي.

4.4. دور الذكاء الاقتصادي في إدارة الأزمة في منظمة الأعمال الصغيرة

تتصف الأزمات مهما كان نوعها بكونها مفاجأة وعملية الأحداث فيها متصاعدة، ويوجد نقص كبير في توفر المعلومات، وفقدان السيطرة، وغياب الحل السريع، وانتشار الذعر أحيانا، ولأن الذكاء الاقتصادي هو البحث عن المعلومة واستغلالها لتحقيق هدف اقتصادي واستراتيجي لمنظمة الأعمال الصغيرة، هنا يمكن القول أن أهمية ودور هذه المعلومات في إدارة الأزمات يمكن الحديث عنها في النقاط التالية[1]:

1) **تجنب المفاجئة:** ويقصد بالمفاجئة حدوث الأزمة بدون تحذيرات أو إشارات تشير إلى إمكانية حدوث الأزمة والتي تحدث نتيجة لقصور المعلومات أو عدم دقتها أو عدم وصولها في الوقت المناسب لاتخاذ القرار.

2) **سرعة اتخاذ القرار وتحقيق أهدافه**: إن توفير المعلومات الصحيحة والدقيقة في الوقت المناسب تساهم إلى حد بعيد في تجاوز الحالات السلبية التي تعيق سرعة اتخاذ القرار.

3) **ضمان التوصل للقرار السليم:** ينبغي أن يكون لمن يعمل في مجال المعلومات فكرة لتقييم الحالات ذات العلاقة، إذ أن توفر المعلومات واستمرارية تحديثها يضمن تغيير الفكرة وفقا للمتغيرات التي تعد الأساس لاتخاذ القرار السليم.

4) **زيادة المرونة لمتخذي القرار لإدارة الأزمة ومشكلاتها المحتملة:** يعد تدفق المعلومات من خلال النظم الخاصة بها واستمرارها خلال مراحل إدارة الأزمة عاملا في سرعة اتخاذ القرار المناسب وإدخال التعديلات عليه أو اتخاذ قرارات جديدة في الوقت المناسبة والتي تتوافق مع متطلبارلاظزةلاثغ+9+ت الاستجابة لواقع التغيرات التي تطرأ على الأزمة وعلى منظمة الأعمال الصغيرة وعلى بيئتها.

5) **تعظيم الإمكانات والقدرات الخاصة بإدارة الأزمة**: حيث يوفر الذكاء الاقتصادي أفضل استثمار للإمكانات المتاحة للحصول على مردود إيجابي لإدارة الأزمة، والتحكم في البدائل المتاحة خلال إدارة الأزمة.

لذا فإن الذكاء الاقتصادي يلعب دورا بارزا في إدارة الأزمة داخل المنظمات الصغيرة تبعا لمراحل حدوث الأزمة وذلك كما يلي[2]:

1) **مرحلة ما قبل الأزمة:** وهنا يتمثل دور الذكاء في المساهمة في تحديد السياسة العامة لمنظمة الأعمال الصغيرة وأهدافها، وكذا المساهمة في إعادة التقديرات الخاصة بالمخاطر والتهديدات المحتملة للأزمة، وأيضا المساهمة في تحديد الأزمات والتنبؤ بها، وبناء وقاعد للمعلومات المناسبة لكل نوع من أنواع الأزمات التي يمكن أن تواجهها منظمة الأعمال الصغيرة، كما يمكن للذكاء أيضا جمع المعلومات الخاصة بالأسعار وانخفاض المبيعات أو الخاصة بالسوق والمنافسين أو

---

[1] معتز سلمان عبد الرزاق، إدارة الأزمات ونظم المعلومات مديات التأثير والفاعلية، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد28، العراق، 2011، ص 152.

[2] نفسه، ص 153.

الخاصة بالزبائن، والعمل بصورة جماعية عن طريق إعداد فريق لمواجهة الأزمة من ذوي الخبرة والتدريب في مجال إدارة الأزمات.

2) **مرحلة حدوث الأزمة:** هنا يعمل الذكاء الاقتصادي على الحفاظ على تدفق المعلومات لمراكز إدارة الأزمة في منظمة الأعمال الصغيرة لاتخاذ القرار المناسب لمواجهة ردود الفعل، كما يعمل على المساعدة في إمكانية توصل الخبراء والمستشارين وفقا للتخصصات المناسبة للأزمة، فبفضل المعلومات التي يوفرها الذكاء الاقتصادي يتم تعديل الخطط المعدة مسبقا لإدارة الأزمة، وإيجاد البديل المناسب لاتخاذ القرار المناسب تجاه الأزمة

3) **مرحلة ما بعد الأزمة:** وهي المرحلة التي يمكن فيها الذكاء الاقتصادي منظمة الأعمال الصغيرة من تحديث قاعدة المعلومات الأساسية لمراكز إدارة الأزمات المختلفة، ويعمل فيها الذكاء أيضا على تحليل الأزمة وأسباب حدوثها والخروج بالنتائج التي يمكن إن يستفاد منها لاحقا.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث تم التوصل إلى النقاط التالية:

✓ الذكاء الاقتصادي ما هو إلا مجموعة الأعمال المنسقة للبحث، المعالجة، التوزيع بهدف استغلال المعلومة الضرورية للمتعاملين الاقتصاديين.

✓ اليقظة الاستراتيجية ما هي إلا مرحلة متضمنة من الذكاء الاقتصادي.

✓ الأزمة على مستوى منظمة الأعمال الصغيرة هي عبارة عن فشل إداري لمتخذي القرار نتيجة لحدوث خلل إداري معين أو عدم خبرة أو حداثة معرفة.

✓ إن إدارة الأزمة تقوم على منهجية الإدارة في التعامل مع الأزمات في ضوء الاستعداد والمعرفة والوعي والإدارة والإمكانات المتوافرة والمهارات وانماط الإدارة السائدة.

✓ يمكن الحديث عن مراحل تطبيق استراتيجية الذكاء الاقتصادي على مستوى منظمة الأعمال الصغيرة من خلال البحث عن المعلومة وتحليلها ومعالجتها وبثها بهدف اتخاذ القرار المناسب.

✓ يعمل الذكاء الاقتصادي على إدارة الأزمات التي تعاني منها منظمات الأعمال الصغيرة بطريقة مبتكرة ورائدة.

أما التوصيات التي خرج بها البحث فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:

✓ لابد لمنظمات الأعمال الصغيرة من الاهتمام المتزايد بالذكاء الاقتصادي، لما له من دور هام وحيوي وفاعل في إدارة الأزمات بمختلف مراحلها وتقديم المعلومات الحساسة والمهمة التي تساعد إدارة المنظمة الصغيرة على اتخاذ القرار السليم.

✓ ضرورة التأكيد على الاتيان بقيادات إدارية واعية ومدركة ذات خبرة واختصاص بإدارة الأزمات التي تتعرض لها منظماتهم الصغيرة.

✓ ضرورة استخدام أساليب حديثة في مجال الذكاء الاقتصادي على مستوى منظمة الأعمال الصغيرة.

قائمة المراجع:

1. إيثار عبد الهادي محمد، **استراتيجية إدارة الزمات: تأطير مفاهيمي على وفق المنظور الإسلامي**، متاحة عبر الرابط: https://fr.scribd.com/doc/76654402أكرم محسن الياسري و أحمد عبد الله الشمري، **مفاهيم معاصرة في الإدارة الاستراتيجية ونظرية المنظمة**، دار صفاء للنشر والتوزيع، الادرن، 2015.

2. بسام عبد الرحمن يوسف وربيع علي زكر، **ذكاء الأعمال ودوره في فاعلية التجارة الخارجية معمارية مقترحة لشركة الحكماء لصناعة الأدوية والمستلزمات الطبية في محافظة نينوى**، مجلة تنمية الرافدين، العدد113، المجلد 35، العراق، 2013.

3. بعلزوز بن علي وصليحة فلاق، **دور اليقظة الاستراتيجية في تنمية الميزة التنافسية للمؤسسة وواقعها في الجزائر**، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى الدولي الرابع حول: المنافسة والاستراتيجيات التنافسية للمؤسسات الصناعية خارج قطاع المحروقات في الدول العربية، يومي 8-9 نوفمبر 2010، جامعة الشلف.

4. حامد عبد حمد الدليمي، إدارة الأزمات في بيئة العولمة حالة دراسية لإعادة إعمار مدينة الفلوجة في جمهورية العراق، أطروحة دكتوراه في إدارة المشاريع في الأزمات، جامعة كليمنتس، 2008.

5. حيدر عبيسات وزياد طوالبة، دراسة ميدانية لمدى توفر لإدارة الأزمات في مؤسسة المناطق الحرة، مديرية الدراسات، الأردن، 2005.

6. خالد ضيف الله، ذكاء الأعمال، متاحة عبر الرابط:
https://www.linkedin.com/pulsekhaled-daifallah

7. رتيبة حديد ونوفل حديد، اليقظة التنافسية وسيلة تسييرية حديثة لتنافسية المؤسسة، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى العلمي الدولي حول الأدء المتميز للمنظمات والحكومات، يومي 8-9 مارس 2005، جامعة ورقلة.

8. سعيد كرومي وأحمد عمرستي، أهمية اليقظة الاستراتيجية في تحسين القرارات الاستراتيجية والتنافسية للمؤسسة، ورقة بحثية مقدمة غلى الملتقى الدولي الرابع حول: المنافسة والاستراتيجيات التنافسية للمؤسسات الصناعية خارج قطاع المحروقات في الدول العربية،جامعة الشلف، 2010.

9. شاكر جار الله الخشالي ومحيي الدين القطب، فاعلية نظم المعلومات الإدارية ، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، المجلد3، العدد الأول، 2007.

10. عامر عبد الرواق الناصر، إدارة المعرفة في إطار نظم ذكاء الأعمال، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.

11. عبد الرزاق خليل وأحلام العبدلي، الذكاء الاقتصادي في خدمة منظمات الأعمال، متاحة عبر الرابط:

12. عدنان بن عبد الله الشيحة، من التخطيط الاستراتيجي إلى اليقظة الاستراتيجية، جريدة الاقتصادية الالكترونية، تاريخ الزيارة 2014/03/16، متاحة عبر الرابط: http://www.aleqt.com/2012/03/10/article_634764.html.

13. علاء الدين عبد الغني محمود، إدارة المنظمات، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2011.

14. غانم ارزوقي العزواي، استخدام انظمة ذكاء الاعمال في تنمية راس المال البشري، جامعة بغداد، كلية الادارة والاقتصاد، العراق.

15. فايز جمعة وعبد الستار العلي، الريادة وإدارة الأعمال الصغيرة، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2006. توفيق عبد الرحيم يوسف، إدارة الاعمال التجارية الصغيرة، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن، 2001.

16. فيروز زروخي وفاطمة الزهراء سكر، دور اليقظة الاستراتيجية في الرفع من تنافسية المؤسسات الاقتصادية، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى الدولي الرابع حول: المنافسة والاستراتيجيات التنافسية للمؤسسات الصناعية خارج قطاع المحروقات في الدول العربية، يومي 8-9 نوفمبر 2010، جامعة الشلف.

17. قدور بن نافلة وعاشور مزريق، اليقظة الاستراتيجية قناة اتصال المؤسسة ببيئتها، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى الدولي الرابع حول: المنافسة والاستراتيجيات التنافسية للمؤسسات الصناعية خارج قطاع المحروقات في الدول العربية، يومي8-9 نوفمبر 2010، جامعة الشلف.

18. لامية حليمي، دور اليقظة الاستراتيجية والذكاء الاقتصادي في تعزيز تنافسية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، مذكرو ماجيستر في علوم التسيير، جامعة بومرداس، 2009.

19. ليث القهيوي وبلال الوادي، المشاريع الريادية الصغيرة والمتوسطة ودورها في عملية التنمية، دار الحامد للنشر والتوزيع، الاردن، 2012.

20. محسن أحمد الخضيري، إدارة الأزمات: علم امتلاك كامل القوة في أشد لحظات الضعف، القاهرة، مجموعة النيل العربية، ط2، 2002.

21. محسن أحمد الخضيري، إدارة الازمات، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2003

22. محمد سرور، إدارة الأزمات المشكلات الاقتصادية والمالية والادارية، دار البداية، عمان، 2010.

23. محمد رقامي، اثر اليقظة الاستراتيجية والذكاء الاقتصادي على تحسين الاداء المؤسسات الاقتصادية دراسة حالة المؤسسات الاقتصادية الجزائرية، أطروحة دكتوراه في علوم التسيير،جامعة عنابة 2015.

24. محمود محمد العجلوني، إدارة الأزمات في القطاع المصرفي في إقليم الشمال، جامعة اربد الاهلية، الاردن، متاحة عبر الرابط:
http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=72869

25. مروة أحمد ونسيم برهم، **الريادة وإدارة المشروعات الصغيرة**، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، 2007.

26. مزهر شعبان العاني وآخرون، **ذكاء الأعمال وتكنولوجيا المعلومات**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2012.

27. مصطفى بودرامة، **دور الذكاء الاقتصادي في تحسين تنافسية المشروعات الصغيرة والمتوسطة الجزائرية**، ورقة بحثية مقدمة إلى الملتقى العلمي السنوي الحادي عشر حول ذكاء الاعمال واقتصاد المعرفة، ايام 23-26 أفريل 2012، جامعة الزيتونة الأردنية، الأردن.

28. مصطفى يوسف كافي، **بيئة وتكنولوجية إدارة المشروعات الصغيرة والمتوسطة**، دار الرواد للنشر والوزيع، الاردن، 2014.

29. معتز سلمان عبد الرزاق، **إدارة الأزمات ونظم المعلومات مديات التأثير والفاعلية**، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد28، العراق، 2011.

30. ممدوح الرفاعي وماجدة جبريل، إدارة الأزمات، كلية التجارة جامعة عين شمس، مصر.

31. نجم العزاوي، **أثر التخطيط الاستراتيجي على إدارة الأزمة**، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي السابع حول : تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية على منظمات الأعمال، جامعة الزرقاء الخاصة الأردنية، يومي 3-2009/11/5.

32. نعمة عباس الخفاجي، **الذكاء المنظمي: فكرة معاصرة في إدارة أزمات الأعمال**، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد 84، العراق، 2010.

.25.Alain Juillett**, modèle d'intelligence économique**, ed économica, paris, 2004

26.Didier Lucas, **Introduction à L'intelligence économique et stratégique : vers un nouveau .paradigme de l'interaction concurrentielle,** document de travail, Québec, février 2001

27.Emeric Saltet de Sablet d'Estiére**, L'intelligence économique au sevice de la gestion des risques et des crises : la crise d'air canada,** mémoire présenté comme exignece de la maitrise en adminstration des .affaires MBA recherche, université de Québec à Montréal, juillet 2006

أهمّية التّسويق في ظلّ الانفتاح الاقتصادي

أ. مريم ساعد - أ.د. إيمان بن زيان
جامعة باتنة 1

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز أهمية تبني المقاربة التسويقية في المؤسسات الجزائرية بغرض الاندماج في السوق العالمية وضرورة وضع استراتيجية واضحة تراعي الإمكانيات المتاحة في ظل المرحلة الراهنة التي تمر بها الجزائر (المرحلة الانتقالية) بسبب اتفاق الشراكة الأورو- متوسطية والانضمام المرتقب للمنظمة العالمية للتجارة، كما يسعى هذا المقال لشرح آليات تبني التسويق في المؤسسات الجزائرية لمواجهة تداعيات الانفتاح الاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: المقاربة التسويقية، السوق العالمية، استراتيجية، الشراكة الأورو- متوسطية، منظمة التجارة العالمية، الانفتاح الاقتصادي.

Summary :
This article aims to highlight the importance of adopting a marketing approach in the Algerian enterprises to integrate into the world market, and the need to develop a clear strategy that takes into account the possibilities offered under the current phase that knows of Algeria (transitional phase) because of the euro-Mediterranean partnership and the forthcoming accession to the World trade organization. This article also explains the mechanisms of marketing adoption in Algerian companies to deal with the consequences of economic openness.

Keywords: Marketing approach, global market, strategy, the Euro-Mediterranean Partnership Agreement, World Trade Organization, economic openness.

مقدمة:

بعد فشل استراتيجيات التنمية المنتهجة في كثير من البلدان النامية ومنها الجزائر خلال عقدي السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، والتي نتج عنها اختلالات اقتصادية واجتماعية بسبب طبيعة الملكية والتخطيط الموجه وكذا تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ومع تبلور وتفاقم هذه المشكلات الاقتصادية بدأت تظهر أفكار تنموية جديدة لإصلاح الوضع القائم في هذه الدول، والتي تهدف بالأساس إلى التوجه نحو اقتصاد السوق والتخلي عن الاقتصاد الموجه. وأخذت عملية الانتقال إلى النظام الجديد تتنامى في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات.

والجزائر كبقية البلدان النامية تسعى للانفتاح والاندماج في الاقتصاد العالمي من خلال اتفاق الشراكة الأورو- متوسطية (الذي دخل حيز التنفيذ في 2005) وسعيها للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، لكن هذا الانفتاح يخلق أضرارا على الاقتصاد الوطني خاصة إن لم تبذل المؤسسات الجزائرية جهدا كافيا لمواجهة المرحلة القادمة، لأن الانفتاح الاقتصادي وتغليب أدوات السوق وتراجع دور الدولة الحمائي خلق جملة من الصعوبات أمام المؤسسات الجزائرية.

وهنا تظهر أهمية تبني التسويق بمبادئه ومفاهيمه لرسم خطة واضحة المعالم والأهداف وتوجه المؤسسات الجزائرية للاندماج في الاقتصاد العالمي ومواجهة المنافسة الدولية الشرسة، فالتطبيق الفعلي لوظيفة التسويق سوف يمكن المؤسسة الجزائرية من استغلال الفرص وتفادي المخاطر في محيطها ويمكنها من معرفة كل من السوق والمستهلك.

إشكالية الدراسة: على الرغم من الاهتمام المتزايد بالتسويق، فإن الكثير من المؤسسات الجزائرية في الوقت الحالي عاجزة عن تطوير نظمها التسويقية وتبني المفهوم التسويقي الحديث، وهذا ما انعكس على مستوى أدائها أمام المؤسسات الأجنبية، وفي هذا الصدد تتمحور إشكالية الدراسة حول الإجابة عن التساؤل التالي: **ما مدى مساهمة التسويق في تأهيل وتوجيه المؤسسات الجزائرية لمواجهة تحديات الانفتاح الاقتصادي؟.**

ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي الخصائص الرئيسية للانفتاح الاقتصادي؟
- ما هي آثار الانفتاح الاقتصادي وانعكاساته على المؤسسات الجزائرية؟
- ما هي معوقات التسويق في الجزائر؟
- ما هي آليات تبني التسويق في المؤسسات الجزائرية في ظل الانفتاح الاقتصادي؟

أهمية الدراسة: انطلاقا من إشكالية الدراسة تبرز أهمية هذه الورقة البحثية في دراستها لانعكاس تبني التوجه التسويقي في المؤسسات الجزائرية على مساعدتها لمواجهة تحديات البيئة الجديدة التي تتصف بالمنافسة العالمية الشديدة وسرعة التغير، وأهمية التسويق في تمكين المؤسسة الجزائرية من استغلال الفرص وتفادي المخاطر في محيطها وتمكينها من معرفة كل من السوق والمستهلك.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة بشكل رئيسي إلى تحديد دور تطبيق التسويق في المؤسسات الجزائرية في ظل الانفتاح الذي يشهده الاقتصاد الوطني، وتحديد آليات تبني التسويق المساعدة على مواجهة المرحلة الاقتصادية الجديدة، ليتم التوصل بعدها إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي تخدم المؤسسات الجزائرية وتساعدها على الاندماج في الاقتصاد العالمي.

منهج البحث: بالنظر لطبيعة البحث تم الاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي، كونه أكثر ملاءمة لهذا النوع من البحوث للإجابة عن الإشكالية المطروحة، حيث تم استخدام المنهج الوصفي للتطرق للمفاهيم الأساسية المرتبطة بالتسويق والانفتاح الاقتصادي، والمنهج التحليلي عند تحليل دور التسويق في المؤسسات الجزائرية في هذه المرحلة الانتقالية.

هيكل الدراسة: للإجابة على الإشكالية المطروحة وللإلمام بالموضوع من مختلف جوانبه، تم تقسيم هذه الدراسة إلى المحاور الرئيسية التالية:

- الانفتاح الاقتصادي في الجزائر: الخصائص والآثار؛
- آثار اتفاق الشراكة الأورو- متوسطية وانضمام الجزائر للمنظمة العالمية للتجارة على المؤسسات الجزائرية؛
- واقع، مراحل ومعوقات تطور التسويق في الجزائر؛
- آليات تبني التسويق في المؤسسات الجزائرية لمواجهة تحديات الانفتاح.

المحور الأول: الانفتاح الاقتصادي في الجزائر. شهد العالم في عقد التسعينيات مجموعة من المتغيرات الدولية، من أبرزها انهيار الاتحاد السوفياتي وفشل تجربته الاشتراكية، وتفكك دول أوربا الشرقية وتحولها من نهج الاشتراكية إلى رأسمالية السوق، وأصبحت الغلبة لليبرالية حيث انفردت الولايات المتحدة الأمريكية قائدة المنظومة الرأسمالية في العالم من غير منافس وتوجهت نحو إقامة نظام اقتصادي عالمي جديد بلا حدود أو ما يعبر عنه بعولمة الاقتصاد، وقد ساهم التقدم العلمي والثورة المعلوماتية في مجال الاتصالات وشبكة الأنترنت في التسريع لبلوغ العولمة.

ومنه تظهر الخصائص الرئيسية للعولمة فيما يلي[1]:

أ- **سيادة آليات السوق والسعي لاكتساب القدرات التنافسية:** واقترانها بالديمقراطية، وتعميق قدرات الانتاج بأقل تكلفة ممكنة وبأحسن جودة والبيع بأسعار تنافسية على أن يتم ذلك في أقل وقت ممكن، حيث أصبح الزمن أحد القرارات التنافسية الهامة التي يجب اكتسابها عند التعامل في ظل العولمة؛

ب- **تزايد الاتجاه نحو الاعتماد الاقتصادي المتبادل:** وهذا ما أسفرت عنه اتفاقات تحرير التجارة العالمية وتزايد حرية انتقال رؤوس الأموال، حيث يتم في ظل العولمة إسقاط حاجز المسافات بين الدول وتزايد احتمال التأثر والتأثير المتبادلين؛

---

[1] مصطفى رجب، العولمة ذلك الخطر القادم –أسبابها، تداعياتها الاقتصادية، آثارها التربوية-، الطبعة الأولى، دار الوراق، عمان، 2009، ص.21.

ج- **وجود أنماط جديدة في تقسيم العمل الدولي:** بوجود العولمة ظهرت أنماط جديدة من تقسيم العمل الدولي، حيث أصبح من الشائع وجود العديد من المنتجات الصناعية مثل السيارات والأجهزة الكهربائية تتم بتجميع مكوناتها في أكثر من دولة؛

د- **تزايد دور المؤسسات الاقتصادية العالمية في إدارة العولمة:** هناك ثلاثة مؤسسات تقوم على إدارة العولمة من خلال مجموعة من السياسات النقدية، المالية والتجارية المؤثرة في السياسات الاقتصادية لمعظم دول العالم، وهذه المؤسسات هي:

- **صندوق النقد الدولي:** المسؤول عن إدارة النظام النقدي للعولمة؛
- **البنك الدولي وتوابعه:** المسؤول عن إدارة النظام المالي للعولمة؛
- **منظمة التجارة العالمية:** والمسؤولة عن إدارة النظام التجاري للعولمة.

1- **مفهوم الانفتاح الاقتصادي وأبعاده:** سياسة الانفتاح الاقتصادي هي السياسة التي تعتمد على إزالة القيود القائمة في وجه رؤوس الأموال الأجنبية وفي وجه الاستثمارات المحلية الخاصة المدفوعة بدافع الربح وحده والتخلي التدريجي عن الملكية العامة في الصناعة، وعن تدخل الدولة في الاقتصاد، والتخلي التدريجي عن الحماية الممنوحة لبعض الصناعة المحلية المنافسة للصناعة الأجنبية.[1]

عموما يمكن القول أن ازدياد الاهتمام الدولي بسياسة الانفتاح الاقتصادي ينبثق من الأهداف الحقيقية والمزايا التي توفرها وتحققها هذه السياسة في ظل الصراعات الاقتصادية المتوالدة، وفي ظل اشتداد المنافسة الدولية، ولما لهذه السياسة من أبعاد اقتصادية يمكن إيجازها في النقاط التالية[2]:

- اجتياح الأسواق العالمية وامتلاك مزايا تنافسية فيها، حيث تقوم الدولة المنفتحة بتبني استراتيجية التوسع والانتشار من خلال تحرير تجارتها الخارجية خاصة التركيز على الصادرات الصناعية، ومن هنا يعمل الانفتاح على ابتلاع بعض الأسواق والسيطرة عليها، عندئذ ينجح الاجتياح بذكاء وهو ما يعرف بالانفتاح التجاري، ويتضمن تحقيق هذا الاجتياح مجموعة من الأهداف الفرعية التي تتحقق أيضا عن طريق تحقيق التواجد في الأماكن المختلفة في العالم وتحقيق الانتشار؛
- امتلاك القوة والنفوذ وإحكام السيطرة على بعض الأسواق، وهذا هدف هام لأي دولة أو اقتصاد بغض النظر عن عملية الانفتاح، وإن كان الانفتاح الاقتصادي يبقى أحد أهدافه الأساسية، حيث لا تستطيع أي دولة من الدول الاستمرار في نشاطها الاقتصادي في الأسواق الدولية ما لم تملك القوة والنفوذ الكفيلين بتحقيق ذلك، وهو أمر لا يستطاع الوصول إليه بدون عملية الانفتاح، خاصة عندما ترغب الدولة في إحكام السيطرة على الأسواق الدولية، وهذا يتسنى بفعل الحصول على القدرة التنافسية وتنميتها وتطويرها؛
- حماية المصالح الداخلية وتحقيق النمو والتوسع، حيث يساعد الانفتاح الاقتصادي على حماية مصالح الدولة المنفتحة وإعطائها الفرصة على امتلاك القدرة على التوسع والنمو والازدياد، وفي الوقت ذاته زيادة قدرة الدولة على الإحساس بتقلبات السوق الدولية والتنبؤ والإنذار المبكر عن أي خطر متوقع يمكن أن يحدث في هذه الأسواق الدولية، وبالتالي إتاحة فرصة التعامل مع هذا الخطر قبل أن يستفحل ويحدث وتنجم آثاره المدمرة، ولذلك يستخدم الانفتاح بهدف حماية المصالح وزيادة المكاسب الاقتصادية وتنويع الحماية والوقاية، وبالتالي اكتساب قدرة أعلى على مواجهة الأزمات والمواقف الصعبة.

2- **عوائق الانفتاح في الجزائر** إن تجربة الانتقال للعديد من الدول النامية في العالم والجزائر خصوصا توحي بوجود بعض المعوقات تقف دون إتمام هذه العملية بالشكل المطلوب التي تتلخص فيما يلي[1]:

---

[1] جلال أحمد أمين، **مأزق التنمية العربية في السبعينات**، مجلة العربي، الكويت، العدد 30، 2000، ص.33.

[2] عبد الهادي محمد والي، **الانفتاح الاقتصادي بين النظرية والتطبيق**، دار المعرفة، الإسكندرية، 1989، ص.33.

- وجود اختلال هيكلي في البنية الاقتصادية تجلى من خلال ضعف تغطية الإنتاج المحلي للطلب في ظرف ميزه ارتفاع في معدلات النمو السكاني؛

- الطابع الاحتكاري الذي يغلب على معظم الأسواق، الذي من مظاهره احتكار القطاع العام لغالبية النشاطات الإنتاجية والتجارية؛

- معظم مؤسسات السوق تعاني من عدم النضج مع وجود تشوهات على مستوى الأسواق والأسواق المالية تحديدا، فضلا عن تشوهات الأسعار نتيجة الفرق بين الأسعار الجارية والأسعار الحقيقية مع وجود غموض يكتنف القوانين المنظمة لعمل السوق؛

- تأخر تطور الاقتصاد الزراعي خاصة وأن الدعم الذي تقدمه الدولة لهذا القطاع ضعيف جدا مقارنة بالدول الغربية؛

- النسيج الصناعي غير قادر على المنافسة، لأن المنتجات الصناعية لم تصل بعد إلى مستوى المنتجات الأجنبية من حيث الجودة والسعر؛

- التجارة الخارجية مازالت محتكرة من طرف القطاع العام، رغم بعض التحرير في السنوات الأخيرة، وهو ما يتنافى مع فلسفة الانفتاح الاقتصادي؛

- الاعتماد شبه الكلي على استيراد الموارد الغذائية بما يكلف الدولة مبالغ كبيرة؛

- ضعف العملة الوطنية وتخفيضها في كل مرة، أدى إلى اللجوء إلى استيراد المواد المصنعة وبيعها في السوق مباشرة للحصول على أرباح بسرعة وبسهولة؛

- إن المشاكل السياسية والاقتصادية التي عانت منها الجزائر خاصة في العشرية السوداء، أدت إلى التغيير المستمر للحكومات والقوانين مما أدى إلى اختلاف السياسات الاقتصادية المنتهجة وكذلك عدم قدرتها على تحديد خيارات اقتصادية دقيقة.

إن عملية الانتقال إلى اقتصاد السوق في ظل المعوقات التي تواجهها الجزائر ستتطلب إقامة أسس وقواعد متينة لعمل وسير السوق وفق المقاييس والقوانين المعمول بها، في هذا الاطار وضمن توجهات الحكومة الجزائرية تم اعتماد برنامج تصحيحي يهدف تدريجيا إلى تحقيق اللامركزية في صنع واتخاذ القرار وتطوير آليات السوق وإزالة كافة مظاهر الاختلال.

ولذلك عملت الجزائر على تكريس المبادئ التالية[2]:

- مبدأ حرية التجارة والصناعة: قامت الجزائر بتكريس هذا المبدأ في المادة 37 من دستور 1996، والتي تنص على أن "حرية التجارة والصناعة مضمونة وتمارس في إطار القانون"؛

- خوصصة المؤسسات العمومية الاقتصادية: تطورت نظرة برنامج الإصلاح الاقتصادي للخوصصة[3]، حيث انتقلت من التخلص من الاحتكار الحكومي في إدارة المشروعات العامة إلى تأجير هذه المشروعات، ثم التخلص منها جزئيا أو كليا،

---

[1] رضوان سليم، **السياسة الاقتصادية وآفاق التنمية في الجزائر**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، جامعة سطيف، 2010/2009، ص.ص.46-47.

[2] فضيلة عكاش، مرجع سابق، ص.91.

[3] الخوصصة: هي عملية يتم بمقتضاها التنازل أو بيع أصول المؤسسة العمومية إلى مؤسسات أو أشخاص طبيعيين خواص، بمعنى أنها تلك العملية التي يتم بمقتضاها إسناد الإشراف أو إدارة المؤسسات العمومية إلى أشخاص طبيعيين أو معنويين خواص؛ ومن هذا التعريف يمكن الاستنتاج أنها تهدف إلى: زيادة الدور الذي يقوم به القطاع الخاص في ملكية وتشغيل وإدارة الوحدات الإنتاجية في المجتمع، بغرض تحسين الكفاءة الإنتاجية لهذه الوحدات؛ وجاءت فكرة الخوصصة في الجزائر بعد الفشل الذي ميز قطاعها العام وعجزه عن الوصول إلى المردودية واعتماده الكلي على خزينة الدولة في تمويله، وبدأ هذا البرنامج في أفريل 1996 بمساعدة البنك الدولي وبإصدار مجموعة كبيرة من النصوص والقوانين في فترة وجيزة لتسريع إعادة الهيكلة والاستقلالية وتقليص مرحلة الانتقال إلى اقتصاد السوق. للمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع على كل من: Nacer-Eddine Saadi**, La privatisation des entreprises publiques en**

وتهدف هذه العملية إلى تكثيف النسيج الصناعي، إعادة التوازن للقطاعات، وتخليص الدولة من الثقل المالي الذي يتسبب دائما في الخسائر الدائمة للقطاع العام؛[1]

- إزالة الاحتكارات العمومية: دخلت الجزائر مرحلة الإصلاحات الاقتصادية، في سبيل إزالة الاحتكارات العمومية بصفة تدريجية، وفتح معظم النشاطات التي كانت حكرا على الدولة أمام المبادرة الخاصة؛

- الغاء النصوص المقيدة للاستثمار: طوال الفترة التي سبقت الانتقال إلى اقتصاد السوق، عانى الاستثمار الخاص في الجزائر من الإقصاء والتهميش، فلم يسمح له بالتدخل سوى في قطاعات ثانوية وأخضع لنظام رقابة صارم، واستمر الوضع إلى غاية صدور قانون الاستثمارات سنة 1993، وبذلك انسحبت الدولة بصفة تدريجية من تنظيم الاستثمارات التي أخضعتها لنظام قانوني استثنائي لتصبح بعد ذلك خاضعة لإجراءات بسيطة من شأنها تشجيع الخواص للاستثمار سواء المحلي أو الأجنبي؛

- تكريس مبدأ حرية الأسعار: تندرج عملية تحرير الأسعار في إطار بناء اقتصاد السوق، بحيث وجب التخفيف من حجم تدعيم الدولة للأسعار لأسباب سياسية واجتماعية، وتفادي أخطار التضخم، من أجل ذلك صدر القانون 12/89 في سنة 1989 المتعلق بالأسعار؛[2]

- مبدأ حرية التعاقد: صدر القانون التوجيهي للمؤسسات العمومية الاقتصادية، والذي أخضعها للقانون المدني والتجاري، وبذلك أصبحت تتمتع بحرية في التعاقد.

3- **دوافع الانفتاح** اعتبر دستور 23 فيفري 1989 النواة الأولى للتخلي عن النظام الاشتراكي، وذلك بإلغاء جميع النصوص والمواد الخاصة به، كما تم إدخال العديد من التغييرات على علاقة الدولة بالاقتصاد، حيث نص على القضاء على احتكار الدولة للتجارة الخارجية – ماعدا الميادين الاستراتيجية- وحرية الاستيراد والتصدير لكل المتعاملين الاقتصاديين الجزائريين والأجانب، إضافة إلى إخضاع السوق لآليات العرض والطلب الحرة، ومما سبق يمكن تلخيص الأسباب التي دفعت الجزائر إلى تحرير الاقتصاد كما يلي:

- **الأسباب الخارجية**:-التحولات الاقتصادية العالمية: من أهمها وجود أسواق خارجية معتبرة، النمو الهائل للاقتصاديات الغربية، انعدام السيطرة على البنوك المركزية نتيجة لثورة المعلومات والاتصالات، واختلال توزيع الثروات؛

- انهيار الاتحاد السوفياتي: سنة 1989 وتوحيد الألمانيتين سنة 1990، أحدث صدمة على العالم عامة وعلى الجزائر خاصة، إذ فرض عليها إعادة النظر في سياستها الاقتصادية بعد خروج العالم من القطبية الثنائية إلى القطبية الأحادية التي تزعمها المعسكر الليبرالي، والذي فرض سياسته الاقتصادية على العالم بأسره؛

- الأزمة البترولية لسنة 1986: ان اعتماد الجزائر على موارد المحروقات بنسبة تفوق 95% من الإيرادات أحدث أزمة حقيقية عندما انخفضت اسعر المحروقات في سنة 1986، إضافة إلى انخفاض سعر صرف الدولار –عملة تسديد الصادرات الجزائرية من المحروقات- فوقع الاقتصاد الجزائري في أزمة.

- **الأسباب الداخلية**:-أزمة المديونية: بسبب الاستثمارات المالية الضخمة التي تطلبت تمويلها قروض معتبرة مقابل أن يتم تسديدها من إيرادات النفط، سوء استعمال هذه القروض، تطور الديون ومعدل خدمتها، تدهور مستويات الإنتاج والاستثمار والنمو الديمغرافي كلها عوامل أدت إلى تصعيد الأزمة وأغرقت الجزائر في الديون؛

- عجز الميزان التجاري؛

Algérie, ed OPU, Alger, 2005 وصافي عبد القادر، **سياسات الخصخصة في ظل الاصلاحات الاقتصادية –حالة الجزائر-**، أطروحة دكتوراه دولة في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 2007.

[1] مدني بن شهرة، **الاصلاح الاقتصادي وسياسة التشغيل –التجربة الجزائرية-**، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2009، ص.ص.57-58.

[2] الجريدة الرسمية الجزائرية رقم 1989/29، الصادرة بتاريخ: 19 جويلية 1989، ص.758.

- التضخم: باعتباره انعكاسا طبيعيا للاختلالات الحاصلة في القوى الاقتصادية.

4- الآثار المرتقبة للانفتاح الاقتصادي في الجزائر:

1-4- آثار اتفاق الشراكة الأورو- متوسطية: في إطار اتفاق الشراكة الأورو-متوسطية وفي ظل سعي الجزائر للانضمام للمنظمة العالمية للتجارة، ستتحمل الجزائر تكاليف تكييف وتقويم اقتصادها مع متطلبات نظام التبادل الحر، وهذا بـ[1]:

- التراجع عن الحماية الجمركية أو إلغائها بصفة نهائية؛
- احترام الضوابط النوعية وقواعد المنافسة، وتحرير الخدمات ورؤوس الأموال.

وبالتالي تنتج مجموعة من الآثار الإيجابية والسلبية على النحو التالي:

أ. **الآثار الإيجابية:** إن مضمون اتفاق الشراكة الأورو- متوسطية في صيغته النظرية يهدف إلى جعل السوق الجزائرية منفذا لتصريف المنتجات الأوروبية، كما يسمح للمؤسسات الجزائرية أن تؤهل منتجاتها وتتأهب لمنافسة المنتجات الأوروبية ذات الجودة العالية، كما أن لهذا الاتفاق أبعاد مهمة مؤثرة على العلاقات التجارية والتي ستكون بمثابة فرصة للجزائر للتوصل إلى معدلات عالية للاستثمار والنمو الاقتصادي، وهو ما يعكس جملة من الآثار الإيجابية على المؤسسات الجزائرية بصفة خاصة، وعلى الاقتصاد الوطني بصفة عامة، حيث أنه:[2]

- في المجال الفلاحي، يضمن الاتفاق ما يقارب 8000 منتوج فلاحي، حيث استفادت الجزائر من بعض المزايا لاسيما المتعلقة بالمواد الأولية الزراعية التي يمكن تصديرها نحو الدول الأوروبية، وفي المقابل فقد فرضت الجزائر حصصا لاستيراد مواد زراعية كالحبوب والحليب مع مراعاة نسبة الإنتاج الوطني، بالإضافة إلى مزايا أخرى لتصدير منتجاتها الزراعية ومنتجات الصيد البحري، وفي المقابل اعتماد نظام الحصص للمواد الأوروبية؛
- في المجال الصناعي، سمح الاتفاق بتخفيض نسب الرسوم الجمركية للعديد من المواد الأولية والمواد نصف المصنعة التي تدخل في إطار الصناعة التركيبية، وهذا من شأنه أن يساهم في تخفيض تكلفة الإنتاج بالنسبة للمنتوج الجزائري الذي يعتمد بدرجة كبيرة على المواد الأولية المستوردة من دول الاتحاد الأوروبي، ومن أجل تعجيل حركة الصناعة الجزائرية وتأهيل القطاع الصناعي، تم وضع برامج شاملة أساسها المساعدات المالية والفنية في إطار برنامج "ميدا"، الذي يهدف إلى رفع مستويات الإنتاج الجزائري من خلال الجودة والمواصفات الفنية المقبولة دوليا بمساعدة الطرف الأوروبي؛
- يتم التفكيك الجمركي على مدى 12 سنة كاملة، وتعتبر هذه المدة كافية بالنسبة للمؤسسات الصناعية الوطنية كي تتأقلم وتستطيع منافسة مثيلتها الأوروبية، فعلى عكس الواردات التي ترد إلى الجزائر من دول الاتحاد الأوروبي والتي تخضع تدريجيا إلى التفكيك الجمركي، فالصادرات الجزائرية تستفيد من الإعفاء الجمركي الكامل على سلعها التي ترد إلى السوق الأوروبية؛
- اكتساب دعم دول الاتحاد في مجال التأهيل والخبرة والاستثمار المباشر، بالإضافة إلى دعم الخوصصة عن طريق تقديم مساعدات مالية محدودة للجزائر من خلال برامج "ميدا" للمساعدة في تأهيل المؤسسات الاقتصادية الجزائرية، إضافة إلى الالتزام بدعم الوفد الجزائري في مفاوضاته الرامية إلى الانضمام للمنظمة العالمية للتجارة؛
- احتكاك المؤسسات الاقتصادية الجزائرية مع المؤسسات الكبرى الأوروبية ذات الخبرة والكفاءة في التسيير، مما يؤدي بها إلى اكتساب الخبرات والمهارات التسييرية وجعلها تقارب نظيراتها الأوروبية؛
- تنويع الصادرات خارج قطاع المحروقات وإنعاش القطاعات الاقتصادية الصناعية، الزراعية والخدماتية.

---

[1] Ibid, p.07.

[2] يوسف سعداوي، رفيق باشوندة، واقع وآفاق الشراكة الأورومتوسطية الجزائرية، مجلة الاقتصاد والمناجمنت، السياسات الاقتصادية، منشورات كلية العلوم الاقتصادية والتسيير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، العدد 04، مارس 2005، ص.403.

ب. **الآثار السلبية:** إن اتفاق الشراكة مع الاتحاد الأوروبي يسعى بصفة عامة إلى تحسين مناخ الأعمال في الجزائر، لكن هناك جملة من المخاوف الناتجة عن كون الاتحاد الأوروبي متطور تكنولوجيا وتقنيا وماليا، فهو متكون من 15 دولة صناعية إضافة إلى 10 دول من أوربا الشرقية والوسطى، لديها مستوى دخل الفرد مرتفع وسوق كبير، إنتاج وفير وذو جودة عالية وقدرة تنافسية كبيرة من جهة والجزائر بلد في طريق النمو يعتمد على إنتاج وتصدير منتوج وحيد هو المحروقات (يمثل حوالي 97% من إجمالي الصادرات)، لا تشغل طاقته الإنتاجية إلا بأقل من 50%،[1] كل هذه العوامل تترجم في شكل مخاطر وآثار سلبية نتيجة هذا الاتفاق، ويمكن إيجازها في النقاط التالية:

- إن التفكيك الجمركي وتحرير المبادلات سيمارسان ضغطا على توازن المالية العمومية وهذا من خلال التخفيض في الإيرادات الجمركية التي تساهم بحصة هامة في مجموع إيرادات الدولة، فهي تمثل بالنسبة للجزائر نسبة 23,4 % من مجموع الإيرادات (أي نسبة 2,7% من الناتج المحلي الإجمالي)، وتقدر وزارة المالية خسائر الميزانية سنة 2018 (تاريخ التفكيك النهائي للقائمة الثالثة[2] من السلع) حيث يحتمل أن تفقد الجزائر ما قيمته 188,8 مليار دج من الحقوق الجمركية والرسم على القيمة المضافة، أي بنسبة 3,1% من الناتج المحلي الإجمالي لسنة 2004؛
- إن إزالة القيود الجمركية وغير الجمركية التي كانت تواجه السلع الأوروبية عند دخولها السوق الوطنية، سيضع المؤسسات الوطنية أمام منافسة شديدة داخل حدودها، فالمؤسسات الجزائرية تعودت على الباب المغلق وعدم المنافسة، وبالتالي سيؤدي الاتفاق إلى تحطيم المؤسسات غير التنافسية التي كانت تتمتع بحماية كبيرة أو بحماية ضعيفة؛
- إن إلغاء القيود والرسوم الجمركية، سيرفع من مستويات الاستهلاك الكلي والمحلي، ويدفع المستهلكين إلى شراء السلع المستوردة بدلا من السلع المحلية نتيجة جودتها وأسعارها، وهذا ما سيضعف المنتوج الجزائري وبالتالي إضعاف المؤسسة الجزائرية؛
- عدم التكافؤ في حجم السوق من ناحية العرض والطلب ومستوى المعيشة ورد الفعل إزاء الصدمات الخارجية وفي هياكل المبادلات؛
- بما أن الجزائر تستورد أكثر من 60 % من احتياجاتها من دول الاتحاد الأوروبي وبالمقابل تصدر أكثر من 60 % من سلعها باتجاهه، وبدخول اتفاق الشراكة حيز التنفيذ فإن ذلك سيعمل على تدفق المنتجات الأوروبية إلى السوق الجزائرية بصورة متزايدة، وفي ظل عدم قدرة الجزائر حاليا على رفع صادراتها خارج المحروقات، فإن الميزان التجاري سيعاني حتما من بعض الاختلالات والتشوهات؛
- يمكن ملاحظة اختلاف القدرات التنافسية بين مؤسسات الطرفين الجزائري والأوروبي، وتباين العوامل النوعية للقدرة التنافسية، فالاقتصاديات الأوروبية تتميز ب:[3] الكفاءة التنظيمية والإدارية على مستوى الاقتصاد الكلي وعلى مستوى المؤسسات الاقتصادية، موارد بشرية مؤهلة، مستويات قياسية في الالتزام بمواصفات الجودة والنوعية وتطبيق معايير الأيزو، موارد رأسمالية تعتمد على الكثافة واقتصاد المعرفة، قدرات تسويقية كبرى بوسائلها الدعائية والتحفيزية، تطور

---

[1] زعباط عبد الحميد، **الشراكة الأورو- متوسطية وأثرها على الاقتصاد الجزائري**، مجلة اقتصاديات شمال افريقيا، ع:1، السداسي الثاني، 2004، ص.62.

[2] في ظل منطقة التبادل الحر الأورو- جزائرية تم تحديد ثلاثة قوائم للمنتجات المعنية بالتحرير أو التفكيك التدريجي حسب أهمية كل فئة، وهذا ما تحدده المادة 09 من الاتفاق، حيث تشكل القائمة الأولى: المواد الأولية الصناعية ومدخلات بعض العمليات الإنتاجية، القائمة الثانية: المواد الوسيطية والمواد نصف المصنعة وسلع التجهيز الصناعي والفلاحي، أما القائمة الثالثة فتتمتع المنتجات الواردة فيها بحماية تعريفية مرتفعة لأنها تنتج محليا كما تعرف بالمنتجات الحساسة وهي تمثل 40% من واردات الجزائر من الاتحاد الأوروبي وتتشكل من المنتجات التامة والمنتجات الصناعية المستوردة تقليديا. للمزيد من المعلومات، يرجى الاطلاع على: الاتفاق الأوروبي المتوسطي لتأسيس الشراكة بين الجزائر من جهة والمجموعة الأوروبية والدول الأعضاء فيها من جهة أخرى، المادة 9 الفقرة 2.

[3] صالح صالحي، **التحديات المستقبلية للاقتصاديات المغاربية في مجال الشراكة مع الاتحاد الأوروبي**، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس، سطيف، العدد 02، 2003، ص.38.

أشكال الاندماج المؤسساتية وما رافقها من نمو سريع للشركات متعددة الجنسيات، قدرات فائقة في الإبداع والتجديد من خلال الإنفاق على البحث والتطوير؛ بينما وفي المقابل فإن المؤسسات الجزائرية أضعف بكثير في مجال امتلاك المواصفات السابقة فهي تعاني من[1]: ارتفاع مديونيتها وهو ما يضعف مركزها المالي، اهتلاك التجهيزات وثقل أعباء الاستغلال وارتفاع تكاليف فائض التخزين، تشغيل أقل من نصف طاقتها الإنتاجية وباستخدام أجهزة متقادمة وهو ما يفسر ضعف الإنتاجية وارتفاع التكاليف.

4-2- **آثار انضمام الجزائر للمنظمة العالمية للتجارة:** حاولت الجزائر خلال مفاوضات سعيها للانضمام لمنظمة التجارة العالمية التوفيق بين عاملي: الالتزام بتحرير الاقتصاد الوطني من جهة وتوفير وسائل الحفاظ على المصلحة الوطنية من جهة أخرى، ومن أهم المجالات التي أحرزت الجزائر تقدما فيها ما يلي: الحد من الحواجز التقنية للتجارة، الملكية الفكرية، مكافحة الإغراق، سياسات الأسعار، سياسات التقييم الجمركي، وبعض الإجراءات المتعلقة بالصحة والصحة النباتية؛

ورغم التدابير التشريعية المتخذة في المجالات السابقة، أشار الأعضاء إلى أنه لا يزال هناك الكثير مما يتعين القيام به في المجالات التالية: دعم الصادرات، الشركات المملوكة للدولة، سعر المحروقات، حقوق التسويق والتواجد التجاري، مكافحة السوق الموازية، إلغاء القيود المفروضة على الاستثمار الأجنبي في القطاعات غير الاستراتيجية وخاصة البند المتعلق بقاعدة 49/51، سياسة الدعم التي تقتل المنافسة؛[2] كما يتضح أن انضمام الجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة متوقف على مجريات المفاوضات الثنائية ونتائجها، وبالتالي على قدرة المفاوضين الجزائريين للحصول على حقوق انضمام متوازنة مع عدم الافراط في تقديم التنازلات والالتزامات حتّى لا يتضرر الاقتصاد الوطني.

إن انضمام الجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة ودخولها في الاقتصاد الدولي لا يعتبر خيارا وإنما حتمية يجب التأقلم معها، وبالنسبة للجزائر عليها الحصول على أحسن اتفاقية ممكنة للتقليل من الخطر الذي يهدد مختلف القطاعات، وعموما يمكن تلخيص بعض الآثار المتوقعة من انضمام الجزائر إلى النظام التجاري العالمي الجديد فيما يلي:

أ. **الآثار الإيجابية المحتملة:** يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- يساعد تحرير التجارة في زيادة الإنتاج الصناعي، لأن التصدير يصبح لا تعترضه عوائق، ويترتب عنه دخول أطراف جديدة في مجال الصناعة وزيادة الإنتاج؛
- إن إلغاء القيود على الاستثمارات الأجنبية سيؤدي إلى دخول المؤسسات الصناعية الجزائرية في شراكة مع المؤسسات الأجنبية، وهذا سوف يؤدي إلى تطوير الجهاز الإنتاجي من جهة وإلى شفافية التسيير وحماية القطاع العام؛[3]
- من المتوقع أن انضمام الجزائر إلى المنظمة العالمية للتجارة وما يصاحبه من تحرير في الكثير من القطاعات سوف يمثل حافزا للصناعات المحلية على رفع مستوى الانتاج والجودة وتحسين الكفاءة في تخصيص الموارد؛
- اكتساب الحق في معاملة متميزة وأكثر تفضيلا لأن الجزائر دولة نامية، كما تمنح لها فرصة حماية الصناعات الوطنية الناشئة من خلال التمتع بفترات زمنية أطول لتنفيذ التزامات أحق مما هو مطلوب من الدول المتقدمة؛

إن هذه المزايا والإمكانيات المذكورة سابقا ليست في متناول الصناعة الجزائرية بشكل تلقائي، بل تتحدد على حجم ما تبذله المؤسسات الجزائرية والمسؤولون فيها من جهود في اتجاه الاستفادة من الظروف المتوفرة، بالإضافة إلى العمل وفق استراتيجية أكثر وضوحا في مجال الإصلاحات.

ب. **الآثار السلبية المحتملة:** تتمثل أهم الآثار السلبية المتوقعة لانضمام الجزائر إلى الـ OMC فيما يلي:

---

[1] نفس المرجع، ص.39.

[2] https://www.wto.org/english/thewto_e/acc_e/a1_algerie_e.htm , consulté le: 24/01/2016.

[3] ناصر دادي عدون ومتناوي محمد، مرجع سابق، ص.ص.152-153.

- تمثل صادرات المحروقات حوالي 97% من إجمالي الصادرات الجزائرية، وعلى اعتبار أن المنتجات البترولية والغازية غير مدرجة ضمن اتفاقيات المنظمة العالمية للتجارة، فهذا يعني أن الجزائر لن تستفيد من خلال انضمامها للمنظمة من المزايا التي يتيحها الانفتاح التجاري أمام السلع بحكم محدودية وضعف الصادرات خارج المحروقات، كما أن ضعف الصادرات يجعلها غير قادرة على الوقوف في وجه المنافسة الدولية نتيجة لارتفاع تكاليف الإنتاج وضعف المؤسسات الجزائرية في مجال التسويق والتكنولوجيا؛

- إن تخفيض الرسوم الجمركية وإلغاء القيود الكمية يجعل الجزائر تتجه للاستيراد من الدول المتقدمة ذات المنتوج الأعلى جودة والأقل تكلفة، وهو ما يؤدي إلى انخفاض الصادرات الجزائرية وبالتالي انخفاض حجم العمالة بالداخل وحجم الدخل القومي وانخفاض مستوى المعيشة وبالتالي انخفاض مستوى الرفاهية[1]

- رفع الدعم عن السلع الزراعية فيه خطر على المستهلك والصناعة الجزائرية ذات المدخلات الزراعية، فتحرير قطاع الزراعة سوف يؤدي إلى ارتفاع فاتورة الواردات من السلع الزراعية والغذائية باعتبار الجزائر مستورد صافي للغذاء؛

- تنطوي جميع اتفاقيات المنظمة على شرط المعاملة الوطنية وهو ما سيترتب عليه إلغاء أي معاملة تفضيلية تمنحها الجزائر إلى المنتجات الوطنية، وهو ما يعني تركها دون حماية أو تفضيل مما سينعكس سلبا على استمرارها؛

- تحرير قطاع الخدمات سوف يترتب عليه اختفاء بعض الأنشطة الخدماتية في المجالات التي لا تقوى على المنافسة، خاصة أن هذا القطاع في الجزائر ضعيف في استعمال التكنولوجيا واليد العاملة المؤهلة كقطاع الاتصالات، والنقل البحري والجوي؛

- من الممكن أن تؤدي الاتفاقية الخاصة بحقوق الملكية الفكرية إلى ارتفاع تكاليف التصنيع نظرا لارتفاع أسعار براءات الاختراع، وكذا المصاريف المرتبطة باستخدام العلامات التجارية، الأمر الذي سيؤثر سلبا على بعض الصناعات نتيجة لوجود تطورات واسعة في هذا المجال على مستوى تصنيع الغذاء والدواء والصناعات الإلكترونية والبتروكيماويات؛

- إن الصناعة الجزائرية تعتبر صناعة ناشئة وليس بمقدورها منافسة نظيراتها الأجنبية الأعلى جودة والأقل تكلفة، وعليه فإن انضمام الجزائر للمنظمة العالمية للتجارة سيؤدي إلى فتح السوق الجزائرية أمام الدول الأعضاء في المنظمة[2] وهذا يعني إغراق السوق الجزائرية بالسلع الأجنبية، وهو ما سيؤدي إلى كساد الصناعة الجزائرية بسبب تفضيل المنتوج الأجنبي عن المنتوج المحلي من قبل المستهلك؛

- بفعل هذه المنافسة سوف تضطر بعض المؤسسات إلى غلق أبوابها وهو ما يؤدي إلى تزايد معدل البطالة خاصة في المدى القصير؛

- إن تطبيق اتفاقية إجراءات الاستثمار المرتبطة بالتجارة سوف يؤدي إلى دخول الشركات الدولية للاقتصاد الوطني ومزاحمة الاستثمار الوطني، وهذا ما يعني تزايد أنشطة الدمج والاستحواذ وانتشار الكيانات الكبرى المسيطرة على حركة الاستثمارات؛

- إمكانية تقلص قدرة الجزائر على تصميم سياساتها التنموية بما يتفق مع أهدافها التنموية، لأن الانضمام للمنظمة ينطوي على تحويل قدر من صلاحيات اتخاذ القرار في عدد من المجالات إلى المنظمة، أي بمعنى التشاور معها قبل اتخاذ القرارات المتعلقة بالتجارة؛[3]

---

[1] علي حافظ منصور، **تقدير وتحليل الآثار المتعلقة بالتجارة في السلع**، الملتقى الدولي الأول حول: تأهيل المؤسسة الاقتصادية وتعظيم مكاسب الاندماج في الحركة الاقتصادية العالمية، جامعة سطيف، يومي: 29 و30 أكتوبر 2001، ص.11.

[2] عدد الدول الأعضاء في المنظمة 162 دولة منذ ديسمبر 2015.

[3] ناصر دادي عدون ومتناوي محمد، مرجع سابق، ص.ص. 156-158.

- التطبيع مع الكيان الصهيوني: بالرغم من أن انضمام الجزائر إلى منظمة التجارة العالمية لن يجبرها على التعامل مع الكيان الصهيوني أو أ ي بلد لا ترغب في التعامل معه، وفقا للمادة 13 من اتفاقية مراكش لإنشاء المنظمة، إلا أن فرضية التطبيع غير المباشر تبقى واردة لأن فرضية تسريب البضائع الإسرائيلية جد واردة لأن OMC تمنع التمييز بين القطاع الوطني والأجنبي، وهذا التوجه مضاد للمصلحة الوطنية وتاريخها الطويل في نصرة القضية الفلسطينية؛[1]

المحور الثاني: دور التسويق في مواجهة الانفتاح الاقتصادي.

في ظل الانفتاح الاقتصادي، ستواجه المؤسسات الجزائرية منافسة حادة، متزايدة وغير تقليدية باستخدام أسلحة الجودة، التكلفة، التنافس بالوقت وبالتميز؛ وعليه فإن التوجه التسويقي لكافة أنشطة المؤسسة من خلال استلهام رغبات وتوقعات العملاء كأساس لتصميم الأهداف، الاستراتيجيات، السياسات، المنتجات والعمليات يصبح من الأولويات لنجاح وتطوير المؤسسة وحفاظها على مكانتها السوقية.

1- **واقع ومراحل تطور التسويق في الجزائر:** بسبب طبيعة النظام الاقتصادي الجزائري الذي كان يعتمد على الاقتصاد الموجه، حيث أن السياسات الاقتصادية المنتهجة لم تشجع المؤسسات الجزائرية على تطوير وظيفتها التسويقية واستعمال التقنيات الحديثة، وهذا ما خلق عيوبا على مستوى عناصر التسويق، كما يلي:

- **بالنسبة للمنتوج**: كانت المؤسسات الجزائرية وبسبب نقص خبرتها تركز فقط على الإنتاج والمفهوم البيعي، بالإضافة إلى انعدام الدراسات التسويقية والإبداع التكنولوجي، كما أن معظم المنتجات تتميز بسوء التعبئة والتغليف، وقلة الجودة وعدم احترام مقاييس النوعية فضلا عن عدم الاهتمام برغبات المستهلكين؛

- **بالنسبة للتسعير**: عرف نظام الأسعار في الجزائر تحكم الدولة في العديد من أسعار السلع ذات الاستهلاك الواسع، وهذا بهدف الحفاظ على الانسجام بين الدخل والقدرة الشرائية للمواطن والتحكم في الطلب، لكن مع مرحلة التوجه نحو اقتصاد السوق وصدور المرسوم رقم 95-06 المؤرخ في 25 جانفي 1995 المتعلق بالمنافسة، أصبحت 90% من المنتجات المتداولة في السوق الوطنية ذات أسعار حرة، مع بقاء الأسعار السقفية التي تشمل السلع المحمية والمدعمة من طرف الدولة والخدمات القاعدية؛[2]

- **بالنسبة للتوزيع:** خضع التوزيع أيضا للتخطيط المركزي حيث كانت الدولة تحتكر التجارة بإنشاء الديوان الوطني للتجارة ONACO في 1962، والذي تم توسيعه بإنشاء الشركة الوطنية للأروقة الجزائرية SNNGA في 1967، وهذا نتيجة لعجز المؤسسات عن تصريف منتوجاتها وإيصالها لمختلف مناطق الوطن بسبب ضعف شبكة النقل وقلة أماكن التخزين، ومع انتهاج الدولة سياسة الانفتاح الاقتصادي بدأت تنسحب تدريجيا من قطاع التوزيع وسمحت بظهور تجارة التجزئة؛[3]

- بالنسبة للترويج: نظرا للتوجه الاقتصادي الذي كان سائدا في الجزائر، تميز الترويج بالتهميش وهذا لاحتكار الدولة المجال المتعلق بالإعلان من خلال إنشاء المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ANEP[4] سنة 1967، وكانت الوسيلة الترويجية المعتمدة هي القناة التلفزيونية الوطنية وبعض المعارض، لكن مع الإصلاحات الاقتصادية وانفتاح السوق الجزائرية، بدأت مؤسسات القطاع الخاص تستخدم الوسائل الترويجية المتمثلة في الإشهار، وترويج المبيعات، المسابقات والرعاية (sponsoring) لجذب المستهلكين.

[1] يومية أخبار اليوم، **منظمة التجارة العالمية: مكسب قومي أم انتحار اقتصادي**، حوار مع الخبير الاقتصادي فارس مسدور والطاهر بولنوار الناطق الرسمي للاتحاد العام للتجار والحرفيين الجزائريين، الأربعاء 15 أكتوبر 2014.

[2] KMPG Algerie SPA, **Guide investir en Algérie**, Pixal communication, édition 2009, Alger, p.113.

[3] Boubaker Miloudi, **La distribution en Algérie : enjeux et perspectives**, OPU, Alger, 1995, p.p.26-27.

[4] ANEP : l'Entreprise Nationale d'Edition et de Publicité, voir : www.anep.com.dz

2- **معوقات التسويق في الجزائر:** بسبب ظهور السوق التنافسية وما تتطلبه من حرية في مجال التسيير والإبداع، لجأت المؤسسات الجزائرية للتسويق واقتنع مسيروها بأهميته لتحسين أداء المؤسسات والوصول إلى موقف تنافسي متميز في بيئة الأعمال الجديدة؛ وعلى الرغم من الاهتمام المتزايد بالتسويق في الجزائر، نجد أن الكثير من المؤسسات عاجزة عن تبني المفهوم التسويقي الحديث نظرا لعدة أسباب يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- معوقات بيئة الأعمال: يشكل وجود بيئة ملائمة للأعمال عاملا مهما في تدعيم القدرة التسويقية، والعبء الرئيسي في توفيرها يقع على عاتق الدولة في تجاوز المعوقات التي ترجع أساسا إلى اختلالات هيكلية على مستوى الاقتصاد الكلي أو إلى قصور في التشريع والتنظيم، سيطرة الدولة على الكثير من الأنشطة الاقتصادية وتدخلها المباشر فيها؛[1]
- الحماية وضعف القدرة على المنافسة: لقد نشأت المؤسسات الجزائرية ضمن أسوار الحماية المطلقة أو شبه المطلقة، وانحصر عملها بشكل أساسي لتلبية الطلب المحلي ضمن السياسات الصناعية السابقة، وعملها في هذه الظروف لفترة طويلة نسبيا جعلها تتأقلم مع السوق الداخلية من حيث نوعية الإنتاج وأذواق المستهلكين، بالإضافة إلى الاطمئنان من ناحية المنافسين، مما أفقدها القدرة على منافسة المنتجات الأجنبية؛[2]
- تكاليف النشاط التسويقي: التي تعتبر مرتفعة نوعا ما بالنسبة لدولة سائرة في طريق النمو كالجزائر، لأن القيام بدارسات وبحوث السوق وتطوير المنتجات الجديدة تعتبر مكلفة؛
- غياب الفلسفة الفكرية التسويقية في المؤسسات الجزائرية: ومن مظاهر الفلسفة التسويقية يمكن ذكر: الاهتمام بالعملاء، الأدوات الابتكارية في صنع القرارات التسويقية، القيام ببحوث التسويق، وقياس قدرة المنافسين؛

مما سبق يمكن القول أن غياب النشاط التسويقي في المؤسسات الجزائرية يرجع إلى سيطرة الأفكار القديمة وما يصاحبها من سياسات الحماية وعدم التشجيع على الابتكار.

3- **آليات تبني التسويق في المؤسسات الجزائرية لمواجهة تحديات الانفتاح:** مع دخول اتفاق الجزائر والاتحاد الأوروبي حيز التنفيذ وانضمامها المرتقب إلى المنظمة العالمية للتجارة، سوف تكون المنتجات الجزائرية في مواجهة مفتوحة مع المنتجات الدولية، من هذا المنطلق أصبح من الضروري وضع استراتيجية لتبني التسويق في المؤسسات الجزائرية، لأهميته في ضمان تنافسيتها واستمراريتها.

إن تبني المقاربة التسويقية في المؤسسات الجزائرية بغرض الاندماج في السوق العالمية لن يتحقق إلا بتبني استراتيجية واضحة تراعي الإمكانيات المتاحة في ظل المرحلة الراهنة التي تمر بها الجزائر (مرحلة انتقالية)، فدخول المؤسسات الجزائرية (خاصة العمومية) في المنافسة العالمية الناتجة عن الانفتاح ليس سهلا ويتطلب توفير عدد من الشروط التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- **تعديل المزيج التسويقي:** بسبب تغير العوامل البيئية الداخلية والخارجية، يجب على المؤسسات الجزائرية اجراء تعديلات على المزيج التسويقي حتّى يتناسب مع التغيرات الطارئة على البيئة التي تعمل فيها، وقد يكون التعديل بسيطا أو جوهريا وهذا حسب طبيعة البيئة التسويقية التي تنشط فيها المؤسسة:

أ. تعديل المنتوج: إن نجاح المؤسسة الجزائرية في ظل المتغيرات الراهنة، يتوقف بدرجة أساسية على درجة أداء منتوجها وجودته، ومدى استجابته لحاجات ورغبات المستهلك، فانفتاح السوق الجزائرية يحتم عليها الإنتاج المتطابق مع المواصفات والمعايير الدولية؛

---

[1] محمد زيدان وعبد القادر بريش، **دور الحكومات في تدعيم التنافسية –حالة الجزائر-**، مداخلة مقدمة ضمن المؤتمر العلمي الدولي حول: الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، جامعة ورقلة، يومي 08 و09 مارس 2005، ص.20.

[2] Seddik Amroun, **Les pratiques Marketings en Algérie**, séminaire nationale sur : les reformes économiques en Algérie et les pratiques Marketing, centre universitaire de Bechar, le : 20 et 21 1vril 2004, p.02.

ب. تعديل التسعير: يجب على المؤسسات الجزائرية الاهتمام بالسعر الذي يدفعه المستهلك النهائي باعتباره العامل الأساسي المؤثر على رضاه وتحديد ردة فعله اتجاه المنتوج في ظل المنافسة السائدة من المنتجات المحلية والأجنبية؛

ج. تعديل التوزيع: لوصول منتجاتها إلى أكبر عدد من المستهلكين المحللين والدوليين، واستغلال الفرصة التي يتيحها لها الانفتاح الاقتصادي الذي يمنح لها حرية أكبر في تحديد منافذها التوزيعية يجب على المؤسسات الجزائرية مراجعة سياستها التوزيعية وتوسيع معرفتها بالأسواق المستهدفة؛

د. تعديل الترويج: تعمل السياسة الترويجية على شد انتباه المستهلكين المحتملين ودفعهم للتعامل مع المؤسسة وتفضيلها على غيرها من المؤسسات المنافسة، لذا يجب على المؤسسات الجزائرية رسم سياسات ترويجية تأخذ بعين الاعتبار الظروف البيئية المحيطة بها وظروف المنافسة وضرورة وصول منتجاتها إلى الأسواق العالمية، وقدرة المؤسسة على التكيف مع السوق الخارجية.

2- اعتماد أسلوب الشراكة مع المؤسسات الأجنبية: يمكن للمؤسسات الوطنية اللجوء للشراكة مع المؤسسات الأجنبية للاستفادة من خبرتها، نقل التكنولوجيا وتحسين نوعية المنتوج الوطني وكسب ثقة المستهلكين المحليين والدوليين.

3- اعتماد التسويق الدولي لدخول الأسواق العربية والإفريقية: بهدف استغلال قرب الجزائر الجغرافي من المنطقة العربية والدول الإفريقية وبسبب صعوبة الدخول للأسواق الأوروبية، يمكن للمؤسسات الجزائرية توجيه منتجاتها لهذه الأسواق، الأمر الذي سيسمح لها بالتوسع في سياستها الإنتاجية والحصول على حصة سوقية معتبرة تمنحها الشهرة.

خاتمة: إن الاستراتيجية الإنتاجية التي اتبعتها المؤسسات الجزائرية في السابق والقائمة على عدم التفريق، جعل المنتوج الجزائري يلاقي نفورا من طرف المستهلك بالرغم من جودته وسعره أحيانا، ولهذا أصبح من الضروري أن تراجع المؤسسات الجزائرية استراتيجياتها التسويقية خصوصا وأنها فقدت وضعيتها الاحتكارية التي ساعدتها لسنوات عديدة، ويجب عليها أن تتقرب أكثر من السوق والمستهلك لفهم رغباته وتلبية حاجاته وبالتالي الحفاظ عليه وكسب ولائه، والنظر لاتفاق الشراكة الأورو- متوسطية والانضمام المرتقب للمنظمة العالمية للتجارة على أنه فرصة يجب استغلالها، عن طريق الاستفادة من الإعفاءات الجمركية على المواد الأولية التي تدخل كمكون أساسي في الصناعات الوطنية، مما يسمح بتخفيض تكلفة المنتوج وعرضه بأسعار تنافسية على الصعيدين المحلي والدولي.

ومما سبق توصلت الدراسة لمجموعة من التوصيات التالية:

- ضرورة فهم وتطبيق المفهوم الحديث للتسويق في المؤسسات الجزائرية للتكيف مع المرحلة الانتقالية؛
- محاولة المؤسسات الجزائرية صياغة مزيج تسويقي يلبي حاجيات الزبائن، وفق معايير الجودة العالمية؛
- الاحتكاك بالمؤسسات الأجنبية والعالمية لاكتساب الخبرة ونقل التكنولوجيا الحديثة؛
- أن تصبح المؤسسات الجزائرية تنافسية على مستوى الأسعار والجودة، للتمكن من مواكبة التحكم في تطور التقنيات والأسواق.

دراسة أثر التسويق الريادي كاتجاه حديث على أداء عينة من وكالات السياحة والأسفار الجزائرية

أ.أسماء سفاري

جامعة العربي بن مهيدي.أم البواقي

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الأثر الجلي الذي يولده استخدام الأفكار التسويقية الجديدة التي تعتمد عليها الكثير من الدول في مختلف أنحاء العالم على تطوير الخدمات السياحية التي تروج لها العديد من وكالات السياحة والسفر واكتشاف مدى تطبيقها في الجزائر، وذلك من خلال قياس أثر تطبيق الريادية كأسلوب تسويقي على أداء عينة من وكالات السفر والسياحة الجزائرية بالاعتماد على بيانات الاستبيان التي تعبر عن أراء عينة قدر حجمها بـ39 وكالة، وتمت معالجة تلك البيانات باستخدام برمجية "$SPSS_{V20}$" وباستعمال أدوات التحليل الإحصائي تم التوصل إلى أن الوكالات محل الدراسة تسعى إلى تطبيق الريادية في الخدمات، أسلوب التسعير، طرق التوزيع وأساليب الترويج المبتكرة وهو الأمر الذي يؤثر إيجابيا على أدائها، فالتسويق الريادي أصبح ضرورة نتجت عن المنافسة الشديدة بين الدول والشركات السياحية التي وعت أنه إما الابتكار أو الاندثار، وذلك من خلال أفكار كثيرة ومتنوعة لإحداث التأثير اللازم.

الكلمات المفتاحية: التسويق الريادي، الريادية في الخدمات، الريادية في التسعير، الريادية في التوزيع، الريادية في الترويج.

Abstract :

This study aims to highlight the impact of the use of new marketing ideas that depend on a lot of countries around the world to development of tourism services promoted by many travel agencies, travel and discover the extent of their application in Algeria, through measuring the impact of entrepreneurship as a new way of marketing on the performance of a sample of Algerian travel and tourism agencies and based on questionnaire data, which reflects the opinions of 39 agency, and has processing that data using" $SPSS_{V20}$", and by the use of statistical analysis tools we have reached that the agencies under consideration seeks to the application of entrepreneurship in the services, pricing method, distribution methods and means of innovative promotion which positively affect its performance, pioneering marketing has become a necessity resulting from severe competition among nations and companies which become aware that either innovation or extinction, through variation in ideas to make the necessary impact.

Key words: marketing leadership, entrepreneurial services, a leader in pricing, a leader in the distribution, leading to the promotion, performance.

مقدمة: يعتبر التسويق الريادي من أهم المفاهيم الحديثة التي أصبحت تلعب دورا مؤثرا في مجال الأعمال عموما والسياحة خصوصا، حيث يهتم هذا النشاط بالمواءمة بين حاجات ورغبات المستهلكين من جهة، وقدرات وإمكانيات المؤسسة من جهة أخرى على ابتكار خدمات جديدة ، مما أكسبه أهمية كبيرة في وقتنا الحاضر من خلال تركيزه على وضع حاجيات ورغبات الزبون في المقام الأول، فهو وصف للنشاطات التسويقية المتحققة في الممارسات الجريئة والجديدة بذات الوقت ومن خلال المنظمات التسويقية المختلفة. فهذا التوجه المعاصر في التسويق من شأنه أن يسهم إلى حد كبير في تنمية حالة الإبداع والنمو الاقتصادي، لكونه قائم على الولوج بالأعمال الجديدة والمبتكرة، ولا يقتصر القيام بهذا النشاط على المنظمات الكبيرة فقط، بل إنه يشمل المنظمات الصغيرة طالما لديها القدرة على الدخول بأنشطة جريئة وناجعة في مجال التسويق.

إشكالية البحث: يلجأ المسوقون في وكالات السفر والسياحة إلى اعتماد الريادية كأسلوب عمل محاولة للارتقاء بالأداء وذلك من خلال استثمار الموارد المادية والبشرية بشكل فعال، وهو الأمر الذي يقودنا إلى طرح التساؤل الرئيسي التالي:

هل يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية لتطبيق الريادية كأسلوب تسويقي على أداء وكالات السفر والسياحة الجزائرية؟ ويندرج ضمن هذه الإشكالية التساؤلات الفرعية التالية:

- هل يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية لتطبيق الريادية في الخدمات على أداء وكالات السفر والسياحة الجزائرية ؟

- هل يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية لتطبيق الريادية في التسعير على أداء وكالات السفر والسياحة الجزائرية ؟

- هل يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية لتطبيق الريادية في التوزيع على أداء وكالات السفر والسياحة الجزائرية ؟

- هل يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية لتطبيق الريادية في الترويج على أداء وكالات السفر والسياحة الجزائرية ؟

فرضيات الدراسة: تقوم هذه الدراسة على الفرضية الرئيسية التالية:

(H0):" يوجد أثر إيجابي ذو دلالة إحصائية بين تطبيق الريادية كأسلوب تسويقي وأداء وكالات السياحة والسفر محل الدراسة عند مستوى معنوية (α=0.05) ".

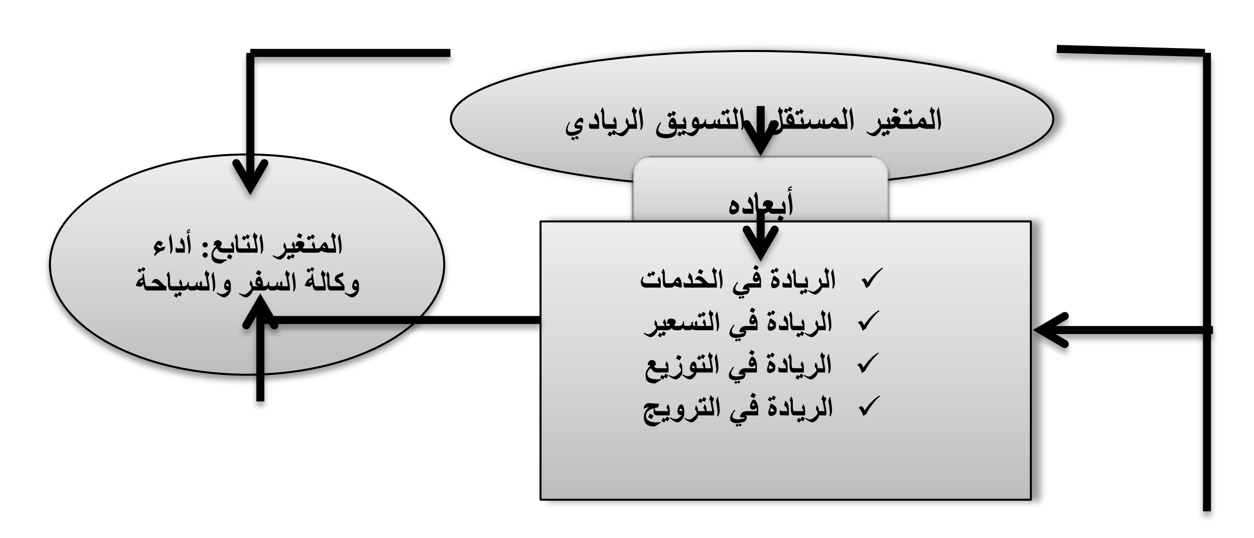
ويندرج ضمن هذه الفرضية أربع فرضيات فرعية:

- **الفرضية الفرعية الأولى**: " يوجد أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية بين استخدام الريادية في الخدمات وأداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة عند مستوى معنوية (α=0.05)".
- **الفرضية الفرعية الثانية**: " يوجد أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية بين استخدام الريادية في التسعير وأداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة عند مستوى معنوية (α=0.05)".
- **الفرضية الفرعية الثالثة**: " يوجد أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية بين استخدام الريادية في التوزيع وأداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة عند مستوى معنوية (α=0.05)".
- **الفرضية الفرعية الرابعة**: يوجد أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية بين استخدام الريادية في الترويج وأداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة عند مستوى معنوية (α=0.05)".

من أجل اختبار هذه النظريات، ارتأينا تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسية كالآتي:

- ✓ **أولا**: أدبيات الدراسة؛
- ✓ **ثانيا**: تحديد مجتمع وعينة الدراسة وعرض أدوات جمع وتحليل البيانات؛
- ✓ **ثالثا**: المعالجة الإحصائية لبيانات الاستبيان.

أولا: أدبيات الدراسة: حدد نموذج الدراسة في الشكل الموالي:



الشكل رقم (1): نموذج الدراسة.

المصدر: إعداد الباحثة.

1. **تعريف التسويق الريادي:**

يعرف التسويق الريادي بأنه:" وضع الأفكار الجديدة أو غير التقليدية موضع التطبيق الفعلي أثناء الممارسات التسويقية"(النسور، بن عبد الله،2014،ص.109)، كما عرف بشكل أكثر تفصيلا على أنه:" الأنشطة الخاصة بدعم واستثمار الفرص لكسب الزبائن والحفاظ عليهم من خلال المنهجية المعتمدة من قبل المنظمة لتحقيق الإبداع وادارة المخاطر وخلق القيمة وتعظيم الموارد" (Olufunmilola, Watson,2012, p:02).

من السمات الرئيسية للتسويق الريادي ما يلي(البكري، 2014، ص.190):

- ✓ يتغلغل التسويق الريادي في كل المستويات والوظائف الحاصلة في الشركة.
- ✓ المرونة في التعامل مع السوق واعتماد منهج الإيصاء الواسع مع الزبائن.
- ✓ العنصر البشري هو الأساس في عمل وتنفيذ السوق الريادي.
- ✓ التركيز على عمليات الابداع لاستثمار الفرص في الأسواق.
- ✓ تركيز واضح على المبيعات والترويج.
- ✓ الابتكار في استراتيجيات المنتج والخدمات.

2. **الريادية في الخدمات:** ينصب هذا النوع في العلاقة ما بين الابتكار والخدمة على التغيرات الحاصلة في مضمون الخدمة والتي تنعكس على تحسين وإعطاء نظرة مميزة للخدمة تتوافق مع رغبات الزبائن المستهدفين، ويمكن أن يتضمن الأمر تنفيذ تغييرات هامة في الخدمة أو مجرد تعديلات تجعلها متميزة عن باقي الخدمات المعروضة في السوق.

3. **الريادية في التسعير:**يتمثل الأمر في استخدام استراتيجية جديدة في التسعير لتسويق الخدمات الخاصة بالشركة وبذلك تمكينها من إيجاد ميزة تنافسية لها، وهذا الأمر قد يتضمن استخدام طريقة جديدة تسمح للزبائن باختيار المواصفات المطلوبة على الموقع الإلكتروني للشركة وبعد ذلك يمكن أن يظهر السعر الذي يمثل الخدمة التي تم اختيارها.

4.**الريادية في التوزيع:** يركز هذا النوع من الابتكار على اختيار قنوات توزيعية جديدة لإيصال الخدمات إلى الزبائن بما يضمن الكفاءة في عملية التوزيع والتفرد بأسلوب حديث للتواصل مع حاجات الزبون.

5. **الريادية في الترويج:**هو تعبير عن استخدام طرق وأساليب حديثة في الترويج للخدمة المقدمة من طرف الشركة للوصول إلى الزبون عبر أشكال مختلفة في الوقت المناسب، مثل استخدام شبكة الأنترنت لاستمالة السلوك الشرائي لدى الزبون من خلالها.

6. **الأداء:** يعرف الأداء على أنه:" انعكاس لكيفية استخدام المؤسسة للموارد المالية والبشرية، واستغلالها بكفاءة وفعالية بصورة تجعلها قادرة على تحقيق أهدافها"(الداوي، 2009، ص: 218)، بالتالي فالأداء هو حاصل تفاعل عنصرين أساسيين هما الطريقة في استعمال موارد المؤسسة، ونقصد بذلك عامل الكفاءة، والنتائج(الأهداف) المحققة من ذلك الاستخدام، ونعني بذلك عامل الفعالية.

7. **وكالات السفر والسياحة:** عرفها القانون الجزائري رقم 99 /06 المؤرخ في 04 أفريل سنة 1999 على أنها:" كل مؤسسة تمارس بصفة دائمة نشاطا سياحيا، يتمثل في بيع مباشر أو غير مباشر لرحلات و إقامات فردية أو جماعية ، وكل أنواع الخدمات المرتبطة (القانون رقم 06/99، 1999)".

8. **التسويق السياحي الريادي:** يعتمد هذا النوع من التسويق على الأفكار التسويقية الحديثة التي تعتمد عليها دول سياحية كثيرة في مختلف أنحاء العالم لتويج منتجها السياحي، ترجع جذورها إلى الأفكار الإبداعية والابتكارية التي ولدت

نتيجة للمنافسة الشديدة بين الدول والشركات السياحية، وكذلك التطور الهائل الذي حدث في مجال التسويق السياحي(الزعبي، 2013، ص.313). إن مفاتيح نجاح التسويق السياحي الريادي ما يلي(الزعبي، 2013، ص.315):

- ✓ الذكاء؛
- ✓ توسيع دائرة الطموح؛
- ✓ التحليق على أجنحة الخيال؛
- ✓ المواظبة على التجديد والإبداع.

ثانيا: تحديد مجتمع وعينة الدراسة وعرض أدوات جمع وتحليل البيانات

لتحقيق هدف الدراسة المتمثل في التعرف على مدى تأثير تطبيق الريادية كأسلوب تسويقي على أداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة، قمنا بتصميم استبانة وتوزيعها على مجتمع الدراسة، أما لتحليل البيانات فاعتمدنا على برنامج SPSS. V 20 ، حيث تم استخدام الأساليب الإحصائية الوصفية لمعرفة تصورات أفراد عينة الدراسة.

أ. **تحديد مجتمع وعينة الدراسة:** تكون مجتمع الدراسة من جميع وكالات السفر والسياحة الموجودة بالشرق الجزائري، في حين تكونت عينة الدراسة من (50) وكالة، تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية البسيطة، ووزعت استبانة الدراسة عليهم جميعا، حيث قمنا باسترداد (39) استبانة صالحة للتحليل الإحصائي.

ب. **أداة الدراسة:** تم الاعتماد بشكل رئيسي على أسلوب الاستبيان الذي أسس لجمع البيانات حول الاتجاه العام للموظفين بالوكالات محل الدراسة وذلك من خلال إجاباتهم على فقرات الاستبيان الذي تم تقسيمه إلى جزئين، جزء يتعلق بالبيانات الوصفية لعينة الدراسة والجزء الثاني شمل محاور الدراسة التي تعكس متغيراتها، وكل محور يحتوي على أبعاد تمثل متغيرات فرعية، وكل بعد يحتوي على مجموعة من الفقرات وصل عددها إلى (29) فقرة. كما تم استخدام مقياس مناسب لتصنيف وتقييم الإجابات الموافقة لكل عبارة، ولقد اختير مقياس رانسيس ليكارت، وهو مقياس شائع الاستخدام في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ويتلخص المقياس في تحديد مجموعة من العبارات تصف الموضوع المراد تقييم اتجاه الأفراد نحوه، ويطلب من الفرد المبحوث اختيار إجابة لكل عبارة من هذه العبارات، وذلك باختيار الإجابة المعبرة أكثر عن اتجاهه، ويتمثل سلم ليكارت في كثير من الأحيان في السلم ذي الخمس درجات كما هو موضح في الجدول الموالي:

جدول رقم (1): درجات مقياس ليكارت الخماسي.

الوزن النسبي	1	2	3	4	5
الرأي	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة

المصدر: عبد الفتاح عز، مقدمة في الإحصاء الوصفي والاستدلالي باستخدام SPSS، دار خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، 2007، ص540.

ج. **صدق وثبات أداة الدراسة:** يقصد بصدق الأداة قدرة الاستبانة على قياس المتغيرات التي صممت لقياسها، وللتحقق من صدق الاستبانة المستخدمة في البحث اعتمدنا على ما يلي:

❖ **صدق المحتوى:** للتحقق من صدق محتوى أداة الدراسة والتأكد من أنها تخدم أهداف الدراسة تم عرضها على هيئة من المحكمين الأكاديميين المختصين في المجال ، وطلب إليهم دراسة الأداة وإبداء رأيهم فيها من حيث مدى مناسبة العبارة للمحتوى، والنظر في مدى كفاية الأداة من حيث عدد العبارات، وشموليتها، وتنوع محتواها، وتقويم مستوى الصياغة اللغوية، والإخراج، أو أية ملاحظات أخرى يرونها مناسبة. وتم القيام بدراسة ملاحظات المحكمين واقتراحاتهم، وأُجريت التعديلات في ضوء توصيات وآراء هيئة التحكيم لتصبح أكثر فهما وتحقيقا لأهداف الدراسة.

❖ **صدق ثبات الأداة:** من أجل معرفة صدق وثبات البيانات الواردة بالاستمارة تم استخدام اختبار كرونباخ، هذا الأخير يقيس درجة ثبات وصدق أداة الدراسة عن طريق معامل α كرونباخ، والجدول الموالي يوضح نتائج هذا الاختبار: **جدول رقم (2): نتائج اختبار ثبات وصدق الدراسة للأبعاد والمحاور.**

الأبعاد والمحاور	عدد الفقرات	معامل الثبات *Cronbach's Alpha*
الريادية في الخدمات	05	0.684
الريادية في التسعير	05	0.730
الريادية في التوزيع	05	0.651
الريادية في الترويج	05	0.715
المبيعات	03	0.615
سمعة الوكالة	03	0.431
رضا الزبائن	03	0.850
إجمالي فقرات الاستبيان	29	0.880

المصدر: إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية" $SPSS_{V20}$"

من خلال هذا الجدول يتضح أن معامل الثبات الكلي لأداة الدراسة بلغ **(0.880)** وهو معامل ثبات مرتفع جدا ومناسب لأغراض الدراسة (أكبر من **60%**)، كما تعتبر معاملات الثبات لمتغيرات الدراسة جيدة أيضا على العموم، وبهذا نكون قد تأكدنا من ثبات أداة الدراسة، مما يجعلنا على ثقة تامة بصحتها وصلاحيتها لتحليل النتائج.

ثالثا: المعالجة الإحصائية لبيانات الاستبيان: من أجل اختبار فرضيات الدراسة والتعرف على درجة أثر استخدام الريادية على أداء وكالات السياحة والسفر محل الدراسة، كان لزاما علينا الاستعانة بأساليب التحليل الإحصائي الوصفي والاستدلالي، حيث تم استخدام تحليل الانحدار البسيط والمتعدد وذلك من أجل معرفة درجة التأثير بين التسويق الريادي وأداء الوكالات، حيث تم تقسيم هذا المحور إلى تحليل وتفسير اتجاهات أفراد العينة نحو متغيرات الدراسة واختبار فرضيات الدراسة.

أ. تحليل وتفسير اتجاهات أفراد العينة نحو متغيرات الدراسة:

يتناول هذا الجزء عرضا وتحليلا للبيانات التي تضمنها الاستبيان، حيث تم إعداد جدول توزيع تكراري لمتغيرات الدراسة والمستخدم لأغراض التحليل الإحصائي الوصفي، للحصول على الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية للإجابات المتشابهة عن جميع الفقرات. وبما أننا استخدمنا مقياس ليكارت الخماسي الذي يعبر عن الخيارات(غير موافق بشدة، غير موافق، محايد، موافق، موافق بشدة) هو متغير ترتيبي، والأرقام التي تدخل في البرنامج تعبر عن أوزان الإجابات، ولتحديد طول خلايا مقياس ليكارت الخماسي (الحدود الدنيا والعليا)، تم حساب المدى $5-1=4$ ثم تقسيمه على عدد الخلايا $\frac{4}{5}=0.8$ ، ثم إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس وهي الواحد الصحيح وذلك لتحديد الحد الأعلى للخلية، وعليه سيتم تفسير النتائج حسب الجدول التالي:

جدول رقم (3): إجابات الأسئلة ودلالتها.

الرمز	المتوسط الحسابي المرجح للإجابات	الاتجاه	مستوى القبول*
1	من 1 إلى 1.79	غير موافق بشدة	ضعيف جداً
2	من 1.80 إلى 2.59	غير موافق	ضعيف
3	من 2.60 إلى 3.39	محايد	متوسط
4	من 3.40 إلى 4.19	موافق	مرتفع
5	من 4.20 إلى 5	موافق بشدة	مرتفع جداً

المصدر: عبد الفتاح عز، مقدمة في الإحصاء الوصفي والاستدلالي باستخدام SPSS، مرجع سابق، ص:540.

1أ. تحليل اتجاهات الأفراد نحو محور الريادية:

*تم وضع مستوى القبول كوسيلة للتقييم العام للإجابات على كل بعد من أبعاد محاور الدراسة.

✓ **تحليل فقرات البعد الأول المتعلقة بالريادية في الخدمات:** يمكن أن نلخص النتائج الخاصة بفقرات هذا البعد في الجدول التالي:

الجدول رقم (4): التكرارات والنسب المئوية، الوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات بعد الريادية في الخدمات.

	فقرات بعد الريادية في الخدمات	التكرارات، والنسب المئوية(%)						الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب*	الاتجاه*
		المقياس	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة				
1	الفقرة 1	العدد	23	15	0	1	0	4.54	0.643	1	موافق بشدة
		النسبة %	59	38.5	0	2.6	0				
2	الفقرة 2	العدد	12	20	6	1	0	4.10	0.754	4	موافق
		النسبة %	30.8	51.3	15.4	2.6	0				
3	الفقرة 3	العدد	18	18	2	1	0	4.36	0.707	3	موافق بشدة
		النسبة %	46.2	46.2	5.1	2.6	0				
4	الفقرة 4	العدد	22	16	0	0	1	4.49	0.756	2	موافق بشدة
		النسبة %	56.4	41	0	0	2.6				
5	الفقرة 5	العدد	23	15	0	1	0	4.54	0.643	1	موافق بشدة
		النسبة %	59	38.5	0	2.6	0				
	ريادية الخدمة							4.405	0.466	/	موافق بشدة

المصدر: إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية "$SPSS_{V\,20}$"

يتضمن الجدول رقم(4) الوسط الحسابي والانحراف المعياري وترتيب كل عبارة من العبارات الخاصة ببعد الريادية في الخدمات، حيث نجد العبارتين الأولى والخامسة حصلتا على متوسط حسابي يقدر بـ 4.54 وبانحراف معياري 0.643 وهذا ما يدل على أن أغلب المبحوثين بالوكالات محل الدراسة يتفقون على أنهم يسعون أن يكون توجههم ريادي من حيث ابتكار خدمات جديدة ، كما أن استخدام التكنولوجيا الحديثة في تسويق هذه الخدمات يسهل العمل و يمتن التواصل مع الزبائن، تلتهما العبارة رقم (4) التي تبين أن الوكالات تحرص على توظيف أفراد يتمتعون بروح الريادية من خلال الإبداع في العمل، ثم العبارة رقم(3) والتي تنص على أن الوكالات محل الدراسة تسعى أن تطرح في السوق خدمات جديدة تقدم لأول مرة وهذا ما يجعلها منافسة، كما أن كل فقرات هذا البعد تقابل اتجاه موافق بشدة.

عموما فإن بعد ريادية الخدمات له متوسط حسابي يقدر بـ 4.405 وانحراف معياري قدر بـ 0.466، مما يعني اتفاق إجابات عينة الدراسة حول فقرات هذا البعد، وإذا ما تمت مقارنة قيمة المتوسط الحسابي لهذا البعد بالقيم الموجودة في

---

*الترتيب تنازلي على أساس الوسط الحسابي لكل فقرة.

*تم تحديد اتجاه كل فقرة والبعد بالاعتماد على الجدول رقم(3).

الجدول (3) نجدها عند مستوى قبول مرتفع جدا، هذا ما يجعلنا نقول أن وكالات السياحة والسفر محل الدراسة تولي أهمية بالغة للريادية في الخدمات المعروضة.

✓ **تحليل فقرات البعد الثاني المتعلق بالريادية في التسعير:** يمكن أن نلخص النتائج الخاصة بفقرات البعد الثاني في الجدول التالي:

الجدول رقم (5): التكرارات والنسب المئوية، الوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات بعد الريادية في التسعير.

	فقرات بعد الريادية في التسعير	التكرارات، والنسب المئوية(%)						الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه
		المقياس	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة				
6	الفقرة 6	العدد	18	15	3	3	0	4.23	0.902	2	موافق بشدة
		النسبة %	46.2	38,5	7.7	7.7	0				
7	الفقرة7	العدد	7	25	6	1	0	3.97	0.668	3	موافق
		النسبة %	17.9	64.1	15.4	2.6	0				
8	الفقرة 8	العدد	26	13	0	0	0	4.67	0.478	1	موافق بشدة
		النسبة %	66.7	33.3	0	0	0				
9	الفقرة 9	العدد	8	20	9	2	0	3.87	0.801	4	موافق
		النسبة %	20.5	51.3	23.1	5.1	0				
10	الفقرة 10	العدد	4	22	8	5	0	3.64	0.843	5	موافق
		النسبة %	10.3	56.4	20.5	12.8	0				
بعد: الريادية في التسعير								4.07	0.522	/	موافق

المصدر: إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية" "$SPSS_{V20}$"

من خلال الجدول رقم (5) وباعتماد الترتيب على أساس المتوسط الحسابي لفقرات بعد قواعد البيانات نجد العبارة رقم (8) تأتي في الرتبة الأولى بمتوسط حسابي لإجابات المبحوثين يقدر بـ 4.67، هذا ما يجعلنا نستنتج أن وكالات السياحة محل الدراسة تستغل الفرص الثمينة التي تقدمها شركات الطيران لتقديم عروض بأسعار مخفضة تجذب الزبائن بصورة كبيرة، ثم في المرتبة الثانية الفقرة رقم (6) التي توضح أن مختلف الوكالات تقوم بالاطلاع المستمر على أسعار الخدمات بالوكالات المنافسة، ثم تليها الفقرة رقم(7) التي تبين أنه باعتماد الريادية انخفضت الأسعار على مستوى الوكالات محل الدراسة.

عموما فإن بعد الريادية في التسعير له متوسط حسابي يقدر بـ: 4.07 وانحراف معياري يقدر بـ: 0.522، وإذا ما تم مقارنة قيمة المتوسط الحسابي لهذا البعد بالقيم الموجودة في الجدول(3) نجدها عند مستوى قبول مرتفع، هذا ما يجعلنا نقر على أن الوكالات محل الدراسة تولي اهتمام لاستخدام أسلوب الريادية في التسعير.

✓ **تحليل فقرات البعد الثالث المتعلق بالريادية في التوزيع:** من خلال الجدول رقم (6) يمكن التعرف على الخصائص الإحصائية لفقرات هذا البعد:

الجدول رقم (6): التكرارات والنسب المئوية، الوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات بعد الريادية في التوزيع.

فقرات بعد: الريادية في	التكرارات، والنسب المئوية(%)	الوسط	الانحراف	الترتيب	الاتجاه

	التوزيع	المقياس	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	الحسابي	المعياري		
11	الفقرة11	العدد	13	24	2	0	0	4.28	0.560	2	موافق بشدة
		النسبة%	33.3	61.5	5.1	0	0				
12	الفقرة 12	العدد	14	23	1	1	0	4.28	0.647	3	موافق بشدة
		النسبة%	35.9	59	2.6	2.6	0				
13	الفقرة 13	العدد	15	20	1	3	0	4.21	0,833	4	موافق بشدة
		النسبة%	38.5	51.3	2.6	7.7	0				
14	الفقرة 14	العدد	6	13	12	7	1	3.41	1.044	5	موافق
		النسبة%	15.4	33.3	30.8	17.9	2.6				
15	الفقرة 15	العدد	16	23	0	0	0	4.41	0.498	1	موافق بشدة
		النسبة%	41	59	0	0	0				
		النسبة%	13.8	65.5	13.8	5.2	1.7				
بعد الريادية في التوزيع								4.11	0.371	/	موافق

المصدر: إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية" $SPSS_{V20}$"

يتضمن الجدول رقم(6) الوسط الحسابي والانحراف المعياري وترتيب كل فقرة من الفقرات الخاصة ببعد الريادية في التوزيع، حيث نجد العبارة رقم(15) حصلت على متوسط حسابي يقدر بـ: 4.41 وبانحراف معياري 0.498 وهذا ما يدل على أن الوكالات محل الدراسة تستخدم الأنترنت بشكل واسع في علاقتها وتواصلها مع زبائنها، تليها العبارة رقم (11) والتي تؤكد أن الوكالات محل الدراسة تسعى أن تطبق أسلوب الريادية في توزيع خدماتها وذلك بابتكار طرق جديدة تعتمد على التكنولوجيا بشكل أساسي.

عموما فإن بعد الريادية في التوزيع له متوسط حسابي يقدر بـ: 4.11 وانحراف معياري قدر بـ: 0.371، وإذا ما تم مقارنة قيمة المتوسط الحسابي لهذا البعد بالقيم الموجودة في الجدول(3) نجدها عند مستوى قبول مرتفع، هذا ما يجعلنا نقول أن الوكالات محل الدراسة تتميز باستخدام الريادية في طرق توزيع خدماتها.

✓ **تحليل فقرات بعد الريادية في الترويج:** من خلال الجدول الموالي يمكن التعرف على الخصائص الإحصائية لفقرات البعد الرابع:

الجدول رقم (7): التكرارات والنسب المئوية، الوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات بعد الريادية في الترويج.

	فقرات بعد الريادية في الترويج	التكرارات، والنسب المئوية(%)						الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه
		المقياس	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة				
16	الفقرة 16	العدد	15	21	3	0	0	4.31	0.614	1	موافق بشدة
		النسبة %	38.5	53.8	7.7	0	0				
17	الفقرة 17	العدد	15	19	5	0	0	4.26	0.677	2	موافق بشدة
		النسبة %	38.5	48.7	12.8	10	0				

18	الفقرة 18	العدد	10	10	5	13	1	3.38	1.269	5	محايد
		النسبة %	25.6	25.6	12.8	33.3	2.6				
19	الفقرة 19	العدد	6	19	13	1	0	3.77	0.742	4	موافق
		النسبة %	15.4	48.7	33.3	2.6	0				
20	الفقرة 20	العدد	12	14	10	2	1	3.87	1.005	3	موافق
		النسبة %	30.8	35.9	25.6	5.1	2.6				
بعد: الريادية في الترويج								3.91	0.611	/	موافق

المصدر: إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية "$SPSS_{V20}$"

من خلال الجدول رقم (7)، نجد العبارة رقم (16) تأتي في الرتبة الأولى بمتوسط حسابي لإجابات المبحوثين قدر بـ 4.31، هذا ما يؤكد لنا أن وكالات السفر والسياحة محل الدراسة يحرصون أن يروجوا لخدماتهم الجديدة في الوقت المناسب ، ثم في المرتبة الثانية الفقرة رقم (17) التي تركز على أن الوكالات محل الدراسة تحرص على ابتكار طرق جديدة للترويج وتعتمد على التكنولوجيا في توصيلها للزبائن.

عموما فإن بعد الريادية في الترويج، له متوسط حسابي يقدر بـ: 3.91 وانحراف معياري قدر بـ 0.611، وإذا ما تم مقارنة قيمة المتوسط الحسابي لهذا البعد بالقيم الموجودة في الجدول(3) نجدها تقابل مستوى قبول مرتفع، هذا ما يجعلنا نقر على أن الوكالات محل الدراسة تهتم بتطوير أساليب ترويجها للخدمات.

2أ. تحليل اتجاهات أفراد العينة نحو محور الأداء :

✓ **تحليل فقرات البعد الأول المتعلق ببعد المبيعات:** يمكن أن نلخص النتائج الخاصة بفقرات هذا البعد في الجدول التالي:

الجدول رقم (8): التكرارات والنسب المئوية، الوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات بعد المبيعات.

فقرات محور المبيعات		التكرارات، والنسب المئوية(%)						الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه
		المقياس	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة				
01	الفقرة 1	العدد	8	19	6	6	0	3.74	0.966	3	موافق
		النسبة %	20,5	48.7	15.4	15.4	0				
02	الفقرة 2	العدد	14	17	6	2	0	4.10	0.852	2	موافق
		النسبة%	35.9	43.6	15.4	5.1	0				
03	الفقرة 3	العدد	29	10	0	0	0	4.74	0.442	1	موافق بشدة
		النسبة %	74.4	25.6	0	0	0				
محور المبيعات								4.19	0.590	/	موافق بشدة

المصدر: إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية "$SPSS_{V20}$"

من خلال الجدول رقم (8) نجد أن معظم فقرات هذا المحور هي مقابلة لاتجاه موافق ، إذ نجد الفقرة رقم (3) في الرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدره 4.74، أي أن الوكالات محل الدراسة تهدف إلى زيادة نسبة مبيعاتها ضمن استراتيجياتها، ثم نجد في المرتبة الثانية الفقرة رقم(2) التي تدل على أن الوكالات تعتمد بشكل كبير على حجم المبيعات في تقدير نشاطها بمتوسط حسابي قدره 4.10، عموما نجد أن كل فقرات هذا المحور كانت ذات متوسطات حسابية مقابلة لمستوى قبول مرتفع وهو ما يؤكده المتوسط الحسابي لمحور المبيعات الذي قدر بـ:4.19 وبانحراف معيار ي قيمته 0.590، وهو يقابل مستوى قبول مرتفع جدا وهو ما يؤكد لنا نتيجة أن الوكالات محل الدراسة تتمتع بحصة مبيعات جيدة.

✓ **تحليل فقرات البعد الثاني المتعلق بسمعة الوكالة:** يمكن أن نلخص النتائج الخاصة بفقرات هذا البعد في الجدول التالي:

الجدول رقم (9): التكرارات والنسب المئوية، الوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات بعد سمعة الوكالة.

فقرات بعد سمعة الوكالة		المقياس	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه
04	الفقرة 4	العدد	19	15	4	1	0	4.33	0.772	3	موافق بشدة
		% النسبة	48.7	38.5	10.3	2.6	0				
05	الفقرة 5	العدد	28	11	0	0	0	4.72	0.456	1	موافق بشدة
		%النسبة	71.8	28.2	0	0	0				
06	الفقرة 6	العدد	25	13	1	0	0	4.62	0.544	2	موافق بشدة
		% النسبة	64.1	33.3	2.6	0	0				
محور بعد سمعة الوكالة								4.55	0.414	/	موافق بشدة

المصدر: إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية "$SPSS_{V20}$"

من خلال الجدول رقم (9) نجد أن كل فقرات هذا المحور هي مقابلة لاتجاه موافق بشدة، إذ نجد الفقرة رقم (5) في الرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدره 4.72، وهو ما يؤكد أن الوكالات محل الدراسة تحرص على التعامل مع زبائنها بطريقة جيدة لتحسن من سمعتها وبالتالي المنافسة، عموما نجد أن كل فقرات هذا المحور كانت ذات متوسطات حسابية مقابلة لمستوى قبول مرتفع جدا، وهو ما يؤكد لنا نتيجة أن الوكالات محل الدراسة تتمتع بسمعة جيدة وتسعى إلى أن تصبح أكثر شهرة خلال السنوات القادمة.

✓ **تحليل فقرات البعد الثالث المتعلق برضا الزبائن:** يمكن أن نلخص النتائج الخاصة بفقرات هذا البعد في الجدول التالي:

الجدول رقم (10): التكرارات والنسب المئوية، الوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات بعد رضا الزبائن.

فقرات محور بعد رضا الزبائن		المقياس	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه
07	الفقرة 7	العدد	14	17	8	0	0	4.15	0.745	3	موافق
		% النسبة	35.9	43.6	20.5	0	0				
08	الفقرة 8	العدد	14	19	6	0	0	4.21	0.695	1	موافق بشدة
		%النسبة	35.9	48.7	15.4	0	0				
0	الفقرة 9	العدد	12	16	10	1	0	4.00	0.826	2	موافق

9		النسبة %	30.8	41	25.6	2.6	0				
محور بعد رضا الزبائن								4.11	0.664	/	موافق

المصدر: إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية" $"SPSS_{V20}"$

من خلال الجدول رقم (10) نجد أن معظم فقرات هذا المحور هي مقابلة لاتجاه موافق، إذ نجد الفقرة رقم (8) في الرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدره 4.21، أي أن عدد الزبائن المهتمون بخدمات الوكالات محل الدراسة عرف تطور في السنوات الأخيرة، ثم نجد في المرتبة الثانية الفقرة رقم (9) التي تدل على أن الوكالات محل الدراسة تتميز بقلة الاحتجاجات والآراء السلبية من قبل زبائنها. عموما نجد أن كل فقرات هذا المحور كانت ذات متوسطات حسابية مقابلة لمستوى قبول مرتفع وهو ما يؤكده المتوسط الحسابي لمحور رضا الزبائن الذي قدر بـ: 4.11 وبانحراف معياري قيمته 0.664، وهو يقابل مستوى قبول مرتفع وهو ما يؤكد لنا نتيجة أن الوكالات محل الدراسة تتمتع برضا زبائنها بصورة جيدة.

ب. **اختبار فرضيات الدراسة :**من خلال هذا الجزء سنحاول اختبار فرضيات الدراسة الرئيسة والفرعية، ليتم رفضها أو قبولها باستخدام معاملات الانحدار البسيط والمتعدد، حيث قبل إجراء تحليل الانحدار يجب إجراء بعض الاختبارات وذلك من أجل ضمان خطية العلاقة.

ب1. اختبار التوزيع الطبيعي للبيانات: من أجل التحقق من فرضية التوزيع الطبيعي تم إجراء الاختبار المسمى باختبار جودة المطابقة (***Kolmogorov-Smirnov***) الموجود في برمجية "*SPSS*" وهو ما يوضحه الجدول رقم(11):

الجدول رقم (11): نتائج اختبار التوزيع الطبيعي للبيانات.

	المتغيـــــــــــــــــــرات							
	الريادية في الخدمات	الريادية في التسعير	الريادية في التوزيع	الريادية في الترويج	المبيعات	سمعة الوكالة	رضا الزبائن	
حجم العينة	**39**	**39**	**39**	**39**	**39**	**39**	**39**	
احصائية Kolmogorov-Smirnov	**0.931**	**0.727**	**1.064**	**0.682**	**1.071**	**1.357**	**0.915**	
مستوى المعنوية	**0.352**	**0.665**	**0.207**	**0.742**	**0.202**	**0.050**	**0.373**	

المصدر: إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية" $"SPSS_{V20}"$

من خلال الجدول يمكن اختبار الفرضيتين التاليتين:

☜ نقبل فرضية العدم H_0 في حالة أن مستوى المعنوية لإحصائية *Kolmogorov-Smirnov* أكبر من 0.05 أي أن البيانات تتبع التوزيع الطبيعي.

☜ نرفض فرض العدم ونقبل الفرض البديل H_1 في حالة أن مستوى المعنوية لإحصائية *Kolmogorov-Smirnov* أقل من 0.05 أي أن البيانات لا تتبع التوزيع الطبيعي.

من خلال الجدول رقم(11) يلاحظ أن مستوى المعنوية لكل متغيرات الدراسة أكبر من 0.05 مما يدعونا الى قبول الفرضية الصفرية $H0$ وبالتالي بيانات العينة المدروسة تتبع التوزيع الطبيعي، وهذا ما يمكننا من استخدام الاختبارات المعلمية وخاصة أسلوب الانحدار المعتمد على طريقة المربعات الصغرى العادية في تقدير معلماته.

ب2. اختبار الفرضية الفرعية الأولى:

مستوى معنوية $\alpha = 0.05$ يوجد أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية بين بعد الريادية في الخدمات وأداء وكالات السفر والسياحة الجزائرية عند

لاختبار صحة هذه الفرضية تم استخدام أسلوب الانحدار البسيط للمتغير الفرعي المستقل الريادية في الخدمات والمتغير التابع أداء الوكالات.

الجدول رقم (12): نتائج تحليل الانحدار البسيط لقياس أثر المتغير المستقل(بعد الريادية في الخدمات) على أداء الوكالات.

نتائج تحليل الانحدار البسيط لقياس أثر بعد الريادية في الخدمات على أداء الوكالات					
معامل التحديد (R^2) 0.169			الخطأ المعياري للتقدير 0.407		
قيمة (F): 7.506			مستوى المعنوية: 0.009		
المتغير	b	SEB	بيتا β	قيمة T	معنوية T
الثابت	2.583	0.627	-	4.123	0.000
بعد الريادية في الخدمات	0.388	0.141	0.411	2.740	0.009

المصدر: من إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية "$SPSS_{V20}$"

من خلال الجدول رقم (12) يمكن استخلاص التحليل الإحصائي التالي:

يظهر معامل التحديد(R^2) وهو مقياس لجودة التوفيق، حيث يشير إلى أن16.9% من التغيرات في المتغير التابع يفسرها المتغير الفرعي بعد الريادية في الخدمات وأن الباقي 83.1٪ ترجع إلى عوامل أخرى، أما قيمة الخطأ المعياري للتقدير والبالغة 0.407 تشير كذلك إلى صغر الأخطاء العشوائية، وبالتالي جودة تمثيل خط الانحدار لنقاط شكل الانتشار وهو ما تدل عليه قيمة(F) البالغة 7.506وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$. كما يظهر الجدول قيمة معلمة الميل bحيث بلغت 0.388 مما يشير إلى أن هناك أثر إيجابي بين المتغيرين فإن أي زيادة أو تحسين في بعد الريادية في الخدمات بمقدار درجة واحدة تقابلها زيادة في أداء وكالات السفر والسياحة بمقدار0.388، وللمعلمة مستوى معنوية 0.009 وهي أقل من 0.05 مما يشير إلى معنوية معلمة الميل، أما بالنسبة إلى معلمة التقاطع (الحد الثابت) فقد بلغت2.583 تحت مستوى معنوية 0.000 وهي أقل من 0.05 مما يشير إلى معنويتها، وبالتالي فإن ظهور معنوية معلمتي الانحدار يشير إلى أهمية تطبيق الريادية في الخدمات في تحسين أداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة.

من خلال ما سبق يمكن القول أن تطبيق الريادية في الخدمات لها أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية على أداء الوكالات محل الدراسة عند مستوى معنوية$\alpha = 0.05$ وهو ما يؤكد صحة الفرضية الفرعية الأولى.

ب3. اختبار الفرضية الفرعية الثانية:

عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$ يوجد أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية بين بعد الريادية في التسعير وأداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة "BATICIM عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$"

لاختبار صحة هذه الفرضية تم استخدام أسلوب الانحدار البسيط للمتغير الفرعي المستقل بعد الريادية في التسعير والمتغير التابع أداء الوكالات وهو ما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم (13): نتائج تحليل الانحدار البسيط لقياس أثر تطبيق الريادية في التسعير على أداء وكالات السفر والسياحة.

نتائج تحليل الانحدار البسيط لقياس أثر تطبيق الريادية في التسعير على أداء الوكالات	
معامل التحديد (R^2)= 0.250	الخطأ المعياري للتقدير: 0.386
قيمة (F): 12.339	مستوى المعنوية: 0.001

المتغير	b	SEB	بيتا β	قيمة T	معنوية T
الثابت	2.571	0.493	-	5.212	0.000
بعد الريادية في التسعير	0.422	0.120	0.500	3.513	0.001

المصدر: من إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية "$SPSS_{V20}$"

من خلال الجدول رقم (13) يمكن استخلاص التحليل الإحصائي التالي:

يظهر معامل التحديد $\left(R^2\right)$وهو مقياس لجودة التوفيق، حيث يشير إلى أن25% من التغيرات في المتغير التابع يفسرها المتغير الفرعي الريادية في التسعير وأن الباقي75٪ ترجع إلى عوامل أخرى، أما قيمة الخطأ المعياري للتقدير والبالغة 0.386 تشير كذلك إلى صغر الأخطاء العشوائية، وبالتالي جودة تمثيل خط الانحدار لنقاط شكل الانتشار وهو ما تدل عليه قيمة (F) البالغة 12.339 وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية$\alpha = 0.05$. كما يظهر الجدول قيمة معلمة الميل b حيث بلغت0.422 مما يشير إلى أن هناك أثر إيجابي بين المتغيرين فإن أي زيادة أو تحسين في تطبيق أسلوب الريادية في التسعير بمقدار درجة واحدة تقابلها زيادة في أداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة بمقدار0.422، وللمعلمة مستوى معنوية 0.001 وهي أقل من 0.05 مما يشير إلى معنوية معلمة الميل، أما بالنسبة إلى معلمة التقاطع (الحد الثابت) فقد بلغت 2.571 تحت مستوى معنوية 0.000 وهي أقل من 0.05 مما يشير إلى معنويتها، وبالتالي فإن ظهور معنوية معلمتي الانحدار يشير إلى أهمية تطبيق الريادية في التسعير في تحسين أداء الوكالات محل الدراسة.

من خلال ما سبق يمكن القول أن تطبيق أسلوب التسويق الريادي في التسعير له أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية على أداء الوكالات محل الدراسة عند مستوى معنوية وهو ما يؤكد صحة الفرضية الفرعية الثانية.

ب4. اختبار الفرضية الفرعية الثالثة:

يوجد أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية بين تطبيق الريادية في التوزيع وأداء الوكالات محل الدراسة عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$

لاختبار صحة هذه الفرضية تم استخدام أسلوب الانحدار البسيط للمتغير الفرعي المستقل الريادية في التوزيع والمتغير التابع أداء الوكالات وهو ما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم (14): نتائج تحليل الانحدار البسيط لقياس أثر تطبيق الريادية في التوزيع على أداء الوكالات.

نتائج تحليل الانحدار البسيط لقياس أثر تطبيق الريادية في التوزيع على أداء الوكالات.					
معامل التحديد $\left(R^2\right)$= 0.275			الخطأ المعياري للتقدير: 0.380		
قيمة (F): 14.014			مستوى المعنوية: 0.001		
المتغير	b	SEB	بيتا β	قيمة T	معنوية T
الثابت	1.735	0.685	-	2.531	0.016
الريادية في التوزيع	0.621	0.166	0.524	3.744	0.001

المصدر: من إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية "$SPSS_{V20}$"

من خلال الجدول رقم (14) يمكن استخلاص التحليل الإحصائي التالي:

يظهر معامل التحديد$R^2 = 0.275$ وهو مقياس لجودة التوفيق، حيث يشير إلى أن27.5% من التغيرات في المتغير التابع يفسرها المتغير الفرعي الريادية في التوزيع وأن الباقي72.5٪ ترجع إلى عوامل أخرى، أما قيمة الخطأ المعياري للتقدير والبالغة 0.380 تشير كذلك إلى صغر الأخطاء العشوائية، وبالتالي جودة تمثيل خط الانحدار لنقاط شكل الانتشار وهو ما

تدل عليه قيمة (F) البالغة 14.014 وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$. كما يظهر الجدول قيمة معلمة الميل b حيث بلغت 0.621 مما يشير إلى أن هناك أثر إيجابي بين المتغيرين فإن أي زيادة أو تحسين في تطبيق أسلوب الريادية في التوزيع بمقدار درجة واحدة تقابلها زيادة في أداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة بمقدار 0.621، وللمعلمة مستوى معنوية 0.001 وهي أقل من 0.05 مما يشير إلى معنوية معلمة الميل، أما بالنسبة إلى معلمة التقاطع (الحد الثابت) فقد بلغت 1.735 تحت مستوى معنوية 0.016 وهي أقل من 0.05 مما يشير إلى معنويتها، وبالتالي فإن ظهور معنوية معلمتي الانحدار يشير إلى أهمية تطبيق الريادية في التسعير في تحسين أداء الوكالات محل الدراسة.

من خلال ما سبق يمكن القول أن تطبيق أسلوب التسويق الريادي في التوزيع له أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية على أداء الوكالات محل الدراسة عند مستوى معنوية وهو ما يؤكد صحة الفرضية الفرعية الثالثة.

ب5. اختبار الفرضية الفرعية الرابعة:

يوجد أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية بين الريادية في الترويج وأداء الوكالات محل الدراسة عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$

لاختبار صحة هذه الفرضية تم استخدام أسلوب الانحدار البسيط للمتغير المستقل الريادية في الترويج والمتغير التابع أداء الوكالات وهو ما يوضحه الجدول التالي.

الجدول رقم (15): نتائج تحليل الانحدار البسيط لقياس أثر الريادية في الترويج على أداء الوكالات.

نتائج تحليل الانحدار البسيط لقياس أثر الريادية في الترويج على أداء الوكالات					
معامل التحديد (R^2) = 0.313			الخطأ المعياري للتقدير 0.369		
قيمة (F): 16.873			مستوى المعنوية: 0.000		
المتغير	b	SEB	بيتا β	قيمة T	معنوية T
الثابت	2.712	0.389	-	6.972	0.000
الريادية في الترويج	0.403	0.098	0.560	4.108	0.000

المصدر: من إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية "$SPSS_{V20}$"

يظهر معامل التحديد R^2 وهو مقياس لجودة التوفيق، حيث يشير إلى أن 31.3% من التغيرات في المتغير التابع يفسرها المتغير الفرعي المستقل، أما قيمة الخطأ المعياري للتقدير والبالغة 0.369 تشير كذلك إلى صغر الأخطاء العشوائية، وبالتالي جودة تمثيل خط الانحدار لنقاط شكل الانتشار وهو ما تدل عليه قيمة F البالغة 16.873 وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$. كما يظهر الجدول قيمة معلمة الميل b حيث بلغت 0.403 مما يشير إلى أن هناك أثر إيجابي بين المتغيرين فإن أي زيادة أو تحسين في تطبيق الريادية في الترويج بمقدار درجة واحدة تقابلها زيادة في أداء الوكالات محل الدراسة بمقدار 0.403، وللمعلمة مستوى معنوية 0.000 وهي أقل من 0.05 مما يشير إلى معنوية معلمة الميل، أما بالنسبة إلى معلمة التقاطع (الحد الثابت) فقد بلغت 2.712 تحت مستوى معنوية 0.000 وهي أقل من 0.05 مما يشير إلى معنويتها، وبالتالي فإن ظهور معنوية معلمتي الانحدار يشير إلى أهمية الاعتماد على الريادية في الترويج في تطوير أداء الوكالات محل الدراسة.

من خلال ما سبق يمكن القول أن المتغير الفرعي المستقل الريادية في الترويج له أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية على أداء الوكالات محل الدراسة عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$ وهو ما يؤكد صحة الفرضية الفرعية الرابعة.

ب6. اختبار الفرضية الرئيسية:

يتم استخدام الانحدار البسيط لاكتشاف أثر تطبيق التسويق الريادي على المتغير التابع وهو أداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة، ذلك لاختبار صحة الفرضية الرئيسة والتي تنص على أنه:

يوجد أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية بين تطبيق الريادية كأسلوب تسويقي وأداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$

ويمكن أن نلخص نتائج تحليل الانحدار البسيط الخاصة بمتغيرات الدراسة والمستخرجة من برمجية $SPSS_{V20}$ في الجدول التالي:

الجدول رقم (16): نتائج تحليل الانحدار البسيط لقياس أثر لقياس أثر تطبيق الريادية كأسلوب تسويقي على أداء الوكالات محل الدراسة.

نتائج تحليل الانحدار البسيط لقياس أثر تطبيق الريادية على أداء الوكالات محل الدراسة					
معامل التحديد R^2 = 0.436			الخطأ المعياري للتقدير: 0.355		
قيمة (F) : 28.624			مستوى المعنوية: 0.000		
المتغير	b	SEB	بيتا β	قيمة T	معنوية T
الثابت	1.085	0.601	-	1.805	0.079
التسويق الريادي	0.776	0.145	0.660	5.530	0.000

المصدر: من إعداد الباحثة بناء على مخرجات برمجية "$SPSS_{V20}$"

يتبين من الجدول رقم (16) ثبات صلاحية النموذج لاختبار الفرضية الرئيسة استناداً إلى ارتفاع قيمة(F) والبالغة 28.624 وهي دالة إحصائيا عند مستوى معنوية $\alpha = 0.05$، ويتضح من الجدول نفسه أن المتغير المستقل في هذا النموذج يفسر المتغير التابع ما مقداره 43.6% هذا استنادا الى قيمة R^2 أما الباقي أي 56.4 % يمكن إرجاعه إلى عوامل أخرى كأن تكون متغيرات أخرى لم تدخل في النموذج، مما يعني أيضا أن هناك عوامل أخرى لم تدخل في هذه الدراسة تحتاج إلى دراسات مستقبلية. كما يظهر الجدول قيمة معلمة الميل b حيث بلغت 0.776 مما يشير إلى أن هناك أثر إيجابي بين المتغيرين فإن أي زيادة أو تطوير في تطبيق التسويق الريادية بمقدار درجة واحدة تقابلها زيادة أو تطوير في أداء الوكالات بمقدار0.776، وللمعلمة مستوى معنوية 0.000 وهي أقل من 0.05 مما يشير إلى معنوية معلمة الميل، أما بالنسبة إلى معلمة التقاطع (الحد الثابت) فقد بلغت 1.085 تحت مستوى معنوية 0.079 وهي أقل من 0.05 مما يشير إلى معنويتها، وبالتالي فإن ظهور معنوية معلمتي الانحدار يشير إلى أهمية تطبيق التسويق الريادي في تطوير أداء الوكالات محل الدراسة. من خلال ما سبق يمكن القول أن الحرص على تطبيق الريادية كأسلوب تسويقي يؤدي الى تطوير أداء وكالات السفر والسياحة، بالتالي فإنه هناك أثر ايجابي ذو دلالة إحصائية بين تطبيق التسويق الريادي وأداء الوكالات محل الدراسة عند مستوى دلالة$\alpha = 0.05$.وهو ما يؤكد صحة الفرضية الرئيسية.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة الذي حاولنا من خلاله التعرف على أثر تطبيق الريادية كأسلوب تسويقي على أداء وكالات السفر والسياحة محل الدراسة، وذلك من خلال تصميم استبيان متكون من متغيرات فرعية لمحاور نموذج الدراسة، حيث قدر عدد المبحوثين بـ: 39 مبحوث وهو يمثل حجم عينة الدراسة، وتم تحليل بيانات الاستبيان عن طريق برمجية" $SPSS_{V20}$ " ، ومن أجل القيام بالتحليل الإحصائي تم الاستعانة بالأساليب الإحصائية الوصفية والمتمثلة في التكرارات والنسب المئوية لمعرفة خصائص العينة المدروسة، والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمعرفة اتجاه إجابات أفراد

العينة نحو متغيرات الدراسة، وتم الاستعانة بأساليب الإحصاء الاستدلالي والمتمثلة في تحليل الانحدار البسيط والمتعدد وذلك من أجل تحديد أثر المتغيرات الفرعية المستقلة(التسويق الريادي) والمتغير التابع (الأداء).

ومن خلال النتائج المتوصل إليها اتضحت أهمية تطبيق الريادية (ريادية الخدمات، ريادية التسعير ،الريادية في التوزيع، ريادية الترويج) مما ينعكس بالإيجاب على أداء وكالات السفر والسياحة (حجم المبيعات، سمعة الوكالات، رضا الزبائن) وهذا ما أكدناه من خلال معاملات التحديد والانحدار التي كانت ذات دلالة إحصائية.

قائمة المراجع:

1. البكري، ثامر.(2014). ***قضايا معاصرة في التسويق*** (ط1). الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع .
2. النسور ، إياد عبد الفتاح وبن عبد الله، عبد الرحمن .(2014). ***قضايا وتطبيقات تسويقية معاصرة*** (ط 1).عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
3. الداوي، الشيخ.(2009). ***تحليل الأسس النظرية لمفهوم الأداء***. *مجلة الباحث*، العدد:07.
4. الزعبي، علي فلاح.(2013). ***التسويق السياحي والفندقي***(ط1). الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
5. عز ، عبد الفتاح.(2007). ***مقدمة في الإحصاء الوصفي والاستدلالي باستخدام SPSS***، دار خوارزم العلمية للنشر والتوزيع.
6. القانون رقم 06/99 المؤرخ سنة 1999، المحدد للقواعد التي تحكم نشاط وكالات السياحة والأسفار.

7. .Olufunmilola Dada & Anna Wtson.(2012). ***Entrepreneurial Orientation and the franchise system :organizational antecedents and performance outcomes***, European journal of marketing ,vol 47.

ملحق : استبانة البحث

سيدي الكريم العامل بوكالة السفر والسياحة، في إطار التحضير لبحث أكاديمي، تم انجاز هذا الاستبيان بهدف التعرف على أثر الريادية في التسويق على أداء وكالات السفر والسياحة، نرجو من سيادتكم الإجابة على عبارات الاستبيان وذلك بوضع علامة (×) أمام جميع عباراتها، وفي الخانة التي تعبر عن وجهة نظركم بصدق وموضوعية.

علما بأن الغاية من إجراء هذه الدراسة، غاية علمية بحتة وسوف يتم التعامل مع إجابتكم وفقا لقواعد الأمانة والنزاهة العلمية والسرية، ولن تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي. وفي الأخير لك مني خالص الشكر على تعاونك معنا سلفاً.

الجزء الأول :بيانات وصفية

1. شهرة الوكالة:..
2. عنوان الوكالة:..
3. سنة التأسيس:..............................
4. عدد العمال:.................................
5. المستوى التعليمي للمستخدمين بوكالتكم:

....

منذ متى تستخدمون الإنترنت لمزاولة عملكم:..

6. الموقع الألكتروني:..

الجزء الثاني :أبعاد وفقرات الدراسة

البعد	الرقم	المحور الأول: استخدام الريادية في التسويق الفقرات	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
الريادية في الخدمات	1	تعد الوكالة ذات توجه ريادي، حيث تسعى أن تكون خدماتها مبتكرة مقارنة بالوكالات المنافسة.					
	2	تخصص الوكالة أموالا كبيرة من أجل ابتكار خدمات جديدة تميزها عن باقي الوكالات .					
	3	تسعى الوكالة أن تكون الرائدة في طرح خدمات تقدم لأول مرة في السوق السياحية مثل البرامج السياحية.					
	4	تحرص الوكالة على توظيف أفراد يرسخون روح الإبتكار والإبداع في العمل					
	5	تعتمد الوكالة على التكنولوجيا الحديثة في تسويق خدماتها ، كما تحرص على التواصل مع زبائنها بعد تقديم خدماتها الجديدة لاستطلاع أراءهم.					
الريادية في التسعير	6	تسعى الوكالة أن تكون على اطلاع مستمر بمستوى أسعار الخدمات المقدمة في الوكالات المنافسة.					
	7	يساهم تنظيم العمل السياحي بأسلوب ريادي في تخفيض التكاليف، مما ينعكس على تخفيض الأسعار التي تصبح تنافسية.					
	8	تستغل الوكالة الفرص الثمينة التي تقدمها شركات الطيران من تخفيضات لتقديم عروض جديدة لزبائنها بأسعار مخفضة.					
	9	تستفيد الوكالة من خطط التسويق آخر لحظة للبرامج السياحية التي لم تباع بعد لتعرضها على الزبائن بأسعار جديدة مغرية.					

البعد	الرقم	الفقرات	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
	10	تتميز الوكالة بمرونة إستراتيجيتها السعرية مع متغيرات بيئة الأعمال السياحية، وتحاول أن تطبق الدفع الإلكتروني لإنهاء معاملاتها.					
الريادية في التوزيع	11	ينشغل المسؤولون في وكالتكم باستحداث طرق توزيع حديثة.					
	12	تتعامل الوكالة بكفاءة وبمرونة مع تغييرات الزبائن بعد توزيع الخدمات.					
	13	يتم بذل جهد كبير و يستغرق وقت في توصيل الخدمات الجديدة للزبائن.					
	14	بالاعتماد على الابتكار في أسلوب عمل الوكالة، تم تخفيض تكاليف التوزيع والبيع.					
	15	يتم استخدام الانترنيت بصورة واسعة في إطار الاتصالات الفعالة مع الزبائن					
الريادية في الترويج	16	تحرص الوكالة أن تصل الأفكار التسويقية الحديثة و برامجها السياحية الجديدة للزبائن في الوقت المناسب.					
	17	تعد طريقة ترويج الخدمات المبتكرة حديثة وتعتمد على التكنولوجيا في توصيلها للزبائن.					
	18	يعد حجم نفقات الترويج للخدمات المبتكرة كبير.					
	19	تعتبر طريقة ترويج خدمات الوكالة متميزة مقارنة بالوكالات الأخرى.					
	20	تحرص الوكالة على الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع زبائنها من خلال ارسال رسائل تحتوي عرض الخدمات الجديدة دوريا.					

البعد	الرقم	المحور الثاني: أداء وكالة السفر والسياحة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
		الفقرات					
المبيعات	1	حققت الوكالة تزايدا ملحوظا في مبيعاتها خلال ثلاث السنوات الأخيرة.					
	2	تعتمد الوكالة بشكل كبير على حجم مبيعاتها في تقدير نشاطها ومقارنته بأداء الوكالات المنافسة.					
	3	تهدف إستراتيجية الوكالة إلى زيادة مبيعاتها خلال ثلاث سنوات القادمة.					
سمعة الوكالة	4	تحسنت سمعة الوكالة بشكل ملحوظ خلال السنوات الثلاث الماضية					
	5	تحرص الوكالة أن تتعامل مع زبائنها بطريقة جيدة لتحسن من سمعتها.					
	6	تسعى الوكالة أن تصبح الأكثر شهرة مقارنة بمنافسيها خلال السنوات الثلاث القادمة.					
رضا الزبائن	7	الزبائن راضون عن خدمات الوكالة المقدمة إليهم .					
	8	عدد الزبائن المهتمين بخدمات الوكالة يعرف تطور ملحوظ في السنوات الأخيرة					
	9	تتميز الوكالة بقلة الاحتجاجات والآراء السلبية من قبل الزبائن عند تسوية معاملاتهم وبعدها.					

دور الابتكار في رفع أداء الشركات

دراسة حالة بعض المؤسسات الجزائرية

أ.فروي رمزي أ.د.جناس مصطفى
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

الملخص:

هذا المقال ارتكز على دراسة ميدانية أستعمل فيها الاستبيان الذي وزع على بعض المؤسسات الجزائرية وذلك من أجل دراسة العلاقة بين مختلف أنواع الابتكار والأداء، إذ قمنا باستعمال الانحدار الخطي المتعدد لدراسة أثر كل من الابتكار الإداري والابتكار في المنتوج أو حتّى الابتكار في السيرورة على أداء الشركات.

أما فيما يخص النتائج فقد وجدنا أن أغلب المؤسسات الجزائرية التي تم استهدفها هي قادرة على الرفع من أدائها والبقاء على قيد الحياة في السوق وذلك من خلال الاعتماد بالدرجة الأولى على الابتكار في السيرورة وبدرجة ثانية على الابتكار الإداري وعلى عكس ذلك اتضح أن الابتكار في المنتوج يساهم بشكل سلبي على أداء الشركات الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الابتكار، الأداء، الانحدار الخطي المتعدد، المؤسسات الجزائرية.

Abstract:

This article was based on a field study in which I use the questionnaire distributed to some Algerian companies in order to examine the relationship between different types of innovation and performance, as we have using multiple linear regression to examine the impact of each of the management innovation and innovation in the product or even innovation in the process on the performance of companies.

As for the results, we found that most of the Algerian companies that have been targeted are able to increase the performance and survival in the market, And so by relying primarily on innovation in the process and a second degree on management innovation and to the contrary it became clear that innovation in the product contributes negatively on the performance of Algerian companies.

***Keywords: innovation, performance, multiple linear regression, Algerian companies*.**

1-المقدمة:

في السنوات الأخيرة شهدت البحوث الاقتصادية والنقاش السياسي زيادة في الوعي بدور التغير داخل الشركات كعامل حاسم لتنافسية في الأسواق الوطنية والمحلية(Mella and Meo, 2014)، كما أنه في الإدارة الاستراتيجية ونظريات التنظيم من فترة طولية تعتبر البيئة واحدة من الحالات الطارئة الحرجة، حيث أن تزايد الوعي بشأن الاستدامة البيئية هو أمر حسم فيه بالكامل في واقع أعمال الشركات. إذ أن المستهلكين والشركات على حد سواء يبحثون عن بدائل لتخفيف الضغط على المطالب البيئية الناتجة عن الكثافة السكانية المستمرة والنمو الاقتصادي المتزايد، وكذلك أدت التغيرات التنظيمية والتنافسية، المنظمات على تغيير مواقفهم تجاه القضايا المستدامة. حيث أن العديد من المنظمات أخذت على عاتقها النهج التفاعلي وقصير المدى لمعالجة والتكيف مع التعقيد البيئي، إذ أن هذا النهج الاستباقي يجب أن يدمج مع المهارات التنظيمية التي يمكن أن تؤدي بالشركات إلى اكتساب مزايا تنافسية.

ولهذا فإن الابتكار من أجل التغير هو النهج الطبيعي للتعامل مع بيئة ديناميكية تتكون من أفراد، والنظم الاجتماعية والاقتصادية(Mazzanti et al., 2006)، إذ أنه في المدى الطويل انعكاس استدامة الميزة التنافسية للشركات يكون محصور في حصة السوق،حيث أن الابتكار المنتج هو الذي يسمح للشركات بالبقاء ومجابهة المنتجات الأخرى التي تطلق من طرف المنافسين. وبالرغم من أن إنتاج منتج جديد قد يسمح للشركات بجذب زبائن بشكل مؤقت، فإن المهم في الابتكار والاختراع هي العملية التي يمكن أن تتدفق مثل دورة المنتوج وتسمح بالوصول إلى فترة النضج للمنافسين الأخرين، إذ يمكن

المؤسسات من كسب تكنولوجيا الإنتاج التي تساعدها على التفوق والتميز.إذن أصبح الابتكار مصدر اختيار لاكتساب الميزة التنافسية في السوق لجميع الشركات، والابتكار هو مورد رئيسي للرفاه الاقتصادات الوطنية والمزايا التنافسية الدولية، حيث أن الاقتصاد الدولي ليس فقط المشاركة والانضمام إلى أسواق عالية التنافسية، أو تحقيق إعادة هيكلية، إتباع استراتيجيات منخفضة التكلفة، أو خلق منتجات والعمليات التي تتجاوز الحواجز التكنولوجية، النجاح يتطلب كفاءة أكبر في شكل من أشكال الابتكار، وكذلك تبني استراتيجية وسياسات لنظام الابتكار من أجل تنمية وتطوير الاقتصاد.

وإضافة إلى ذلك ورغم أن أهمية الابتكار في ديناميكية الصناعية هي موجودة في عهد (Adam Smith) في كتابه ثروة الأمم، لكن ومع ظهور الثورة الصناعية خاصة في بداية القرن العشرون بدأت أهمية الابتكار تزداد مع مختلف أعمال (Schumpeter) وذلك من خلال إعطاء مفاهيم جديدة ولعلى أهمها مفهوم التدمير الخلاق. ولكنه لم يستطيع تأكيد نظريته إلى في نهاية الحرب العالمية الثانية مع كتابه بعنوان (الرأسمالية، الاشتراكية، الديمقراطية)، حيث أكد أن الابتكار هو المحرك الرئيسي في تطوير الاقتصاد ويكون مدفوع من قبال المقاول الذي يستطيع ان يكسر الروتين بأفكار جديدة، والتي من خلالها يستطيع إخلال عدم التوازن في النظام من أجل اكتساب ميزة جديدة قوية، وعلى حسبه المهم ليس اكتساب المعرفة وإنما استغلالها وتوزيعها في النشاط الاقتصادي هو المهم، إذن إذا كان الابتكار يوزع فإنه يوجد تغيير عميق في ديناميكية الصناعية، وبالتالي فإن المسالة برمتها تتغير حيث أن التساؤل في أدبيات المتعلقة بالافتراضات الذي قدمها (joseph Schumpeter) تجدد العلاقة بين الابتكار والنمو الاقتصادي. ولعل من أهم النماذج الأولى التي راجعت وتحدثت عن العلاقة بين الجانب التكنولوجي والنمو الاقتصادي تعود إلى العالم الأمريكي (R.Solow ,1957)[1] ، إذ اعتبر ان الجانب التكنولوجي هو عامل خارجي ليس له تأثير كبير ورأى أن التغيير التقني هو معلومة تحدد وتحسب خارج النظام الاقتصادي.

ولكن ومع البطيء وتدهور النمو الاقتصادي في أواخر سنوات 1960 وفشل وصفة (John Maynard Keynes) في حل الأزمات المتتالية فإنه أصبح ينظر للابتكار على أنه صديق وليس عدو وفي هذا السياق قد ولدت نظرية النمو الداخلي خلال عام 1980، إذ أكدت على أن الابتكار هو عامل داخلي ورئيسي للنمو الاقتصادي **Romer,1990,1993.Aghion et Howitt,1992,1998,1999)**[2]. إذن وبما أن الاقتصاد الدولي هو مرتبط بمجموع المؤسسات الموجودة في العالم سواء كانت مؤسسات كبيرة الحجم أو صغيرة، فإن التركيز على المستوى الجزئي لاقتصاد حتمية لابد منها وفي هذا الصدد العمل الذي قام به (Griliches) يعتبر من بين أوائل الذين ركزوا على الابتكار في المؤسسات،حيث كان هدفه هو تبيان وإثبات أهمية الابتكار التكنولوجي في زارعة نوع هجين للذرة في الزارعة الأمريكية، رغم أن مقصده الرئيسي كان إظهار أن التأخر في زراعة الذرة وتوزيعها على المدن هو يعود مباشرة لتأخر التكنولوجي، وهذه الدراسة الأولى التي قدمت أتبعت بعدة تحقيقات أخرى ساهمت في معرفة العلاقة بين الابتكار والأداء، حيث أكدت وأظهرت أغلبية الدراسات العلاقة الإيجابية بين الابتكار والأداء (Besbes et al., 2013) (Bong Choi and Williams, 2013)،(Salim and Sulaiman, 2011).

ورغم كل هذه المعطيات فإن أداء الشركات ليس مرتبط بعامل وحيد (Choi et al., 2009),وإنما هو راجع إلى مجموعة واسعة من العوامل ولهذا يجب على الشركات المبتكرة ضبط وظائفها الداخلية والخارجية لاستجابة للمطالب البيئية وبالتالي صيانة وتحسين أدائها، إذ أن هذه الشركات تكافح للحفاظ على الميزة المبتكرة وذلك من خلال إدراك وجذب الفرص الجديدة التي قد منحتها لها الكفاءة والفعالية .ومع ذلك فإن الابتكار يتضمن دائما قدرا من المخاطرة ولهذا فإن النجاح ليس مؤكد(Evelyn García-Zamora, 2013) وهذا ما أكدته دراسات أخرى أثبتت سلبية العلاقة بين الابتكار والأداء (Roper and Love, 2002) (Li and Atuahene-gima, 2001). إذن في ظل هذا التناقض الموجود والتفسيرات المختلفة

---

[1] Messouad Zouikri, These:Stratégies De R Et D Et Innovation Dans L'industrie Pharmaceutique En France:Une Etude Econométrique Sur Données Individuelles. Université Paris Dauphine,2008,P14.

[2] Uzunnidis, D ,L'innovation Et L'economie Contemporaine Espaces Cognitifs Et Territoriaux ,De Boeck 1er Edition,2004,P48.

لمعظم الباحثين فيما يخص العلاقة بين الجانب التقني والنمو الاقتصادي وكذلك العلاقة بين الابتكار والأداء، فإننا في هذه الدراسة سنحاول معالجة الفجوة العلمية التالية: هل الابتكار له دور في رفع أداء الشركات أم لا ؟.

2-أدبيات الدراسة وبناء الفرضيات:

1-2 بعض المفاهيم حول الابتكار والأداء:

الابتكار:الفعل اللاتيني « innovare » يتكون من كلمتين الأولى **"in"** وتعني في الداخل أما الكلمة الثانية فهي **"novus"** وتعني شيء جديد إلا أنها ترجمت على كلمة "التجديد" أو "التغيير".كما أن مصطلح الابتكار يعود إلى اقتصادي النمساوي (joseph A.schumpeter) منذ ما يقارب 100 سنة (1912) إذ عرفه بأنه "انجاز أشياء جديدة تماما أو اكمال الأشياء الموجودة بالفعل بطريقة جديدة"[1]. ورغم تعدد التعريفات للابتكار إلا أنه ليس هناك إجماع عالمي على التعريف الدقيق للمصطلح، إذ عرفه أيضا شومبيتر في كتابه "نظرية التنمية الاقتصادية" (1934) على أنه القوة الدافعة لتنمية، كما اقترح خمس أنواع لابتكار[2] :

- خلق منتجات جديدة أو تحسينات نوعية في المنتجات الحالية.
- استخدام عملية صناعية جديدة.
- فتح الأسواق الجديدة.
- تطوير مصادر للمواد الخام أو المدخلات الجديدة.
- أشكال جديدة من المنظمات الصناعية.

أما(**Drucker**) فقد عرف الابتكار بأنه التخلي المنظمة عن القديم مؤكدا على ما قاله **Schumpeter** بأن الابتكار هو الهدم الخلاق[3] .وإضافة إلى ذلك في الطبعة الثالثة من دليل أوسلو، تم تعريف الابتكار باعتباره هو تنفيذ للمنتج (سلعة أو خدمة) أو عملية (إنتاج)، تحسينات جديدة بشكل ملحوظ، مع طريقة جديدة للتسويق أو أسلوب تنظيمي جديد في ممارسات الشركة، وتنظيم العمل أو العلاقات الخارجية [4] .كما أن شرط الحد الأدنى لابتكار هو أن المنتج، العملية، طريقة التسويق، أو طريقة التنظيمية يجب أن تكون جديدة (أو تحسن بشكل طفيف) في المؤسسة، ويشمل ذلك المنتجات والعمليات والأساليب التي ساهمت الشركة بدرجة أولى في تطويرها وحتى التي تم اعتمادها من شركات ومنظمات أخرى.أما فيما يخص أنشطة الابتكار هي جميع الخطوات العلمية والتكنولوجية والتنظيمية والمالية والتجارية الموجودة في الواقع والمتوقع ان تؤدي إلى تنفيذ الابتكارات. كما أن بعض أنشطة الابتكار هي نفسها مبتكرة والبعض الأخر هي ليست جديدة وإنما هي ضرورية لتنفيذ الابتكارات وتشمل الأنشطة الابتكار البحث والتطوير الذي ليس له علاقة مباشرة لتطوير ابتكار معين[5].يقول (Gregorio Martin Et All 2010) أنه ونظرا لعدم الاتفاق على مفهوم الابتكار بين مختلف العلماء والتي تظهر في الأدب، فقد استخلصنا عن طريق دراسة ورؤية مختلف التعاريف التي لها علاقة بالابتكار سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (أنظر الجدول رقم 1)، فإن التعريف الأبسط والأقرب بالنسبة لمصطلح الابتكار هو التعريف التالي: "الابتكار هو العملية أو العمل الذي يسمح لنا بإدخال شيء جديد إلى السوق"[6].

---

[1] Georg Stampfl,The Process Of Business Model Innovation An Empirical Exploration,Springer Gabler, Vienna,2014,P9.

[2] V.Vyas, Phd Thesis ,Innovation And New Product Development By Smes: An Investigation Of Scottish Food And Drinks Industry, Edinburgh Napier University,2009.

[3] نجم عبود نجم، إدارة الابتكار (المفاهيم والخصائص والتجارب الحديث)، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط:1، 2003، ص21.

[4] Ocde,Manuel D'oslo,Commission Européenne Eurostat, 2005,P34-35.

[5] Georg stampfl, op.cit, p10.

[6] Gregorio martin de castro et all, technological innovation an intellectual capital based view ,palgrave macmillan,1st edition,p47.

الجدول رقم 1 : مفاهيم الابتكار

المؤلفين	المفهوم
Schumpeter (1912)	تنفيذ تركيبات جديدة من المواد والقوى، والتي قد تشمل ادخال طريقة جديدة لإنتاج أو للمنتج والتي لم تختبر بعد، أو تطوير سوق جديدة، أو اكتشاف منبع جديد للتموين أو انشاء تنظيم جديد في كل الصناعة
Thompson (1965)	توليد وقبول وتنفيذ أفكار وعمليات ومنتجات وخدمات جديدة
Knight (1967)	اعتماد تغير جديد وهام في المنظمة
Nelson (1968)	العملية التي من خلالها يتم اخال منتجات جديدة وتقنيات في النظام الاقتصادي
Myers and Marquis (1969)	الاستغلال التجاري للاختراع
Zaltman et al. (1973)	أي فكرة أو ممارسة أو الأجهزة المادية التي ينظر إليها على أنها جديدة لتنظيم الوحدة التي يعتمد عليها
Rowe and Boise (1974)	الاستخدام الناجح للمنتجات أو العمليات الجدية للمنظمة والتي حققت نتائج وفقا للقرارات التي اتخذت في ذلك
Gee (1981)	العملية التي عن طريقها يتم تحويل (فكرة أو اختراع أو تحديد حاجة للمنتج أو تكنولوجيا أو خدمة) إلى منتوج متطور ومقبول تجاريا
Damanpour and Evan (1984)	نشر فكرة تتعلق بالجهاز، النظام، العملية أو السياسة أو البرنامج أو الخدمة ما هو جديد للمنظمة في وقت اعتماد
Tushman and Nadler (1986)	انشاء أي منتج أو الخدمة أو العملية الجديدة إلى وحدة الأعمال
Van de Ven (1986)	فكرة جديدة، قد تكون تركيبة قديمة من أفكار أو مشروع جديد يتحدى الوضع الراهن أو هي صيغة أو نهجا فريدا الذي ينظر إليه على أنه كائن جديد من قبل الأفراد المعنيين
Deward and Dutton (1986)	فكرة أو ممارسة أو جهاز جديد قبل من طرف الوحدة المختصة لاعتماده كمادة جديدة
Damanpour (1991)	توليد وتطوير وتنفيذ أفكار جديدة أو سلوكيات
OECD (1992)	تحويل فكرة إلى منتج ناجح في السوق أو عملية تجارية محسنة أو جديدة في الصناع والتجارة أو هو طريقة جديدة للخدمة الاجتماعية
Nonaka (1994)	العملية التي عن طريقها تحدد وتخلق المنظمة مشاكل وتطور المعاريف الجديدة لحل هذه المشاكل
EC (1995)	هو وسيلة انتاج واستيعاب وتشغيل الابتكارات الناجحة في مجالات الاقتصادية والاجتماعية لإعطاء حلول جديدة للمشاكل والرد على الاحتياجات الأفراد والمجتمع على حد سواء
Morcillo (1995)	رؤية ما يراه الجميع وقراءة ما يقرأه الجميع وسماع ما يسمعه الجميع والابتكار هو أن تفعل ما أحد لم يتصوره
Noria and Gulati (1996)	هو أي سياسة أو هيكل أو طريقة أو عملية أو أي منتوج أو فرصة سوق موجودة ترى من طرف مدير وحدة مبتكرة
Freeman and Soete (1997)	محاولات لتسويق الاختراع (الاختراع هو اكتشاف أساليب أو مواد جديدة وهي اكتشاف معارف جديدة)
Escorsa and Valls (1997)	فكرة جديدة تأتي إلى الحياة ويتم تنفيذها
Galunic and Rodan (1998)	إعادة صياغة مفهوم نظام قائم على استخدام الموارد والتي يتم تطويرها باعتبارها طريقة جديدة لتوليد الدخل والإمكانات
Damanpour and Gopalakrishnan (1998)	اعتماد فكرة جديدة أو سلوك جديد في المنظمة
Williams (1999)	تنفيذ الاكتشافات والاختراعات، فضلا عن ذلك هو العملية التي من خلالها تنشأ نتائج جديدة سواء كانت منتوجات أو الأنظمة أو عمليات
Camelo *et al.* (2000)	إنشاء أو الحصول على فكرة أو معرفة وتقديمها إلى المنظمة والتي قد تتحقق في شكل منتج أو عملية أو أسلوب
Nieto (2001)	التطبيق الأول للاختراع الذي يحدث عندما تتم العمليات الأولى مع المنتجات الجديدة أو العمليات أو الخدمات المستمدة منه
Johnson *et al.* (2002)	مقدمة ناجحة للاختراع في الإنتاج أو السوق
Chen *et al.* (2004)	تقديم تركيبة جديدة من عوامل الإنتاج الأساسية في نظام الإنتاج، حيث إنها تنطوي في منتجات جديدة وتكنولوجيات جديدة وأسواق جديدة ومواد وتركيبات جديدة
Edvinsson *et al.* (2004)	إعادة النظر في استخدام المعرفة الحالية ووجهات النظر الموجودة في تركيب المعارف الجديدة، كالاختراع ثم تسويقها والاستفادة منها
Carson *et al.* (2004)	خلق المعارف الجديدة التي تتمتع بالإمكانات من أجل تطبيق العملي في تطوير منتجات وعمليات جديدة
Subramaniam and Youndt (2005)	تحديد واستغلال الفرص المتاحة لإنشاء المنتجات الجديدة أو الخدمات أو ممارسات العمل

OECD (2006)	تنفيذ للمنتج (سلعة أو خدمة) أو عملية (إنتاج)، تحسينات جديدة بشكل ملحوظ، مع طريقة جديدة للتسويق أو أسلوب تنظيمي جديد في ممارسات الشركة، وتنظيم العمل أو العلاقات الخارجية
Grant (2006: 408)	التسويق الأولي للاختراع من أجل إنتاج وتسويق منتج جديد أو خدمة أو استخدام طريقة جديدة للإنتاج
Adams *et al.* (2006)	الاستغلال الناجح للأفكار الجديدة
Birkinshaw *et al.* (2008)	اختراع وتنفيذ ممارسات الإدارة، عمليات أو هيكل او تقنية جديدة للدولة من الفن لتعزيز أهداف التنظيمية
Hidalgo and Albors (2008)	عملية من أجل حل مشكلة وتشمل العلاقات بين الشركات والجهات الفاعلة المختلفة وهو أيضا عملية تعلمية متنوعة وتفاعلية
Zheng (2008)	يشمل الإبداع وخلق المعرفة وتوليد الابتكار وتنفيذه
Egbetokun *et al.* (2009)	هو عملية بموجبه تستطيع المؤسسة السيطرة وتنفيذ وتصميم وإنتاج سلع وخدمات جديدة لهم، بعض النظر عما إذا كانت هذه الخدمات جديدة إلى منافسيهم في البلد أو حتّى العالم
Tödtling *et al.* (2009)	هو نتيجة لعملية تفاعلية لتوليد المعرفة ونشرها وتطبيقها

المصدر: Gregorio Martin De Castro ET All, op.cit., p48-49-50

كما أن معظم الدراسات الأولى قد صنفت الابتكار إلى خمسة أنواع، وهي المنتجات الجديدة، عمليات جديدة إنتاج، مواد وموارد جديدة، أسواق جديدة، وأشكال تنظيمية جديدة، وإلى جانب هذه الأنواع، فإن مؤلفين أخرين قد صنفوا الابتكار إلى نوعين: الابتكار الجذري **(innovation radicale)**، الابتكار الارتقائي **(innovation incrémental)**.[1] ونظرا لتشعب مفهوم الابتكار في عدة مجلات وأخده ثنائية النوعي والكمي فإن قياسه عن طريق وضع مؤشرات هو أمر صعب للغاية ولهذا فإنه قد تم تحديد أغلبية نشاطات الابتكار ووضعهما في صنفين.الصنف الأول هو متعلق بمدخلات نشاط الابتكار كنفقات الموجهة لوظيفة البحث والتطوير واليد العاملة الموجودة في هذه الوظيفة، بإضافة إلى عدد المنشورات العلمية، أما الصنف الثاني فهو مرتبط بمخرجات نشاط الابتكار مثل براءات الاختراع، عدد منتوجات مبتكرة، رقم أعمال المتحصل عليه عن طريق هذا النشاط [2].

الأداء: أما فيما يخص الأداء فإن التعرف عليه قد يساعد الباحثين والإدارة المنظمة في الكشف عن جملة نواحي منها تحديد المدى الذي تستطيع المنظمة فيه التكيف والاستجابة الى المحددات البيئية من خلال وضع الأهداف وبناء الاستراتيجيات وتوظيف الموارد لتحقيق تلك الأهداف، كما أنه يساعد على تحديد وبيان مستوى التنسيق بين مكونات المنظمة وتصميمها التنظيمي في تنفيذ الأهداف.

فأهمية الأداء تأتي من كونه يمثل قدرة المنظمة واستعدادها للوصول الى النتائج التي حددتها مسبقاً لذا يعد الأداء المؤشر الذي يقيس نجاح المنظمة في تحقيق أهدافها وقدرتها على البقاء والنمو، ولقد ذهب تحديد مفهوم الأداء إلى الحد الذي اختلف فيه الباحثون والمفكرون من تأطير وتأصيل الأساس الفكري والفلسفي له، وبالتالي أصبحنا أمام اختلافات في الرؤى والاتجاه نحو تحديد مفهوم نمطي للأداء.

ولهذا سوف نلجأ إلى استعراض بعض الآراء للمفكرين والباحثين في مجال التنظير الإداري حول مفهوم الأداء. والأداء لغويا مصطلح مستمد من الكلمة الإنجليزية **"To Perform"** والذي اشتق بدوره من الفرنسية القديمة **"Performer"** والذي يعني تنفيذ مهمة أو تأدية عمل [3].

يعرف **(P. Druker,1999)** الأداء بأنه قدرة المؤسسة على الاستمرارية والبقاء محققة التوازن بين رضا المساهمين والعمال[4].

كما يعتبر **(Ph. Lorrino,1996)** أن الأداء يتمثل في الفرق بين القيمة المقدمة للسوق**(v)** ومجموع القيم المستهلكة **(ci)** وهي تكاليف مختلف الأنشطة، فبعض الوحدات (مراكز تكلفة) تعتبر مستهلكة للموارد وتسهم سلبيا في الأداء الكلي عن طريق

[1] M.Atalay, And All, The Relationship Between Innovation And Firm Performance: An Empirical Evidence From Turkish Automotive Supplier Industry, Procedia - Social And Behavioral Sciences, 75,2013,P222.
[2] Messouad Zouikri,Op-Cit,P34-35-36-37-38.
[3] Ecosid , Dialogues Autour De La Performance En Entreprise, Edition Harmattan, Paris ,1999, P18.
[4] P. Druker,L'avenir Du Management Selon Druker,Editions Village Mondial,Paris,1999،P73.

تكاليفها، والأخرى تعتبر مراكز ربح، وهي في الوقت نفسه مستهلكة للموارد ومصدرا للعوائد، وتسهم بهامش ربح في الأداء الكلي للمؤسسة [1]. إذن يمكن أن نترجم ما جاء في التعريف أعلاه في المعادلة التالية:

الأداء الكلي للمؤسسة = هوامش مراكز الربح - تكاليف مراكز التكلفة.

ومن ثم فإن الأداء يعني تعظيم الدالة: **Max [V -Somme (Ci)]**، أي إنتاج قيمة أكبر من المواد المستهلكة بمعنى أن أداء المؤسسة يتجسد في الزوج أو الثنائية (تكلفة -قيمة)، حيث تعبر التكلفة عن المواد المستعملة (أي الاستهلاك الوسيط)، بينما تعكس القيمة الحاجات التي تم إشباعها ويمكن إشارة أن هذه الثنائية أي الزوج (تكلفة -قيمة) تعبر هي بدورها عن إحدى الثنائيات التالية:(جودة – سعر)، (منفعة -سعر)، (كفاءة -فعالية) (تميُّز -تكاليف) [2].

2-2 أثر الابتكار على أداء المؤسسات:إذن من خلال هذه التفسيرات المختلفة للعلاقة بين الابتكار والأداء والعوامل التي تؤثر في هذه العلاقة سيكون هدفنا الأساسي هو معرفة وتحليل العلاقة بين الابتكار والأداء،إذ سنحاول التركيز في الدراسة الميدانية فقط على هذه العلاقة، حيث سنبرز أهمية كل نوع من الابتكار على حدى ودوره في رفع أداء المؤسسات، إذ أن التفسير التقليدي الأول لهذه العلاقة هو راجع إلى **(joseph Schumpeter)** حيث أكد على نطاق واسع وجود علاقة سببية موجبة بين الابتكار والأداء وذلك من خلال نظريته في اقتصادات الديناميكية سنة 1934 ثم جاءت دراسات عديدة تبين إيجابية العلاقة بين الابتكار والأداء (Choi et al., 2009)،(Al-Bahussin and Elgaraihy, 2013)، (Rosli, 2007)،(Grissemann et al., 2013) (Nicolau and Santa-María, 2013).

وبالرغم من أن هناك عدة دراسات أثبتت تأثير الابتكار على الأداء فإن هناك دراسات أخرى نفت ذلك وأكدت على العلاقة السلبية بين الأداء والابتكار (Santos et al., 2014)،(Kemp et al., 2003)،حيث أكد(Santos et al., 2014) إحصائيا أنه ليس هناك علاقة إيجابية بين ابتكار والأداء وراجح السبب على أنه راجع إلى طبيعة الابتكار، بمأن قضيته معقدة وقياسه يكون صعب وبالتالي أثره على الأداء لا يظهر على المدى القصير أو أنه غير وارد، ومع ذلك وعلى حسب(Damanpour, 1991) فإن هذا التناقض الحاصل يكون ربما هو راجع إلى وسائل المختلفة لقياس الأداء أو ربما هي الخصائص التنظيمية والبيئية، و لهذا يؤكد ويقول (Dadfar et al., 2013)إن القدرة على الابتكار لا تأتي بتحسين عوامل قليلة وإنما يتطلب الأمر إتباع نهج أكثر شمولية،حيث يجب دمج وجمع مختلف قدرات المنظمة.إذن تنفيذ مبادرات مبتكرة تقدم فوائد من حيث النشاط التجاري بسبب الموارد المستخدمة والقدرة على استجابة للمتغيرات المختلفة والفرص البيئية، حيث أن توليفة مختلفة من الابتكار تولد أداء إيجابي (García-Zamora et al., 2013)(Lin and Chen, 2007)،كما تم التأكد من أنه لا يمكن تحقيق برامج وسياسات فعالة لابتكار دون استعمال وجهة نظر نظامية أي لابدا من وجود تفاعل بين مختلف أنواع الابتكار(Cheng et al., 2014)،حيث أن كل نوع من ابتكار يعطي نتيجة مختلفة وكذلك استخدام وسائل مختلفة لقياس أداء تؤدي إلى اكتشاف أمور خفية لا يمكن رؤيته بوسائل التقليدية (Walker et al., 2010)،(Nicolau and Santa-María, 2013)، فمثلا عند رؤية ابتكارات في المنتوج، يقول **(They ,1992)** أنه وجدت العديد من الدراسات أثبتت أن تطوير منتجات جديدة له أثر إيجابي على أداء الشركات[3]، إذ أن ابتكار في المنتوج يبدو كدافع أساسي لأداء مبتكر والذي يعمل أيضا كجسر لتحمل الآثار الجانبية للابتكارات في السيرورة ولهذه الأسباب يجب على المدراء استثمار أكثر في قدرات الابتكارية ودعم محاولات جديدة لإدخال ابتكارات من كل نوع (G Gunday, G.Ulusoy, K.Kilica,).

---

[1] Ph. Lorrino,Comptes Et Recits De La Performance, Editions D'organisations,Paris, 1996, P 47- 48.

[2] أ.د /الشيخ الداوي، تحليل الأسس النظرية لمفهوم الأداء، مجلة الباحث، العدد7، ورثلة،2009-2010، ص218.

[3] Ul Hassan, M., Shaukat, S., Saqib, M., Naz, S. (2013), Effects Of Innovation Types On Firm Performance: An Empirical Study On Pakistan'smanufacturing Sector. Pakistan Journal Of Commerce And Social Sciences, 7 (2), 243-262.

(2007كما أن ابتكار في المنتوج هوا واحد من العوامل الرئيسية التي تساهم في نجاح المنظمة، حيث أن تطوير منتوجات جديدة والحصول على ابتكارات في المنتوج هي استراتيجية مهمة من أجل الزيادة في حصة السوق وأداء الشركات[1].

إذ يعترف **(Ahu Tugba, 2015)** بأن هناك علاقة بين الابتكارات في المنتوج والتكنولوجيا ويضيف بأن التكنولوجيا تستطيع الشركات من خلالها زيادة مستوى إنتاجها وتحسين الخصائص لمنتجاتها وخفض تكاليف المنتج ورفع من القيمة المضافة[2].ولهذا يمكن القول بأن ابتكارات في المنتوج لها أبعاد كثيرة، أولها يكون من وجهة نظر العملاء، حيث أن ابتكار في المنتج هو جديد بالنسبة للعملاء، أما البعد الثاني فهو يعود إلى الشركة نفسها، إذ يعتبر المنتوج على أنه جديد للشركة وثالثا فإن تعديل المنتج يعني استقدام تغيرات واختلافات للمنتجات الحالية للشركة (Atuahene-Gima, 1996).

أما فيما يخص الابتكارات في السيرورة فإن الكثيرون يقولون إن هذا النوع من الابتكار يغطي التغييرات الناجمة عن تكنولوجيات المعلومات والاتصالات وذلك من أجل تحسين الإنتاجية ونوعية الأنشطة الداعمة، كما أن الابتكار في السيرورة هو الأسلوب المتكامل الذي يشمل كل نوع من الابتكار، بإضافة إلى الابتكار في عملية الإنتاج[3]. ويؤكد **(They ,1992)** بأن تطبيق هذا النوع في شركات التصنيع قد يكون له تأثير كبير على الإنتاجية ولهذا تتبنى الشركات عمليات جديدة للتنافس مع الشركات أخرى وذلك يكون من خلال ابتكارات في السيرورة التي تستطيع من خلالها تلبية جميع احتياجات عملائها[4].

وبالانتقال إلى الابتكار الإداري فقد عرفه **(Walker, 2015)** بأنه استحداث هيكل جديد، عملية، نظام أو برنامج أو ممارسات جديدة في المنظمة أو وحداتها[5].ولهذا يقول **(Ettlie And Reza ,1992)** أنه يجب على الشركات أن تنتج نهجا تنظيميا جديدا لتنظيم جميع أمورها وإرضاء زبائنها والتنافس مع منافسيهم، والابتكار التنظيمي هو وحده يمكن أن يزيد من أداء المنظمة من خلال خفض تكاليف المعاملات والتكاليف الإدارية [6]. وهناك من يرى أنه لابدا من ربط هذا النوع من الابتكار مع نموذج تنظيمي جديد من أجل تشجيع مشاركة الموظفين في صنع القرارات أو حتّى ربطه بوظيفة البحث والطوير ووظيفة التصنيع ونشاطات التجارية المختلفة[7].وبالإضافة إلى ذلك فإن الابتكار التنظيمي بخصوصيته يلعب دور مهم في رفع رفع قدرة المؤسسة على ابتكارات أخرى ويظهر ذلك واضحا من خلال العلاقة الموجودة بين الابتكار والأداء التنظيمي للمؤسسة (G Gunday, G.Ulusoy, K.Kilica, 2007) ، حيث وجدت العديد من الدراسات أكدت العلاقة الإيجابية بين الابتكار الإداري والأداء (Walker et al., 2015)،(Salim and Sulaiman, 2011)،ويقول (Salim and Sulaiman, 2011) إن العلاقة بين الابتكار الإداري و الأداء هي أقوى بكثير من علاقة الابتكار التكنولوجي والأداء. إذن ونظرا للحجج والأدلة المقدمة في وجود علاقة إيجابية بين مختلف أنواع الابتكار والأداء هي قوية وكذلك هي تستند إلى دراسات ميدانية فإننا في هذه الدراسة نضع الشكل رقم (1) والذي يمثل النموذج الافتراضي لأثر الابتكار على أداء الشركات،حيث نرى أن الابتكار في المنتوج له تأثير إيجابي على الأداء الشركات وكذلك الابتكار في السيرورة له دور إيجابي في رفع أداء الشركات وأخيرا نقول بأن الابتكار الإداري يؤثر بشكل إيجابي على الأداء الشركات(أنظر الشكل رقم1).

---

[1] Ul Hassan, M., Shaukat, S., Saqib, M., Naz, S., Ibid, P3.

[2] Ahu Tugba Karabulut , Effects Of Innovation Types On Performance Of Manufacturing Firms In Turkey, Procedia - Social And Behavioral Sciences 195 (2015) Pp1355 – 1364.

[3] Ahu Tugba Karabulut ,Ibid,P1357.

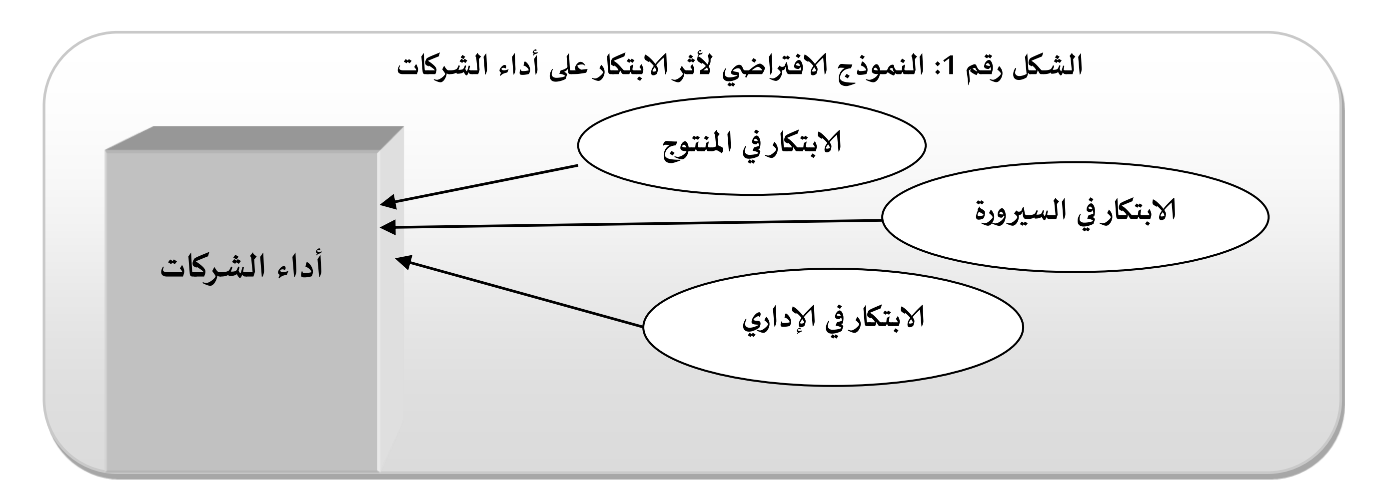
[4] Ul Hassan, M., Shaukat, S., Saqib, M., Naz, S, Op.Cit, P245-246.

[5] Richard M. Walker Et All, Management Innovation And Firm Performance: An Integration Of Research Findings, European Management Journal, 2015, P1.

[6] Ul Hassan, M., Shaukat, S., Saqib, M., Naz, S, Op.Cit, P246.

[7] Ahu Tugba Karabulut ,Op.Cit,P1358.

الشكل رقم 1: النموذج الافتراضي لأثر الابتكار على أداء الشركات



المصدر :إعداد الباحثين

3-منهجية الدراسة:

1-3 عينة الدراسة وكيفية قياس المتغيرات:أما بالنسبة للعينة المستهدفة فقد تم استغلال الطبعة الرابعة والعشرون للمعرض الوطني لإنتاج الجزائري وهذا من 23 الى 29 من شهر ديسمبر 2015 بقصر المعارض (الصنوبر البحري)، ليتم توزيع الاستبيان على مختلف ممثل المؤسسات بإضافة إلى ذلك فقد تم توزيع الاستبيان على بعض مؤسسات في ولايات الجهة الغربية للوطن (تلمسان، بلعباس، وهران)، إذ تم استرجاع ما يقارب نسبة 65 %من مجموع الاستبيانات التي وزعت وهي نسبة مقبولة نوعا ما لأغراض البحث العلمي.

وبماأن الغرض العام من الدراسة الميدانية هو اكتشاف هل الابتكار له دور في رفع أداء المؤسسات الجزائرية فإننا سوف نعتمد في صياغة وتصميم الاستبيان بدرجة الأولى على الدراسات التالية: (Sociale, 2014)(Ocde, 2005) وذلك من أجل قياس متغير الابتكار، أما فيما يخص متغير الأداء المؤسسات فقد تم اختيار كل من (Camisón and López, 2010)،(Venkatraman, 1989)، (Zahra, 1993) لقياس هذا المتغير.

2-3 التقنية المستعملة في تحليل العلاقة بين الابتكار والأداء

الانحدار الخطي المتعدد:تتناول هذه النوعية من النماذج العلاقة بين المتغيرات، حيث يمكن تقسيم نماذج الانحدار الخطي حسب عدد المتغيرات المستقلة (التفسيرية) في النموذج إلى نوعين: النموذج الأول هو الذي يدرس العلاقة بين متغير واحد تابع(y) ومتغير واحد مستقل (x)، ويأخذ هذا النموذج الشكل التالي:

$$Y=b_0+b_1X$$

أما النموذج الثاني فهو يسمى بنموذج الانحدار الخطي المتعدد والذي يكون بصدد دراسة متغير واحد تابع وأكثر من متغير مستقل، كما أنه يأخذ الشكل التالي:

$$Y=b_0+b_1X_1+b_2X_2+b_3X_3+............b_kX_k$$

حيث (k): يمثل عدد المتغيرات المستقلة.

وبما أننا سوف نعتمد على برنامج (Xlstat 2014) لتحليل العلاقة بين الأداء و(الابتكار في المنتوج، الابتكار في السيرورة، الابتكار الإداري)، فإننا سوف نتبع الخطوات التالية لتوفيق هذا النموذج:

1-دراسة هل شرط عدم الازدواج الخطي متوفر أم لا.

2-دراسة القدرة التفسيرية للنموذج.

3-تحليل المعنوية الكلية لنموذج الانحدار.

4-وأخيرا تحليل العلاقة بين الأداء ومختلف المتغيرات المستقلة.

4-تحليل النتائج:

1-4 نتائج التقدير للعلاقة بين الابتكار والأداء:

شرط عدم الازدواج الخطي: من خلال الجدول رقم (2) يتضح ان قيمة معامل تضخم التباين لكل المتغيرات هي أقل من 5، حيث أن معامل تضخم التباين لمتغير (innovation produit) هي تساوي 4.7247 وقيمة معامل تضخم التباين لمتغير (innovation de procès) هي تساوي 1.6359 وكذلك قيمة معامل تضخم التباين لمتغير (innovation management) هي تساوي 3.6078، وبالتالي فإن هذا يدل على أنه لا يوجد ازدواج خطي بين مختلف المتغيرات المستقلة.

الجدول رقم 2: نتائج الازدواج الخطي

Statistiques de multi colinéarité :			
Statistique	innovation produit	innovation de procès	innovation management
Tolérance	0,2117	0,6113	0,2772
VIF	4,7247	1,6359	3,6078

المصدر :مخرجات برنامج(xlstat)

القدرة التفسيرية للنموذج: في هذه الدراسة سوف نعتمد على معامل التحديد (R^2) للحكم على القدرة التفسيرية للنموذج الانحدار المتعدد حيث أنه بالرجوع على الجدول رقم (3) الذي يتضمن النتائج الخاصة بمعامل التحديد نجد أن معامل التحديد يساوي 0.68،وهذا معناه أن المتغير المستقل (متغير الأداء) يفسر بالنسبة 68 % من التغيرات التي تحدث في المتغيرات التابعة (ابتكار المنتج، ابتكار في السيرورة، ابتكار الإداري)، أو أن 68 % من التغيرات التي تحدث في (ابتكار المنتج، ابتكار في السيرورة، ابتكار الإداري) تعزى أو ترجع إلى الأداء،أما الباقي يرجع إلى عوامل أخرى منها الخطأ العشوائي .

الجدول رقم 3: نتائج معاملات التحديد

Régression de la variable performance :	
Coefficients d'ajustement :	
Observations	51,0000
Somme des poids	51,0000
DDL	48,0000
R²	0,68
MCE	4,3696
RMCE	2,0903
DW	1,4216

المصدر :مخرجات برنامج(xlstat)

المعنوية الكلية لنموذج الانحدار: يتضح من خلال دراسة تحليل التباين المبين في الجدول رقم (4) نجد أن القيمة الاحتمالية (Pr > F) هي تساوي 0.0001 وهي أقل من مستوى المعنوية 5%، وبالتالي نرفض الفرض العدمي القائل بأن نموذج الانحدار غير معنوي وبالتالي فإنه يوجد واحد على الأقل من معاملات الانحدار تختلف عن الصفر.

الجدول رقم 3: نتائج تحليل التباين

Analyse de la variance :					
Source	DDL	Somme des carrés	Moyenne des carrés	F	Pr > F
Modèle	3	346,6070	115,5357	26,4410	< 0.0001
Erreur	48	209,7388	4,3696		

Total corrigé	51	556,3458			
Calculé contre le modèle Y=0					

المصدر: مخرجات برنامج(xlstat)

2-4 تفسير العلاقة بين الأداء ومختلف المتغيرات المستقلة: من خلال الجدول التالي نلاحظ أن قيمة الاحتمالية لمتغير ابتكار في السيرورة (innovation de procès) تساوي 0.0001 وهي أقل من مستوى المعنوية 5 %وبالتالي فإن متغير ابتكار في السيرورة له دلالة إحصائية مع الأداء وكذلك نفس الأمر فيما يتعلق بمتغير ابتكار الإداري (innovation management)، حيث نجد كذلك أن قيمة (ت) لكل من متغير ابتكار الإداري وابتكار في السيرورة هي أكبر من 1.65 وبالتالي فإن الفرضية الثانية والثالثة قد تحققت.

بينما نرى أن متغير ابتكار في المنتوج (innovation produit) قيمته احتمالية تساوي 0.0187 وبالتالي فإن هذا المتغير له دلالة إحصائية مع متغير الأداء، لكن نرفض الفرضية الأولى وذلك نظرا لقيمة (ت) السالبة التي قدرة بحوالي 2,4334-.

الجدول رقم 5: نتائج التقدير

Paramètres du modèle :						
Source	Valeur	Erreur standard	t	Pr > |t|	Borne inférieure (95%)	Borne supérieure (95%)
Constante	0.0000					
innovation produit	-3.1912	1.3114	-2.4334	0.0187	-5.8280	-0.5545
innovation de procès	3.2992	0.5798	5.6907	< 0.0001	2.1335	4.4649
innovation management	3.2000	1.0452	3.0617	0.0036	1.0985	5.3015

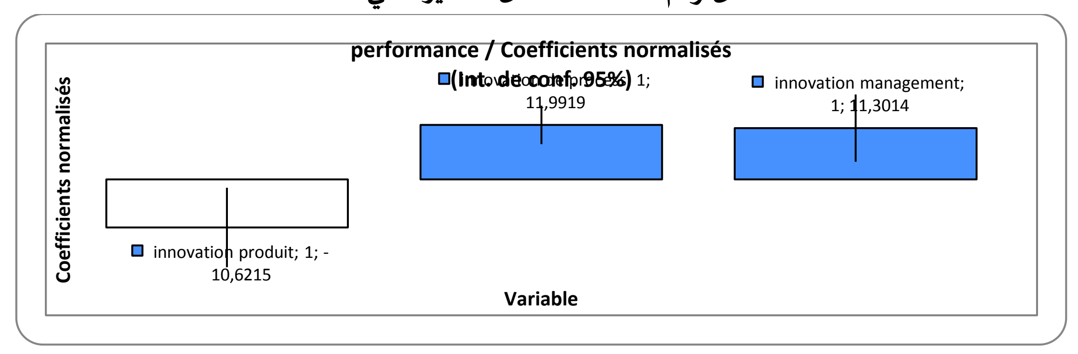
المصدر: مخرجات برنامج(xlstat)

واستنادا إلى الجدول رقم (5) يمكننا تمثيل علاقة مختلف المتغيرات مع الأداء بالمعادلة التالية:

Equation du modèle :
performance = -3.19123*innovation produit+3.29923*innovation de procès+3.20000*innovation management

إذن من خلال هذه المعادلة والشكل رقم(2) نرى كذلك أن متغير ابتكار في المنتوج (innovation produit) هو فقط الذي يساهم بشكل سلبي في الأداء وهذا الأمر لا يتوفق مع الإطار النظري، بينما تبقى مساهمة كل من ابتكار الإداري وابتكار في السيرورة هما يساهمان بشكل إيجابي في رفع أداء الشركات، حيث راجعت النسبة الأكبر إلى ابتكار في السيرورة إذ قدرت قيمتها بحوالي 3,2992 وهذا يعتبر شيء جيد بالنسبة إلى المؤسسات، حيث أنه عن طريق هذا النوع من الابتكار تستطيع المؤسسات أن تنجح في أنواع أخرى من الابتكار ولعل أهمها الابتكار في المنتوج.

الشكل رقم 2: مساهمة كل المتغيرات في الأداء



المصدر: مخرجات برنامج(xlstat)

5-الخاتمة:

عند الرجوع إلى السؤال المتناول في هذه الدراسة والذي وضع من أجل معرفة ما إذا كان الابتكار بكل أنواعه الثلاثة له دور في رفع أداء الشركات الجزائرية أم لا، فإننا نرى أن الهدف التي تم تحديده قد علاج وتحقق إذا قمنا كمرحلة أولى بإعطاء عدة مفاهيم استطعنا من خلالها تأطير مصطلح الابتكار، أما كمرحلة ثانية وللمواصلة في الإجابة على التساؤل السابق، فقد بدأنا بإعطاء توضيح عام لمفهوم الأداء وبعدها قررنا التموقع في التيار الذي يقول بأن الابتكار بمختلف أنواعه (الابتكار في المنتوج أو السيرورة أو الابتكار الإداري) له تأثير إيجابي على أداء الشركات وكمرحلة نهائية فقد استعملنا الانحدار الخطي المتعدد لاختبار العلاقة بين الابتكار (الابتكار في المنتوج أو السيرورة أو الابتكار الإداري) والأداء الشركات،حيث وجدنا أن المؤسسات الجزائرية التي تم استهدافها هي قادرة على رفع من أدائها والبقاء على قيد الحياة وذلك من خلال الاعتماد بدرجة أولى على الابتكار في السيرورة حيث نجد أن المؤسسات الجزائرية التي قامت بتحسينات جديدة تخص طرق الإنتاج وتصنيع السلع والخدمات وكذلك ادخال تحسينات جديدة في أساليب الاتصال في الخدمات اللوجستية والتسليم وتوزيع السلع والخدمات والتي استطعت أن تدخل تحسينات جديدة في أنشطة الدعم مثل الصيانة والشراء والمحاسبة أو الكمبيوتر تكون احتمالية الرفع من أدائها كبيرة، وبدرجة ثانية نجد أن كل المؤشرات التي تخص أداء المؤسسات الجزائرية نجدها قد ارتفعت والسبب في ذلك هو أن هذه المؤسسات قد وضعت أساليب جديدة في تنظيم مختلف الإجراءات وقامت بإدخال طروق جديدة لتنظيم العمل واتخاد القرارات، وتنظيم العلاقات الخارجية مع مؤسسات أخرى.

ومن خلال ما سبقا يتضح أن المؤسسات الجزائرية هي في نفس اتجاه الباحثين الذي قالوا بأن الابتكار الإداري له علاقة إيجابية مع الأداء(Walker Et Al., 2015)والابتكار التنظيمي هو وحده يمكن أن يزيد من أداء المنظمة من خلال خفض تكاليف المعاملات والتكاليف الإدارية (Ettlie And Reza , 1992). وقالوا بأن تطبيق هذا النوع (الابتكار في السيرورة) في شركات التصنيع قد يكون له تأثير كبير على الإنتاجية ولهذا تتبنى الشركات عمليات جديدة للتنافس مع الشركات أخرى وذلك يكون من خلال ابتكارات في السيرورة التي تستطيع من خلالها تلبية جميع احتياجات عملائها (They ,1992).وعلى عكس ما يقال بأن ابتكار في المنتوج هوا واحد من العوامل الرئيسية التي تساهم في نجاح المنظمة، حيث أن تطوير منتوجات جديدة والحصول على ابتكارات في المنتوج هي استراتيجية مهمة من أجل الزيادة في حصة السوق وأداء الشركات، فقد اتضح أنه في حالات المؤسسات الجزائرية أن الابتكار في المنتوج هو يساهم بشكل سلبي على أداءها، وربما هذا راجع إلى أن أغلب الابتكارات في المنتوج للشركات الجزائرية هي تخص الشركة نفسها وليس الابتكارات موجه نحو السوق وبالتالي هذا لا يساعدها في رفع من أدائها، وإنما تضاف تكلفة إضافية (تكلفة الابتكار في المنتوج) إلى التكلفة العامة .

ولهذا ننصح المؤسسات الجزائرية بالمواصلة في الابتكارات من هذا النوع (الابتكار في السيرورة، الابتكار الإداري) لأنه ببساطة تكلفته صغيرة مقارنة بالابتكار في المنتوج الذي يتطلب تكلفة والإمكانات كبيرة وكذلك فإن هذه الابتكارات (الابتكار في السيرورة، الابتكار الإداري) قد تساعدها على التفوق وتحقيق ابتكارات من نوع أخر خاصة الابتكار في المنتوج.

وفي الأخير أي دراسة لها حدودها وهذه الدراسة ليست استثناء من هذه القاعدة خاصة أننا أهملنا الابتكار التسويق والذي يعتبر مهما جدا في رفع من أداء الشركات خاصة في القطاعات الخدماتية، وكذلك أهملنا بعض العوامل التنظيمية والبيئية، ولهذا ننصح بدراسات أخرى تدمج أغلبية العوامل في نموذج يساهم في تحليل أكثر دقة للعلاقة بين الابتكار والأداء.

6-المراجع:

1. نجم عبود نجم، إدارة الابتكار (المفاهيم والخصائص والتجارب الحديث)، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن الطبعة 1،2003، ص21.
2. أ.د /الشيخ الداوي، تحليل الأسس النظرية لمفهوم الأداء، مجلة الباحث، العدد7، ورثلة،2009-2010، ص218.

1) Ahu Tugba Karabulut ,(2015), "Effects Of Innovation Types On Performance Of Manufacturing Firms In Turkey", Procedia - Social And Behavioral Sciences V195،Pp1355 – 1364.
2) Al-Bahussin Sa, Elgaraihy Wh. , (2013)," The Impact Of Human Resource Management Practices, Organisational Culture, Organisational Innovation And Knowledge Management On Organisational Performance In Large Saudi Organisations: Structural Equation Modeling With Conceptual Framework",International Journal Of Business And Management,V8(22),Pp1–20.
3) Atuahene-Gima, K. ,(1996), "Market Orientation And Innovation", Journal Of Business Research, V35(2),Pp93–103.
4) Besbes, A., Alouat, B. And Gharbi, J.-E. (2013), "L’impact De L'innovation Manageriale Sur La Performance. Role De L'orientation Marche Et De L'apprentissage Organisationnel", Revue Française De Gestion, V39 (235), Pp. 161–174.
5) Bong Choi, S. And Williams, C. (2013), "Innovation And Firm Performance In Korea And China: A Cross-Context Test Of Mainstream Theories", Technology Analysis & Strategic Management, V25 (4), Pp. 423–444.
6) Camisón C, López Av. , (2010),"An Examination Of The Relationship Between Manufacturing Flexibility And Firm Performance: The Mediating Role Of Innovation" International Journal Of Operations & Production Management,V30,Pp853–878.
7) Choi, S., Jang, H. And Hyun, J. (2009), "Correlation Between Innovation And Performance Of Construction Firms", Canadian Journal Of Civil Engineering, V36 (March), Pp. 1722–1731.
8) Dadfar H, Dahlgaard Jj, Brege S, Alamirhoor A. , (2013)," Linkage Between Organisational Innovation Capability, Product Platform Development And Performance: The Case Of Pharmaceutical Small And Medium Enterprises In Iran", Total Quality Management And Business Excellence,V24(7-8),Pp819–834.
9) Damanpour F. , (1991)," Organizational Innovation: A Meta-Analysis Of Effects Of Determinants And Moderators", Academy Of Management Journal,V34(3),Pp555–590.
10) Ecosid , Dialogues Autour De La Performance En Entreprise, Edition Harmattan, Paris ,1999, P18.
11) García-Zamora, E., González-Benito, Ó. And Muñoz-Gallego, P.A., (2013) "Organizational And Environmental Factors As Moderators Of The Relationship Between Multidimensional Innovation And Performance", Innovation: Management, Policy And Practice, V15(2),Pp224–244.
12) Georg Stampfl,The Process Of Business Model Innovation An Empirical Exploration,Springer Gabler,Vienna,2014,P9.
13) Gregorio Martin De Castro Et All, Technological Innovation An Intellectual Capital Based View ,Palgrave Macmillan,1st Edition,P47.
14) Grissemann U, Plank A, Brunner-Sperdin A. , (2013)," Enhancing Business Performance Of Hotels: The Role Of Innovation And Customer Orientation", International Journal Of Hospitality Management, Elsevier Ltd,V33(1),Pp347–356.
15) Gurhan Gunday, Gunduz Ulusoy, Kemal Kilica La., (2007)," Effects Of Innovation On Firm Performance" Ifo Beiträge Zur Wirtschaftsforschung,V66(101),Pp3988.
16) Kemp Rgm, Folkeringa M, De Jong Jpj, Wubben Efm., (2003), "Innovation And Firm Performance", Research Report H200207, Pp1-67.
17) Li, H. And Atuahene-Gima, K. (2001), "Product Innovation Strategy And The Performance Of New Technology Ventures In ... Product Innovation Strategy And The Performance Of New Technology Ventures In China", The Academy Of Management Journal, V44 (6), Pp. 1123–1134.
18) Lin Cy-Y, Chen My-C., (2007)," Does Innovation Lead To Performance? An Empirical Study Of Smes In Taiwan" ,Management Research News,V30(2),Pp115–132.
19) Liu, X., Yeung, A.C.L., Lo, C.K.Y. And Cheng, T.C.E. ,(2014), "The Moderating Effects Of Knowledge Characteristics Of Firms On The Financial Value Of Innovative Technology Products", Journal Of Operations Management, Elsevier B.V.,V32(3),Pp 79–87.
20) M.Atalay, And All, "The Relationship Between Innovation And Firm Performance: An Empirical Evidence From Turkish Automotive Supplier Industry", Procedia - Social And Behavioral Sciences, V75,2013,P222.
21) Mazzanti, M., Pini, P. And Tortia, E. (2006), "Organizational Innovations , Human Resources And Firm Performance The Emilia-Romagna Food Sector", V35, Pp. 123–141.
22) Mella, P. And Meo, C. (2014), "Endogenous Innovation . When Inner Organizational Dynamics Afford And Constrain Change", Procedia Economics And Finance, Elsevier B.V., V8 (14), Pp. 194–203.

23) Messouad Zouikri, These:Stratégies De R Et D Et Innovation Dans L’industrie Pharmaceutique En France:Une Etude Econométrique Sur Données Individuelles. Université Paris Dauphine,2008,P14.
24) Nicolau Jl, Santa-Maria Mj., (2013), "The Effect Of Innovation On Hotel Market Value",International Journal Of Hospitality Management. Elsevier Ltd, V32(1), Pp71–79.
25) Ocde,Manuel D’oslo,Commission Européenne Eurostat, 2005,P34-35.
26) P. Druker,L’avenir Du Management Selon Druker,Editions Village Mondial,Paris,1999،P73.
27) Ph. Lorrino,Comptes Et Recits De La Performance, Editions D’organisations,Paris, 1996, P 47- 48.
28) Richard M. Walker Et All, (2015)," Management Innovation And Firm Performance An Integration Of Research Findings", European Management Journal, V33 (5), P407-422.
29) Roper, S. And Love, J.H. (2002), "Innovation And Export Performance: Evidence From Uk And German Manufacturing Plants", Doi:10.1016/S0048-7333(01)00175-5.
30) Rosli Mm., (2007)," Innovation And Firm Performance : Evidence From Malaysian Small And Medium Enterprises Literature Review Innovation",Entrepreneurship Vision 2020 Innovation, Development Sustainability, Nad Economic Growth, Pp794–809.
31) Salim, I.M. And Sulaiman, M. ,(2011),"Impact Of Organizational Innovation On Firm Performance: Evidence From Malaysian-Based Ict Companies", Business And Management Review, V1(5),Pp1–11.
32) Santos Dfl, Basso Lfc, Kimura H, Kayo Ek., (2014), "Innovation Efforts And Performances Of Brazilian Firms" ,Journal Of Business Research,V67(4),Pp527–35.
33) Ul Hassan, M., Shaukat, S., Saqib, M., Naz, S. (2013), "Effects Of Innovation Types On Firm Performance: An Empirical Study On Pakistan'smanufacturing Sector" ,Pakistan Journal Of Commerce And Social Sciences, V7 (2), 243-262.
34) Uzunnidis, D ,L’innovation Et L'economie Contemporaine Espaces Cognitifs Et Territoriaux ,De Boeck 1er Edition,2004,P48.
35) V.Vyas, Phd Thesis ,Innovation And New Product Development By Smes: An Investigation Of Scottish Food And Drinks Industry, Edinburgh Napier University,2009.
36) Venkatraman N. , (1989)," Strategic Orientation Of Business Enterprises: The Construct Dimensionality, And Measurement",Management Science,V35(8),Pp942–962.
37) Walker Rm, Damanpour F, Devece C A. , (2010)," Management Innovation And Organizational Performance: The Mediating Effect Of Performance Management", Journal Of Public Administration Research And Theory,V21,Pp367–386.
38) Zahra S A. , (1993)," Environment, Corporate Entrepreneurship, And Financial Performance: A Taxonomic Approach", Journal Of Business Venturing,V8,Pp319–340.

أثر تطبيق المواصفة ايزو 14001 على وظائف المؤسسة الاقتصادية

أ.عزيزي محمد الصالح- أ.بوقلقول الهادي
كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة باجي مختار عنابة

الملخص

يشهد العالم في السنوات الأخيرة العديد من الأزمات، خاصة منها تلك التي تتعلق بالكوارث الطبيعية كاتساع ثقب الأوزون، الاحتباس الحراري وما ينتج عنها من نتائج، وعواقب وخيمة على البيئة والإنسان المرتبطة بالتلوث الصناعي، ومع انتشار الوعي بمثل هذه القضايا وظهور أطياف كثيرة تؤثر على المؤسسة، وكذلك الزبائن الجدد لديهم حس ووعي بيئي، في ظل هذه التحولات والتطورات المتسارعة، وفي فترات تشهد منافسة حادة بين المؤسسات الاقتصادية، يتوجب على هذه المؤسسات في أي دولة متقدمة أو نامية حتى تحافظ على سمعتها، وبقائها واستدامتها، فإن ذلك لا يتحقق إلا بالتصالح مع الأطراف الجديدة في المؤسسة وكسب مكانة سوقية والفوز بميزة تنافسية والمراهنة على القضية البيئية، إذ يعتبر توطين نظام من أنظمة إدارة البيئة، من شأنه أن يكون سبيلا لتحقيق تطلعات المؤسسة الاقتصادية، لا سيما أنه عامل مهم للتغيير التنظيمي وركيزة لتطوير المؤسسة لما له من تأثيرات إيجابية في جوهر وظائف المؤسسة على المدى المتوسط والطويل.

الكلمات المفتاحية: نظام الإدارة البيئية، أثر التطبيق، المواصفة أيزو 14001، وظائف المؤسسة الاقتصادية

Abstract

In recent years the world is wit nessing many crises especially the those related to the natural disasteres such as the widening ozone hole global warming and the enswing result and consequences en environment and the rights associated with industrial pollution.with the spread of awarness of such issues and the emergence of many spectra that affect the institution ,as wellas new customers wich they have a sense of environemental awereness.in the light of these changers and rapid developements,and in the periods which witnessing fierce competition between economic institutions,these institutions in any developped country or developing must maintain its reputation, its survival and sustainability, this does not only come to rencile with the new parties in the institution and gain market position and com petitive advantages to win and bet on the environmental issue.

It is consider as a system of the environmenal management system, it would be the way to achieve the speration of the economic instititition especially as an important factor for organizational change and the development of the institution because of its positive effects on the core function of the institution in the medium and long term.

Key words: the environmenal management system, Impact of application, Iso14001standart, fonction of organization.

I- تمهيد

تعتبر المؤسسات الاقتصادية المرآة التي تعكس حسن الأداء الاقتصادي من عدمه، خاصة مع اشتداد حدة المنافسة على الأصعدة المحلية والدولية في ظل التحولات المتسارعة التي نشهدها، حيث أخذ العالم يتجه نحو منظومة شمولية، طويت فيها المسافات وزالت معها الحدود وتلاشت، ولم يبق فيه مجال للتقوقع والانعزال، مما أوجب على هذه المؤسسات استعجالا البحث على ما يجعلها قادرة على التكيف مع المتغيرات الطارئة، التي فرضتها بيئة الأعمال المعاصرة. اذ أصبح التنافس بين المؤسسات يرتكز على أدنى الجزئيات. ومع كثرة الأزمات وكذلك التغيرات المناخية فان كبريات الشركات في العالم أصبحت مجبرة على دمج القضايا البيئية والأخلاقية في استراتيجياتها وسياستها، الى درجة أصبحت المسائل المتعلقة بالبيئة جزءا لا يتجزأ من أولوياتها، وذلك من أجل كسب حصة سوقية اكبر خاصة مع تنامي دور المدافعين على البيئة على

الأصعدة المحلية والدولية من خلال جمعيات وأحزاب ومنظمات...، أصبحت تشكل جماعات ضاغطة على المؤسسات الصناعية غير الصديقة للبيئة.

واليوم المؤسسة الاقتصادية في حاجة -أكثر من ذي قبل - إلى عمليات تأهيل بالمتطلبات اللازمة التي تجعلها قادرة على مجاراة المؤسسات الرائدة، التي كثيرا ما تلعب على أوتار الرهانات الجديدة الموظفة في ميدان المنافسة، ويمثل توطين نظام الإدارة البيئية المتوافق مع المواصفة الأيزو 14001 الدليل المادي الملموس على احترام البيئة وصدق نية المشروع؛ لهذا فالعديد من المؤسسات في العالم تحاول إعادة تأهيل وتنظيم جوانبها التنظيمية للاستفادة من مثل هذه الأنظمة، حيث يعتقد الكثير من الخبراء أن نظام الإدارة البيئية المتوافق مع المواصفة المذكورة؛ تعد ركيزة أساسية لزيادة كفاءة المؤسسات وزيادة قدرتها التنافسية كما يؤدي إلى الفوز بمستهلكين جدد لديهم حس بيئي؛ حيث لا تكاد أية مؤسسة رائدة تخلو من أحد أنظمة إدارة البيئة. التي لا تخفف فقط من تأثيرات المؤسسات الصناعية على البيئة، بل قبل ذلك له العديد من التأثيرات الإيجابية على مختلف وظائف المؤسسة الاقتصادية المزايا على المجتمع وعلى تحقيق الوفورات الاقتصادية للمؤسسة التي أصبحت من أهم مميزات النظام الدولي الجديد. ولهذا من اللازم على المؤسسات إن أرادت حماية البيئة وتوطين مثل هذه الأنظمة البيئية والاستفادة منها بشكل جيد وفعال أن تحاول استكشاف أهم تأثيرات المواصفة أيزو 14001 على مختلف وظائفها وإعادة تأهيل وتنظيم جوانبها التنظيمية لمعرفة نقاط قوة المؤسسة الحقيقية، والتغلب على نقاط الضعف فيها.

إذا كانت معرفة هذه التأثيرات على هذه الدرجة من الأهمية فإنه يجب التساؤل:

ماهو تأثير نظام الإدارة البيئية المتوافق مع المواصفة ايزو 14001 على مختلف وظائف المؤسسة الاقتصادية، وما هي أهم المكاسب التي يمكن أن يعود بها عليها؟

حتى تكون الدراسة سليمة علميا ومنهجيا لابد من طرح الأسئلة الفرعية التالية:

1- ما دور أنظمة إدارة البيئة في تميز المؤسسة الاقتصادية؟

2- ما تأثير توطين نظام الإدارة البيئة المتوافق مع المواصفة ايزو 14001 على وظائف المؤسسة الاقتصادية ؟

3- ماهي أهم مكاسب توطين نظام الإدارة البيئة المتوافق مع المواصفة ايزو 14001 على المؤسسة الاقتصادية؟

أهمية الدراسة:

-تعود أهمية الدراسة إلى المكانة التي يحتلها نظام الإدارة البيئية في المؤسسات كونه استطاع الجمع بين البعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي من خلال الحفاظ على الموارد الطبيعية وترشيدها، فيسهم في تحسين صورة المؤسسة في المحيط التي توجد فيه، وكذلك ضمان عدم تأثر المجتمع من عدم تلويثها وبالتالي يستفيد جميع أطراف الرهان.

- أهمية موضوع البيئة في الوقت الراهن خاصة، وأنها أصبحت سلاحا تنافسيا عند جل المؤسسات بحيث يعتبر نظام الإدارة البيئية ممرا من المؤسسة إلى البيئة لكي تستغلها في حدود احترامها لها.

-الكشف عن الجانب المربح الذي ينتج من جراء التزام المؤسسات بتطبيق نظام الإدارة البيئية المتوافق مع المواصفة ايزو 14001 وكذلك تأثيراته الإيجابية على مختلف وظائفها.

- تزويد المهتمين لا سيما المؤسسات الاقتصادية والعاملين بها التي من الممكن أن تكون لنشاطاتهم آثارا على البيئة، لإدراك والتعرف على مواضيع الإدارة البيئية حتى نزيد من الرفع في فعاليتهم في التعامل مع البيئة خاصة وأنها أصبحت تتجاوز البلدان والقارات.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الفرص والفوائد التي من الممكن أن يضيفها نظام الإدارة البيئية المتوافق مع المواصفة إيزو 14001، خاصة وأنه أصبح مطلبا مهما بعد التحولات التي أصبحت تتسم بها بيئة الأعمال المعاصرة، حيث نبين من خلالها مختلف تأثيراته على وظائف المؤسسة الاقتصادية وكيف يمكن نظام الإدارة البيئية

المؤسسة من التسيير العقلاني للبيئة، وترشيد استخدامها وخاصة وأن نهاية القرن الفارط وبداية هذا القرن تميزت بالعديد من الكوارث واعتلت المشاكل البيئية سلم القضايا التي يعاني منها العالم وهذا البحث نعده مساهمة لتحسيس المؤسسة بالمخاطر التي من الممكن أن تنجر عن نشاطاتهم وتقديم حل بديل يمكن من تفاديها، وهو توطين نظام الإدارة البيئية مع الإشارة إلى فوائد توطينه التي تعود على المجتمع بصفة عامة وعلى المؤسسة بصفة خاصة.

المنهج المستخدم: اعتمدنا في هذه الدراسة على استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من أجل الوقوف على المفاهيم الخاصة بالدراسة وتحديد معالم الظاهرة المدروسة والإلمام بجوانبها وتحليلها بطريقة علمية.

تجرنا الإجابة على التساؤل -محور إشكاليتنا- إلى تقسيم الدراسة إل المحاور التالية :

المحور الأول: مدخل إلى نظم الإدارة البيئية وأهم المواصفات القياسية؛

المحور الثاني: تأثيرات نظام الإدارة البيئية ايزو 14001 على وظائف المؤسسة الاقتصادية؛

المحور الثالث: مكاسب تطبيق نظام الإدارة البيئية ايزو 14001 على المؤسسة الاقتصادية.

II مدخل إلى نظم الإدارة البيئية وأهم المواصفات القياسية.

II-1مفهوم الإدارة البيئية : عرفت الإدارة البيئية على أنها[1] :

- مجموعة من الأدوات الموجهة نحو العمل، واتخاذ إجراءات للمساعدة في صياغة استراتيجيات لحماية البيئة ووتعزيزها وصيانتها من تنفيذ الاستراتيجية ومراقبتها .

- معالجة منهجية لرعاية البيئية في كل جوانب النشاط الاقتصادي والإنساني في المجتمع ،وإعمال هذه المعالجة هو أصلا عمل تطوعي يأتي بمبادرة من قيادات المنظمة القائمة بهذا النشاط، وتناول القيادات للأمر لم يقتصر على التقييم النقدي لمزايا منظومة الإدارة البيئية بل يشمل أيضا التناول الاعتبارات البيئية (الحوادث، القدرة على الحصول التحويل اللازم ، أو التنافس في السوق أو دخول مجالات جديدة)

أما الأمم المتحدة فعرفت الإدارة البيئية على أنها:

"وضع الخطط والسياسات البيئية من أجل رصد وتقييم الآثار البيئية للمشروع الصناعي، على أنها تضمن جميع المراحل الإنتاجية بدءا من الحصول على المواد الأولية وصولا إلى المنتج النهائي والأوجه البيئية المرتبطة به وتقوم أيضا على تنفيذ كفء للإجراءات الرقابية، مع الأخذ بالاعتبار التكاليف والأثر الضريبي لهذه الإجراءات بالإضافة إلى كيفية استخدام الموارد كما من الضروري وتوضيح الأدوات والطرق المتبعة لمنع التلوث والاستخدام الأمثل للموارد[2] .

وعرفها العالم Grotosca 1975 بأنها الإدارة التي يصنعها الإنسان والتي تتمركز حول نشاطات الإنسان، وعلاقاته مع البيئة الفيزيائية والأنظمة البيئية المتأثرة، وجوهر الإدارة البيئية يكمن في التحليل الموضوعي والفهم والسيطرة الذي تسمح به هذه الإدارة للإنسان أن يستمر في تطوير التكنولوجيا بدون التغيير في النظام الطبيعي[3].

وعرفها William. R.Mangun أيضا بأنها الإجراءات ووسائل الرقابة سواء كانت وطنية، عالمية أو إقليمية، والمسخرة من أجل حماية البيئية، والتي تتضمن الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية المتاحة والاستفادة من هذه الموارد بصفة مستدامة[4] .

وعرفتها المواصفة الفرنسية NFX 30200 بأنها : مجموعة أنشطة الإدارة التي تحدد السياسة البيئية، الأهداف والمسؤوليات والتي يتم تنفيذها من خلال التخطيط الجيد للأهداف، والتحكم في الآثار البيئية، وقياس النتائج المحصلة في الميدان[1] .

---

[1] عبد الرحيم علام، مقدمة في نظم الإدارة البيئية ، المنظمة العربية للتنمية ، الإمارات العربية المتحدة ، 2005 ص، 3

[2] رعد حسن الصرن، نظم الإدارة البيئية والإيزو14000،دار الرضا، دمشق، 2001 ، ص28

[3] نجم العزاوي، عبد الله حكمت النقار، إدارة البيئية- نظم ومتطلبات وتصنيفات 14000 -دار المسيرة الأردن، 2007، ص122

[4] رعد حسن الصرن ، مرجع سابق، ص27

تكمن فلسفة نمذجة الإدارة البيئية في كيفية فك التشابك بين التنمية والبيئية من خلال المراحل التالية[2] :

- التعريف الدقيق بالمشكلة؛
- محاولة تشخيص المشكلة؛
- صياغة المشكلة في شكل نظام؛
- تحليل المشكلة؛
- تمثيل مفردات المشكلة (نموذج)؛
- حل المشكلة؛
- المراجعة من خلال النقدية المرتدة Feedback المتابعة.

II -2 نظم الإدارة البيئية المحلية والعالمية .

II -2-1 مواصفات نظم الإدارة البيئية المحلية.

أ- المواصفة البريطانية (BS 7750) تعتبر هذه المواصفة أداة إدارية فاعلة تساعد المنظمات للنهوض بأدائها البيئي من خلال توفير مدخل نظمي شامل يمكن المنظمات من بناء وتطوير أنظمتها البيئية والمحافظة. وهي أول مواصفة وطنية لأنظمة إدارة البيئية بداية عام1992، وقد تم تنقيحها وصدرت كصيغة ثانية عام 1994، كما أن نجاحها وشعبيتها دفع بالعديد من الدول بأن تصدر مواصفات وطنية مماثلة[3].

ب- منظومة الإدارة البيئية الأمريكية: من أجل مساعدة المؤسسات الأمريكية على تنمية فهم الالتزام بالمتطلبات البيئية القانونية التي يقع عليها في أعمالها، وخاصة في القطاع الصناعي فقد أصدرت الجمعية الأمريكية للقياس والمواد مواصفتين هامتين، تسعى الأولى إلى تحديد التوثيق المقتضبة للمراجعة البيئية التي يقوم بها مراجعون من داخل المؤسسة أو خارجها، والجوانب القانونية المتعلقة بهذه المراجعة وتحدد المعايير في اختصاص المدققين المعتمدين، أما المواصفة الثانية فتحدد للإرشادات الضرورية لدراسة نظم البيئية وتقييمها[4].

ج- المواصفة البيئية للاتحاد الأوروبي EMAS: أثمرت الجهود والمساعي المشتركة للاتحاد الأوروبي لإيجاد حلول للمسائل المرتبطة بالبيئة في المواقع الصناعية، بصدور المواصفة البيئية للاتحاد الأوروبي في 29 جوان،1993 تحت رقم 1836/93 تشرح هذه المواصفة إجراءات انضمام المؤسسات الصناعية في مسعى طوعي في حماية البيئية والتقليل من انبعاثاتها الملوثة، والتعامل الجيد والمتوازن لهذه المؤسسات المتواجدة في الاتحاد، كما وضع إطار زمني كحد أقصى 01 أفريل1995 يتم تنفيذ إجراءات وقواعد المتطلبات الأساسية المنصوص عليها في هذه المواصفة.

في أفريل 2001 راجع الاتحاد هذه المواصفة، وبعد المراجعة الدقيقة الاستفادة المتحصل عليها في ذلك الوقت فقد أصدر نسهة جديدة تدعى إيماس 2001/271

والهدف من وراء هذه المراجعة هو تشجيع المؤسسات على تحسين أدائها البيئي بشكل مستمر، والتواصل مع الجمهور باستمرار وبشكل ثانوي[5]

تعتبر المواصفة البيئية للاتحاد الأوروبي أو أداة تنظيمية طوعية في مجال إدارة البيئية كما تعطينا الفلسفة التي تمكن وراء نظام الإدارة البيئية، لماذا؟ وماهي الأهداف؟ وماهي الآليات؟

---

[1] Carinne Gendron,la gestion environnementale et la norme 14001, les presses de l'Université montreal , p60

[2] عبد الرحيم علام، مرجع سبق ذكره، ص6

[3] زين الدين بروش، جابر دهيمي، دور نظام الإدارة البيئية في تحسين الأداء البيئي المؤسسات، دراسة حالة شركة الإسمنت بعين الكبيرة -الملتقى الدولي الثاني حول الأداء المتميز للمنظمات والحكومات، جامعة ورقلة، أيام 22 و23 نوفمبر،2011،ص650

[4] الأمم المتحدة، تقرير عن بدايات تطبيق نظام الإدارة البيئية الإيزو 14000، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية بغربي آسيا، نيويورك، 1994، ص-ص 21، 22

[5] M Julien Bourgeois ,Le Management environnementale nouvel en jeu pour la competivité des entreprises CCIP France ,1997,P,7.

فقدمت لنا مقاربة متكاملة، ولكنها قطاعية اقتصرت على مواقع الإنتاج الصناعي في دول الاتحاد الأوروبي، إن الذي يحفز الشركات الكبرى لهذه المواصفة هو التخفيف من قيمة التأمين، وتخفيف عدد زيارات التدقيق من الخارج، وتحقيق وفرات مالية من خلال ترشيد الطاقة، وتقليل المواد المستخدمة وتقليل النفايات[1]

II-2-2 مواصفات نظم الإدارة البيئية الدولية :

أ- الإيزو ونشأة المنظمة الدولية للتقييس :بعد اقتراح العديد من الدول الأوروبية إنشاء منظمة دولية لتوحيد وتسهيل التنسيق الدولي للمواصفات المعتمدة في الصناعة، اجتمع 64 مندوبا من 25 دولة في عام 1940 بلندن، واتفقوا على تأسيس منظمة دولية عرفت بالإيزو على أن يكون مقرها في جنيف، فبدأت المنظمة عملها في 1947 بإصدار مجموعة من المواصفات الموحدة للدول الأعضاء فيها، وتتكون المنظمة من أكثر من مائة دولة مشاركة، والتي تمثل المنظمات الوطنية، والإيزو عبارة عن سلسلة من المواصفات المكتوبة تحدد وتصنف العناصر الرئيسية المطلوب توافرها في نظام إدارة الجودة الذي تتبناه المؤسسة، للتأكد من أنّ منتجاتها تتوافق مع رغبات العملاء أما حروف الإيزو فهي الحروف الأولى من اسم المنظمة الدولية للتقييس[2].

ب- نشأة أنظمة إدارة البيئة وتطورها :اهتمت المنظمة إيزو بشكل خاص في بداية تأسيسها بالمواصفات الفنية والتقنية للسلع المصنعة فقط، ثم بدأت تهتم بمفاهيم الجودة ونظم ضبطها، وإدارتها، بناءً على طلب من الأسواق العالمية، بقرار من مؤتمر ري ودي جانيرو، البرازيل، خلال الفترة 3– 14 حزيران – يونيو 1992.[3]

قامت منظمة الإيزو سنة 2003 بتشكيل لجنة فنية بناء على طلب مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالتنمية والبيئة، وهي اللجنة الفنية الأكبر بين لجان الإيزو، إذ أنها تضم 58 عضوًا مشاركاً (كامل العضوية) و16 عضوًا مراقبا، كما يشارك في أعمالها 45 منظمة اتصال دولية متنوعة الاهتمامات والاختصاصات.

وقد كلفت هذه اللجنة بالاهتمام بالمواصفات والمقاييس المتعلقة بالبيئة والتجارة الدولية، بهدف المساهمة في تسهيل التجارة الدولية - وتخفيف العقبات الفنية المتعلقة بالبيئة - والمساهمة في بلورة أنماط التنمية المستدامة لتكون مقبولة على الصعيد الدولي.[4]

لتطوير المواصفة الدولية ثم تشكيل اللجنة الفنية Tc 207 التي تضمنت 7 لجان فرعية حدد لكل منها مجال معين كما هو مبين كالآتي[5] :

1) المصطلحات (Vocabulary)
2) نظام الإدارة البيئية(EMS)
3) التدقيق البيئي (EA)
4) العلامة البيئية (EL)
5) تقييم الأداء البيئي (EPE)
6) تقدير دورة الحياة (LCA)
7) الجوانب البيئية القياسية للمنح (EAPS)

بعد ثلاث سنوات من العمل والجهد المتميز لهذه اللّجان صدر عن منظمة الإيزو سنة 1996 المواصفات الخمس التالية[6] :

---

[1] الأمم المتحدة، سبق ذكره، ص، 22

[2] أحمد حسن عبد المعطي ،الايزو في التعليم ، دار السحاب للنشر والتوزيع ، القاهرة،2009، ص ص، 22،23

[3] لأمم المتحدة، سبق ذكره، ص، 65

[4] نفس المرجع السابق

[5] سماعيل إبراهيم القزاز، عادل عبد المالك كوريل نظام الإدارة البيئية بموجب متطلبات مواصفات الإيزو 14001 : 2004 الأردن، ،2010، ص،32.

[6] نفس المرجع السابق

ISO 14001 -1

أنظمة الإدارة البيئية : المواصفات وإرشادات الاستخدام.

ISO 14004 -2

أنظمة الإدارة البيئية : الإرشادات العامة للمبادئ والأنظمة التقنية السائدة.

ISO 14010 -3

إرشادات للتدقيق البيئي : الأسس العامة.

ISO 14011 -4

إرشادات للتدقيق البيئي : تدقيق أنظمة إدارة البيئة.

ISO 14012 -5

إرشادات للتدقيق البيئي : معايير كفاءة مدققي البيئة.

من مسميات المواصفات الخمسة السابقة تعد ISO 14001 فقط المواصفة الإلزامية الوحيدة لاعتماد نظام الإدارة البيئة، أما بقية المواصفات فهي تقنيات مساعدة لتطبيقات النظام وطرق تدقيق معطيات التطبيق وأساليب لكشف وتشخيص فرص التحسن المستمر، كما قامت المنظمة فيما بعد بإصدار عدد كبير من المواصفات الإرشادية[1].

II-2-3- عائلة المواصفات الإيزو 14000 ونظام الإدارة البيئية إيزو 14001 :

عند مراجعة وتصفح مختلف عناصر وعناوين المواصفات التي أصدرتها اللجنة الفنية Tc 207، فإننا نجد بأن المواصفة الإلزامية محتواة فيما يسمى بعائلة أو سلسلة المواصفة إيزو 14000.

أ- مفهوم المواصفة إيزو 14000 :تُعتبر المواصفة إيزو 14000 القاعدة الأساسية لأنظمة الإدارة البيئية، بحيث تُقر المؤسسات والجهات الصناعية من نفسها توافقها مع المواصفات القياسية أو محاكاتها لتلك الأنظمة[2].

وتعرف بأنها : " مجموعة المعايير التي تساعد المؤسسات لمعالجة الجوانب البيئية المرتبطة بنشاطاتها، ومنتوجاتها، والتي تتوافق مع أنظمة التسيير المعمول بها في المؤسسة مهما كان نوعها "[3]. لأنها تطبق على مختلف أنواع وأحجام المؤسسات التي ترغب في إقامة نظام إدارة بيئية[4].

وعرفت بأنها : " مجموعة المواصفات الخاصة بكيفية عمل المنظمات في القضاء على التلوث عن طريق وضع نظام رسمي، وقاعدة بيانات من أجل متابعة الأداء البيئي، والهدف من هذه المواصفة هو تزويد المؤسسات بعناصر نظام إدارة بيئية فاعلة للتعامل مع المتطلبات الإدارية الأخرى للمؤسسة[5].

كما عرفت المواصفة القياسية الإيزو 14000 على أنّها :مجموعة من المعايير القياسية التي وضعت من قبل المنظمة الدولية للتقييس الإيزو التي ظهرت بهدف تحقيق مزيد من التطوير والتحسين في نظام حماية البيئة مع عمل توازن من احتياجات البيئة[6].

---

[1] نفس المرجع السابق

[2] محمد صلاح الدين عباس، نظم الإدارة البيئية والمواصفات القياسبة العالمية، إيزو14000 ، دار الكتب العلمية، مصر2006 ، ص،147

[3] Afnor développement durabl et entrepris : un defit pour les entreprises, p 32

[4] محمد عبد الله الغراوي، مرجع سبق ذكره، ص212

[5] إيثار عبد الهادي الفيحان، سوزان عبد الغاني البياتي، نظام إدارة البيئية 2004 : iso 14001 دراسة حالة في الشركة العامة لصناعة البطاريات- معمل بابل- مجلة الإدارة البيئية والاقتصاد، العدد70، بغداد، ص، 118

[6] عادل عبد الرشيد عبد الرزاق، نظام إدارة البيئية والمواصفة القياسية iso 14000 وتطبيقها في الوطن العربي، ندوة حول التشريعيات والقوانين في حماية البيئية العربية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، الإمارات العربية المتحدة2005 ص

وعرفت بأنها مجموعة متطلبات تهتم بتكوين نظام إدارة بيئية يمكن تطبيقه في جميع أنواع وأحجام المؤسسات، ويتكيف مع مختلف الظروف المتنوعة سواء كانت ثقافية، اجتماعية أو جغرافية[1].

تسعى المواصفة الإيزو 14000 إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها[2] :

- مساعدة المؤسسات على إقامة نظام إدارة بيئية داخلي يضمن التعامل الحسن مع القضايا المتعلقة بالبيئة وعناصرها المختلفة.
- مساعدة المؤسسات على وضع الأهداف والسياسات الخاصة بها في مجال البيئة.
- إرشاد المؤسسات إلى حسن تطبيق سياستها البيئية.
- إلزام المؤسسات بالإعلان بشكل فعال عن سياستها البيئية، وعن التزامها بشروط السلامة البيئية أمام السلطات الرسمية والمستهلكين والرأي العام.
- تشجيع المؤسسات في سعيها للحصول على شهادات المطابقة من الجهات المختصة حول السلامة البيئية.

تصنف أدوات سلسلة المواصفة إيزو 14000 إلى مجموعتين أساسيتين[3] :

1- الأدوات التي تركز على العملية والتي تتضمن :

- نظام الإدارة البيئية.
- نظام التدقيق البيئي.
- - تقويم الأداء البيئي.

2- الأدوات التي تركز على المنتوج التي تشمل :

- تقدير دورة الحياة.
- الملصقات والإفصاح البيئي.
- الجوانب البيئية في مقاييس المنتوج

ب- مفهوم نظام الإدارة البيئية المتوافق مع المواصفة إيزو 14001 :المواصفة إيزو 14001 هي مواصفة معروفة عالميا لتوطين نظام إدارة بيئية فعال لمساعدة المؤسسات للنجاح على المستوى التجاري من دون إهمال مسؤولياتها البيئية، ودعمها أيضا في تنمية قدراتها من أجل تخفيض من وقعها المتزايد على البيئة.فنظام الإدارة البيئية إيزو 14001 يزوّد المؤسسات بإطار يسمح لها بالاستجابة لمتطلبات الزبائن، فيما يخص المسؤولية الاجتماعية والمتطلبات القانونية والتشريعية[4]. يعرّف نظام الإدارة البيئية المتوافق مع الواصفة إيزو 14001 بأنه : ذلك الهيكل المتضمن مجموعة من العمليات والإجراءات المتوافقة مع الأهداف البيئية للمنظمة، حيث أن نظام الإدارة البيئية من العناصر الرئيسية في إنجاز التطورات المستديمة، فهي منظومة تهدف إلى تقليل التلوث والوقاية منه إلى أقصى حد ممكن كما وقد تمتد أحيانًا لمعالجة البيئات المتضررة مسبقًا فهي تعمل على التطور المستمد من الناحية البيئية على مختلف محتوياتها[5].

III-تأثيرات المواصفة ايزو14001على وظائف المؤسسة الاقتصادية:

منذ أن صدرت المواصفة ISO 14001، في عام 1996، فهي توافق التحديات الداخلية والخارجية لمسعى الإشهاد الذي يستجيب إلى بنية (Structuration) المؤسسة والتسجيل في ديناميكية التطوير والتطور، وهو ما يؤدي إلى اقتران مسعى

---

[1] نجم العزاوي، عبد الله حكمت النقار، مرجع سابق، ص، 127

[2] الأمم المتحدة، مرجع سبق ذكره، ص ص، 7، 8

[3] محمد عبد الوهاب العزاوي، مرجع سبق ذكره، ص،213

[4] WWW.bSgroupe.com/fr-fr/ISO-14001-manegement de l'environnement/ introduction- a-la-norme- ISO-1400 Le 07/03/2016-13:30.

[5] نجم العزاوي، عبد الله حكمت النقار، مرجع سابق، ص ص ،122، 123

الإشهاد ISO 14001 بالتغيير التنظيمي "فقد سلما كل من Creplet & Lanoux (2000) بأن تبني نظام إدارة بيئية تكمن فائدته في تمكين المنظمة من ركيزة للتطوير، أي أن المواصفة عامل للتغيير أو تساهم في تسريع التغيير التنظيمي، وحسب Boiral (1998): إن منطق المسؤولية وإدماجها ضمن أنظمة التسيير البيئي التي منها التطوير، منذ سنوات 1990، قد ترجمت إلى اعتبار الإدارة والتغيير التنظيمي كوسائل لتحسين الأداءات البيئية للمؤسسات[1].

إذن فالإشهاد وفق المواصفة ISO 14001 يعتبر كرهان استراتيجي، وحافز للتغيير التنظيمي من خلال مختلف تأثيراتها على وظائف المؤسسة، وحسب دراسة قام بها Sandrin Berger وهو باحث في مخبر EUROP من خلال دراسة مقارنة لمؤسستين لصنع الشمبانيا هما Pommey &Feuillalte استخلص بأن مجموع وظائف المؤسسة يعنى بهذا التأثير ولكن بدرجات متفاوتة وفيما يلي أهم وظائف المؤسسة التي يؤثر عليها نظام الإدارة البيئية.

أ.التأثير على الوظيفة التجارية والتسويقية[2]: غالبا ما تسهم المواصفة ISO 14001 بالأحسن على صورة المؤسسة، حتى تكون مجهوداتها ملموسة وتُعرف هذه الأخيرة كمؤسسة مواطنة، هذا الرهان يمكن تسجيله في سياسة تجزئة الأسواق خاصة منها العادية التي لها أولوية صناعية، فصورة المؤسسة المواطنة يمكن إذن استخدامها في النشاطات الاتصالية الهادفة إلى تقديم حجة تجارية حقيقية من خلال الإعلانات والمواثيق البيئية للمؤسسة.

ب.التأثير على وظيفة الإنتاج[3]: إن نظام الإدارة البيئية يقوم على نفس المقاربة في إدارة الجودة الشاملة وهي مقاربة السيرورة، أي وجود نظام رقابة عند نهاية كل عملية إنتاجية وبالتالي التأثير يكون على المراحل الإنتاجية كما يمس كل الجوانب التشغيلية في المؤسسة، وهو ما يؤدي بنا إلى تقليل الأخطار والحوادث، وتحكم أكبر في التكاليف، وتقليل هدر المواد وزيادة الكفاءة الإنتاجية.

ج.التأثير على وظيفة الإمداد والتموين: إن التموين يعنى بتوفير مختلف عناصر المخزون، أما الإمداد فهو يشمل عمليات النقل والصيانة وترتيب السلع، والمواصفة ISO 14001 حتى يكون التحكم في تأثيرات المؤسسة بشكل محكم، وللحصول على منتج على درجة من المواصفات فهي تتخطى العملية الإنتاجية التقليدية، بل منذ البداية تختار المواد الأولية التي تؤهلها لإنتاج المنتج اللائق الذي لا تكون تأثيراته بارزة على البيئة، أي تشمل العلاقات مع الموردين، من هنا التأثير يصبح يمس الوظيفة الإمداد والتموين فتصبح هي من تدبر تلك المواد الأولية وتضمن عملية نقلها وترتيبها وصيانتها بالشكل المطلوب الذي أوصت المواصفة، أي الإمداد والتموين أصبح يبحث جودة المواد التي تدخل في إنتاج المنتج وجودة عملية نقلها.

د.التأثير على وظيفة البحث والتطوير: عادة ما تتأثر هذه الوظيفة لاحقا وبعد عدة سنوات من الحصول على الشهادة، لأنها تنتج عن التغيرات الحاصلة في الوظائف الأخرى وبالأخص في الوظيفة الإنتاجية، حيث عندما تتحكم المؤسسة في التكاليف وتتجنب الحوادث وتقلل التأثيرات وتقلل من استهلاك الطاقة، ما يؤدي إلى تخفيض نفقات المؤسسة، فتتوجه الأموال المحصلة إلى نشاطات البحث والتطوير في المؤسسة، كما تتأثر هذه الوظيفة أيضا مع الوقت بالموارد البشرية فعندما توظف المؤسسة أفراد لهم كفاءة، وتوفر لهم التكوين اللازم والجو المناسب للعمل في فرق، ما يؤدي بهم إلى تصور وإبداع منتجات وسيرورات عمل جديدة ذات تأثير أقل على البيئة، وتكاليف أقل بمردودية أكبر.

ه.التأثير على وظيفة الموارد البشرية: إن حشد وتعبئة مجموع الأفراد في المؤسسة، حول المشروع المشترك للمؤسسة، يقوي التماسك الداخلي، فوظيفة المواد البشرية تصبح مركز رهانات ISO 14001 التي من نتائجها التي يمكن التعبير عنها

---

[1] Sandrin Berger – *La certification, ISO 14001 catalyser des changements organisationnels ? L'expérience deux maisons de champagne*, Conférence de L'AIMS, ESCP, Paris du 5 au 7 juin 2002, p : 7.

[2] Ibidem

[3] Ibid, p:8.

في شكل التوظيف واحتياجات التكوين الخاصة ببعض التطبيقات للأجراء أو الأفراد وهذا ما يؤدي إلى التأثير في سلوكات الأفراد في أماكن العمل وحتى خارج أماكن العمل.

و.التأثير على الوظيفة المالية: إذا كانت الوظيفة المالية تهتم بكل ما يتصل بمصادر الحصول على الأموال وحسن استخدامها ومن ضمن أهدافها هو تحقيق أكبر رصيد نقدي للمؤسسة وأقصى الفوائد الممكنة للمؤسسة، فإذا أبدت للمؤسسة نيتها في توطين إدارة البيئة فهي في حاجة إلى أموال حيث تضع هذه الوظيفة على عاتقها تدبير هذه الأموال لتغطية تكاليف الإشهاد، الاستشارة الخارجية، التكوين والتدريب الخارجي وتكاليف التحليل الابتدائي، أمام كل ذلك إذا بادرت المؤسسة في هكذا مشروع فتؤدي إلى تحسين العلاقة مع مختلف الشركاء والفاعلين في المؤسسة من بينهم تحسين العلاقة مع البنوك ومراكز التأمين فتصبح الوظيفة المالية من السهل لها الحصول وتدبير الأموال بمزايا أحسنت خاصة وأن العديد من البنوك ومراكز التأمين حملت على عاتقها مساعدة المؤسسات التي تحمل على عاتقها حماية البيئة وكذلك بعض الهيئات الدولية تقدم مساعدات مالية للمؤسسة المندمجة في هذا المسعى.

كما تؤثر المواصفة ISO 14001 أيضا على علاقة المؤسسة بمختلف الأطراف فهناك من يعتبرها على أنها وسيلة حوار لأنها تغذي الثقة والاشتراك في مقايسة ومقاسمة المعلومات بين مختلف الأطراف من زبائن، وموردين، وجمهور، وبنوك.

IV: مكاسب تطبيق نظام الإدارة البيئية ايزو 14001 على المؤسسة الاقتصادية.

أ.اقتصاديا: الذي يكبح عادة المبادرة بوضع نشاطات باتجاه البيئة هو التكاليف المرتفعة، هذه التكاليف التي ترتبط خاصة بالاستثمار في التكنولوجيا الجديدة أو المستعملة، في مقابل ذلك فإن توطين نظام الإدارة البيئية يسمح لنا من خلال مدخل نظمي بتقدير تكاليف الاستثمار وتقييم الوفورات المحققة وزمن الاهتلاك، كما يمكن من حل الكثير من المشاكل دون الحاجة إلى أجهزة مرتفعة الأسعار، وذلك من خلال التخطيط والتنفيذ وإتباع نظم الإدارة البيئية الناجحة والالتزام بالقواعد بثبات وكفاءة في الأداء، ويحسن من القدرة على مراقبة النفقات لأنه يبحث في الاقتصاد في الموارد (مواد أولية) والتحكم في الفضلات والنفايات، ويسمح بتخصيص الاستهلاك في الطاقة والماء وتقييم نقاط ضعف الموقع المدروس وعموما يمكن إجمال المزايا الاقتصادية فيما يلي:

تحسين الكفاءة الإنتاجية من خلال[1]:

- ترشيد استخدام المواد وتقليل هدر الطاقة.
- زيادة كفاءة أداء العاملين بفضل البرامج التدريبية وانتقاء الكفاءات.
- تقليل بنسب المعيب في الإنتاج.
- زيادة إنتاجية العاملين بجعل محيط العمل مناسبا بيئيا، إذ أشارت بعض الدراسات، إلى أن الأبنية المناسبة بيئيا يمكن أن يزيد من إنتاجية العاملين إلى 15 %.
- تحسين الأداء البيئي من خلال تقليص معدل الانبعاث للهواء، وتقليل كمية النفايات، وإعادة استخدام المواد[2]، ما أنه وفقا لنظام الإدارة البيئية ISO 14001 فالمؤسسة تحدد أسباب المشاكل البيئية التي تواجهها المؤسسة وتحاول إزالة هذه الأسباب، أي لا تهتم المؤسسة"ماذا حدث" بل تبحث "لماذا حدث؟" لهذا فتحديد وتصحيح النظام من أي خلل سيؤدي في النهاية إلى أداء بيئي عالي.

ب.تجاريا:[3]

---

[1] محمد زرقون، بوحفص رواني، نظام الإدارة البيئية كمدخل لتحقيق التميز في المؤسسة الاقتصادية، مداخلة في الملتقى الثاني حول تسيير المؤسسات، يومي 26/ 27، نوفمبر 2007، جامعة 08 ماي، قالمة،الجزائر ص 28

[2] نفس المرجع السابق، ص 28.

[3] Eric Bezou, *Système de management environnementale, Audit, certification et règlement ECO-AUDIT*, Afnor, France, 1997, pp : 172-173.

تحسين صورة العلامة: بحيث يعطي صورة حسنة على المؤسسة ويضمن للزبائن والمستهلكين أنها لا تلحق أضرارا بالبيئة، ليس بالضرورة امتلاك المؤسسة للنظام الإدارة يترجم إلى رفع الحصة السوقية، ولكنه يسمح بتقييم المهارة الحقيقية للمؤسسة، ويشكل ورقة رابحة إضافية لها في المخطط التنافسي.

- **شرط جديد لدخول الأسواق:** فمثل هذا الاختيار – اختيار الإشهاد وفق المواصفة ISO 14001 يملى من مطالب الزبائن، أيضا أصبح الإشهاد مطلبا أساسيا لدخول الأسواق العالمية، مما يجعل المؤسسة الحاصلة على الإشهاد وفق نظام البيئية ISO 14001، لها أفضلية تنافسية مما يرفع من فرص المؤسسة للحصول على زبائن جدد في السوق.
- تحسين العلاقة مع المستهلكين[1].

كما يمكن الحصول على شهادة ISO 14001 من الحصول على الفوائد التالية:

ج. قانونيا:[2]

- **تقرير التوافق مع التشريعات والتعليمات:**الالتزام بالمواصفة ISO 14001، يحسن من إدارة التوافق مع القوانين والتعليمات ذات العلاقة في المنظمات، ويُشكل شبكة آمان تحمي من المسؤولية القانونية لا سيما يسبب تنامي وتصاعد التشريع البيئي.
- **الحصول على حوافز من السلطات المعنية:**كالتفتيش الأقل تكرارا، لتسهيل منح التصريحات الصناعية وتخفيض الغرامات والعقوبات ومتطلبات أقل صرامة.

د.اجتماعيا[3]: منع التلوث وحماية البيئة عن طريق التنمية المستدامة يشكل الادخار الحقيقي غير المرئي الذي تسهم فيه المواصفة.قد يسهم في معالجة مشاكل كالاحتباس الحراري وثقب الأوزون التي أصبحت تهدد مستقبل البشرية من خلال توفيرها الأسس الداعمة لتلك الجهود.

ه.إداريا[4]:

- تحسين الإجراءات المتبعة والتوثيق وتقليل الهدر الإداري.
- الاستفادة من مراجعة الإدارة لأنظمة إدارة البيئة داخلا كآلية إدارية متميزة تسهم في التحسين المستمر لأداء المنظمة.
- تحسين التعاون والتنسيق بين إدارات المنظمة المختلفة، وتحسين الاتصالات الداخلية.
- تعرف العاملين الجدد على الأعمال المطلوبة منهم بسرعة، بفضل التوثيق الواضح للمسؤوليات والصلاحيات والتعليمات العمل.
- تكامل الأنظمة الإدارية إذ أن تنفيذ المواصفة يزود المنظمة بمدخل نظمي يؤثر على بقية أقسام المنظمة ويسهم في استقرارها وثباتها.

و.ماليا[5]: الحصول على رأسمال بكلفة منخفضة من المصاريف وصناديق القروض للمنظمات التي بها نظام الإدارة البيئية والمسجلة، إذ أصبحت المصارف تضع حواجز بيئية أمام المتقدمين لطلب القروض يتوجب عليهم تخطيها وهناك تجارب عديدة في هذا المجال يقف مصرف "رويال" بكندا في مقدمتها.

- تسهم في جذب رؤوس الأموال الأجنبية للعديد من الدول التي كانت المخاطرة البيئية إحدى عوائق الاستثمار.

---

[1] حمد عبد الوهاب العزاوي، مرجع سابق، ص 239

[2] نفس المرجع السابق

[3] نفس المرجع السابق، ص: 240

[4] نفس المرجع السابق، ص: 241

[5] نفس المرجع السابق

V-الخلاصة:

لا يختلف اثنان عن اعتلاء القضايا البيئية سلم القضايا العالمية، فبعد عقود من الإجحاف في حق البيئة والاكتراث فقط بالجوانب الاقتصادية والمادية المحضة، بدأ العالم يجني عواقب ما صنعه من ظهور أمراض لم تكن معروفة من قبل وكوارث طبيعية يعلمها الخاص والعام.

حينها فقط تحرك العالم لإيجاد حلول لمثل هذه القضايا، فتحركت المنظمات الحكومية وغير الحكومية من أجل حل هذه المشاكل وقد تجسد كل ذلك في العديد من الملتقيات والمؤتمرات، وكان من بين المسؤولين عن تلك الكوارث هي المؤسسة الصناعية وكان لابد منها انطلاقا بالتحري بمنطق وروح المسؤولية أن تقدم شيء ملموسا لحل ولو بجزء من هذه القضايا والتصالح مع البيئة والأطراف المدافعين عنها، من بينهم زبائن المؤسسة نفسها، فأتفق الجميع أنه لا يوجد أفضل من توطين نظام من أنظمة إدارة البيئة، الذي لم يخفض الكثير من الأضرار على البيئة فقط بل كانت له العديد من المزايا والتأثيرات الإيجابية على وظائف والتغيرات التنظيمية الهامة على المؤسسة.

النتائج

بناء على ما تم دراسته في هذه الدراسة يمكن استخلاص الاستنتاجات التالية:

1. تعد المواصفة الدولية ايزو14001 الأكثر قبولا وانتشارا بين المواصفات الأخرى، كونها تعتبر من مخرجات المشاورات الدولية التي استجابت إلى الجهود الرامية إلى تسهيل التجارة الدولية وتخفيف العقبات الفنية المتعلقة بالبيئة، فهي توفر إطارا تنظيميا في تسيير الالتزامات والمعاهدات الدولية.
2. يأتي اقتناع المؤسسة الاقتصادية بتوطين نظام إدارة البيئة من إدراكها بالرهانات الجديدة التي تستخدم في الميدان لا سيما في ظل المنافسة الشديدة فيما بينها خاصة مع ظهور زبائن جدد لديهم حس بيئي.
3. تعتبر نظام الإدارة البيئية المتوافق مع المواصفة ايزو14001 ، ذات مسعى طوعي ومرن للمؤسسات يساعدها على التحكم في جوانها البيئية البارزة على البيئة .
4. التطبيق الفعال الكفء لنظام الإدارة البيئية 14001 له أثر مهم على الجانب التنظيمي للمؤسسة ، وتأثيرات إيجابية على أهم وظائف المؤسسة.
5. التوطين السليم لنظام الإدارة البيئية ايزو14001 يكسب المؤسسة العديد من المزايا الاقتصادية والاجتماعية والتجارية والبيئية لأن المشروع الذي يضمن مصالح الجميع مشروع لا يفشل .

الاقتراحات

انطلاقا من النتائج التي توصلنا إليها يمكن اقتراح بعض الاقتراحات التي من شأنها أن تساعد المؤسسة على الحصول على شهادة نظام الإدارة البيئية وفق المواصفة 14001 حتى تكسب المشروع القوة والمرونة اللازمتين حتى يحقق النتائج المرجوة منه ويؤثر تأثيرا إيجابيا على وظائف المؤسسة :

1. تنمية آليات التحفيزات المتعلقة بالأداءات البيئية للأفراد داخل المؤسسة، لدفع الأفراد إلى استغلال كل جهودهم في مكافحة التلوث.
2. زرع الوعي بأهمية وفوائد المحافظة عل الجودة والبيئة في المؤسسات.
3. على المؤسسات أن تكون دائما في حالة ترصد وترقب، عسى أن تنجح في تقليد أفضل الممارسات المستخدمة في المجال البيئي خاصة من منافسيها لجذب أكبر قدر من المستهلكين الذين لديهم وعي بيئي.
4. إثارة نقاشات صريحة بين المسؤولين في المؤسسة (Brainstorming) باستعمال نفس التقنيات في إدارة فرق العمل لتحديد معالم السياسات البيئية للمؤسسة وضمان مشاركة الجميع في المسعى البيئي.

5.يجب أن تنطلق المؤسسة في حماية البيئة من ايمان عميق وراسخ من الإدارة العليا وإعطائها الأولوية حتى يتم إيصال ذلك الإلزام الفعال والجدي الى كل المستويات الأخرى من فكرة أن البيئة لابد أن تحترم.

6. رفع مستوى الوعي البيئي لدى العمال وتحفيزهم وتدريبهم من خلال دورات تكوينية حتى يتمكن كل فرد في المؤسسة أن يقلل من أثار المؤسسة على البيئة على حسب قدر مستواه ومقدرته، وتشجيع الاجتماعات داخل أقسام المؤسسة لتسريع وتسهيل وصول المعلومات البيئية لكل الأفراد.

7. على الدولة منح امتيازات للمؤسسات الحاصلة على شهادة المطابقة الدولية ايزو 14001، كالمساعدات المالية والتخفيف من الضرائب، وأن تكون هذه الشهادة إحدى عناصر المفاضلة في المناقصات العامة حتى تشجع المؤسسات على الانخراط في مثل هذا المسعى .

دور الحوكمة في جذب الاستثمار الأجنبي المباشر في الجزائر

أ. مهداوي زينب
كلية العلوم الاقتصادية والتجارية
وعلوم التسيير- جامعة بشار

الملخص:

يركز البحث على دور حوكمة الشركات في الإصلاح الاقتصادي، من أجل النهوض بالاقتصاديات النامية وتعزيز الاقتصاديات المتقدمة، فضلا عن بيان دورها في جذب الاستثمارات ودعم القرارات الاستثمارية من خلال تحسين أداء الشركات، وتعزيز الإفصاح والشفافية وتوفير القوائم المالية الموثوق بها والخالية من الغش والأخطاء، وتوفير المعلومات اللازمة والمناسبة في الوقت المناسب للمستثمرين وأصحاب المصالح والمجتمع .

الكلمات المفتاحية : الحوكمة، الاستثمار الأجنبي المباشر، الجزائر

abstract:

The research focuses on the role of corporate governance in the economic reform, for the advancement of developing economies and enhance the advanced economies, as well as the statement of its role in attracting investment and supporting investment decisions by improving corporate performance, enhance disclosure and transparency and the provision of financial statements reliable and free of fraud and errors, and provide information necessary and appropriate at the right time for investors, stakeholders and society.

Key words: governance, foreign direct investment, Algeria

تمهيد: تعد الحوكمة من ابرز واهم الموضوعات في المؤسسات والمنظمات الإقليمية والدولية، وقد تعاظم الاهتمام بهذا الموضوع في العديد من الاقتصاديات المتقدمة والناشئة خلال السنوات الماضية وخاصة بعد سلسلة الأزمات المالية المختلفة التي حدثت في العديد من الشركات في دول شرق أسيا وأمريكا اللاتينية وروسيا في عقد التسعينات من القرن الماضي والتي فجرها الفساد المالي وسوء الإدارة ولافتقارها للرقابة والخبرة والمهارة، بالإضافة إلى نقص الشفافية، حيث أدت هذه الأزمات والانهيارات إلى تكبد كثير من المساهمين بخسائر مادية فادحة مما دفع العديد من المستثمرين للبحث عن الشركات التي تطبق مفهوم حوكمة الشركات. وقد تزايدت أهمية الحوكمة نتيجة لاتجاه كثير من دول العالم إلى التحول إلى النظم الاقتصادية الرأسمالية التي يعتمد فيها بدرجة كبيرة على الشركات الخاصة. نتيجة لكل ذلك زاد الاهتمام بمفهوم حوكمة الشركات وأصبحت من الركائز الأساسية التي يجب إن تقوم عليها الوحدات الاقتصادية. كما أن لحوكمة الشركات دور رئيسي في جذب الاستثمارات الأجنبية داخل أي دولة وبخاصة في الدول ذات الاقتصاديات الناشئة والتي هي في أمس الحاجة إلى تلك الاستثمارات لإنشاء وتطوير البنية التحتية لها.

" فما مدى فاعلية تطبيق مبادئ الحوكمة في جذب الاستثمار الأجنبي إلى الجزائر ؟ "

أولا: الإطار النظري للحوكمة

1.تعريف الحوكمة: على المستوى العالي لا يوجد تعريف موحد متفق عليه بين كافة الاقتصاديين والقانونيين والمحللين والأكاديميين لمفهوم الحوكمة، ويرجع ذلك إلى تداخله في العديد من الأمور التنظيمية والاقتصادية والمالية والاجتماعية للشركات وهو الأمر الذي يؤثر على المجتمع والاقتصاد ككل، وفيما يلي مجموعة من التعاريف المتعلقة بهذا المفهوم[1]:"هو مجموعة من الطرق والتي يمكن من خلالها أن يتأكد المستثمرون من تحقيق ربحية معقولة لاستثماراتهم"

[1]. **سليمان محمد مصطفى**، حوكمة الشركات " ودور أعضاء مجالس الإدارة والمديرين التنفيذيين"، ط:1، الإسكندرية، الدار الجامعية، 2008، ص 14-15.

كما يمكن تعريفها " بأنها العلاقة بين عدد من الأطراف والمشركين التي تؤدي إلى تحديد التوجيه الرشيد لأداء المنظمة بمعرفة كل من "حملة الأسهم والإدارة ومجلس الإدارة "[1]

وتعرف أيضا على أنها "نظام للرقابة المالية والغير مالية الذي عن طريقه يتم إدارة الشركة والرقابة عليها"[2]

كما يقول جيمس ولفتون أحد أكبر خبراء الحوكمة في و.م.أ:

"إن حوكمة الشركات هي مجموعة من الأطر التنظيمية والهيكلية وعمليات التحكم وتوجيه الشركات وتنظيم العلاقة بين الإدارة والملاك والمساهمين الرئيسين والأجانب وأصحاب المصالح الأخرى "[3]

وعليه الحوكمة هي وجود نظم تحكم العلاقات بين الأطراف الأساسية التي تؤثر في الأداء، كما تشمل مقومات تقوية المؤسسة على المدى البعيد وتحديد المسؤول والمسؤولية.

2.أهمية الحوكمة: ترجع أهمية الحوكمة إلى العمل على كفاءة استخدام الموارد وتعظيم قيمة الشركة وتدعيم تنافسيتها في الأسواق بما يمكنها من جذب مصادر تمويل محلية وعالمية للتوسع والنمو، وأيضاً يجعلها قادرة على خلق فرص عمل جديدة، مع الحرص على تدعيم استقرار أسواق المال والأجهزة المصرفية، مما يؤدي إلى تحقيق الكفاءة والتنمية الاقتصادية المطلوبة، مع أنه بالإضافة لما سبق يمكننا أن نوضح أهمية الحوكمة من خلال النقاط الآتية[4]:

– إن تأكيد مسؤوليات الإدارة وتعزيز مساءلتها وتحسين الممارسات المحاسبية والمالية والإدارية، والتأكيد على الشفافية، كل ذلك من شأنه المساعدة على سرعة اكتشاف التلاعب والغش المالي والفساد الإداري واتخاذ الإجراءات الواجبة بشأنه وعلاج أسبابه وآثاره قبل تفاقمها وتأثيرها على حياة الشركة.

– تأكيد مسؤوليات الإدارة وتعزيز مساءلتها أيضاً وحماية أصول الشركة وكذلك حماية حقوق المساهمين وغيرهم من أصحاب المصالح في الشركة، وتعزيز دورهم في مراقبة أداء الشركة والتأكيد على الشفافية، كل ذلك من شأنه أن يقي الشركة والعاملين فيها من التلاعب والغش المالي والغنى الفاحش والفساد الإداري والأزمات والإفلاس..

– إن تحسين أداء الشركة وقيمتها الاقتصادية وقيمة أسهمها، وكذا تحسين الممارسات المحاسبية والمالية والإدارية فيها ونزاهة تعاملاتها وعدالتها وشفافية المعلومات الصادرة عنها، كل ذلك من شأنه أن يقوي قدرات الشركة التنافسية وكذلك قدراتها على جذب الاستثمارات والنمو.

3.آليات حوكمة الشركات والمبادئ: في هذا الجزء نتناول ما يلي[5]:

1.3.مبادئ: منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في مجال حوكمة الشركات وآليات تشغيل هذه المبادئ:

إن هذه المبادئ وضعت بهدف أن تكون بمثابة نقاط مرجعية يمكن استخدامها في إعداد الأطر القانونية والتنظيمية لأساليب حوكمة الشركات (آليات حوكمة الشركات) والتي تعكس الظروف الاقتصادية والاجتماعية في البيئة التي تتم فيها ممارسات الحوكمة، وقد تناول الإصدار الأول سنة 1999 لهذه المبادئ خمسة مجالات هي:

أ- حقوق المساهمين.

ب- المعاملة المتكافئة للمساهمين.

ج- دور أصحاب المصالح.

---

[1]. **العشماوي محمد عبد الفتاح وعطا الله وارد خليل**، حوكمة المؤسسة " المدخل لمكافحة الفساد في المؤسسات العامة والخاصة " ،الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الحرية للنشر والتوزيع، 2008 ،ص 31.

[2]. **سليمان محمد مصطفى**، حوكمة الشركات في معالجة الفساد المالي والإداري " دراسة مقارنة"، ط:2، الإسكندرية، دار الجامعية، 2009، ص 17.

[3] .www.mofdgoia.gov.sd./boshari.pdf

[4]. **عدنان بن حيدر بن درويش**، حوكمة الشركات ودور مجلس الإدارة، اتحاد المصارف العربية، 2007، ص22.

[5]. **عدنان بن حيدر بن درويش**، مرجع سابق، ص 44-50.

د- الإفصاح والشفافية.

هـ- مسؤوليات مجلس الإدارة.

وتعد المبادئ دائمة التطور بطبيعتها في ضوء التغيرات في الظروف البيئية المحيطة، ومن ثم فقد تمت مراجعة هذه المبادئ وتضمنت بالإضافة إلى المبادئ السابقة مبدأ جديداً، يتعلق بتوفير الأسس اللازمة لتفعيل إطار حوكمة الشركات من أجل رفع مستوى الشفافية وأن يتوافق هيكل الحوكمة مع الإطار القانوني ويحدد بدقة مسؤوليات الهيئات المختلفة المسؤولة عن الإشراف والرقابة.

وبالنظر للمبادئ السابقة يتضح أنها تضمنت مجموعة من الآليات التي يتم استخدامها لتنفيذ مبادئ الحوكمة في التطبيق العملي فهناك:

أ. الآليات القانونية: وهي تختص بتطوير النظام القانوني بما يضمن توفير الإطار القانوني الملائم لتحقيق أهداف حوكمة الشركات.

ب. الآليات الرقابية: لتحقيق حوكمة الشركات مثل التحديد الدقيق لمسؤوليات الهيئات المختلفة المسؤولية عن الإشراف والرقابة.

ج. وهناك الآليات التنظيمية والتي تختص بتطوير الهيكل التنظيمي للشركات بالشكل الذي يحقق أهداف الحوكمة مثل التحديد الواضح لاختصاصات مجلس الإدارة واللجان المختلفة.

د. الآليات المحاسبية والتي تختص بوجود نظام فعال لإدارة التقارير المالية يتسم بالشفافية ويوفر المعلومات الملائمة والتي يمكن الاعتماد عليها بصورة متكافئة من جميع المستخدمين في اتخاذ القرارات المختلفة وبدراسة الآليات المختلفة للحوكمة نجد أن بينها علاقات تأثيرية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد أن وجود قانون فعال للشركات يحدد السجلات المحاسبية التي يجب إمساكها والقوائم المالية التي يجب نشرها من الممكن أن يؤدي إلى تفعيل الآليات المحاسبية المتعلقة بإعداد التقارير المالية وبما يحقق الإفصاح والشفافية من اجل الوفاء بمتطلبات هذا القانون، وهكذا...

وأيضاً، قد تضمن المبدأ الخامس والخاص بالإفصاح والشفافية مجموعة من الآليات المحاسبية التي يتم استخدامها لتقديم منتج بمواصفات جودة معينة ويتم التشغيل وفقاً لمجموعة من المعايير الإنتاجية (معايير محاسبية) مع ضرورة تحقيق الرقابة على مراحل الإنتاج المختلفة (آليات الرقابة على إنتاج المعلومات) ويمكن تلخيص هذه الآليات على النحو التالي:

أ. آليات المعايير المحاسبية: يجب إنتاج المعلومات المحاسبية والإفصاح عنها وفقاً لمجموعة من المعايير المحاسبية (معايير الإنتاج).

ب. آليات قياس الجودة: يجب توفير قنوات لنشر المعلومات بمواصفات جودة معينة مثل التوقيت المناسب وأن تكون المنافع من المعلومات أكبر من تكاليف إنتاجها بالإضافة إلى ملاءمتها لاحتياجات المستخدمين.

ج. آليات الرقابة على إنتاج المعلومات: يجب توفير مجموعة من آليات المراجعة للتأكد من صحة المعلومات التي تم إنتاجها. وبدراسة الآليات السابقة والتي تضمنها المبدأ الخامس، يلاحظ أن هناك علاقة تداخلية تبادلية مع الآليات التي تتضمنها المبادئ الأخرى.

2.3 مبادئ: معهد التمويل الدولي في مجالات حوكمة الشركات والآليات اللازمة لتشغيل هذه المبادئ:

تناول معهد التمويل الدولي مبادئ حوكمة الشركات في خمسة مجالات هي:

أ. حماية حقوق المساهمين.

ب. هيكل ومسؤوليات مجلس الإدارة.

ج. المحاسبة والمراجعة.

د. الشفافية في هيكل الملكية والرقابة.

هـ. البيئة التنظيمية.

واهتم معهد التمويل الدولي بوضع الخطوط الإرشادية لتحقيق التطبيق العملي لهذه المبادئ في صورة مجموعة من الآليات يتم تطبيقها بما يتناسب مع الظروف البيئية الخاصة بكل دولة.

وقد أمكن تصنيف هذه الآليات إلى:

أ. مجموعة آليات تنظيمية تختص بممارسات وسياسات الشركات.

ب. مجموعة آليات رقابية تختص بقواعد القيد بالبورصات المالية.

ج. مجموعة آليات قانونية تختص بقوانين الشركات والتأمين.

3.3.مبادئ خدمة الشركات في الولايات المتحدة الأميركية والآليات اللازمة لتشغيل هذه المبادئ:

قامت بورصة نيويورك للأوراق المالية بتطوير مجموعة المعايير لوضع مبادئ حوكمة الشركات موضع التطبيق العملي للشركات المسجلة في البورصة وقد تم تناول المجالات التالية:

أ. المديرون والآليات اللازمة لتحقيق الاستقلال لهم.

ب. تشكيل لجان مجلس الإدارة (لجنة تعيين الأعضاء والحوكمة، لجنة المكافآت والتعويضات، لجنة المراجعة) ويجب وضع ميثاق عمل مكتوب لكل لجنة من اللجان المختلفة يتم فيه التحديد الواضح لأهداف ومسؤوليات اللجنة بالإضافة إلى آليات التقييم السنوي لأعمال اللجنة.

ج. تفعيل الدور الرقابي للمساهمين من خلال مشاركتهم في جميع القرارات الجوهرية بالشركة.

د.الإفصاح عن الخطوط الإرشادية التي تم إتباعها لتطبيق مبادئ الحوكمة مع توفير فرص متكافئة لكافة المساهمين للحصول على هذه المعلومات.

هـ. توثيق الالتزام بإتباع معايير حوكمة الشركات من خلال شهادة سنوية تصدر عن الشركة تؤكد عدم الإخلال بأي من المعايير السابقة وهناك إمكانية لإصدار خطاب من البورصة لإنذار الشركات في حال مخالفة معايير الحوكمة.

وبتحليل المعايير السابقة يلاحظ أنها ركزت على تفعيل آليات الرقابة على إنتاج المعلومات من خلال لجنة المراجعة مع ضرورة توثيق الالتزام بإتباع المعايير من خلال شهادة سنوية تصدر عن الشركة تؤكد عدم الإخلال بأي من معايير الحوكمة.

خلاصة: من السطور السابقة تم التعرف على المبادئ والآليات المختلفة اللازمة لوضع هذه المبادئ موضع التطبيق بصفة عامة مع التركيز على الآليات المحاسبية بصفة خاصة وقد اتضح ما يلي:

أ. الأهمية النسبية للآليات المحاسبية كمحور ارتكاز لآليات حوكمة الشركات نظراً للعلاقة التبادلية والتأثيرية التي تربطها بالآليات الأخرى مثلاً، إن وجود قواعد محددة لمتطلبات الإفصاح والشفافية آليات رقابية للشركات التي يتم قيد أوراقها المالية بالبورصات من الممكن أن يؤدي إلى تفعيل الآليات المحاسبية اللازمة لتحقيق تلك المتطلبات.

ب. تم تلخيص أهم الآليات المحاسبية اللازمة للوفاء بمتطلبات الحوكمة في الآتي:

1-آليات المعايير المحاسبية.

2-آليات قياس الجودة.

3-آليات الرقابة على إنتاج المعلومات.

ج. المبادئ والآليات دائمة التطور بطبيعتها في ضوء التغير في الظروف البيئية المحيطة، وبالتالي يجب تطبيقها بما يتناسب مع البيئة الخاصة بكل دولة.

ثانيا:حوافز جذب الاستثمار الأجنبي

1.تعريف الاستثمار الأجنبي المباشر: يعرف الـ FMI الاستثمار الأجنبي بأنه مباشر حين يمتلك 10% أو أكثر من أسهم رأسمال إحدى مؤسسات الأعمال، على أن ترتبط هذه الملكية بالقدرة على التأثير في إدارة المؤسسة، وبذلك يختلف عن الاستثمار في المحافظ والصناديق الاستثمارية التي تقوم بشراء أصول الشركات بهدف تحقيق عائد مالي دون التحكم في إدارتها[1].

ويعبر الاستثمار الأجنبي المباشر حسب Rymand bernard عن مساهمة رأسمال مؤسسة في مؤسسة أخرى، يتم ذلك بإنشاء فرع لها في الخارج أو الرفع من رأسمالها، أو قيام مؤسسة أجنبية رفقة شركاء أجانب، أو هو وسيلة تحويل الموارد الحقيقية ورؤوس الأموال من دولة إلى أخرى، وخاصة عند الابتدائية عند إنشاء المؤسسة"[2].

ومن خلال هذين التعريفين نستخلص التعريف التالي للاستثمار الأجنبي المباشر:

هو قيام طرف أجنبي بالاستثمار في الموجودات في دول أخرى ويكون للمستثمر دور فعال في إدارة موجوداته من خلال تأسيس الشركات أو المشاركات أو الاندماج مع شركة وطنية...الخ، أي بمعنى أخر هناك موجودات للشركة الأم في الدول المضيفة ويدخل أيضا ضمن هذا النشاط عملية الخوصصة أي شراء الأجانب لشركات أو جزء منها في الدول المضيفة.

فالاستثمار الأجنبي المباشر يكون بواسطة الشركات المتعددة الجنسيات لأنها تمتلك البنى والهياكل التي تقوم بعملية الاستثمار في الخارج، وقد يتم تمويل هذه الاستثمارات من الأموال المملوكة والأرباح المحتجزة والقروض التي تحصل عليها سواء من الشركات الأم أو المؤسسات الأجنبية والمحلية، وعادة ما تقوم الشركات متعددة الجنسيات باستثماراتها في دول تتوفر على الموارد الطبيعية والسوق المناسبة والموارد البشرية الكفأة للقيام بالعملية الإنتاجية.

2.المحددات الأساسية لجذب الاستثمار الأجنبي المباشر: تعتبر بمثابة الشروط الإلزامية لجذب الاستثمار الأجنبي وأهمها[3]:

أ. **توفر الاستقرار السياسي**: حيث أن توفر استقرار النظام السياسي شرط أساسي لا يستغنى عنه، ويتوقف عليه الاستثمار حتى إذا كانت المردودية المتوقعة للاستثمار كبيرة فلا يمكن الاستثمار في ظل غياب الاستقرار السياسي.

ب. **توفر الاستقرار الاقتصادي**: وهنا يتمثل في تحقيق التوازنات في الاقتصاد الكلي وتوفير الفرص الملائمة لنجاح الاستثمار ومن أهم المؤشرات الاقتصادية المعتمدة ما يلي:

- عناصر الاقتصاد الكلي: توازن الميزانية العامة، توازن ميزان المدفوعات، معدل التضخم؛
- السياسات الاقتصادية المنتهجة من طرف الدولة المضيفة: كالسياسات الاستثمارية سياسات التجارة الخارجية، الضريبة؛
- الحوافز المالية لجذب الاستثمار، كحرية تحويل الأموال(الأرباح الخاصة)، الحوافز الجبائية والجمركية؛

3. المناخ الاستثماري في الجزائر: يعتبر انطلاق بورصة الجزائر للقيم المنقولة وإنشاء سوق القيم المنقولة وكذا إنشاء سوق لقيم الخزينة العامة، واستكمال مشروع الإصلاحات الهيكلية للاقتصاد حسب البرنامج المتفق عليه مع صندوق النقد الدولي من أهم وأبرز ما حققته الجزائر من تطورات اقتصادية خلال العشرية الأخيرة .

يقسم المناخ الاستثماري في الجزائر إلى 3 عناصر أساسية :

1.1.3.الأداء الاقتصادي: إن النتائج الإيجابية للاقتصاد الجزائري تحققت نتيجة الإصلاح الشامل الذي ساعد على وقف التدهور الاقتصادي , وبدل جميع المعطيات والمؤشرات ومن أهداف هذا البرنامج :

- تحقيق الانفتاح الاقتصادي .

---

[1]. **حسان خضر**، "الاستثمار الأجنبي المباشر(تعاريف وقضايا)"، المعهد العربي للتخطيط، مجلة جسر التنمية، العدد33، سبتمبر 2003 السنة الثالثة، ص03.

[2]. **Raymand Bernard**,"économie financière International",EDPUF,Paris,1997,P91

[3]. **دلال بن سمية وصالح مفتاح**، واقع وتحديات الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول النامية دراسة حالة الجزائر، بحوث اقتصادية عربية، العددان 43-44، صيف- خريف، 2008، ص ص 110-111.

- خفض معدل التضخم الذي بلغ مستويات قياسية سنوات 94-98 .
- استقرار سعر صرف الدينار والتخلص من التقلبات الصعبة .
- زيادة معدل النمو الاقتصادي .
- استعادة قوة ميزان المدفوعات.
- التحكم في التوسع النقدي .
- التحكم في المديونية والحد من نموها وتخفيض تكلفة خدماتها.
- تحرير التجارة الخارجية في الاتجاهين.
- تحرير الأسعار واعتماد اقتصاد السوق.

2.3. التطورات التشريعية والإدارية: أدخلت الجزائر إصلاحات وتعديلات مختلفة على تشريعاتها وأنظمتها الإدارية المتعلقة بالاستثمار فأصدرت قانونا خاص يضمن الكثير من التحفيزات والتشجيعات, وأوكلت التعاطي مع المستثمرين إلى وكالة ترقية ودعم ومتابعة الاستثمار، وأعادت النظر في أنظمتها الجبائية والجمركية، وفي تشريعاتها الاجتماعية المتعلقة باليد العاملة، كما تم إنجاز مشروع المنطقة الصناعية الحرة.

نلخص أهم التطورات التشريعية والإدارية التي أنجزتها الجزائر على النحو التالي:

أ. القانون الجديد لدعم الاستثمار: ويتضمن محاور أساسية :

- **مبدأ الشفافية** : يقصد به كل المعلومات المتعلقة بالاستثمار ومحيطه ويجب أن تكون متوفرة بصفة عادية دون تمييز أو تكلفة ولا يتم تحقيق هذا المبدأ إلا بوجود شرطين: حرية الاستثمار وعدم التميز

حرية الاستثمار:[1] يضمن حرية الاستثمار لكافة المستثمرين وتوفير الحماية لهم بقوة القانون، كما يتم أخذ كل الاحتياطات الحمائية لصالح العام والمحيط والمستهلك . عدم التمييز:[2] عدم التمييز بين المستثمرين الأجانب ومعاملتهم بطريقة عادلة في مجال الحقوق والواجبات كالجزائريين خلال عملية الاستثمار.

- **مبدأ سهولة حركة رأس المال :** يضمن حرية تحويل العوائد الناجمة عن استثمار رأس المال ولتطبيق هذا المبدأ لابد من توفر شرطين هما حرية التحويل وحرية الدخول لأسواق العملة الصعبة والمتعلقة ب: وضع مبدأ ليبرالي في سوق الصرف الذي يشجع الوصول إلى نظام التحويل الشامل للعملة الصعبة وبتسعيرة موحدة وحرية تحويل رؤوس الأموال والأرباح دون قيد أو شرط. وأيضا تحديد التجارة الخارجية للحصول على تمويلات ضرورية لإنجاز واستغلال الاستثمارات. وضع سوق مالي مفتوح لرأس المال الأجنبي

- **مبدأ الاستقرار :** يؤدي هذا المبدأ دورا هاما في ترقية العلاقات الاقتصادية والسياسية لبلد ما مع مختلف دول العالم، وهذا نتيجة وجود الأخطار السياسة المتعلقة ب: نزع الملكية، الاستيلاء والتأميم، الحروب الأهلية والخارجية والانتفاضات، تحويل العملة الصعبة ورأس المال.

ب. وكالة ترقية الاستثمارات ودعمها ومتابعتها : أنشئت الوكالة لتكون المخاطب الوحيد للمستثمر ولتقدم له الشروحات والتوجيهات وتتابعه في مراحل استقرار المشروع والبدأ بالنشاط وتمنحه المساعدة والدعم حسب طبيعة المشروع كما تعمل على الترويج للفرص الاستثمارية .

ج. النظام الجبائي : يتضمن عدة بنود :

- الضريبة على الدخل مابين 0% و40% من المداخيل التي تتجاوز 60000 دج أما الشركات فتدفع ضريبة على ربحها الصافي بنسبة 30 %.

---

1. الأمر رقم 1-03 المؤرخ في 2001/08/20 المتعلق بترقية الإستثمار المادة 7 ص 5
2. الأمر رقم 1-03 المؤرخ في 2001/08/20 نفس المادة 14 ص 5

- الدفع الجغرافي 6% على الأجور والمرتبات .
- الضريبة على النشاط المهني 2.55 % على رقم الأعمال .

د. النظام شبه الجبائي : يتمثل أساسا في مساهمة أرباب العمل في النظام الاجتماعي ويعادل 24 % من الكتلة الأجرية الإجمالية.

ه. التشريع الاجتماعي : يتعلق بالعلاقة بين الدولة ورب العمل والعمال بالنسبة لليد العاملة المحلية، يبرم العقد بحرية مع العامل من دون تحديد المدة ولا مرتب شرط ألا يقل عن الحد الأدنى المحدد ثانويا وأما العامل الأجنبي يحتاج إلى إجازة عمل إذا تجاوز العقد 3 أشهر، وتمنحه المصالح المختصة رخصة تتراوح بين 3 أشهر وسنتين قابلة للتجديد .

3.3. المؤهلات الخاصة:تتمتع الجزائر بالكثير من المؤهلات الخاصة والعناصر التنافسية فلديها موقع جغرافي مميز يتوسط بلدن المغرب العربي وعلى مقربة أوربا وتمثل مدخلا لإفريقيا وتملك ثروة من الموارد البشرية وطاقات نباتية بكفاءات عالية، كما تملك كذلك قاعدة صناعية كبرى تم بنائها خلال عقود عدة إذ تحتاج إلى استثمارات في هذا المجال لزيادة الإنتاج بهدف كفاية السوق المحلية والتصدير مع العلم أن المؤسسات الاقتصادية الجديدة أنشأت وفق مواصفات عالية في حين عمدت الصناعات القديمة إلى برنامج تأهيل مواكبة التطور، ومن جهة أخرى باشرت الجزائر عملية الانضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة، وعقد الشراكة الأورومتوسطية، وهذا الأمر سيوسع من آفاق التصدير ويفرض مجالات لنجاح المشاريع الاستثمارية بالإضافة لما تملكه من بترول وغاز ومعادن نفيسة ومتنوعة، بالإضافة للإنتاج الفلاحي المتنوع وثروة كبيرة من المواد الأولية بالإضافة إلى مؤهلات أخرى.

حجم السوق: يبلغ سكان الجزائر أكثر من 30مليون نسمة، وتعتمد بشكل كبير على المواد لاستهلاكية والمصنعة والمستوردة.

السكك الحديدية: 4 آلاف كلم في حاجة لتأهيل.

الموانئ: تملك الجزائر 11ميناءا تقدم مختلف الخدمات.

المطارات : هناك 51 مدرجا منها 30 مدرجا مفتوحا للملاحة 12مطارا دوليا.

المحيط التقني : نسبة المتعلمين من السكان 70%

14جامعة تستوعب 40000 طالب، بالإضافة إلى أكثر من 500000 متدرب من التكوين المهني سنويا، وكذا الاتصالات الحديثة والمعلوماتية وتطبيقاتها المختلفة ويمثل النشاط الزراعي 44% من الدخل القومي.

3. **عوامل جلب الاستثمار الأجنبي للجزائر:** تلقى الاستثمارات الأجنبية اهتماما متزايدا لدول العالم خاصة دول العالم الثالث ولذلك تسعى كل دولة لتوفير العوامل التي تجعلها محط أنظار المستثمرين كما يلي:

1.3. العوامل الاقتصادية: إن المحيط الاقتصادي ،الملائم لجلب الاستثمار هو المحيط المتفتح على العالم الخارجي ولذلك قامت الجزائر بإصلاحات اقتصادية عميقة ملائمة للمستثمرين الأجانب من أجل إقامة المشاريع الاستثمارية ويمكن تقسيم العوامل إلى 03 مجموعات هي:[1]

أ. العوامل المرتبطة بالموقع وتوفير الموارد الأخرى : تتوفر الجزائر على المواد الأولية الضرورية لمختلف الصناعات خاصة الطاقوية منها بتكلفة رخيصة مقارنة بالأسواق العالمية، كما تتوفر على مناخ طبيعي ملائم لكل النشاطات الصناعية منها والزراعية والتجارية.

ب. العوامل المرتبطة بمزايا التكلفة في الإنتاج: يعد 70% من السكان شباب وهو ما يوفر يد عاملة متخصصة ورخيصة بالإضافة إلى توفر شبكة طرقات واسـعة وسكك حديدية مما يجعل تكلفة النقل رخيصة، بالإضافة إلى تدخل الخواص في النقل الجوي الذي يؤدي إلى تخفيض الأسعار نتيجة للمنافسة، كما تعد الجزائر موقعا رخيصا للاستثمار لخدمة الأسواق العالمية.

---

[1]. **قيبوعة مريم**،" دور بورصة القيم المنقولة في جلب رأس المال الأجنبي"، مذكرة ماجستير جامعة الجزائر دفعة ،2000، ص11.

ج. العوامل المرتبطة بحجم السوق والخدمات: سعة السوق الجزائرية المقدرة بأكثر من 30مليون مستهلك، وغياب المنافسة المحلية التي قد تشكل طريق على نجاح مشروع الاستثمار والخدمات المقدمة للمستهلكين غير مكلفة بالمقارنة مع الدول المتقدمة، ومعاملة تفضيلية للمشاريع الجادة والمهمة المؤدية لتنمية المناطق الصناعية المحلية والجديدة.

2.3. السلطات العمومية : على السلطات العمومية تقديم حوافز وضمانات وجعل السياسة المطبقة على الدول مستقرة من أجل كسب ثقة المستثمر، وتستخدم أيضا حوافز مالية وضريبية لجذب الاستثمار الأجنبي نذكر منها :

أ. إجراءات تشجيعية ذات طابع ضريبي:

- تقديم تخفيضات ضريبية لمدة معينة من حياة لمشروع.
- إهلاك المشاريع وقروض الضرائب .
- إعفاء الضريبة عند النشاط الإنتاجي .

ب. إجراءات تشجيعية ذات طابع مالي :

- منح القروض، وتوفير قروض بمعاملات تفضيلية .
- ضمانات تعويض القروض .
- ضمانات لتحويل الأرباح ولرأس المال .
- عدم التدخل في التسعير وترك الأمور لقوى العرض والطلب .

ج. إجراءات تشجيعية ذات طابع غير مالي :

- منح الأراضي وعمارات صناعية بأسعار منخفضة .
- المساعدات في إنجاز بعض المنشآت القاعدية .
- إنشاء المناطق الحرة .

د. إجراءات تشجيعية لخلق مناطق حرة :

- الإعفاء من الحقوق الجمركية .
- الإعفاء من رسوم استيراد المواد الأولية وسلع التجهيز ورسوم التصدير .
- التصدير وكل ما يتضمنه من تسهيلات وتشجيعات هامة كالتخفيضات الضريبية ومزايا أخرى.
- الإعفاء الجزئي أو الكلي من الضريبة على الأرباح خلال فترة معينة.

ثالثا:دور حوكمة الشركات في جذب الاستثمار وتطور الاستثمار الأجنبي في الجزائر

1. دور حوكمة الشركات في اجتذاب وتدعيم الاستثمار: تبرز أهمية الحوكمة في زيادة الاستثمار من خلال مبادئها التي من بينها توفير الحماية لحقوق المساهمين في الشركات وتحديد الحقوق لأصحاب الملكية، وتظهر أهميتها في هذا المجال في تنمية وتشجيع الاستثمار من خلال إرساء قواعد تؤدي بالنتيجة إلى زيادة ثقة المساهمين بالوحدة الاقتصادية، وذلك لان المستثمرون حالة ضرورية وحجر الزاوية في الوحدات الاقتصادية كافة، ويتم ذلك من خلال الشفافية في التعامل معهم فان حماية مصالحهم واطمئنانهم على أموالهم المستثمرة في الشركة يعد من الأولويات لدى الوحدات الاقتصادية، لان هذا يؤدي بالنتيجة إلى رفع أسعار أسهم الوحدة في السوق ودعم مركزها التنافسي مما يؤدي إلى جذب استثمارات جديدة. وتجنب الانزلاق في مشاكل محاسبية ومالية، بما يعمل على تدعيم واستقرار نشاط الشركات العاملة بالاقتصاد، ودرأ حدوث ألانهيارات بالأجهزة المصرفية أو أسواق المال المحلية والعالمية والمساعدة في تحقيق التنمية والاستقرار الاقتصادي، من خلال ترسيخ عدد من معايير الأداء بما يعمل على تدعيم الأسس الاقتصادية بالأسواق وكشف حالات التلاعب والفساد الإداري وسوء الإدارة بما يؤدي إلى كسب ثقة المتعاملين في هذه الأسواق والعمل على استقرارها والحد من التقلبات

الشديدة بها وبما يعمل على تحقيق التقدم الاقتصادي المنشود[1]. ومن جانب الآخر تؤدي الحوكمة إلى تطوير الأسواق المالية من خلال حماية المستثمرين، فالأسواق المالية والوسطاء الآخرين يساعدان في جلب الاستثمارات والمدخرات سوية من خلال وجود حلول خلاقة للمشاكل المالية التي يمكن أن تتعرض لها الأسواق المالية، واعتبر La porta أن حماية المستثمر ترتبط بكفاءة الحوكمة، والتي تسمح بتطوير الأسواق المالية والتخصيص الكفء لرؤوس الأموال من خلال الشركات فالنتيجة الهامة لتحليل حاجة الأسواق المالية إلى حماية المستثمر، تظهر متأصلة في الهياكل القانونية في كل دولة فالتحسين الهامشي لا ينتج عنه درجة ضرورية لحماية المستثمر وبالمقابل هناك نظم قانونية تؤكد على حماية المستثمر. وتعمل حوكمة الشركات على التحكم في أداء الشركة من خلال المساهمة في منع أو الحد من ارتكاب المخالفات والتصرفات الغير قانونية عن طريق التزامها بالقوانين واللوائح المنظمة لأعمال الشركة والتزامها بالمسؤولية الأخلاقية والبيئية، الأمر الذي يزيد من درجة الثقة في قوائمها المالية بما يؤثر على سلوك قرارات الاستثمار وبالتالي تداول أسهمها في الأسواق المالية. حيث تلعب دورا هاما في توفير تأكيد بمدى التزام جميع العاملين في الشركات بالمسؤوليات الأخلاقية بشأن تطبيق قواعدها، ويترتب على ذلك من اثر ملموس على مصداقية الإفصاح المحاسبي وبالتالي على تداول الأسهم في الأسواق[2].

هناك عدة طرق يمكن بها لحوكمة الشركات أن تساعد بها الشركات والاقتصاديات على اجتذاب الاستثمارات لتدعيم أساس الأداء الاقتصادي طويل الأجل والقدرة التنافسية وكالآتي:[3]

1. إن طلب الشفافية في عمليات الشركات ،وفي إجراءات المحاسبة والتدقيق، وفي عمليات الشراء، وفي كافة الأعمال، يؤدي إلى مهاجمة حوكمة الشركات لجانب العرض في عمليات وعلاقات الفساد، إذ أن الفساد يؤدي إلى استنفاد موارد الشركات ومحو قدرتها التنافسية، وإلى نفور المستثمرين بعيداً عنها.

2. إن إجراءات حوكمة الشركات تعمل على تحسين إدارة الشركة من خلال مساعدة مديري ومجالس الإدارة في وضع استراتيجيات سليمة للشركة، وضمان عدم القيام بعملية الاندماج والاستحواذ إلا لأسباب سليمة ومقنعة تدعو إليها حاجة الشركة، والتأكد من أن نظم المرتبات والمكافآت تعكس الأداء . وهذه الإجراءات هي التي تساعد الشركات على اجتذاب الاستثمارات بشروط مواتية وعلى تعزيز وتحسين أدائها.

3. إن إتباع معايير الشفافية في التعامل مع المستثمرين والدائنين، يؤدي إلى قيام نظام قوي لحوكمة الشركات يساعد على منع وقوع الأزمات الدورية في الجهاز المصرفي، حتى في الدول التي لا يتم فيها تداول معظم أسهم شركاتها في بورصات الأوراق المالية، كما يساعد اتخاذ الخطوة التالية على ضمان وجود طرق للتعامل مع حالات إخفاق وتوقف الشركات . مما يوفر التعامل العادل لكافة أصحاب المصالح بما في ذلك العاملين وأصحاب الشركة والدائنين.

4. لقد أظهرت الدراسات التي أجريت مؤخراً، أن الدول التي توافرت بها حماية أقوى لمصلحة الأقلية عن طريق حوكمة الشركات، تمتعت ايضا بوجود أسواق مالية أكثر ضخامة وأكثر سيولة . كما تظهر المقارنات بين الدول التي تضع قوانينها على أساس تقاليد قانونية. إن تلك الدول ذات النظم الضعيفة تكون فيها معظم الشركات مملوكة أو تحت سيطرة قلة من المستثمرين الحاكمين بدلا من هيكل الملكية واسع الانتشار. ومن ثم فانه في الدول التي تحاول جذب صغار المستثمرين – سواء كانوا محليين ام أجانب – تكون حوكمة الشركات بالنسبة لها على قدر كبير من الأهمية من ناحية الحصول على

---

[1]. **صبيحة برزان العبيدي**، "دور مبادىء التحكم المؤسسي في تخفيض ممارسات المحاسبة الإبداعية وتحقيق التوافق بين مصالح إطراف الوكالة" ،أطروحة دكتوراه، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ص2008،ص144.

[2]. **بشرى فاضل خضير**، " الإفصاح عن المعلومات المحاسبية ودورها في حوكمة الشركات وآلياتها الداخلية "، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، 2009، ص106.

[3]. **جون سوليفان وجين روجز وكاثرين هلبيلنج والكسندر شكولينكوف**، "حوكمة الشركات في القرن الحادي والعشرين"، ترجمة سمير كريم، مركز المشروعات الدولية الخاصة، غرفة التجارة الدولية، واشنطن، 2003، ص ص 3-4.

العملة الصعبة المكتنزة لدى المستثمرين الاحتماليين.ويمكن لهؤلاء المستثمرين مجتمعين أن يمثلوا مصدراً لمبالغ ضخمة لاستثمار طويل الأجل.

5. إن غرس حوكمة الشركات يؤدي بدرجة كبيرة إلى تعزيز ثقة الجمهور بنزاهة عملية الخصخصة، كما يساعد على ضمان تحقيق الدولة لأفضل عائد على استثماراتها، وهو ما يؤدي بدوره إلى زيادة العمالة والنمو الاقتصادي.

6. إن الحاجة إلى حوكمة الشركات في الاقتصاديات النامية تتعدى حل مشاكل الوكالة إذ أن الاقتصاديات النامية والصاعدة دائماً ما تواجه موضوعات مثل نقص حقوق الملكية وسوء استخدام حقوق مساهمي الأقلية، وانتهاك العقود، ونهب الموجودات، والتعامل مع الذات، وأكثر هذه الأفعال لا تخضع للعقاب، ويرجع هذا إلى النقص في التشريعات والمؤسسات السياسية الاقتصادية اللازمة – للديمقراطية والأسواق كي تقوم بعملها. وبدون وجود تلك المؤسسات والتشريعات لن يكون هناك أي أثر بسيط للحوكمة، ومن ثم فان غرس الحوكمة في اقتصاديات البلدان النامية والصاعدة يستدعي وضع وإنشاء التشريعات والمؤسسات الديمقراطية القائمة على أساس السوق.

الجزائر ضمنا المنظمة العالمية للشفافية: ذكر تقرير لمنظمة الشفافية الدولية، الذي يقيس مؤشر الفساد في الدول، أن الجزائر احتلت المرتبة 94 من بين 177 دولة شملها التقرير لسنة 2013.ونالت الجزائر 36 نقطة من مقياس 100 للفساد في العالم في 2013 مقارنة بـ 34 نقطة في 2012، وبذلك انتقلت من المرتبة 105 إلى 94، مثلما أشارت الجمعية الجزائرية لمكافحة الفساد ممثلة منظمة شفافية في الجزائر.وأضافت الجمعية أن وللسنة الـ 11 على التوالي تدرج في قائمة الدول الأكثر فسادا، فيما تحتل المرتبة العاشرة من مجموع 18 دولة عربية شملها التقرير، والمرتبة 24 من بين 54 دولة أفريقية.وحسب الجمعية الجزائرية لمكافحة الفساد، فإن هذا الترتيب جاء كمحصلة لمجموعة من التحقيقات الأخرى أين احتلت الجزائر مؤخرة الترتيب خصوصا حول مؤشرات التنافسية، مناخ الاستثمار، حرية التعبير، الحكم الراشد، حقوق الإنسان وتكنولوجيات الاتصال منها الولوج إلى الانترنت.

2. تطور الاستثمار الأجنبي المباشر في الجزائر:أكدت تجربة الجزائر في مجال جذب الاستثمار الأجنبي المباشر بأن الجزائر خطت خطوات مهمة وقطعت أشواطا كبيرة في طريق تهيئة المناخ الاستثماري الملائم لاستقطاب رؤوس الأموال الأجنبية.

1.2.أداء الاستثمار الأجنبي المباشر في الجزائر:تملك الجزائر المؤهلات والعناصر التنافسية لجذب الاستثمارات، خاصة الإطار التشريعي، والتنظيمي والإداري، وكذلك قانون الاستثمار، زيادة على القدرات الذاتية للبلاد ومن خلال الجدول التالي سيتم عرض تطور تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر EDI المعبرة عن رأس المال الأجنبي الوارد إلى الجزائر خلال الفترة 1990-2011، والقيم مقيمة بالدولار الأمريكي الجاري.

الجدول رقم 01: جدول يوضح حجم الاستثمارات الأجنبية المباشرة الواردة إلى الجزائر خلال الفترة(1990-2011).

السنوات	1990	1991	1992	1993	1994
صافي تدفقات الاستثمار المباشر	0.3349	11.6386	30	**	**
السنوات	1995	1996	1997	1998	1999
صافي تدفقات الاستثمار المباشر	**	270	260	606.6	291.6
السنوات	2000	2001	2002	2003	2004
صافي تدفقات الاستثمار المباشر	438	1196	1065	633.7	881.9
السنوات	2005	2006	2007	2008	2009
صافي تدفقات الاستثمار المباشر	1081.3	1795.4	1661.6	2593.6	2746.4
السنوات	2010	2011			
صافي تدفقات الاستثمار المباشر	2264.2	2720.5			

الوحدة: بالمليون دولار أمريكي **المصدر** :التقرير السنوي للبنك الدولي

يمثل الجدول السابق حجم الاستثمارات الأجنبية المباشرة الواردة إلى الجزائر خلال الفترة 1990-2011، حيث حققت خلال الفترة (1990-2008) مستويات مقبولة من الاستثمارات الأجنبية المباشرة، فقد قامت الجزائر بوضع قانون جديد للاستثمار سنة 1993 بغية تحفيز الاستثمار الأجنبي، وقد قدمت لأجل ذلك عدة مزايا مالية وجبائية للمستثمرين دون تمييز بين المقيمين وغير المقيمين، ثم تم تعديل هذا القانون سنة 2001 ليفسح مجالا واسعا للاستثمار الخاص الوطني والأجنبي.

هذا وقد تميزت الفترة (1993-1995) بغياب شبه كامل للاستثمار الأجنبي، ويرجع السبب إلى الوضعية المعقدة التي مرت بها الجزائر وعلى جميع الأصعدة، فقد شهدت هذه المرحلة تفاقم أزمة المديونية الخارجية وارتفاع خدمات الدين الخارجي على درجة تفوق إمكانيات السداد المتاحة مما أجبر السلطات إلى إعادة جدولة المديونية الخارجية وما تبع ذلك من تنفيذ صارم لشروط التعديل الهيكلي التي وضعها صندوق النقد الدولي، وكان لتدهور الأوضاع الأمنية وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي وارتفاع درجات المخاطرة، الأثر السلبي على جذب المستثمر الأجنبي[1].

أما الفترة من (1996-2000) تميزت بعودة الاستثمارات الأجنبية للجزائر والتي توجهت أغلبها إلى قطاع المحروقات وبقيت الجزائر غير جاذبة للاستثمارات في القطاعات الأخرى، كما بقيت بعيدة على مستويات الاستثمار الأجنبي الذي استقبلته البلدان المجاورة[2].

إن الفترة ما بعد 2001 تميزت بارتفاع ملحوظ في حجم الاستثمار الأجنبي المباشر، حيث قدر حجم الاستثمار الأجنبي الوارد إلى الجزائر ب 1196 مليون دولار سنة2001 وهي السنة التي توافق إصدار الأمر رقم 03/01 وما ينطوي عليه من حوافز ضريبية، وكذلك التدفق المحقق في سنة 2002 والمقدر ب 1065 مليون دولار الذي تحقق بفضل بيع رخصة الهاتف النقال لشركة اوارسكوم المصرية، وبالإضافة إلى خوصصة شركة الصناعات الحديدية بالحجار لشركة أسبات الهندية، وهكذا فان هذا الارتفاع ليس نابع من تحسين مناخ الاستثمار الذي تعتبر الحوافز الضريبية جزءا منه والدليل على ذلك انخفاض تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر في سنة 2003 إلى مستوى 633.7 مليون دولار، ثم ارتفع إلى مستوى 881.9 مليون دولار سنة 2004 بفضل بيع الرخصة الثالثة للشركة اللوطنية للاتصالات الكويتية وهكذا فان تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر في سنة 2002 2003 2004 جاءت معظمها من قطاع المحروقات[3].

شهدت سنة 2006 ارتفاعا ملحوظا مقارنة بسنة 2005 بتغير قيمته 715 مليون دولار أمريكي، وسجلت الجزائر سنة 2008 مبلغا معتبرا ومرتفعا مقارنة بسنة 2007 حيث بلغ ارتفاعا بنسبة 56،07%، وهذا في وقت عرفت فيه وتيرة الاستثمارات العالمية تراجعا بفعل الأزمة المالية العالمية، ثم ارتفعت وتيرة الاستثمارات في سنة 2009 ارتفاعا طفيفا بنسبة 6,43% أما في سنة2010 ، فقد سجلت فيه كل التدفقات الواردة تراجعا محسوما على المستوى العالمي، بنسبة 18%، وهو ما يدل على التأثر المتأخر لتدفقات الاستثمار الدولية المتجهة نحو الجزائر، الشيء الذي يمكن تفسيره بالأولوية القصوى لهذه الاستثمارات لكونها تتمتع بربحية عالمية (استثمارات في قطاع المحروقات)، في حين عاد ارتفاع تدفق الاستثمار الأجنبي سنة 2011 إلى 2720,5 دولار نظرا للأوضاع الأمنية للدول العربية خاصة المضطربة ضمن ما يسمى بالربيع العربي وهو ما دفع بالمستثمرين الأجانب إلى التوجه إلى الاقتصاد الجزائري لما يتوفر عليه من مناخ استثماري خصب وتوفر الاستقرار[4].

2.2 تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر للجزائر حسب الدول المستثمرة فيها:

---

1. **ناجي بن حسين**، تحليل وتقييم مناخ الاستثمار في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد31، 2009، ص59.
2. نفس المرجع السابق، ص05
3. **بلال ملاخسو وأمال تخنوني**، الاتجاه المعاصر لواقع تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر المحلي والدولي وأثره على التنمية الاقتصادية، الملتقى الوطني حول الإطار القانوني للاستثمار الأجنبي في الجزائر تحت شعار كيف يصبح الاستثمار الخاص الاجنبي في التنمية الوطنية، 18 و19 نوفمبر 2015.
4. **خالد اعميري**، اثر الاستثمار الخاص على التنمية الاقتصادية في الجزائر، مذكرة ماجستير في العلوم الاقتصادية، تخصص اقتصاد التنمية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014-2015، ص ص 76-77.

لقد تعددت الدول المستثمرة في الجزائر سواء كانت دولا أجنبية أو عربية، وقد يصنف نشاط بعضها ضمنا مشروعات الشراكة، إلا أن أهم الاستثمارات الأجنبية المباشر تنفذ من قبل الشركات متعددة الجنسيات، خاصة في قطاع المحروقات. أم خارج قطاع المحروقات ومن أهم ثمانية دول المستثمرة في الجزائر، تعد مصر أهم مستثمر أجنبي في الجزائر، وذلك بأزيد من 2902.25 مليون دولار وذلك بعد دخول شركة أوراسكوم حيث استثمرت في مجال الاتصالات تحت اسم Djezzy سنة 2001، وفي الإسمنت ACC في مارس 2004، أم المستثمر الثاني فيعتبر الكويت بمبلغ 1150.825 مليون دولار وذلك بعد دخول الوطنية للاتصالات سنة 2004، وتلتها في المرتبة الثالثة جنوب إفريقيا بمبلغ 426.4 مليون دولار، ثم فرنسا بمبلغ 339.183 مليون دولار وذلك من خلال شركة:DANONE...،أما المرتبة الخامسة فجاءت ليبيا بمبلغ 252.785 مليون دولار، وتعد الولايات المتحدة الأمريكية المستثمر الأجنبي السادس بمبلغ 236.366 مليون دولار واستثمرت في قطاع الكيمياء والصيدلة Pfizer، وفي المرتبة السادسة جاءت السعودية بمبلغ 214.903 مليون دولار، تلتها الصين بمبلغ 210.548 مليون دولار.[1]

الاستنتاجات

1- تعد الحوكمة نظام لتعزيز الرقابة والإدارة وإطار عام لتحديد المسؤوليات والواجبات في الوحدة الاقتصادية وبما يعمل على تحسين الأداء وتوفير القوائم المالية الخالية من الغش والأخطاء وبما يدعم القرارات الاستثمارية ويجعل الوحدة محط أنظار المستثمرين.

2- إن الالتزام بتطبيق الحوكمة يعد احد المعايير الأساسية التي يضعها المستثمرون في اعتبارهم عند القيام باتخاذ قرارات الاستثمار.

3- تبرز أهمية الحوكمة في زيادة الاستثمار من خلال مبادئها التي من بينها توفير الحماية لحقوق المساهمين في الشركات وتحديد الحقوق لأصحاب الملكية، وتظهر أهميتها في هذا المجال في تنمية وتشجيع الاستثمار من خلال إرساء قواعد تؤدي بالنتيجة إلى زيادة ثقة المساهمين بالوحدة الاقتصادية.

4- فان عدم تماثل المعلومات المحاسبية سيؤدي للإضرار بكفاءة السوق وقدرتها على تشجيع الاستثمار، حيث أن كفاءة السوق لا تتحقق إلا في حالة تماثل المعلومات بين كافة الأطراف المتعاملة فيها وذلك حتى يكون تأثير المعلومة على الأسعار وأحجام التداول كامل وسريع.

5- الحوكمة تسعى دائما إلى تشجيع الاستثمار في الأسواق المالية من خلال تحقيق أفضل مستويات الجودة في المعلومات المحاسبية من حيث الملائمة والمصداقية والقابلية للمقارنة وزيادة الفهم والتفسير في ضوء احتياجات بيئة الاستثمار بالإضافة إلى تحقيق أفضل مستويات الاكتمال في هذا المحتوى من المعلومات والإفصاح الحيادي عنها وتخفيض عدم تماثلها لكافة الأطراف التي تشكل بيئة استثمارية من خلال تعزيز الإفصاح المحاسبي والشفافية.

المراجع:

1. **سليمان محمد مصطفى**، حوكمة الشركات " ودور أعضاء مجالس الإدارة والمديرين التنفيذيين"، ط:1، الإسكندرية، الدار الجامعية، 2008.

2. **العشماوي محمد عبد الفتاح وعطا الله وارد خليل**، حوكمة المؤسسة " المدخل لمكافحة الفساد في المؤسسات العامة والخاصة "، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الحرية للنشر والتوزيع،2008.

3. **سليمان محمد مصطفى**، حوكمة الشركات في معالجة الفساد المالي والاداري " دراسة مقارنة"، ط:2، الإسكندرية، دار الجامعية، 2009.

4. **عدنان بن حيدر بن درويش**، حوكمة الشركات ودور مجلس الإدارة، اتحاد المصارف العربية، 2007.

[1]. **محمد وهيب جمال العلمي**، مداخلة محددات الاستثمار الأجنبي المباشر في الأردن، التمويل الخارجي المباشر FDI، مؤتمر الاستثمار والتمويل، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2006.

5. **حسان خضر**، "الاستثمار الأجنبي المباشر(تعاريف وقضايا)". المعهد العربي للتخطيط، مجلة جسر التنمية، العدد33، سبتمبر 2003 السنة الثالثة.

6. **دلال بن سمية وصالح مفتاح**، واقع وتحديات الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول النامية دراسة حالة الجزائر، بحوث اقتصادية عربية، العددان 43-44، صيف- خريف، 2008.

7. الأمر رقم 1-03 المؤرخ في 2001/08/20 المتعلق بترقية الاستثمار المادة 7

8. الأمر رقم 1-03 المؤرخ في 2001/08/20 نفس المادة 14

9. **قيبوعة مريم**" دور بورصة القيم المنقولة في جلب رأس المال الأجنبي" مذكرة ماجستير جامعة الجزائر دفعة 2000.

10. **صبيحة برزان العبيدي**، "دور مبادئ التحكم المؤسسي في تخفيض ممارسات المحاسبة الإبداعية_وتحقيق التوافق بين مصالح إطراف الوكالة" ،أطروحة دكتوراه، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، 2008.

11. **بشرى فاضل خضير**، " الإفصاح عن المعلومات المحاسبية ودورها في حوكمة الشركات وآلياتها الداخلية "، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، 2009.

12. **جون سوليفان وجين روجز وكاثرين هلبيلنج والكسندر شكولينكوف**، "حوكمة الشركات في القرن الحادي والعشرين"، ترجمة سمير كريم، مركز المشروعات الدولية الخاصة، غرفة التجارة الدولية، واشنطن، 2003.

13. **ناجي بن حسين**، تحليل وتقييم مناخ الاستثمار في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانة، العدد31، 2009.

14. **بلال ملاخسو وأمال تخنوني**، الاتجاه المعاصر لواقع تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر المحلي والدولي وأثره على التنمية الاقتصادية، الملتقى الوطني حول الإطار القانوني للاستثمار الأجنبي في الجزائر تحت شعار كيف يصبح الاستثمار الخاص الأجنبي في التنمية الوطنية، 18 و19 نوفمبر 2015.

15. **خالد اعميري**، اثر الاستثمار الخاص على التنمية الاقتصادية في الجزائر، مذكرة ماجستير في العلوم الاقتصادية، تخصص اقتصاد التنمية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014-2015.

16. **محمد وهيب جمال العلمي**، مداخلة محددات الاستثمار الأجنبي المباشر في الأردن، التمويل الخارجي المباشر FDI، مؤتمر الاستثمار والتمويل، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2006.

17 .www.mofdgoia.gov.sd./boshari.pdf

18. **Raymond Bernard**,"économie financière International", Paris, EDPUF, 1997.

التنويع الاقتصادي في الجزائر قياس ومقاربة للقواعد والدلائل

د.محمد كريم قروف
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

الملخص:
تتلخص دراسة التنويع الاقتصادي في البحث عن إمكانية تقليل اعتماد البلدان الريعية على المورد الوحيد، وفي هذا الإطار فإن مستلزماته ومقوماته تتطلب توافر الشروط الأساسية من حيث قدرة البلد المادية والبشرية على الانتقال التدريجي من التركيز إلى التنويع، والدراسة هدفها هو بيان مدى قدرة الاقتصاد الوطني الجزائري على تحقيق درجة أعلى في تنويع مصادر دخله في المستقبل، لذا فقد تم التركيز على النموذج الجزائري كونه من أهم البلدان التي لديها مورد وحيد شبه مستديم في إقليمها على الأقل. وقد أفادت نتائج الدراسة المعتمدة على تقييم مؤشر التنويع الاقتصادي بالجزائر خلال الفترة (2014/1980) والمقاس بمعامل هيرفندال هيرشمان، بضعف درجة التنويع بأبعاده المختلفة التي حصلت في الاقتصاد الجزائري، واستمرار اعتماده على النفط وإيراداته وصادراته. وعليه، فإن تنويع القاعدة الاقتصادية المعتمد على مساهمة القطاعات المختلفة في الناتج المحلي الإجمالي، لا بد وأن يواكبه تحقيق أهداف أخرى، والتي من المهم أن يشكل فيها التوسع في قطاعات الزراعة والبتروكيماويات والسياحة، والصناعات التي تعد الطاقة مدخلاً إنتاجياً مهماً، وقسماً كبيراً من تكاليفها الإنتاجية، بدائل واعدة أمام تنويع القاعدة الاقتصادية وتخفيف الاعتماد على الإيرادات والصادرات النفطية.

Abstract:
The aim of studying the economical diversification is looking for the possibility of reducing the reliability of rentier states on their unique ressource. this diversification requires the existence of material and human capabilities that enable the gradual transition.
In this study we aim to demonstrate to what extent the Algerian economy (which depends massively on hydrocarbons) is able to diversify its revenue sources.
in our study which is based on the assesment of economical diversification index of herfindal hirschmann in Algeria in the period (1980/2014), We found that the algerian economy is weak in terms of economical diversification, it is still dependant on fuels exportation. As a conclusion the algerian economy can be diversified and has the potentials to do so if other alternatives are taken into cosideration such as Agriculture, petrochemistry, Tourism and productive industries.

المقدمة:اعتمد أداء الاقتصاد الجزائري على استخراج النفط وتصديره لسنوات طويلة، حيث تعد الإيرادات النفطية عماد الموازنة العامة، وركيزة الصادرات، ومحرك النشاط والنمو الاقتصادي. خاصة عندما ترتفع أسعار النفط العالمية، وتنبه المخططون مبكرًا إلى أن الاعتماد على إيرادات النفط كمورد اقتصادي ناضب تكتنفه مخاطر جمة، في دولة لا تعتمد فيها إيرادات الدولة على الضرائب، ولا تتوافر لقطاع الزراعة مقومات الاستدامة، ولا تعد الصناعة فيها مصدراً كافياً لدعم العمالة، ولا تبرز في الأفق قطاعات اقتصادية واعدة.

وإذ تتجلى خطورة الاعتماد على هذا المورد من خلال ارتباط أسعاره بالأسواق العالمية للنفط، وما يجري فيها من تقلبات حادة بين الحين والآخر، وأثر ذلك على النمو والاستقرار الاقتصادي في هذه البلدان، الأمر الذي دفع صندوق النقد الدولي إلى إصدار تحذيرات بضرورة أنجاز التنويع في اقتصاداتها لمعالجة هذه الاختلالات. ولهذا فقد سعت العديد من البلدان بالعمل الجاد على تطبيق استراتيجية التنويع الاقتصادي وإنجاحها من خلال تبني حزمة من السياسات الاقتصادية التنويعية والتي يكون الهدف منها إعادة هيكلة الاقتصاد ورفع مستوى مساهمة القطاعات الاقتصادية البديلة في الناتج المحلي، وتحسين كفاءة فاعلية هذه القطاعات وبخاصة قطاع الصناعات التحويلية.

وبالرغم من أن تحقيق التنويع الاقتصادي، ينصب بالدرجة الأولى على تنويع مصادر الدخل والإنتاج، إلا أن حصول التنويع الاقتصادي في مصادر الدخل والإنتاج ليس كافياً لتحقيق هدف تنويع القاعدة الاقتصادية. إذ لا بد وأن يترافق التنويع في

الفعاليات الإنتاجية مع تنويع في متغيرات أخرى مرتبطة بالدخل والإنتاج كالصادرات، والواردات، وإيرادات الدولة، والعمالة، وإجمالي تكوين رأس المال الثابت. وذلك انطلاقاً من كون التنويع الاقتصادي ظاهرة متعددة الأبعاد لا تقتصر على بنية الناتج المحلي وإسهام القطاعات المختلفة في تركيبه، ولكن تتعداه إلى متغيرات اقتصادية واجتماعية أخرى.

إشكالية البحث: إن دراسة التنويع الاقتصادي تتطلب الكشف عن درجة الاعتماد على المورد الوحيد في البلدان الريعية، انطلاقاً من فكرة أساسية هي أن قدرة البلدان على تنويع مصادر دخلها تتطلب تعديل أسلوب إدارة فوائضها أولاً، وتنمية قاعدة الموارد من حيث التأهيل والتدريب ورفع القدرات وإدخال التقنيات الحديثة ثانياً. لذا فجل التركيز ينبغي أن يوجه لسببين رئيسيين، نجد أنهما العائق الحقيقي الذي يحول دون إمكانية إحلال بدائل حقيقة بوصفها مصادر للدخل في المستقبل، وهما إشكالية الفوائض التي تهتم بسبل إدارته او سلبياتها، وإشكالية الموارد وتوظيفها.

والحقيقة أن الصعوبة تكمن في إمكانية تحقيق الحلول الناجحة في كلتي الإشكاليتين. ولعل البلدان ذات المورد الريعي الوحيد كالجزائر لن تكون عرضة لمثل هاتين الإشكاليتين فحسب، بل انها تخضع لمشاكل أخرى تستبطن فيها القيود التي تدفع باتجاه مخالف لرفع مستوى التنويع الاقتصادي فيها. هذا الأخير الذي تتمحور حوله إشكالية البحث، والتي يمكن صياغتها بالتساؤل التالي: ما درجة اعتماد الاقتصاد الجزائري على المورد النفطي كمصدر أولي للدخل ؟. وما هي حدود ومستوى التنويع الاقتصادي بالجزائر ؟.

الفرضيات:لقد تم الاعتماد على الفرضيتين التاليتين ضمن هذه الدراسة، والتي يمكن صياغتها كمايلي:

. إن القطاع النفطي لا زال يمثل أحد المكونات الرئيسية للناتج المحلي الخام بالجزائر.

. لن يتحقق هدف التنويع الاقتصادي في الجزائر إلا بإجراء تغيرات هيكلية في دور الدولة في قيادة الاقتصاد، وتوجيه العوائد النفطية إلى القطاعات والأفراد من خلال معايير الإنتاجية والكفاءة.

أهداف البحث:تهدف هذه الدراسة إلى قياس درجة التنويع الاقتصادي بالجزائر، وذلك في محاولة لإبتكار دلائل يمكن أن يجرى تقييمها لفهم التنويع الاقتصادي بشكل حقيقي وصحيح. وهذا انطلاقاً من تطور بنية وتركيب ستة متغيرات خارج القطاع النفطي وهي: الناتج المحلي الإجمالي، الصادرات، الواردات، الإيرادات الحكومية، العمالة، إجمالي تكوين رأس المال الثابت. ويبرر شمول الدراسة لهذه المحاور ما ورد في معظم خطط وبرامج التنمية بالجزائر، من أن توجه البلاد في الوصول إلى هدف التنويع الاقتصادي يقتضي تحقيق زيادات ملموسة ونقلات نوعية في إسهامات القطاعات غير النفطية (الإنتاجية والخدمية) في الناتج المحلي الإجمالي، وفي الصادرات، وفي توفير الفرص الوظيفية لقوة العمل الوطنية.

أهمية الموضوع:تنبع أهمية تنويع القاعدة الاقتصادية من كونه شرطاً ضرورياً لبناء اقتصاد عصري مستقر يرتكز على قاعدة عريضة ومتنوعة من الموارد الاقتصادية، ويتسم بدرجة عالية من التكامل الداخلي المتجسد في الترابط الوثيق بين قطاعاته وأنشطته المختلفة. وأكدت الخطط الاقتصادية التنموية المتعاقبة في الجزائر على ضرورة عدم الاعتماد على إنتاج وتصدير النفط بصورة رئيسة، لأسباب ومبررات عديدة، أهمها:

وفي ظل الأهمية التي تتولد عن تنويع القاعدة الإنتاجية نجد أن أغلب الدول سعت جاهدة وبكافة السبل والوسائل لتحقيق هذا الهدف وباعتمادها على خبرات وكفاءات اقتصادييها ومخططيها، وهذا ما انتهجته العديد من البلدان والتي حققت بذلك تطورات اقتصادية انعكست في تحقيق درجة مقبولة من تنويع اقتصاداتها، لتضمن استمرارية وديمومة نموها الاقتصادي.

I. الأسس النظرية للتنويع الاقتصادي ومؤشرات قياسه:

لتقييم الوضع العام للاقتصاد الجزائري، وتحليل واقع القطاع غير النفطي به وما أنجزه عبر مسيرة التنويع الاقتصادي، فمن المفيد قبل ذلك تتبع الأساس النظري لمفهوم التنويع الاقتصادي، والتعرض لأهم مؤشرات قياسه الخاصة بأدائه وشروط وفرص نجاح استراتيجية التنويع الاقتصادي.

I.1. مفهوم التنويع الاقتصادي: للتنويع تعاريف متعددة تختلف عن بعضها البعض باختلاف الرؤية التي ينظر من خلالها إلى هذه الظاهرة. وفي حين يربط البعض التنويع بالإنتاج وبمصادر الدخل، يربطه آخرون بهيكل الصادرات السلعية. حيث يرتبط التنويع بالسياسات الهادفة إلى تقليص الاعتماد على عدد محدود من السلع المصدرة التي يتقلب سعرها وحجمها، أو تخضع إلى انخفاض مزمن.فالتنويع يعرف على أنه:" تقليل الاعتماد على المورد الوحيد والانتقال إلى مرحلة تمتين القاعدة الصناعية والزراعية وخلق قاعدة إنتاجية، وهو ما يعني بناء اقتصاد وطني سليم يتجه نحو الاكتفاء الذاتي في أكثر من قطاع".[(1)]

ومن ناحية ثانية ينظر إلى التنويع الاقتصادي بأنه:" العملية التي تشير إلى اعتماد مجموعة متزايدة تتشارك في تكوين الناتج"، والتنويع يمكن أن يشار فيه إلى تنويع مصادر الناتج المحلي الإجمالي، أو تنويع مصادر الإيرادات في الموازنة العامة، أو تنويع الأسواق كالأسواق الداخلية أو أسواق الصادرات.[(2)]

أما من حيث التركيز على الهدف الأساس من التنويع فهو تخفيض الاعتماد على قطاع البترول وعائداته عن طريق تطوير اقتصاد غير بترولي وصادرات غير بترولية ومصادر إيرادات أخرى، في الوقت نفسه تخفيض دور القطاع العام وتعزيز دور القطاع الخاص في التنمية.[(3)]كما يقصد بالتنويع الاقتصادي زيادة توسيع عدد المنتجات أو السلع الولية والمواد المصنوعة، التي يتعلق بها دخل البلد أو تقليص الاعتماد والتركيز عليها حسب الحالة. فمشاكل وأهداف التنويع تعتبر مشاكل وأهداف التنمية الاقتصادية، والتي يمكن تعريفها بانها السبل المساعدة على تحويل الهيكل الاقتصادي، مع تنويع السلع الأساسية والمواد المصنعة والخدمات الأخرى، بما يؤدي إلى زيادة النمو الاقتصادي، تحقيق الاكتفاء الذاتي التام، تشغيل اليد العاملة والعمل على استقرار الدخل من الصادرات وزيادته.[(4)]

وبشكل عام، فإن التنويع الاقتصادي هو عملية تنويع مصادر الدخل، أي توسيع القاعدة الإنتاجية، وزيادة مساهمة القطاعات الإنتاجية (السلعية والخدمية) في الناتج المحلي الإجمالي، بما يخلص الاقتصاد من مخاطر الاعتماد على هيمنة مادة أولية او سلعة واحدة رئيسية (زراعية أو استراتيجية). كما يعني التنويع الاقتصادي عملية استغلال كافة الموارد وطاقات الإنتاج المحلية بما يكفل تحقيق تراكم في القدرات الذاتية، قادرة على توليد موارد متجددة، وبلوغ مرحلة سيطرة الإنتاج المحلي على السوق الداخلي، وفي مراحل متتالية تنويع الصادرات.

I.2. مستويات التنويع الاقتصادي:ويمكن التمييز بين نوعين مختلفين من التنويع الاقتصادي، وذلك بحسب مجال كل منهما، فهناك التنويع الخاص بالمستوى الجزئي، وهو مرتبط بالعملية الإنتاجية بالمؤسسة، والتنويع الخاص بالمستوى الكلي والمتعلق بهيكل التجارة الخارجية للدولة.

I.1.2. تنويع الإنتاج:يحدث تنويع الإنتاج في المؤسسة، عندما تقرر إنتاج سلعة جديدة دون أن تتوقف عن إنتاج منتجاتها السابقة، وبذلك تنوع إنتاجها، وتتبع المؤسسات هذه السياسة بهدف توزيع المخاطر أو التعويض عن التقلبات الموسمية التي تصيب الطلب على بعض المنتجات أو لوجود فائض في معدات المؤسسة وطاقاتها الإنتاجية بشكل عام، أو في أجهزتها الإدارية أو رغبة منها لتحقيق معدل نمو أكثر ارتفاعا أو أرباح أكثر في السوق يسودها تناقص الطلب أو تتوقع تناقصه، أو بسبب اتخاذ القرار باستغلال تجديدات أحدثتها المؤسسة على معداتها استغلالاً كاملاً.[(5)]

أما على مستوى الاقتصاد ككل، يحصل تنويع الإنتاج، عندما تتحقق حالة تناسب في المساهمة النسبية والضرورية للقطاعات الاقتصادية في توليد الناتج والدخل الوطني، وهذه القطاعات تشتمل على الزراعة، الصناعة (استخراجية/تحويلية) والخدمات.

I.2.2. تنويع التجارة الخارجية: يرتبط تنويع التجارة الخارجية إلى حد كبير بتحليل الهيكل السلعي لها. وذلك في جانبيها الرئيسيين، الهيكل السلعي للاستيرادات والهيكل السلعي للصادرات، فمن خلال دراسة التنويع السلعي للصادرات والواردات يمكن معرفة من جهة مدى الاعتماد على تصدير سلعة واحدة عن طريق قياس نسبتها إلى إجمالي الصادرات ودراسة طبيعة

هذه السلعة. فشدة الاعتماد هذه ستؤثر في إمكانية استمرار عملية التنمية الاقتصادية. وبالتالي فإن تنويع هيكل الصادرات سيكون الحل الأمثل لاستمرارها،

وهنا يقصد بعملية تنويع الصادرات قبل كل شيء توسيع أصنافها، وذلك لا بتزويد الأسواق الخارجية بالخامات الأولية فحسب بل أيضاً بمنتجات معالجتها وتحويلها وتصنيعها، ثم بالصناعات نصف الجاهزة من الإنتاج المحلي. ومن جهة أخرى فإن شدة التنوع في التركيب السلعي للاستيراد وعدم التركيز على نوع محدد أو مجموعة معينة من السلع، سيؤثر على مسار التنمية الاقتصادية ويفقدها استقلاليتها.

ولذلك فإن تنويع الواردات، قد يعني حتّى تقليل أصنافها على عكس الصادرات وذلك بأن يشطب البلد المعني في قائمة البضائع التي يستوردها أبواباً، كباب الأغذية، الأقمشة والسلع الفاخرة والخامات...إلخ. ثم تدريجياً أصنافاً كثيرة من المنتجات بقدر ما ينظم إنتاجها في أراضيه وعوضاً عن ذلك يتم التركيز على المنتجات الصناعية ذات التكنولوجيا العالية والمعقدة.

I.3. مؤشرات قياس التنويع الاقتصادي: يقاس التنويع الاقتصادي بمؤشرات إحصائية عديدة، تتفاوت في كفاءتها وملاءمتها لأغراض القياس. ويعتمد بعض هذه المؤشرات على قياس ظاهرة التشتت (Dispersion) كمعامل الاختلاف، أو على قياس خاصية التركز (Concentration) كمؤشر جيني، أو على مفهوم التنوع (Diversification) كمعامل هيرفندال هيرشمان (Herfindahl-Hirschman Index) والذي يختصر بالشكل (H H I) ويعد الأكثر شيوعاً. وتعطى هذه المؤشرات مقاييس متقاربة في اتجاهاتها وتغيراتها عند تقديرها الكمي لظاهرة التنويع الاقتصادي. لذلك سيكتفى في هذه الدراسة بتطبيق معامل هيرفندال هيرشمان. يعتمد معامل هرفندال-هيرشمان على قياس تركيب وبنية المتغير ومدى تنوعه. ويستخدم لقياس التنويع في تركيب ظاهرة ما، ولإبراز التغيرات الهيكلية التي طرأت على مكوناتها. ويطبق هذا المعامل بصورة واسعة لقياس التنوع الاقتصادي.

وقد صمم هذا المعامل أصلا لقياس مقدار التركز في الصناعة أو في قطاع معين، واستخدم بتوسع من قبل المحاكم الأمريكية خلال الثمانينيات لقياس مدى الاحتكار في صناعة معينة أو قطاع معين. كما استخدم هذا المؤشر من قبل منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (UNCTAD) لمعرفة مدى التنوع في قطاع التصدير. ويعرف (H H I) بالصيغة التالية:[6]

$$H = \frac{\sqrt{\sum_{i=1}^{N}\left(\frac{x_i}{X}\right)^2} - \sqrt{\frac{1}{N}}}{1-\sqrt{\frac{1}{N}}}$$

حيث: (N) عدد النشاطات، (x_i) قيمة المتغير في النشاط (i)، (X) القيمة الإجمالية للمتغير في جميع النشاطات.

وتتراوح قيمة معامل هيرفندل-هيرشمان بين الصفر والواحد أي ($0 \le H \le 1$). فإن كان صفراً كان هناك تنوع كامل في الاقتصاد (أي تساوي حصص النشاطات بعد نسبها مثلاً إلى الناتج الكلي لجميع النشاطات)، وإذا كان واحد صحيح فإن مقدار التنويع يكون معدوماً، وهي الحالة التي يكون فيها الناتج متركزاً في نشاط من النشاطات الاقتصادية، بينما لا تسهم بقية النشاطات بأية حصة من الناتج المحلي الإجمالي. وتعد القيم المرتفعة لمعامل هيرفندال دليلاً على ضعف الاقتصاد في توزيع نشاطاته بشكل متكافئ على عدد كبير من القطاعات أو المنتجات، وبالتالي حصرها في عدد قليل منها.

أما المتغيرات التي تطبق عليها مؤشرات التنويع، فهي أيضاً عديدة، ومنها الناتج المحلي الإجمالي، والصادرات، والواردات، والإيرادات الفعلية للحكومة، وإجمالي تكوين رأس المال الثابت، وقوة العمل...الخ. وقد وضعت هيئة الأمم المتحدة للتنمية والتجارة في محاولتها لتحديد الدول الأقل نمواً، معيارًا لتنوع الاقتصاد يتكون من أربعة عناصر هي: مقدار إسهام القطاع الصناعي في الناتج المحلي الإجمالي، ونسبة إسهام العمل في الصناعة، ومقدار الاستهلاك الفردي من الكهرباء، ومقدار التركز في الصادرات.

I.4. شروط وفرص نجاح استراتيجية التنويع الاقتصادي: تختلف آليات نجاح التنويع الاقتصادي من اقتصاد لآخر، وذلك تبعاً للتوجهات الإيديولوجية، مستوى التقدم الاقتصادي والاجتماعي، بالإضافة إلى طبيعة الظروف والتحولات الاقتصادية الداخلية والخارجية. وبالتالي فإن تبني بعض الآليات أو إصلاح القائم منها، يكون انطلاقا من حقيقة، مفادها أن النماذج الاقتصادي السابقة قد أكدت فعاليتها وكفاءتها في تحقيق النمو والتنمية الاقتصادية، وذلك من خلال نجاح استراتيجية التنويع الاقتصادي بها، خاصة إذا توفرت لها الإمكانيات والمقومات الأساسية، ومن بين تلك الآليات نذكر:

- إعادة الاعتبار للدور التنموي للدولة، والذي يأخذ شكل الإرشاد الاستراتيجي في توجيه عمليات التنمية المستمرة، وإحداث تغيرات كبيرة في البنية الاقتصادية والتركيبة القطاعية للاقتصاد.

- العمل على إحداث درجة أكبر من التفاعل بين القطاعين العام والخاص، وفي مجالات ونشاطات عديدة ومتنوعة. الأمر الذي يقود إلى تعظيم العلاقة بين المكونات الاقتصادية التقنية والمؤسسية، التي تربط بين مختلف أجزاء الاقتصاد الوطني.

- الاستمرار في تبني وانتهاج برامج الإصلاح الاقتصادي، سواء على الصعيد المالي أو النقدي أو التجارة الخارجية أو تعزيز آلية السوق انطلاقا من تفعيل عملية الخوصصة، والتي تعتبر آليات ومحرك أساسي من شأنه دفع عملية التنويع الاقتصادي، حيث تزيد مساهمة القطاعات الاقتصادية في توليد الناتج المحلي الإجمالي. ويؤدي تحرير التجارة وأسعار الصرف إلى رفع حصيلة الإيرادات بالعملات الأجنبية بما ينعكس على زيادة إيرادات الدولة والناتج المحلي الإجمالي، والذي يعتبر مؤشراً جيداً على نجاح عملية تنويع الصادرات، والتي تعتبر جزءاً رئيسياً من التنويع الاقتصادي.

- ضرورة التوسيع في حجم الاستثمارات الأجنبية المباشرة، حيث تعتبر من أهم آليات التنويع الاقتصادي، وأن نجاح هذا الأخير سيتوقف على مدى تدفق الاستثمارات الأجنبية، التي تتطلب الالتزام بخطة طويلة المدى لتحسين مناخ الاستثمار، خاصة في ظل التطورات الاقتصادية العالمية ومستجداتها كالعولمة ومنظمة التجارة العالمية وتحرير الخدمات المالية، حيث تتطلب هذه التطورات والمستجدات إرساء بيئة جديدة للاستثمار، مع ضرورة وضع خطط لإعادة النظر بالتشريعات واللوائح السارية المفعول منذ مدة طولة، كما ان هناك حاجة لجذب الاستثمارات وتوزيعها على القطاعات الاقتصادية الإنتاجية.[7]

- خلق وتطوير ودعم الصناعات الصغيرة والمتوسطة. حيث تلعب هذه الأخيرة دوراً كبيراً في تجهيز المنشآت الكبيرة بالمواد نصف المصنعة، وتساهم هذه الصناعات في الوصول بالاستثمار إلى كافة المناطق والمواقع، كما تعد هذه الصناعات أكثر التصاقا بالأسواق المحلية لتصريف منتجاتها، وعندما يكون حجم الطلب على سلعة ما محدود فإن الإنتاج الصغير الحجم يعتبر بديلاً مفضلاً للاستيراد وملائماً للتنويع. وعليه فالصناعات الصغيرة والمتوسطة تشكل مدخلاً مهما من مداخل النمو الاقتصادي، وآلية حقيقية من آلية التنويع الاقتصادي.[8]

II. التنويع الاقتصادي في الجزائر: ضمن هذا الإطار سنحاول تسليط الضوء على الأثر التنويعي من حيث درجة التأثير في تحليل قطاعات الاقتصاد المحلي، وفي هذا الصدد كان لزاماً توضيح مبررات إنتهاج استراتيجية التنويع في الجزائر من جهة، وأن يجري تجزئة الرؤية إلى القطاعات وفقاً للفهم المراد من جهة ثانية.

II.1. مبررات انتهاج استراتيجية التنويع الاقتصادي في الجزائر:

لقد أكدت الخطط الاقتصادية والبرامج التنموية المتعاقبة في الجزائر على ضرورة عدم الاعتماد على إنتاج وتصدير النفط بصورة رئيسة، ووجوب تبني استراتيجية التنويع الاقتصادي، وذلك لأسباب ومبررات عديدة، أهمها:

- اتصاف النفط بكونه مورد طبيعي ناضب، وبالتالي فلا بد من الاعتماد على مصادر اقتصادية بديلة غير ناضبة لتحقيق التنمية المستدامة.

- اعتبار استخراج النفط نوعاً من استنزاف مخزون رأس المال، بينما يعتمد تنويع القاعدة الاقتصادية على إيجاد دخول متدفقة وموارد متجددة

- عدم استقرار أسعار النفط وتذبذب الطلب العالمي منه تؤدي إلى تقلبات مهمة في حصيلة الصادرات النفطية، الإيرادات الحكومية، والإنفاق العام، ومن ثم مستوى ونمو الناتج المحلي الإجمالي.
- إعاقة تقلبات مستويات الدخل الوطني الناجمة من تذبذب الإيرادات النفطية، الاستقرار في مستويات الاستثمار، وفرص العمل، ومن ثم تنفيذ خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تحتاج إلى ثبات واستقرار المصادر التمويلية.

II.2. قياس التنويع الاقتصادي في الجزائر: تتضمن الدراسة تقديراً لمعامل هيرفندال هيرشمان للتنويع الاقتصادي، وذلك اعتمادا على توزيع ستة متغيرات وهي: الناتج المحلي الإجمالي، الصادرات، الواردات، الإيرادات العامة، إجمالي تكوين رأس المال الثابت، وقوة العمل. وقد لخصت بعض بيانات الدراسة ونتائج التقدير في الملحق أسفله المرافق للبحث.

وسيقاس التنويع الاقتصادي لكل متغير على حده. وسيتم تقدير معدل تغير هذا المعامل لمعرفة فيما إذا زادت درجة التنويع في المتغير أم نقصت. وبالنظر إلى اعتبار التنويع ظاهرة متعددة الأبعاد، فسوف يقدر مؤشر مركب للتنويع بأخذ الوسط الحسابي لمؤشر هيرفندال هيرشمان لكل من الناتج والصادرات والواردات وإيرادات الدولة وإجمالي تكوين رأس المال الثابت لتوافر بيانات متكاملة عنها تغطي الفترة 2014/1980، لمعرفة تأثير التنويع الاقتصادي بمفهومه الواسع على معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي.

II.1.2. التنويع في النشاطات الإنتاجية (الناتج المحلي الإجمالي):إن عملية تحليل تنويع الناتج المحلي الإجمالي يعتمد على توزيع هذا الناتج لثمانية قطاعات، وهي: الفلاحة والمحروقات، الأشغال العمومية البترولية، الصناعة خارج المحروقات، البناء والأشغال العمومية، النقل والاتصالات، التجارة، الخدمات. والجدول رقم (01)، يبين تغير مساهمة أهم القطاعات الإنتاجية المختلفة في الناتج المحلي الإجمالي في الجزائر بالفترة (2014/1980).

الجدول رقم (01): تغير مساهمة القطاعات الإنتاجية في الناتج المحلي الإجمالي بالجزائر بالفترة (2014/1980).

(الوحدة: %)

القطاعات الإنتاجية	السنوات		التغير
	1980	2014	
الفلاحة	09.75	13.36	03.61
المحروقات	38.62	35.14	03.48 -
الأشغال العمومية البترولية	02.76	00.48	02.28 -
الصناعة خارج المحروقات	12.05	06.31	05.74 -
البناء والأشغال العمومية	12.47	13.05	00.58
النقل والإتصالات	05.80	11.74	05.94
التجارة	14.31	15.62	01.31
الخدمات	04.20	04.26	00.06
المجموع	100.00	100.00	00.00

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على: معطيات الديوان الوطني الإحسائيات، موقع إلكتروني: http://www.ons.dz. 2016/01/09.

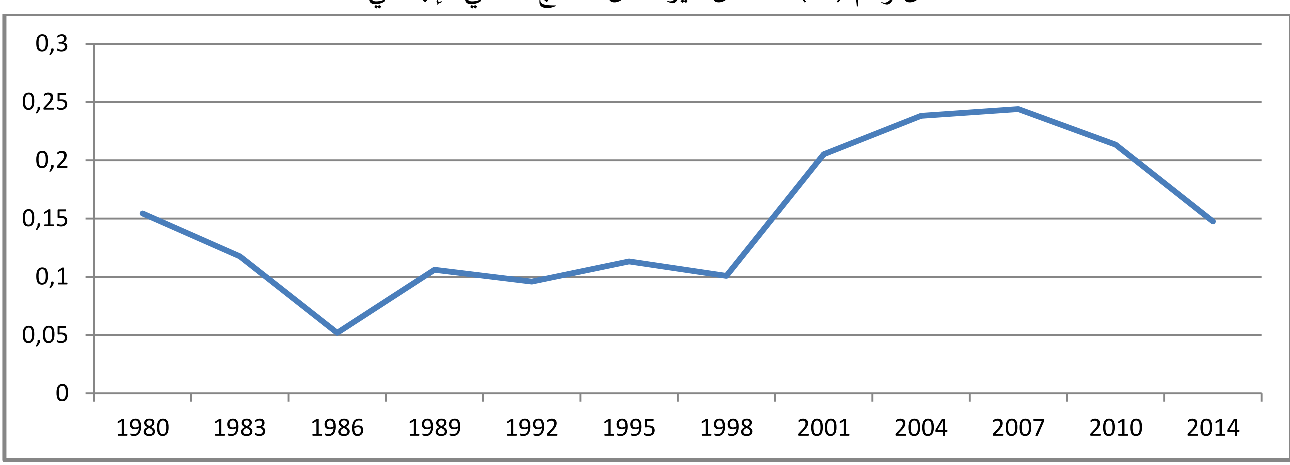
إن الملاحظ خلال الفترة (2014/1980)، هو انخفاض مساهمة قطاع المحروقات في الناتج المحلي الإجمالي من 38.62 % سنة 1980، إلى 35.14 % سنة 2014 (03.48 نقطة مئوية)، وقطاع الأشغال العمومية البترولية من 02.76 % سنة 1980، إلى 00.48 % سنة 2014 (02.28 نقطة مئوية)، وقطاع الصناعة خارج المحروقات من 12.05 % سنة 1980، إلى 06.31 % سنة 2014 (05.74 نقطة مئوية).

وبالمقابل فقد ارتفعت مساهمة كل من القطاعات المتبقية في الناتج المحلي الإجمالي، حيث ارتفع مساهمة قطاع الفلاحة من 09.75 % سنة 1980، إلى 13.36 % سنة 2014 (03.61 نقطة مئوية)، وقطاع البناء والأشغال العمومية من 12.47 % سنة 1980، إلى 13.05 % سنة 2014 (00.58 نقطة مئوية)، وقطاع النقل ولاتصالات من 05.80 % سنة 1980، إلى 11.74 % سنة 2014 (05.94 نقطة مئوية)، وقطاع التجارة من 14.31 % سنة 1980، إلى 15.62 % سنة 2014 (01.31 نقطة مئوية)، وقطاع الخدمات من 04.20 % سنة 1980، إلى 04.26 % سنة 2014 (00.06 نقطة مئوية).

وتبرز بيانات الجدول السابق، حدوث تغيرات طفيفة في البنية الإنتاجية للاقتصاد الجزائري إذ تقلصت مساهمة القطاعات النفطية سواء منها قطاع المحروقات، أو الأشغال العمومية البترولية، بالإضافة إلى ذلك تراجعت مساهمة قطاع الصناعة خارج المحروقات بنسبة لا يستهان بها، في حين تزايدت مساهمة بقية القطاعات الاقتصادية بدرجات طفيفة ومتفاوتة.

ولتقييم التنويع الاقتصادي الحاصل في البنية الإنتاجية للاقتصاد الجزائري، تم حساب معامل هيرفندال للفترة الزمنية (1980/2014)، لمكونات الناتج المحلي الإجمالي. وتبرز نتائج التقدير في الشكل رقم (01) الموالي، حيث تم إعداده بناءً على بيانات الملحق أسفله:

شكل رقم (01): معامل هيرفندال للناتج المحلي الإجمالي.



يبين الشكل السابق، انخفاض التنويع الاقتصادي في بداية النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي، والتي تزامنت مع المرحلة الأولى لتدهور أسعار البترول بالأسواق الدولية النفطية بهذه الفترة، حيث انخفضت قيمة المعامل من 0.15 سنة 1980 إلى 0.05 سنة 1986. ومن ثم عاود معامل التنويع الارتفاع ابتداءً من سنة 1989، إذ بلغ قيمة 0.10. ليستقر عند هذه الحدود طيلة فترة التسعينيات.

وقد شهدت قيمة المعامل ارتفاعا محسوساً خلال العشرية الأولى من القرن الحالي، حيث ارتفعت بصورة طفيفة ومستمرة لتبلغ أكبر قيمة لها بفترة الدراسة سنة 2007، حيث قدرت بـ 0.24، وهي مرحلة تميزت بالارتفاع الكبير الذي شهدته أسعار النفط، ثم بدأ المعامل بالانخفاض المستمر ليستقر عند قيمة 0.14 سنة 2014.

أما بالنسبة للفترة الزمنية (1980/2014)، فيلاحظ أن معامل هيرفندال حقق ارتفاعا سنوياً بلغ معدله السنوي المتوسط 9.16 %، مما يفيد بعدم حدوث تنويع يذكر في بنية الناتج المحلي الإجمالي. ويؤكد هذا الاستنتاج، تطور قيمة معامل هيرفندال لتنويع الناتج، والذي تراوحت قيمته في أغلب مراحل فترة الدراسة بين الزيادة والاستقرار في حدود 0.15 تقريباً.

II.2.2. التنويع في الصادرات:

يعتمد تحليل تنويع الصادرات على بنية الصادرات السلعية، والتي وزعت على سبع مجموعات رئيسية وهي: المواد الغذائية، المنتجات الطاقوية والزيوت، المواد الخام، منتجات نصف مصنعة، تجهيزات فلاحية، تجهيزات صناعية، وسلع استهلاكية. ويتبين من الجدول رقم (02) والشكل البياني رقم (02)، أن صادرات الجزائر مرتكزة في مجموعة منتجات الطاقة والزيوت

والتي تتضمن الصادرات النفطية، حيث بلغت نسبة صادراتها 98.44 % من إجمالي الصادرات سنة 1980، و 95.83 % سنة 2014، أي تناقصت بمقدار 02.61 % نقطة مئوية.

الجدول رقم (02): المساهمة في إجمالي الصادرات السلعية للجزائر خلال الفترة (2014/1980).

(الوحدة: %)

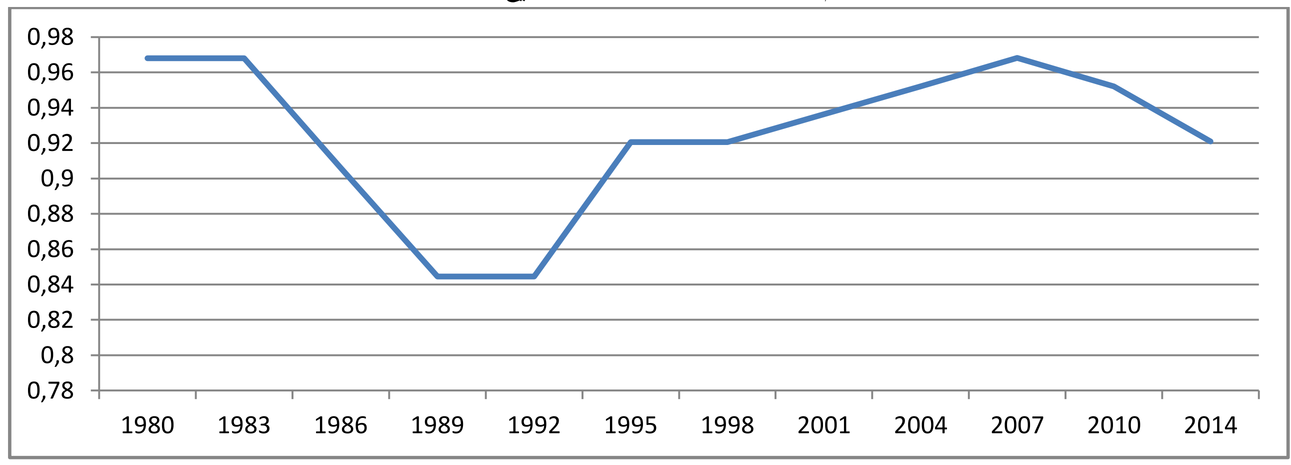
القطاعات الإنتاجية	السنــوات		التغيـر
	1980	2014	
المواد الغذائية	00.76	00.46	00.30 -
الطاقة والزيوت	98.44	95.83	02.61 -
المواد الخام	00.35	00.17	00.18 -
منتوج نصف مصنعة	00.41	03.49	03.08
تجهيزات فلاحية	00.00	00.00	00.00
تجهيزات صناعية	00.01	00.02	00.01
سلـع إستهلاكية	00.01	00.02	00.01
المجمــوع	100.00	100.00	00.00

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على: معطيات الديوان الوطني الاحصائيات، موقع إلكتروني: http://www.ons.dz.2016/01/09.

- Données du Ministère des Finances, Direction Générale de la Prévision et des Politique, Depuis le Site Web: www.dgppmf.gov.dz, Consulté le 27/01/2016.

وقد ازدادت فئة المنتجات نصف مصنعة بمقدار ما تناقصت به مجموع فئات المواد الغذائية والطاقة والزيوت والمواد الخام، فيما لم تحدث بقية المجموعات أي تغيير يذكر. وهو ما يبين بوضوح أن بنية صادرات الجزائر لم تتغير بشكل ملحوظ خلال 35 سنة الأخيرة. ويؤكد هذا الاستنتاج، تطور قيمة معامل هيرفندال لتنويع الصادرات الذي انخفضت قيمته من 0.97 تقريباً سنة 1980 إلى 0.95 سنة 2014، وذلك بمعدل تناقص متوسط سنوي قدره 0.37 %. مما يدل على تحقيق تنويع طفيف جداً في بنية الصادرات وبالأخص على منتجات المجموعة الثانية.

شكل رقم (02): معامل هيرفندال لتنويع الصادرات.



II.3.2. التنويع في الواردات:

باعتبار أن الاقتصاد الوطني يستورد من العالم الخارجي السلع والخدمات التي لا ينتجها بصورة تنافسية. فإن التنويع في الواردات يمثل وجهاً مهماً للتنويع الاقتصادي، إذ أن تطور بنية الواردات يمثل تغير الهيكل الإنتاجي للاقتصاد الوطني مقارنة

باحتياجاته على ضوء تكاليف الإنتاج المقارنة مع أسعار الواردات. وللوصول إلى تقييم لمدى تحقيق الاقتصاد الجزائري تنوعاً في بنية الواردات، فقد تم الاعتماد على توزيع الواردات حسب مجموعات السلع الرئيسة المشابهة لتوزيع الصادرات.

الجدول رقم (03): التوزيع النسبي للواردات الجزائرية حسب المجموعات الرئيسية خلال الفترة (2014/1980).

(الوحدة: %)

القطاعات الإنتاجية	السنوات		التغير
	1980	2014	
المواد الغذائية	18.86	19.69	00.83
الطاقة والزيوت	02.45	04.36	01.91
المواد الخام	05.73	03.28	02.45 -
منتوج نصف مصنعة	24.55	21.96	02.59 -
تجهيزات فلاحية	00.97	01.09	00.12
تجهيزات صناعية	30.31	31.76	01.45
سلع استهلاكية	17.08	17.83	00.75
المجموع	100.00	100.00	00.00

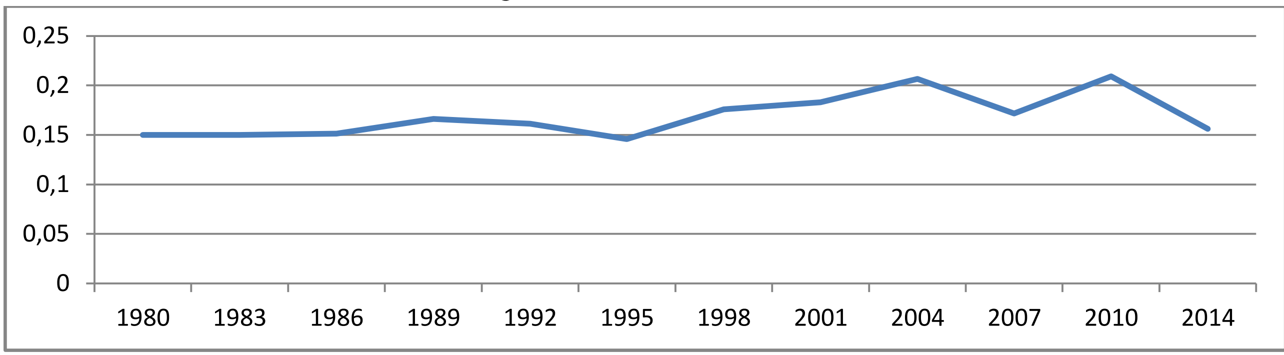
المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على: معطيات الديوان الوطني للإحصائيات، موقع إلكتروني: http://www.ons.dz.2016/01/09.

- Données du Ministère des Finances, Direction Générale de la Prévision et des Politique, Depuis le Site Web: www.dgppmf.gov.dz, Consulté le 27/01/2016.

يبين الجدول رقم (03) أعلاه، التوزيع النسبي للواردات حسب المجموعات الرئيسية وتغيره خلال الفترة (2014/1980)، حيث يلاحظ وجود تنويع في بنية الواردات وحدوث تغيرات واضحة في توزيعها بين فئات الواردات، إذ تناقصت نسبة واردات المواد الخام من 05.73 % سنة 1980 إلى 03.28 % سنة 2014 (02.45 نقطة مئوية)، والمنتجات نصف مصنعة من 24.55 % إلى 21.96 % (02.59 نقطة مئوية)، بينما تزايدت نسبة كل من واردات المواد الغذائية (00.83 نقطة مئوية) والطاقة والزيوت (01.91 نقطة مئوية) وتجهيزات صناعية (01.45 نقطة مئوية)، والسلع الاستهلاكية (00.75 نقطة مئوية) أما بالنسبة لمعامل هيرفندال للواردات، فقد حافظ على استقراره، وذلك عند حدود قيمة 0.15 من سنة 1980 إلى سنة 2014. باستثناء فترة العشرة سنوات الأولى للألفة الجديدة، حيث ارتفع المعامل إلى أن بلغ أعلى قيمة له سنة 2010 بحدود 0.21. مما يعني عدم حدوث تغيرات واضحة في تنويع الواردات في نهاية الفترة مقارنة ببدايتها وذلك على الرغم من استقرار درجة التنويع ثم ارتفاعها ثم العودة إلى حالة الاستقرار أي انخفاضها مرة أخرى، وهو ما يفسره معدل زيادته المتوسط السنوي والذي قارب النسبة 1.4 % بالنسبة لكامل الفترة (2014/1980).

وبشكل عام فإن واردات الجزائر بقية مركزة في فئات محددة، وأنها ليس متنوعة بصورة كبيرة، وعلى الرغم من حدوث تغيرات نسبية ضعيفة في بنية الواردات خلال الفترتين المشار إليهما، إلا أن هذا التغيير لم يكن له أثر ملحوظ على تغير القيمة النهائية لمعامل هيرفندال أو على معدل نموه. وهو ما يوضحه الشكل رقم (03) أسفله.

شكل رقم (03): معامل هيرفندال لتنويع الواردات.



II.4.2. التنويع في الإيرادات العامة:تعد مسألة تنويع الإيرادات العامة في معظم الدول مسألة في غاية الأهمية، لذا من الضروري للحكومات أن تركز على وسائل رفع الإيرادات العامة. حيث أثبتت العديد من الدلائل الدولية على أن الدول التي حققت درجة من النجاح في التنمية الاقتصادية، هي أيضاً تلك التي تمكنت من تحقيق مستويات عالية من تعبئة الموارد العامة.تلعب الإيرادات الحكومية دوراً مهماً في تنويع القاعدة الاقتصادية. ففي الجزائر تعتمد الإيرادات الحكومية بشكل كبير على الإيرادات النفطية، كما يعتمد حجم الإنفاق الحكومي الذي يعد محرك النشاط الاقتصادي على أسعار النفط العالمية، وعلى حجم الطلب من النفط. وبالتالي فإن التنويع الاقتصادي لا بد وأن يترافق مع ازدياد نسبة الإيرادات الحكومية غير النفطية إلى مجموع الإيرادات الحكومية. والجدول التالي يوضح توزيع الإيرادات العامة بالجزائر.

الجدول رقم (04): توزيع الإيرادات العامة الجزائرية خلال الفترة (2014/1980).

(الوحدة: %)

الإيرادات العامة	السنـــوات		التغيـر
	1980	2014	
الإيرادات النفطية	63.19	40.36	22.83 -
الإيرادات الأخرى	36.80	59.63	22.83
المجمـــوع	100.00	100	00.00

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على: معطيات الديوان الوطني للإحصائيات، موقع إلكتروني: http://www.ons.dz.2016/01/09.

- Données du Ministère des Finances, Direction Générale de la Prévision et des Politique, Depuis le Site Web: www.dgppmf.gov.dz, Consulté le 27/01/2016.

يتضح من الجدول رقم (04)، أن نسبة الإيرادات النفطية إلى إجمالي الإيرادات العامة قد بلغت 63.19 % سنة 1980، وانخفضت إلى 40.36 % سنة 2014، بانخفاض قدره 22.83 نقطة مئوية. مما يعني أن الإيرادات العامة قد تناقص اعتمادها على الإيرادات النفطية، وهو ما يعد مؤشراً إيجابياً للتنويع الاقتصادي.

أما بالنسبة لمعامل هيرفندال لتنويع الإيرادات العامة، فبلغت قيمته 0.08 سنة 1980، وانخفضت قيمته إلى 0.02 سنة 2014، ويلاحظ أن قيمة المعامل بلغت الصفر في سنتي 1998 و 2010، والتي انخفضت فيها الإيرادات النفطية، وأصبحت الإيرادات العامة موزعة تقريباً بالتساوي بين الإيرادات النفطية وغير النفطية (49 %، 51 %).

شكل رقم (04): معامل هيرفندال لتنويع الإيرادات العامة.

يتضح من الشكل البياني رقم (04)، أن قيم معامل هيرفندال قد شهد تذبذبات متباينة خلال كل الفترة المدروسة، إذ تراوحت قيمه بين الانخفاض والارتفاع وقاربت وتساوت مع الصفر في ثلاث سنوات (1983، 1998، 2010)، حيث تساوت عندها تقريباً نسبتا الإيرادات النفطية وغير النفطية من مجموع الإيرادات العامة، في حين شهدت أغلب السنوات إرتفاعاً في المعامل مبينةً عودة الإيرادات العامة للاعتماد على الإيرادات النفطية بشكل كبير. وهو ما يشير الى أن قطاع المحروقات لا يزال هو محرك الاقتصاد الجزائري.

II.5.2. التنويع في إجمالي تكوين رأس المال الثابت: يتكون إجمالي تكوين رأس المال الثابت (إجمالي الاستثمار المحلي سابقاً) من مجمل النفقات على زيادة الأصول الثابتة للاقتصاد مضافا إليه صافي التغيرات في مستوى المخزونات. وتشمل الأصول الثابتة تحسينات الأراضي (بناء الأسوار، والخنادق، وقنوات تصريف المياه...إلخ)؛ ومشتريات الآلات والماكينات والمعدات، وإنشاء الطرق، والسكك الحديدية، وما شابه ذلك، بما فيه المدارس، والمكاتب، والمستشفيات، والمساكن الخاصة، والمباني التجارية والصناعية. والمخزونات هي مخزون البضائع التي في حوزة الشركات لمواجهة التقلبات المؤقتة أو غير المتوقعة في الإنتاج أو المبيعات، والعمل الجاري تنفيذه.[9]

يعد إجمالي تكوين رأس المال الثابت من المتغيرات المهمة التي تبرز أحد أهم مظاهر تطور التنويع الاقتصادي، لأنه يبرز توجهات وتطور الاستثمار[10]. وبالنظر إلى طبيعة الاقتصاد الجزائري المعتمد على النفط، فمن المفيد التعرف على توجهات القرارات الاستثمارية وتوضيح فيما إذا كانت تتركز في قطاع معين، أم أن الاستثمارات تتوزع بصورة متكافئة على جميع القطاعات الاقتصادية. وللوصول إلى هذا الهدف، سوف يتم تتبع توزيع إجمالي تكوين رأس المال الثابت بين التراكم الخام الأموال الثابتة والتغيرات في مستوى المخزونات.

الجدول رقم (05): التوزيع النسبي لإجمالي تكوين رأس المال الثابت بالجزائر بالفترة (2014/1980).

(الوحدة: %)

إجمالي تكوين رأس المال الثابت	السنـــوات		التغيـر
	1980	2014	
التراكم الخـام الأموال الثابتة	86.41	80.44	05.97 -
تغيرات في مستوى المخزونات	13.59	19.56	05.97
المجمـــوع	100.00	100	00.00

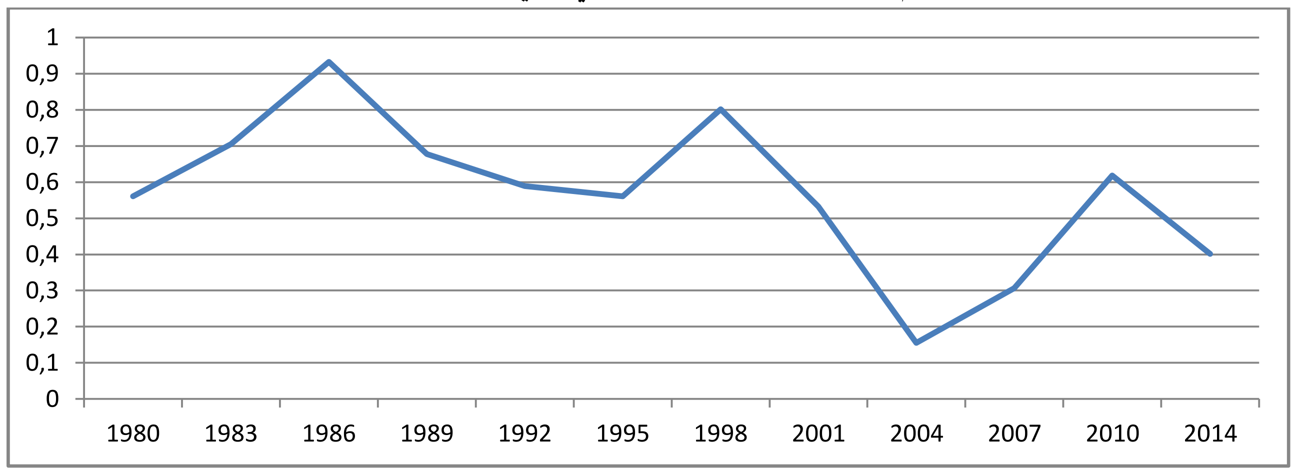
المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على: معطيات الديوان الوطني لاحصائيات، موقع إلكتروني: http://www.ons.dz.2016/01/09.

يبين الجدول رقم (05) أعلاه، أن التراكم الخام الأموال الثابتة قد انخفضت نسبته من إجمالي التكوين من 86.41 % سنة 1980 إلى 80.44 % سنة 2014 (05.97 نقطة مئوية). وهي النسبة ذاتها التي زادت بها التغيرات في مستوى المخزونات. مما

يدل على أن التنويع النسبي لإجمالي تكوين رأس المال لا يزال يعرف اتجاهاً عاماً نحو دعم النفقات على زيادة الأصول الثابتة للاقتصاد، وهو ما تؤكده النسب الكبيرة المساهم بها ضمن تكون الرأس المال الثابت خلال الفترة المشار إليها.

أما بالنسبة لمعامل هيرفندال لتوزيع إجمالي تكوين رأس المال الثابت (الشكل رقم 05)، فقد تراوحت قيمته بين الارتفاع والانخفاض خلال الفترة كلها، إلا أنه بشكل عام حقق المعامل معدل تزايد متوسط ثابت قدره 10.5 % سنوياً، الأمر الذي يدل بوضوح على عدم تحقيق تنويع اقتصادي ملحوظ في توزيع إجمالي تكوين رأس المال الثابت.


شكل رقم (05): معامل هيرفندال لإجمالي تكوين رأس المال الثابت.



II.6.2. التنويع في التشغيل:من المفيد تفحص توزيع قوة العمل في الجزائر وتتبع تطورها وتنوعها ومقارنة ذلك بالتنويع المتحقق في الإنتاج والصادرات. حيث تعتبر بنية العمالة وتوزيعها على النشاطات الاقتصادية المختلفة من المحاور المهمة في التنويع الاقتصادي، ذلك لأن تنويع الإنتاج يتطلب تنويعاً متناغماً مع العمالة التي تقوم بالعملية الإنتاجية.

وتتوزع قوة العمل حسب النشاطات الإنتاجية في الجزائر بين أربعة قطاعات رئيسية هي: القطاع الفلاحي، وقطاع الصناعة، البناء والأشغال العمومية، وقطاع التجارة والخدمات والإدارة. والجدول التالي يوضح هذا التوزيع الخاص بقوة العمل.

الجدول رقم (06): توزيع قوة العمل حسب النشاطات الإنتاجية في الجزائر خلال الفترة (2014/1980).

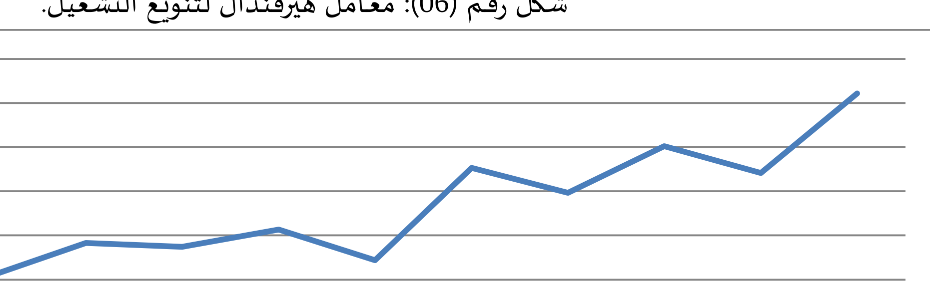
(الوحدة: %)

النشاطات الإنتاجية	السنـــوات		التغيـر
	1980	2014	
القطاع الفلاحي	30.64	08.78	21.86 -
القطاع الصناعي	13.66	12.59	01.07 -
البنـاء والأشغال العمومية	14.83	17.83	03.00
تجـارة، خدمـات وإدارة	40.85	60.78	19.93
المجمـــوع	100.00	100.00	00.00

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على: معطيات الديوان الوطني للإحصائيات، موقع إلكتروني: http://www.ons.dz.2016/01/09.

يتبين من الجدول رقم (06) أعلاه، ازدياد حصة التجارة والخدمات والإدارة من 40.85 % سنة 1980 إلى 60.78 % سنة 2014 (19.93 نقطة مئوية)، وقطاع البناء والأشغال العمومية من 14.83 إلى 17.83 (03 نقطة مئوية)، وتناقص مساهمة قطاع الفلاحة خلال الفترة نفسها من 30.64 % إلى 08.78 % (21.86 نقطة مئوية)، والصناعة من 13.66 % إلى 12.59 % (01.07 نقطة مئوية). ويلاحظ حدوث تغيرات في توزيع قوة العمل في معظم القطاعات الاقتصادية، خلال فترتين متتاليتين، شهدت الأولى انخفاضاً في درجة التنويع الاقتصادي، في حين تميزت الثانية بزيادة في درجة هذا التنويع.

شكل رقم (06): معامل هيرفندال لتنويع التشغيل.

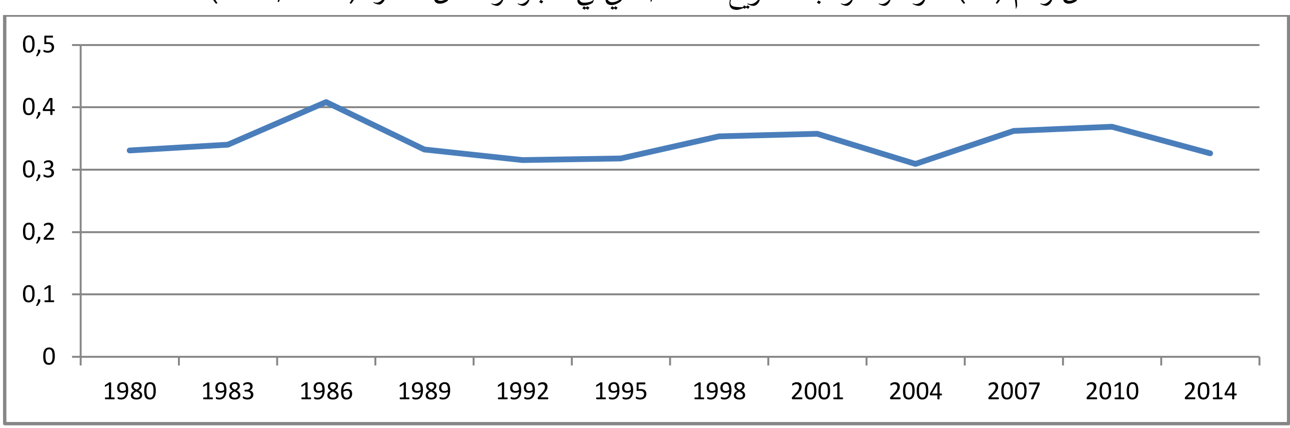


يشمل الشكل رقم (06)، مؤشر هيرفندال والذي يوضح التطور في تنويع التشغيل في الاقتصاد الجزائري. حيث يلاحظ أن قيمة المؤشر قد تزايدت خلال كل الفترة المعنية بالدراسة وبشكل مطرد، إذ بلغ 0.07 سنة 1980 ووصلت قيمته إلى 0.31 سنة 2014، وقد بلغ معدل التزايد السنوي المتوسط 18 %.

II.7.2. المؤشر المركب للتنويع الاقتصادي: تعتمد هذه الدراسة على اعتبار أن التنويع الاقتصادي ظاهرة متعددة الأبعاد و لا يقتصر حدوثه على إجراء تغييرات في بنية الدخل والإنتاج. ومن هذا المنطلق، سوف تستفيد الدراسة من الإحصاءات الرسمية المتاحة لتقدير مؤشر إجمالي للتنويع الاقتصادي، يعتمد على أخذ الوسط الحسابي لمعاملات هيرفندال لستة من المتغيرات التي تتوافر عنها بيانات إحصائية عن كامل الفترة الزمنية (2014/1980). وهي: الناتج المحلي الإجمالي، الصادرات، الواردات، وإجمالي تكوين رأس المال الثابت، الإيرادات العامة، والتشغيل.

ويعد هذا المؤشر المركب مقياساً مرضياً للتنويع الاقتصادي لعدم ارتكازه على بعد واحد من أبعاد التنويع الاقتصادي، وإنما لشموله لستة أبعاد متداخلة. البعد الأول وهو النشاط الإنتاجي ومصادر الناتج المحلي القطاعية، والثاني تركيب الصادرات التي تعتمد بالجزائر بصورة أساسية على الصادرات النفطية، والثالث بنية الواردات إذ إن حدوث تغيير جوهري في بنية الإنتاج سيؤدي بالضرورة إلى إحداث تغيرات موازية في بنية الواردات، والرابع إجمالي تكوين رأس المال الثابت الذي يعكس توزيع الاستثمارات في الأصول الاستثمارية الثابتة، والخامس بنية الإيرادات العامة وتوزيعها بين إيرادات نفطية وغير نفطية، والسادسة بنية التشغيل وتوزيعه على النشاطات الانتاجية المختلفة. والشكل الموالي يوضح تطور المؤشر المركب للتنويع الاقتصادي في الجزائر خلال فترة الدراسة.

شكل رقم (07): مؤشر المركب للتنويع الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة (2014/1980).



ويبين الشكل رقم (07) وتقديراته، أن معامل التنويع المركب قد بلغ 0.33 سنة 1980، وانخفضت قيمته إلى 0.32 سنة 2014، بمقدار 0.01 نقطة. إلا أن الفترة في مجملها شهدت استقرار تقريباً عند نفس الحدود باستثناء الحالة التي ارتفع

عندها المؤشر حين بلغ قيمة 0.40 سنة 1986، وتعد هذه القيم المستقرة لمعامل هيرفندال المركب دليلاً على أن الاقتصاد الجزائري له مستوى مقبول إلى حد ما في توزيع نشاطاته بشكل متكافئ على عدد كبير من القطاعات أو المنتجات، وذلك بالرغم من أن معدل تزايد معامل هيرفندال المركب قد بلغ 0.56 % سنوياً خلال الفترة (2014/1980)، وهو ما يبين عدم تحقيق الاقتصاد الجزائري للقدر الكافي من التنويع الاقتصادي. بالإضافة غلى أن الفترات الزمنية التي ارتفعت فيها درجة التنويع الاقتصادي هي تلك التي انخفضت فيها الإيرادات النفطية (بداية الثمانينيات)، في حين أن انخفاض درجة التنويع قد ترافق بشكل ملحوظ مع ارتفاع أسعار النفط وصادراته وإيراداته (السنوات الأخيرة).

الخاتمة:

إن الشروع في اعتماد استراتيجية شاملة للتنويع الاقتصادي محددة الأهداف في المدى المتوسط والطويل، واختيار أفضل البدائل لتنفيذها وتخصيص المواد الضرورية لتطبيقها. تتطلب سياسات اقتصادية تنطلق من التنويع الخاص المرتبط بالمزايا النسبية للموارد المتاحة في الاقتصاد الجزائري، والقيام بالإصلاحات التي تستدعيها آليات الحوكمة المؤسسية المرافقة، وسياسات تحسين مناخ الاستثمار لترقية تنافسية بيئة الأعمال، وإشكال الدعم، والسياسة المصرفية والتجارية والسياسات القطاعية، والقيام بالمراجعة الشاملة والدورية لمنظومة القوانين والتشريعات ونوعية الإجراءات التنفيذية، كل ذلك يتم انطلاقا من سياسات التكوين النوعي للموارد البشرية التي تقود عمليات التحول المفضي إلى النمو المستدام والتنمية الشاملة المستدامة.وقد بينت نتائج الدراسة أن اقتصاد الجزائر ظاهرياً حقق بالفترة (2014/1980) بعض أهدافه نسبياً في تنويع القاعدة الاقتصادية. حيث انخفضت نسبة مساهمة نشاط قطاع المحروقات في الناتج المحلي الإجمالي من 38.62 % سنة 1980، إلى 35.14 % سنة 2014، وقطاع الأشغال العمومية البترولية من 02.76 % سنة 1980، إلى 00.48 % سنة 2014، وبالمقابل فقد ارتفعت مساهمة كل من القطاعات المتبقية في الناتج المحلي الإجمالي، حيث ارتفع من 61.38 % سنة 1980، إلى 64.86 % سنة 2014. ويفسر ذلك بالانخفاض الذي شهدته أسعار النفط في الأسواق الدولية في الثلث الأول والثاني من الفترة المدروسة تقريباً.أما قيمة معامل هيرفندال للناتج المحلي الإجمالي فتبين عكس ذلك، فالملاحظ أن هذا المعامل شهد ارتفاعا سنوياً بلغ معدله السنوي المتوسط 9.16 %، مما يفيد بعدم حدوث تنويع يذكر في بنية الناتج المحلي الإجمالي بالفترة المدروسة. بالإضافة إلى أن هذا التنوع في النشاطات الإنتاجية، رافقه تنويع جد طفيف في بنية الصادرات التي مثلت المنتجات النفطية ما نسبته 95.83 % من مجموعها سنة 2014. وكذا الإيرادات العامة النفطية التي انخفضت نسبتها في ذات العام إلى 40.36 % من إجمالي الإيرادات الحكومية. وأصبحت الإيرادات العامة موزعة تقريباً بالتساوي بين الإيرادات النفطية وغير النفطية (49 %، 51 %).

وفيما يخص معاملات هيرفندال للتنويع، فقد بينت نتائج التقدير زيادة درجة التنويع مقيمة بتناقص معدل التغير لعامل هيرفندال، الذي بلغ معدل تغيره السنوي المتوسط (9.16 %) للناتج المحلي الإجمالي، و (- 0.37 %) للصادرات، و (1.4 %) للواردات، و (10.5 %) لإجمالي تكوين رأس المال الثابت، و (18 %) للتشغيل، و (0.56 %) لمؤشر التنويع المركب. مما يفيد بضعف درجة التنويع بأبعاده المختلفة التي حصلت في الاقتصاد الجزائري، واستمرار اعتماده على النفط وإيراداته وصادراته.وعليه، فإن تنويع القاعدة الاقتصادية المعتمد على مساهمة القطاعات المختلفة في الناتج المحلي الإجمالي، لا بد وأن يواكبه تحقيق أهداف أخرى كتقليص نسبة الاعتماد على الإيرادات النفطية من جملة الإيرادات العامة الفعلية، وتقليص نسبة الصادرات النفطية من إجمالي الصادرات السلعية، وهذا ما لم يتمكن الاقتصاد الجزائري من تحقيقه حتّى الآن. فضلاً عن أن هدف التنويع الاقتصادي لن يتحقق إلا بإجراء تغيرات هيكلية في دور الدولة في قيادة الاقتصاد، وتوجيه العوائد النفطية إلى القطاعات والأفراد من خلال معايير الإنتاجية والكفاءة.

الملحـق:

معـامـلات هيرفندال-هيرشمان للتنويـع الاقتصــادي في الجزائر (2014/1980)							
السنوات	الناتج المحلي الإجمالي	الصادرات	الواردات	إ ت ر م الثابت	إيرادات عامة	التشغيل	المؤشر المركب
1980	0.1542	0.9680	0.1501	0.5606	0.0802	0.0704	0.3306
1983	0.1175	0.9680	0.1501	0.7046	0.0041	0.0964	0.3401
1986	0.0519	0.9059	0.1513	0.9324	0.3065	0.1038	0.4086
1989	0.1059	0.8445	0.1660	0.6773	0.0576	0.1414	0.3321
1992	0.0957	0.8445	0.1612	0.5889	0.0682	0.1370	0.3154
1995	0.1130	0.9206	0.1457	0.5606	0.0119	0.1568	0.3181
1998	0.1007	0.9206	0.1759	0.8016	0.0000	0.1220	0.3534
2001	0.2052	0.9363	0.1828	0.5326	0.0631	0.2266	0.3577
2004	0.2380	0.9521	0.2065	0.1550	0.1051	0.1982	0.3092
2007	0.2439	0.9681	0.1716	0.3065	0.2314	0.2510	0.3620
2010	0.2133	0.9521	0.2092	0.6179	0.0000	0.2208	0.3688
2014	0.1475	0.9209	0.1563	0.4011	0.0196	0.3106	0.3260

الهوامش المراجع:

1 . مجيد بن أحمد المعلا، التطورات الاقتصادية والاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة للسنوات (2000/1995)، منشورات وزارة التخطيط لدولة الإمارات، ص 13.

2UNNITED NATIONS – NATIONS. UNIES, UNFCCC Workshop on Economic Diversification, FRAME Work Convention on climate change – secretariat, Teheran, Islamic Republic of Iran, 18- 19 October 2003, pag. 6.

3. Stephen M. Kapunda, Diversification and (4) porerty Eradication in Botswana, Sournal of African studies, Vol (17)- (2003) No.2, pag. 51.

4 . عبد المنعم زنابيلي، سياسات المنتجات الأساسية والطاقة، منشورات وزارة الطاقة والإرشاد القومي، دمشق، 1975، ص 79-80.

5. طبايبية سليمة، الهادي لرباع، التنويع الاقتصادي خيار استراتيجي لاستدامة التنمية، ورقة مقدمة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي حول التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، 08/07 أفريل 2008،

6. Lapteacru, I. Assessing Lending Market Concentration in Bulgaria: The Application of a New measure of Concentration. The Journal of Comparative Economics, Vol. 9, N.1. 2012 pp.79-102.

7 . سمير أيمن وآخرون، المجتمع والاقتصاد أمام العولمة، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2004. ص 100.

8 . محمود عبد الفضيل، العرب والتجربة الآسيوية الدروس المستفادة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2000. ص 224، 226.

9 . البنك الدولي، بيانات إجمالي تكوين رأس المال الثابت، من الموقع الإلكتروني: http://www.albankaldawli.org.

10 . ممدوح عوض الخطيب، التنويع والنمو في الاقتصاد السعودي، بحث مقدم ضمن فعاليات المؤتمر الأول لكليات إدارة الأعمال بجامعات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الرياض، 17/16 فيفري 2014.

مراقبة التسيير، الرقابة الداخلية والمراجعة: أوجه الالتقاء والاختلاف والتكامل

د.عقون سعاد
كلية العلوم الاقتصادية التجارية وعلوم التسيير
جامعة امحمد بوقرة بومرداس

الملخص: يهدف هذا البحث إلى التعريف ببعض الأنظمة والوظائف الرقابية التي قد تتواجد داخل المنظمات ومحاولة تبيين أهم أوجه الاختلافات والتشابهات وكذا التكاملات الموجودة بينها، بداية بمراقبة التسيير المعرف لدى البعض بالرقابة الإدارية والذي يهتم بالمساعدة على قيادة ومتابعة أداء المنظمة في إطار تجسيد استراتيجياتها بفعالية وفاعلية وهو يعتبر مسار لتقييم نظام الأداء بالمنظمة، نظام الرقابة الداخلية الذي يعتبر مجموع الضمانات التي تعمل على التحكم في نشاطات المنظمة، وأخيرا المراجعة الداخلية وهي الوظيفة التي تهتم بتعدد أشكالها مالية أو عملية، بتقييم وتحسين وتقديم توصيات لسد الفجوات التي قد تظهر على نظام الرقابة الداخلية وتقويته.
الكلمات المفتاحية: مراقبة التسيير، الرقابة الداخلية، المراجعة الداخلية، المراجعة الخارجية.

Abstract:
This search aims at supplying a brief definition of some systems and functions of control which can exist in organizations to demonstrate the main points of differences, similarities as well as the complementarities which exist between them, beginning with the system of management control which is interested in the help to the piloting and followed by the performance of the organization within the framework of the implementation of the strategies in a effective and efficient way , the internal control system which is considered as a process of evaluation of the system of the performances of the organization, it is perceived as being the set of insurances and contributing safeties to control the organization activities, and finally the internal audit which is a function by the financial and operational evaluation of internal control system by making recommendations to the weaknesses that may appear in this system.
Key words: management control, internal control, internal audit, external audit

المقدمة: يقع على عاتق أي منظمة إقامة أنظمة رقابية سليمة تغطي مختلف المستويات التنظيمية سواء المستوى الاستراتيجي، أو العملي أو التشغيلي وأيضا المستوى التنفيذي، ومن مسؤولياتها أيضا المحافظة على هذه الأنظمة والتأكد من سلامة تطبيقها ميدانيا.

الوظيفة الرقابية هي رابع حلقة للتسيير، وهي تهدف للتأكد من مدى تجسيد الأهداف المسطرة وتحديد العوائق التي حالت دون ذلك في محاولة لاسترجاع المعلومة وتصحيح الوجهة، وهي في هذه الحالة رقابة لاحقة لأنها لا تؤثر على الأداء الحالي بل تعمل على العلاج للفترات القادمة، أي أن تأثيرها يكون على الأداء المستقبلي، بالموازاة تمتلك المنظمة من جهة القدرة على القيام بالرقابة المزامنة للأداء والتي تهدف للتصحيح فور حدوث خلل، وأيضا من جهة أخرى باستباق المشاكل من خلال قيادة أمامية للأداء بفضل التخطيط والموازنات واليقظة والمحاكاة، تتنبأ هذه القيادة باحتمال حدوث أخطاء من خلال مجموعة من المؤشرات والدلائل وتعمل على تصحيحها قبل الشروع في أداء الأعمال المقررة، وبالتالي تكسب المنظمة إمكانية رد الفعل السريع والتأقلم المستمر.

تأخذ المراقبة في المنظمات عدة أشكال، فقد تكون بطريقة خارجية من قبل السوق مثلا فالزبون يحكم على جودة السلع المقدمة، والمساهم على كيفية القيام بالأداء التسييري، والإدارة المركزية على نشاط الأجهزة المفوض لها، وقد تكون داخلية عن طريق المشاركة الجماعية لأعضائها (مراقبة عن طريق الثقافة التنظيمية) أو عن طريق قوانين دقيقة، عن طريق

القيادة المباشرة أو التعديل المتبادل، من خلال تنميط الإجراءات وكذا تنميط المهارات، أو من خلال النتائج (منح استقلالية للأعوان المكلفين بالقيادة لأجل تحقيق الأهداف).

تندرج مراقبة التسيير ضمن المراقبة عن طريق النتائج وهي وسيلة للمساعدة على قيادة أفضل للمنظمات في سبيل تحقيق أداء ناجع، وتهتم المراجعة الداخلية بفحص وتقييم الأنشطة والأعمال والتأكد من مدى صلاحية واحترام السياسات والإجراءات وصدق المعلومات وصلاحيات أنظمة حماية الأصول، في حين تعتبر الرقابة الداخلية مجموعة أساليب تطوير الأداء وتحقيق أكبر فعالية إنتاجية وهي حاليا تعتبر عنصرا مهما في نظام حوكمة المنظمة والقدرة على إدارة المخاطر، والتي تتضمن طبعا الإجراءات التي تساعد على التأكد من دقة وصدق البيانات المالية إضافة إلى حماية الأصول.

تجتمع إذا هذه الأنظمة والوظائف الرقابية في سعيها لحماية المنظمة ودفعها نحو استمرار وجودها، وتختلف من حيث محتواها وطريقة أداء عملها، فمنها ما يهتم بالجانب المحاسبي والمالي ومنها ما يركز على فعالية وفاعلية الأداء ومنها ما تنصب جهودها على حماية الأصول ومنع التلاعبات.

لهذا تمحورت إشكالية هذا البحث في: **ماهي طبيعة العلاقة الموجودة بين هذه الأنظمة والوظائف الرقابية؟**

وكبداية لهذا البحث تم الانطلاق من فرضية أساسية مفادها الآتي: "مراقبة التسيير والمراجعة الداخلية جزء لا يتجزأ من نظام الرقابة الداخلية".

بخصوص هدف البحث فهو يعمل على تسليط الضوء على المفاهيم المتعلقة بكل من مراقبة التسيير، الرقابة الداخلية والمراجعة الداخلية وتحديد العلاقات الموجودة بينها، لأجل حل الغموض ورفع الالتباس والخلط عند تناول مختلف هذه المفاهيم.

تم الاعتماد على المنهج الوصفي لتحديد الإطار النظري للأنظمة والوظائف الرقابية والتحليلي لإيجاد واستخراج العلاقات والاختلافات بينها، وتم تقسيم البحث إلى ثلاث فروع تناول الأول مفهوم مراقبة التسيير، وعرض الثاني تعاريف الرقابة الداخلية، المراجعة الداخلية والمراجعة الخارجية، واهتم الثالث بتقديم أهم ما يميز ويربط نظام مراقبة التسيير عن المفاهيم الشبيهة به السابقة الذكر.

الفرع الأول: ماهية مراقبة التسيير

1- مفهوم المراقبة: بداية يجب تحديد معنى مصطلح المراقبة والمقصد من استخدامه في مراقبة التسيير ولتوضيح ذلك ندرج تعرف قاموس لاروس للمراقبة التالي: المراقبة تعني " القدرة على توجيه ظاهرة، مسار، التدخل في تطوره" وهي بهذا المعنى تحمل فكرة التدخل الإرادي من قبل أحد الأعوان لأجل الحصول على الآثار المرغوبة، المراقبة تتعارض مع العشوائية، ومع تبعية مبالغ فيها للعوامل الخارجية، وهي قريبة من الأفكار التي تتناول التحكم والتعديل.[1]

المراقبة جزء مهم في مسار تسيير المنظمات، بحيث أكد Samule Eilon في كتابه " Management control" بأنه لا يمكن أن يوجد تسيير بدون مسار للمراقبة، وهذا ما أكده R,A Thietart بقوله أن المراقبة تعني ضمنيا التسيير: يقدم التخطيط مؤشرات حول الأهداف المتبعة من قبل المنظمة وكذا بخصوص تطبيق الاستراتيجيات التي تم تبنيها، يسمح التنظيم بمنح حامل تنظيمي ضروري لتنفيذ الاستراتيجيات، يحي التوجيه هذا التنظيم وينشط الأفراد، في حين أن دور المراقبة هو التأكد من أن كل الجهود المبذولة تساهم في تحقيق الأهداف [2]. إن المفهوم الحقيقي لوظيفة الرقابة يتعدى مجرد القيام بالفحص أو التحقيق، وإن كان هذا الأخير جزء معتبر منه، فهي أولا وقبل كل

[1] Françoise giraud, Philippe Zarlowski, les fondements du contrôle de gestion: principes et outils, Pearson, France, 2011, P 1.

[2] Lauzel P et Teller R, contrôle de gestion et budgets , 8ème ed., Ed. Sirey, Paris, 1997, P9-10.

شيء أداة لاتخاذ قرارات سليمة كما يؤكد H Bouquin إذ يرى أن مراقبة المؤسسة هي خاصة مجموعة من الإجراءات التي تهدف أساسا إلى تقديم تأمين أو ضمان للجودة في القرارات"[1]

2- تعريف مراقبة التسيير:هناك العديد من التعاريف التي تناولت موضوع مراقبة التسيير، اهتم بعضها بجانب معين (الوسائل) وتطرق بعضها لجوانب أخرى باختلافها (القيادة، نظام المعلومات، التحفيز اللامركزية...)، وهذا يعود خاصة إلى التطور المستمر الذي تشهده مراقبة التسيير.

ارتبط التصور الكلاسيكي لمراقبة التسيير بالنظريات الكلاسيكية للتنظيم التي كانت تسعى وراء تحقيق أهداف أصحاب رؤوس الأموال باعتبارها بالضرورة أهداف المنظمة، ويتم هذا من خلال تبسيط الهياكل وتشجيع المراقبة عن طريق تقسيم المهام ونظام رسمي للسلطات والمسؤوليات، يسمح بمتابعة دقيقة للعمل المنجز وينصب الاهتمام فيه على اكتشاف الأخطاء وتصحيحها بعد حدوثها انطلاقا من معلومات موضوعية، كمية، وكانت المراقبة عقلانية مطلقة تتوفر على المعلومات اللازمة لربط كل نتيجة بالمسؤول عنها مباشرة.

اتصف بذلك هذا المفهوم بالانفصال عن المحيط، التأكيد على مفهوم المراقبة مطابقة (contrôle vérification) والتركيز على التقارب التقني (الأدوات) مما جعل مراقبة التسيير تتمحور في البعد النفعي لها (مجموعة الوسائل والأدوات).

ومن أوضح التعاريف والأكثر تداولا عن مراقبة التسيير هو الذي قدمه R.Anthony سنة 1965 والمتمثل فيما يلي: " مراقبة التسيير هي المسار[2] الذي يتأكد من خلاله المديرون من أنه تم الحصول واستغلال الوسائل بفعالية وفاعلية لتحقيق أهداف المنظمة" [3]

تدرج هذه النظرة مراقبة التسيير كجزء ضمن المنهج المنطقي الموضح في المسار التالي: قرار – أداء (Décision-Action) الذي يركز على مبدأ السببية الخطية (لكل سبب نتيجة معروفة)، والذي يشمل سبع مراحل هي: معرفة طبيعة المشكل، تحليله، البحث عن الحلول، اختيار الحل الأمثل، تنفيذه، مراقبته، تحليل النتائج واتخاذ الإجراءات التصحيحية. وتمثلت مراقبة التسيير بداية، كجزء فقط من هذه المنهجية العامة، التي جعلت تعريفها ينحصر في مرحلة المراقبة، أي قياس النتائج المتحصل عليها ومقارنتها بالنتائج المرجوة.

تطور هذا المفهوم ليتسع أكثر، ويجمع المراحل السابقة في مساره غير تلك المرتبطة بالقرار وتنفيذه، أي مرحلة البحث عن المعلومات والتشخيص، مرحلة إيجاد الحلول الممكنة والنمذجة (شرح العلاقة سبب-نتيجة)، ومرحلة المراقبة ذاتها. وميزت بذلك هذه النظرة لمراقبة التسيير أربعة مراحل لمسار مراقبة التسيير: مرحلة التخطيط، مرحلة القياس، مرحلة المراقبة، مرحلة النمذجة (Modélisation).[4]

يظهر نظام مراقبة التسيير كمساعدة على القيادة لضمان تحقيق الأهداف، ويرتكز في هذا على مفهوم التغذية العكسية (تسمى أيضا الدورة الاسترجاعية Feed-Back Rétroaction) هي مسار تتالى فيه كل من المعلومة والقرار، تسمح الدورات الاسترجاعية بالحفاظ على النظام في حالة توازن ديناميكي بالنسبة للمحيط، بفضل المعلومات المرتدة التي تسح بتفادي فقدان التوازن ومحاربة الفوضى والاختلال تجعل هذه النظرة من جهة مراقبة التسيير مرتبطة بمنهجية، بمسار يسمح بالتأكد المنتظم بأن الأهداف سيتم تحقيقها، ومن جهة ثانية، تبرز العناصر

---

[1] Joffre P et Simon Y, Encyclopédie de gestion, Tome 1, Ed. Economica, Paris,989, P551.

[2]- المسار (Processus) ترابط أو تسلسل لنشاطات المنظمة خلال الزمن، والموجهة نحو هدف معين. ترتبط المراحل الأساسية للمسار التسييري بتقسيم عامل الزمن أي: قبل، خلال، بعد، وهي بهذا تمثل تحديد الأهداف، القيادة والتقييم.

[3] Bescos, P-L. Dobler P. & all., Contrôle De Gestion Et Management , 2ème éd. revue et corrigée , montchrestien , Paris , 1993, P 20.

[4] Ibid.,P 22-28

الأساسية الثلاثة لمراقبة التسيير والمتمثلة في: الأهداف، الوسائل والنتائج، وتكون مراقبة التسيير بذلك المسار الذي يسمح باستخدام الوسائل للحصول على نتائج متناسقة مع الأهداف.[1]

انطلاقا مما سبق عرفت مراقبة التسيير على أنها " تحديد أهداف الأداء للمنظمة والتحكم الأفضل في تحقيقها التدريجي، هي منهجية لقيادة أداء المنظمة، وتسجل ضمن مجال زمني، بحيث تسبق الأداء بمرحلة التخطيط، وتلاحقه أو تليه بمرحلة المتابعة وتحليل النتائج، وهي بهذا تدريجية.[2] وهي تعتبر أحد الأجهزة الأساسية للتعديل الداخلي وللقيادة، تهدف إلى تعبئة الموارد البشرية بالمنظمة وإلى جعل الأعمال التي يقوم بها مختلف الأفراد متناسقة حتى تساهم بذلك في تحقيق الأهداف العامة للمنظمة.[3]

عدل R Anthony التعريف السابق لمراقبة التسيير على إثر كل الإسهامات الفكرية التنظيمية والتسييرية التي طرأت خلال تلك الفترة، ليصبح أكثر وضوحا: "مراقبة التسيير هي المسار الذي يؤثر من خلاله المسيرون على أعضاء المنظمة الآخرين[4] لتنفيذ الاستراتيجيات."[5]

نلاحظ أنه تم استبدال لفظ ضمان Assurer بلفظ التأثيرInfluencer، وبالتالي أصبحت مراقبة التسيير أقل إلزاما وموجهة أكثر لإيصال التوجهات الكبرى للمنظمة، وأدرج التعريف تنفيذ الاستراتيجيات مكان تنفيذ الأهداف بفعالية وفاعلية. وهذا قد يرجع ربما إلى اعتبار R Anthony أن الأداء لم يعد محصورا في الفعالية والفاعلية.[6]

كما أن R Anthony يؤكد أن مسار مراقبة التسيير هو أساسا سلوكي، فللمديرين أهدافهم الخاصة، والمشكل الأساسي يكمن في كيفية تزويدهم بإغراءات تجعل هذه الأهداف مندمجة في أهداف المنظمة، وهذا ما يسمى تقارب أو التقاء الأهداف la convergence des buts لا يمكن تحقيق تقارب كلي أو مثالي للأهداف الشخصية مع أهداف المنظمة، والهدف يكمن في الاقتراب قدر المستطاع من ذلك".[7] ونستنتج من ذلك أن تقارب الأهداف من احد الوسائل الوسائل الأساسية للتأثير على أعضاء المنظمة، وركيزته الحل التدريجي للنزاعات وهو يندرج ضمن الإدارة بالأهداف.

وبالتوازي مع مفهومي التأثير وتقارب الأهداف نجد مفهوم لا يقل أهمية عنهما وهو التدريب او التمهين التنظيمي، والذي يعمل على تحسين أداء المنظمة بإكسابها مرونة وتكيف أفضل مع محيطها الداخلي والخارجي، وقد وضح كل من Cyert R,M و March J,G مدلوله كما يلي: " من نتائج الخبرة تغيير المنظمة لتصرفاتها خلال الزمن وتبني أهداف جديدة وقواعد جديدة للانتباه وللبحث[8]، لكل هدف عدة أبعاد، ولكل بعد قيم حرجة تتغير زمنيا حسب نتيجة الخبرة، وبالتالي فأهداف المنظمة في فترة معينة دالة لـ: أهداف الفترة السابقة، خبرة المنظمة بخصوص هذه الأهداف، وخبرة المنظمات الأخرى بالنسبة لنفس هذه الأهداف السابقة "[9]

الشكل 1: مخطط توضيحي ملخص للإشكالية الحالية لمراقبة التسيير

---

[1]Ibid., P 28

[2] F GIRAUD, P ZARLOWSKI, les fondements du contrôle de gestion, Opcit. , P 2.

[3] Dayan A, MANUEL DE GESTION, volume 1, ellipses/auf , paris, 1999, P797.

[4]وضح Anthony المقصود بالأفراد الأخرين بالمنظمة من خلال إعتباره ان مراقبة التسيير مسار يحدث بين المسيرين، وهو مرتبط بأولئك الذين لديهم أهداف لتحقيقها، المسير الذي يتوجه إلى غير المسير يشارك في المراقبة العملية أو مراقبة المهام وليس مراقبة التسيير

[5] Anthony R,N et Walker R,G , La Fonction Contrôle De Gestion , Traduction française de Ardoin J,L , Publi Union éditions, Paris, 1993, P 35.

[6] Nicolas berland, Yves de rongé, contrôle de gestion: perspectives stratégiques et managériales, Person, paris, 2010, 2010, p XII.

[7] Anthony R,N et Walker R,G , La fonction contrôle de gestion, Op.Cit. , P 17

[8] les règles d'attention sont adaptés parce que la firme apprend a changer les questions auxquelles elles doit prêter attention, les règles de recherche sont adaptés parce que tout processus de décision a besoin de codes pour comprendre l'information venant de l'environnement

[9] Scheid J-C, les grands auteurs en organisation, Dunod, Paris , 1980, p 144.



المصدر: Alazard, c et Separi ,s ; Contrôle de gestion OPCIT; P 411.

الفرع الثاني: تعريف الرقابة الداخلية والمراجعة الداخلية والخارجية

1- الرقابة الداخلية: يقصد بالرقابة الداخلية كل الوسائل والإجراءات التي تستخدمها المنظمة لحماية أصولها وموجوداتها، وللتأكد من صحة ودقة البيانات المحاسبية والإحصائية ولرفع الكفاية الإنتاجية في المنظمة وتحقيق الفعالية. وتمل هذه الوسائل الهيكل التنظيمي، السياسات، الأنظمة، الإجراءات، التعليمات، المعايير، اللجان، دليل الحسابات، التنبؤات، الموازنات التقديرية، الجداول، التقارير، والتدقيق الداخلي.[1]

إذا ما تناولنا مفهوم مصطلح الرقابة الداخلية من وجهة نظر مهنة المحاسبة فسنجد أن هذا المفهوم مهم، فهو لا يقتصر فقط على الضمانات التي تهم المسار المحاسبي وحماية الأصول، عكس الفهم الضيق الذي تتبناه مهنة المحاسبة، إذ يجب

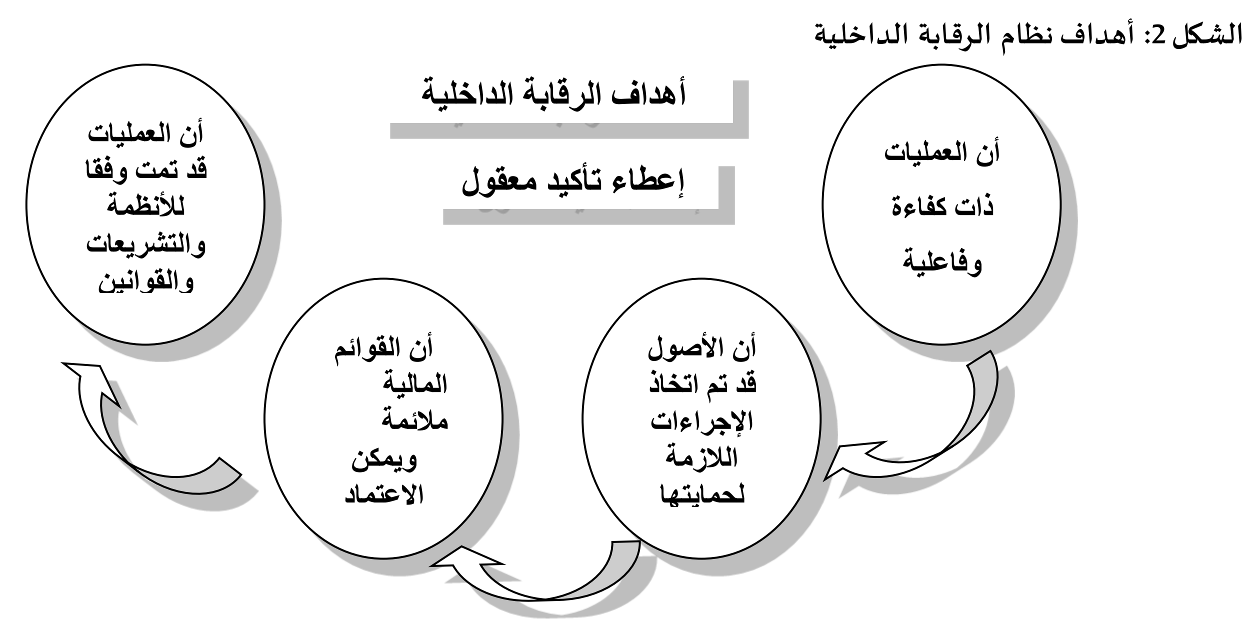
[1] خلف عبد الله الوردات، التدقيق الداخلي بين النظرية والتطبيق وفقا لمعايير التدقيق الداخلي الدولية، مؤسسة الوراق، عمان، 2006، ص37.

فقط تفحص بعض تعاريف الرقابة الداخلية (التي سنذكر البعض منها) للاقتناع بأنّ نطاقه يتجاوز المحاسبة وبان الفكرة الأساسية له هي التحكم، وهو بهذا يندرج ضمن الرقابة التنظيمية"[1]

قدمت[2] COSO I سنة 1992 التعريف التالي للمراقبة الداخلية: "مسار مطبق من قبل مجلس الإدارة والمديرين والموظفين في المنظمة، موجه لمنح ضمان مقبول أو معقول بخصوص الوصول للأهداف العامة التالية:[3]

- تنفيذ العمليات بصفة مثلى؛
- دقة وصلاحية (Fiabilité) المعلومات؛
- المطابقة مع القوانين والأنظمة المعمول بها.

الشكل 2: أهداف نظام الرقابة الداخلية



المصدر: زاهر الرمحي، التدقيق الداخلي والرقابة الداخلية: المفاهيم الحديثة، أصول للتدريب والاستشارات الموقع www.mofdgoia.gov.sd/ramhe.pdf *(14/01/2013)*

يبين التعريف السابق بعض التوضيحات الأساسية التالية:

- المراقبة الداخلية مسار يمثل الوسيلة للوصول إلى الأهداف وليس هدفا في حد ذاته،
- ينفذ - ويتأثر- من قبل أشخاص على كل المستويات التنظيمية، وهو بهذا ليس مجرد مجموعة من الإجراءات والوثائق،
- لا يمكن للمسيرين ولا مجلس الإدارة أن ينتظروا من الرقابة الداخلية سوى ضمان معقول وليس مطلقا.

تتكون الرقابة الداخلية عامة من خمسة (5) مكونات متداخلة حسب نموذج COSO I محيط الرقابة، تقييم الأخطار، أنشطة الرقابة، المعلومات والاتصال، المراقبة [4]، وقد تم تمثيل هذه المكونات في شكل مكعب ثلاثي الأبعاد بحيث: توجد

---

[1] Bouquin, H ; Le Contrôle De Gestion: Contrôle de Gestion, Contrôle D'entreprise et Management, 8ème Ed. ; PUF, Paris, 2008, P 59.

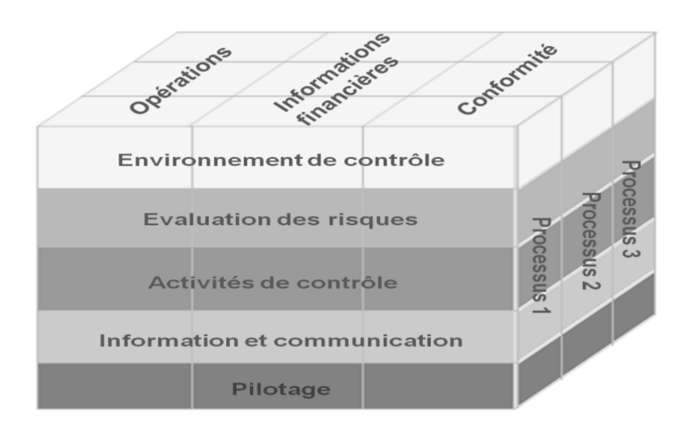
[2] COSO (committee of sponsoring organizations of the Treadway Commission): منتج الجمعية الأمريكية التطوعية للمنظمات المهنية المحاسبية وتتكون من المنظمات التالية: المعهد الأمريكي للمراجعة الداخلية، المعهد الأمريكي للمحاسبة القانونية، إتحاد المحاسبين القانونيين، معهد المحاسبين الإداريين، معهد المديرين الماليين

[3] Jean-Pierre GRAMET, Les bonnes pratiques en matière de contrôle interne dans les PME , cahiers de l'academie n° 13 l'Académie des Sciences et Techniques Comptables et Financières , 2008, P17. http://www.lacademie.info/publications/cahiers_de_l_academie/cahier_de_l_academie_n_13_les_bonnes_pratiques_en_matiere_de_controle_interne_dans_les_pme (17/03/2013)

[4] Nicolas berland, Yves de rongé, contrôle de gestion, Op.cit., P 6-7.

علاقة مباشرة بين الأهداف التي تسعى المنظمة جاهدة إلى تحقيقها ومكونات الرقابة الداخلية التي تمثل ما هو المطلوب لتحقيق تلك الأهداف، ويمكن تصوير تلك العلاقة على هيئة مصفوفة ثلاثية الأبعاد أو على شكل مكعب.

الشكل 3: مكونات نظام الرقابة الداخلية حسب النموذج الأول لـ COSO



المصدر: /http://www.bpms.info/levolution-du-referentiel-coso-du-controle-interne-au-management-des-risques

يمثل محيط الرقابة (l'environnement de contrôle) الوسط الذي ينفذ فيه الموظفين مهامهم ويتحملون فيه مسؤولياتهم، وهو يعكس ثقافة المنظمة لكونه يحدد درجة تحسيس الموظفين للحاجة للرقابة، وهو ركيزة كل المكونات الأخرى للرقابة الداخلية، يشمل محيط الرقابة: نزاهة، أخلاقيات وكفاءة الذاتية والمهنية للمسؤولين والموظفين، أسلوب التسيير، الهيكلة التنظيمية، سياسة تفويض السلطات والمسؤوليات، وسياسة تسيير الموارد البشرية.يشمل مسار تقييم الأخطار (l'évaluation des risques) أربعة مراحل، تهدف إلى التحكم الأفضل بالأخطار خلال الدورة التشغيلية في المنظمة، وهي تتمثل فيك تحديد الأخطار، تقييمها، معالجتها ومتابعتها.

ترتبط أنشطة الرقابة (les activités de contrôle) بمجمل السياسات والإجراءات المطبقة للتحكم في الأخطار، وهي تغطي أنشطة مختلفة، كإجراء تعيين المسؤول عن الإمضاء وإعطاء الموافقة خاصة في الجانب المالي، إجراءات التعيين، فصل الوظائف (التسجيل، المعالجة، المراقبة)، تحديد صلاحيات الوصول واستخدام الموارد والوثائق...

المعلومات والاتصال (information et communication) أساسيان لتحقيق مجمل أهداف الرقابة الداخلية، بحيث يجب ضمان الحصول واستخدام معلومات صحيحة ومهمة مع التسجيل السريع لها والترتيب الملائم للتعاملات والأحداث في آجال محددة. كما يجب توضيح أهمية مسؤولية كل فرد في المنظمة بخصوص الرقابة الداخلية.

المتابعة (pilotage/monitoring) وتعني التقييم الدوري لمختلف مكونات الرقابة الداخلية، لتحديد ما إذا كانت تعمل كما هو مطلوب، وتحديد مدى الحاجة لإجراء التطوير والتحديث المطلوب لمسايرة الظروف الداخلية، إذ أن إجراءات الرقابة عرضة للتقادم، فقد تصبح مع مرور الزمن غير مناسبة ويضعف الالتزام بها.[1]

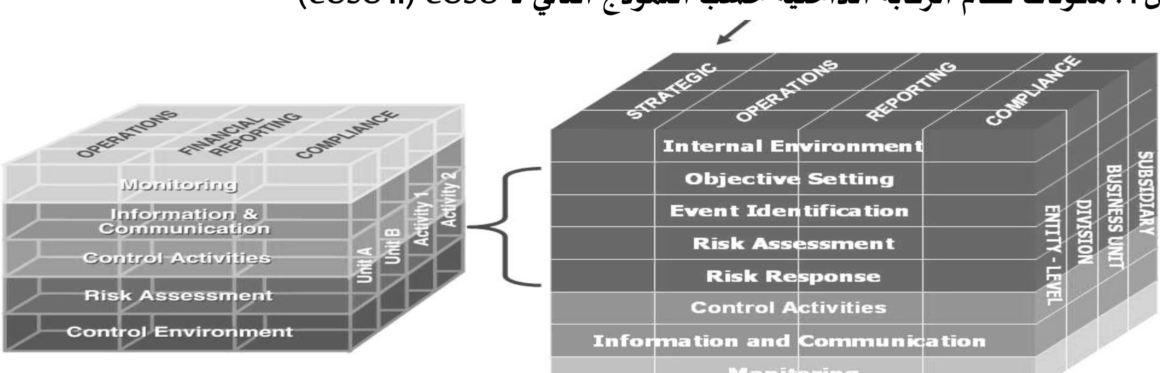
إن أهداف المنظمة المتمثلة في: الالتزام بالقوانين المطبقة (la conformité aux lois et règlements) ونظامية/ أخلاقية/ اقتصادية /كفاءة / فعالية العمليات التشغيلية (l'efficacité et l'efficience des opérations) وصلاحية المعلومات المالية (fiabilité des informations financières - financial reporting)، قد تم تمثيلها في خانات عمودية، فيما تم تمثيل المكونات الخمس (للرقابة الداخلية) في خمسة صفوف أفقية أما المنظمة والدوائر التابعة لها فانه يمكن تصويرها بأنها البعد الثالث للمصفوفة، وسوف نجد أن كل صف من صفوف مكونات الرقابة الداخلية يتقاطع مع كل الخانات العمودية

[1] آلان عجيب مصطفى هلندي وثائر صبري محمود الغبان، دور الرقابة الداخلية في ظل نظام المعلومات المحاسبي الإلكتروني: دراسة تطبيقية على عينة من المصارف في إقليم كردستان العراق، مجلة دراسات محاسبية ومالية، المجلد3، الإصدار 9، العراق، 2009، ص 11.
www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=738

للأهداف وينطبق عليها مثلاً البيانات المالية وغير المالية الناتجة عن مصادر داخلية وخارجية – وهي البيانات التي تنتمي إلى مكون المعلومات والاتصال - تعتبر بيانات مطلوبة لإدارة العمليات التشغيلية والتبليغ واستيفاء أغراض الالتزام بالقوانين المطبقة.

وبالمثل فانه بالنظر إلى الخانات العمودية للأهداف نجد أن كافة الصفوف الأفقية التي تمثل المكونات الخمسة (للرقابة الداخلية) تتعلق بكل هدف، وبأخذ هدفا واحدا وليكن مثلا كفاءة وفعالية عمليات التشغيل نرى بوضوح أن جميع مكونات الرقابة الداخلية الخمسة يمكن تطبيقها وتعتبر هامة لتحقيق ذلك الهدف، إن الرقابة الداخلية لا تتعلق فقط بكامل المنظمة ولكنها تتعلق أيضا بكل دائرة من دوائر تلك المنظمة، ويمكن تصوير هذه العلاقة بأنها البعد الثالث الذي يمثل المنظمة وكافة دوائرها، وهكذا يستطيع المرء التركيز على أي خلية من خلايا تلك المصفوفة.عدل نموذج COSO II النموذج السابق بإدماج الاستراتيجية وأدرج تحت تسمية تسيير الأخطار Enterprise Risk Management أو ما يطلق علية ERM، وبهذا أضاف تحديد الأهداف، وتوسع في تقييم المخاطر بحيث أضاف له تحديد الأحداث الحاملة للخطر، والإجابة المعتمدة للمخاطر التي تم تحديدها. كما أخذ بعين الاعتبار للأهداف الاستراتيجية إضافة للأهداف التشغيلية وأهداف المطابقة.

الشكل 4: مكونات نظام الرقابة الداخلية حسب النموذج الثاني لـ COSO (COSO II)



المصدر: http://csqa.blogspot.no/2006/04/kc-922-coso-enterprise-risk-management.html

يعرف ERM بأنه "المسار الذي يضعه مجلس الإدارة، الإدارة والموظفين الآخرين في المنظمة، والمطبق عند تحديد الاستراتيجية وتنفيذها، والمصمم للكشف عن كل الأحداث التي يمكن أن تؤثر على المنظمة ولتسيير الأخطار حتى لا يتم الخروج عن إطار المخاطر المقبولة، ومنح ضمان معقول بخصوص تحقيق أهداف المنظمة" [1]

فيما يتعلق بمقومات الرقابة الداخلية فهي: [2] هيكل تنظيمي سليم حيث يتم فيه تحديد المسؤوليات والسلطات لكافة المستويات التنظيمية ويضمن تحقيق التناسق والتكامل بينها، نظام محاسبي سليم ومكتوب، إجراءات وسياسات وقائية مختلفة وتعليمات تطبيقية مكتوبة ومحددة تبين بشكل واضح إجراءات العمل وضوابطه، موظفون أكفاء ومؤهلون لتأدية المهام الموكلة إليهم، استخدام الوسائل الألية والإلكترونية، تقييم الأداء.

2- المراجعة الداخلية والخارجية:

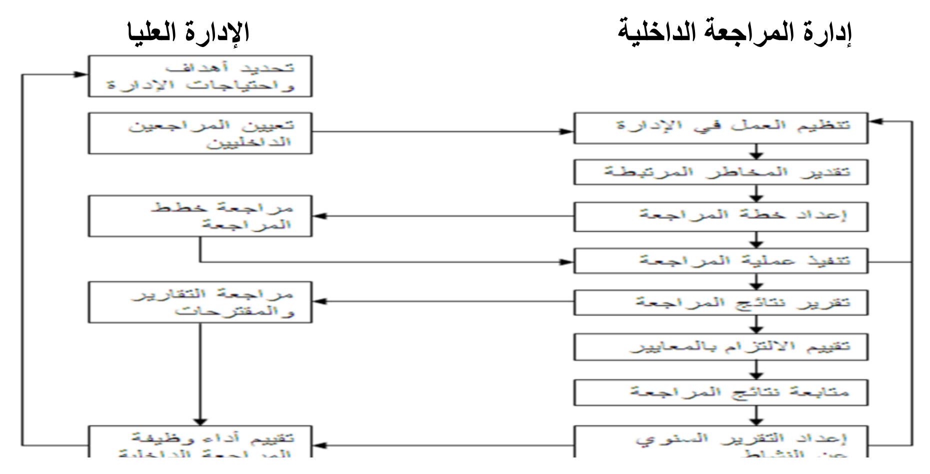
أ- **تعريف المراجعة الداخلية:**عرف معهد المراجعين الداخليين IIA المراجعة الداخلية كالتالي: "نشاط مستقل وموضوعي يمنح المنظمة ضمان بخصوص درجة التحكم في عملياتها، يزودها بنصائح لتحسينها، ويساهم في خلق القيمة المضافة، يساعد المنظمة على تحقيق أهدافها من خلال تقييم منهجي ونظامي لمسارات تسيير الأخطار بها ولمراقبة وحوكمة المنظمة،

[1] Bouquin, H, Le Contrôle De Gestion: Contrôle de Gestion, Contrôle D'entreprise et Management, Op.Cit., P 62

[2] آلان عجيب مصطفى هلندي وثائر صبري محمود الغبان، ، مرجع سبق ذكره، ص 11.

ويقدم اقتراحات لتقوية وتدعيم فعاليتها.[1] كما يعرفها المعهد الفرنسي للمراجعين والمراقبين الداخلين IFACI أنها " فحص دوري للوسائل الموضوعة تحت تصرف مديرية قصد مراقبة وتسيير المؤسسة، هذا النشاط تقوم به مصلحة تابعة لمديرية المؤسسة ومستقلة عن باقي المصالح الأخرى، إن الأهداف الرئيسية للمراجعين الداخليين، في إطار هذا النشاط الدوري، هي إذن التدقيق فيما إذا كانت الإجراءات المعمول بها تتضمن الضمانات الكافية، أن المعلومة صادقة، العمليات شرعية، التنظيمات فعالة، الهياكل واضحة ومناسبة" هي[2] إذا وظيفة رقابية مستقلة بداخل المؤسسة تهتم بالنواحي المالية والمحاسبية (التحقق من صحة البيانات المالية، منع التلاعب والغش..) ومختلف وظائف الاستغلال والإدارة (التأكد من إتباع السياسات والتأكد من مدى ملائمتها..)، لتدعيم نظام الرقابة الداخلية وتحقيق التحكم بالمنظمة، ويوضح الشكل أدناه تداخل عمليات التنظيم والتخطيط لإنجاز مهام المراجعة الداخلية، وتقييم عملها.

الشكل رقم 5: تداخل عمليات التنظيم والتخطيط لإنجاز مهام المراجعة الداخلية



المصدر: جمال شحات، تنظيم العمل في إدارة المراجعة الداخلية http://alphabeta.argaam.com/article/detail/25015

يتضح من الشكل أعلاه أن[3]: وظيفة المراجعة الداخلية تبدأ من تحديد الأهداف والتعرف على احتياجات الإدارة التنفيذية، وهذه المرحلة تبدأ على مستوى الإدارة، وبناء عليه تبدأ إدارة المراجعة الداخلية في تنظيم العمل الداخلي، وتحدد احتياجاتها من الموارد البشرية والموارد الأخرى، كما أن الإدارة التنفيذية تلبى احتياجات إدارة المراجعة الداخلية من الموارد على أساس التنظيم وتوزيع العمل المقترح لتحقيق الأهداف.

الخطوة التالية تكون على مستوى إدارة المراجعة الداخلية، وفيها يتم تقدير خطر المراجعة الذي على ضوئه تعد إدارة المراجعة الداخلية استراتيجية وخطط المراجعة، تراجع الإدارة التنفيذية خطط المراجعة في ضوء متطلباتها، وقد تدخل الإدارة بعض التعديلات على الخطط.تقوم إدارة المراجعة الداخلية بتنفيذ عملية المراجعة وفقا للخطط المتفق عليها مع الإدارة التنفيذية، وتعد تقارير المراجعة بصفة مبدئية، تراجع الإدارة التنفيذية التقارير التي تم إعداداها، بعدها تقوم إدارة المراجعة الداخلية بتقييم مدى التزام المراجعين بمعايير المراجعة ومعايير جودة الأداء. كما تتابع إدارة المراجعة الداخلية نتائج وتوصيات التقارير، يقوم بإعداد التقرير السنوي لها، ويقدم هذا التقرير إلى الجهات المعنية ومنها الإدارة التنفيذية التي تقوم عمل إدارة المراجعة الداخلية في ضوء الأهداف المحددة في بداية العام، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التسلسل في مراحل العمل سوف يتكرر سنويا .يطلب بالإضافة إلى ذلك من المراجع الداخلي تقييم حوكمة المؤسسات (gouvernement d'entreprise) وتقديم اقتراحات لتحسين فعاليتها وهو ما ينص عليه المعيار الدولي لعمل المراجع

[1] Pierre Schick, Memento d'audit interne - Méthode de conduite d'une mission, Dunod, Paris, 2007, P5 http://excerpts.numilog.com/books/9782100505906.pdf (28/01/2013) .

[2] محمد بوتين، المراجعة ومراقبة الحسابات من النظرية على التطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 15.

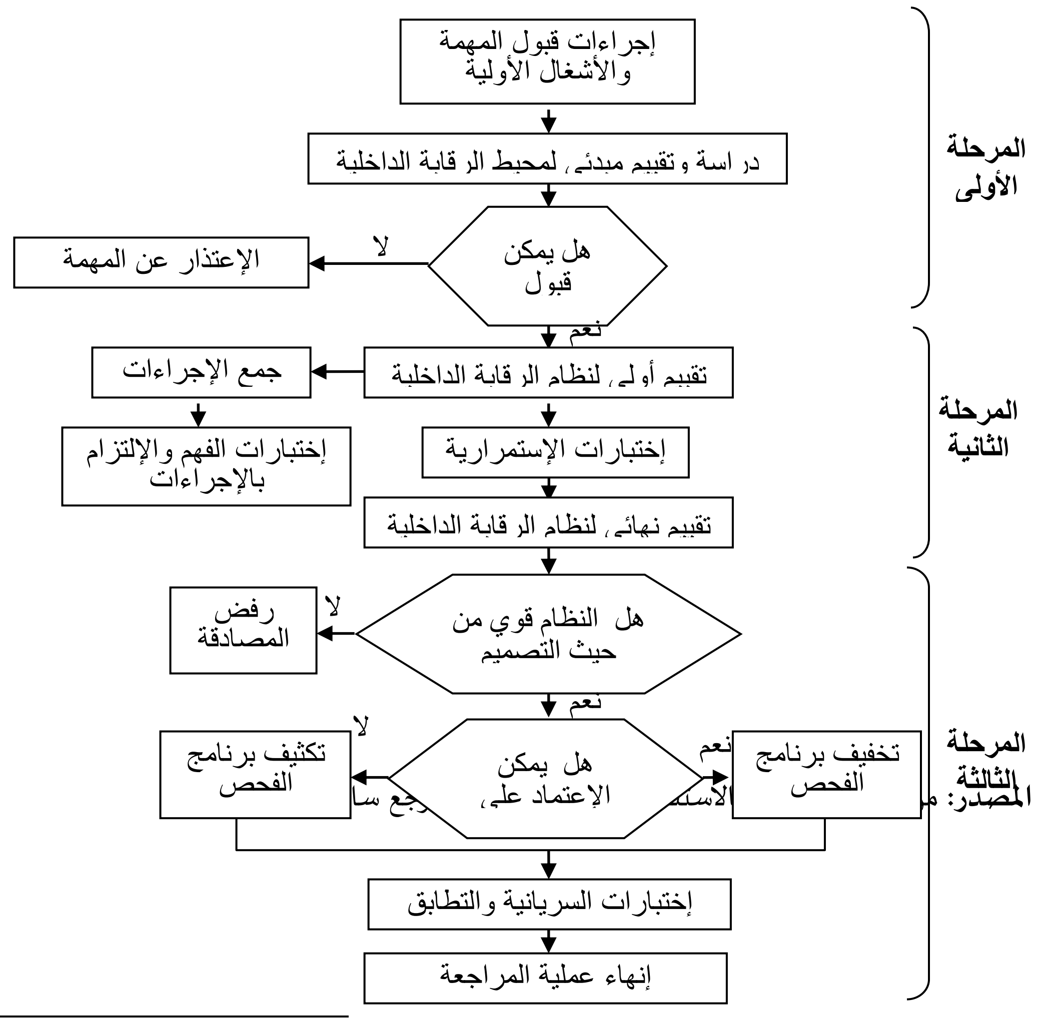
[3] http://alphabeta.argaam.com/article/detail/25015

الداخلي(2110) المسمى بحوكمة المؤسسات[1]، وقد تم إعطاء دور محدد للمراجع الداخلي بخصوص تقييم الحكومة في أربع نقاط أساسية تتعلق بمعرفة مدى تلبيته للأهداف التالية: تعزيز قواعد الأخلاق، ضمان الإدارة الفعالة للأداء التي تنطوي على إلزامية المساءلة، إيصال المعلومات حول المخاطر والمراقبات، توفير معلومة الكافية للمجلس، والمراجعين الداخليين والخارجيين، والإدارة.

ب- المراجعة المالية الخارجية:تعرف l'IFAC المراجعة المالية الخارجية كالتالي: 'تهدف المراجعة المالية إلى زيادة مستوى الثقة الذي تقدمه الوثائق المالية للمستخدمين المستهدفين، وللوصول إلى هذا الهدف، يجب أن يعبر المراجع المالي عن رأيه بخصوص ما إذا كانت الوثائق المالية قد تم إعدادها بالمطابقة مع مرجع المعلومات المالية المطبق ' référentiel d'information financière applicable' أي إذا كانت تعطي صورة وفية وصادقة للمرجع."[2]

يسمى مراجع الحسابات في هذه الحالة محافظ الحسابات أو الخبير المحاسب وقد تكون طبيعة المهمة قانونية أو تعاقدية، وهو إذا خص خارجي عن المنظمة ويجب أن يتمتع بالاستقلالية والموضوعية إضافة إلى الكفاءة، هدفه المصادقة على صدق وشرعية الحسابات أو القوائم المالية بالنظر إلى مرجع محدد (معايير مالية وأسس محاسبية)، ويكون الرأي في شكل تقرير مكتوب ومحفز بأدلة ويقدم ضمان لأصحاب المصلحة، ويمكن عرض منهجية عمل مراجع الحسابات فيمايلي:

الشكل رقم 6: المسلك العام لمراجع الحسابات الخارجي



[1] http://www.ifaci.com/uploads/_ifaci/ani_fichiers/Normes-2013-VF-nc.pdf, P 11.

[2] Francis Lefebvre, audit et commissariat aux compte2010-2011: Guide de l'auditeur et de l'audité, 2ème éd. Francis Lefebvre, France, 2010, P465-466.

IFAC: International federation of accountants

الفرع الثالث: تمييز مراقبة التسيير عن المفاهيم الشبيهة لها

1-**مراقبة التسيير والرقابة الداخلية:**إن نظام الرقابة الشامل هو عبارة عن مجموعة موحدة من أنظمة الرقابة والتوجيه تستخدمها المنظمة لتحقيق أهدافها وغاياتها، ويمكن أن تكون الرقابة وقائية أو توجيهية أو أن تعمل على تحري الأمور.[1]
تشمل الرقابة الداخلية أنواعا مختلفة يكمن اختلافها في الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، يمكن تقسيمها إلى ما يلي: الرقابة المالية (contrôle financier) التي تختص بالتأكد من دقة البيانات المحاسبية المسجلة ومدى الاعتماد عليها وتتألف من النشاطات المالية وإجراءات المراجعة والتدقيق المالي والحسابي، الضبط الداخلي أو ما يسمى بالمراجعة الداخلية (internal check) والتي تهتم بالمحافظة على أصول المنظمة وموجوداتها وتتم المراقبة بطريقة تلقائية مستمرة، وأخيرا الرقابة الإدارية (contrôle administratif) والمقصود به هنا هو مراقبة التسيير.كما تتفق التعاريف السابقة للرقابة الداخلية على تجميع ضمن " الضمانات" التي تشكل الرقابة الداخلية، تلك التي تهدف إلى "تشجيع تحسين الأداء" وإلى ضمان "إحرام سياسات التسيير" وتامين "مطابقة القرارات مع سياسة الإدارة" وهذه الأهداف تمثل أساس تطبيق نظام مراقبة التسيير، وبهذا فمراقبة التسيير احد أوجهه.[2]

مراقبة التسيير باعتبارها مصممة ومنشطة لنظام المعلومات ستسهر على جمع وإيصال المعلومات اللازمة لتمكين الموظفين من أداء مهامهم، وتزويدهم باعتبارها نظام مساعد على التحكم بمعطيات عن مدى تحقيق الأهداف وبالتالي الوقوف على مدى قوة نظام الرقابة الداخلية لديهم والذي يمكن أن يظهر في حالة أداء ناجع (تحكم واقتصاد في التكاليف) وانحرافات قليلة عن الأهداف.

يجب أن يكون نظام الرقابة الداخلية محل متابعة موجهة للتأكد من جودته خلال الزمن، بحيث تظهر الجودة من خلال تحقيق الأهداف التي يصبو إليها، يمكن أن تتم هذه المتابعة بصفة دائمة أو لفترات زمنية محددة أو كلاهما معا، وعادة ما تتم من خلال خلية المراجعة الداخلية.

2- مراقبة التسيير، المراجعة الداخلية والخارجية:

أ- **مراقبة التسيير والمراجعة الداخلية:**شهدت كل من مراقبة التسيير والمراجعة الداخلية تغيرات متشابهة، بحيث مرت المراجعة الداخلية من مجرد مراقبة محاسبية إلى مساعدة التسيير في التحكم في العمليات، وبنفس الطريقة مرت مراقبة التسيير من مجرد تحليل التكاليف إلى مراقبة الموازنة ومن ثم إلى وسيلة فعلية لقيادة المنظمة. وتتمثل أهم نقاط التشابه، الاختلاف والتكامل بينهما فيما يلي:[3]

أوجه الشبه:

- تهتم كلاهما بكل نشاطات المنظمة وبالتالي لهما طابع كلي أو شامل (universel)،
- يقوم كلاهما بالمساعدة، جذب الانتباه واقتراح توصيات، وهما لا يحملان الطابع العملي، أي ليست لهما سلطة التقرير والبحث في العمليات،
- كلا الوظيفتين حديثتين نسبيا، وتشهدان فترة تطور بكل ما يحمله من العديد من التساؤلات وعدم التأكد،
- تستفيد كلا الوظيفتين من ارتباط وظيفي يحافظ على استقلاليتهما وحريتهما، أي في أعلى المستوى التنظيمي.

أوجه الاختلاف:

- **بالنسبة للهدف:** هدف المراجعة الداخلية هو التحكم الأفضل في النشاطات من خلال تشخيص إجراءات نظام الرقابة الداخلية للتأكد من مدى قوتها ومدى الالتزام بتنفيذها، مراقبة التسيير تهتم أكثر بالمعلومات، فهدفه المساعدة على تحديد

[1] خلف عبد الله الوردات، التدقيق الداخلي بين النظرية والتطبيق وفقا لمعايير التدقيق الداخلي الدولية، مرجع سبق ذكره، ص123.
[2] Bouquin, H, Le Contrôle De Gestion: Contrôle de Gestion, Contrôle D'entreprise et Management, Op.Cit., P62-63.
[3] Jacques renard, théorie et pratique de l'audit interne, Eyrolles, ed. d'organisation, 7ème ed, 2011, P93-96

نجاعة الأداء، قياسه، متابعته واقتراح إجراءات لإعادة النظام للوضعية الصحيحة، وبهذا يقوم بتصميم نظام معلومات المؤسسة ويساعد في تصور هيكلة تنظيمية مبنية على لا مركزية فعالة للسلطة.

- **بالنسبة لمجال التدخل:** بالرغم من اهتمامهما بكل نشاطات المنظمة، إلا أن نظرتهما تختلف، فمراقب التسيير يهتم خاصة بالنتائج الفعلية والتقديرية ويركز خاصة على ما هو كمي أو قابل للقياس الكمي، المراجع يتخطى ذلك بحيث يهتم بمجالات أوسع كالحماية، الجودة، العلاقات الاجتماعية.. الخ

- **الدورية:** يقوم المراجع بمهام مختلفة على طول السنة حسب دورية تحدد انطلاقا من الخطر، ونشاطه مخطط ونظامي، نشاط مراقب التسيير مرتبط بالنتائج وبدورية التقرير ويتأثر كثيرا بأولويات الإدارة العامة.

- **مناهج العمل:** منهجية عمل المراجع الداخلي خاصة به (تحضير، تنفيذ، تقرير) بينما تركز منهجية عمل مراقب التسيير على إعلام العمليين (تقديرات وإنجازات) وهي في غالبيتها منهجية مبنية على التحليل والاستنتاج.

التكاملات:

– تمنح المراجعة الداخلية ضمان لمراقبة التسيير مرتبط نظام الرقابة الداخلية والخاص بدقة وصلاحية المعلومات، وتجعل منه نظاما أكثر فعالية، من جهة أخرى تخضع مراقبة التسيير للمراجعة للتأكد من تحكمها في نشاطها (وجود الإجراءات، مدى احترامها ومدى سلامتها: هل المؤشرات مناسبة، هل المعلومات الناتجة شاملة، هل هناك تناسق بينها وبين تلك الناتجة عن الوظائف الأخرى...)

– تساعد تقارير المراجعة الداخلية مراقب التسيير وتمنحه المعلومات الحقيقية للحكم على طريقة عمل المسارات بالنظر إلى الإجراءات المقررة.

– كما يجد المراجع لدى مراقب التسيير معلومات تمثل مؤشرات تجلب انتباهه إلى نقاط الضعف الواجب أخذها بعين الاعتبار في مهام المراجعة، كما يقوم مراقب التسيير بتحديد معايير الأداء للمراجع للتمكن من تقييمه على ضوء إنجازاته (عدد المهام المقررة، الإجراءات المتخذة، المنفذة ضمن الآجال المحددة، أجال التنفيذ، الميزانية...)

ب- **مراقبة التسيير والمراجعة المالية:**

تهدف المراجعة المالية كما سبق ذكره إلى زيادة مستوى الثقة الذي تقدمه الوثائق المالية للمستخدمين المستهدفين، وهي بهذا تختلف تماما عن مراقبة التسيير إلا كل منهما يمكن أن يستفيد من تقارير الأخر، فبالنسبة للمراجع الخارجي يستفيد من عمل مراقب التسيير(إذا ما كان جيدا) لتحديد نقاط ضعف نظام الرقابة الداخلية باعتبار تقييم هذا النظام ثاني مرحلة (بعد الاتصال والتعرف على المنظمة) في برنامج عمله، وبالتالي فهناك سيتم تركيز جهد الفحص، في حيث قد يخفف البحث في عناصر نقاط القوة، خاصة مع العلم أن هذه المراجعة هي مراجعة اختبارية (حسب عينات) وليست شاملة. كما يعمل مراقب التسيير بتوصيات المراجع الخارجي بهدف تحسين نظام المعلومات المكون من خلال مجمل الأدوات التي وضعها حيز التطبيق وبالتالي مساعدة أحسن وقيادة أفضل.

الخاتمة:

حاولنا من خلال هذا البحث التعرض ولو بشكل موجز للعلاقات بين نظام مراقبة التسيير ونظام الرقابة الداخلية ووظيفة المراجعة والتي أدرجنا معها المراجعة الخارجية بهدف توضيح المصطلحات، ووصلنا حسب التعاريف الحديثة المقدمة عن الرقابة الداخلية أنها ملمة لمراقبة التسيير والمراجعة الداخلية، إذ أن نظام الرقابة الداخلية السليم يهدف إلى تحقيق التحكم في الأنشطة المتعددة للمنظمة واحترام مختلف السياسات التي وضعت بغية تحقيق الأهداف المسطرة وتجسيد الاستراتيجيات المختارة، وهذا انطلاقا من وضع مجموعة من الأهداف وتوضيح الهياكل وعلاقات وإجراءات العمل، وتحديد المخاطر المحتملة وسبل مواجهتها.

يتفق جميع المهتمين بالموضوع على أن المراجعة الداخلية جزأ من نظام الرقابة الداخلية، لأنها وظيفة تقييمية مستقلة هدفها تدعيم وتحسين هذا النظام من خلال تقديمها لاقتراحات وتوصيات ناتجة من مختلف مهام المراجعة سواء المبرمجة أو غير المبرمجة، لكن الاختلاف الذي عادة ما يظهر هو اعتبار نظام الرقابة الداخلية أحيانا وظيفة إلى حد تسمية المكلف بها المراقب الداخلي، وهذا خطأ لأنها نظام تصممه الإدارة يشمل هيكلها التنظيمي ومستويات المسؤولية خطوط السلطة وإجراءات وأنظمة وطرق العمل، تقع على جميع الموظفين مسؤولية تنفيذ واحترام هذا النظام كل حسب مستواه التنظيمي وطبيعة مهامه.

كما أنه هناك من يعتبر الرقابة الداخلية نظاما موجها نحو المعلومات المحاسبية والوثائق المالية فقط، في حين أنها تهتم بالحفاظ على المنظمة واستمرارية وجودها من خلال إدارة المخاطر التي قد تحدث، والتي ليست مقتصرة على المخاطر المالية فقط، ولهذا نجد أن البعض يعتبر نظام مراقبة التسيير مستقلا عن نظام الرقابة الداخلية باعتبار أن هذا الأخير يهتم بالنواحي المالية والمحاسبية للأداء، وهذا غير مبرر لكونه من ضمن الرقابات والضمانات التي تتحدث عنها الرقابة الداخلية إذ أنها تجمع ضمن " الضمانات" التي تشكل الرقابة الداخلية، تلك التي تهدف إلى "تشجيع تحسين الأداء" وإلى ضمان "احترام سياسات التسيير" وتامين "مطابقة القرارات مع سياسة الإدارة" وهذه الأهداف تمثل أساس تطبيق نظام مراقبة التسيير، وبهذا فمراقبة التسيير أحد أوجهه.

مساعي الوكالة الدولية للطاقة الذرية المبذولة لتفادي خطر انتشار الإرهاب النووي

أ. آمال بن صويلح
جامعة 8 ماي 1945 قالمة

ملخص

تمتاز الطاقة النووية بكونها متعددة الاستخدامات، يمكن توظيفها في المجالات السلمية كالطب والزراعة والصناعة، كما يمكن أن تستخدم في مجالات عسكرية، كصناعة الأسلحة النووية التي أصبحت هدفًا تسعى وراءه المنظّمات الإرهابية. نتيجة لذلك تعمل الوكالة الدولية للطاقة الذرية على وضع إجراءات دولية ووطنية لحماية الموادّ والمنشآت النووية من الأعمال الإرهابية.

الكلمات المفتاحية: الوكالة الدولية للطاقة الذرية، الإرهاب النووي، أساليب الحماية.

Abstract
Nuclear power advantage of being versatile can be employed in peaceful areas such as medicine, agriculture and industry can also be used in military fields of nuclear weapons as an industry that has become the goal of seeking behind terrorist organizations. As a result, the International Atomic Energy Agency is working on the development of international and national measures to protect nuclear materials and facilities from terrorist acts.
Key words: International Atomic Energy Agency, and nuclear terrorism, protection methods.

مقدمة

شهد العالم خلال الفترة الحالية العديد من المشاكل والمخاطر التي عجز في بعض الأحيان عن مجابهتها أو تلافي أضرارها، ذلك لأسباب عديدة، إما لعجزها أو لعدم توفر إمكانيات فعالة قصد تحقيق أهدافها، أو بسبب الحجم الكبير للخطر وتداعياته، نذكر على سبيل المثال لا الحصر الإرهاب النووي الذي يعتبر من أهمّ التحديات التي تواجه الدول على اختلاف مكانتها وقوتها إذ يشكل تهديدا حقيقيا للأمن والسلم الدوليين، فهو يتزايد مع تزايد وتنوّع استخدامات الطاقة النووية التي شهدت قفزة نوعية خاصة في المجالات السلمية، كالزراعة والطب والصناعة... ومع ضعف الإجراءات الأمنية المتخذة من قبل الدول التي تمتلك المنشآت النووية والموادّ النووية الإشعاعية التي تدخل في تركيب الطاقة النووية التي وضعت بهدف توفير الحماية لها. وضعية اللاحماية هذه التي خيمت على الوضع الأمني الدولي عموما تدفعنا لطرح التساؤل التالي: هل توجد إجراءات أمنية فعلية قامت بها الوكالة الدولية للطاقة الذرية لحماية الموادّ والمنشآت النووية وغيرها من أعمال الإرهاب النووي؟ وان كان لها وجود هل تمكنت الوكالة من تحقيق الأمن والسيطرة على مخاطر هذا النوع من الإرهاب؟.

1- الإطار المفاهيمي للإرهاب النووي: يعد الإرهاب النووي بصوره الحالية ظاهرة ممكنة الحدوث في ظل النقائص التي تعاني منها الإجراءات الأمنية المتخذة لحماية الموادّ والمنشآت النووية وفي ظل تنامي التنظيمات الإرهابية والوسائل التكنولوجية المتقدمة التي تعتمد عليها في عملها.

1-1 تعريف الإرهاب النووي: وضعت له العديد من التعريفات المختلفة إلا أنها اشتركت في كونه يؤدي لإحداث كوارث ونتائج وخيمة على كافة الأصعدة وفق كل المقاييس. عرف بأنه" حيازة مادة مشعة أو صنع أو حيازة جهاز بقصد التسبب في وفاة أو إصابة بدنية خطيرة وبقصد إحداث أضرار فادحة في الممتلكات أو البيئة" أو هو " كل عمل إرهابي يقوم من خلاله شخص أو أكثر ينتمي لمنظّمة إرهابية بتفجير قنبلة نووية" [1].

[1]- مجموعة باحثين،" منع الإرهاب النووي: التحسن المستمر أو التراجع الخطير"، مركز بلفرم للعلوم والشؤون للعلوم والشؤون الدولية، كلية كيندي جامعة هارفارد، ص 05.

بالمقابل عرفت جريمة الإرهاب النووي بأنها استخدام بأي شكل من الأشكال موادّ أو أجهزة مشعة أو استخدام منشأة نووية أو الإضرار بها بطريقة تؤدي إلى الإفراج عن الموادّ المشعّة أو إلى مخاطر الإفراج عنها بقصد التسبب في وفاة أو إصابة بدنية خطيرة أو إحداث أضرار فادحة في الممتلكات أو البيئة أو قصد إكراه شخص طبيعي أو اعتباري أو منظّمة دولية أو دولة على القيام بفعل أو الامتناع عن القيام به "[1].

1-2 أشكال الإرهاب النووي: يتخذ كونه نوع من أنواع الجرائم الخطرة الماسة بأمن وسلامة الإنسان والبيئة العديد من الأشكال المختلفة التي تهدف كلها لتحقيق نتيجة واحدة العديد من الأشكال منها الهجوم أو الاستيلاء على التجهيزات العسكرية أو المحطات النووية أو سرقة الموادّ النووية، نشر العدوى بموادّ مشعة، الأخطار الكاذب بنشاط إشعاعي. تتضاعف هذه الأشكال وتتنوع أكثر في ظل عدم امتلاك بعض المحطات النووية نظام مركزي للحماية والوقاية من الحرائق بالإضافة لوجود عيوب كبيرة في الصيانة بسبب نقص قطع الغيار[2].

1-3 العوامل المساعدة لممارسة الإرهاب النووي: منذ أكثر من ربع قرن ظهرت تنبأت عن إمكانية استخدام الأسلحة النووية في الهجمات الإرهابية ذلك في ظل وجود العديد من العوامل التي تزيد من وقوع هذه الاحتمالية التي تتمثل في : انتشار الاستخدام النووي في الأغراض السلمية بعد أن كان استخدامها مقتصرا على الأغراض العسكرية في ظل تزايد عدد العامّلين في المنشآت النووية أدى ذلك لعدم التمكن من فرض السيطرة الكلية والرقابة الأمنية المطلقة على هذه المنشآت والموادّ ذات الصلة، إضافة لزيادة عدد الدول المالكة لموادّ كاليورانيوم المخصب أو البلوتونيوم سواء كانت كبرى أو صغرى تعاني من ضعف مستوى اقتصادها وانتشار الفقر والبطالة. هذا الوضع الذي يمكن استغلاله جيدا من طرف العصابات العالمية المنظّمة عن طريق دفع مبالغ مالية كبيرة مقابل الحصول على هذه الموادّ والخبرات العالمية، دون إغفال الضغوطات والتهديدات والابتزاز الذي يمارس على العامّلين في المحطات النووية من طرف الجماعات الإرهابية من أجل الحصول على الموادّ النووية والكفاءة العلمية لتتمكن من صنع الأسلحة النووية؛ هذا نتيجة وجود علاقات متشابكة بين العصابات الإرهابية وتنظيمات الجريمة المنظّمة [3].

2- لمحة عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية: تأسست الوكالة الدولية بصفتها منظّمة مستقلة في إطار منظّمة الأمم المتحدة عامّ 1957 في ظروف صعبة سادها التوتر والحروب وعدم الثقة فهي المنظّمة الوحيدة ضمن منظومة الأمم المتحدة التي تملك الخبرة في مجال التكنولوجيات النووية، حيث تساعد مختبرات الوكالة المختصة الفريدة من نوعها على نقل المعارف والخبرات إلى الدول الأعضاء فيها.

2-1 أجهزة الوكالة الدولية للطاقة الذرية: تتكون الوكالة من ثلاث فروع رئيسية يتولى كل واحد منها وظائف حددها النظام الأساسي للوكالة والتي تتمثل في :

✓ **المؤتمر العامّ:** يعتبر الجهاز الأعلى في الوكالة، تعتبر بقية الأجهزة الأخرى تابعة له، يتكون من 134 عضوا، يجتمع مرة سنويا في دورة عادية[4]. من بين الاختصاصات المخولة له اتخاذه قرارات في مسائل يحيلها إليه المجلس التنفيذي صراحة، مع اقتراح موضوعات على المجلس لينظر فيها ويطلب موافاته بالتقارير اللازمة عن أية مسالة تتعلق بوظائف الوكالة، إقرار ميزانية الوكالة التي يوصي بها المجلس التنفيذي أو يعيدها إليه مشفوعة بتوصيات عامّة أو خاصة، وقف الدولة العضو

---

[1] - المادة 02 من الاتفاقية الدولية لقمع أعمال الإرهاب النووي لسنة 2005، ص 04.

[3] - د عادل حسن علي السيد،" التعاون الإقليمي والإقليمي الدولي لاحتواء التهديدات الإرهابية"، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، 2007،ص 08.

[3] - د عادل حسن علي السيد،" التعاون الإقليمي والإقليمي الدولي لاحتواء التهديدات الإرهابية"، مرجع سابق، ص ص06-07.

[4] - محمد حافظ غانم،" المنظّمات الدولية : دراسة لنظرية التنظيم الدولي واهم المنظّمات الدولية"، ط3،مصر،مطبعة النهضة الجديدة،ص 401.

من التمتع بامتيازات العضوية وحقوقها بالإضافة لانتخاب أعضاء مجلس المحافظين والموافقة على تعيين المدير العامّ لها والموافقة على قبول دول أعضاء فيها [1].

✓ **مجلس المحافظين:** يعد بمثابة الجهاز التنفيذي للوكالة الذي يشرف على عمليات الوكالة التجارية، يتكون من 13 عضوا يتم اختيارهم من خلال المجلس. من الاختصاصات التي يمارسها: تعيين المدير العامّ للوكالة بموافقة المؤتمر العامّ، مع تقديمه لتوصيات بشان طلبات العضوية للوكالة، وضع نظامه الداخلي الذي لا يتعارض مع النظام الأساسي للوكالة، مع اعتمادها نظامها المالي وتقديم توصيات حول حسابات الوكالة إلى المؤتمر العامّ بالإضافة لعقد اتفاق أو أكثر لإنشاء علاقات مناسبة بين منظّمة الأمم المتحدة أو أي منظّمة أخرى تتصل أعمالها بمجال عمل الوكالة، وتقديم تقرير سنوي عن شؤون الوكالة ومشاريعها[2].

✓ **الأمانة العامّة أو السكرتارية:** تتكون من موظّفين ذوي كفاءات علمية وفنية تعمل لتحقيق مقاصد الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وتأدية وظائفها. يترأسها المدير العامّ للوكالة، يعينه مجلس المحافظين بموافقة المؤتمر العامّ. يراعى في اختيار الموظّفين التابعين للوكالة شروط واعتبارات خاصة أهمها توفر الكفاءة العلمية والفنية والنزاهة وقدرة الإنتاج، بالمقابل يمنع عليهم طلب أو تلقي توصيات من خارج الوكالة، أو القيام بما يتعارض مع مركزهم كموظّفين فيه، بالإضافة لعدم قيام المدير العامّ والموظّفين بإفشاء أسرار صناعية أو معلومات أخرى سرية يطلعون عليها بموجب عملهم السري في الوكالة [3].

أبرمت الوكالة الدولية العديد من الاتفاقيات مع 65 منظّمة دولية حكومية وغير حكومية، بالإضافة لإدارتها ثلاثة معامل موجودة في النمسا وفيينا وموناكو مخصصة لدراسة الإشعاع البحري والطب النووي والتلوث البحري[4]. هذا دون إغفال المساهمة الفعالة والنشطة للوكالة في تأمين تشغيل المنشآت والمفاعلات النووية وإغلاقها وإخراجها من الخدمة على نحو صحيح، وتأكيد الاستعمال الصحيح للموادّ والنفايات المشعّة ليتم الحد من التسرب الإشعاعي إلى البيئة، ومعالجة المواقع الملوثة، إذ قامت الوكالة بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة ومع شركاء من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا بتنفيذ مشروع امتد من ابريل 2007 حتّى 2010 في منطقة الكاريبي تحت اسم" استخدام التقنيات النووية لدراسة مشكلات إدارة المناطق الساحلية في منطقة الكاريبي" حيث استخدم العلماء موادّ طبيعية مشعة لفحص الملوثات وتتبع آثارها المتسربة للمحيطات ومناطق المد والجزر.

2-2 الأهداف التي تسعى الوكالة الدولية لتحقيقها: نظرا للدور الجد مهم الذي تلعبه الوكالة الدولية للطاقة الذرية في إطار الاستخدام السلمي للطاقة النووية وتوسيع نطاقها مقابل التخفيض من استخداماتها العسكرية الخطرة، فقد حددت المادّة الثانية من النظام الأساسي للوكالة هدفين أساسيين يتمثلان في :

- نشر الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية والتعجيل بذلك : رغم صعوبة تحقيق هذا الهدف في إطار الظروف الحالية إلاّ أنّ الوكالة قامت بالخطوات التالية: تشجيع وتيسير بحث استخدام الطاقة النووية في الأغراض السلمية كالصحة العامّة والزراعة والمياه والطب وحماية البيئة، تأمين قيام دولة عضو بتقديم الخدمات والموادّ والمعدات والمنشآت إلى أيّ دولة عضو أخرى بما يعزز الأمن والسلم الدوليين[5]، بالإضافة لتشجيع تبادل المعلومات العلمية والفنية المتعلقة بنتائج استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية، حيث تلعب الوكالة دورًا كبيرًا في عقد العديد من الحلقات البحثية مثل الفعاليات المتعلقة بتطوير القدرة النووية وتكنولوجيا المفاعلات النووية، والأخرى الخاصة بالسلامة النووية والأمان النووي، وبتطوير

---

[3]- د جمال عبد الناصر مانع،" التنظيم الدولي: النظرية العامّة والمنظّمات العالمية والإقليمية المتخصصة"، ط1، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي،. 2007، ص 426

- د مفيد محمود شهاب،" المنظّمات الدولية"، ط10،القاهرة،دار النهضة العربية،1990، ص 590. [2]

[1]- د محمد خيري بنونة،" القانون الدولي واستخدام الطاقة النووية"، ط2، القاهرة، مؤسسة دار الشعب، 1971، ص 277

- حسن عبد الله،" قاموس مصطلحات العلاقات والمؤتمرات الدولية "، بيروت، مكتبة لبنان،1999،ص 452. [4]

[3]- محمد البرادعي،" الاستخدامات السلمية للطاقة النووية"، الإمارات العربية المتحدة،مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2003، ص 04.

التفتيش الوطني ونظام الضمانات. بالإضافة لمساهمة الوكالة في تطوير القانون النووي سواء في مجال القانون الدولي أو القوانين الوطنية من خلال تقديم مساعدة في إعداد إجراءات وقائية تصلح كنموذج للتشريعات المحلية للدول، ناهيك عن تبادل وتدريب العلماء والخبراء في ميدان الطاقة النووية السلمية.

- **عدم استخدام الطاقة النووية في خدمة الأغراض العسكرية:** تسعى الوكالة الدولية لبذل كل مساعيها واستغلال كل أجهزتها للتأكد من عدم استخدام المساعدات والمعونات المقدمة من طرفها لخدمة الأغراض العسكرية، في سبيل تحقيق ذلك، وضعت الوكالة جملة من الإجراءات أهمها وضع وتطبيق الضمانات والرقابة الرامية لتأمين استخدام الموادّ الانشطارية والموادّ والمعدّات التي تقدّمها الوكالة للأغراض السلمية دون العسكرية، مع فرض الرقابة على استخدامها، إضافة لالتزامها بالعمل وفقا لمبادئ الأمم المتحدة الرامية لتعزيز السلم والتعاون وتحقيق نزع السلاح على نطاق عالمي، من جهة أخرى تقوم الوكالة بتقديم المساعدة للدول الأعضاء دون إخضاع ذلك لأيّ شرط سياسي أو اقتصادي أو عسكري، أو أي شرط يتعارض مع نظامها الأساسي مع ضمان نوعية الخدمة التي تقدمها للدول الأعضاء خاصة فيما تعلق بخزن الموادّ الانشطارية وتوزيعها بطريقة عادلة، دون إغفال ضرورة تأمين سلامة الموادّ التي بحوزة الوكالة من العوارض الجوية وأعمال التخريب والاستيلاء القهري والنقل أو التمويل دون ترخيص[1]. حيث اتخذت المساعدات المقدمة من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية طابعا ثنائيا من خلال التوقيع على اتفاقيات تعاون مع بعض الدول، بالإضافة للطابع الجماعي عبر إقامة برامج تعاون فني على المستوى الإقليمي، هذا وقد عقدت الوكالة اتفاقيات رسمية مع أكثر من 71 منظّمة حكومية دولية وغير حكومية على نطاق العالم، إضافة إلى 11 اتفاقية دولية بشان الأمان والأمن النووي والمسؤولية النووية [2].

3- **تدابير الحماية التي اعتمدتها الوكالة الدولية للطاقة الذرية** : أكبر هاجس وخطر واجه الدول، وبالمثل الوكالة الدولية للطاقة الذرية: هو إمكانية حصول التنظيمات الإرهابية على الموادّ المكونة للسلاح النووي بأيّ طريقة كانت سواء عن طريق شرائها أو شنّ هجمات على منشآت نووية تنتج هذه الموادّ الإشعاعية الخطرة، أو تخزنها أو تستخدمها. الأمر الذي يتطلب تطبيق صارم لتدابير الحماية والإجراءات الأمنية في أماكن تواجد هذه الموادّ لإحباط المحاولات الإرهابية الرامية للحصول عليها. تعد تدابير الحماية بمثابة ضوابط وطنية تضعها الدول كل حسب تشريعاتها الوطنية أو على صعيد دولي مشترك تهدف لمنع عمليات التخريب وشن الهجمات وتنفيذ السرقات وغيرها من الأعمال الإجرامية لضمان اكتشاف ومنع واسترجاع الموادّ المفقودة في وقت مبكر[3]. هذا في ظل تنامي تسجيل حالات عديدة تعدت 100 حادث سنويا للتجارة النووية غير المشروعة والأنشطة غير المصرح بها مؤخرا التي شهدت تراجعا حيث سجل خلال فترة تفكك الاتحاد السوفيتي حدوث حوالي 400 واقعة خسارة أو سرقة بين عامّي 1993و 2003 حسب تصريحات المدير العامّ للوكالة الدولية للطاقة الذرية يوكيا امانو خاصة ما تعلق بالموادّ النووية والمصادر المشعّة الأخرى، ذلك لاستخدامها في تحقيق أهداف تمس بالأمن العامّ[4]. هذا وقد يوجد في الوقت الراهن ما يقارب 2000 طنًّا من الموادّ النووية الصالحة للاستخدام في تصنيع الأسلحة منها اليورانيوم عالي التخصيب، والبلوتونيوم المفصول مخزّنة في مئات المواقع حول العالم والتي يفتقر بعضها إلى التأمين المحكم، فتكون بذلك معرّضة للسرقة أو للبيع في السوق السوداء [5].

وباعتبار أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية هي الإدارة القانونية والفنية والتقنية العالمية لمنع انتشار ومنع تحريف الاستخدام السلمي للطاقة النووية ولتعزيز الأمن النووي، وهي المسئولة عن منع وصول الموادّ النووية لأيدي الجماعات الإرهابية

---

[1]- محمد مصطفى يونس،" استخدام الطاقة النووية في القانون الدولي العامّ"، مرجع سابق، ص.127

[2] - مجموعة مؤلفين،" التقرير السنوي للوكالة الدولية للطاقة الذرية لعامّ 2005"، فيينا،منشورات الوكالة الدولية للطاقة الذرية،2005، ص 93.

[3] - مجموعة مؤلفين،" أسلحة الرعب إخلاء العالم من الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية"، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ص 99.

[4]- مقال بعنوان" منع حيازة الإرهابيين للمصادر المشعة".تقرير الخبير التابع للجنة 1540صادر عامّ 2016، جامعة موسكو للعلاقات الدولية، ص 03

[5] - مبادرة التهديد النووي،" مؤشر امن المواد النووية"، الإصدار الثاني، يناير 2014، ص 04.

وضمان سلامة الموادّ المشعّة والنووية وأمنها، قامت باتخاذ العديد من الإجراءات والخطوات على الصعيد الدولي لتحقيق أهدافها تتمثل إجمالا في :

3-1 وضع مدونة قواعد السلوك المتعلقة بأمان المصادر المشعّة: صادق عليها مجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتاريخ 8 سبتمبر 2003 تمت صياغتها بهدف مساعدة الدول على تطوير والحفاظ على مستويات مرتفعة من الأمان والأمن فيما يتعلق بالمصادر الإشعاعية [1] فهي توفر إطارا أساسيا لمتطلبات الأمن والأمان النووي التي ينبغي على الدول أن تضمن تناولها في قوانينها وأنظمتها الداخلية، وعن طريق هيئاتها الإدارية المختصة [2]. بموجب هذه المدونة يترتب على الدول الأعضاء عدة التزامات أهمها:

✓ إعداد الدول الأعضاء لتشريعات ولوائح تنفيذية تحدد فيها المسؤوليات الحكومية المتعلّقة بأمان المصادر المشعّة وأمنها ومدى التحكم الفعال في المصادر المشعّة مع تحديد متطلبات الوقاية من التعرض للإشعاعات النووية دون إغفال تحديد متطلبات أمان وامن المصادر المشعّة والأجهزة التي تضمها.

✓ إنشاء هيئة رقابية تتولى مهمة الرقابة المستقلة عن أية مهام أخرى تتعلق بالمصادر المشعّة مثل التصرف في المصادر المشعّة أو تشجيع استخدام مثل هذه المصادر بالإضافة لوضع تدابير لوقاية الأفراد والمجتمع والبيئة من الآثار المؤدية للإشعاعات المؤينة الناجمة عن المصادر المشعّة.

✓ وضع متطلبات إدارية تتعلق بالتصريح بالتصرف في المصادر المشعّة وأخرى تتعلق بالهيئة الرقابية وبوضع سياسات وإجراءات وتدابير وافية من اجل التحكم بالموادّ المشعّة، بالإضافة لمتطلبات تتعلق بالتحقق من أمان الموادّ المشعّة وأمنها من خلال رصد الامتثال والتحقق.

✓ وضع واتخاذ تدابير أمنية تكفل خلال جميع مراحل التصرف منع الوصول غير المصرح به إلى المصادر المشعّة ومنع سرقتها أو فقدانها أو استخدامها أو سحبها على نحو غير مصرح به وإعاقة هذه العمليات والكشف عنها [3].

هذا وقد سجل عامّ 2013 أي بعد مرور عشرة أعوام كتبت 113 دولة إلى المدير العامّ للوكالة الدولية للطاقة الذرية معربة نيتها العمل على تطبيق أحكام هذه القواعد حيث قامت بالعديد من النشاطات على المستوى الوطني والإقليمي والدولي لتطوير هذه القواعد وتطبيقها.

3-2 وضع برنامج الخدمة الاستشارية الدولية المعنية بالحماية الفعلية: أنشأت الوكالة الدولية للطاقة الذرية هذا البرنامج قصد مساعدة الدول على تعزيز النظام الوطني للأمن النووي، وتقديم المشورة حول تنفيذ الأدوات الدولية، وإرشاد الوكالات بشان حماية الموادّ النووية والمشعّة والموادّ الأخرى والموافق المرتبطة بها. أثناء فترة مهمة البرنامج يتم مراجعة وتقييم نظام الحماية الفعلية الخاص بالدولة العضو من قبل فريق من الخبراء الدوليين، ومن ثم تقديم توصيات من اجل إدخال تحسينات وتعزيز نظام الأمن النووي الوطني، ومقارنته مع المبادئ التوجيهية الدولية، وأفضل الممارسات المعترف بها دوليا، بناء عليه تقدّم توصيات بشأن إدخال التحسينات اللازمة بما في ذلك متابعة الأنشطة والمساعدة[4].

3-3 وضع خطة أمنية للفترة من 2006-2009: قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية باعتماد خطّة عمل قصد التقليص من مخاطر حصول هجمات إرهابية بواسطة موادّ نووية أو على مستوى منشآت نووية، تعتمد على محاور ثلاثة هي: الوقاية التي تعتبر الخط الدفاعي الأول الذي يتضمن مساعدة الوكالة للدول الأعضاء قصد إقامة بنى أساسية وتأمين الحماية

---

[1]- مجموعة مؤلفين،" أسلحة الرعب إخلاء العالم من الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية"، مرجع سابق، ص 100.

[3]- مجموعة باحثين،" تدابير التنفيذ الوطنية لمدونة قواعد السلوك بشان أمان المصادر المشعة وأمنها"، إصدارات الوكالة الدولية للطاقة الذرية، أغسطس 2012،ص 12.

[3]- لمعلومات أكثر راجع المادتين 18 و19 من مدونة قواعد السلوك المتعلقة بأمان المصادر المشعة لعامّ 2003.

[1]- مقال بعنوان" خطة العمل لقمة الأمن النووي وثيقة مرجعية"، صادر بتاريخ 13 ابريل 2010، واشنطن على الموقع الالكتروني التالي :

[h]ttp.www.state.gov/isn/c12743.html

الكاملة للمنشآت النووية والموادّ النووية ومختلف الموادّ المشعّة ناهيك عن إقامة نظام وطني للمحاسبة والرقابة، بالإضافة للكشف الذي يعد الخطّ الدفاعي الثاني يتمثل في تقديم الوكالة المساعدة للدول خلال استخدام أجهزة ومعدات للكشف عن الموادّ النووية أو الموادّ المشعّة عموما وتدريب العناصر الأمنية على استخدام هذه الأجهزة بهدف وقف الاتجار غير المشروع والأنشطة غير القانونية بهذه الموادّ، ناهيك عن محور الاستجابة الذي يعتبر من أصعب مهام الوكالة يشمل مساعدة الدول للتخطيط حول كيفية التعامّل مع الموادّ المكتشفة ومنع التهديدات النووية ووضع ترتيبات وخطط مناسبة للاستجابة في حال عدم نجاح هذه الإجراءات[1].

3-4 وضع الخطة الأمنية للفترة من 2010-2013: تهدف هذه الخطّة الأمنية التي قدمت من قبل المدير العامّ للوكالة الدولية للطاقة الذرية والتي حصلت على موافقة مجلس محافظي الوكالة للإسهام في الجهود العالمية في تحقيق امن فعال عالميا متى وجدت موادّ نووية أو إشعاعية مستخدمة أو مخزنة أو منقولة دون إغفال المنشآت الخاصة بها، ذلك عن طريق دعم الدول بناء على طلبها لتحقيق أمن نووي فعّال والمحافظة عليه من خلال تأمين الإمكانيات والإرشاد وتنمية الموارد البشرية والاستدامة وتخفيض المخاطر بالإضافة للمساعدة على الالتزام بالأدوات القانونية الدولية المتعلقة بالأمن النووي وتطبيقها وتعزيز التعاون والتنسيق الدوليين من خلال البرامج الثنائية أو غيرها من المبادرات الدولية بأسلوب يسهم في الاستخدام السليم للطاقة النووية أو في استخدامات مماثلة بموادّ وعناصر مشعة.

3-5 إصدار سلسلة معايير الأمن النووي للوكالة الدولية للطاقة الذرية: تعالج سلسلة منشورات التعليمات الأمنية للوكالة الدولية للطاقة الذرية القضايا المتعلقة بالحيلولة دون سرقة أو تخريب أو الحصول غير المرخص أو النقل غير القانوني أو أي أعمال أخرى ضارة تشمل الموادّ النووية أو الموادّ الإشعاعية والمنشآت المتعلقة بها واكتشافها، تكمل هذه المنشورات الآليات الدولية الأخرى المتعلقة بحفظ الأمن الدولي مثل اتفاقية الحماية الفعلية للموادّ النووية وتعديلها لعامّ 2005 والاتفاقية الدولية لقمع أعمال الإرهاب النووي.

تصدر منشورات الوكالة الخاصة بسلسلة إرشادات الأمن النووي حسب الفئات التالية:

- ✓ أساسيات الأمن النووي والتي تشمل أهداف ومفاهيم ومبادئ الأمن النووي وتضع أساس للتوصيات الأمنية.
- ✓ التوصيات توفر أفضل الممارسات التي ينبغي تبنيها من قبل الدول الأعضاء وفي تطبيق أساسيات الأمن النووي.
- ✓ إرشادات التطبيق توفر مزيدا من شرح التوصيات بالنسبة للمجالات الأوسع والتدابير المقترحة لتطبيقها.

تشتمل منشورات الإرشادات التقنية على كتيبات ومراجع تضمّ تدابير أو إرشادات مفصّلة عن كيفية تطبيق الإرشادات التنفيذية في مجالات ونشاطات معينة مثل مناهج تدريب الوكالة في مجال الأمن النووي وكتيبات أدلة الخدمات المتعلقة بمهمات الأمن النووي الاستشارية للوكالة[2].

3-6 تأهيل الكوادر البشرية: ضمن إطار دعم الأمن النووي قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتأهيل ورفع كفاءات الكوادر البشرية لتتمكن من مواجهة أي طارئ نووي أو إشعاعي ناجم عن أعمال إرهابية من خلال عقد العديد من الدورات التدريبية التي قارب عددها حوالي 150 دورة استفاد منها 2900 متدرب من أكثر من 90 دولة بالإضافة لتقديمها العون لبعض مراكز التدريب المحلية ودعم العديد من البرامج التعليمية في جامعات مختلفة في العالم[3].

3-7 تنظيم ودعم المؤتمرات الدولية: حيث قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتنظيم ودعم العديد منها في مجال الأمن النووي منذ عامّ 2001 حتّى 2006 إذ عقد المؤتمر المتعلق بأنظمة التحكم النووي في موسكو 2006 والمتعلق بسلامة وامن

---

[2]- ميرو سلافقر يقوريك،" الأمن النووي والسلامة النووية"، الرياض، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2007، ص 85.

[1]- مجموعة باحثين،" النفايات المشعة: التصدي للتحديات"، مجلة الوكالة الدولية للطاقة الذرية، مكتب الإعلام العامّ والاتصالات، العدد 55-03، سبتمبر 2014، ص 08.

- د مرفت محمد البارودي،" الإرهاب النووي ومجابهته "، 2007، ص 75.[3]

المصادر النووية في البوردو 2005 ومؤتمر الأمن النووي في لندن 2005 ومؤتمر امن مصادر الموادّ المشعّة في فيينا عامّ 2003 وآخر حول الأدلة الجنائية النووية لعامّ 2002.

ساهم إلى جانب الوكالة الدولية في تنظيم هذه المؤتمرات والفعاليات الدولية الهامّة العديد من المنظّمات والهيئات الدولية مثل منظّمة الجمارك العالمية ومنظّمة الصحة العالمية ومنظّمة الطيران المدني الدولي ومعهد أبحاث الجريمة والعدالة التابع للأمم المتحدة واتحاد البريد العالمي وغيرهم.

3-8 تعاون الوكالة الدولية للطاقة الذرية مع منظّمة الأمم المتحدة: قصد تحقيق هدفها الذي يضمن استمرارية الحياة في كنف كوكب امن سالم قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتوحيد جهودها ومشاركتها مع منظّمة الأمم المتحدة قصد التمكن من وضع صياغة قانونية لاتفاقيات دولية ملزمة للدول تحثهم على اتخاذ جملة من الإجراءات يمكن من خلالها توفير نوع من الحماية للموادّ والمنشآت النووية من الهجمات والأعمال الإرهابية التي قد تطالهم. من أهم هذه الاتفاقيات الدولية التي ساهمت الوكالة في وضعها :

3-8-1 اتفاقية الحماية المادية للموادّ النووية: تم اعتمادها في فيينا بتاريخ 3 مارس 1980 حدد مجال تطبيق هذه الاتفاقية على الموادّ النووية المستخدمة في الأغراض السلمية أثناء النقل النووي الدولي وأثناء استخدام الموادّ النووية سلميا وعند تخزينها ونقلها محليا. أهم ما جاءت به هذه الاتفاقية هو الالتزامات المترتبة على الدول الأعضاء فيها المحددة على النحو التالي:

- عدم تصدير أو منح إذن بتصدير موادّ نووية ما لم تكن تلقت تأكيدات بتوفير الحماية لتلك الموادّ أثناء النقل النووي الدولي مع منع استيراد أو منع إذن باستيراد موادّ نووية من دولة ليست طرف في الاتفاقية ما لم تكن الدولة الطرف تلقت تأكيدات بتوفير الحماية لتلك الموادّ أثناء النقل النووي الدولي لها.

- عدم سماح دولة طرف بالمرور العابر في إقليمها لموادّ نووية منقولة بين دولتين ليستا طرفين في الاتفاقية سواء عن طريق البر أو في الممرات المائية الداخلية أو عبر مطاراتها أو موانئها ما لم تكن تلقت بالقدر الكافي تأكيدات بتوفير الحماية لهذه الموادّ النووية أثناء النقل النووي الدولي.

- في حال وقوع سرقة أو سلب أو أي شكل من أشكال الأخذ غير المشروع للموادّ النووية أو وجود تهديد بحدوث ذلك تعمد الدول الأطراف وفقا لقوانينها الوطنية لتقديم تعاونها ومساعدتها في استعادة وحماية تلك الموادّ من خلال اتخاذ الخطوات المناسبة لإعلام الدول الأخرى المعنية في اقرب وقت ممكن بأي سرقة أو سلب أو أي شكل من أشكال الأخذ غير المشروع للموادّ النووية أو بأي تهديد، مع تبادل الدول الأطراف المعنية عند الاقتضاء المشورة والمعلومات فيما بينهم بطريقة مباشرة أو مع المنظّمات الدولية بغية حماية الموادّ النووية المهددة أو التحقق من سلامة حاوية النقل أو استعادة الموادّ النووية المأخوذة على نحو غير مشروع حيث يجب تنسيق جهودها عن طريق القنوات الدبلوماسية وغيرها وتقديم المساعدة في حال طلبها[1].

3-8-2 الاتفاقية الدولية لقمع أعمال الإرهاب النووي: تم اعتمادها من قبل الجمعية العامّة للأمم المتحدة بموجب القرار رقم 59-290 المؤرخ في 15 ابريل 2005 ليتم فتح باب التوقيع عليها في مقر الأمم المتحدة بنيويورك من 14 سبتمبر حتّى 31 ديسمبر 2006 ليبدأ نفاذها في 7 يوليو 2007.حددت الاتفاقية الأفعال التي ترتكب بصورة غير مشروعة وعمدا وتعتبر جريمة على النحو التالي :

- حيازة مادّة مشعة أو صنع أو حيازة جهاز قصد إزهاق الأرواح أو التسبب في أذى بدني جسيم أو قصد إلحاق ضرر ذي شان بالممتلكات أو بالبيئة.

---

[1]- لمزيد من المعلومات راجع المواد الرابعة والخامسة من اتفاقية الحماية المادية للمواد النووية، ص ص 111-112.

- استخدام أي مادة مشعة أو جهاز مشع بأي طريقة أو استخدام مرفق نووي أو إحداث أضرار به بطريقة تؤدي لإطلاق مادة مشعة أو تهدد بانطلاقها قصد إزهاق الأرواح أو التسبب في أذى بدني جسيم أو إلحاق أضرار بالممتلكات والبيئة قصد إكراه شخص طبيعي أو اعتباري أو منظّمة دولية على القيام بعمل ما أو الامتناع عن القيام به
- الطلب وبصورة غير مشروعة وعن عمد عن طريق التهديد مادة مشعة أو جهاز مشع أو مرفق نووي في ظل ظروف توحي بمصداقية التهديد أو باستخدام القوة.
- المساهمة بأي طريقة في قيام مجموعة من الأشخاص يعملون بقصد مشترك بارتكاب جريمة أو أكثر من الجرائم السابقة الذكر على أن تكون المساهمة متعمدة وتجري إما بهدف تيسير النشاط الإجرامي للمجموعة أو خدمة أهدافها أو مع العلم بنية المجموعة ارتكاب الجريمة.

من جهة أخرى قامت الاتفاقية بتحديد التزامات التي تتقيد بها الدول الأطراف والمتمثلة أساسا في :

- اتخاذ جميع التدابير الممكنة بما فيها تكييف قانونها الوطني عند اللزوم لمنع ومناهضة الإعداد في إقليم كل منها لارتكاب الجرائم السابقة داخل إقليمها أو خارجه بما في ذلك التدابير اللازمة لحظر قيام الأشخاص والجماعات والمنظّمات في أقاليمها بأنشطة غير مشروعة تشجع على ارتكاب هذه الجرائم أو تحرض على ارتكابها أو تنظيمها أو تمويلها عن علم أو تقديم المساعدة التقنية أو المعلومات أو تشارك في ارتكابها عمدا.

- تبادل المعلومات الدقيقة المتحقق منها وفقا لقانونها الوطني حسب شروط الاتفاقية لكشف الجرائم ومنعها وقمعها والتحقيق فيها مع إقامة إجراءات جنائية ضد الأشخاص المدعى ارتكابهم هذه الجرائم إلى جانب اتخاذ الدولة للتدابير المناسبة لإخطار في أقصى مدة الدول الأخرى الأطراف فيما يتعلق بارتكاب الجرائم السابقة أو في حال الإعداد لارتكابها فضلا عن إبلاغ المنظّمات الدولية عند الاقتضاء.

- اتخاذ الدول الأطراف التدابير المناسبة بما يتفق وقانونها الوطني لحماية سرية أية معلومات تحصل عليها سرا من دولة طرف أخرى أو في حال تقديمها لمعلومات سرية لمنظّمات دولية.

- بدل الدول الأطراف لكل مجهوداتها لاتخاذ التدابير المناسبة لضمان حماية الموادّ المشعّة مع مراعاة توصيات ومهام الوكالة الدولية للطاقة الذرية[1].

3-8-3 تعديل اتفاقية الحماية المادية للموادّ النووية : تم اعتمادها في فيينا بتاريخ 8 يوليو 2005، جاءت بمجموعة من التعديلات والإضافات الهامة التي نذكر منها على سبيل المثال الأهداف التي جاءت قصد تحقيقها والتزامات الدول الأطراف فيها والمبادئ الأساسية التي جاء بها التعديل بالإضافة لتحديد الأفعال التي تعتبر جريمة تستحق العقاب بموجب هذا التعديل. كل هذه العناصر سيتم التطرق إليها تباعا.

تتمثل الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها الاتفاقية في منع ومكافحة الجرائم المتعلقة بالموادّ والمرافق النووية على الصعيد العالمي وتيسير التعاون فيما بين الدول الأطراف مع تعهد الدول توفير حماية فعالة وعالمية النطاق للموادّ النووية المستخدمة في الأغراض السلمية والمرافق النووية المستخدمة في الأغراض السلمية.

بالإضافة لتحديد الالتزامات المترتبة على الدول الأطراف والمتمثلة في ضرورة إنشاء وتشغيل والتعهد بنظام حماية مادية ملائم يطبق على الموادّ النووية والمرافق النووية الخاضعة لولايتها من اجل حماية الموادّ النووية من السرقة ومن أي شكل من أشكال الاستيلاء غير القانوني أثناء استخدامها وخزنها ونقلها وبغرض كفالة تنفيذ تدابير سريعة وشاملة ترمي إلى تحديد مكان الموادّ النووية المفقودة أو المسروقة واسترجاعها عند الاقتضاء وحماية المرافق النووية من التخريب وتخفيف العواقب الإشعاعية للتخريب، إضافة لتعهد الدول الأطراف في إطار تشريعي ورقابي يحكم الحماية المادية مع إنشاء أو

[1] - لمعلومات أوفر راجع المواد 02 و07 من الاتفاقية الدولية لقمع أعمال الإرهاب النووي، ص ص 05-08.

تسمية سلطة أو سلطات مختصة مسئولة عن تنفيذ الإطار التشريعي والرقابي واتخاذ سائر التدابير الملائمة والضرورية من اجل الحماية المادية للموادّ والمرافق النووية[1]. كما يتوجب على الدول الأطراف في حال وقوع سرقة أو سلب أو أي شكل آخر من أشكال الاستيلاء غير المشروع على موادّ نووية أو في حال وجود تهديد القيام بتقديم التعاون والمشورة والمساعدة وإبلاغ الدول الأخرى التي يعنيها الأمر والوكالة الدولية للطاقة الذرية والمنظّمات الدولية الأخرى ذات الصلة في حال اقتضى الأمر ذلك مع ضرورة تبادل المعلومات بينهم واستعمال القنوات الدبلوماسية الممكنة لاستعادة وحماية تلك الموادّ.

نصت الاتفاقية أيضا على بعض المبادئ الأساسية التي يجب العمل وفقها والتقيد بها نجملها في :

- مبدأ مسؤولية الدولة على إنشاء وتشغيل وتعهد نظام للحماية المادية داخلها.
- مبدأ تحديد المسؤوليات خلال عملية النقل الدولي حيث تنسحب مسؤولية دولة ما عن ضمان الحماية الكافية للموادّ النووية إلى حين انتقال هذه المسؤولية إلى دولة أخرى.
- مبدأ الإطار التشريعي والرقابي إذ أن الدولة الطرف مسئولة عن إنشاء والتعهد بوضع إطار تشريعي ورقابي يحكم الحماية المادية ويتضمن نظاما للتقييم ومنح التراخيص والتفتيش.
- مبدأ السلطة المختصة بمعنى تعيين الدولة الطرف سلطة مختصة أو إنشائها لهيئة مسئولة عن تنفيذ الإطار التشريعي والرقابي متمتعة بالسلطة والكفاءة والموارد المالية والبشرية الكافية للوفاء بمسؤولياتها مع اتخاذ كل الخطوات الكفيلة بضمان استقلالها.
- مبدأ مسؤولية حائزي التراخيص التي ينبغي أن تحدد بوضوح مثلا تنفيذ الحماية المادية للمرافق والموادّ النووية من قبل المشغلين أو الشاحنين مع الحث على مبدأ ثقافة الأمن إذ يتوجب على جميع المنظّمات المعنية بتنفيذ الحماية المادية منح الأولوية لثقافة الأمن وتطويرها وصيانتها بما يكفل تنفيذها بفعالية.
- مبدأ الدفاع المعمق وخطط الطوارئ حيث ينبغي على الدولة تجسيد متطلبات الحماية على عدة مستويات هيكلية أو تقنية أو فردية أو تنظيمية مع إعداد خطط طوارئ من اجل التصدي لسحب الموادّ النووية دون إذن أو تخريب المرافق أو الموادّ النووية أو محاولة القيام بذلك، مع ضرورة العمل وفق مبدأ السرية إذ ينبغي على الدولة وضع متطلبات لحماية سرية المعلومات التي قد يؤدي كشف النقاب عنها دون تصريح إلى تهديد الحماية المادية للموادّ والمرافق النووية.

هذا وقد حدد الاتفاقية جملة الأفعال التي يقع عليها وصف جرائم تستحق العقاب من قبل كل دولة طرف بموجب القانون الدولي تتمثل هذه الأفعال في :

- كل فعل يتم دون إذن مشروع يشكل استلاما أو حيازة أو استعمالا أو نقلا أو تغييرا لموادّ نووية أو تصرفا بها أو تشتيتا لها يسبب أو يحتمل أن يسبب وفاة أي شخص أو إصابته إصابة خطيرة أو إلحاق إضرار جوهرية بالممتلكات أو البيئة.
- سرقة موادّ نووية أو سلبها أو اختلاسها أو الحصول عليها بطريق الاحتيال
- أي فعل يشكل حملا أو إرسالا أو نقلا لموادّ نووية دخولا إلى دولة ما أو خروجا منها دون إذن مشروع
- أي فعل موجه ضد مرفق نووي أو أي فعل يتدخل في تشغيل مرفق نووي يتسبب فيه الفاعل عمدا في وفاة شخص أو إلحاق إصابة خطيرة به أو إلحاق أضرار جوهرية بالممتلكات أو بالبيئة نتيجة التعرض لإشعاعات.
- أي فعل يشكل طلبا لموادّ نووية عن طريق التهديد باستعمال القوة أو استعمالها الفعلي أو الاشتراك في ذلك أو بأي شكل آخر من أشكال التخويف[2].

فضلا عن جملة هذه المساعي التي لا تعمل الوكالة على توسيع نطاقها ليصل إلى اكبر عدد ممكن من الدول والمنظّمات بمختلف أنواعها توجد مساعي دولية أخرى تعمل على الحد من المخاطر التي يمكن أن تمس الموادّ أو المنشآت النووية أهمها

[1]- هذا حسب ما ورد في المادة 02 من تعديل اتفاقية الحماية المادية للمواد النووية.

[2]- المادة 02و 03 من تعديل اتفاقية الحماية المادية للمواد النووية لعامّ 2005.

المبادرة العالمية لمكافحة الإرهاب النووي التي تعد بمثابة شراكة دولية تضم 82 دولة إضافة لوجود مراقبين رسميين والعديد من المنظّمات الدولية وشركات القطاع الخاص تم إطلاقها بتاريخ 15 يوليو 2006.

تعمل المبادرة على تحقيق وتجسيد مجموعة من المبادئ الهامة التي يمكن من خلالها توفير مستوى عالي من امن الموادّ والمنشآت النووية نوردها على النحو التالي :

- وضع وتحسين أنظمة المحاسبة والرقابة وأنظمة الحماية الفعلية للموادّ المشعّة والنووية وغيرها مع تعزيز امن المنشآت النووية المدنية وتحسين قدرات كشف الموادّ النووية والمشعّة الأخرى من اجل منع الإتجار غير المشروع بها الذي يشمل التعاون في مجال البحث والتطوير في قدرات الكشف الوطنية.
- تحسين قدرات الأعضاء المتعلقة بالبحث عن الموادّ النووية والمشعّة ومصادرتها والأجهزة التي تستخدم لذلك المقتناة بطريقة غير مشروعة وإقامة مراقبة أمنية عليها.
- منع توفير الملاذ الآمن والموارد المالية أو الاقتصادية للإرهابيين الذين يسعون للحصول على الموادّ النووية والمشعّة واستخدامها ذلك عن طريق توفير الأطر الوطنية القانونية والتنظيمية الكافية لتوفير التنفيذ الجنائي المناسب.
- تحسين قدرات المشاركين على الاستجابة والتحقيق في حالات الهجمات الإرهابية التي تنطوي على استخدام موادّ نووية مشعة وعناصر خطرة أخرى.
- تشجيع تبادل المعلومات المتعلقة بقمع أعمال الإرهاب النووي وتسهيلها واتخاذ التدابير المناسبة بما يتفق والقوانين الوطنية والتزاماتها الدولية لحماية سرية أية معلومات يتم تبادلها بصورة سرية.

يعمل أفراد المبادرة على تبادل أفضل الممارسات والمعلومات والدروس المستفادة من اجل تعزيز القدرات الجماعية والفردية لمكافحة تهديدات الإرهاب النووي من خلال القيام بنشاطات وتدريبات وتمارين وورشات ونقاشات للخبراء، هذا وقد تمكنت منذ تأسيسها من تنفيذ أكثر من 30 نشاط وعقد 5 اجتماعات رفيعة المستوى مما أسفر عنه تعميق العلاقات وتحسين مستوى الشفافية في المجتمع الدولي وتعزيز التنسيق بين الدول المشاركة[1].

4- العوائق التي تواجه الوكالة الدولية للطاقة الذرية في تحقيق أهدافها : رغم كل المجهودات والمساعي التي بذلتها ولا زالت تبديها الوكالة الدولية للطاقة الذرية في إطار تقديم المساعدة للتقليل للحد الأدنى من مخاطر وقوع الموادّ النووية وغيرها من الموادّ المشعّة في أيدي التنظيمات الإرهابية ومن خطر تعرض المرافق النووية لهجمات إرهابية [2] إلا انه لم تصل للمستوى المطلوب من الفعالية نتيجة وجود جملة من المعيقات التي تتنوع وتختلف من حيث طبيعتها تتمثل في :

- ✓ تهاون بعض الدول خاصة الدول النامية بشان تهديدات الإرهاب النووي فهي لا تضع قضية الإرهاب النووي في أولويات أجندتها للأمن القومي بل تكتفي بتخصيص بعض الموارد المالية والبشرية لها بحجة استبعاد وقوع حادث إرهابي باستخدام موادّ نووية في دولهم وهو ما يتعارض مع تقديرات النظام العالمي للأمن النووي الذي يعتبر الدول الإفريقية بمثابة فرص قابلة للاستغلال من قبل الجماعات الإرهابية.
- ✓ امتلاك الإرهابيين النية والدوافع والوسائل والفرص لارتكاب جرائم نووية وأعمال تدميرية واسعة النطاق هذا دون إغفال حيازتها للموادّ اللازمة لإنتاج الأسلحة النووية مما يشكل خطر امني كبير
- ✓ عدم الاستقرار السياسي والميل نحو اللجوء إلى العنف لتحقيق المآرب لدى بعض الدول التي تمتلك قدرة متدنية من حيث حماية مواردها النووية من السرقة مقابل توسعها في استخدام الطاقة النووية.

---

[2]- مقال بعنوان" مؤتمر مكافحة الإرهاب النووي في أبو ظبي"، 1 يوليو 2010، السكينة، على الموقع الإلكتروني التالي: www.assakina.com/news

[1]- مجموعة باحثين،"تغير المناخ : تغيير الوضع باستخدام التكنولوجيات النووية"، مجلة الوكالة الدولية للطاقة الذرية، مركز فيينا الدولي، حزيران 2015، ص 02

✓ التطور الضخم الذي عرفته صناعة الطاقة النووية لمواجهة تحديات أزمة الطاقة وتغير المناخ واستخدامها الواسع في مجالي الزراعة والطب يؤدي لانتشار الموادّ النووية عالميا مما يزيد من إمكانية سرقتها وبيعها في السوق السوداء وحصول الإرهابيين عليها.

خاتمة:

ممّا سبق ذكره والتطرق إليه نستنتج أنّ للطاقة النووية العديد من الاستخدامات التي تنقسم أساسا إلى استخدامات سلمية وأخرى عسكرية هذا التنوع في الاستعمال أدى إلى ضرورة تدخل الوكالة الدولية للطاقة الذرية لتنظيم هذا التوظيف خاصة في ظل توجه التنظيمات والجماعات الإرهابية نحو التفكير في استغلال هذه الموادّ الخطيرة التأثير على كل ما هو حي إما لفرض وجودها أو للحصول على مطالبها ووضع استراتيجية تعتمد بالأساس على مجهوداتها وتعاون مكونات المجتمع الدولي من دول أو منظّمات قصد توفير الحماية اللازمة للمواد والمنشآت النووية التي لازال الخطر يحيط بها بالرغم من ذلك. بناء عليه قمنا بوضع التوصيات التالية :

- ضرورة سعي المجتمع الدولي بصفة جادة وفعلية لإنشاء مؤسسات أمنية على غرار الوكالة الدولية للطاقة الذرية لتتقاسم فيما بينها اعتمادا على تخصصها وقدراتها قضايا أمنية محددة.

- ضرورة تطوير المهارات والمعرفة والقدرات وبرامج التدريب لدى العامّلين في مجال الأمن النووي مما يمكن حصول الدول على أفضل الممارسات وتطبيق ثقافة موحدة للأمن النووي بالإضافة لتحديد ومعالجة مواطن الضعف في أنظمة الأمن النووي لديها.

- اتفاق الدول على طرق لتعزيز التبادل الشامل للمعلومات على المستويين الإقليمي والعالمي الأمر الذي سيمكن الدول من تقييم الأخطار الحقيقية المتعلقة بالإرهاب النووي ومن تم تحسين تدابير الأمن المتخذة على مستواهم.

- توسيع نطاق تحقيق الأمن النووي والحفاظ عليه من قبل الدول المعنية بوضع وتنفيذ خطط عمل دون إغفال مساهمة العامّلين في المجال النووي والجمعيات المتخصصة والخبراء المتخصصين العامّلين لدى الهيئات غير الحكومية، إضافة لوضع قوانين صارمة بشان الموادّ النووية خاصة الإجراءات المتعلقة بالتخزين الأمن المؤقت لها مع وضع خطط للتخلص النهائي للوقود المستنفذ والمخلفات المشعّة.

قائمة المراجع

1- جمال عبد الناصر التنظيم الدولي: النظرية العامّة والمنظّمات العالمية والإقليمية المتخصصة"، ط1، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، 2007، ص 426.

2- حسن عبد الله،" قاموس مصطلحات العلاقات والمؤتمرات الدولية "، بيروت، مكتبة لبنان،1999.

3- د عادل حسين علي، " التعاون الإقليمي والإقليمي الدولي لاحتواء التهديدات الإرهابية"، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، 2007.

4- مبادرة التهديد النووي،" مؤشر امن الموادّ النووية"، الإصدار الثاني، يناير 2014.

5- مجموعة باحثين،" أسلحة الرعب إخلاء العالم من الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية"، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.

6- مجموعة باحثين،" النفايات المشعّة: التصدي للتحديات"، مجلة الوكالة الدولية للطاقة الذرية، مكتب الإعلام العامّ والاتصالات، العدد 55-03، سبتمبر 2014.

7- مجموعة باحثين،" تدابير التنفيذ الوطنية لمدونة قواعد السلوك بشان أمان المصادر المشعّة وأمنها"، إصدارات الوكالة الدولية للطاقة الذرية، أغسطس 2012.

8- مجموعة باحثين،" تغير المناخ : تغيير الوضع باستخدام التكنولوجيات النووية"، مجلة الوكالة الدولية للطاقة الذرية، مركز فيينا الدولي، حزيران 2015.

9- مجموعة باحثين،" منع الإرهاب النووي: التحسن المستمر أو التراجع الخطير"، مركز بلفرم للعلوم والشؤون للعلوم والشؤون الدولية، كلية كيندي جامعة هارفارد.

10- مجموعة مؤلفين،." التقرير السنوي للوكالة الدولية للطاقة الذرية لعامّ 2005"، فيينا، منشورات الوكالة الدولية للطاقة الذرية،2005.

11- محمد البرادعي،" الاستخدامات السلمية للطاقة النووية"، الإمارات العربية المتحدة،مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2003.

12- محمد حافظ غانم،"،" المنظّمات الدولية : دراسة لنظرية التنظيم الدولي واهم المنظّمات الدولية"، ط3،مصر،مطبعة النهضة الجديدة.

13- محمد خيري بنونة،" القانون الدولي واستخدام الطاقة النووية"، ط2، القاهرة، مؤسسة دار الشعب، 1971.

14- محمد مصطفى يونس،" استخدام الطاقة النووية في القانون الدولي العامّ"، ط1، القاهرة، دار النهضة العربية.

15- مرفت محمد البارودي،"الإرهاب النووي ومجابهته "، 2007.

16- مفيد محمود شهاب،" المنظّمات الدولية"، ط10،القاهرة،دار النهضة العربية،1990.

17- مقال بعنوان " منع حيازة الإرهابيين للمصادر المشعّة"،تقرير الخبير التابع للجنة 1540صادر عامّ 2016، جامعة موسكو للعلاقات الدولية.

18- مقال بعنوان" مؤتمر مكافحة الإرهاب النووي في أبو ظبي"، 1 يوليو 2010، السكينة، على الموقع الإلكتروني التالي: www.assakina.com/news

19- ميرو سلافقر يقوريك،" الأمن النووي والسلامة النووية"، الرياض، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2007.

حماية الطرف الضعيف من الشروط التعسفية في عقد التأمين

– دراسة مقارنة –

أ. دربال آمال
جامعة وهران 2

الملخص:

يعتبر عقد التأمين من عقود الإذعان التي يحاول فيها المؤمّن باعتباره الطرف القوي فرض شروطه على المؤمَّن لهم، الأمر الذي يدفعه إلى إعداد نماذج مطبوعة في شكلّ موحد لعرضها على الجمهور، وذلك حتّى لا يتسنى للطرف الضعيف في هذه العلاقة من مناقشة هذه الشروط ،ممّا يؤدّي إلى وجود اختلال في التوازن العقدي بين الطرفين، الأمر الذي دفع المشرّع الجزائري على غرار تشريعات مقارنة أخرى، إلى وضع أنظمة حمائية متنوعة من أجل إعادة التوازن المفقود في هذا العقد، وهو ما دفعنا للبحث في تحديد مدى فعالية هذه الأنظمة في تحقّيق هذا التوازن.

الكلّمات المفتاحية :عقد التأمين، المؤمَّن له، الطرف الضعيف، التوازن العقدي، الشروط التعسفية، الحماية الإدارية، الحماية القانونية، الحماية القضائية.

Abstract

The Insurance contrat is considered as an adhesion contract, whereby the strong party try to influence the weaker party, by imposing his clauses within the framework of a pre-formulated standard contract, so the weaker party will not be able to unfluence its content, this results in an imbalance in bargaining power between contracters.

In this context The Algerian legislator as well as other foreign legal systems have tried to established a protective legal system, in order to rebalance the bargaining power in this contract, so what is the effectiveness of this rules in achieving this goals ?

Key words : Insurance contract, The insured party, The weaker party, The contractual balance, unfair terms, administarive protection, legal protection, Judicial protection.

مقدمة:

يعتبر عقد التأمين من عقود الإذعان، لكون أنّ المؤمّن يفرض في الغالب شروطه على المؤمَّن لهم، فيعدّ تلك الشروط في شكلّ نماذج مطبوعة يعرضها على الجمهور في شكل موحد[1]،بما يخدم مصالح الطرف القوي في عقد التأمين، والتي تعتبر تجسيدا لتعسّفه وإجحافا لمصالح الطرف الضعيف فيه[2]،وذلك لعدم قدرة هذا الأخير على المفاوضة لمناقشة بنود وشروط العقد، مما يؤدّي إلى اختلال التوازن التعاقدي بين الطرفين تبعا لاختلال التوازن الاقتصادي بينهما.

ومن هنا جاء تدخل المشرّع الجزائري، لحماية المؤمَّن له من كلّ تعسف قد يلحقّه في هذا المجال باعتباره طرفا ضعيفا في العلاقة التعاقدية، وعليه فإنّ إشكالية المقال المعالج هي: **ما مدى نجاعة الأنظمة الحمائية في تحقّيق التوازن بين الضرورات الاقتصادية التي تمنح للمؤمّن العديد من السلطات وبين الضرورات الاجتماعية التي تستوجب حماية المؤمَّن له في عقد التأمين؟ وهل ساعد تنوع هذه الأنظمة في تحقيق حماية فعالة ومتكاملة للطرف الضعيف المذعن في هذا العقد؟**

---

[1] - مياد العربي،عقود الإذعان-دراسة مقارنة-،مكتبة دار السلام ،الرباط، المغرب،الطبعة الأولى،2004،ص53.

[2]-Marcel FONTAINE,La protection de la partie faible dans les rapports contractuels,Rapport de synthèse,In le Centre de droit des Obligations de L'université de Paris1 et le Centre de droit des Obligations de L'université Catholique de Louvain, comparaison Franco-belge, L.G.D.J ,Paris,1996,P.614.

وللإجابة على هذه الإشكالية سنقسم خطتنا إلى مبحثين، سنتناول في المبحث الأول الحماية القانونية للطرف الضعيف من الشروط التعسفية في عقد التأمين، لنتناول في المبحث الثاني الحماية القضائية والإدارية للطرف الضعيف من الشروط التعسفية في هذا العقد.

المبحث الأول: الحماية القانونية للطرف الضعيف من الشروط التعسفية في عقد التأمين:

لقد تدخل المشرّع الجزائري للحد من حرية الطرف القوي في عقد التأمين وذلك بصياغته لبنود العقد وشروطه، عن طريق فرضه لقواعد قانونية آمرة تخدم مصلحة الطرف الضعيف في هذا العقد، وكذا فرضه لشروط معينة لممارسة حقّ السقوط وبحظره لبعض الشروط التعسفية الواردة في عقد التأمين.

ولذلك سوف نقسم هذا المبحث إلى مطلبين، سنخصص المطلب الأول لدراسة الشروط المقيدة لصحّة حالات السقوط في عقد التأمين ،أمّا المطلب الثاني فسنخصصه لنظام بطلان الشروط التعسفية في عقد التأمين.

المطلب الأول : الشروط المقيدة لصحة حالات السقوط في عقد التأمين

لقد كان في تحديد المشرّع لحالات السقوط في عقد التأمين ضمانة وحماية قانونية للطرف الضعيف فيه، ولذلك أوجب المشرّع لصحّة هذه الحالات توافر شروط شكلّية معينة وإلا كانت باطلة، و هي ضرورة وجود شرط خاصّ بالسقوط في عقد التأمين أولا، وضرورة وضوح شرط السقوط في عقد التأمين ثانيا.

أولا : ضرورة وجود شرط خاصّ بالسقوط في عقد التأمين : إن جزاء سقوط الحقّ، جزاء استثنائي يفرض عن مخالفة التزام قانوني أو إتفاقي لاحقّ على الكارثة أو مصاحب لها ،لذلك يجب النصّ عليه صراحة في عقد التأمين حتّى ينتج أثاره القانونية[1].ويستفاد هذا الشرط من أحكام المادّة 622 فقرة 03 من القانون المدني الجزائري والواردة ضمن الأحكام العامّة لعقد التأمين، والتي تنصّ على أنه يكون باطلا ما يرد في وثيقة التأمين كلّ شرط مطبوع لم يبرز بشكل ظاهر وكان متعلقا بحالة من الأحوال التي تؤدي إلى البطلان والسقوط ، وهذا ما نصّ عليه كلّ من المشرّع المغربي[2] والمصري[3] والفرنسي[4]، هذا وقد جاء في الفقه[5] والقضاء الفرنسي، بأنّ شرط السقوط لا يفترض، بل لابدّ من وجود اتفاق خاصّ بشأنه، مما جعل القضاء الفرنسي في الكثير من الأحيان يمتنع عن الحكم بسقوط الحقّ في التأمين على الرغم من ثبوت مخالفة المؤمَّن له للالتزام مادام لم يوجد في وثيقة التأمين أيّ اتفاق خاصّ بشأنه[6] ، على خلاف القضاء المصري الذي قضى بإمكانية تطبيق السقوط حتّى ولو لم يرد بشأنه اتفاق خاصّ في وثيقة التأمين[7].

ثانيا : ضرورة وضوح شروط السقوط في عقد التأمين:لايكفي من الناحية القانونية لصحة هذه الشروط وجود شرط خاصّ بشأنها في عقد التأمين ، وإنما يلزم كذلك أن يكون هذا الشرط واضحا ومحددا.

1-الوضوح الموضوعي : إذا كان للمتعاقدين كأصل عامّ مطلق الحرية في تحديد نطاق التأمين، فإن هذه الأخيرة لا تمتد إلى شكلّ هذه الاتفاقات[8]، باعتبار أن الشرط يجب أن يكون قاطعا في الدلالة على نية المؤمّن في حرمان المؤمَّن له من الحقّ في

---

[1]- فؤاد معلال ،الوسيط في قانون التأمين، دار أبي رقراق، الرباط ،المغرب، الطبعة الأولى، 2011، ص126 و127 .

[2]- المادّة 14 من مدونة التأمينات المغربية.

[3]- المادّة 750فقرة 3 من القانون المدني المصري .

[4]-L’article 113-1 du code des Assurances.

[5]- M .picard et A. BESSON,Les assurances terrestres en droit français, tome 1 , Le contrat d’assurance,4 ème édition, par André BESSON , L.G.D.J, Paris,1975,P.212.

[6]-Cass.1ère civ.,11 Décembre 1943,R.G.A.T.,1943,161.

[7] -محكمة الاستئناف المختلطة المصرية، 4 ديسمبر 1943، م43،ص60،أورده عبد الرزاق السنهوري، في الوسيط في شرح القانون المدني الجديد،المجلد02،منشورات الحلبي الحقّوقية، بيروت، لبنان، ا لطبعة الثالثة،1998،ص1322.

[8]-محمد شكري سرور، سقوط الحقّ في الضمان – دراسة في عقد التأمين البري –، دار الفكر العربي، القاهرة ،مصر، ط:1، 1980، ص86 .

التأمين، وعليه فكلّ شرط سقوط صيغ بعبارات عامّة وغير محددة يكتنفه الغموض والإبهام واللبس لا يعتدّ به ويعدّ باطلا، لأنّه يجعل الشرط غير قابل للتفسير، ومن ثمة فإنّه يتعين تفسيره لصالح المؤمَّن له بحيث يتحمل المؤمِّن وهو الذي قام بتحرير هذا الشرط نتيجة الغموض، ذلك لان الوضوح هنا شرط صحة، ومثال ذلك الشروط العامّة غير المحددة التي تنصّ على ضمان المؤمّن للخطر إذا كان ناتجا عن مخالفة المؤمَّن له للقوانين والأنظمة[1]. ولقد حرص المشرّع الجزائري على هذا الشرط عند ما اعتبر باطلا كلّ شرط مطبوع لم يبرز بشكل ظاهر وكان متعلقا بحالة من الأحوال التي تؤدي إلى البطلان والسقوط[2] وجاء هذا النصّ مطابقا لنصّ المادّة 750فقرة 3 من القانون المدني المصري، كما نصّ عليه كلّ من التشريع المغربي[3] والفرنسي[4].

2-الوضوح الشكلي: فضلا عن وضوح الشرط في دلالته ينبغي كذلك أن يبرز هذا الشرط في وثيقة التأمين، وهذا ما أكدته المادّة 622 فقرة 3 من القانون المدني الجزائري، ويتحقّق ذلك بكتابة الشرط بحروف مختلفة الشكل واللون عن باقي الحروف المستخدمة في كتابة وثيقة التأمين، أو بحروف أكبر، أو بوضع خط تحته، وبشكل عامّ بأيّ طريقة تمكن المؤمَّن له من قراءة الشروط دون أدنى عناء، بحيث لابدّ أن تلفت نظره عند الاطلاع عليها[5]هذا ويلاحظ انه بالإضافة إلى وجوب إبراز شرط السقوط بشكل ظاهر فإنه يتعين أن يبرز أيضا الالتزام الذي تقرر السقوط جزاء له بشكل ظاهر[6]، فجزاء عدم الوضوح هو عدم جواز الاحتجاج بالشرط على المؤمَّن له بحيث يعد الشرط باطلا، و يبقى ضمان الخطر ساريا ، و لهذا السبب تم النصّ على هذه الشكلية والتي تعتبر وسيلة لحماية رضا المؤمَّن له، حتّى يتعاقد على علم بالتزاماته وحقوقه [7]وقد [7]وقد سار في هذا الاتجاه كلّ من التشريع المصري والفرنسي والمغربي [8] .

المطلب الثاني :نظام بطلان الشروط التعسفية في عقد التأمين :حرصا من المشرّع الجزائري على مصلحة المؤمَّن له وحماية له من تعسف المؤمّن في استعمال حقّه عند اشتراط السقوط، فقد أورد طائفة معينة من الشروط التعسفية التي يكون فيها العقد باطلا، وذلك في نصّ المادّة 622 من القانون المدني.

أولا : بطلان الشرط الذي يقضي بسقوط الحقّ في التعويض بسب خرق القوانين أو النظم إلا إذا كان ذلك الخرق جناية أو جنحة عمدية: لقد تدخل المشرّع الجزائري في نصّ المادّة 622 فقرة 1 لإبطال شرط السقوط في التعويض بسبب خرق القوانين أو النظم لمخالفتها للنظام العامّ حيث غالبا ما كان يتم النصّ عليها في وثائق التأمين على السيارات، مما كان يؤدي إلى إفراغ عقد التأمين من كلّ مضمونه لاستحالة تجنب المؤمَّن له للمخالفات وجنح حوادث المرور غير العمدية مهما بلغ حرصه، وبالتالي فإن حقّ المؤمَّن له لا يسقط في التعويض بسبها ويبقى المؤمّن مسئولا إذا تحقّق الخطر المؤمّن منه، ما لم يكن المؤمَّن له قد تسبب عمدا في ارتكاب الحادث، أو ارتكب غشا لا يعذر عنه فتكون حينئذ جميع البنود التي تتضمن إسقاط حقّه في التعويض لمخالفته القوانين أو النظم صحيحة تبعا للقاعدة القائلة بأنه لا يجوز للمؤمَّن له أن يستفيد

---

[1]- Yvonne LAMBERT –FAIVRE ,Droit des assurances, 8ème édition, Dalloz, Paris , 1992, p.310.

[2] - المادّة 622 فقرة 3من قانون التأمين الجزائري.

[3] - المادّة 14 من مدونة التأمينات المغربية.

[4] -L’article 113-1 du code des Assurances.

[5]- محمد حسن قاسم، محاضرات في عقد التأمين، الدار الجامعية، بيروت، لبنان، 1999، ص222.

[6] - محمد أوغريس، أحكام التأمين البري في التشريع المغربي الجديد، دار القرويين، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى،2003،ص190.

[7] - عبد الرزاق السنهوري – الوسيط في شرح القانون المدني المصري – عقود الغرر والتأمين -، المجلد09، القسم 02 ،دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، بدون تاريخ النشر،ص1195 .

[8]- المادّة 750 فقرة 03من القانون المدني المصري.

Et L’article 112-4 du code des Assurances.

والمادّة 14 من مدونة التأمين المغربية.

من فعله المتعمد[1]، غير أنّ هذا الاستثناء الذي أورده المشرّع الجزائري إنّما هو تطبيق للقواعد العامّة في عقد التأمين، التي تقضي بأنه لا يجوز التأمين عن الخطأ المتعمد للمؤمَّن له.

وتجدر الإشارة إلى أن نصّ المادّة 622 فقرة 01 من القانون المدني الجزائري كان أكثر حماية من النصّ الفرنسي ،الذي نصّ على حظر الشروط العامّة القاضية بسقوط الحقّ في التعويض لمخالفته القوانين والأنظمة[2]، إذ تعتبر الشروط القاضية بسقوط الحقّ لمخالفة نصّ قانوني أو تنظيمي محدد صحيحة، لكون المحظور هو الشرط العامّ غير المحدّد والغامض[3] ،ولقد ساير كلّ من الفقه والقضاء المصري[4] نهج النصّ الفرنسي دون مراعاتهم للاختلاف الوارد بين النصّ الفرنسي والنصّ المصري[5]،بالرغم من مطابقة هذا الأخير لنصّ المادّة 622 فقرة 01 من القانون المدني الجزائري.

ثانيا: بطلان شرط السقوط للتأخر في إعلان الحادث المؤمّن منه إلى السلطات أو تقديم المستند إذا تبين من الظروف أن التأخر كان لعذر مقبول:يستفاد هذا الشرط من نصّ المادّة 622 فقرة 02 من القانون المدني الجزائري ،والتي جاء بمقتضاها أن النصّ على السقوط كأثر للتأخر عن إبلاغ الحادث إلى السلطات أو في تقديم المستندات لا يكون له من أثر في الحالة التي يتأخر فيها المؤمَّن له بالفعل في الإعلان عن الحادث أو تقديم المستندات ،متى كان هذا التأخير لعذر مقبول، ففي هذه الحالة يقضى ببطلان شرط السقوط لما ينطوي عليه من تعسف وذلك رغم استيفاءه للشكل الذي يتطلبه القانون، وهذا ما نصّت عليه كذلك المادّة 750 فقرة 02 من القانون المدني المصري.

ومن ثمة نستنتج أنّ المشرّع الجزائري والمصري قيّدا التأخّر في إعلان الحادث المؤمّن منه إلى السلطات أو تقديم المستند بالعذر المقبول[6] في حين قصر المشرّع الفرنسي[7] والمغربي[8] واللبناني[9] إمكانية البطلان على الشرط الذي يقضي بالسقوط في في الحالتين السابقتين لمجرد تأخر المؤمَّن له عن الإعلام، و بالتالي لم يقيّدوه، لذلك نرى الأخذ في ظل القانون الفرنسي واللبناني والمغربي بما يذهب إليه الفقه الفرنسي[10]،من قصر بطلان شرط السقوط على حالة التأخر العادي أو البسيط والتي تبرره ظروف الحال، أو التأخر الذي يستند إلى عذر مقبول كما عبر عنه المشرّع الجزائري والمصري.

ثالثا: بطلان شرط التحكيم وكلّ شرط تعسفي آخر **يتبين أنه لم يكن لمخالفته أثر في وقوع الحادث المؤمّن منه :**

1-بطلان شرط التحكيم : يقصد بشرط التحكيم الاتفاق الذي يلتزم بموجبه أطراف العقد لعرض النزاعات التي قد تثار بشأنه على التحكيم[11]، ويجب أن يتضمن هذا الشرط تعيين المحكم أو المحكمين أو تحديد كيفية تعيينهم وإلا كان باطلا[12]، إلا أن خطورته تؤثر على مصالح المؤمَّن له باعتباره الطرف الضعيف في العقد، لكون المؤمّن هو الذي يضع نظام التحكيم

---

[1] -محمد اوغريس، المرجع السابق ،ص191.

[2]-L'article 113-1 du code des Assurances.

[3]-L'article 113-1 du même code.

[4] -عبد الرزاق السنهوري ،الوسيط في شرح القانون المدني المصري – عقود الغرر والتأمين -، المرجع السابق، ص1243 ومحمد شكري سرور، المرجع السابق، ص106 و107 ،و الذي يشير فيه إلى قرار محكمة النقض المصرية الصادر بتاريخ 1965/02/18 .
و أحمد شرف الدين، أحكام التأمين في القانون والقضاء المقارنين، مطبعة نادي القضاة، الطبعة الثالثة،1991، ص2308 .

[5]- المادّة 750 فقرة 1 من القانون المدني المصري .

[6]-المادّة 622 فقرة 02من القانون المدني الجزائري.
والمادّة 750 فقرة 02من القانون المدني المصري .

[7]- L'article 113-11 du code des Assurances.

[8]- المادّة 35 من مدونة التأمينات المغربية.

[9]- المادّة 973 من قانون الموجبات والعقود اللبناني.

[10]- Yvonne FAIVRE-LAMBERT, op.cit, p.180.

[11] - المادّة 1007 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجزائري.

[12]- المادّة 1008 فقرة 2 من القانون نفسه.

ويختار المحكمين ويحدد القانون الواجب التطبيق، إلاّ أنّ المشرّع والاجتهاد القضائي الجزائري[1]، كفلا حماية فعّالة للمؤمَّن له بنصّه على بطلان شرط التحكيم باعتباره شرطا مألوفا، إذا لم يبرز في صورة اتفاق خاصّ منفصل عن الشروط العامّة المطبوعة، حتّى يوجّه إليه نظر المؤمَّن له لأهميته، وهذه الحماية كفلها كلّ من المشرّع المصري في المادّة 750 فقرة 4 من القانون المدني المصري والمطابقة للنصّ الجزائري، كما كفل هذه الحماية كلّ من المشرّع الفرنسي في المادّة 2061 من القانون المدني والتشريع البلجيكي في المادّة 36 من قانون التأمين الصادر بتاريخ 25/ 06/ 1992، واللذان يقضيان بإبطال شرط التحكيم إلاّ إذا نصّ القانون على خلاف ذلك، في حين ضيّق المشرّع المغربي هذه الحماية للمؤمَّن له بنصّه على أنّه يقع باطلا ما يرد في عقد التأمين كلّ شرط تحكيم لم يوافق عليه المؤمَّن له صراحة عند اكتتاب العقد، فهو إذا لم يبطل هذا الشرط بمجرّد إدراجه في وثيقة التأمين بين شروطها العامّة وإنّما ربط بطلانه بعدم الموافقة الصريحة للمؤمَّن له عليه، وفي هذا خطورة على مصلحة الطرف الضعيف في العقد حيث يمكن للمؤمّن وهو الطرف القويّ الذي يتولّى وضع شروط العقد مسبقا من دس شرط التحكيم وإخفائه بين بنود العقد للتأثير على رضا المؤمَّن له.

2-بطلان كلّ شرط تعسفي آخر تبين انه لم يكن لمخالفته اثر في وقوع الحادث المؤمّن منه :

لقد وفق كلّ من التشريع الجزائري والمصري في تعميمهما بعد التخصيص، وذلك بإدراجهما في نصّ المادّة 622 فقرة04 من القانون المدني الجزائري والمادّة 750 فقرة04 من القانون المدني المصري، لإبطالهما كلّ شرط تعسفي أخر يتبين انه لم يكن لمخالفته اثر في وقوع الحادث المؤمّن منه، والذي يعتبر تعسفا من جانب المؤمّن إذا تمسك بمثل هذا الشرط.

وإذا كان المشرّع اللبناني قد اعتبر القواعد المنظمة لعقد التأمين من قبيل القواعد المكملة ولا تعتبر آمرة إلا إذا صرح على نحو خاصّ بأنّ عدم مراعاتها موجب للبطلان[2]، فإنّ المشرّع الجزائري وعلى غرار نظيره الفرنسي والمصري من خلال نصّ هذا الأخير في المادّة 753 من القانون المدني، وتدعيما لمظاهر الحماية السابقة ، فقد اعتبر النصوص الخاصّة بتنظيم عقد التأمين نصوصا آمرة لا يجوز مخالفتها إلاّ لمصلحة المؤمَّن له أو لمصلحة المستفيد، ممّا يكون قد أعطى حماية أكبر للمؤمَّن له من تعسّف المؤمّن ومحاولته الخروج على ما تقضي به هذه النصوص.[3]

المبحث الثاني : الحماية القضائية والإدارية للطرف الضعيف من الشروط التعسّفية في عقد التأمين :

لقد خول المشرّع الجزائري للطرف الضعيف في عقد التأمين، حماية إضافية تعمل على تفعيل الحماية القانونية والتي تتمثّل أساسًا في الحماية القضائية والإدارية، ولذلك سوف نقسم هذا المبحث إلى مطلبين، سنخصص المطلب الأول، لدراسة الحماية القضائية للطرف الضعيف من الشروط التعسفية في عقد التأمين، لنخصص المطلب الثاني، لدراسة الحماية الإدارية للطرف الضعيف من الشروط التعسفية في هذا العقد.

المطلب الأول : الحماية القضائية للطرف الضعيف من الشروط التعسفية في عقد التأمين:

لقد وجد القضاء الجزائري والمقارن سبيله في حماية الطرف الضعيف في عقد التأمين، من الشروط التعسفية التي يدرجها المؤمّن في هذه العقود، عن طريق استعماله للوسائل المسخرة لخدمة العقد وإرادة الأطراف بشكل أساسي، وذلك بتطبيقه لقاعدة تفسير الشك لمصلحة المؤمَّن له أو عن طريق تعديله وإلغائه للشروط التعسفية لصالح هذا الأخير.

أولا: تفسير الشكّ لمصلحة الطرف الضعيف في عقد التأمين:إنّ اعتبار عقد التأمين من عقود الإذعان يحتم هذا على القاضي الجزائري اتباع قواعد التفسير في حالة الشك لمصلحة المؤمَّن له باعتباره الطرف المذعن في هذا العقد دائنا كان أو

---

[1] - المادّة 622 فقرة 04من القانون المدني الجزائري .و مجلة المحكمة العليا، ، العدد 01، سنة 2007.

[2]- المادّة 953 من قانون الموجبات والعقود اللبناني.و توفيق فرج،أحكام الضمان في القانون اللبناني،الدار الجامعية،بيروت،لبنان،بدون ذكر تاريخ النشر،ص330.

[3]-المادّة 625 من القانون المدني الجزائري. وإبراهيم أبو النجا، التأمين في القانون الجزائري، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية ،1992، ص156.

مدينا، وهذا ما نصّت عليه المادّة 112 من القانون المدني الجزائري، وعلى ذلك فانّه إذا تضمّن عقد التأمين باعتباره عقد إذعان، عبارات غامضة تحتمل أكثر من معنى فإنّ تفسير هذه العبارات وتأويلها لابدّ من أن يكون في صالح المؤمَّن له، فهو الطرف المذعن الجدير بالحماية ،لأنّ قبوله للعقد كان أقرب للاستسلام منه للقبول هذا فضلا على أنّ شركات التأمين هي التي تقوم بإعداد شروط العقد مسبقا، فينبغي إذا أن تكون العبارات واضحة لا تدع مجالا للشك والتأويل ، وإذا حصل ذلك تتحمل الشركة باعتبارها الطرف الأقوى في العقد نتائج تقصيرها، حتّى لا تستفيد من تضمينها للعقد عبارات يشوبها اللبس والغموض[1]،وفي هذا الاتجاه نجد أن التشريع والقضاء والفقه الفرنسي[2] قد تبنى نفس النهج حيث جاء في نصّ المادّة 1162 من القانون المدني الفرنسي، أنّ الاتفاقية تفسر في حالة الشك ضد المشترط ولمصلحة من تعاقد مع الموجب، وهذا ما سار عليه كذلك التشريع والقضاء[3] والفقه المصري[4]و لم يرد في القانون اللبناني أحكاما مماثلة بخصوص تفسير الشكّ لمصلحة الطرف المذعن، وإن كان من المسلم به في ظل هذا القانون الأخذ بهذه القاعدة، مما نجد أنه لا يكفل حماية فعالة للمؤمَّن له في عقد التأمين[5]، غير أنه لم يحقّق التشريع المغربي الحماية المرجوة للطرف الضعيف في العقد كما فعلت التشريعات السابقة وذلك لأنّه بالرجوع إلى المادّة 473 من قانون الالتزامات والعقود المغربي والتي تنصّ على أنه عند الشك يؤول الالتزام بالمعنى الأكثر فائدة للملتزم، وصفة الملتزم في عقد التأمين باعتباره عقدا ملزما للجانبين، قد تكون تارة للمؤمّن وتارة أخرى للمؤمَّن له ،ومن ثمة فإذا كان الغموض يتعلق بالتزامات المؤمَّن له في العقد فهنا لابد من التفسير لمصلحته، أما إذا كان الغموض يتعلق بالتزامات المؤمّن فهنا يتوجب التفسير لمصلحته، لكن القضاء المغربي سد هذا الفراغ وذلك بتفسيره كلّ غموض عند الشك لمصلحة المؤمَّن له[6] .

ثانيا : سلطة القضاء في تعديل وإلغاء الشروط التعسفية: لقد سعى القضاء المقارن إلى حماية المؤمَّن له وذلك بالتخفيف من أثار الشروط التي قد تبدو منافية لمبادئ العدالة والإنصّاف، ويجد القضاء الجزائري سنده في نصّ المادّة 110 من القانون المدني، والتي تجيز للقاضي أن يتدخل في العقد لمصلحة الطرف المذعن، وله في سبيل ذلك أن يعدل الشروط التعسفية الواردة بالعقد بل وله أن يلغيها نهائيا ويعفي الطرف المذعن منها ،ويعد هذا الضمان من أهم الضمانات التي منحت للمؤمَّن له باعتباره الطرف الضعيف والمذعن من تعسف شركات التأمين والتي تضع ضمن شروط عقد التأمين التي تنفرد بوضعها، شروطا تعسفية[7]، كالشروط التي تقضي بسقوط حقّ المؤمَّن له في مبلغ التأمين لأسباب لا أثر لها في وقوع الخطر المؤمّن منه ،ففي هذه الحالة يكون على القاضي أن يعدل هذه الشروط أو يلغيها نهائيا إذا اكتشفها وفقا

---

[1]-إبراهيم أبو النجا، المرجع السابق،ص153.

[2]-كما جاء في حكم صادر عن المحكمة الابتدائية بباريس بتاريخ 1990/05/11 :

"L'assureur est mal venue à refuser sa garantie en se fondant sur l'ambigüité ou l'imprécision d'un terme qu'il a lui-même inscrit dans la police". Gaz .pal.. 1993, 1.somme 2.
Et Jean BIGOT avec la collaboration de Jean BAUCHARD , Vincent MEUZE,Jérome KULLMANN ,Luc MAYAUX ,Véronique NICOLAS ,Traité de droit des assurances, Tome 3, L.G.D.J, Paris, 2000, Delta Liban,2003,P.410.

[3]- المادّة 151 فقرة 01 من القانون المدني المصري.

[4]- محكمة النقض المصرية، 31 /12 /1970، مجموعة أحكام النقض ،السنة 21 ،ص 1305، بند 03 ،أورده مصطفى محمد الجمال، أصول التأمين – عقد الضمان – ،منشورات الحلبي الحقّوقية ،الطبعة الأولى ،1999، 180.

[5]- توفيق فرج، المرجع السابق، ص326.

[6]-قرار المجلس الأعلى المغربي ،عدد 18736، الملف الجنائي ،عدد 11872 /84 .أورده محمد الكشبور، المهن القانونية الحرة، انطباعات حول المدونة والتأمين، ندوة المهن القانونية الحرة المنعقدة بكلّية الحقّوق بالدار البيضاء يومي 23-24 /11/ 1990 ،المجلة المغربية لقانون واقتصاد التنمية، عدد 25، ص 159 و160 .

[7] - جديدي معراج،مدخل لدراسة قانون التامين الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،الطبعة الثالثة2003،ص38.

لمقتضيات العدالة[1]، وهذا ما ذهب إليه المشرّع المصري وذلك في نصّ المادّة 148 من القانون المدني، كما صرحت محكمة النقض الفرنسية بموجب قرارين مبدئيين صادرين عنها، الأول[2] بتاريخ 16/ 07 /1987والثاني[3] بتاريخ 14 /5/ 1991 باختصاصها في إبطال الشروط التعسفية، في حين لم ينصّ المشرّع المغربي على منح القضاء سلطة إبطال وتعديل وإلغاء الشروط التعسفية، مما يجعله لا يحقّق الحماية المرجوة للطرف الضعيف في عقد التأمين ،والتي منحها له كلّ من التشريع الجزائري والفرنسي والمصري.

المطلب الثاني : الحماية الإدارية للطرف الضعيف من الشروط التعسفية في عقد التأمين : تلعب الحماية الإدارية دورا فعالا في الرقابة على الشروط النموذجية في عقد التأمين ومحاربتها للشروط التعسفية فيه، وذلك من خلال تنوع وتعدد أجهزتها واختصاصاتها والمتمثلة في الوزارة المكلّفة بالمالية والمجلس الوطني للتأمينات، بالإضافة إلى لجنة الإشراف على التأمينات.

أولا - الوزارة المكلّفة بالمالية: تعتبر الوزارة المكلّفة بالمالية، هي الوزارة الوصية على قطاع التأمين في الجزائر، وذلك بحكم إشرافها على تسيير الهيئات التي تمارس المهام المتصلة بنشاط التأمين[4] وبحكم اختصاصها في منح الاعتماد لشركات التأمين التأمين وإعادة التأمين، وذلك بعد دراسة ملفات طلبها للاعتماد والتأكد من استيفاء ملفها للشروط القانونية المحددة في المادّة 218[5].كما تعمل هذه الإدارة على القيام بإجراءات الرقابة اللازمة ،وذلك عن طريق السهر على قانونية عمليات التأمين وإعادة التأمين، من خلال متابعتها وتقييمها لشركات التأمين العمومية، ودراستها للشروط العامّة والخاصّة للعقود وبصفة عامّة كلّ وثيقة موجهة للتوزيع على الجمهور[6]، وذلك بإخضاع هذه الشروط لتأشيرة إدارة الرقابة التي تستطيع أن تفرض العمل بشروط نموذجية، كما يجب أن تعرض على إدارة الرقابة مسبقا كلّ الوثائق التجارية الموجهة على الجمهور، والتي يمكن لها أن تطلب تعديلها في أي وقت.

كما يتعين على شركات التأمين إبلاغ إدارة الرقابة مسبقا بإبرام لأي اتفاق يخص التعريفات أو الشروط العامّة والخاصّة للعقود أو التنظيم المهني أو المنافسة أو التسيير المالي قبل وضعه حيز التنفيذ تحت طائلة البطلان[7]، وذلك من أجل محاربة الشروط التعسفية والتي بإدراج المؤمّن لها في عقود التأمين يكون بذلك مخالفا للقوانين والنصّوص التنظيمية، مما يؤدي إلى توقيع جزاء رادع عليه يكمن في سحب اعتماد هذه الشركات، وهنا تكمن فعالية هذا النظام الحمائي، في محاربة الشروط التعسفية وقد جاءت اختصاصات هذه الوزارة مطابقة لاختصاصات الوزارة المكلّفة بالمالية في فرنسا[8] والمغرب[9]

ثانيا - المجلس الوطني للتأمينات: أحدث بموجب القانون رقم 04/06، جهاز استشاري يدعى المجلس الوطني للتأمينات والذي يتولى رئاسته الوزير المكلّف بالمالية، ويستشار هذا المجلس في المسائل المتعلقة بوضعية نشاط التأمين وإعادة التأمين وتنظيمه وتطويره ،كما يستشار في المسائل الخاصّة بالمتعامّلين الذين يتدخلون في هذا المجال[10] ويخطر المجلس بهذه

---

[1]- المادّة 622 فقرة 05 من القانون المدني الجزائري.

[2]-R.T.D.Civ.1972-114.115.

[3]- R.T.D. Civ.1991- 526 ,obs. J .Mestre .

[4]- المادّة 04 من المرسوم التنفبذي رقم 07-364 المؤرخ في 2007/11/28، والذي يتضمن تنظيم الإدارة المركزية في وزارة المالية- ،جريدة رسمية العدد 75 ،2007/12/02.

[5]- المادّة 204 من القانون رقم 06-04 المؤرخ في 2006/02/20، جريدة رسمية ،العدد 15، المؤرخة في 2006/03/12.

[6]- المادّة 04 من المرسوم التنفيذي رقم 07-364 المؤرخ في 2007/11/28 ،السابق الذكر.

[7]- المادّة 227 من القانون رقم 06-04 المؤرخ في 2006/02/20، السابق الذكر.

[8]- المادّة 11-4 من قانون التأمين الفرنسي.

[9]- المادّة 161 من مدونة التأمينات المغربية.

[10]- المادّة 274 فقرة 01 و02 من القانون رقم 06-04 المؤرخ في 2006/02/20، السابق الذكر

المسائل الوزير المكلّف بالمالية أو بطلب من أغلبية أعضائه[1]، كما يمكن أن يعدّ المجلس مشاريع تمهيدية لنصوص تشريعية تشريعية أو تنظيمية والتي تدخل في مجال اختصاصه وذلك بتكليف من الوزير المكلّف بالمالية أو بمبادرة منه[2]، والتي يمكن أن يقدم له المجلس جميع الاقتراحات الرامية إلى وضع الإجراءات الكفيلة بترشيد نشاط التأمين وترقيته، كما يمكن أن يقترح عليه كلّ الإجراءات المتعلقة بالشروط العامّة لعقد التأمين والتعريفات، وتنظيم الوقاية من الأخطار[3].

وفي الأخير نستنتج أن دور المجلس في محاربته للشروط التعسفية في عقد التأمين وحمايته للطرف الضعيف فيه، يتسم بالضعف لكونه هيئة استشارية إدارية فقط ،لا تملك سلطة التقرير وإنما تقتصر على إصدار آراء استشارية فقط للوزير المكلّف بالمالية ولأغلبية أعضاء المجلس، كما أن إجراء مراقبته على عقود التأمين تتسم بأنها رقابة قبلية فقط وليست بعدية. وجاءت اختصاصات المجلس الوطني للتأمينات الجزائري مطابقة لاختصاصات كلّ من المجلس الوطني للتأمينات الفرنسي[4] والمجلس الأعلى للتأمين المصري[5] وكذا اختصاصات اللجنة الاستشارية للتأمينات المغربية.

ثالثا- لجنة الإشراف على التأمينات: تمارس الدولة رقابتها على نشاط التأمين وإعادة التأمين ،من طرف لجنة الإشراف على التأمينات التي تتصرف كإدارة رقابة بواسطة الهيكل المكلّف بالتأمينات لدى وزارة المالية[6]، وتهدف هذه اللجنة الى حماية مصالح المؤمَّن لهم والمستفيدين من عقد التأمين، وذلك بالسهر على شرعية عمليات التأمين[7]،كما تكلّف بالسهر على على احترام شركات ووسطاء التأمين المعتمدين للأحكام التشريعية والتنظيمية المتعلقة بالتأمين وإعادة التأمين[8]، وذلك من خلال التحقيقات التي يقوم بها مفتشو التأمين المختصين في هذا المجال، وذلك باستنادهم على الوثائق في جميع العمليات التابعة لنشاط التأمين وإعادة التأمين .و تثبت وتسجل في المحضر، المخالفات التي تضبط أثناء ممارسة شركات التأمين وإعادة التأمين لنشاطها والذي يتم التوقيع عليه من طرف مفتشين (02) في التأمين على الأقل، ومن المخالف أو ممثله المفوض قانونا الذي يحضر إعداد هذا المحضر، ويعتبر هذا الأخير بمثابة الدليل إلى أن يثبت العكس، بعد ذلك ترسل هذه اللجنة المحاضر إلى وكيل الجمهورية إذا كانت طبيعة الوقائع الواردة فيها تبرر المتابعات الجزائية[9] ،كما تكلّف هذه اللجنة بالتأكد من أن شركات التأمين ستفي بالالتزامات التي تعاقدت عليها تجاه المؤمَّن لهم وبأنها لازالت قادرة على الوفاء[10]، وهذا ما يجعل لجنة الإشراف على التأمينات تلعب دورا فعالا في حماية الطرف الضعيف من الشروط التعسفية في عقد التأمين. و تتطابق اختصاصات هذه اللجنة مع اللجنة الاستشارية للتأمينات الفرنسية[11] . والهيئة المصرية للرقابة على التأمين[12] .

المادّة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 95-339 المؤرخ في 1995/10/30، والذي يتضمن صلاحيات المجلس الوطني للتأمين وتكوينه وتنظيمه وعمله، جريدة رسمية العدد65 المؤرخة في 1995/10/31 المعدل والمتمم بالمرسوم التنفيذي رقم07-197 المؤرخ في 2007/05/19، جريدة [1]رسمية العدد33 المؤرخة في 2007/05/20.

[2]- المادّة 274 فقرة 03 من القانون رقم 04/06 المؤرخ في 2006/02/20، السابق الذكر.

[3]- المادّة 04 من المرسوم التنفيذي رقم 95-339 المؤرخ في 1995/10/30،السابق الذكر.

[4] -Laurent VILLEGAS, Les clauses abusives dans le contrat d'assurance,P.U.M.,France,1998,P.5.

[5]- رمضان ابو السعود،أصول التأمين،دار المطبوعات الجامعية ،الاسكندرية،مصر،الطبعة الثانية،2000،ص268.

[6]- المادّة 209 فقرة 01 و02 من القانون رقم 06-04 المؤرخ في 2006/04/20، السابق الذكر.

[7]- المادّة 209 فقرة 3 من القانون نفسه.

[8]- المادّة 210 فقرة 1 من القانون نفسه.

[9]- المادّة 212 من القانون 04/06 السابق الذكر.

[10]- المادّة 210 فقرة 02 من القانون نفسه.

[11] -Laurant VILLEGAS, OP.cit,P.5.

[12]- رمضان أبو السعود،المرجع السابق،ص 269.

خاتمة:

إن المشرّع الجزائري وحرصا منه على إعادة التوازن العقدي بين طرفي عقد التأمين، نجده قد سعى في تحقيق حماية متوازنة وشاملة للطرف الضعيف من الشروط التعسفية في هذا العقد، وذلك بمنح التنظيم القانوني لعقد التأمين الصفة الآمرة، حيث تعتبر نصوصه آمرة لا يجوز مخالفتها إلا لمصلحة المؤمَّن له أو المستفيد ،كحماية قانونية له مستعينا في تحقّيق هذه الغاية بسلطة القاضي في تقدير هذا التوازن وذلك وفقا لمقتضيات العدالة، مدعما هذه الحماية بدور الرقابة التي تقوم بها الأجهزة الإدارية على الشروط النموذجية لعقود التأمين، وذلك من أجل محاربتها للشروط التعسفية المدرجة فيها. وفي إطار هذه الخاتمة سنحاول إبداء الملاحظات التالية:

1- إدخال إصلاحات تشريعية تهدف إلى وضع نظرية عامّة لمحاربة الشروط التعسفية في إطار القواعد العامّة الواردة في القانون المدني، و ذلك بحكم تعددها وانتشارها في الواقع العملي بالرغم من تدخل المشرّع في إبطال البعض منها في عقد التأمين.

2- تفعيل دور الرقابة الإدارية، وذلك بمنح المجلس الوطني للتأمينات سلطة محاربة الشروط التعسفية في عقود التأمين، وتمكينه من إجراء مراقبة بعدية إلى جانب المراقبة القبلية التي يقوم بها.

3- مراجعة وتعديل المادّة 622 فقرة 4 من القانون المدني والواردة ضمن الأحكام العامّة لعقد التأمين، وذلك بعدم قصور بطلان شرط التحكيم الوارد في عقد التأمين فقط بل امتداد بطلانه إلى الاتفاق الخاصّ واللاحق به وذلك من أجل ضمان حماية فعالة للطرف الضعيف في العقد.

التـلبس الجبـائي

د.نواصرية الزهراء
جامعة سكيكدة

الملخص: بموجب قانون المالية 2013، أدرج المشرع الجزائري إجراء التلبس الجبائي في المادة 20مكرر3 من قانون الإجراءات الجبائية، هذا الإجراء للرقابة الذي يتم في إطار ما تملكه الإدارة الجبائية من سلطات للتحقيق والزيارة والمعاينة... يُمكّنها، وعندما تضبط المكلف في حالة ارتكاب مناورات تدليسية تشكل تهديدا لعملية تحصيل الديون الجبائية أن تحرر محضر التلبس، الأمر الذي يسمح لها بتوقيع الحجز التحفظي على أموال المكلف بمجرد تبليغ المحضر، بالإضافة إلى الآثار الأخرى كالغرامة و فقده الكثير من الحقوق التي كان يتمتع بها في مواجهة الإدارة.

في كل الأحوال وحفظا على حقوق الدفاع يبقى للمكلف حق اللجوء للقضاء وفقا للقواعد العامة و قانون الإجراءات الجبائية.

الكلمات المفتاحية: إجراءات جبائية، التلبس الجبائي، الجريمة الضريبية، الرقابة الجبائية.

Summary: The tax flagrante procedure is codified by Article 20c of tax procedures code (by the Finance Act 2013), this control procedure is done in the right of frame, of investigation, seizure, or communication and control, the tax administration's officers authorities to intervene to stop tax evasion in progress.

The tax flagrance opens a possibility of control before any declaratory obligation is due, and proceed precautionary seizures of verbal notification of the trial, and the application of a specific fine, and other impacts on plans and impositions control.

To ensure respect for the rights of defense, the taxpayer has safeguards and remedies, or according to specific devices or newly created in the conditions of common law.

Keywords: tax proceedings, tax flagrance, tax fraud, tax control.

المقدمة:

بموجب قانون المالية 2013 استحدث المشرع الجزائري إجراء التلبس الجبائي في نص المادة 20 مكرر3 على غرار المشرع الفرنسي والذي جاء به في سنة 2007[1] وأحدث عليه عدة تعديلات قصد تحقيق الغاية المرجوة منه، حيث يسمح هذا الإجراء للإدارة الجبائية وعند معاينتها لأفعال تدليسية صادرة من المكلفين وفي ظروف قد تشكل تهديدا لعملية تحصيل الديون الجبائية بالتدخل لوقف المخالفة ومن ثمة تأمين حق الخزينة العامة.

ومنح المشرع للإدارة خلال هذا الإجراء العديد من السلطات الاستثنائية والتي ضيقت بشكل كبير من حقوق المكلفين وأفقدتهم العديد من الضمانات التي كانوا يتمتعون بها في الأحوال العادية عند الرقابة الجبائية، الأمر الذي يدعونا للبحث في أحكام حالة التلبس الجبائي من خلال التطرق لمفهومه وشروطه(المبحث الأول)، ثم إجراءاته وأثاره(المبحث الثاني).

المبحث الأول: مفهوم التلبس الجبائي وشروطه:

لا تكتمل الدراسة لموضوع التلبس الجبائي إلا بعد تحديد مفهومه(المطلب الأول) ثم الإحاطة بعناصره وشروطه(المطلب الثاني) كما يلي.

المطلب الأول:مفهوم التلبس الجبائي: لم يعط القانون لحالة التلبس الجبائي تعريفا محددا يبين فيها شروطه وخصائصه بدقة، ولكن بموجب نص المادة 20مكرر3 من ق إج[2]، فقد نص على (أنه عملية مراقبة تضطلع بها الإدارة الجبائية قبل أي

---

[1] حيث إستحدثت إجراءات التلبس الجبائي في القانون الفرنسي بموجب المادة 15 من قانون 2007-1824 ل 25 ديسمبر2007 ودخل حيز التنفيذ في 01جانفي 2008.

[2] حيث أستحدثت هذه المادة بموجب قانون رقم 12/12 المؤرخ في 26 ديسمبر2012 والمتضمن قانون المالية 2013.

أي مناورة ينظمها المكلف بالضريبة بهدف ترتيب عملية الإعسار على الخصوص).وجاء في الفقرة الاولى من نفس المادة(بغض النظر عن كل الاحكام المتعلقة بالمراقبة والتحقيق...يمكن لأعوان الإدارة الجبائية الذين لهم رتبة مفتش على الاقل والمحلفين قانونا في ظروف يمكن أن تشكل تهديدا لعملية تحصيل الديون الجبائية المستقبلية).

حيث يظهر أن التلبس هو عملية مراقبة جبائية من قبل الإدارة يثبت فيها قيام المكلف بأفعال تدليسية خطيرة يمكن أن تشكل تهديدا لعملية تحصيل الديون الجبائية في المستقبل، أو هي حالة تسمح لإدارة الجبائية بالتدخل من أجل إيقاف جريمة جبائية هي بصدد الارتكاب عندما تجتمع مؤشرات قوية على ارتكابها[1]. ولكن ما هي الظروف التي تشكل حالة التلبس، أي متى يمكننا القول بأننا في حالة تلبس؟.

لم يحدد المشرع الجبائي تلك الظروف وشروط قيام حالة التلبس وأكتفى بالقول " في ظروف يمكن أن تشكل تهديدا لعملية تحصيل الديون الجبائية المستقبلية..."، خلافا لما ورد في قانون العقوبات مما يتطلب منا القياس باعتبار أن التلبس الجبائي هو جنحة وفقا لنص المادة 194 مكرر1 من ق ض م[2].

عرفت المادة 41 من قانون الإجراءات الجزائية[3] حالة التلبس بجناية أو جنحة بأنها :" توصف الجناية أو الجنحة بأنها في حالة تلبس إذا كان مرتكبة في الحال أو عقب ارتكابها...إذا كان الشخص المشتبه في ارتكابها في وقت قريب جدا من وقت وقوع الجريمة قد تبعه العامة بالصياح أو وجدت في حيازته أشياء أو وجدت أثار أو دلائل تدعو إلى افتراض مساهمته في الجناية أو الجنحة... إذا كانت قد ارتكبت في منزل وكشف صاحب المنزل عنها عقب وقوعها وبادر في الحال باستدعاء أحد ضباط الشرطة القضائية لإثباتها".

وبالتالي فمعيار التلبس في القانون الجنائي هو الوقت الذي أكتشف فيه ارتكاب الجريمة(الركن المادي) أو الآثار التي خلفتها وهي أدلة ارتكابها الملموسة، فالتلبس إذن هو المعاصرة أو المقاربة بين لحظتي لارتكاب الجريمة واكتشافها، أي تقارب لحظة اقتراف الجريمة ولحظة اكتشافها[4]، حيث يرتبط التلبس بالجريمة في حد ذاتها وليس بفاعلها[5]، فيثبت لرجال القضاء تبعا لذلك سلطة تحقيق مختلفة عن تلك التي تثبت لهم في الأحوال العادية[6].

أما بالنسبة للقانون الجبائي فالتلبس يظهر من خلال ضبط المكلف وهو في حال أو عقب ارتكابه لأفعال تدليسية ومناورات قصد التهرب الضريبي وأن تكون تلك الافعال خطيرة يمكن أن تهدد عملية تحصيل الديون الجبائية الحاضرة أو المستقبلية. حيث يتفق المفهومان في عملية ضبط أدلة الجريمة من حيث توقيت ارتكابها وأدلتها على النحو المبين سابقا، ويختلف التلبس الجبائي في الهدف المرجو منه وهو الوقاية من أثار الجريمة على الخزينة العمومية وتحصيل الديون الجبائية.

حيث تسمح إجراءات التلبس الجبائي للإدارة عندما تعاين بمناسبة عملية الرقابة بما لها من سلطات وفق ما منحها القانون، المعاينة أو رقابة م22،28 و 34،38 ق إ ج أو التحقيق والتفتيش م29،33ق إج، لجريمة جبائية خطيرة بصدد الارتكاب أن تعاقب بسرعة وفعالية المكلف وتضمن التحصيل[7].

---

[1] Jean Mare NELLET, Enquete parlementaire sur les grands dossiers de fraude fiscale, 07mai 2009 Belgique, doc 52-0034/004 p244.

[2] حيث جاء في الفقرة 04 من المادة السابقة" وزيادة على العقوبات المنصوص عليها سابقا، فإنه يترتب على جنحة التلبس الجبائي إقصاء المكلفين بالضريبة من الإستفادة من الضمانات المنصوص عليها في المواد 19و156و158 من قانون الإجراءات الجبائية..."

[3] الامر رقم 66-155 المؤرخ في 18 صفر 1386 موافق ل08 يونيو1966 والمتضمن قانون الإجراءات الجزائية المعدل والمتمم بالقانون 06-22 المؤرخ في 20ديسمبر 2006 ج ر عدد84 ل 2006/12/24.

[4] عبد الله أوهايبية،شرح قانون إجراءات الجزائية الجزائري(التحري والتحقيق)،دار هومة الجزائر2004،ص224.

[5] عدلي أمير خالد،احكام قانون الإجراءات الجنائية في ضوء التعديلات الجديدة المضافة بقانون 1998/174 والمستجدات من أحكام النقض والمحكمة الدستورية العليا وتعليمات النيابة العامة،دار الجامعة الجديدة الإسكندرية2000،ص23.

[6] حددت المواد 42 إلى 62 من قانون الإجراءات الجزائية تلك السلطات الاستثنائية التي يضطلع بها الضبطية القضائية في حالة التلبس والتي هي من إجراءات التحقيق في الحدود التي ينص عليها القانون خروجا عن القواعد العامة التي لا تسمح لهم بممارستها إلا بتفويض من السلطة القضائية.

[7] Rapport de conseil national de lutte contre la fraude, France 11 fevrier 2013 p12.

المطلب الثاني: عناصر التلبس الجبائي وشروطه: حتى نستطيع القول أننا أمام حالة تلبس يتعين اجتماع عناصر معينة(أولا) كما يشترط توافر شروطا حددتها المادة 20مكرر3(ثانيا) كما يلي:

أولا-عناصر التلبس الجبائي: يمكننا تحديد عناصر التلبس الجبائي في النقاط التالية:

1- **مباغتة المكلف في حالة ارتكاب أفعال تدليسية:** تكلم المشرع عن الأفعال التي تعد من قبيل الممارسات التدليسية في عدة مواد في قوانين الضرائب المختلفة وقانون الإجراءات الجبائية وتتراوح بين 5 و6 حالات[1] يمكننا تحديدها في النقاط التالية:

أ-حالة ممارسة نشاط خفي: حيث يقوم المكلف في هذه الحالة بممارسة نشاط دون القيام بالتزامه بالتصريح بالوجود لدي الادارة الجبائية أو ممارسة نشاط فرعي للنشاط الأصلي بشكل خفي، و يمكن إثبات ذلك من خلال عدم التصريح بالوجود[2]، أو عدم ذكر النشاط في التصريح بالمداخيل[3]، أو من خلال الفواتير الصورية المقدمة خلافا للواقع، أو المحاسبة غير المبررة...

ب-ممارسة نشاط غير مشروع: وهو النشاط الذي يمنعه القانون أو يقيد ممارسته بشروط مثل بيع العملة أو بيع الخمور والتبغ ...

ج-كل عمليات التحايل الأخرى التي يقوم بها المكلف مثل الفواتير الوهمية، إدارج عمليات خاطئة أو وهمية في الوثائق المحاسبية...

هذا ولا يكفي قيام المكلف بهذه الأفعال التي تشكل تدليسا على النحو السابق، بل يجب أن يتم ضبطه متلبسا بها أي حال الارتكاب أو عقب ذلك بوقت قصير، كما يجب أن يتم الاكتشاف بطريق مشروع فالمعاينة مثلا ضبطها المشرع بإجراءات في نص المادة 34 ق إ ج وما بعدها وحدد القانون للتحقيق والرقابة شروطا وأوقات لممارستها فيجب احترامها حتى يصح إجراء التلبس الذي يحصل أثناءها.

فوضوح التلبس من شأنه أن يحمى من التعسف والخطأ ويجعل الإجراءات التي تقوم بها الإدارة أقرب إلى الصحة والمشروعية[4].

2-معاينة المخالفة من قبل الإدارة أثناء الارتكاب أو عقب ذلك: حيث يمكن أن يتم في الحالة الأولى معاينة المخالفة من قبل الإدارة أثناء عملية معاينة أو مراقبة بما تملكه الإدارة من سلطات في هذا المجال خاصة حق الزيارة، المعاينة والتحقيق[5] ويحصل إثباتها عن طريق محضر وفقا للشكل الذي يتطلبه القانون م38 ق إج وم 505 ق ض غ م على سبيل المثال وليس الحصر.كما يمكن في حالات ممارسة نشاط غير مشروع أن تثبت بمحضر يعد من قبل الشرطة أو الدرك ويتم إعلام الادارة بذلك م504 ق ض غ م، وهذا ما اعتمده المشرع الفرنسي[6].

ويعد هذا هو الإجراء في الاحوال العادية ولكن في حالة التلبس فالمشرع الجزائري اشترط معاينة التلبس وإثباته من قبل الادارة الجبائية وعونها الذي هو برتبة مفتش على الأقل م 20 مكرر3 ق إ ج.

---

[1] حيث ذكرت المادة 36 من قانون الإجراءات الجبائية 05 حالات وكذلك المادة 193 ق ض م، والمادة 533ق ض غ م 5حالات وهو نفس العدد المحدد في المادة 118 من ق الرسم على رقم الأعمال، والمواد 407 ق ض م و34 ق الطابع و119 ق التسجيل حددت حالتان.

[2] التصريح بالوجود المادة 183 ق ض م.

[3] المادة 99 وما بعدها من ق ض م.

[4] عبد الله أوهايبية، المرجع السابق،ص230،231.

[5] حيث نص قانون الإجراءات الجبائية على تلك السلطات بدءا بالرقابة التي تمارسها الإدارة على التصريحات والرقابة المحاسبية والتحقيق المعمق م18 الى20مكرر2 وكذا حق الزيارة والمعاينة والتحقيق في الضرائب المختلفة في المواد22 وما بعدها.

[6] Extrait du Bulletin officiel des finances publiques- impots, direction générale des finances publiques publier le 12/09/2012, www.bofip.impots.gouv.fr/bofip/582-PGP.

ثانيا- شروط ثبوت حالة التلبس الجبائي: إضافة إلى الشروط السابقة وهي ثبوت ارتكاب المكلف لمناورات تدليسية على النحو السابق ومباغتة الإدارة له أثناء ارتكابه للمخالفة أو عقب ارتكابها، فإنه يتعين وفقا لنص المادة 20 مكرر3 السابقة اجتماع الشروط التالية:

أ-أن يكون المكلف يمارس نشاط خاضع لنظام القانون العام والأنظمة الخاصة في مجال الاخضاع الضريبي والتي نصت عليها قوانين الضرائب وهو النظام الحقيقي أو الجرافي والتقدير الاداري والتصريح المراقب والضريبة على الدخل[1]

ب-أن يصدر من المكلف تلك الأفعال التدليسية في فترة الإخضاع للضريبة وهي سنة النشاط التي يؤخذ بعين الاعتبار خلالها بكل الإيرادات التي يحققها المكلف أو التي يتصرف فيها م 09 ق ض م، حيث يتعين على كل مكلف التصريح بمداخيله قبل 30 أفريل من كل سنة م 99 ق ض م، أو حتى في الفترة الممتدة خلال السنة االجبائية محل النشاط وقبل القيام بأي التزامات تصريحية وحول أجلها[2]، وهذا ما يفهم صراحة من خلال قول المشرع "حتى بالنسبة للمرحلة التي لا تنتهي فيها الالتزامات التصريحية المنصوص عليها في التشريع الجبائي" وهذه هي الخصوصية التي يفرضها إجراء التلبس الجبائي قصد توقيف وإرباك أية عملية مناورة تهدد تحصيل حقوق الخزينة المستقبلية.

ج-أن تجتمع ظروف وملابسات يمكن أن تهدد عملية تحصيل الحقوق الضريبية الحالة أو المستقبلية مثل تحويل الأرباح، إخفاء وثائق، التزوير للفواتير، التصرف في ممتلكات...، ويقع على الإدارة تقديم الدليل على تلك الملابسات التي يمكن أن تهدد التحصيل للدين الضريبي والذي يمكن أن يؤخذ من تصرفات المكلف أو وضعيته[3].

والملاحظ هنا أن المشرع قد اكتفى في حالة التلبس بوجود مؤشرات مقبولة م 20مكرر03 ف3، في حين طلب مؤشرات قوية في حالة المعاينة وفقا للمادة34 ق إ ج.

د-أن يتم إثبات حالة التلبس بمحضر يحرره عون للإدارة الجبائية برتبة مفتش على الأقل والمؤهلين قانونا، حيث خولهم القانون باعتبارهم محلفين حق المعاينة والتفتيش وتحرير المحاضر وضبط الأدلة.

ولكن ما يعاب على هذا الإجراء أن حالة التلبس قد تكتشف في أي ظرف وحتى من أعوان الادارة العاديين أثناء القيام بزيارة عادية لمحال المكلف ولأن الهدف هو ضبط الأدلة وتأمين عملية التحصيل فشرط رتبة مفتش قد يكون عائقا أمام تحقيق تلك الأهداف إذا توافرت باقي شروط التلبس وغاب شرط الرتبة، وقد يفهم موقف المشرع الجزائري بالحرص على حماية حقوق المكلف من إمكانية التعسف كون المفتش محلف ويخضع للعديد من الالتزامات والمسؤوليات، إلا أن المشرع الفرنسي ومنذ ديسمبر2012 فقد تنازل عن شرط الرتبة بل وحتى سمح باستعمال المعاينات التي أجريت من طرف الإدارات الأخرى غير الإدارة الجبائية في حالة النشاط الخفي[4].

المبحث الثاني: إجراءات التلبس الجبائي وأثاره:

عقب اكتشاف الإدارة الجبائية لحالة التلبس الجبائي يتعين عليها اتخاذ إجراءات اللازمة لإثباته قصد تأمين حق الخزينة العمومية(المطلب الأول) ويترتب على تلك الإجراءات أثارا هامة على المكلف(المطلب الثاني) كما يلي:

المطلب الأول: إجراءات التلبس الجبائي: تبدأ إجراءات التلبس الجبائي بعد اكتشاف عون الإدارة (المفتش) الحالة، وتثبته من توافر شروطها ومن هنا يتعين عليه إثباتها بمحضر وتبليغه للمكلف ثم توقيع الحجز التحفظي لضمان تحصيل حقوق

---

[1] أنظر في هذا المجال فارس السبتي، المنازعات الضريبية في التشريع والقضاء الجزائي الجزائري، دار هومة الجزائرط2 2011، ص115 .

[2] Rapport de conseil national de lutte contre la fraude ,11 fevrier 2013 p12.

[3] Extrait du Bulletin officiel des finances publiques- impots, op.cit.

[4] Rapport de conseil national de lutte contre la fraude ,11 fevrier 2013 p12

ويشير أحد التقارير أن هذا التعديل الذي جاء به قانون المالية الفرنسي وسمح لأعوان الإدارة برتبة مراقب مكن من إسترجاع مبلغ 16.41مليار أورو خلال سنة 2011خلال 15000عملية مراقبة، ومبلغ 16 مليار أورو لسنة 2010 خلال 10000عملية مراقبة **www.dissertations.flagrancefiscale.**

الخزينة وقبل ذلك فقد نص المشرع أن كل تلك الإجراءات تعد باطلة إن لم يتم الحول على الموافقة المسبقة للإدارة المركزية كما يلي:

أولا-طلب الموافقة المسبقة من الإدارة المركزية : حيث يعد هذا الإجراء ضروريا قبل اتخاذ أي إجراء أخر فيما يخص التلبس تحت طائلة البطلان وهو ضمانة أخرى لصالح المكلفين ولكن في نفس الوقت عائقا يخالف الهدف الذي وجد من أجله التلبس فكان من الممكن طلب موافقة الإدارة الجهوية أو حتى القضاء المختص إقليميا فالأمر أسهل من طلب الموافقة المسبقة للإدارة المركزية، وكذلك هو استثناء عن القواعد العامة في معاينة التدليس والحجز أين اشترط المشرع الترخيص المسبق من القضاء وأن يتم ذلك تحت رقابته م34 ق إ ج وما بعدها، وخلافا لما سار عليه المشرع الفرنسي بعد 2012/12/25 الذي لم يشترط لا ترخيص من القضاء ولا موافقة إدارة قصد تسهيل العملية وتحقيق الأهداف المرجوة، وقبل ذلك أي منذ إقرار حالة التلبس سنة 2007 كان يتم الإجراء تحت رقابة قضائية صارمة لأن بعض الجرائم الجبائية تتطلب التصرف السريع والمباشر لإيقافها[1].

ثانيا-تحرير محضر التلبس الجبائي: إن البحث عن الجرائم والمخالفات الجبائية يتم عادة عن طريق المعاينات والتحقيق والمراقبة الجبائية بمختلف أشكالها[2]، حيث ينجر عن ذلك إجراء حجوز وضبط للأدلة المادية لجريمة ارتكبت أو هي بصدد الارتكاب أي متلبس بها، ولا يحصل ذلك إلا بموجب محضر يحرر يثبت فيه حالة التلبس.

حيث لا يمكن ترتيب الأثار المنصوص عليها دون هذا المحضر ولا يمكن الطعن في الإجراء دون تقديمه كما إجراءات الطعن تبدأ من تاريخ تبليغه، فكيف يحرر وما هي شروطه؟

لم تنص المادة 20 مكرر3 عن كيفية تحرير المحضر ولا بياناته، حيث لم تنص إلا على:

-أن محرره يكون برتبة مفتش على الأقل محلف قانونا باعتبارها المؤهل بإثبات حالة التلبس.

- أنه يحرر وفقا لنموذج تعده الإدارة، وما يشار إليه هنا أنه كان يجب أن يعد وفقا لنموذج يحدده التنظيم فيكون موحدا لكامل التراب الوطني.

وهذا ما يحيلنا للقواعد المطبقة بالنسبة للمحاضر في المجال الجبائي، حيث نصت المادة38 ق إ ج (وكذلك م 505 ق ض غ م)على بياناته كما يلي:

-تعريف الأشخاص الذين أجروا عمليات المعاينة.

-تعريف الأشخاص الذين حضروا عملية إجراء المعاينة وصفاتهم(المعني أو ممثله أوكل شاغل أخر، الشهود المختارون...)

-تاريخ وساعة التدخل.

-جرد المستندات والأشياء والوثائق المحجوزة.

وإذا كانت عملية الجرد في عين المكان تعترضها صعوبات يتم تشميع المستندات والوثائق المحجوزة.

ويوقع محضر التلبس من قبل عون الإدارة ويصادق على التوقيع المكلف بالضريبة صاحب المخالفة، وفي حالة رفض التوقيع يذكر ذلك في المحضر م 20 مكرر5/3 .

ويشترط المشرع شروطا وإجراءات للقيام بالمعاينة في الأحوال العادية، حيث تتم بترخيص من القضاء وتحت رقابته وفقا لنص المادة34 ق إج وما بعدها منها وجود قرائن قوية على وجود ممارسات تدليسية و اكتفى بقرائن مقبولة في حالة التلبس، استصدار أمر من رئيس المحكمة بعد تقديم طلب ترخيص مبرر وفقا للمادة 35 من نفس القانون، وتبليغ الأمر

---

[1] Jean Mare NELLET, Enquete parlementaire sur les grands dossiers de fraude fiscale, 07mai 2009 Belgique doc 52-0034/004 p244.

[2] المراقبة الجبائية أشكال متعددة تبدأ بالرقابة على التصريحات وهو ما يعرف بالرقابة المكتبية ، وتوجد كذلك الرقابة المحاسبية والتي تنصب على محاسبة المكلف والتي تكون كقاعدة في مقر المكلف ثم توجد الرقابة المعمقة والتي تنصب على الذمة المالية للمكلف أنظر في هذا المجال Jean SCHMIDT,LAMY FISCAL ,ed LAMY.SA ,p1186.

للمعني بالمعاينة، وتتم المعاينات في أوقات محددة نظمها المشرع تحت طائلة البطلان م23 ق إ ج... فهل يؤخذ بعين الاعتبار كل تلك الشروط والإجراءات عند التلبس؟

بالرجوع إلى نص المادة20 مكرر 3 وأحكامها والتي تنص" بغض النظر عن كل الأحكام المتعلقة بالمراقبة والتحقيق الجبائي... في ظروف يمكن أن تشكل تهديدا لعملية تحصيل الديون الجبائية المستقبلية...ويعتبر التلبس عملية مراقبة تضطلع بها الإدارة قبل أي مناورة ينظمها المكلف.. " " يسمح هذا الإجراء بالتدخل لوقف الغش الممارس عندما تجتمع مؤشرات مقبولة.." فالغاية من حالة التلبس هي المفاجئة والمباغتة والوقف السريع لجريمة هي بصدد الارتكاب ومن ثمة تأمين التحصيل للجباية المستحقة وغير المستحقة، ومن هنا فمثل هذا الهدف يتنافى مع كل تلك الإجراءات التي تستنفد الوقت وبعلم المكلف الذي يمكنه التصرف في الأدلة ولهذا يمكننا القول بأن الموافقة المسبقة للإدارة المركزية تكفي للقيام بكل ما يلزم دون حاجة لأي إجراء.

ثالثا-تبليغ المحضر للمعني:لا ينتج محضر التلبس أثره إلا من تاريخ تبلغه للمعني به وهو المكلف الذي ثبتت في حقه حالة التلبس، وتبعا لذلك لا يبدأ أجل الطعن إلا من ذلك التاريخ، كما لا يمكنها اتخاذ أي إجراء تحفظي في مواجهة المكلف قبل هذا التبليغ[1]، لهذا يتعين على الموظف القائم بتحرير محضر التلبس تبليغه للمعني بعد القيام بتوقيعه من الطرفين وفي حال رفض التوقيع يبين ذلك في المحضر، والتبليغ وفقا للمادة 20 مكرر3 يحصل بتسليم نسخة من المحضر له وتبقى النسخة الاصلية لدى الإدارة.

وهو استثناء آخر عن القواعد المطبقة في الاحوال العادية حيث سمحت 38 ق إ ج بالتبليغ للمعني أو شاغل الأمكنة أو ممثله وترسل النسخة الأصلية من المحضر للقاضي الذي رخص بالمعاينة.

المطلب الثاني: أثار التلبس الجبائي: يترتب على رصد الإدارة لحالة التلبس الجبائي، أن تكون لها سلطة اتخاذ العديد من الإجراءات لتأمين الديون الجبائية وحق الخزينة بالإضافة إلى توقيع الجزاءات المنصوص عليها في المادة 20مكرر3 على المكلف المعني(أولا)، هذا وبالرغم من سلطة الإدارة في إحداث تلك الأثار يبقى بالمقابل للمكلف حق الطعن في قراراتها وفقا للقواعد العامة أمام القضاء الذي لديه سلطة الرقابة لحماية حقوق الدفاع(ثانيا).

أولا- أثر التلبس الجبائي على المكلف: تتراوح أثار ثبوت حالة التلبس الجبائي بين 3 أثار أساسية وهي: توقيع الحجز التحفظي، تطبيق غرامة جبائية، آثار أخرى تتعلق بالرقابة الجبائية وحقوق المكلف كما يلي:

1- توقيع الحجز التحفظي من قبل الإدارة: الهدف الأساسي من إجراء التلبس الجبائي هو توقيع العقاب السريع والفعال على المكلف وتأمين تحصيل الحقوق الضريبية وكل ذلك بفضل الحجز التحفظي[2] فالحجز التحفظي هو وضع أموال المدين المنقولة المادية والعقارية تحت يد القضاء ومنعه من التصرف فيها[3] تصرفا يضر بالحاجز[4].

ويتميز الحجز التحفظي بخاصيتين تتعلقان بمحل الحجز وهدفه.

فبالنسبة لمحل الحجز فإنه لا يرد إلا على منقولات المدين مادية أو معنوية[5]، أما من حيث هدفه فإنه لا يهدف إلى بيع أموال المدين والتنفيذ عليها ولكن غايته الأساسية هي حماية الدائن من خطر قيام المدين بتنظيم إعساره بالتصرف في أمواله الى مشتري حسن النية لا يمكن استردادها منه[6].

---

[1] Extrait du Bulletin officiel des finances publiques- impots, op.cit.

[2] www.dissertations.flagrance fiscale.

[3] المادة 646 قانون الإجراءات المدنية والإدارية.

[4] نبيل صقر، الوسيط في شرح قانون الإجراءات المدنية والإدارية(الخصومة- التنفيذ- التحكيم)،دار الهدى الجزائر 2008 ص458.

[5] حيث تخرج العقارات من الحجز التحفظي بحكم أنها غير قابلة للنقل من مكانها وحتى عند التصرف فيها قانونا يبقى للدائن إمكانية الطعن في التصرف بدعوى عدم نفاذ التصرفات، وهنا بالنسبة لإدارة الجبائية فلها إمتياز تأخذ حقها قبل أي دائن أخر م149 ق إ ج.

[6] نبيل صقر، المرجع السابق،ص 458.

أما عن شروط الدين المحجوز من أجله فحددتها المادة647 ق إ م إ في 3 شروط هي:

-أن يكون محقق الوجود أي ثابتا غير متنازع حوله، فإذا كان احتماليا أو معلقا على شرط واقف فلا يجوز توقيع الحجز بمقتضاه[1].

-أن يكون حال الأداء: أي غير مؤجلا قانونا ولا اتفاقا، وذلك عند توقيع الحجز أما عند طلبه فلا يعد الشرط لازما[2].

-أن يكون الدين معين المقدار ويعد هذا الشرط لازما مهما كان سند الحجز[3].

أما عن إجراءاته فقد اشترط المشرع توقيع الحجز ممن طرف القاضي بناءا على طلب يقدم الى رئيس المحكمة الناظر في الاستعجال فيصدر بأمر على عريضة م 649 ق إ م إ ، أو قاضي الموضوع عندما يتزامن ذلك مع دعوى مرفوعة في الموضوع م648 ق إ م إ.

وإذا كانت هذه أحكام الحجز التحفظي في القواعد العامة فماذا عنها في حالة التلبس الجبائي؟

منح المشرع للإدارة الجبائية سلطات متعددة تختلف عن تلك التي يملكها الأفراد في القواعد العامة ، ومن بين تلك السلطات سلطة الحجز الإداري بما يسمح للإدارة بوضع المال تحت يدها وبيعه لاستيفاء حقوقها فتكون خصما وحكما في نفس الوقت وفقا لنص المادة 145 ق إ ج ولا يبقى للمكلف إلا المنازعة في إجراءاته أمام القضاء[4] وهو غالبا حجز تنفيذي الهدف منه هو التنفيذ على مال المكلف المتقاعس في تسديد ديونه الضريبية، أما عن نص المادة 20مكرر3 فيمكننا القول أن هذا الحجز يتميز عن الحجز التحفظي في القواعد العامة بعدة خصوصيات نذكرها:

أ-من حيث شروط الدين المحجوز من أجله: فوفقا للمادة السابقة فالحجز يقع على أساس ديون مستقبلية للخزينة، حيث تسمح لإدارة بالحجز على أعلى درجة بقيمة تحددها تمثل ضرائب مستحقة باسم سنة النشاط حالة أو لفترة إخضاع لا تزال سارية إلى تاريخ تحرير محضر التلبس[5].

حيث يعد هذا استثناء هام كون الدين وإن كان معين المقدار فهو تعيين محتمل ولكنه غير حال الأداء وغير مستحق بعد، ويتعين على الإدارة إبلاغ المكلف بقيمة الحجز والأسس المعتمد عليها لتحديد تلك القيمة في المحضر[6].

ويمكن للإدارة وقصد تحديد قيمة المبلغ المحجوز من أجله، الاعتماد على رقم الأعمال المحقق و الذي تحدده استنادا إلى ما توصلت إليه من معلومات بمناسبة ممارستها لحق الرقابة المنصوص عليه في القانون مثل حق الزيارة، التحقيق...كما يمكنها الاطلاع على دفاتر المكلف والوثائق أي كانت طبيعتها خاصة المطلوب مسكها وفقا لقانون الضرائب والقانون التجاري ولا يعد هذا الإطلاع عملية تحقيق في المحاسبة[7]وفقا لأحكام المادة20 من ق إ ج.

ب-من ناحية القائم بالحجز: فالمشرع هنا سمح للإدارة الجبائية بتوقيع الحجز مباشرة، أي أن الإدارة هنا تكون دائنة وحاجزة في نفس الوقت، وهذا ما تملكه الإدارة الجبائية كقاعدة في الأحوال العادية كما في حالة الحجز الإداري والبيع م 145 وما بعدها من ق إ ج من أجل تأمين عملية التحصيل للدين الجبائي .

---

[1] نفس المرجع ص459 .

[2] عزمي عبد الفتاح، المرجع السابق ص 394،395.

[3] نبيل صقر، المرجع السابق ص 461.

[4] للتفصيل أنظر فوضيل كوسة، منازعات التحصيل الضريبي في ضوء اجتهادات مجلس الدولة، دار هومة الجزائر 2011، ص32.

[5] Jean Mare NELLET, Enquete parlementaire sur les grands dossiers de fraude fiscale, 07mai 2009 Belgique doc 52-0034/004 p245.

[6] وهذا ما نص عليه المشرع الفرنسي في المادة 221 من المرسوم رقم 92-755 ل31 جويلية1992

Extrait du Bulletin officiel des finances publiques- impots, op.cit,p06.

[7] Extrait du Bulletin officiel des finances publiques- impots, op.cit, p08.

2-توقيع الغرامة الجبائية: يترتب على معاينة التلبس الجبائي تطبيق الغرامات المنصوص عليها في المادة 194 مكرر1 ق ض م من قبل الإدارة والتي تبدأ من مبلغ 600.000دج وترتفع حسب رقم الأعمال والإيرادات لتصل إلى 1200000دج، وزيادة على تلك العقوبات يقصى المكلف من الاستفادة من الضمانات المنصوص عليها في المواد 19و158 ق إ ج[1].

وفي حال ارتكابه لمخالفات أخرى غير جنحة التلبس الجبائي خلال نفس الفترة يتعرض إلى غرامات عن كل مخالفة عن حدى بمعزل عن الغرامات المنصوص عليها في المادة السابقة.

3-الأثار الأخرى: تمس هذه الأثار المكلف وتؤثر عليه من جانب الحقوق والضمانات المقرة سواء عند الرقابة الجبائية أو أنظمة الإخضاع أو غيرها من الحقوق كما يلي:

أ-بالنسبة لأنظمة الإخضاع فقد يتحول من النظام الجزافي إلى التقدير الإداري أو الحقيقي أو التصريح المراقب...

ب-استثناء حق الاستفادة من الإعفاء من الرسم عن القيمة المضافة والأنظمة الاستثنائية مثل حق الاسترجاع، الطعن بالإعفاء أو التخفيف من الضريبة المباسرة المفروضة والزيادات في حال العوز..م93،92،42،50مكرر2 ق إ ج.

ج-إمكانية تجديد عملية الرقابة المحاسبية المنتهية : حيث يعد من أهم حقوق المكلف هو عدم تجديد الرقابة عن نفس السنة أو نفس الضرائب وفقا للمادة 20 فقرة8 ق إ ج، ولكن هذه المادة ورد عليها استثناء حالة ثبوت الممارسات التدليسية من المكلف والتلبس الجبائي أكبر دليل عن تلك الممارسات، وبالتالي يسقط حقه ويصبح عرضة لرقابة محاسبته على نفس الفترات ونفس الضرائب ما لم يلحقها التقادم وفقا للقانون.

د-تمديد أجال التحقيق في عين المكان:من بين حقوق المكلف هو الحق في عدم تجاوز مدة التحقيق الآجال التي حددها القانون تحت طائلة البطلان وقد تكلمت عنها المادة20 مكرر/5وهي 3 أشهر كحد أدني و9أشهر كأقصى حد، وكل ذلك بالنظر إلى نوع النشاط الممارس ورقم الأعمال المحقق، أما بالنسبة للتحقيق المصوب فالمدة شهرين، ولكن في حال التلبس يصبح هذا الأجل مفتوحا وبدون تحديد[2].

ه-تمديد أجل التقادم بسنتين: فالقاعدة في التقادم في المادة الجبائية هو أربع سنوات وفقا لنص المواد 39،106،107 ق إ ج وتطبيقا للفقرة 5 من المادة 106 فإن هذا الأجل يمدد بسنتين

أي يصبح (6 سنوات) في حال قامت الإدارة بإثبات لجوء المكلف إلى طرق تدليسية وهذا ما يتناسب مع نص المادة 20مكرر3، فالتلبس هو أكبر دليل على التدليس.

و-استثناء حق التأجيل القانوني للدفع المقدر ب20% وجدول الدفع بالتقسيط وفقا لنص المواد 74و104 مكرر من ق إ ج.

ي-التسجيل في البطاقية الوطنية لمرتكبي الغش: وهي عبارة عن قاعدة معطيات ممركزة للمعلومات المتعلقة بمرتكبي المخالفات الخطيرة للتشريعات والتنظيمات الجبائية والتجارية والجمركية، حيث يتم تزويد هذه البطاقية من قبل الجهات المختصة والمؤهلة قانونا[3]، ويمس هذا الإجراء الأشخاص الطبيعية والمعنوية والذين يلحق وجوبا ممثليهم القانونيين، وتكلمت المادة 04 من المرسوم التنفيذى 84-13 عن المخالفات الخطيرة التي تؤدي للتسجيل تتعلق أغلبها بالقانون الجبائي وهي : التملص من الوعاء الضريبي ودفع الضريبة، المناورات التدليسية، تحويل الامتيازات الجبائية والجمركية والتجارية عن وجهتها، المساس بالاقتصاد الوطني.

---

[1] وتنص المادة 19 ق إ الجبائية، على عملية الرقابة على التصريحات وإجراءاتها التي تخول للمكلف عدة حقوق في مواجهة الإدارة فيما تم إلغاء المادة158 بموجب قانون رقم 11-16مؤرخ في 28ديسمبر2011 يتضمن قانون المالية لسنة2012.

[2] Patrick MICHAUD , Création d une procédure de flagrance fiscale. Art 15 de la loi de finances rectificative de 2007, p04. www.etudes-fiscales-internationales.com

[3] المادة 2 من المرسوم التنفيذي13-84المؤرخ في 6 فيفري2013 يحدد كيفيات تنظيم وتسيير البطاقية الوطنية لمرتكبي أعمال الغش ج ر عدد09 ل 10 فيفري2013.

ثانيا-الطعون الممكنة في حالة التلبس الجبائي: إن تحرير محضر التلبس الجبائي تترتب عليه أثار كبيرة على المكلف المعني ولكن مع ذلك يبقي هذا الإجراء قاصرا كونه لا يعني ثبوت جريمة الغش الجبائي لأنه لا يدين بها إلا القضاء، وحتى لو تم الإجراء على يدي الإدارة الجبائية، فإن حق المكلف في الطعن مكفول وسلطة القاضي في الرقابة مضمونة.

ومن هنا نصت الفقرة 4 من المادة 20مكرر3 على هذا الحق والذي يمكن أن تتوافر فيه شرط العجلة ويكون أما القضاء الاستعجالي أو أن يكون أمام القضاء العادي، في كل الأحوال فلأن القرار صادرا من سلطة عامة فإن الاختصاص ينعقد للقضاء الإداري وفقا للقواعد العامة[1] كما يلي:

1-الطعن أمام القاضي الإداري الاستعجالي[2]: ويكون ذلك في حالتين:

أ-الطعن في صحة معاينة إجراء التلبس الجبائي: وينصب هذا الطعن في مدى صحة تطبيق نص المادة 20مكرر03 أي التثبت من وجود الأفعال التدليسية، وجود الخطر الحقيقي للتحصيل أي يجب التأكد من أن شك الإدارة الجبائية جدي[3]، الصحة الشكلية لمحضر التلبس.

ب- الطعن في صحة الحجز التحفظي: مدى وجود الدين، قيمة المبلغ المحجوز من أجله والأسس المعتمدة لتحديده، الضرر المحتمل والغير قابل للتصليح اللاحق.

حيث يفصل القاضي فيها في أجل 15 يوما التالية للتبليغ الرسمي م937 ق إ م إ ويمكن الاستئناف في الأحكام الصادرة خلال نفس المدة م950 ق إ م إ، ويثبت هذا الحق لكل طرف حضر الخصومة أو أستدعي بصفة قانونية ولو لم يقدم أي دفاع وفقا لأحكام المادة949 ق إ م وإ.

2-الطعن أمام قاضي الموضوع: ويثبت ذلك في حالتين كذلك:

أ- معاينة التلبس بمناسبة عملية رقابة جبائية سابقة وبالتالي الرقابة على مدى صحة إجراءات الرقابة[4] التي ثبت من خلالها التلبس، وينعقد الاختصاص للمحكمة الإدارية وفقا للمادة804 ق إم إ.

ب- المنازعة في الغرامة المحكوم بها وفقا للمادة194مكرر1 ق ض م.

ويمكن الطعن في الحكم الصادر أمام مجلس الدولة خلال 2 شهرين م950 ق إ م إ من تاريخ التبليغ الرسمي عندما يكون حضوريا، ومن تاريخ إنتهاء أجال المعارضة[5] عندما يكون غيابيا م950ق إ م إ.

---

[1] وهذا وفقا للمواد800و801ق إ م وإ، والمادة 82 من قانون الإجراءات الجبائية.

[2] ونصت المادة948 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية على خضوع الاستعجال في المادة الجبائية لقانون الإجراءات الجبائية ولأحكام الباب 3 من القانون السابق.

[3] وقد فسر مجلس الدولة الفرنسي نص المادة 16 من قانون الإجراءات الجبائية حتى يمكننا القول اننا في حالة تلبس بالقول:

"Il résulte des dispositions de l'article L. 16-0 BA du livre des procédures fiscales (LPF) que la mise en œuvre de la procédure de flagrance fiscale qu'elles prévoient est notamment subordonnée à la constatation de circonstances susceptibles de menacer le recouvrement des créances fiscales nées de l'activité exercée par le contribuable. Il incombe au juge du référé, saisi d'une demande tendant à mettre fin à cette procédure, comme au tribunal administratif statuant sur l'appel de l'ordonnance de ce juge, de juger s'il est fait état d'un moyen propre à créer, en l'état de l'instruction, un doute sérieux sur la régularité de la procédure, en vérifiant notamment si, au vu des éléments qui lui sont soumis par les parties, l'existence de telles circonstances est suffisamment caractérisée par l'administration fiscale dans le procès-verbal de flagrance fiscale". Centre de recherches et de diffusion juridiques, jurisprudence des formations contentieuses de conseil d état, janvier2014 p15.

http://www.conseil-etat.fr/content

[4] حيث يخضع المكلفين بعد تقديم تصريحاتهم الجبائية وفقا لما تتطلبه القوانين الضريبية المختلفة إلى عدة أنواع من الرقابة، فمنها الرقابة المكتبية وهي الاعتيادية التي تتم على تصريحات المكلف وفقا للمادة18ق إ ج، وهناك الرقابة الأشد وهي التحقيق المحاسبي الذي ينصب على محاسبة المكلف م20 والرقابة المعمقة التي تمس الذمة المالية للمكلف م21، في كل الأحوال فمهما كان نوعها وأمام سلطات الإدارة فقد أحاطها المشرع بعدة ضمانات لصالح المكلفين يترتب على عدم احترامها البطلان.

[5] وحددته المادة954ق إ م إ بشهر من تاريخ التبليغ الرسمي للحكم أو القرار الغيابي.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكننا القول أن إجراء التلبس الجبائي المستحدث في التشريع الجزائري وإن تضمن الكثير من الاستثناءات عن الضمانات والحقوق المكفولة قانونا للمكلف عند الرقابة الجبائية، إلا أنه بالمقابل فقد تضمن ضمانات للإدارة الجبائية لتحصيل الديون الجبائية وتأمين حق الخزينة العامة وقد يكون وسيلة هامة لقمع عمليات التهرب والغش الجبائي ومن ثمة استرجاع مورد هام من المال لصالح الدولة.

ولكن مع ذلك يبقى هذا الإجراء قاصرا على تحقيق الغاية المرجوة منه بالنظر إلى بعض العوائق التي رأيناها من خلال هذه الدراسة وفي سبيل ذلك نقترح:

-أن تبين بدقة ضوابط حالة التلبس الجبائي حتى لا يتم القياس في مثل هذه الحالة التي لا يجوز القياس فيها بالنظر إلى أثارها على المكلف.

-الاكتفاء برتبة أقل من رتبة مفتش ولكن تدعيمها بشرط أخر مثلا عونين مراقبين، حتى يتسنى لهؤلاء ضبط المخالفات التي يطلعون عليها في أي وقت.

-تمكين الإدارة الجبائية من الاستعانة بالمحاضر التي تحررها جهات أخرى كالدرك وأعوان الجمارك والتي تتضمن إثبات لجريمة جبائية خاصة النشاط الخفي وتنظيم الإعسار.

ورغم ذلك يبقى إجراء التلبس الجبائي من أهم إجراءات الرقابة الجبائية التي تمكن الخزينة العمومية من التصدي للتهرب الجبائي والذي لا زال يحتاج إلى الكثير من الدراسات.

الإثبات الجنائي في البيئة الإلكترونية

أ.لامية مجدوب

جامعة باجي مختار– عنابة –

الملخص:

أثارت الجرائم الإلكترونية أو المعلوماتية بكل صورها بما فيها التزوير في البيئة الإلكترونية العديد من المشكلات القانونية الموضوعية منها والإجرائية، نظرا لطبيعة وخصوصية هذه الجرائم وما ترتب عنها من آثار قانونية ولعل من أهم هذه المشكلات القانونية إثبات الجرائم الإلكترونية أو مدى فعالية طرق الإثبات في البيئة الإلكترونية.

الكلمات المفتاحية: الجرائم المعلوماتية، الإثبات الجنائي، البيئة الإلكترونية، التزوير.

ABSTRACT:

Electronic and computer related crimes in all its forms including forgery in the cyberspace lead to many legal and procedural issues considering the nature and the particularity of these crimes and the consequent legal implications and perhaps the most important is to prove these cybercrimes and the effectiveness of the employed methods in the cyberspace.

Keywords: cybercrime, judicial proof, cyberspace, forgery

المقدمة: ينشأ عن وقوع الجرائم الإلكترونية بما فيها التزوير حق الدولة في معاقبة مقترفيها بيد أن هذا الحق يتوقف على إثبات ونسبة ارتكاب تلك الجرائم إلى مرتكبها الشيء الذي يتعين على سلطات القضاء البحث عن حقيقة هذه الجرائم ومدى صحة نسبتها للمتهم من عدمه والجهات القضائي المختصة بها، ولعل من أدق المشكلات الإجرائية المتعلقة بالخصومة الجزائية منذ نشأتها وحتى انقضائها هي إشكالية الإثبات الجنائي وما يثيره من صعوبات خاصة ما يتعلق بالأدلة العلمية الرقمية[1]، والتي تعد من بين المشكلات العلمية أو الإجرائية الشائكة في هذه الجرائم نظرا لصعوبة إثبات وقوع هذه الجرائم في حد ذاتها، فموضوع الإثبات الجنائي في الجرائم الإلكترونية ينطوي على حد كبير من الصعوبة والتعقيد في غياب قانون الإثبات أو لانعدام نصوص قانونية ترسم الإطار أو الأساس القانوني للنظرية العامة للإثبات الجنائي[2] والإشكال المطروح في هذا النطاق هو مدى فعالية وسائل الإثبات في البيئة الإلكترونية؟ وأهم التحديات المتعلقة بإثبات جرائم التزوير الإلكتروني؟

المبحث الأول: ماهية الإثبات الجنائي:

نظرا للدور الذي تلعبه مسألة الإثبات الجنائي بالنسبة للدعوى العمومية في جرائم التزوير في البيئة الإلكترونية عبر مختلف مراحلها، لابد من التطرق أولا لتعريف لإثبات الجنائي ثم تحديد أهمية وطرقه على النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم الإثبات الجنائي: إن الإثبات[3]من المواضيع المهمة جدا التي لا يستطيع أي قاض الاستغناء عنه، فهو يعد بمثابة المرفق بين الحق والباطل أو إظهار الحقيقة، وحتى تتضح ماهيته لابد من التطرق إلى تعريفه وأهميته في المجال الجزائي.

الفرع الأول: تعريفه:ويقصد بالإثبات من الناحية القانونية: " إقامة الدليل أمام القضاء بالطرق التي حددها القانون على وجود واقعة قانونية متنازع عليها يترتب على ثبوتها آثار قانونية" فالإثبات يختلف من قانون إلى آخر، ذلك أن الإثبات في

---

[1] عبد الرفيع ارويحن: مكافحة الجرائم الالكترونية قراءة في مؤتمر أبو ظبي لدول مجلس التعاون الخليجي"، مجلة قانون وأعمال، العدد 03، دجنبر 2013، ص 64.

[2] Mohammed Buzubar : la criminalité informatique sur l'internet, journal, of law, Volume 26, N01, Mars 202, p 72.

[3] لتحديد مدلول الإثبات في الشريعة الإسلامية الغراء راجع: سامح أحمد بلتاجي موسى، الجوانب الإجرائية للحماية الجنائية لشبكة الانترنت، رسالة مقدمة للحصول على الدكتوراه في الحقوق، كلية الحقوق، جامعة الإسكندرية، 2010، ص 320.

القانون المدني يخالف التجاري أو الإداري أو الجنائي[1]، وبالرجوع إلى الفقه الجنائي نجده قدم عدة تعاريف له أهمها مايلي: "هو إقامة الدليل لدى السلطات المختصة بالإجراءات الجنائية على حقيقة واقعة ذات أهمية قانونية، وذلك وفق الطرق التي حددها القانون ووفق القواعد التي أخضعها لها"، وعرف أيضا: " بأنه إقامة الدليل على وقوع الجريمة ونسبتها إلى شخص بعينه".[2]

وعرف كذلك بأنه: "مجموع الوسائل المستعملة للوصول إلى إظهار الحقيقة حول فعل معين"[3]، وعرف أخيرا بأنه: " كل ما يؤدي إلى إظهار الحقيقة بإثبات وقوع الجريمة ونسبتها للمتهم"، من خلال هذه التعاريف يتضح أن الإثبات الجنائي ما هو سوى عملية البرهنة أو إقامة الدليل لدى السلطات المختصة بالإجراءات الجنائية على حقيقة قيام الجريمة أو عدم قيامها بالطرق المشروعة قانونا.[4]

الفرع الثاني: أهميته:الإثبات الجنائي ذو أهمية قصوى في مختلف المراحل التي تمر بها الدعوى العمومية بل وحتى قبل تحريكها، ويكمن دوره في كونه الوسيلة الوحيدة التي تؤدي إلى إظهار الحقيقة للحكم على المتهم، ذلك أن الإثبات لا يمكن فصله عن الحكم القضائي الجنائي، بل هو روح ذلك الحكم وجوهره، لأنه في غياب الإثبات سيؤدي حتما إلى براءة المتهم طالما لم يقم الدليل على إسناد الجريمة له، وعليه فلا يجوز إدانته أو تسليط عقوبة عليه، لأن محل الإثبات الجنائي هو الواقعة المخالفة للقانون الجنائي لأنه ينصب على الوقائع لا على القانون ذاته أو تفسيره، فالإثبات الجنائي يرتكز على دعامتين هما:

إقامة الدليل أو إسناد هذا الدليل إلى مقترف الجريمة الحقيقي.[5]

وعموما تدور القواعد التي تحكم عملية الإثبات حول بلوغ هدف أساسي هو تحقيق العدالة الجنائية والأمن والاستقرار في المجتمع بالكشف عن الحقيقة التي تهم المجتمع بأسره باعتبار أي الجريمة تمثل أولا وأخيرا اعتداء صريح على الجماعة برمتها، وعليه فإن الركيزة الأساسية للإثبات الجنائي هو مدى توافر الدليل القاطع الذي بمقتضاه يستطيع القاضي أن يبرر الإدانة أو البراءة التي يحكم بها، فالقاضي لا يستطيع الحكم بما يعتقد أنه الحق من غير دليل يستند إليه ومن هنا جاءت الأهمية القصوى لعملية الإثبات الجنائي.[6] كما تبرز أهمية الإثبات الجنائي في تحديد وتمييز الأعمال التحضيرية والعدول والشروع والجريمة التامة، وذلك بتوضيح الأدوار وما اقترف من أنشطة جرمية والنتائج المترتبة عنها وبيان علاقة السببية والقصد الجنائي وبيان أنواع الجرائم وقتية أو مستمرة أو متتابعة وما إذا ارتكبت بنشاط إيجابي أم سلبي وهذا كله يتم من خلال وسائل الإثبات، وتتعاظم أهمية الإثبات الجنائي نظرا لأن الفعل الإجرامي محل الدعوى العمومية في جرائم التزوير الإلكتروني لا يحدث أمام قاضي الموضوع وليس في إمكانه أن يصل إلى الحقيقة إلا إذا استعان بوسائل الإثبات المختلفة التي تعيد أمامه رواية تفاصيل الجريمة مما يساعده على تصور كيفية وقوع الجريمة وبيان المراحل السابقة على ارتكابها، كما يمكن لقواعد الإثبات أن توضح درجة الخطورة الإجرامية للجاني كبيان ظرف سبق الإصرار والترصد ونوع الأداة المرتكب بها الجريمة والأسلوب الإجرامي الذي اقترفت به إضافة إلى دور الإثبات من خلال توفير الأدلة بأنواعها المختلفة في الدعوى العمومية، وعموما يمكن القول بأن الإثبات وما يفرزه من أدلة باعتبارها عيون العدالة التي ترى بها فإن أصاب

---

[1] مناني فراح، أدلة الإثبات الحديثة في القانون، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 08 و09.

[2] عفيفي كامل عفيفي، جرائم الكمبيوتر وحقوق المؤلف والمصنفات الفنية، دون مكان نشر، دون تاريخ نشر، ص 365.

[3] العربي شحط عبد القادر ونبيل صقر، الإثبات في المواد الجزائية في ضوء الفقه والاجتهاد القضائي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص 16.

[4] محمد زكي أبو عامر، الإثبات في المواد الجنائية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2011، ص 13.

[5] محمد زكي أبو عامر، مرجع سابق، ص 09.

[6] Christiane féral- schuhl, cyber droit , le droit à l'épreuve de l'internet, 2^{em} édition, Dalloz, Paris, 2000, p 50.

هذه العيون خلل جنحت عن جادة الصواب وبذلك لا يتحقق العدل باعتبار أن الإثبات محور العملية الإثباتية في الدعوى العمومية.[1]

المطلب الثاني: عبء الإثبات في المواد الجزائية:من بين المشاكل الأساسية في موضوع الإثبات الجنائي هو المشكل المتعلق بمن تناط مهمة جمع أدلة الإثبات أو ما يعبر عنه فقه القانون الجنائي بعبء الإثبات[2] فما المقصود بذلك؟

إن الإجابة على هذا الإشكال تقتضي طرح مسألة رئيسية مفادها أن القاضي الجنائي لا يمكنه تأسيس حكمه بالإدانة إلا بناء على أدلة إثبات قطعية وأكيدة، وإن مهمة جمع أدلة الإثبات هي مهمة صعبة وثقيلة لذلك أطلقت عليه تسمية عبء الإثبات، أما الإشكال الثاني الذي يمكن طرحه فهو متعلق بمجال الإثبات الجنائي بالنظر إلى موضوعه، ما الذي يجب إثباته من جانب كل طرف؟

فإذا كان من المسلم به في نطاق الإجراءات المدنية أن المدعى هو الذي يتحمل عبء الإثبات، بمعنى إثبات ما يدعيه ويقصد بذلك تفصيلا أن الشخص الذي يطالب بتنفيذ الالتزام هو الذي يتحمل إثبات وجود هذا الالتزام ويتحمل الطرف الآخر إثبات تخلصه منه أو إثبات أن الالتزام غير قائم لسبب ما، فإذا كانت القاعدة على هذا النمو بالنسبة للمسائل المدنية فما هو الحل بالنسبة للمواد الجنائية؟.

هل يقع عبء الإثبات على المجيء عليه أو ممثل سلطة الاتهام إثبات إدانة الجاني؟ أم أن هذا الأخير هو الذي يتحمل عبء إثبات براءته؟.

من المقرر قانونا أن عبء الإثبات في المواد الجنائية يقع على عاتق النيابة العامة، بحيث أن الجاني معفى من هذه المسألة، فليس له إثبات براءته والسبب في ذلك يرجع إلى كونه يستفيد من مبدأ أساسي، وهو مبدأ افتراض براءة المتهم وأن عبء الإثبات حسب قاعدة البراءة المفترضة دوما في الاتهام يقع على عاتق من يدعيها فسلطة الاتهام أو النيابة العامة هي التي تتحمل عبء الاتهام كأصل عام.[3]

المطلب الثالث: طرق الإثبات: بما أن الإثبات الجنائي يعتبر من أهم الإجراءات الجنائية التي تهدف أصلا إلى كيفية إثبات الحقيقة، فإنه من المبادئ العامة أو الأساسية للإثبات في المواد الجنائية هو حرية الإثبات الذي يعد من المبادئ الراسخة في النظرية العامة للإثبات، ويقصد بهذا المبدأ أن لجميع الأطراف في الدعوى العمومية الحرية في اللجوء إلى كافة وسائل الإثبات للتدليل على صحة ما يدعونه، كما تلجأ سلطة الاتهام أو الإدعاء إلى أي وسيلة لإثبات وقوع الجريمة وعلى المتهم أن يثبت للقاضي حقيقة الواقعة بكل طرق الإثبات[4].

لقد أقر المشرع الجزائري مبدأ حرية الإثبات في المسائل الجنائية بموجب نص المادة 212 من ق إ جج التي تنص:"يجوز إثبات الجرائم بأي طريق من طرق الإثبات ما عدا الأحوال التي نص فيها القانون على غير ذلك وللقاضي" أن يصدر حكمه تبعا لاقتناعه الشخصي"، نستقرأ من نص هذه المادة أن الحرية في الإثبات تتصرف إلى القاضي وإلى الخصوم كذلك، فللقاضي مطلق الحرية في البحث عن أدلة الإثبات، كما أن للمحكمة أن تأمر من تلقاء نفسها أثناء نظر الدعوى وفي أي مرحلة من مراحل المحاكمة بتقديم أي دليل تراه لازما لإظهار الحقيقة، كما أن النيابة العامة تملك الحرية المطلة في إثبات الجريمة وإسنادها للمدعى عليه، بجميع طرق الإثبات، كما أنها تنطبق على كافة الجرائم أمام مختلف الجهات القضائية بما فيها التزوير الإلكتروني كنموذج عن الجرائم الإلكترونية عدا الأحوال التي نص فيها القانون على خلاف ذلك.

---

[1] سامح أحمد بلتاجي موسى، مرجع سابق، ص 325 و326

[2] G. levasseur et autres,droit pénal général et procédure pénale 13édition , Dalloze, Paris,1999, p 159.

[3] سامح أحمد بلتاجي موسى، مرجع سابق، ص 314.

[4] Corinne Renault- Brahinsky, procédure pénale, 10em Corinne Renault- Brahinsky, procédure pénale, 10em édition, Gulino, l'extenso édition, Paris,2009, p98.

الفرع الأول: مدى فعالية طرق الإثبات في التزوير الإلكتروني: كما سبق بيانه تقصد بطرق الإثبات في المواد الجنائية تلك الوسائل أو الأدلة المتعارف عليها فقها وقضاء والتي تم التنصيص عليها كذلك في قانون الإجراءات الجزائية والمتمثلة في الاعتراف، المحررات، الخبرة، الشهادة، الانتقال للمعانية والقرائن، وسوف نسلط الدراسة على الطرق الأكثر ملائمة للإثبات جرائم التزوير الإلكتروني ومدى فعاليتها، كما أن بعض هذه الطرق تم التطرق إليها خلال المبحث الأول من هذا الفصل وبالتالي لا داع لتكرارها.

أولا: الاعتراف:هو إقدام المتهم على الإقرار على نفسه بالتهمة المنسوبة إليه بعد استجوابه من قبل قاضي التحقيق أو سماع أقواله بمعرفة ضباط الشرطة القضائية خلال مرحلة جمع الاستدلالات، لأن الغرض من الاستجواب كما هو معروف هو الحصول على اعتراف المتهم، ذلك أن الاعتراف قول صادر عن المتهم[1] يقر فيه بصحة ارتكابه للوقائع المكونة للجريمة بعضها أو كلها والاعتراف كغيره من طرف الإثبات يخضع إلى حرية تقدير القاضي ذك أنه قد يحدث أن يكون الاعتراف بارتكاب الجريمة لا يطابق الحقيقة لاعتبارات عدة[1] .فقديما كان الاتجاه السائد أن الاعتراف هو سيد الأدلة غير أن هذه القاعدة تخلى عنها القضاء إزاء تحديات الفقه في نقدها وما صادفه القضاء من مشكلة تجاوز الاعتراف لقيمته حال نسبة الجريمة لغير مرتكبها الحقيقي إراديا فمثلا حال حدوث جريمة تزوير إلكتروني وقيام أكثر من شخص بالاعتراف بارتكابها ففي هذا الفرض فإن الاعتراف وحده لا يكفي بل يتطلب التدخل في بناء الإدانة على ضوء كيفية القيام لفعل التزوير في المجال الإلكتروني وعليه إذا فشل المتهم في الإدلاء بكيفية قيامه بالتزوير أو كانت معلوماته غير دقيقة، فإن الاعتراف لا يكفي لإدانته نظرا لأن الحاسوب والانترنت يسمحان بدخول أكثر من شخص واحد على أي موقع وفي ذات الوقت دون أن يمكن أحدهم من رصد الآخر، وبالتالي فإن الاعتراف وحده لا يكفي لإسناد التهمة والحكم بالإدانة بل يتوجب الاستعانة بطرق أخرى ذات الطابع الفني.[2]

ثانيا: المحررات:يطلق عليها الأدلة الكتابية، وهي من الأدلة ذات الأهمية البالغة في المجال الجنائي عكس الشهود الذي يمكن أن يقعوا تحت تأثير العاطفة أو الخطأ، فهي أدلة لا يمكن ردها أو دحضها بعد التأكد من صحتها حيث تفرض على المتهم الاعتراف بالتهمة الموجهة إليه وعدم التهرب من العقوبة المقررة له وقد أعطى القانون سلطات وصلاحيات واسعة لضباط الشرطية القضائية خاصة في جرائم التلبس، لحجز كل ما من شأنه أن يستعمل أو كان قد استعمل فعلا في ارتكاب الجريمة أو كان من نتائجها بما في ذلك محررات أو وثائق المتهم وما في حوزته وكل ما من شأنه تأكيد اتهامه أو المساعدة على براءته، وقد يكون المحرر ذاته منطويا على جسم الجريمة كما في حالة تزوير المحررات الإلكترونية أو التهديد الكتابي أو البلاغ الكاذب، كما قد يكون مشتملا على مجرد دليل كخطاب يتضمن اعترافا من المتهم أو أقوال من أحد الشهود بشأن واقعة معينة[3] وتجدر الإشارة إليه أن المحررات في مفهوم طرق الإثبات متنوعة تبعا للجهة المصدرة لها أو مضمونها أو نوعها فهناك المحاضر، التقارير، الأحكام، القرارات القضائية والعقود بمختلف أنواعها الرسمية منها والعرفية وغيرها وعموما يمكن القول أن المحررات بمختلف صورها، تعد كغيرها من طرق الإثبات أي تخضع للسلطة التقديرية للقاضي، فعلى سبيل المثال تعد المحاضر المحررة بمعرفة ضباط الشرطة القضائية بما تحويها من معلومات وبيانات التي تم تحريرها بمناسبة قيامهم بأعمالهم كالانتقال للمعاينة، أو سماع الأقوال فكلها تعد مجرد استدلالات طبقا لنص المادة

---

(1) هشام الجميلي، الوافي في الإثبات الجنائي، دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر،2007، ص 57.

(1) العربي شحط عبد القادر ونبيل صقر، مرجع سابق، ص 82.

(2) منى فتحي أحمد عبد الكريم، الجريمة عبر الشبكة الدولية للمعلومات صورها مشاكل إثباتها، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحقوق، جامعة القاهرة، 2008، ص 138.

(3) سامح أحمد بلتاجي موسى، مرجع سابق، ص 316.

215 ق إ ج ج.[1] فليست لها أي حجية أمام القضاء أو بالأحرى تبقى حجيتها بسيطة يمكن تخضعها بما يخالفها وهذا ما ورد ذكره بموجب نص المادة 216 من نفس القانون[2] غير أن المشرع أعطى للمحاضر الجمركية حجية في الإثبات إلى حين أن يطعن فيها بالتزوير وهذا ما نصت عليه المادة 254 الفقرة الأولى والثانية من قانون الجمارك الجزائري[3]

ثالثا: الخبرة: تعد الخبرة من أهم طرق الإثبات في جرائم التزوير الإلكتروني بل وكل الجرائم الإلكترونية بحكم طبيعتها التقنية، فعادة ما يستعصى على القاضي القول بوقوع التزوير من عدمه، وما دام أن الخبير ليس شاهدت أو قاضيا فيمكن جهات التحقيق أو الحكم عندما تعرض عليها إحدى جرائم التزوير في المجال الإلكتروني أن تأمر بندب خبير إما بناء على طلب النيابة العامة أو من تلقاء نفسها أو بطلب من الخصوم، وجلي أن تقرير الخبير يعد كأي وسيلة من وسائل الإثبات لم يضف عليه القانون أن قوة ثبوتية خاصة، ذلك أن هذه التقارير لا تلزم القاضي وله مطلقة الحرية في تقديرها، فله أن يأخذ بنتائج الخبرة أو يستبعدها[4] غير أننا نعتقد أنه لابد من أعطاء قوة ثبوتية ملزمة لتقارير الخبراء نظرا لدورها الفعال في مجال جرائم التزوير عموما حيث تعتبر هذه الجرائم ذات الطابع التقني أو الفني من أهم وأولى الجرائم التي تتطلب الخبرة.

رابعا: الشهادة: تعد الشهادة من أقدم وأبرز وسائل الإثبات التقليدية وهي كباقي الطرق الأخرى تخضع للسلطة التقديرية للقاضي، أما عن أثر الشهادة في جرائم التزوير الإلكتروني وهل يتصور أن يتم إثبات هذه الجرائم عن طريقها أو بمعنى آخر مدى فعاليتها؟

فمن المتصور ذلك فمثلا إذا توصل ضابط الشرطة القضائية إلى أن الرسائل المزورة إلكترونيا والمرسلة إلى المجنى عليه والتي تم إرسالها عن طريق الشبكة الدولية للمعلومات انترنت، صادرة عن رقم هاتفي خاص بمقهى للإنترنت حيث تم رصد ذلك الجهاز، فمن خلال التوصل إلى"IP adress" الخاص بالحاسب الآلي المرتكبة من خلال الجريمة ومعرفة تاريخ وساعة الدخول، فإن شهادة المسؤول عن ذلك المقهى يمكن أن تحدد شخصية المتهم وذلك من خلال سجل خاص لديه مخصص لتدوين الشخصية لكل مستخدم لديه، وتاريخ وساعة الدخول، وقد يتصور أيضا أن يشهد شخص على آخر حدثت أمامه الجريمة كصديق شاهد رفيقه أثناء قيامه بكتابة بعض الوثائق المزورة إلكترونيا.[5]

خامسا: المعاينة: يقصد بالمعاينة كما سبق وأوضحنا مشاهدة وإثبات الحالة القائمة في مكان الجريمة والأشياء التي تتعلق بها وتفيد في كشف الحقيقة واثبات حالة الأشخاص الذين لهم صلة بها، أو بعبارة مغايرة هي إثبات كل ما يتعلق بماديات الجريمة.[6] إن التعامل مع مسرح الجريمة سواء كان مسرحا حسيا أو ماديا أم كان مسرحا إلكترونيا أو فتيا يتطلب إجراءات روتينية معنية متفق عليها -سبق بيانها ودراستها- لحماية الدليل وإبراز قيمته الاستدلالية، غير أن طرق حفظ هذا الدليل

---

[1] تنص المادة 215 من ق إ ج ج على ما يلي: "لا تعتبر المحاضر والتقارير المثبتة للجنايات أو الجنح إلا مجرد استدلالات ما لم ينص القانون على خلاف ذلك".

[2] تنص المادة 216 من ذات القانون:"في الأحوال التي يخول القانون فيها بنص خاص لضباط الشرطة القضائية أو أعوانهم أو للموظفين الموكلة إليهم بعض مهامك الضبط القضائي بسلطة إثبات جنح في محاضر أو تقارير تكون لهذه المحاضر أو التقارير حجيتها ما لم يدحضها دليل عكسي بالكتابة أو شهادة الشهود".

[3] تنص المادة 254 من قانون الجمارك الجزائري"تبقى المحاضر الجمركية المحررة من طرف عونين محلفين على الأقل من بين الأعوان المذكورين في المادة 241 من هذا القانون صحيحة ما لم يطعن فيها بتزوير المعاينات المادية...."

[4] عبد الناصر محمد محمود فرغلي، الإثبات العلمي لجرائم تزييف وتزوير المحررات التقليدية والإلكترونية، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الحقوق، كلية الحقوق القاهرة، 2010، ص 158.

[5] منى فتحي أحمد عبد الكريم، الجريمة عبر الشبكة الدولية للمعلومات، صورها مشاكل إثباتها، رسالة لنيل درجة دكتوراه في الحقوق، جامعة القاهرة، 2008، ص 139.

[6] Jean- Claude Soyer, Droit pénal et procédure pénale,12 ^{e} édition, L.G.D.J , 1995, p292.

واستخلاصه تختلف من مسرح الجريمة المادي إلى مسرح الجريمة الإلكتروني أو الرقمي وعموما يمكن القول بأن المعاينة تخضع للسلطة التقديرية المطلقة للقاضي كغيرها من طرف الإثبات الأخرى[1]

سادسا: القرائن: يمكن تعريف القرائن بأنها الصلة الضرورية التي ينشوها القانون بين وقائع معينة، وهي نتيجة يتحتم على القاضي إتباعها من واقعة معنية أو هي صلة بين واقعة ونتيجتها بحيث يكون فيها ثبوت الواقعة دليلا على حدوث نتيجتها، والقرائن نوعان: قد ينشئها القانون فتسمى قرائن قانونية وقد يقيمها القضاء فيطلق عليها حينها القرائن القضائية[2]إن القرائن بأنواعها تعد من طرق الإثبات غير المباشرة أي التي لا تنصب دلالتها على الواقعة المراد إثباتها وإنما على واقعة أخرى تسبقها أو نتيجتها بمحض اللزوم العقلي، والقرائن القانونية نوعان أيضا: مطلقة لا تقبل إثبات العكس كافتراض العلم بالقانون بمجرد نشره في الجريدة الرسمية، وقرينة انعدام التمييز لدى المجنون والصغير غير المميز، وقرينة الصحة في الأحكام والقرارات القضائية النهائية، فهذه القرائن لا يجوز إثبات عكسها، على نحو يقيد القاضي أو الخصوم، كما قد تكون القرينة القانونية بسيطة يمكن إثباتها عكسها كقرينة الدفاع الشرعي أو المشروع، أما القرائن القضائية، فهي تلك القرائن التي يستخلصها القاضي من الوقائع الثابتة أمامه بطريق الاستنتاج وترتيب النتائج على المقدمات كأن يستخلص اشتراك عدة أشخاص في الجريمة لوجودهم في مسرحها وقت ارتكباها حاملين منتوجاتها[3]

أما عن أثر القرائن في إثبات جرائم التزوير في البيئة الإلكتروني فيمكن القول بأن الدليل التقني أقرب إلى القرائن كدليل غير مباشر، حيث يمكن للقاضي أن يحكم بالإدانة بناء على ذلك الدليل الفني مع توافر أدلة وقرائن أخرى، تبعا لقاعدة حرية القاضي الجنائي في الإثبات على اعتبار أن القرينة دليل كامل في الإثبات، ويجب التوضيح أن الدليل الفني تقف حدوده عند التعرف على عنوان بروتوكول الإنترنت وهو ما يسمى "IP adress" فمن خلال هذا الأخير يمكن التوصل إلى معرفة الحاسب الآلي الذي ارتكبت به جرائم التزوير الإلكتروني ومكان تواجده، ومثل هذا الغرض يجعل القرائن كدليل قائم على ارتكاب الجريمة، إذ أن دليل الإدانة يتجه بالضرورة إلى حائز أو مالك الحاسوب الذي يحتوي قرصه الصلب على دلالة القيام بهذا الجرائم[4]

الفرع الثاني: الاستعانة بالأساليب العلمية الحديثة " الإثبات العلمي":إذا تمعنا في ظاهر الإجرام اليوم، نجد ثمة صراع محمد بين المجتمع والجناة حيث تسعى مختلف الدول من خلال أجهزتها المختلفة في ميدان مكافحة الجريمة إلى الاستعانة بشتى الأساليب والطرق العلمية لكشف الجناة، وفي المقابل يسعى المجرمون إلى استخدام كافة الطرق التي تنأى بهم عن قضية العدالة وتيسير لهم سبل الإفلات من العتاب، وقد بات هذا الصراع يكتسي بعدا جديدا نتيجة الثورة العلمية والتكنولوجية الهائلة التي تركت بصماتها على كافة مناحي الحياة بما فيها الميدان الجنائي[5] حيث ظهرت وسائل علمية جديدة قدمت مساعدة كبيرة للقاضي لتكوين عقيدته في الاقتناع بصورة أكثر جزما ويقينا، مما أعطى أهمية كبيرة لهذه الأساليب العلمية في الإثبات الجنائي من غيرها[6]وقد كشفت معظم الدراسات والأبحاث الحديثة عن حدوث تطور كبير في ميدان الإثبات الجنائي بفضل التقدم المطرد في مجال العلوم عامة والعلوم الجنائية تحديدا مما جعله يقف على أعتاب مرحلة جديدة يمكن تسميتها بمرحلة الإثبات العلمي[7] حيث أصبحت الخبرة تلعب فيها دورا رائدا لا يستهان به على

---

[1] هشام محمد فريد رستم، الجوانب الإجرائية للجرائم المعلوماتية، دراسة مقارنة، مكتبة الآلات الحديثة، أسيوط، مصر، 1994، ص 56.

[2] سامح أحمد بلتاجي موسي، مرجع سابق، ص 316.

[3] محمد زكي أبو عامر، مرجع سابق، ص 188.

[4] منى فتحي أحمد عبد الكريم، مرجع سابق، ص 136 و137.

[5] موسى مسعود أرحومة، قبول الدليل العلمي أمام القضاء الجنائي، دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، منشورات قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1999، ص 27.

[6] فتحي محمد أنور عزت، الأدلة الإلكترونية في المسائل الجنائية والمعاملات المدينة والتجارية للمجتمع المعلوماتي، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 2010، ص 594.

[7] لقد تبني هذا النظام ودافع عنه رواد المدينة الوضعية الإيطالية مع مطلع القرن العشرين وفي مقدمتهم الفقيه فيري FERRY الذي اعتبره نظام المستقبل.

حساب الوسائل الأخرى والسؤال الذي يمكن طرحه ما هو مفهوم الأدلة العلمية وما هي صورها ومدى إمكانية قبول الدليل العلمي في إثبات التزوير الإلكتروني؟

أولا: المقصود بالأدلة العلمية:إن الأدلة العلمية ما هي إلاّ وسائل لإيجاد الصلة بين الجريمة والمجرم وهي من أهم المقومات الإثبات الجنائي العلمي، والتي تقلل من احتمال الخطأ القضائي للوصول إلى العدالة الاجتماعية المتوخاة، ويعرف الدليل العلمي بأنه " ذلك الدليل المتحصل من الأجهزة والوسائل العلمية التي أفرزها العلم الحديث والخبرات الإنسانية"[1] وعرف أيضا" ذلك الدليل المستمد من الوسائل العلمية الحديثة"[2]، فالدليل العلمي هو النتيجة التي تسفر عنها التجارب العلمية والمعملية والأساليب التي تقوم بها مختص فنيا، ألا وهو الخبير فالملاحظ أنه قد ترتب على ظهور الأدلة العلمية في الإثبات الجنائي تعاظم دور الخبراء في القيام بدور فعال لإبداء خبرتهم الفنية فيما يعرض عليهم من قضايا ذات طابع فني بحت، تتعلق بعلوم الطب أو استخدام التكنولوجيا الحديثة في الإثبات حيث تتطلب عادة الأدلة العلمية توافر خبرات فنية عالية وغريبة في نفس الوقت عن التكوين القانوني للقاضي[3]

ثانيا:صور عن الأدلة العلمية: بالنظر إلى اتساع رقعة الوسائل والأساليب العلمية الحديثة التي يمكن الاستعانة بها في ميدان الإثبات الجنائي وكشف الجريمة الإلكترونية بما فيها جرائم التزوير وحتى الجرائم التقليدية، فإنه يصعب أو يدق كثيرا استقصاء هذه الوسائل في نطاق هذه الدراسة، فهناك أدلة مستمدة من وسائل علمية تستخدم بشكل ظاهر تجاه الإنسان وتؤثر في كيانه النفسي والمادي، فمنها ما يستخدم في استنطاق المتهمين واستجوابهم مثل الدليل المستمد من التحليل التحذيري والدليل المستمد من التنويم المغناطيسي وكذلك المستمد من جهاز كشف الكذب ومنها ما يستمد من الاختبارات البيولوجية ووسائل الاستعراف على المتهمين مثل الدليل المستمد من فحص الدم، الدليل المستمد من DNA[4] الدليل المستمد من البصمات، كبصمة الصوت[5] والأذن وقزحية العين.

وهناك نوع آخر من الأدلة مستمد من الوسائل العلمية التي تستخدم خفية وتؤثر في حرمة الحياة الخاصة كمراقبة المكالمات الهاتفية وما في حكمها والتسجيل الصوتي والتقاط الصور، إضافة إلى الأدلة الإلكترونية أو التقنية المستمدة من أجهزة الحاسب الآلي وملحقاته وشبكات الاتصال وتجدر الإشارة إليه أنه توجد عدة معايير لتصنيف الأدلة العلمية أهمها الدليل العلمي المادي أو الدليل الحسي أو الملموس بمعنى أشياء قد تكون حية أو غير حية، وقد تكون صلبة أو سائلة أو غازية، فقد يكون الدليل العلمي في مجال جرائم التزوير الإلكتروني هو التوقيع المزور، أو غيره من الأدلة الإلكترونية الأخرى[35] أو تلك الأدلة الميكروسكوبية كالمصغرات الفيلمية والشرائح الإلكترونية وغيرها على عكس الدليل المعنوي الذي يكون غالبا في هذه الجرائم في شكل نبضات مغناطيسية أو كهربائية، يمكن تجميعها وقراءتها وتحليلها باستخدام برامج وتطبيقات إلكترونية وتكنولوجيا خاصة بذلك.

ثالثا: مكانة الدليل العلمي بين أدلة الإثبات الجنائي:يحتل الدليل العلمي مكانة مرموقة في العصر الحديث بين أدلة الإثبات الجنائي الأخرى، حيث أنه يلعب دورا هاما وفعالا في عملية الإثبات العلمي لكشف حقيقة الجريمة، ذلك أن نظام

---

(1) عبد الناصر محمد محمود فرغلي، الإثبات العلمي لجرائم تزوير المحررات التقليدية والإلكترونية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، القاهرة، 2010، ص 116.

(2) موسى مسعود أرحومه، مرجع سابق، ص 41.

(3) محمد فتحي محمد أنور عزت، تفتيش شبكة الانترنت لضبط جرائم الاعتداء على الآداب العامة والشرف والاعتبار لتي تقع بواسطتها، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه في القانون، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، 2010، ص 331.

(4) راضية خليفة: الحامض النووي ودوره في الإثبات الجنائي"، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 34، جوان 2013، ص 128.

(5) مصطفى محمد موسى، التحري في جرائم مجتمع المعلومات والمجتمع الافتراضي، دار الكتب القانونية، مصر، 2011.، ص 353.

(35) لمزيد من الإيضاح حول ماهية الدليل الإلكتروني أنظر محمود الرشيدي، العنف في جرائم الانترنت، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2011، ص 43 ومايليها.

الأدلة العلمية يساعد على الاستعانة بالطرق والأساليب العلمية الحديثة في إثبات الجريمة ونسبتها للمتهم وقد أضحت الوسائل التقليدية للإثبات قاصرة على إثبات الجرائم التقليدية لقانون العقوبات مما أعطى الأولوية للدليل العلمي لأنه قابل للتطور في المستقبل على ضوء التطور التكنولوجي والعلمي وتتوقف عملية الحجية العلمية للدليل العلمي كنتاج لأعمال الخبرة القضائية فضلا عن ضرورة اعتماده على الأسس العلمية الصحيحة أو ما يعرف بمشروعية الدليل العلمي، فإنه يتوقف أيضا إلى حد كبير على كفاءة الخبير المهنية والفنية ومهارته التخصصية ومدى تطبيقه للأساليب العلمية والفنية المناسبة إضافة إلى الاستخلاص المنطقي والعقلي والقانون السليم لما يصل إلى إدراك الخبير من بيانات ومعلومات[1]

المبحث الثاني: ضوابط سلطة القاضي الجنائي في قبول الدليل الالكتروني وتقديره: إن الحكم الجنائي بالإدانة أو البراءة، يمثل جوهر مرحلة المحاكمة باعتبارها المرحلة الحاسمة في الدعوى العمومية، وهو يرتكز على قبول وتقدير الأدلة الجنائية المقدمة في الدعوى حيث لا يمكن إدراكه-الحكم الجنائي- ما لم يمارس القاضي سلطته التقديرية على الأدلة المقدمة أمامه في الدعوى وغني عن البيان أن الدليل الإلكتروني يلعب دورا فعالا في ترجيح كفة الحكم بين البراءة والإدانة في جرائم التزوير الإلكتروني، وما دام أن المشرع الجزائري لم يخص الأدلة الإلكترونية بأحكام وقواعد خاصة، فإن الدليل الإلكتروني شأنه شأن باقي الأدلة الجنائية الأخرى يخضع لذات القواعد المقررة في نظرية الإثبات الجنائي سواء كانت هذه القواعد تتعلق بسلطة القاضي في قبول الدليل الالكتروني أو تعلق الأمر بسلطته في تقدير هذا الدليل، ذلك أن القاضي لا يقدر إلا الدليل المقبول والذي لا يكون كذلك إلا بعد التيقن من مراعاة الدليل لقاعدة المشروعية والتي لا يتصور من دونها ترتيب الدليل الإلكتروني لأي آثار قانونية ممكنة[2] وهذا ما سيأتي توضيحه في النقاط التالية:

المطلب الأول: سلطة القاضي الجنائي في قبول الدليل الالكتروني: تعتبر مسألة قبول الدليل الخطوة الإجرائية الأولى التي يمارسها القاضي في مواجهة الدليل الإلكتروني وذلك قبل البدء في تقديره، للتأكد من مدى صلاحيته وملاءمته لتحقيق ما قدم من أجله، فقبول القاضي الجنائي لهذا الدليل في الإثبات لابد أن يستند على أساس قانوني هذا الأخير يختلف تبعا لنظم الإثبات الجنائي في كل تشريع، ويهدف القاضي في هذه الخطوة –قبول الدليل- إلى التيقن من مدى مراعاة الدليل الإلكتروني أساسا لقاعدة المشروعية، والتي لا يمكن بونها أن يرتب الدليل أي آثار قانونية، بل يترتب على مخالفة شروط قاعدة مشروعية الدليل آثار قانونية أخرى تتمثل أساسا في بطلان الدليل وكل ما يترتب عنه من إجراءات[3] وعليه سوف نتطرق إلى:

– أساس قبول الدليل الالكتروني في الإثبات الجنائي.

– القيود الواردة على حرية القاضي الجنائي في قبول الدليل الإلكتروني.

الفرع الأول: أساس قبول الدليل الإلكتروني في إثبات الجرائم الإلكترونية: إن تحديد الأساس الذي تقوم عليه مسألة قبول الدليل الإلكتروني في الإثبات الجنائي تتوقف على نوع أو طبيعة نظام الإثبات السائد في تلك الدولة ومعلوم أن نظم الإثبات الجنائي ثلاثة، الأول يتمثل في نظام الإثبات القانوني أو المقيد، والثاني يعرف بنظام حرية الإثبات أما الثالث فهو النظام المختلط[4] وما يهمنا في هذا المقام هو أساس قبول الدليل الإلكتروني في ظل نظام الإثبات الحر أو حرية الإثبات باعتبار أن المشرع الجزائري يأخذ به وهذا طبقا لأحكام المادة 212 من ق إ ج ج، كما أخذ به نظيره المصري بموجب نص المادة 291 من قانون الإجراءات الجزائية المصري تأثرا بالمشرع الفرنسي الذي جسده من خلال نص المادة 427 من قانون

---

(1) عبد الناصر محمد محمود فرغلي، مرجع سابق، ص 119.

(2) عائشة بن قارة مصطفى، حجية الدليل الإلكتروني في مجال الإثبات الجنائي في القانون الجزائري والمقارن، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2010، ص 179.

(3) عائشة بن قارة مصطفى، مرجع سابق، ص 180.

(4) علي جبار الحسناوي، جرائم الحاسوب والانترنت، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص 141.

الإجراءات الجزائية الفرنسي وبالرجوع لنص المادة212 السالف الذكر للقاضي الجنائي الجزائري الحرية أو السلطة في قبول جميع الأدلة المعروضة عليه بمعنى أن جميع طرق الإثبات مقبولة ما لم ينص المشرع صراحة على بعضها أو يستبعد بعضا منها، حيث يتميز نظام حرية الإثبات بعدم تحديد الأدلة المقبولة، بمعنى أن الخصوم لهم الحرية في الالتجاء إلى أي دليل يمكنهم من إثبات إدعاءاتهم، كما أن هذا النظام يخول للقاضي سلطة تقييم الأدلة دون أن يفرض عليه قيدا أو شرطا، وعليه يتضح بأنه يجوز للقاضي الاستناد إلى الدليل الإلكتروني في إثبات جرائم التزوير في البيئة الإلكترونية تحديدا وكافة الجرائم الإلكترونية الأخرى، إذا ما تم احترام ضابط المشروعية ذلك أن الحرية هنا لا يقصد بها إمكانية اللجوء إلى وسائل غير مقبولة قانونا فحرية الأطراف في الإثبات يجب أن تمارس في إطار ما تفرضه ضوابط المشروعية من قيود يستحيل مخالفتها وإلا ترتب على ذلك عدم مشروعية الدليل الإلكتروني.[1]

الفرع الثاني: القيود الواردة على حرية القاضي الجنائي في قبول الدليل الإلكتروني:إن حرية القاضي الجنائي في قبول الدليل الإلكتروني لإعمال سلطته في تقديره، لا يمكن أن تكون مطلقة من كل قيد أو شرط، ذلك أن كل من الفقه والقضاء قد توجس منها خفية، نظرا لما يمكن أن تخضع له طرق الحصول عليها من التعرض للتزييف والتحريف، لذا كان لزاما رسم أطر وضوابط معينة يجب أن تمارس هذه السلطة في نطاقها، بحيث لا تنحرف عن الغرض الذي يريده المشرع من ورائها وهو بلوغ الحقيقة الفعلية في الدعوى العمومية، فهذا المبدأ لا يعني البتة التحكم القضائي، فلا يجوز للقاضي أن يقضي وفقا لهواه أو يحكم بمحض عاطفته أو يعتمد على أسلوب التفكير البدائي.[2]

تبعا لما تقدم حددت أغلب التشريعات الأدلة التي تقبل في إثبات بعض الجرائم بحيث لا يجوز الإثبات بغيرها، كأدلة إثبات جريمة الزنا مثلا، وهناك قيد عام يحد من حرية القاضي في قبول الدليل الجنائي عامة، والدليل الإلكتروني خاصة في إثبات جرائم التزوير في المجال الإلكتروني وهو أن يكون قد تم الحصول على هذا الدليل بطريقة مشروعة[3] وتتمثل القيود الواردة على حرية القاضي الجنائي في قبول الدليل الإلكتروني فيما يلي:

- تقييد القاضي الجنائي بشرعية طريقة الحصول على الدليل الإلكتروني.
- القيود المستمدة من نصوص قانونية خاصة.

المطلب الثاني: سلطة القاضي الجنائي في تقدير الدليل الإلكتروني:رأينا أن القاضي الجنائي يتمتع بسلطة قبول أي دليل بما في ذلك الأدلة الإلكترونية وفي مقابل ذلك فإنه يتمتع كذلك بحرية تقدير ذلك الدليل، فالمشرع ترك له سلطة واسعة، فله أن يتحرى عن الحقيقة بكافة الأدلة دون إلزامه بقيمة مسبقة لدليل ما، حتى ولو كان دليلا علميا كالدليل الإلكتروني ولكن متى تمعنا في هذه السلطة لا نجدها مطلقة وتحكمية، حيث وضع المشرع ضوابط لهذه السلطة في تقدير الدليل وهي بمثابة صمام أمان إزاء إمكانية انحراف القاضي، عند ممارسته لها وهذه الضوابط لا تتعلق بالدليل ذاته وإنما بالاقتناع الذي يتولد لدى القاضي الجنائي من فحص الدليل الإلكتروني، فإذا كان المعول عليه عند الاقتناع هو اليقين القضائي، وليس اليقين الشخصي للقاضي، فإنه لابد من توافر ضوابط هذا الاقتناع، بمعنى بلوغ الاقتناع القضائي درجة اليقين وملائمة هذا الاقتناع لمقتضيات العقل والمنطق[4] وعليه سوف تتطرق إلى الضوابط المتعلقة بمصدر الاقتناع وتلك الضوابط المتعلقة بالاقتناع ذاته:

الفرع الأول: الضوابط المتعلقة بمصدر الاقتناع: إن مسألة اقتناع القاضي الجنائي بالأدلة الإلكترونية يحكمها ضابطان يتمثل الأول في ضرورة تأسيس اقتناعه على دليل مقدم ومقبول في الدعوى أما الثاني فيقصد به أن يكون هذا الاقتناع

---

(1) رشيدة بوكر، جرائم الاعتداء على نظم المعالجة الآلية في التشريع الجزائري والمقارن، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2012، ص 510.

(2) محمد أحمد المنشاوي،"سلطة القاضي الجنائي في تقدير الدليل الإلكتروني"، مجلة الحقوق الكويتية، العدد02، السنة 36، يونيو 2012، ص 542.

(3) عائشة بن قارة مصطفى، مرجع سابق، ص 212.

(4) أيمن عبد الحفيظ، الاتجاهات الفنية والأمنية لمواجهة الجرائم المعلوماتية، دون مكان نشر، 2005، ص 187.

قائما على أدلة وضعية بمعنى طرحت أمامه للمناقشة في الجلسة في حضور الخصوم، طبقا للضابط الأول فإن القاضي الجنائي ليس حرا في تقدير أي دليل إلكتروني، بل هو حر فقط في تقدير الدليل الإلكتروني المقبول في الدعوى، أي تم الحصول عليه بطريق مشروع وعليه فإن مسألة قبول الدليل ينبغي أن تحظى بفحص ودراسة سابقة على حرية القاضي في تقدير الدليل الإلكتروني[1]

أما عن الضابط الثاني، من المبادئ الأساسية في الإجراءات الجنائية أنه لا يجوز للقاضي أن يبني حكمه على أدلة لم تطرح لمناقشة الخصوم في الجلسة وهو ما يعبر عنه بوضعية الدليل، ومقتضى ذلك أن يكون للدليل أصل ثابت في أوراق الدعوى، وأن تتاح للخصوم فرصة الإطلاع عليه ومناقشته وقد كرست هذه الضوابط المادة 212 فقرة 02 من ق إ ج ج بقولها:" ولا يسوغ للقاضي أن يبنى قراره إلا على الأدلة المقدمة له في معرض المرافعات والتي حصلت فيها المناقشة حضوريا أمامه"[2]، وهذا الضابط ما هو إلا تكريس لمبدأ الشفوية في المحاكمة الجنائية وهو مبدأ أساسي في الإجراءات الجنائية[3]تقتضيه أولى بديهيات العادلة، حيث تجعل القاضي الجنائي مكتف في تقديره للأدلة سواء كانت تقليدية أو كانت مستخرجة من الوسائل الإلكترونية على ما دون بمحاضر التحقيق، بل يتعين عليه أن يسمع الشهود واعتراف المتهم بنفسه وما يدلي به الخبراء، ويطرح جميع الأدلة للمناقشة وغاية ذلك إتاحة الفرصة لكل طرف في الدعوى لمواجهة خصمه بما لديه من أدلة تجاهه وتبيان موقفه منها، مما يفيد القاضي في تكوين عقيدته وقناعته من حصيلة هذه المناقشات التي جرت أمامه في الجلسة ولا يختلف الأمر بالنسبة للدليل الإلكتروني في جريمة التزوير الإلكتروني سواء كانت في شكل بيانات معروضة على شاشة الكمبيوتر أو مدرجة في حاملات البيانات أو أقراص ممغنطة أو ضوئية أو مستخرجة في شكل مطبوعات كل ذلك وغيرها من المخرجات الكمبيوترية سيكون محلا للمناقشة عند الأخذ بها كأدلة إثبات أمام المحكمة.[4]

الفرع الثاني: الضوابط المتعلقة بالاقتناع ذاته:إن تقدير كفاية أو عدم كفاية الدليل الإلكتروني في إثبات جرائم التزوير في البيئة الالكترونية ونسبتها إلى فاعلها بحكمه مبدأ الاقتناع القضائي الذي اعتنقه المشرع الجزائري، فهذا المبدأ يتيح للقاضي حرية كبيرة في تقدير أدلة الإثبات بما فيها الدليل الإلكتروني ويلزم لصحة سلامة اقتناع القاضي بالدليل أن يكون مبنيا على الجزم واليقين دون الظن والترجيح والاحتمال من جهة، وأن يكون متوائما مع مقتضيات العقل والمنطق من جهة أخرى وهذا ما سيأتي توضيحه:

أولا: بلوغ الاقتناع القضائي درجة اليقين:يلتزم القاضي الجنائي في بناء اقتناعه على سبيل الجزم واليقين وهذا الأخير هو اليقين القضائي[5] وليس اليقين الشخصي، فيجب أن يصدر حكم القاضي بناء على اقتناع يقيني بصحة ما ينتهي إليه من وقائع لا مجرد الظن والاحتمال، إذ أن الشك يفسر لصالح المتهم، أخذ بقاعدة أساسية أن الأصل في الإنسان البراءة، ويقوم اليقين القضائي على عنصرين:

الأول شخصي ويعني ارتياح ضمير القاضي واطمئنانه إلى أدلة المتهم على سبيل الجزم واليقين.

والثاني موضوعي ويعني ارتكاز ارتياح ضمير القاضي واطمئنانه على أدلة من شأنها أن تفضي لذلك وفقا لمقتضيات العقل والمنطق[6]، فالجزم بوقوع جريمة التزوير الإلكتروني

---

[1] عائشة بن قارة مصطفى، مرجع سابق، ص 267 وما يليها.

[2] كذلك نصت على هذه القاعدة المادة 427 من قانون الإجراءات الجنائية الفرنسي في فقرتها الثانية بقولها:"لا يجوز للقاضي أن يؤسس حكمه إلا على الأدلة التي طرحت عليه أثناء المحاكمة ونوقشت أمامه في مواجهة الخصوم"

[3] لامية مجدوب، جريمة التزوير في المحررات الرسمية أو العمومية في التشريع الجزائري، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2014، ص 157.

[4] محمد أحمد المنشاوي، مرجع سابق، ص 551.

[5] لمزيد من الإيضاح حول مفهوم اليقين القضائي رابع: فاضل زيدان، سلطة القاضي الجنائي في تقدير الأدلة، دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006، ص 106 وعلي جبار الحسناوي، مرجع سابق، ص 142.

[6] محمد أحمد المنشاوي، مرجع سابق، ص 555 وما بعدها

ونسبتها للمتهم يتطلب نوعا جيدا من المعرفة، وهي المعرفة العلمية للقاضي بالمسائل المعلوماتية ولا سبيل له في ذلك سوى الاستئذان برأي الخبير إذا ما اطمأن إليه واقتنع به.

ثانيا: مواءمة الاقتناع القضائي لمقتضيات العقل والمنطق: لابد أن يكون استخلاص القاضي الجنائي لواقعة الدعوى استخلاصا معقولا وسائغا بمعنى أن يكون الدليل الإلكتروني مؤديا إلى ما رتبه الحكم دون تعسف في الاستنتاج أو تنافر مع متطلبات العقل والمنطق وفي ذلك قضت محكمة النقض المصرية بقولها" أنه وإن كان من حق محكمة الموضوع أن تستخلص الواقعة من أدلتها وعناصرها المختلفة إلا أن شرط ذلك أن يكون هذا الاستخلاص سائغا تؤدي إليه ظروف الواقعة وأدلتها وقرائن الأحوال فيها...."[1]

المطلب الثالث: تقدير أدلة الإثبات المتحصلة من الوسائل الإلكترونية في إثبات الجرائم الإلكترونية: استقر الفقه والقضاء والتشريع طبقا لمذهب الإثبات الجنائي الحر، على أن للقاضي الجنائي حرية وسلطة واسعة في تقدير واستنباط الأدلة أو القرائن وما تحمله الوقائع من دلالات شريطة أن يكون الدليل ثابتا بيقين مرتبطا بالوقائع الرئيسية ومنسجما مع التسلسل المنطقي للأحداث ومن الطبيعي أن ينطبق وينسجم هذا الرأي مع الأدلة الإلكترونية كدليل إثبات رئيسي في جرائم التزوير الإلكتروني باعتبار هذه الأدلة محكمة بقواعد علمية وحسابية قاطعة لا تقبل التأويل، كما أنها في الوقت ذاته معالجة بوسائل التقنية المعلوماتية الحديثة التي أصبحت تستغل في الجرائم المستحدثة، وقد أفرزت ثورة الاتصالات عن بعد تكنولوجيا جديدة نراها في مختلف المجالات، حيث حلت الذبذبات والنبضات والإشارات الإلكترونية محل الأوراق والكتابة والتوقيعات التقليدية والعقود وغيرها والإشكال الذي يمكن طرحه هل سنشهد نظاما جديدا للإثبات الجنائي قد تفرزه هذه الثورة التكنولوجية يعتمد فيه الإثبات على الأدلة العلمية الإلكترونية وتتقيد بذلك سلطة القاضي الجنائي في قبول الدليل وتقديره في المجال الإلكتروني[2] يمكن القول أن التطور العلمي قد يؤثر بل شك في نظام الاقتناع القضائي حيث أصبح دور الخبرة في المسائل الجنائية، دور متميز وفعال في نطاق الكثير من الجرائم الإلكترونية على غرار التزوير مثلا، فليس بخاف على أحد أن المحررات الورقية قد تغير مدلولها حيث ظهرت الكتابة أو المحررات الإلكترونية أو الرقمية، مما سيغير من طرق الإثبات الجنائي بالنسبة للجرائم التي تقع عليها وعليه فإن الأمر يحتاج إلى إثبات جنائي جديد يتواءم مع إثبات التزوير الذي يقع على هذا النوع من المحررات الرقمية، وهكذا يتضح أن الثورة المعلوماتية لم تؤثر فقط في نوع الجريمة ونوعية الجناة، وإنما أثرت كذلك على الإثبات الجنائي وأساليبه بحيث يمكن القول أن طرق الإثبات التقليدية أصبحت عقيمة بالنسبة لإثبات الجرائم الإلكترونية وعلى رأسها التزوير، وسوف تكون الغلبة لإثباتها بالخبرة والقرائن، مما قد يزيد من أهمية الدليل العلمي الإلكتروني في الإثبات وفي الوقت نفسه يزيد من أهمية دور القاضي فيه بحيث يظل القاضي متمتعا بسلطته التقديرية في تقدير هذه الأدلة التي قد تكون غير مؤكدة على سبيل القطع أو تكون مجرد أمارات أو دلائل أو قد يشوبها الشك والضن فهنا تظهر أهمية هذه السلطة التقديرية التي يجب أن يظل القاضي متمتعا بها[3]

وعليه يتضح أن الدليل الجنائي مهما تقدمت طرقه وارتفعت قيمته العلمية أو الفنية في الإثبات فإنه يضل بحاجة إلى قاضي يقدر قيمته القانونية في إثبات أو حجيته، ومن أمثلة بعض التشريعات الإجرائية المقارنة التي أخذت بقبول القاضي الجنائي لتسجيلات ومخرجات الكمبيوتر في ظل نظام حرية الإثبات، التشريع الإجرائي الألماني، فطبقا لنص المادة 02/244 منه، يتعين على المحكمة أن تسعى في سبيل إظهار الحقيقة لمد نطاق بحثها إلى كل الوقائع ومواد الإثبات ذات الأهمية لحكمها ومفاد ذلك أن مصادر المعلومات الخاصة بالحاسب الآلي المتحصل عليها من أنظمته مثل مخرجات نظام المعالجة

---

[1] المرجع نفسه، ص 556.

[2] محمد أحمد المنشاوي، مرجع سابق، ص 557

[3] محمد فتحى أنور عزت، مرجع سابق، ص 331.

الآلية للبيانات المكتوبة على شاشة الحاسوب والبيانات المسجلة على دعائم ممغنطة أو مخزنة داخل نظام المعالجة الآلية للبيانات تكون واردة ومطروحة أيضا عند تحصيل الأدلة ويكون للمحكمة بعد ذلك حرية تقديرها[1]

وفي فرنسا أثارت الأدلة المستمدة عن الآلة كأجهزة الرصد أو الرادار وأجهزة قياس السرعة وأجهزة التصوير أو تسجيل الصوت أو التنصت الإلكتروني تساؤلا عن قبولها في مجال الإثبات الجنائي أم لا؟ وتمثلت الإجابة بالإيجاب وقد أكد التطبيق القضائي الفرنسي ذلك، أما في اليونان فيسود مبدأ حرية قبول الأدلة وحرية تقديرها طبقا لأحكام المواد من 177 إلى 179 من التقنين الإجرائي اليوناني، وتبعا لذلك لا يثير اللجوء في إثبات المواد الجنائية إلى الأدلة الناشئة عن الحاسب الآلي أية مشكلات غير أن المادة 364 من نفس التقنين الأخير تتطلب قراءة المستندات والوثائق التي تستخدم كأدلة أثناء التحقيقات، فمتى تمثلت هذه المستندات في ذاكرة داخلية أو خارجية لنظام الكمبيوتر فإن القراءة المباشرة لها لا تكون ممكنة فعلى المحكمة أن تقرر إما اللجوء إلى القراءة غير المباشرة من خلال عرض محتوى الذاكرة على الشاشة أو اللجوء إلى طباعة البيانات المخزنة وتجدر الإشارة إليه أنه قد أخذ كذلك بمبدأ حرية الإثبات كل من التقنيين المجري والبرازيلي والياباني.[2]

خاتمة: بعد إنجاز هذه الدراسة المتعلقة بموضوع الإثبات الجنائي في الجرائم الإلكترونية عموما والتزوير تحديدا باعتباره من أكثر الجرائم الإلكترونية أو المعلوماتية انتشارا وذيوعا خلصنا إلى النتائج التالية:

– اعتنق المشرع الجزائري نظام الإثبات الجنائي الحر كباقي التشريعات اللاتينية كالمشرع الفرنسي والمصري ويتضح ذلك جليا من خلال نص المادة 212 من قانون الإجراءات الجزائية الجزائري.

– بروز الدليل ا لإلكتروني باعتباره من الأدلة العلمية الحديثة التي يمكن الاعتماد عليها في إثبات الجرائم الإلكترونية إلى جانب مختلف الأدلة الجنائية الأخرى.

– كنا توصلنا إلى أنه يمكن إثبات هذه الجرائم بطرق الإثبات المعمول بها حيث تتفاوت درجة هذه الطرق حسب توافقها وطبيعة الجريمة الإلكترونية أو المعلوماتية.

– إن المشرع الجزائري لم يخص الأدلة الإلكترونية بأي خصوصية مقارنة مع باقي الأدلة الجنائية الأخرى حيث لم يخصها بأي قواعد في مجال الإثبات الجنائي.

– كما توصلنا إلى أن المشرع الجزائري أعطى للقاضي الجنائي دورا إيجابيا أو السلطة التقديرية في قبول الأدلة الإلكترونية وتقدير قيمتها في الإثبات ولم يخصها بأي حجية قانونية مهما تقدمت طرقها وصورها فهي تبقى خاضعة للسلطة التقديرية للقاضي الجنائي.

الاقتراحات أو التوصيات:

– ضرورة الاهتمام بإعداد دورات تدريبية بصفة منتظمة ودائمة بقضاة التحقيق والحكم لكيفية التعامل مع جميع الجرائم الإلكترونية عموما والتزوير تحديدا ذو الطبيعة الفنية والعلمية المعقدة بحيث يمكن الوصول إلى الحقيقة وإماطة اللثام عن هذه الجرائم تحقيقا لصالح العام وحماية لحقوق الأفراد وممتلكاتهم.

– إدخال تعديلات على قانون الإجراءات الجزائية فيما يخص التزامات الشاهد الإلكتروني في إثبات هذه الجرائم وتعزيز دور الشهادة فيها.

– تفعيل دور الخبرة القضائية ذات الطابع الفني في إثبات هذه الفئة المستحدثة من الجرائم بما يتماشى وطبيعتها التقنية.

---

[1] هشام محمد فريد رستم، مرجع سابق، ص 155.

[2] هشام محمد فريد رستم، مرجع سابق، ص 156 وما يليها.

القــيم الوطنية في المـناهج التعليمية الــجزائرية

(دراسة تحليلية لكتاب التربية المدنية، الـطور المتوسط)

أ.مفتاح بن هدية
جامعة سطيف 2

الملخص:
تهدف هذه الورقة البحثية البسيطة الموسومة بـ:"القيم الوطنية في المناهج التعليمية الجزائرية "باعتبارها دراسة تحليلية لكتاب التربية المدنية الخاص بالسنة الأولى لمرحلة التعليم المتوسط والمقرر على تلاميذ المدرسة الجزائرية، إلى معرفة أهم القيم المتعلقة بالقيم الوطنية ،التي احتواها الكتاب المحلل، وكذا الإجابة على سؤال جوهري متمثلا في كيفية معالجة كتاب التربية المدنية لقيمة المواطنة؟ وعلى هذا الأساس يقودنا الجهد إلى استنباط مجموعة قيمية منتشرة عموما في الكتاب ،مثل: الانتماء، الولاء، حب الوطن ،قيم الحقوق والواجبات، احترام مؤسسات الدولة ،احترام الرأي الأخر...الخ، كما هدفت الدراسة إلى معرفة مدى مساهمة منهاج التربية المدنية خاصة ،و المناهج التعليمية الجزائرية عموما ،في ترسيخ وغرس القيم الوطنية والمواطنة ،في نفوس التلاميذ ،و التأكيد على الضرورة الاجتماعية للوطنية والمواطنة من اجل بناء صرح الإنسان الصالح، الواعي لحقوقه وواجباته ،و الدور الفعّال للمواطنة في بناء الدولة الوطنية ورقي المجتمعات.
الكلمات المفتاحية :القيم ،القيم الوطنية ،المناهج التعليمية، المواطنة، التربية المدنية.

Abstract
This paper aims to Statistics tagged : " **national values in the Algerian educational curricula** " As an analytical study of a book on Civil Education in the first year of middle school education phase and scheduled to the Algerian school pupils To know the most important values of national values , which Guaranteed , book analyst And as well as to answer the fundamental question represented in how to deal with a book value of civic education for citizenship ? On this basis, we lead the effort to devise a set of values generally scattered in the book, such as : affiliation, loyalty , patriotism , the values of rights and duties , respect for state institutions , respect for the opinion and the other ... etc. The study also aimed to find out the extent of the contribution of private Platform for Civic Education , and the Algerian curriculum Overall, the consolidation and instilling national values and citizenship , in the hearts of students And emphasis on the social necessity of patriotism and citizenship in order to build a good man , conscious of his rights and duties , and the active role of citizenship in building a national state and promoted communities.
Key words: Values , national values , Education curriculum, Civic Education.

مقدمة:

اهتمت المجتمعات منذ فجر التاريخ بموضوع القيم اهتمام كثيرا،، على اعتبار أن القيم تشكل مبادئ المجتمع واتجاهاته التي تحدد سلوكات الأفراد ،وهي أساس التنشئة الاجتماعية، وبذلك تكون من ضمن الغايات السامية والنبيلة المسطرة التي تطمح الأنظمة التربوية في العالم إلى تحقيقها وغرسها في نفوس الناشئة، والتربية عموما هي عمل شاق يتمحور أساسا حول المنظومة القيمية والشخصية الوطنية بأركانها المستمدة من العقيدة والمجتمع، بما يخدم الصالح العام للأجيال القادمة، فأي تربية تستهدف أساسا تحليل القيم الفردية والجماعية والإنسانية وغرسها في أبناء المجتمع، وتعويدهم على أصول وعادات نابعة من صميم ثقافتهم، وتخدم توجهاتهم وفلسفتهم التربوية الموضوعة من قبل المختصين في هذا الإطار الحساس، ويذهب كثير من فلاسفة التربية إلى أن المشكلات الأساسية التي تؤرق القائمين على وضع الخطط والسياسات التربوية هي المشكلات التي تنطوي على مسائل القيمة، وكان من الطبيعي بل من الضروري أن تهتم الدولة بتشكيل نظام

تعليمي مخطط يعمل على تنمية أجيال من مواطنيها لتمكينها من نقل تراثها الثقافي المتراكم والمتنوع وتنقيته، وكذلك بناء طاقات وقوى بشرية قادرة على تحمل مسؤولياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

والمنظومة التربوية في الجزائر تحاول جاهدة بناء قاعدة صلبة للتخطيط واستشراف المدى البعيد، حيث أن السياسة التنموية في بلادنا تخدم بالضرورة توجها معينا بما يخدم الرؤى المستقبلية لمنظري التربية والتعليم، وكذا توجهاتنا السياسية، فقرارات التربية والتعليم تعكس بالضرورة هذا التوجه، ذلك أن الخطط والسياسات التربوية تهدف بالضرورة إلى غرس قيم دون أخرى، وإضفاء طابع دون آخر على الأجيال التي تؤهل لحمل مشعل التطور والبناء والتشييد. وعلى هذا الأساس نسعى جاهدين في هذه المداخلة المتواضعة أن نستنطق أهم القيم المحتواة في كتاب التربية المدنية للطور المتوسط واستخراجها والمتمثلة في قيم المواطنة وذلك من خلال تحليل محتوى الكتاب المعالج بطريقة علمية وموضوعية لمعرفة مدى استجابة المناهج التدريسية في المنظومة التربوية الجزائرية لضروريات المجتمع المحلي والتغيرات العالمية، وقد احتوت هذه الدراسة البحثية، إشكالية البحث ،تتفرع منها سؤالين أساسيين، وجانب منهجي تحليلي للكتاب يتضمن خطوات العمل المنهجي لكتاب التربية المدنية، وفي الأخير الإجابة على التساؤلين، واستخلاص النتائج .

إشكالية الدراسة:

من البديهي أن قضية التحضر والرقي والنهوض بالأمم والأوطان لاتتأتى إلا بتوفر عقول بشرية واعية ومتعلمة، تتوقف بالدرجة الأولى على مدى تطور أو تخلف العنصر البشري، واحتكاما إلى الدراسات العلمية والتكنولوجية في اغلب الجامعات ومراكز البحث والتطور ونتائج الأبحاث الحديثة، فقد لايختلف اثنان أن مجال التربية والتعليم هو المحرك الشامل والخط الدفاعي الأول في كل البلدان، والمشكلة للحياة الإنسانية باعتباره يهتم بتنمية رأس المال البشري، والاستثمار فيه، بحيث لايوجد انجح استثمار حقيقي كتنمية العقول والسمو بها. وتعد طبيعة العلاقة بين الأفراد ونظامهم التربوي من أهم القضايا التي شغلت الباحثين في حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية والسياسية، فمن ضمن البحث في طبيعة العلاقة تلك، ظهر اهتمام علماء التربية وعلماء السياسة بمعالجة الكيفية التي تشكل بها القيم والاتجاهات، والانتماءات والولاءات السياسية لأفراد المجتمع، ومن هنا جاء موضوع التنشئة الوطنية والسياسية واحدًا من الموضوعات التي تهتم بالأساليب التي تنتهجها النظم التربوية، على مختلف أشكالها من أجل غرس القيم والتوجهات والمبادئ لدى مواطنيها، لخلق نوع من الارتباط القيمي المتناسق مع أفراد عادات المجتمع، ضمانا لاستمراريتها واستقرارها، وأضف إلى ذلك أن موضوع التنشئة السياسية والوطنية يهتم أيضا بدراسة القنوات التي تقوم بنشر هذه القيم والتوجهات والمبادئ، مثل الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق ووسائل الإعلام والاتصال(الحديثة خاصة) ،المؤسسة الدينية ،ومدى تأثيرها في روح المجتمع.

ولعله من البديهي أن كل الأنظمة التربوية الوطنية، تركز دائما على تزويد النشء لديها بتوجهات وقيم أساسية بما يخدم الصالح العام، في المجالات التربوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، والمدرسة واحدة من النماذج التربوية والتعليمة الهامة يكون على عاتقها مسؤولية شاقة وثقيلة متمثلة في تعليم تلك القيم الخاصة والمقصودة منها:القيم السياسية الوطنية، كترسيخ اتجاهات ومعايير عن الدولة وأدوارها وعن العلاقة بين الحاكم والمواطن، وحقوق المواطن وواجباته اتجاه المجموعة الوطنية وحتى العالمية لخلق مواطن صالح وفعّال في حياة المجتمع، وعليه فالطفل يجد نفسه يتعلم سلوكات تتوافق مع واضعي برامج التربية الوطنية ،وبذلك فان فترة الطفولة هي أهم فترة تتم بها عملية التنشئة الاجتماعية والوطنية والسياسية،، وهذه القيم تشكل وتحدد بصورة كبيرة الخيارات السياسية للفرد في مراحل متأخرة من الحياة، وفي هذا الصدد يؤكد **ألموندوفيربا " أن خبرات التنشئة المبكرة تؤثر بدرجة كبيرة من الأهمية على النزاعات والميول الأساسية لشخصية الفرد، ومن ثم فإنها تؤثر فيما بعد على سلوكه"** [1]

وبتطرقنا لموضوع القيم نخصص هذا البحث لدراسة نوع خاص من القيم ألا وهي القيم الوطنية، التي حثت عليها دساتير ومواثيق الدولة الجزائرية منذ الاستقلال، وسنتطرق بذلك إلى أهمية ترسيخ وغرس المقومات الأساسية للشخصية

الوطنية، في المناهج التربوية الوطنية الجزائرية، لنتوصل في النهاية إلى أن التربية المدنية هي حجر الزاوية في أي بناء محكم، وهي المنشأ الأكثر تأثيرا من المناهج الأخرى في الإنسان وبنائه، وهي السبيل الأفضل لصقل الشخصية الجزائرية الحقة في نفوس التلميذ، ونقطة الانطلاق لبناء إنسان يسوده الولاء الوطني والقومي، وتتمثل على الأخص في الرسالة التربوية، التي يجب أن تحدد مرتكزاتها القيمية، وتقويم مكانتها ورفع مستوى مناهجها وبرامجها وكتبها المدرسية، وهي كلها وسائل وطرق تبرر وجودها .وهذا البحث المتواضع محاولة تهدف إلى التعرف بالدرجة الأولى على ما احتواه كتاب التربية المدنية للسنة أولى من التعليم المتوسط، من قيم وطنية تحديدا، بافتراض أنها تساهم في بناء المواطن الصالح ذو النزعة الوطنية والقومية، ومن هنا تطلب الأمر التركيز على كتاب التربية المدنية للسنة الأولى من التعليم المتوسط، وعليه كان سؤال الانطلاق في هذه الدراسة كما يلي:

1 . ماهي القيم الوطنية التي احتواها كتاب التربية المدنية ؟

2 . كيف عالج كتاب التربية المدنية قيمة المواطنة؟

1 . **منهج الدراسة** : كل دراسة أو بحث علمي لابد أن يقوم على منهج علمي، حتى يتمكن الباحث من الوصول إلى نتائج علمية موضوعية ودقيقة تقترب بجدية إلى الواقع، ونظرا لطبيعة الموضوع المتناول فانه تعين علينا الاستعانة بمنهج تحليل المضمون فكلمة **تحليل** تعني تفكيك الشيء إلى مكوناته الأساسية، في حين تشير **كلمة مضمون** إلى ما يحتويه الوعاء اللغوي أو التسجيل الصوتي أو الفيلمي أو الكلامي أو الإيمائي من معاني مختلفة يعبر عنها الفرد في نظام معين من الرموز لتوصيلها إلى الآخرين [(2)]

- "أما قاموس علم الاجتماع الحديث فيعرف تحليل المضمون على أنه طريقة في البحث تستخدم لوصف وتحليل مضمون مواد الاتصال والكتابات والأحاديث والرسومات تحليلا موضوعيا ومنهجيا وكميا[(3)]

2 . **حدود الدراسة :** - دراستنا الحالية تقتصر على تحليل كتاب التربية المدنية للسنة أولى متوسط المقرر على تلاميذ المدرسة الجزائرية حيث تتحدد عملية التحليل في استخراج القيم الخاصة بالقيم الوطنية المختلفة وبكل أشكالها، من خلال كل مايرمز إلى ذلك من أفكار، مفاهيم، معاني ...الخ

حيث قمنا بالاطلاع على مختلف مواضيع كتاب التربية المدنية للسنة أولى متوسط واستنباط المواضيع التي احتوت على القيم الوطنية، واكتشاف القيم المعنية عن طريق القراءة العلمية المركزة.

3- العينة: خصائصها ومبررات اختيارها:

يعتبر أسلوب العينة من الأساليب الهامة والدقيقة في الدراسات الاجتماعية ،حيث لم تعد البحوث الميدانية المعاصرة تعتمد على طريقة المسح الشامل لمجتمع البحث بل أصبحت تعتمد على دراسة العينة المختارة أو المسحوبة من مجتمع البحث وهذه العينة لا تدرس جميع وحدات المجتمع وإنما تدرس جزءا صغيرا منه بعد اختياره اختيارا منظما أو عشوائيا.[(4)]

و في موضوع بحثنا هذا كانت العينة القصدية (العمدية) هي الأنسب لأن اختيارنا كان مصوبا نحو كتاب التربية المدنية للسنة أولى متوسط بصفة مباشرة وقصدية لاستخراج القيم المحتواة في الكتاب، وتعرف العينة القصدية على **أنها "النموذج المختار من الحالات بطريقة مقصودة ومتعمدة"**[(5)]

والكتاب[(6)] المعني من تأليف: المعهد التربوي الوطني الجزائري، الطبعة الأولى، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية 2004/2003

- الصفحات المراد تحليلها في الكتاب وكان عددها 120 صفحة.

- يشمل الكتاب على ثلاثة مجالات أساسية وتتمثل في: (المجال الأول :الحياة الجماعية في المؤسسة التعليمية من الصفحة 03 إلى الصفحة 37،المجال الثاني: المواطنة من الصفحة 44الى الصفحة66، المجال الثالث : البيئة والتراث من الصفحة 80الى الصفحة125)

ـ المحور الأول يحتوي على خمسة (05) مواضيع مع استبعاد المقدمة، أما المحور الثاني فمقسم إلى ستة (06) مواضيع في حين المحور الثالث يحتوي على ستة (06) مواضيع مع استبعاد الفهرس. وإن هذا الكتاب أصبح يمثل القيم المدنية والحضارية ، و الطفل في هذه المرحلة العمرية (11 ،14سنة) الهامة من حياته تتم عمليات التنشئة السياسية الوطنية ومنها يكتسب الطفل اتجاهات وقيم وسلوك معين وخبرات تكون لها تأثير خلال حياته المستقبلية وخاصة في مراحل متأخرة من حياته. وبزوغ فترة المراهقة المتقدمة في مثل هذه الأعمار.

4- خطوات التحليل:

- **المرحلة الأولى:**

قراءة أولية بسيطة وسريعة لفهم المواضيع والنصوص، والأفكار الدالة على القيم المقصودة في هذه الدراسة التحليلية.

ـ المرحلة الثانية:

قراءة ثانية متأنية للتعرف على معنى ومغزى وهدف المواضيع والنصوص

. المرحلة الثالثة:

قراءة ثالثة متأنية ومركزة للاستيعاب الأكبر لفهم محتويات الكتاب المحلل

- **المرحلة الر ابعة:**

استنباط القيم بمختلف أنواعها، وحساب تكراراتها.

- **المرحلة الخامسة:**

القيام بعملية تفريغ القيم المستنبطة في جداول خاصة وتمثيلها بنسب مئوية وفقا لعدد تكرارها في الكتاب.

5-مرتكزات التحليل:

ـ التركيز على طبيعة ورود القيمة إما أساسية (رئيسية) أو فرعية (ثانوية)

ـ تكرار القيم، التركيز على نوعية المصاحبات (صورة، شكل، آية قرآنية، مادة قانونية، حديث شريف)،وكذلك استخراج القيمة وتكرارها من بعض الدلالات المتوفرة بالنص كالتالي:

أ. عنوان النص

ب. تكرار بعض الكلمات أو الجمل أو مايرمز إلى القيمة

ج. التوضيحات الصورية والأشكال المصاحبة للفكرة، ومواد قانونية.

د. الاستعانة بالخلاصة التي غالبا ما تتطرق لملخص عام حول الموضوع

إذا لم تظهر في الصفحة المحلية أي دلالة قيمية لعدم اكتمال الفكرة فيجب الاستمرار في القراءة والتركيز إلى الصفحة الموالية حتى تكتمل الفكرة وتتضح القيمة أكثر.

- **6- أدوات الدراسة:**

- **6-1- وحدة التحليل:** إن وحدة التحليل الأساسية المستخدمة في البحث هي "الفكرة" THEME وتسمى أيضا بوحدة الموضوع ويقصد بوحدة التحليل "تلك الأجزاء التي يقوم الباحث على أساسها تقطيع النص المدروس لقياس مدى تردد الموضوع محل البحث"[7]، وعادة ما تكون وحدة الفكرة غير ثابتة الظهور من حيث الشكل **ويرى بيرلسون**"عن رشدي طعمية " أن الكلمة تمكننا من تحديد مستوى السهولة، أو الصعوبة للمادة المكتوبة"[8]،فيمكن أن تكون كلمة أو جملة أو معنى أو ...الخ، كما حدد **بيرلسون** خمس وحدات أساسية في التحليل، وهي (**الكلمة، الموضوع، الشخصية، المفردة، الوحدة القياسية او الزمنية**).[9]

6-2- فئة التحليل: فئة التحليل المعتمدة في هذه الدراسة هي **"القيم"** ويقصد بفئة التحليل التقسيمات والتوزيعات التي يعتمدها الباحث في توزيع وترتيب وحدات التحليل المتوصل إليها في المادة المدروسة بناء على ما تتخذ فيه من صفات أو تختلف فيه ومن خصائص هذا التقسيم يخضع بالدرجة الأولى إلى طبيعة الأهداف المسطرة.

- **3.6 وحدة السياق:**

تم استخدام "**النص**" كوحدة سياق إذ يمكن أن يتضمن النص أكثر من قيمة او مجموعة من القيم المختلفة

6-**4- وحدة التعداد:** استخدام "التكرار" كوحدة لتعداد ظهور أي قيمة من خلال تصنيفها في المجالات التي شملتها الدراسة.

6-5-**معامل الثبات**:

تم في هذه الدراسة إتباع الأساليب الإحصائية التي تخدم الموضوع كي يأخذ الطابع العلمي المتقن ذلك بإتباع معادلات إحصائية كالمتوسط الحسابي، والنسب المئوية والتكرارات وكذلك حساب معامل الارتباط **"بيرسون"** الممثل بالمعادلة التالية)[10]:

$$\text{ر}= \frac{\text{ن مج (س ص)-(مج س)(مج ص)}}{\text{م مج س}^2 - \text{(مج س)}^2 \quad \text{ن مج ص}^2 - \text{(مج ص)}^2}$$

حيث "**ر**"معامل الارتباط "بيرسون"، **ن**:تمثل حجم العينة، **(س،ص)**:متغيران

تم استخدام المعادلة السابقة المرموز إليها بـ **"ر"** لمعرفة درجة الاتفاق بين التحليلين الأول والثاني وكانت نتيجة الاتفاق (الارتباط) العامة **(0.82)** وهي درجة تعبر على علاقة قوية موجودة حيث انه كلما اقتربت قيمة معامل الارتباط من **(+1)** د ل ذلك على وجود علاقة قوية وبالتالي قبول جدول التصميم الخاص بتصنيف القيم الذي تم إعداده.

6-6- جداول تصنيف القيم: إن الهدف من البحث هو الكشف عن القيم الوطنية بصفة خاصة في كتاب التربية المدنية للسنة أولى متوسط كان من الضروري إعداد تصنيف للقيم المراد الكشف عنها وهذه الجداول المصممة تصميما محكما، هي أداة منهجية ساعدتنا كثيرا على جمع المعلومات وتنظيمها. وعليه فقد تمخض عن مجمل الخطوات السابقة الوصول إلى عدة مجموعات قيمية رئيسية أهمها:

1- مجموعة القيم الوطنية والسياسية: احترام القانون ورموز الدولة، الحفاظ على المنشآت العامة، الوحدة، المواطنة، حب الوطن، الانتماء الى الوطن....

2- مجموعة القيم الاجتماعية: الرعاية الأسرية، التكافل الاجتماعي، الجيرة....

3- مجموعة القيم الإنسانية: الاهتمام بالبيئة، حماية البيئة...

4- مجموعة القيم الدينية: الطاعة، الإتقان، العدل والمساواة...

5- مجموعة القيم المعرفية: طلب العلم، الثقافة، اكتشاف الحقيقة...

6- مجموعة القيم الذاتية: النظافة، الصحة، حسن المعاملة، حسن المظاهر، الحنان، الرأفة، النشاط، الجمال...

7- مجموعة القيم التنموية: تحمل المسؤولية، المثابرة، العمل..

8ـ مجموعة القيم الاقتصادية: احترام العمل وإتقانه...

ثانيا: عرض البيانات وتحليلها وتفسيرها:

- تضمن هذا البحث عرضا للنتائج الكمية والكيفية للدراسة، وتم تنظيم النتائج في جداول مثبتة في متنها حيث تم تحليل ثلاث مجالات تحتوي على 18 موضوع موزعة على 120 صفحة، وذلك لاستخراج أهم القيم المتوافرة في الكتاب.

وفيما يلي النتائج مبينة في الجدول رقم (1):

جدول (1): يوضح توزيع أعداد القيم ونسبها في كتاب التربية المدنية.

المجموعة القيمية	القــيــم	السن الأولى متوسط	
		ك	%
القيم الوطنية والسياسية	احترام التراث والتمسك به	23	%24,21
	الاعتزاز بمآثر التاريخ	03	%3,1
	احترام القانون	12	%12,63
	الحقوق والواجبات	16	%16,34
	الانتماء إلى الوطن	12	%12,63
	حب الوطن	07	%7,36
	الجمعيات والتنظيمات	11	%11,57
	الحوار وحرية التعبير	06	%6,36
	احترام الآخرين	02	%02
	الحفاظ على المنشآت العامة	03	%3,15
	المجمــوع	**95**	**%100**
القيم الإنسانية	احترام الشجرة والغابة	09	%28,12
	احترام الحيوان والنبات	03	%9,37
	حماية الهواء التربة	12	%37,5
	سلامة الإنسان	08	%25
	المجمــوع	32	%100
القيم الاقتصادية	احترام العمل وإتقانه	03	%23,07
	الحياة	02	%15,38
	الماء	08	%61,53
	المجمــوع	**13**	**%100**
القيم الذاتية	الصحة	05	%33,33
	النظافة	02	%13,33
	حسن المظهر	03	%20
	حسن المعاملة	04	%26,66
	النشاط	01	%6,66
	المجمــوع	**15**	**%100**
القيم الدينية (الخلقية والإيمانية)	الطاعة	02	%13,33
	الاحترام	04	%26,66
	العدل والمساواة	04	%26,66
	التسامح	01	%6,66
	الأخلاق الحميدة	04	%26,66
	المجمــوع	**15**	**%100**
القيم الاجتماعية	التعاون	04	%40
	التكافل الاجتماعي	05	%50
	الأسرة والمجتمع	01	%10
	المجمــوع	**10**	**%100**
القيم التنموية	تحمل المسؤولية	03	%75
	المثابرة	01	%25

	المجمـــوع	04	%100
القيم المعرفية	طلب العلم	07	90
	اكتشاف الحقيقة	01	10
	المجمـــوع	**08**	**%100**

. تأتي أهمية هذا الجدول رقم (1) في كونه يمثل المحك أو المرجعية التي سيتم الاحتكام إليها للتأكد من صحة الأرقام والمعطيات إذ أن كل الجداول الآتية تم اشتقاقها من معطيات هذا الجدول العام وعموما فقد كشف التحليل عن مجموعة قيمية يتضمنها كتاب التربية المدنية تتمثل في وجود ثمانية أصناف من القيم سوف نتعرف عليها في الجداول التالية:

جدول(02): يوضح المجموعات القيمية الثمانية. تكراراتها ونسبها:

المجموعة القيمية	السنة الأولى متوسط		
	ك	%	الترتيب
القيم الوطنية والسياسية	95	%49,47	1
القيم الإنسانية	32	%16,66	2
القيم الدينية (الإيمانية والخلقية)	15	%7,81	3
القيم الذاتية	15	%7,81	3
القيم الاقتصادية	13	%6,77	4
القيم الاجتماعية	10	%5,20	5
القيم المعرفية	08	%4,16	6
القيم التنموية	04	%2,08	7
المجمـــوع	192	%100	8

يوضح الجدول رقم (2) مجموعة القيم الثمانية التي احتواها كتاب التربية المدنية للسنة الأولى متوسط. وتكراراتها ونسبها وترتيبها تنازليا من الأعلى تكرار إلى الأقل تكرار. ويلاحظ من الجدول أن القيم الوطنية والسياسية قد حظيت بأعلى تركيز في موضوعات الكتاب حيث قدرت بنسبة 49,47%، في حين حظيت القيم الإنسانية بنسبة 16,66% وكانت في المرتبة الثانية. ويشير الجدول نفسه إلى أن القيم الدينية (الإيمانية والخلقية) والقيم الذاتية متساوية النسبة، والمقدرة بـ: 7,81% أما القيم الاقتصادية فكانت في المرتبة الرابعة بنسبة 6,77% ثم تليها القيم الاجتماعية والقيم المعرفية بنسب متقاربة وأخيرا لم تحظ القيم التنموية بتركيز كبير حيث كانت نسبتها ضعيفة مقارنة بنسب القيم الأخرى والمقدرة بـ: 2,08% وهي نسبة متدنية جدا.

مما تقدم يمكن الاستنتاج بأن القيم الوطنية والسياسية تحظى بتركيز كبير جدا (95) قيمة في كتاب التربية المدنية. إذا ما قورنت بعدد القيم المتبقية، وهذا يشير إلى الأثر البالغ لمثل هذه القيم في نفوس التلاميذ في مثل هذا العمر، يمكن تفسير ذلك الاختلاف بكونه أمرا طبيعيا يفرضه اختلاف المضامين واختلاف المواضيع التي تدرس، كما أن هذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف في الأهداف المرجو تحقيقها لدي التلاميذ. فكتاب التربية المدنية يفرض توجها وطنيا وسياسيا وتزكية الحس القومي وإذكاء الوعي الوطني، وهذه مسألة مهمة، وعندما نقول القيمة السياسية أو الوطنية فإننا نعني مجموعة من القيم التي تندرج بشكل عام ضمن المجال السياسي ومن أهم هذه القيم قيمة احترام التراث والتمسك به، الاعتزاز بمآثر التاريخ، حب الوطن، والانتماء إليه.

جدول رقم (03) يوضح توزيع القيم الوطنية وتكراراتها ونسبها.

القيم الوطنية الكتاب	القيم الوطنية المتعلقة باحترام رموز السيادة الوطنية		قيم وطنية متعلقة بالمواطنة		القيم الوطنية الخاصة بالديمقراطية		**المجموع**	
كتاب التربية المدنية للسنة أولى متوسط	ك	%	ك	%	ك	%	**ك**	**%**
	36	%30,52	40	%49,47	19	%20	**95**	**%100**
المجمـــوع	**36**	**%30,52**	**40**	**%49,47**	**19**	**%20**	**95**	**%100**

من خلال الجدول رقم (03) الذي يمثل توزيع القيم الوطنية المحتواة في كتاب التربية المدنية وتكراراتها ونسبها، نستنتج أن قيمة المواطنة كقيمة وطنية، تحتل المرتبة الأولى بقيمة (40) تكرار ثم تأتي قيم احترام رموز السيادة الوطنية بقيمة (36) تكرار ثم القيم الخاصة بالديمقراطية بقيمة(19) تكرار وربما يرجع هذا الاختلاف إلى تفضيل قيم وطنية خاصة على قيم وطنية أخرى ،عمدا من طرف واضعي المناهج، لما لها من تأثير بالغ في نفوس التلاميذ وسلوكه اليومي وبالتالي تكوين اتجاهاته. هذا من جهة ومن جهة أخرى إدراك المعنيين بالمنهج الخاص بالتربية المدنية لما لهذه الأخيرة من دور كبير في ترسيخ الوعي الوطني والقومي والشعور بالمسؤولية اتجاه الوطن والأمة. كما أن تصميم هذا المنهج الذي يتضمن القيم الوطنية والقيم الأخرى وبنسب مختلفة يعود إلى المرحلة العمرية لطفل المدرسة المتوسطة وحتى الابتدائية، والذي يتميز بخصائص ومميزات لا تتوفر عند غيره.

جدول رقم (04): يمثل مجموع القيم الوطنية المتعلقة باحترام رموز السيادة الوطنية المحتواة في الكتاب.

القـــيـــم	التكرارات	النسبة المئوية
احترام التراث والتمسك به	23	%63,88
الاعتزاز بمآثر التاريخ	03	%8,33
الحفاظ على المنشأة العامة	03	%8,33
حب الوطن	07	%19,44
المجمـــوع	**36**	**%100**

- من خلال الجدول رقم (04) الذي يمثل مجموع القيم الوطنية المتعلقة باحترام رموز السيادة الوطنية المحتواة في كتاب التربية المدنية المخصص لتلاميذ السنة أولي متوسط. نري بوضوح أن مجموع القيم المكونة لاحترام رموز السيادة الوطنية بلغت (36) قيمة .حيث نجد في المرتبة الأولي قيمة احترام التراث والتمسك به بتكرار (23) قيمة، أما في المرتبة الثانية فنجد قيمة حب الوطن بتكرار (07) وفي المرتبة الثالثة وبالتساوي، نجد قيمة الاعتزاز بمآثر التاريخ وقيمة الحفاظ على المنشأة العامة بتكرار (03) قيمة لكل منهما. إن قيمة احترام رموز السيادة الوطنية ضرورية للطفل، ذلك أن الطفل يزداد فكره تفتحا، وعقله نضجا. فرموز السيادة الوطنية أصبحت في ذهنه منذ عدة سنوات خاصة في المدرسة الابتدائية (رسم العلم الوطني، حفظ النشيط الوطني وترديده أمام ساحة العلم، حفظ شكل العملة الوطنية...الخ). لذلك قل التركيز على مثل هذه القيم. ورأي واضعو المناهج وجوب التأكد على قيم أخري، تتلاءم وطبيعة المجتمع ومراعاة التغيرات الإقليمية والعالمية، أي هناك تدرج في ترتيب هذه القيم ويرجع السبب في ذلك إلى أن السنة أولى متوسط تعد مرحلة جديدة في حياة الطفل الذي يشير بوضوح إلى عدة أبعاد: أولها أن الطفل قد كبر كفاية وازداد وعيه وتفتح عقله مقارنة بالسنوات الفارطة مما يحتم علينا أن نغير طريقة تعليمه لنمو عقله وحتى طريقته في استخدام هذا العقل وثانيها أن النمو الإدراكي الوجداني والسلوكي لدى الطفل يساهم بقدر فعال في تشكيل شخصيته.

جدول رقم (05): يمثل القيم الوطنية التي تتكرر من المواطنة ونسبها المئوية

القيم	التكرارات	النسبة المئوية
احترام القانون	12	%28.57

احترام الآخرين	02	%4.76
الحقوق والواجبات	16	%38.09
الانتماء إلى الوطن	12	%28.57
المجموع	**42**	**%100**

- يوضح الجدول رقم (05) قيم المواطنة التي تكررت في كتاب التربية المدنية، ونسبها المئوية ويلاحظ من الجدول (05) أن القيم المتعلقة بالحقوق والواجبات قد حظيت بأعلى تركيز بقدر (16) قيمة في حين حظيت قيم احترام القانون والانتماء إلى الوطن بالمرتبة الثانية بمعدل (12) قيمة متكررة ،أما قيمة احترام الآخرين فلم تحظى بقسط كبير من الاهتمام حيث بلغت (02) قيمة بنسبة وهي أضعف نسبة مقارنة بنسب القيم الأخرى وإن قيمة المواطنة كقيمة من القيم الوطنية ضرورية للطفل خاصة في مثل هذه المرحلة العمرية بما لها من دلالات وانعكاسات على المجتمع والوطن وهي بذلك (المواطنة) صفة المواطن التي تدل على الانتماء إلى الوطن له حقوق يستفيد منها ويتمتع بها.

و عليه واجبات يلتزم بها وهذا ما تعبر عنه المادة **(39)** من الدستور الجزائري **(دستور1976):" كل المواطنون متساوون في الحقوق والواجبات"**[11] ،بذلك تعد المواطنة لبنة أساسية في علاقة المواطن بوطنه ذلك أنها تحتوي على العديد من القيم الوطنية التي تنمي الشخصية الوطنية لطفل المدرسة المتوسطة وخاصة قيم السنة أولى متوسط ولكي نستطيع تمرير فكرة أو هدف ما يجب أن تراعى خصائص المرحلة العمرية للطفل بالإضافة إلى عوامل أخرى، ومن هنا عمل واضعو المناهج على مراعاة خصوصيات مرحلة النمو لدى الطفل فلكي يكون مواطنا صالحا يجب أن يكون بالدرجة الأولى مسؤولا وحتى عن رأيه، وبالمقابل لا يستبد بهذا الرأي بل يراعى انه يعيش في مجتمع إنساني وبالتالي يجب أن يحترمهم، ويحترم آرائهم ووجهات نظرهم (هذا ما يتوافق مع قيمة احترام الآخرين التي تكررت مرتين في الكتاب المحلل) وهذا ما يتوافق مع مضمون المادة (11) للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وصادقت عليه الجامعة العربية بالقاهرة: **"جميع الأشخاص متساوون أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحمايته دون تمييز"**[12] ،كذا الاهتمام بمؤسسات الدولة السياسية والإدارية ودورها في المجتمع ومعرفة القانون واحترامه وإدراك أنه ثمة أناسا يعيشون في تفاعل مستمر وعلاقات قائمة وبالتالي هناك حقوق معترف بها يحميها القانون وهناك واجبات يفرضها أيضا.

جدول رقم (6): يوضح القيم الخاصة بالديمقراطية تكرارها ونسبها.

القيم	التكرارات	النسبة المئوية
الحوار وحرية التعبير	06	%35.55
الجمعيات والتنظيمات	11	%64.45
المجموع	**17**	**%100**

- يتضح من خلال الجدول رقم (06) الذي يمثل بوضوح القيم الخاصة بالديمقراطية التي تكررت في كتاب التربية المدنية للسنة أولى متوسط، وكذا النسبة المئوية لكل قيمة من قيم الديمقراطية حيث نستشف أن القيم الخاصة بالجمعيات والتنظيمات تكررت (11) مرة وبذلك تحتل المرتبة الأولى، في حين نجد القيم الخاصة بالحوار وحرية التعبير تكررت (06) مرات في المرتبة الثانية، وهي نسبة ضعيفة مقارنة مع القيمة الأولى ،و ربما يرجع تفضيل القيم الخاصة بالجمعيات والتنظيمات على مبدأ الحوار وحرية التعبير باعتبارها من أهم قنوات المشاركة الداعمة لمسار التطور الديمقراطي وبناء الدولة الحديثة، ويمكن القول أن الجمعيات والتنظيمات تمثل مؤسسات المجتمع المدني التي يفترض أن تكون قريبة من الناس فهي القناة التي تعمل على تمكين الأفراد من التعبير عن مطالبهم والدفاع عن حقوقهم وتفعيل مشاركتهم الجماعية في تحقيق متطلباتهم الاقتصادية، هنا يمارس الأفراد نشاطات متعددة ومتنوعة ترتكز جميعها على محددات ثقافية تتجسد في فلسفة المجتمع المدني التي تشكل في مجملها الثقافة المدنية المغايرة للثقافة التقليدية وبالمقابل فإن الحوار

وحرية التعبير جزء لا يتجزأ من القيم الحميدة لأن الحوار وحرية التعبير تولد الاحترام وهذا الأخير يولد روح التعاون والتسامح بين أفراد الوطن .الواحد.

ثالثا: نتائج الدراسة:

الإجابة عن التساؤل الفرعي الأول: والذي مفاده:

ما هي القيم الوطنية التي تضمنها كتاب التربية المدنية للسنة أولى متوسط؟

- من خلال تحليل مضمون كتاب التربية المدنية للسنة الأولي متوسط اتضح لنا جليا. أن هذا الكتاب يبرز قيما وطنية تتعلق باحترام رموز السيادة الوطنية. كما أن هذه الرموز تحوي قيما أخري لتمكين التلميذ من معرفتها معرفة جيدة عن طريق النشاطات المدرسية والمواضيع المقررة، والأشكال والصور المعبرة عن ذلك، وهي كلها وسائل مستعملة في منهاج التربية المدنية لإعطاء التلميذ نظرة تمحصيه معمقة أكثر في محتوي المنهاج. وكذا تبسيط الأفكار والمعاني قدر المستطاع.

ـ وعند تحليلنا للمنهاج المعني تم التوصل إلى مجموعة من القيم الوطنية المتعلقة باحترام رموز السيادة الوطنية.

وعليه تتمثل هذه القيم في:

1-احترام التراث والتمسك به.2- الاعتزاز بمآثر التاريخ.3- الحفاظ على المنشآت

الديمقراطية وحقوق الإنسان .6 . أداء الواجب والحق(المواطنة)...الخ

<u>**الإجابة عن التساؤل الفرعي الثاني:**</u> والذي مفاده: كيف عالج كتاب التربية المدنية للسنة أولي متوسط قيمة المواطنة؟

- من خلال تحليل مضمون كتاب التربية المدنية، تبين اشتماله على قيم تؤسس لفكرة المواطنة، وما احتوت عليه من مواصفات ومؤشرات تخدمها. إن نتائج البحث الموضحة في الجداول بالطريقة الكمية، والتحليل للمواضيع والأفكار بالطريقة الكيفية، تشير إلى وجود قيمة المواطنة في المنهاج، حيث احتلت مجالا خاصا بها، يحتوي على ستة مواضيع (06) تشرح المواطنة، وكل ما يتعلق بها، وكيفية ممارستها على أرض الواقع، وكشف الكتاب الطرق والأساليب الحضارية التي من خلالها يمكن أن نفهم ونؤدي واجبنا اتجاه المجموعة الوطنية، وكيف نناضل ونحمي حقوقنا، وتطرق المنهاج أيضا إلى بعض المواد التي نص عليها الدستور وقوانين الجمهورية الجزائرية التي تسمح للمواطن بأن يمارس حقه في المواطنة بكل ديمقراطية وتحضر. وظهر ذلك جليا في الصور المعبرة عن هذا الحق، مثل: الحق في التعليم، الحق في العمل، الحق في الانتخاب، الحق في الإقامة، الحق في التعبير واحترام الراي الأخر، الحق في الصحة والرعاية، الحق في الراحة، الحق في الحماية، الحق في المنح العائلية...الخ. وفي المقابل تطرق كتاب التربية المدنية إلى شرح الواجبات التي ينبغي على المواطن تأديها واحترامها مثل: احترام القانون، احترام الغير، احترام العمل وإتقانه، دفع الضرائب، المحافظة على وسائل العمل، واجب المواظبة، الأخلاق الحسنة، تحمل المسؤولية، تأدية الواجب الوطني (الخدمة العسكرية)، مساعدة الغير....الخ. كما نجد في الكتاب الكثير من الأشكال والصور التي طغت على كل المواضيع والتي عالجت طرق وأساليب ممارسة المواطنة، لتكمل بذلك دور المنهاج وبلورة وعي التلاميذ.

خاتمة:

مماسبق يمكن أن نستخلص أن القيم الوطنية المحتواة في كتاب التربية المدنية ،مهمة في حياة الطفل والمجتمع فلها غايات سامية ،إنها تحفظ المجتمع من ذوبان ثقافاته المتنوعة، وخصوصياته المؤسسة عن الأجداد والأجيال السابقة ،لذا فكتاب التربية المدنية يساهم بقوة في الحفاظ على هذه القيم وينميها في نفوس الناشئة ،فيتربى هذا الأخير تربية إيجابية اتجاه الوطن والجماعات، كما تؤكد القيم الوطنية والمواطنة على العلاقة القائمة والدائمة بين الإنسان والأرض، وبين الحاكم والمواطن ،للحفاظ على الأمة المجيدة بتمجيد التاريخ و، وتعاضدُ وتساند الجميعِ في سبيل الحفاظ على التاريخ المجيد ،و وحدة التراب ،والعقيدة الإسلامية والمكتسبات الحضارية، وختاما إذا اردنا ان نجعل من هذا الوطن الطيب قوة حقيقية تخشاها الكثير من البلدان، وجب تغليب مصلحة الوطن وحبه عن حب الذات ،والعمل جاهدين على جعل المناهج

التعليمية أول اهتمام المسؤولين والغيورين عن هذا الوطن ،لان المناهج التعليمية الصالحة تمهد لبناء الدولة الوطنية ،ذات البعد التاريخي والحضاري نومنه تأسيس القيم الوطنية التي تتفرع منها الحقوق والواجبات ،والعيش بحب وسلام ،لا بغيض واغتراب.

قائمة المراجع والمصادر:

1ـ هيام الشريدة مازن خليل غرايبة، **القيم التربوية والوطنية والسياسية في منهاج اللغة العربية للصفين الاول والخامس الاساسيين**، مجلة مؤته للبحوث والدراسات، المجلد التاسع، العدد الثالث، ربيع ثاني 1415هـ ايلول1994م،الأردن،ص148

2 . أحمد بن مرسي، **منهاج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال**. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.2003.ص250

3ـ محمد سعيد فرح،لماذا؟وكيف نكتب بحثا اجتماعيا،منشاة المعارف،الإسكندرية ،2002،ص258

4 . إحسان محمد حسن، **الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي**. دار الطليعة للطباعة والنشر. لبنان، ،1983،ص63

5ـ عبد الغني عماد منهجية البحث في علم الاجتماع الإشكاليات، التقنيات، المقاربات، دار طليعة للنشر ،بيروت،2007،ص56

6 ـ وزارة التربية الوطنية ،**كتاب التربية المدنية ،السنة أولى متوسط** ،من تأليف عبد الرحمان زعتوت، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر ،2004/2003

7 ـ محمد فتحي عبد الهادي، **البحث ومناهجه في علم المكتبات والمعلومات**. الدار المصرية اللبنانية.د.س،ص146

8ـ النوي بالطاهر، **المضامين المعرفية لمناهج التربية المدنية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط بإطار لتكوين مفهوم المواطنة لدى التلميذ**، أطروحة دكتوراه ،قسم العلوم الاجتماعية ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة2014/2013،ص135

9محمد بن عمر المدخلي، **منهج تحليل المحتوى ،تطبيقات على مناهج البحث**،كلية المعلمين بمحافظة جدة، جامعة الملك عبد العزيز ،المملكة العربية السعودية،دس،ص07

10 . سامي محمد ملحم، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط2**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن ،2002،ص189

11ـ دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الفصل الرابع، الحريات الأساسية وحقوق الإنسان والمواطن، دستور 1976

12. **الهيئة المستقلة لحقوق الانسان، ديوان المظالم، الميثاق العربي لحقوق الانسان**، الجامعة العربية 2004،ص06



Université Amar Telidji -Laghouat-

DIRASSAT

Revue internationale

N° 49

DECEMBRE 2016

ISSN 1112-4652